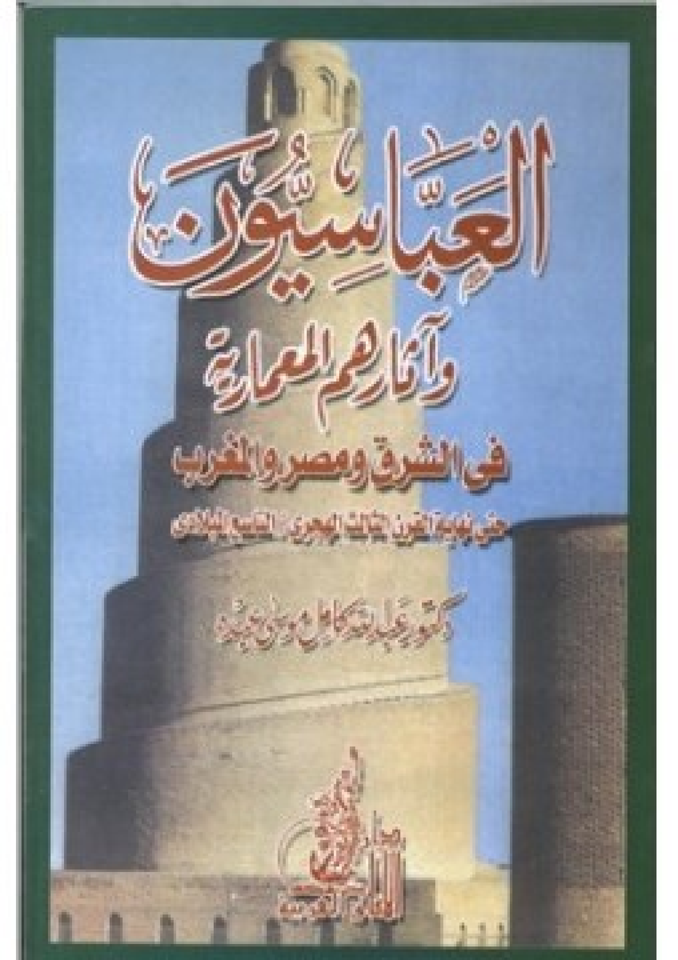
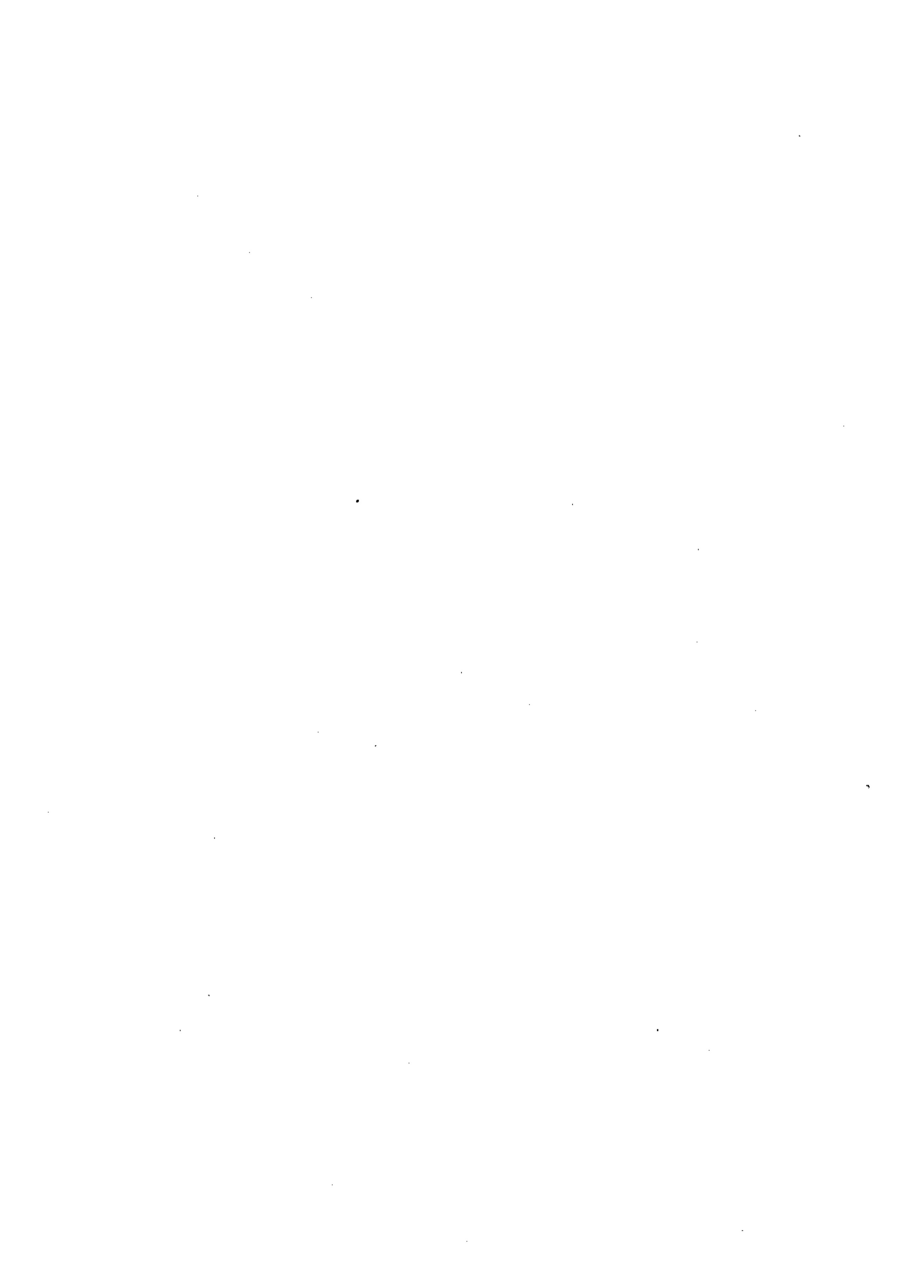

العباسيون
وآثارهم المعمارية
في المشرق ومصر والمغرب

العباسيون

وآثارهم المعمارية

فى الشرق ومصر والمغرب



موسوعة الآثار والحضارة الإسلامية
العصر العباسى
المجلد الأول



دكتور عبد الله كامل موسى عبده



موسى ، عبد الله كامل
العباسيون وآثارهم المعمارية فى الشرق والمغرب حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى
تأليف د/ عبد الله كامل موسى
ط1 – القاهرة : دار الآفاق العربية 2008
686 ص ، 24سم
تدمك : 2 – 229 – 344 – 977
1 - العمارة الاسلامية
2- العالم العربى – تار – العصر العباسى
أ – العنوان
ديوى : 720,91761
رقم الإيداع : 22902/ 2007
الترقيم الدولى :2 –229 – 344 – 977

الطبعة الأولى
1428هـ - 2008 م

دار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
55 ش محمود طلعت من شارع الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 - تليفاكس : 22610164
E-Mail : Daralafk @yahoo com

دار الآفاق العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾

[سورة الرعد: الآية ١٧].



الإهداء

إلى رُوح والدى الطاهرة

طيب الله ثراه

إلى أمى الحبيبة الغالية

أطال الله عمرها

إلى زوجتى وأولادى

متعهم الله بالصحة والعافية

عبد الله كامل موسى عبده

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد

توفر على دراسة العمارة والحضارة الإسلامية عبر عصورها المختلفة عدد كبير من العلماء والباحثين، وقدموا لنا فى هذا المجال أعمالاً لها قيمتها وآصالتها العلمية، ورغم تعدد هذه الدراسات وتنوعها ما بين مؤلفات وبحوث إلا أنه لا تزال هناك حاجة إلى المزيد من المؤلفات والبحوث العربية فى مجال الآثار والحضارة الإسلامية مما دفعنى إلى عمل موسوعة أثرية وحضارية تتناول العصور الإسلامية، ومن ثم تم تخصيص مجلدين للآثار والحضارة الإسلامية فى العصر العباسى، يتناول المجلد الأول الذى نحن بصدده الآثار والحضارة العباسية منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى فى الشرق ومصر والمغرب، وأسأل الله أن يوفقنى إلى إتمام المجلد الثانى الذى سوف يتناول الآثار والحضارة الإسلامية منذ بداية القرن الرابع الهجرى حتى سقوط الدولة العباسية فى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

وكنت قد أصدرت الطبعة الأولى من كتاب "العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا" سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ولما نفدت هذه الطبعة، حرصت على إعادة طبع الكتاب فأدخلت عليه مادة جديدة فى نواحى متعددة من الكتاب تعتمد فى المقام الأول على النص ثم اتبعت منهجًا مختلفًا تمثل فى ترتيب الخلفاء ترتيبًا تاريخيًا ثم ذكر الآثار المعمارية سواء فى الشرق أو فى مصر أو فى إفريقية (المغرب)

حسب الترتيب التاريخي أيضًا سواء من قبل الخلفاء أو الأمراء وقد قسمت هذا المجلد إلى فصلين، بحثت فى الفصل الأول أعمال أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦ هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م)، ونذكر منها على سبيل المثال الهاشمية الأولى والثانية، ونزول الأنبار وبناء مدينة جديدة بالعراق، ثم تأسيس العسكر بمصر، وأعمال أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م)، ونذكر منها على سبيل المثال وحسب الترتيب التاريخي مدينة ملطية، وعمارة المسجد الحرام بمكة المكرمة، ومدينة المصيصة أو المعمورة، وفسقية المعافر بمصر، ومدينة بغداد، ومدينة عسكر المهدى أو الرصافة، ومدينة طبنة بإفريقية، ومدينة الرافقة أو الرقة، وقصر الخلد وغير ذلك، وأعمال المهدى (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م)، ونذكر منها على سبيل المثال الزيادة فى المسجد النبوى، وقصر الأخيضر، وخان عطشان أو العطيشى، وعمارة قلعة الحدث، وقصر المهدى بعيساباذ، وعمارة المسجد الحرام بمكة المكرمة، وعمارة المسجد الجامع بالموصل، وأعمال الهادى (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م)، ونذكر منها على سبيل المثال مدينة موسى بقزوين، وأعمال هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)، ونذكر منها على سبيل المثال مدينة طرسوس، وجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر، والمساجد والرباطات بخراسان، وعمارة القصر الكبير بالمنستير فى إفريقية، ومدينة طرابلس الغرب، والحيرة وعمائرها، ومدينة عين زربى، ومدينة العباسية بإفريقية، وعمائره بقزوين، وأعمال الأمين (١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٩-٨١٣م)، ونذكر منها على سبيل المثال قبة الهواء بمصر، واستحداث مدينة سيسر، وأعمال المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) ونذكر منها على سبيل المثال كسوة الكعبة.

أما الفصل الثانى فقد بحثت فيه أعمال الخلفاء العباسيين والأمراء فى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى، ففى بداية هذا الفصل تناولنا من أعمال المأمون مدينة زبيد باليمن، وعمارة منازله على شاطئ دجلة، ورباط سوسة بإفريقية، وعمارة جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر، وبلدة الطوانة، وأعمال المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م)، ونذكر منها مدينة سر من رأى (سامراء - سامرا)

وقصورها. والمسجد الجامع بالقيروان، ومسجد بوفتاتة بسوسة فى إفريقية، وأعمال الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤٢-٨٤٧م)، ونذكر منها عمارة مدينة سامراء، والقصر الهارونى بها، وأعمال المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م)، ونذكر منها مدينة سامراء، وجامع سامراء الكبير، والمسجد الجامع فى سوسة بإفريقية، وبيمارستان المغافر بمصر، وقصر بلكوارا، ومدينة المتوكلية أو الجعفرية، وجامع المتوكلية أو الجعفرية (أبى دلف)، ومقياس النيل بجزيرة الروضة فى مصر، وأعمال المنتصر بالله (٢٤٧-٢٤٨هـ/ ٨٦١-٨٦٢م)، وأعمال المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ/ ٨٦٢-٨٦٦م)، ونذكر منها القبة الصليبية، ومسجد الزيتونة الجامع فى إفريقية، وأعمال المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦-٨٦٩م)، ونذكر منها دار الصناعة بجزيرة الروضة فى مصر، وأعمال المهتدى بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ/ ٨٦٩-٨٧٠م)، وأعمال المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م) ونذكر منها مدينة القطائع بمصر، والبيمارستان الطولونى بمصر، وعمارة الحصون والمحارس فى إفريقية، ومدينة رقادة بإفريقية، وجامع أحمد بن طولون بمصر، وحصن الجزيرة بمصر، والموفقية، وحصن أو قلعة يافا، وقناطر مياه أحمد بن طولون بمصر، وأعمال المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م)، ونذكر منها أعمال خمارويه سواء فى جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر أو فى قصر وميدان ابن طولون من جهة، ومن جهة أخرى منشآته التى تتمثل فى البرج بالبستان الطولونى، والمجلس أو بيت الذهب، وبركة الزئبق، والقبة أو الدكة بالقصر الطولونى، والميدان، ودار السباع، ودار الحرم والاصطبلات وغير ذلك، وتخطيط البيت الطولونى بمصر، وقصر المعتضد ببراز الروز، وأعمال المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م)، وأعمال المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م)، ونذكر منها قصر العباس بن عمرو الغنوى.

وقد تطرق هذا الكتاب إلى بعض جوانب حضارية أخرى بالإضافة إلى الآثار المعمارية سواء تلك التى اندثرت أو وصلت إلينا، وقد لخصت فى الخاتمة نتائج الدراسة ثم أتبعت الخاتمة بثبت للخرائط والأشكال والصور الفوتغرافية،

ثم قائمة المصادر والمراجع العربية وغير العربية، ثم قائمة بالبحوث والكتب التى صدرت لى.

أسأل الله أن يوفقنى لمتابعة البحث فى مجال الآثار المعمارية والحضارة الإسلامية، وأرجو أن يكون كتابى هذا حافزًا للدارسين للاهتمام فى مؤلفاتهم وبحوثهم بالدراسات المقارنة وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

عبد الله كامل موسى عبده

القاهرة ٩/ محرم / ١٤٢٨هـ / ٢٨/ يناير / ٢٠٠٧م

المحتويات

الفصل الثانى

الآثار والحضارة الإسلامية العباسية فى

القرن ٣هـ / ٩م

الآثار والحضارة الإسلامية العباسية
فى القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى

الحميمة ومبدأ الدعوة العباسية

بدأت الدعوة العباسية السرية فى أوائل القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى من الحميمة، وذلك فى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧٢٠م)، ومنها وجه محمد بن على العباسى النقباء والدعاة إلى الولايات الإسلامية لبث الدعوة سرًا، وأوصاهم أن يتظاهروا بنشرها لآل البيت عامة تسكينًا للعلويين، ومنها انطلق إلى الكوفة، فقد أورد ابن خلكان عند ذكره ابن هبيرة "ثم وصل أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه الملقب بالسفاح وأخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد الملقب بالمنصور من الحميمة، بضم الحاء المهملة، القرية التى كانت مسكن بنى العباس فى أطراف الشام من أرض البلقاء إلى الكوفة، وبها جماعة من أشياعهم ونوابهم ومن قام معهم بإقامة دولتهم وإزالة دولة بنى أمية التى أميرها إذ ذاك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى المعروف بالجعدى والمنبوز بالحمار آخر ملوكهم، فلما وصلوا إلى الكوفة بويع أبو العباس السفاح بها"،[1] فقد اتخذ العباسيون من بلدة الحميمة من أعمال عمان مركزًا لنشر الدعوة العباسية، والحميمة ذكرها ياقوت الحموى فى معجم البلدان بقوله "الحميمة: بلفظ تصغير الحمة، وقد مر تفسيرها: بلد من أرض الشراة من أعمال عمان فى أطراف الشام كان منزل بنى العباس".[2]

الكوفة وقيام الدولة العباسية

دعا الإمام محمد بن على بن عبد الله بن العباس الناس إلى ولاية آل البيت من العلويين والعباسيين، وكانت العلاقة بين البيت الهاشمى بشقيه العلوى والعباسى تقوم على الود والصفاء، خاصة فى وجه البيت الأموى الحاكم (٤١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م) إلى أن انتقل حق الإمامة من العلويين إلى العباسيين بنزول أبى هاشم بن محمد بن الحنفية عن حقه فى الإمامة لمحمد بن على بن عبد الله بن العباس، فقد قال ابن خلكان عند ذكره ابن الحنفية هو "أبو القاسم محمد بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، المعروف بابن الحنفية، أمه الحنفية خولة بنت جعفر.. وانتقلت إمامته إلى ولده أبى هاشم عبد الله ومنه إلى محمد بن على والد السفاح والمنصور"،[٣] وفى موضع آخر أورد ابن خلكان "أن محمد بن الحنفية.. كانت الشيعة تعتقد إمامته بعد أخيه الحسين، رضى الله عنه، فلما توفى محمد بن الحنفية انتقل الأمر إلى ولده أبى هاشم.. وكانت الشيعة تتوالاه، فحضرته الوفاة بالشام فى سنة ثمان وتسعين للهجرة ولا عقب له، فأوصى إلى محمد بن على.. ودفع إليه كتبه وصرف الشيعة نحوه. ولما حضرت محمدًا المذكور الوفاة بالشام أوصى إلى ولده إبراهيم المعروف بالإمام"،[٤] وعلى ما يبدو فإن العباسيين كانوا فى أواخر القرن الأول الهجري/ السابع الميلادى، أكثر كفاية ونشاطًا فى الناحية السياسية من العلويين، وأكثر تطلعًا منهم إلى النفوذ والسلطان[٥].

وكان الأمويون قد اتخذوا من دمشق عاصمة وحاضرة لدولتهم (الدولة الأموية)، غير أن بلاد الشام لم تعد صالحة لأن تكون حاضرة للخلافة العباسية،

فقد رأى العباسيون أن مدينة دمشق كانت مقرًا للأمويين وأنصارهم منذ وليها معاوية بن أبى سفيان فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لقربها من حدود الدولة البيزنطية، ومن ناحية ثالثة لبعدها عن بلاد الفرس مصدر قوة العباسيين، فكان من المناسب إذًا أن يعدل العباسيون عن اتخاذ دمشق عاصمة وحاضرة لخلافتهم وأن يستبدلوا بها عاصمة وحاضرة جديدة على مقربة من بلاد الفرس[٦].

مال العباسيون إلى الفرس، وعملوا على التأثير فى عقول الناس عن طريق إعادة الأمر إلى آل محمد، صلى الله عليه وسلم، وإزالة سلطان بنى أمية المغتصبين هذا الأمر منهم وهو الخلافة، وقد اختار الأئمة من بنى العباس لنشر دعوتهم فى الكوفة وخراسان اللتين كانتا مهد التشيع من قديم، لأن الفرس الذين دخلوا فى الإسلام كانوا أقرب إلى غيرهم من التأثر بآراء الشيعة، لأنهم لا يفرقون بين الخلافة والملك، ومن ثم ناصروا العلويين، ووجدوا فى نشر الدعوة لآل محمد فرصة يتخلصون بها من نير الأمويين، ويستردون شيئًا مما كان لهم من نفوذ وسلطان، لذلك رأوا أنهم بمساعدتهم هذه الدولة الجديدة يصبحون أصحاب الكلمة المسموعة فيها، ومن ثم غدا هذا النزاع فى حقيقة الأمر نزاعًا بين العرب والفرس، بعد أن كان نزاعًا بين بنى أمية وبنى العباس[٧].

وجد الإمام محمد بن على بن عبد الله بن العباس أن كلًا من الكوفة[٨] وخراسان[٩] يصح أن يكون مركزًا لنشر الدعوة، لأن الكوفة مهد التشيع لآل البيت منذ بداية عصر الخلفاء الراشدين، ولأن أهل خراسان من جهة أكثر فهمًا لفكرة التشيع، ومن جهة أخرى يعتقدون فى نظرية[١٠] الحق الملكى المقدس التى كانت سائدة فى بلاد الفرس منذ أيام آل ساسان، ومن جهة ثالثة فقد عانى الفرس تحت نير الأمويين كما تقدم، وهو الأمر الذى عبر عنه المقدسى فى أحسن التقاسيم بقوله "ويقال أن محمد بن عبد الله قال لدعاته أما الكوفة وسوادها فشيعة على وأما البصرة[١١] فعثمانية تدين بالكف وأما الجزيرة[١٢] فحرورية[١٣] صادقة وأعراب كأعلاج[١٤] ومسلمون فى أخلاق النصارى وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية

وطاعة بنى أمية وعداوة راسخة وجهل متراكم وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم يقدح فيها فساد وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة وبعد فانى أتفاءل إلى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق..."[١٥].

إعلان قيام الدولة العباسية

بدأ محمد بن على بن عبد الله بن العباس الدعوة فى سرية تامة فى أوائل القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى من الحميمة بعمان فى أطراف الشام كما تقدم، ووجه منها الدعاة إلى كافة الولايات الإسلامية، وكتب إليهم دستورًا يسيرون عليه فى نشر الدعوة، على أن تكون "للرضا من آل محمد"، ويمكن تقسيم الدعوة إلى قسمين أحدهما يبدأ فى مستهل القرن الأول الهجري/ السابع الميلادى وينتهى بإنضمام أبى مسلم[١٦] الخراسانى الذى أجمع المؤرخون على أنه يتصف بالشجاعة والإقدام، وكانت الدعوة فى هذا الدور خالية من أساليب العنف والشدة، والآخر يبدأ بإنضمام أبى مسلم الخراسانى إلى الدعوة، وهنا يدخل النزاع بين الأمويين والعباسيين فى دور العمل الذى انتهى بزوال الدولة الأموية فى سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م[١٧].

توفى الإمام محمد بن على بن عبد الله بن العباس فى سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م، وكانت الدعوة العباسية قد قطعت شوطًا بعيدًا، وقد أوصى الإمام محمد بالإمامة من بعده لابنه إبراهيم، وقد اتصل أبو مسلم الخراسانى بالإمام إبراهيم، واضطلع بأعباء الدعوة العباسية فى خراسان، وقضى على سلطان الأمويين فيها، وإليه يرجع الفضل فى قيام الدولة العباسية، ففى سنة ١٢٨هـ/ ٨٤٥م تسلم أبو مسلم الخراسانى مقاليد الأمور فى خراسان، وقد ساعدت الاضطرابات التى انتشرت فى خراسان فى ذلك الوقت أبا مسلم على تحقيق سياسته والتى تمثلت على سبيل المثال

فى اشتعال نار العصبية بين المضرية واليمانية، وضعف قوة أمير البلاد، وخروج الخوارج فى اليمن وحضرموت، فاستطاع بدهائه أن يرابط بجنده سبعة أشهر فى ظاهر مدينة مرو[١٨] قاعدة خراسان، وأن يستميل اليمانيين إليه، ومن ثم تمكن فى نهاية الأمر من الاستيلاء على تلك البلاد، فقد ذكره ابن خلكان بقوله "القائم بالدعوة العباسية"[١٩].

ولى الإمام إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بعد القبض عليه من قبل الخليفة الأموى مروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢ هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٥٠م) آخر الخلفاء الأمويين أخاه الإمام أبا العباس عبد الله بن محمد بن على، وأوصاه بمواصلة الدعوة والمسير إلى الكوفة، ولما قتل الإمام إبراهيم سار رسوله إلى الحميمة، وسلم وصيته إلى الإمام أبى العباس، فتوجه الإمام إلى الكوفة، ويصحبته كبار بنى هاشم من ولد العباس، وفيهم أخوه أبو جعفر المنصور، وابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد، وعمه عبد الله بن على، وفى يوم الجمعة أقام أبو العباس الخطبة فخطب على المنبر قائمًا، وكان الأمويون يخطبون قعودًا، قال الطبرى فى أحداث سنة "إثنتين وثلاثين ومائة" ما نصه "قال أبو جعفر: وفى هذه السنة بويع لأبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر، كذلك حدثنى أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبى معشر. وكذلك قال هشام بن محمد. وأما الواقدى فإنه قال: بويع لأبى العباس بالمدينة بالخلافة فى جمادى الأولى فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة. قال الواقدى: وقال لى أبو معشر: فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهو الثبت.. وذكر أن أبا العباس لما صعد المنبر حين بويع له بالخلافة، قام فى أعلاه، وصعد داود بن على فقام دونه، فتكلم أبو العباس.. يا أهل الكوفة، أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا. أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم، حتى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح.."[٢٠]،

ومدينة الكوفة غدت ذات أهمية تاريخية منذ عهد الخليفة على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فقد كانت المدينة المنورة عاصمة وحاضرة للدولة الإسلامية منذ أن هاجر الرسول، صلى الله عليه وسلم، إليها حتى ولى الخلافة الإمام على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فتركها واتخذ الكوفة بعد موقعة الجمل عاصمة وحاضرة لخلافته، حيث كان بها شيعته وأنصاره، ثم لخصوبة أرضها وكثرة خيراتها، ووقوعها فى مكان متوسط سهل الاتصال بأجزاء الدولة الإسلامية، غير أن تركه المدينة هدم التوازن الذى كان بين القبائل العربية فى عهد الخلفاء من قبله، وقد تبين له بعد فوات الفرصة أن اعتماده على أهل الكوفة لم يكن إلا سرابًا، ومدينة الكوفة ذكرها المقدسى عند ذكره إقليم العراق بما نصه "الكوفة قصبة جليلة خفيفة حسنة البناء جليلة الأسواق كثيرة الخيرات جامعة رفقة مصرها سعد بن أبى وقاص أيام عمر.. وأول من نزلها من الصحابة على بن أبى طالب وتبعه عبد الله بن مسعود وأبو الدرداء.."(٢١).

أبو العباس (السفاح)[٢٢]

(١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م)

يعد الخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الذى لقب بالسفاح أول خليفة عباسى جلس على عرش الدولة العباسية، قال الطبرى "... ثم نزل أبو العباس وداود بن على أمامه، حتى دخل القصر، وأجلس أبا جعفر ليأخذ البيعة على الناس فى المسجد، فلم يزل يأخذها عليهم، حتى صلى بهم العصر، ثم صلى بهم المغرب، وجنهم الليل، فدخل"[٢٣].

مما تقدم يتضح أن مدينة الكوفة قد شهدت قيام الدولة العباسية فى سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م حين بايع الناس فيها أبا العباس السفاح، وقد تمت هذه البيعة فى دار الوليد بن سعد الأزدى بعد أن تم النصر للجيوش العباسية فى خراسان وفى العراق بعد هزيمة ابن هبيرة، ثم كان أن خرج الخليفة السفاح بعد الخطبة وإتمام البيعة من الكوفة فعسكر بحمام أعين[٢٤]، قال الطبرى "وكان أبو سلمة[٢٥] قد أنزل أبا العباس حين قدم الكوفة مع من قدم معه من أهل بيته فى دار الوليد بن سعد.. وخرج أبو العباس، فعسكر بحمام أعين فى عسكر أبى سلمة.. وحاجب أبى العباس يومئذ عبد الله بن بسام. واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن على، وبعث عمه عبد الله بن على إلى أبى عون بن يزيد، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة، وهو يومئذ بواسط[٢٦] محاصر ابن هبيرة، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن[٢٧]، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز[٢٨]، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف، وأقام أبو العباس فى العسكر أشهراً ثم ارتحل، فنزل المدينة الهاشمية فى قصر الكوفة"[٢٩].

مدينة الهاشمية الأولى بقصر الكوفة
(قصر ابن هبيرة)

قصر الكوفة أو قصر ابن هبيرة ذكره ياقوت الحموى عند ذكره القصر فى موضعين بما نصه" القصر: لهذا اللفظ بهذا الوزن معانٍ.. والقصر المراد به ههنا: هو البناء المشيد العالى المشرف، مشتق من الحبس والمنع، ومنه قوله تعالى: حور مقصورات فى الخيام، أى محبوسات فى خيام من الدر مجوفات.. والقصر فى مواضع كثيرة إلا أنه فى الأعم الأكثر مضاف.. قصر الكوفة.. قصر ابن هبيرة: ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، كان لما ولى العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان بنى على فرات الكوفة مدينة فنزلها ولم يستتمها حتى كتب إليه مروان بن محمد يأمره بالاجتناب عن مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى قصره المعروف به بالقرب من جسر سورا، فلما ملك السفاح نزله.. وأما قصر ابن هبيرة فإنى أذكر فيه عدة حمامات وكثيراً من الناس...."[٣٠].

نزل الخليفة أبو العباس السفاح مدينة قصر ابن هبيرة بالكوفة واستتمها وسماها الهاشمية، غير أنه رفضها وتحول عنها لأنها لم تشتهر بين الناس باسم الهاشمية، وإنما ظلت تعرف بمدينة أو قصر ابن هبيرة، وفى ذلك أورد البلاذرى فى فتوح البلدان "حدثنى أبو مسعود وغيره، قالوا كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شئ يسير لم يستتم فأتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذى يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا، فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس نزل تلك المدينة واستتم مقاصير فيها

وأحدث فيها بناء وسماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها..."[٣١].

ويرى طاهر مظفر العميد أن الخليفة أبا العباس السفاح كان قد أدرك انه من الصعب عليه أن يركن إلى أهل الكوفة بعد إعلان قيام الدولة العباسية ومبادئها فآثر أن يقيم بين جنده الخراسانيين فى معسكر حمام أعين لإدارة أمور الدولة، فقد خشى فى تلك الفترة من تعاظم الدعوة إلى العلويين، تلك الدعوة التى كانت تجد صدى بعيد الأثر وتأييداً كبيراً فى الكوفة وبعض الأقاليم والمدن الإسلامية الأخرى، فقد كانت الكوفة كما تقدم على لسان المقدسى ".. أما الكوفة وسوادها فشيعة على..."، ويضيف طاهر العميد أن أبا العباس السفاح أطلق اسم الهاشمية على المدينة التى شيدها ابن هبيرة بالكوفة على الفرات، وهو الأمر الذى تقدم ذكره، ثم تحول عنها لأنها لم تشتهر بين الناس باسم الهاشمية، وإنما ظلت تعرف باسمها القديم قصر ابن هبيرة[٣٢].

مدينة الهاشمية الثانية أو الجديدة

شيد الخليفة أبو العباس السفاح مدينة جديدة عرفت بالهاشمية أيضًا وذلك بجوار قصر ابن هبيرة، أو الهاشمية الأولى، وذلك لكون الهاشمية الأولى كما تقدم لم تشتهر بين الناس باسم الهاشمية، وإنما ظلت تعرف بقصر ابن هبيرة على عادتها الأولى، وذلك بعد أن رأى أن ذكر ابن هبيرة لن يسقط عنها، قال البلاذرى "فرفضها وبنى بحيا لها الهاشمية ونزلها"(٣٣).

وفى ذلك أورد ياقوت الحموى "فلما ملك السفاح نزله واستتم تسقيف مقاصير فيه وزاد فى بنائه وسماه الهاشمية، وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هبيرة على العادة الأولى، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنه، فرفضه وبنى حياله مدينة ونزلها أيضاً المنصور"(٣٤)، والهاشمية الأولى والثانية أو الجديدة ذكرهما ياقوت الحموى بقوله ".. والهاشمية أيضاً: مدينة بناها السفاح بالكوفة وذلك أنه لما ولى الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها وبنى حيالها مدينة سماها الهاشمية"(٣٥). ويذكر طاهر العميد أن العباسيين قد حرصوا فى بداية العصر العباسى على تخليد البيت الهاشمى وتأكيد حب هذا البيت وطاعته من خلال إطلاق اسم الهاشمية على المراكز والمدن التى شيدت فى فجر الدولة العباسية(٣٦).

الخليفة أبو العباس السفاح وتجديد مدينة بالأنبار

أورد البلاذرى عند ذكره الهاشمية الأولى والثانية أن الخليفة السفاح ترك الهاشمية الأولى والثانية ونزل الأنبار فشيد بها مدينة، وأغلب الظن أنها عرفت أيضًا بالهاشمية، فقد ذكر ما نصه "فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس نزل تلك المدينة واستتم مقاصير فيها وأحدث فيها بناء وسماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها وبنى بحيالها الهاشمية ونزلها، ثم اختار نزول الأنبار فبنى بها مدينته المعروفة فلما توفى دفن بها"(٣٧).

والأنبار ذكرها ياقوت الحموى بقوله "الأنبار: بفتح أوله:... والأنبار أيضًا: مدينة على الفرات فى غربى بغداد.. وكانت الفرس تسميها فيروز سابور.. وكان أول من عمرها سابور بن هرمز.. ثم جددها أبو العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس وبنى بها قصورًا وأقام بها إلى أن مات، وقيل: إنما سميت الأنبار لأن بخت نصر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الأسراء فيها، وقال أبو القاسم: الأنبار حد بابل سميت به لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها، وكان يقال لها الأهراء، فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار، وقال الأزهرى: الأنبار أهراء الطعام، واحدها نبر.."(٣٨).

وفى ذلك أورد ابن خلكان عند ذكره الحلاج الزاهد المشهور "وكان السفاح

وأخوه المنصور قد نزلا بالكوفة، ثم بنى السفاح بليدة عند الأنبار سماها الهاشمية، فانتقلا إليها، ثم انتقلا إلى الأنبار، وبها مات السفاح وقبره ظاهر بها"[٣٩]، وفى موضع آخر أورد ابن خلكان عند ذكره ربيعة الرأى "وكانت وفاته فى سنة ست وثلاثين، وقيل: سنة ثلاثين ومائة، بالهاشمية، وهى مدينة بناها السفاح بأرض الأنبار، وكان يسكنها، ثم انتقل إلى الأنبار رحمه الله تعالى"[٤٠].

مقتل الخليفة الأموى مروان بن محمد بقرية بوصير بمصر

بمقتل مروان بن محمد آخر خليفة أموى فى سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م انتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين، وكان قتله بقرية بوصير، قال ابن الأثير عند ذكره قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم "وفى هذه السنة قتل مروان بن محمد، وكان قتله ببوصير، من أعمال مصر، لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة"(٤١).

وقرية بوصير ذكرها ياقوت الحموى فقال "بوصير: بكسر الصاد، وياء ساكنة، وراء: اسم لأربع قرى بمصر، بوصير قوريدس، وقال الحسن بن إبراهيم بن زولاق: بها قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الذى به انقرض ملك بنى أمية، وهو المعروف بالحمار، والجعدى قتل بها لسبع بقين من ذى الحجة سنة ١٣٢، وقال أبو عمر الكندى: قتل مروان ببوصير من كورة الأشمونين.."(٤٢).

وفى ذلك أورد ابن خلكان عند ذكره "أبو مسلم الخراسانى" ما نصه "وتجهزت العساكر الخراسانية وغيرها من جهة السفاح لقصد مروان بن محمد ومقدمها عبد الله بن على، عم السفاح، فتقدم مروان إلى الزاب، النهر الذى بين الموصل واربل.. وانكسر عسكر مروان وهرب إلى الشام، فتبعه عبد الله بجيوشه، فهرب إلى مصر، فأقام عبد الله بدمشق وأرسل جيشًا وراء مروان.. فلما وصل إلى بوصير القرية التى عند الفيوم قتل بها.. واحتزوا رأسه وبعثوه إلى السفاح، فبعثه السفاح إلى أبى مسلم وأمره يطيف به فى بلاد خراسان.. فاستقل السفاح بالخلافة، وخلاله الوقت من منازع"(٤٣).

وذكر ابن دقماق فى الانتصار ما نصه "أبو صير قوريدس" هذه البلدة من المدن القديمة وهى فى رأس الجبل المنسوب إلى حاجر بنى سليمان وعبرتها ثلاثون ألف دينار.. وهى الآن جارية فى الديوان الشريف السلطانى وبها قتل مروان بن محمد الحمار آخر ملوك بنى أمية"(٤٤).

الزيادة فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط
فى سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م

شهدت سنه ١٣٣هـ/ ٧٥٠م عمارة جامع عمرو بن العاص ٢١هـ/ ٦٤٢م بفسطاط مصر من قبل واليها صالح بن على، وفى ذلك أورد الكندى عند ذكره الدولة العباسية وصالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ما نصه "ثم وليها صالح بن على من قبل أمير المؤمنين أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فاستقبل صالح بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث بوفد أهل مصر إلى أبى العباس ببيعة أهل مصر عليهم الوليد بن عبد العزيز بن المطلب وفيهم عيسى بن شافع بن السائب ومحمد بن معاوية بن بحير بن ريسان وعبد الأعلى بن سعيد ومعاوية بن الزبير بن عبد كلال وعبد العزيز بن ودعة الحميرى وخمد بن مشهور الأزدى.. وزاد صالح بن على فى مؤخر المسجد الجامع بالفسطاط أربعة أساطين"[45].

ويعلق أحمد فكرى على هذه الزيادة بأن صالح بن على أضاف إلى المسجد أربعة أروقة (أربع بلاطات) فى مؤخره، مما زاد فى طول كل من الجدارين الشرقى والغربى أكثر من عشرين متراً[46].

تأسيس مدينة العسكر بمصر ١٣٢هـ/ ٧٥٠م

أسست مدينة العسكر فى خلافة أبى العباس السفاح فقد أورد الكندى فى أحداث سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م "وورد كتاب أبى العباس أمير المؤمنين على صالح بن على بإمارته على فلسطين ويأمره بالاستخلاف على مصر واستخلف عليها أبا عون عبد الملك بن يزيد مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة"(٤٧).

ويحدثنا المقريزى عن موضع العسكر بقوله "اعلم أن موضع العسكر قد كان يعرف فى صدر الإسلام بالحمراء القصوى وقد تقدم أن الحمراء القصوى كانت خطة بنى الأزرق وبنى روبيل وبنى يشكر بن جزيلة ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية إلى مصر منهزما من بنى العباس نزلت عساكر صالح بن على وأبى عون عبد الملك بن يزيد فى هذه الصحراء حيث جبل يشكر حتى ملؤا الفضاء"(٤٨).

ويذكر فريد شافعى أن الفسطاط كانت تضم منذ أول الأمر المنطقة التى شيدت عليها مدينة العسكر بعد الفتح العربى بأكثر من مائة سنة، وكانت تلك المنطقة تعرف فى العصر الأموى بالحمراء القصوى، وبها خطط القبائل التى تقدم ذكرها، وكان أكثر هذه القبائل من عرب الشام، وكانوا حمر الوجوه فسميت المنطقة لذلك بالحمراء القصوى، غير أن تلك المنطقة قد انحسر عنها العمران مع الوقت، وصارت صحراء، ثم أعيدت عمارتها ثانية بعد انتهاء العصر الأموى ومنذ بداية العصر العباسى، وعمرها عسكر العباسيين(٤٩).

ويحدثنا ابن دقماق عن المنشئ وتاريخ الإنشاء وسبب التسمية بما نصه

"(العسكر) انما سمى هذا الموضع بالعسكر لأن عسكر صالح بن على الهاشمى وأبى عون عبد الملك بن يزيد نزل هناك وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة فسمى المكان بالعسكر"[٥٠].

وفى ذلك أورد المقريزى فى خططه عند ذكره العسكر الذى بنى بظاهر مدينة فسطاط مصر "وأمر أبو عون أصحابه بالبناء فيه فبنوا وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة فلما خرج صالح بن على من مصر خرب أكثر ما بنى فيه إلى زمن موسى بن عيسى الهاشمى فابتنى فيه دارا أنزل فيها حشمه وعبيده وعمر الناس ثم ولى السرى بن الحكم فأذن للناس فى البناء فابتنوا فيه وصار مملوكا بأيديهم واتصل بناؤه ببناء الفسطاط وبنيت فيه دار الإمارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وعملت الشرطة أيضا فى العسكر.. وسمى من حينئذ ذلك الفضاء بالعسكر وصار أمراء مصر إذا ولوا ينزلون به من بعد أبى عون فقال الناس من يومئذ كنا بالعسكر وخرجنا إلى العسكر وكتب من العسكر وصار مدينة ذات محال وأسواق ودور عظيمة"[٥١].

مما تقدم يتضح أن مدينة العسكر شيدت فى سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م فى الفضاء الواقع فى الجهة الشمالية الشرقية من الفسطاط، وهى تعد الحاضرة الثانية لمصر فى العصر الإسلامى بعد مدينة الفسطاط ٢١هـ/ ٦٤٢م، وقد شيد بها صالح بن على دار الإمارة وثكنات الجند، قال المقريزى "إلى أن قدم الأمير أبو العباس أحمد بن طولون من العراق أميرًا على مصر فنزل بالعسكر بدار الإمارة التى بناها صالح بن على بعد هزيمة مروان وقتله وكان لها باب إلى الجامع الذى بالعسكر وكان الأمراء ينزلون بهذه الدار إلى أن نزلها أحمد بن طولون ثم تحول منها إلى القطائع وجعلها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون عند امارته على مصر ديوانا للخراج ثم فرقت حجرا حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب إلى مصر وزوال دولة بنى طولون.."[٥٢].

ومما هو جدير بالذكر أن صالحا بن على لم يشيد مسجدًا جامعًا عند إنشاء مدينة

العسكر فى سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م، فقد كان جامع عمرو بن العاص بالفسطاط يقوم بوظيفة المسجد الجامع فى ذلك الوقت، ولم تكن هناك حاجة إلى تشييد مسجد جامع آخر، وفى سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م رأى الوالى العباسى الفضل بن صالح إقامة المسجد الجامع بالعسكر بسبب تزايد عمران العسكر، حيث حفلت بالدور والبساتين والأسواق حتى اتصلت بالفسطاط، فقام بتشييد جامع العسكر إلى جانب دار الإمارة، قال المقريزى عند ذكره جامع العسكر "هذا الجامع بظاهر مصر وهو حيث الفضاء الذى هو اليوم فيما بين جامع أحمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر وكان إلى جانب الشرطة والدار التى يسكنها أمراء مصر ومن هذه الدار إلى الجامع باب وكان يجمع فيه الجمعة وفيه منبر ومقصورة وهذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى ولايته إمارة مصر ملاصقا لشرطة العسكر التى كان يقال لها الشرطة العليا فى سنة تسع وستين ومائة فكانوا يجمعون فيه.. ولم يزل الجامع بالعسكر إلى أن ولى عبد الله بن طاهر.. فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة ومائتين فزاد فى عمارته وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع أحمد بن طولون ولم يزل هذا الجامع إلى ما بعد الخمسمائة من سنى الهجرة.."(٥٣).

فنون صينية بمدينة كِس

أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٣٤هـ/ ٧٥١م عدة فنون صينية وغير ذلك مما صنع فى الصين بمدينة كس التى تقارب سمرقند[٥٤] بما نصه "وفى هذه السنة غزا أبو داود خالد بن إبراهيم أهل كس فقتل الأخريد ملكها.. وأخذ أبو داود من الأخريد وأصحابه حين قتلهم من الأوانى الصينية المنقوشة المذهبة التى لم ير مثلها، ومن السروج الصينية ومتاع الصين كله من الديباج وغيره، ومن طرف الصين شيئاً كثيرًا، فحمله أبو داود أجمع إلى أبى مسلم وهو بسمرقند"[٥٥].

ومدينة كس ذكرها ياقوت الحموى بقوله "كِس: بكسر أوله، وتشديد ثانيه: مدينة تقارب سمرقند، قال البلاذرى: كس هى الصغد.. وقال ابن ماكولا: كسره العراقيون، وغيرهم يقوله بفتح الكاف، وربما صحفه بعضهم فقاله بالشين المعجمة وهو خطأ، ولما عبرت نهر جيحون وحضرت بخارى وسمرقند وجدت جميعهم يقولون كس، بكسر الكاف والسين المهملة"[٥٦].

ويمثل نص الطبرى أهمية كبيرة بالنسبة للفنون الصينية والإسلامية على حد سواء، فقد أبدع الصينيون بما لهم من حضارة عريقة فى فنونهم سواء من حيث أساليب الصناعة أو الزخرفة بحيث وصفت فى النص بأنها "لم ير مثلها" ومن ثم انتشرت هذه الفنون بما تتميز به من روعة وجمال فى خارج الصين، ويتضح من النص أن أبا داود خالد بن إبراهيم فى أثناء غزواته وفتوحاته أصابه الإبهار من روعة وجمال هذه الفنون الصينية فأعطاه لأبى مسلم بنفسه، فقد أورد النص "فحمله أبو داود أجمع إلى أبى مسلم"، ومن المرجح أن أبا مسلم حمله كله أو بعضًا منه إلى

الخليفة العباسى السفاح، وهو الأمر الذى يساعد على تفسير رقى الفنون الصينية من جهة، وتأثيرها فى الفنون الإسلامية خلال تلك الفترة المبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية من جهة أخرى.

بناء حائط سمرقند

ومن الأعمال المعمارية التى قام بها أبو مسلم الخراسانى خلال غزواته وفتوحاته فى الصغد(٥٧) وبخارى(٥٨) ومرو وسمرقند فيما يتعلق بالعمارة الدفاعية أو العسكرية بناء حائط سمرقند، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٣٤ هـ/ ٧٥١م "وانصرف أبو مسلم إلى مرو بعد أن قتل فى أهل الصغد وأهل بخارى، وأمر ببناء حائط سمرقند، واستخلف زياد بن صالح على الصغد وأهل بخارى"(٥٩).

المنار

كما أورد الطبرى فى أحداث هذه السنة أيضًا "وفيها ضرب المنار من الكوفة إلى مكة والأميال"(٦٠).

وفاة السفاح

وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٤م وفاة الخليفة العباسى السفاح بقوله "وفيها توفى أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار يوم الأحد، لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة.. وقال هشام بن محمد: توفى لاثنتى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة.. وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثى.. وصلى عليه عمه عيسى بن على، ودفنه بالأنبار العتيقة فى قصره.. وفى هذه السنة بويع لأبى جعفر المنصور بالخلافة، وذلك فى اليوم الذى توفى فيه أخوه أبو العباس، وأبو جعفر يومئذ بمكة، وكان الذى أخذ البيعة بالعراق لأبى جعفر بعد موت أبى العباس عيسى بن موسى"(٦١).

قال ابن الأثير "وكانت ولايته من لدن قتل مروان إلى أن توفى أربع سنين. ومن لدن بويع له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر، وقيل: وتسعة أشهر، منها ثمانية أشهر يقاتل مروان"(٦٢).

وكان خليفة أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م) أول من جلس على عرش الدولة العباسية، وكان أبوه محمد أول من اضطلع بنشر الدعوة العباسية، وكان أول من خطب قائمًا، وكان بنو أمية يخطبون قعودًا، وقضى معظم عهده فى محاربة قواد العرب الذين ناصروا بنى أمية، وقضى على أعقاب الأمويين، حتى إنه لم يفلت منهم إلا عبد الرحمن الداخل، الذى أسس الدولة الأموية ببلاد الأندلس، وكذلك وجه السفاح همته إلى الفتك بمن والوه وساعدوه على تأسيس دولته، فقتل أبا سلمة الخلال، وهم بقتل أبى مسلم الخراسانى لولا أن عاجلته منيته، كما قتل ابن هبيرة أحد قواد مروان بن محمد آخر خليفة أموى، وكان السفاح جميلًا وسيمًا، وكريمًا حليمًا وقورًا، وعاقلًا كاملًا، كبير الحياء، حسن الأخلاق، ويحب مسامرة الرجال، ويشجع الأدب والغناء، ويجزل العطاء على الشعراء والمغنيين، فقد كان يطرب من وراء الستر"[٦٣].

أبو جعفر المنصور (١٣٦ـ١٥٨هـ/ ٧٥٤ـ٧٧٥م)

ولد أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على العباسى سنة ١٠١هـ/ ٧٢٠م فى الحميمة، وأمه سلامة البربرية، وقد تربى وسط كبار الرجال من جلة بنى هاشم، وصحب أباه وجده فنشأ أديبًا فصيحًا، ملمّـا بسير الملوك والأمراء، استعان به الخليفة السفاح فى التخلص من أبى سلمة الخلال لأنه كان يعمل على تحويل الخلافة إلى العلويين، فتم له ما أراد، وفى سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م ولى الخليفة السفاح أبا جعفر الجزيرة وأذربيجان وأرمينية، وفى سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٤م ولاه السفاح إمارة الحج، ثم توفى الخليفة السفاح، وكان قد عهد بالخلافة من بعده إلى أخيه أبى جعفر، ثم إلى عيسى بن موسى بن محمد بن على، وكتب بذلك العهد، وختم عليه بخاتمه، وشهد بذلك أهل بيته، وسلمه إلى عيسى بن موسى بن محمد[٦٤].

نزل الخليفة المنصور المدينة الهاشمية بالكوفة التى بناها الخليفة العباسى السفاح، وهى الهاشمية الثانية أو الجديدة التى تقدم ذكرها، فقد أورد البلاذرى "واستخلف أبو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئًا كان بقى منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد، ثم تحول منها إلى بغداد"[٦٥]، وفى ذلك أورد ياقوت الحموى عند ذكره الهاشمية "واستخلف المنصور فنزلها أيضًا واستتم بناء كان بقى فيها وزاد فيها على ما أراد ثم تحول عنها فبنى مدينة بغداد"[٦٦].

مما تقدم يتضح أن الخليفة المنصور حكم العالم الإسلامى خلال الفترة من ١٣٦ ـ ١٤٩ هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٦٦م من المدينة الهاشمية بالكوفة التى من المؤكد أنها شهدت اكتمال عمائرها الدينية والمدنية والدفاعية أو العسكرية خلال تلك الفترة من حكم

المنصور، حيث يمثل التاريخ الأخير الفراغ من عمارة مدينة بغداد، وهو الأمر الذى نلحظه جليًا فى نصى البلاذرى وياقوت الحموى، حيث أن المنصور رأى ضرورة بناء عاصمة وحاضرة جديدة للعالم الإسلامى، ومن ثم شرع فى تأسيس مدينة بغداد فى سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، وفرغ من عمارتها فى سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م وذلك لأسباب عديدة سياسية وعسكرية ودينية واقتصادية وغير ذلك مما سيأتى ذكره عند ذكر مدينة بغداد فى أحداث سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م.

مصلى لأبى عون ببرقة[٦٧]

من الإشارات التاريخية المعمارية التى أوردها الكندى فى أحداث سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٧م عمارة مصلى لأبى عون ببرقة، قال الكندى "وتوفى أمير المؤمنين أبو العباس.. سنة ست وثلاثين ومائة واستخلف أبا جعفر.. فاستقبل بخلافته سنة سبع وثلاثين ومائة فأقر صالح بن على على صلاتها وخراجها وكتب صالح إلى أبى عون.. وبلغ أبو عون برقة فأقام بها أحد عشر شهرًا واتخذ بها مصلى وتركه"[٦٨].

عمارة بلدة مَلطَية من بلاد الروم

من الأعمال المعمارية التى قام بها الخليفة أبو جعفر المنصور فى أحداث سنة ١٣٩ هـ/ ٧٥٧م بناء بلدة ملطية ببلاد الروم وهى بلدة مشهورة على حدود الشام، فقد أورد الطبرى فى أحداث هذه السنة "تسع وثلاثين ومائة" ما نصه "فمن ذلك ما كان من إقامة صالح بن على والعباس بن محمد بملطية، حتى استتما بناء ملطية"[٦٩].

وملطية بلدة ذكرها ياقوت الحموى بقوله "ملطية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء، هى من بناء الاسكندر وجامعها من بناء الصحابة: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين، قال خليفة بن خياط: فى سنة ١٤٠ وجه أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس لبناء ملطية فأقام عليها سنة حتى بناها وأسكنها الناس"[٧٠].

عمارة المسجد الحرام فى سنة الخصب

ومن الأعمال المعمارية التى تعد من مآثر الخليفة المنصور عمارته فى المسجد الحرام بمكة المكرمة، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "تسع وثلاثين ومائة" ما نصه "وفيها وسع أبو جعفر المسجد الحرام، وقيل إنها كانت سنة خصبة فسميت سنة الخصب"(٧١).

ويذكر أحمد رجب أن الخليفة المنصور وجه اهتماماً كبيرًا للمسجد الحرام، فزاد فى مساحته، وأصلح فى عمارته، ونقل عن الأزرقى أن أبا جعفر المنصور زاد فى المسجد الحرام من شقه الشامى "الشمالى" الذى يلى دار الندوة، ولم يزد فى أعلاه، ولا فى شقه الذى يلى الوادى، على أن التخطيط الداخلى للمسجد الحرام فى عهد الخليفة المنصور لم يتغير عما كان عليه فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م)، إذ أن أبا جعفر قد هدم كلا من الرواقين فى الجهة الشمالية والغربية، وهما من عمارة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك، وشيد بدلاً منهما رواقين آخرين بعد توسيع حدود المسجد من هاتين الجهتين، كما شيد الخليفة المنصور مئذنة فى ركن المسجد الشمالى الغربى عرفت باسم مئذنة بنى سهم، ويرجح أحمد رجب أنها المئذنة التى وصفها ابن جبير(٧٢) للمسجد الحرام فى أواخر القرن السادس الهجري/ الثانى عشر الميلادى، على الرغم من اتساع الفترة الزمنية بين بناء المنصور لهذه المئذنة وحتى زيارة ابن جبير لها ويستند فى ذلك إلى أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أية عبارة أو ضربة لهذه المئذنة منذ عهد أبى جعفر المنصور وحتى زيارة ابن جبير لها، وعلى هذا الأساس فإنها المئذنة التى وصفها ابن جبير وترجع إلى عهد المنصور(٧٣).

عمارة مدينة المصيصة أو المعمورة (١٤٠ -١٤١هـ/ ٧٥٨ -٧٥٩م)

تعد عمارة مدينة المصيصة أو المعمورة من المآثر المعمارية للخليفة المنصور، فقد بناها جبرئيل بن يحيي بأمر من الخليفة أبى جعفر المنصور، وهى مدينة تقع على شاطىء جيحان بين أنطاكية وبلاد الروم، وهى مشهورة من ثغور الشام، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "إحدى وأربعين ومائة" ما نصه "وفى هذه السنة فرغ من بناء المصيصة على يدى جبرئيل بن يحيي الخراسانى"(٧٤).

وفى ذلك أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "أربعين ومائة "ما نصه" وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبرائيل بن يحيى، وكان سورها قد تشعث من الزلازل وأهلها قليل، فبنى السور وسماها المعمورة، وبنى بها مسجدًا جامعًا، وفرض فيها لألف رجل، وأسكنها كثيرًا من أهلها"[٧٥].

من النصين السابقين يتضح أن عمارة المصيصة ذكرت عند الطبرى فى أحداث سنة "إحدى وأربعين ومائة"، بينما ذكرت عند ابن الأثير فى أحداث سنة "أربعين ومائة"، وأغلب الظن أن أمر البناء كان فى سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٨م، وأن الفراغ من عمارتها كان فى سنة ١٤١هـ/ ٧٥٩م، وقد اشتملت عمارتها على عمارة دفاعية أو عسكرية شملت السور وغير ذلك من الوحدات والعناصر المعمارية الدفاعية، وعمارة دينية تمثلت فى المسجد الجامع وغير ذلك من منشآت معمارية دينية ومدنية، وذلك من منظور أنها تمثل أشهر ثغور الإسلام، وثغر المصيصة ذكره ياقوت الحموى فقال "المصيصة: بالفتح ثم الكسر، والتشديد، وياء ساكنة، وصاد أخرى، كذا ضبطه الأزهرى وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى هذا لفظه، وتفرد الجوهرى وخالد الفارابى بأن قالا المصيصة، بتخفيف الصادين، والأول أصح.. وهى مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية[٧٦] وبلاد الروم تقارب طرسوس[٧٧].. وكانت من مشهور ثغور الإسلام قد رابط بها الصالحون قديمًا، وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان، وكانت ذات سور وخمسة أبواب، وهى مسماة فيما زعم أهل السير باسم الذى عمرها وهو مصيصة بن الروم.. قال المهلبى: ومن خصائص الثغر أنه كانت تعمل ببلد المصيصة الفراء تحمل إلى الآفاق"[٧٨]، ومن ثم ومن منظور هذه العمارة الدينية والدفاعية وغير ذلك أطلق عليها الخليفة المنصور اسم المعمورة.

فسقية المعافر وساقية أبى عون بمصر

ومن الإشارات التاريخية المعمارية التى أوردها الكندى فى أحداث سنة "أربع وأربعين ومائة" بناء فسقية المعافر من قبل يزيد بن حاتم وذلك بمصر، فقد أورد "ثم وليها يزيد بن حاتم المهلبى من قبل أمير المؤمنين أبى جعفر على صلاتها

وخراجها فقدمها يزيد يوم الإثنين للنصف من ذى القعدة سنة أربع وأربعين ومائة.. وشكت المعافر إلى يزيد بن حاتم بعد الماء عنهم فابتنى يزيد بن حاتم فسقية المعافر وأجرى إليها الماء من ساقية أبى عون وأنفق فيها مالاً عظيمًا فقال له أبو جعفر: لم أنفقت مالى على قومك؟ وورد كتاب أبى جعفر على يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط..."(٧٩).

مدينة بغداد ١٤٥-١٤٩هـ/ ٧٦٢-٧٦٦م

شهدت مدينة الكوفة كما تقدم قيام الدولة العباسية فى سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م بعد أن تم النصر للجيوش العباسية فى خراسان والعراق، ثم خرج الخليفة العباسى أبو العباس السفاح بعد الخطبة فعسكر بحمام أعين، حيث آثر أن يقيم بين جنده لإدارة شئون الدولة، ثم نزل الخليفة السفاح قصر ابن هبيرة بالكوفة واستتم عمائرها وأطلق عليها اسم الهاشمية، ثم تحول عنها لأنها لم تشتهر بين الناس بالاسم الذى أراده لها فشيد مدينة جديدة عرفت أيضاً بالهاشمية، وهى التى أشرنا إليها بالهاشمية الثانية أو الجديدة وذلك بمدينة الكوفة أيضاً، حيث أنها كانت مجاورة للهاشمية الأولى أو قصر ابن هبيرة، ثم تحول الخليفة السفاح منها إلى الأنبار وشيد بها مدينة جديدة، أغلب الظن أنها عرفت أيضاً بالهاشمية، وهى المدينة التى دفن بها عند وفاته فى سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٤م.

وقد نزل الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور مدينة الهاشمية الثانية أو الجديدة، واستتم عمائرها حتى أنها بلغت أوج ازدهارها فى عهده، وظل بها حتى تحول منها إلى بغداد، فقد أورد البلاذرى كما تقدم "واستخلف أبو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئاً كان بقى منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد، ثم تحول منها إلى بغداد"[(٨٠)]

وفى ذلك أورد ياقوت الحموى عند ذكره الهاشمية "واستخلف المنصور فنزلها أيضاً واستتم بناء كان بقى فيها وزاد فيها على ما أراد ثم تحول عنها فبنى مدينة بغداد"[(٨١)].

أدرك الخليفة أبو جعفر المنصور أن الهاشمية الجديدة أو الثانية لا تصلح حاضرة وعاصمة لدولته لقربها من الكوفة مقر الشيعة ومركز دعايتهم من جهة، ولأنها كانت معسكر القبائل العربية من جهة أخرى، خاصة بعد ثورة الراوندية[٨٢] فتحول منها إلى بغداد، وتقع بغداد فى الجانب الغربى من دجلة إلى الجنوب من الكاظمية الحالية، وقد أورد البلاذرى عند ذكره "أمر مدينة السلام" ما نصه "قالوا: وكانت بغداد قديمة فمصرها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله وابتنى بها مدينة وابتدأها فى سنة خمس وأربعين ومائة فلما بلغه خروج محمد وإبراهيم بنى عبد الله بن حسن بن حسن عاد إلى الكوفة"[٨٣].

ويحدثنا الطبرى فى أحداث سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م عن مدينة بغداد أو مدينة المنصور وتأسيسها فى هذه السنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م بقوله "وفى هذه السنة أسست مدينة بغداد، وهى التى تدعى مدينة المنصور"[٨٤].

كما يحدثنا عن سبب البناء الذى يتمثل فى ثورة الراوندية عليه فى الهاشمية من جهة، وقرب جواره من الكوفة من جهة أخرى، وذلك عند ذكره الخبر عن سبب بناء أبى جعفر إياها بقوله "وكان سبب ذلك أن أبا جعفر المنصور بنى - فيما ذكر - حين أفضى الأمر إليه الهاشمية، قبالة مدينة ابن هبيرة، بينهما عرض الطريق، وكانت مدينة ابن هبيرة التى بحيالها مدينة أبى جعفر الهاشمية إلى جانب الكوفة. وبنى المنصور أيضاً مدينة بظهر الكوفة سماها الرصافة، فلما ثارت الراوندية بأبى جعفر فى مدينته التى تسمى الهاشمية، وهى التى بحيال مدينة ابن هبيرة، كره سكناها لاضطراب من اضطرب أمره عليه من الراوندية، مع قرب جواره من الكوفة، ولم يأمن أهلها على نفسه، فأراد أن يبعد من جوارهم، فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد لها موضعًا يتخذه مسكنًا لنفسه وجنده، ويبتنى به مدينة..."[٨٥].

ويذكر طاهر العميد أنه يتضح من الروايات التاريخية بصورة جلية أن الخليفة المنصور اهتم اهتماماً خاصاً باختيار الموقع الذى سيقيم عليه مدينته الجديدة المستديرة، فقد تفحصه تفحص خبير عارف، ودرسه دراسة مستفيضة عميقة، وأرسل الوفود إلى عدة مناطق، بل أنه لم يكتف بذلك وإنما تنقل بنفسه فى عدة

مناطق، ودعا بعض أصحاب تلك المناطق الذين يسكنون فيها، فشاورهم فى الأمر، فتكونت بذلك للمنصور فكرة واضحة، وهى أن هذه المنطقة هى أفضل منطقة لتشييد حاضرته، فقد أورد الطبرى على سبيل المثال "فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد لها موضعاً يتخذه مسكنًا لنفسه وجنده، ويبتنى به مدينة، فبدأ فانحدر إلى جرجرايا(٨٦) ثم صار إلى بغداد، ثم مضى إلى الموصل(٨٧)، ثم عاد إلى بغداد، فقال: هذا موضع معسكر صالح، هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شئ، يأتينا فيها كل ما فى البحر، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية(٨٨) وما حول ذلك، وهذا الفرات يجئ فيه كل شئ من الشأم والرقة(٨٩) وما حول ذلك. فنزل وضرب عسكره على الصراة(٩٠)، وخط المدينة، ووكل بكل ربع قائدًا(٩١).

وفى رواية أخرى أورد الطبرى "وذكر عمر بن شبة.. أفسد أهل الكوفة جند أمير المؤمنين المنصور عليه، فخرج نحو الجبل يرتاد منزلًا، والطريق يومئذ على المدائن، فخرجنا على ساباط(٩٢)، فتخلف بعض أصحابى لرمد أصابه، فأقام يعالج عينيه، فسأله الطبيب: اين يريد أمير المؤمنين؟ قال: يرتاد منزلًا، قال: فإنا نجد فى كتاب عندنا، أن رجلًا يدعى مقلاصًا، يبنى مدينة بين دجلة والصراة تدعى الزوراء.. قال سليمان: فإن أمير المؤمنين لبأطراف الجبال فى ارتياد منزل، إذ قدم على صاحبى فأخبرنى الخبر فأخبرت به أمير المؤمنين، فدعا الرجل فحدثه الحديث.. وقال: أنا والله ذاك.." (٩٣).وفى رواية أورد الطبرى "وذكر عن الهيثم بن عدى، عن ابن عياش، قال: لما أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث روادًا يرتادون له موضعًا ينزله واسطًا، رافقًا بالعامة والجند، فنعت له موضع قريب من بارما،(٩٤) وذكر له عنه غذاء طيب، فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه، وبات فيه، وكرر نظره فيه، فرآه موضعًا طيبًا، فقال لجماعة من أصحابه.. ما رأيكم فى هذا الموضع؟ قالوا: ما رأينا مثله، هو طيب صالح موافق، قال: صدقتم، هو هكذا، ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات، وإنما أريد موضعًا يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لى، ولا تغلو عليهم فيه الأسعار، ولا تشتد فيه المؤونة، فإنى إن أقمت فى موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شئ غلت الأسعار، وقلت المادة، واشتدت المؤونة، وشق

ذلك على الناس، وقد مررت فى طريقى على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال، فأنا نازل فيه، وبائت به، فإن اجتمع لى فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس أبتنيه"[٩٥].

ويضيف الطبرى "قال الهيثم بن عدى: فخبرت انه أتى ناحية الجسر، فعبر فى موضع قصر السلام، ثم صلى العصر ـ وكان فى صيف، وكان فى موضع القصر بيعة قس ـ ثم بات ليلة حتى أصبح، فبات أطيب مبيت فى الأرض وأرفقه، وأقام يومه فلم ير إلا ما يحب، فقال: هذا موضع أبنى فيه، فإنه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار، ولا يحمل الجند والعامة ألا مثله، فخطها وقدر بناءها، ووضع أول لبنة بيده، وقال: بسم الله والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ثم قال: ابنوا على بركة الله"[٩٦].

وفى رواية أورد الطبرى "وذكر عن بشر بن ميمون.. أن المنصور لما رجع من ناحية الجبل، سأل عن خبر القائد الذى حدثه عن الطبيب الذى أخبره عما يجدون فى كتبهم من خبر مقلاص، ونزل الدير الذى هو حذاء قصره المعروف بالخلد، فدعا بصاحب الدير، وأحضر البطريق صاحب رحا البطريق[٩٧] وصاحب بغداد وصاحب المخرم[٩٨] وصاحب الدير المعروف ببستان القس وصاحب العتيقة[٩٩]، فسألهم عن مواضعهم، وكيف هى فى الحر والبرد والأمطار والوحول والبق والهوام؟ فأخبره كل واحد بما عنده من العلم، فوجه رجالًا من قبله، وأمر كل واحد منهم أن يبيت فى قرية منها، فبات كل رجل منهم فى قرية منها، وأتاه بخبرها. وشاور المنصور الذين أحضرهم، وتنحر أخبارهم، فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد، فأحضره وشاوره.. فازداد المنصور عزمًا على النزول فى الموضع الذى اختاره. وقال له: يا أمير المؤمنين، ومع هذا فإن الله قد من على أمير المؤمنين بكثرة جيوشه وقواده وجنده، فليس أحد من أعدائه يطمع فى الدنو منه، والتدبير فى المدن أن تتخذ لها الأسوار والخنادق، والحصون، ودجلة والفرات خنادق لمدينة أمير المؤمنين"[١٠٠].

مما تقدم يتضح أن الخليفة المنصور قد أدرك من الناحية السياسية موقع بغداد الاستراتيجى، حيث تقع فى وسط العراق، كما أدرك من الناحية العسكرية عقب ثورة الراوندية التى تقدم ذكرها ضرورة الانتقال إلى موضع حصين منيع بعد أن استعرض تحصينات الهاشمية ورأى بثاقب بصره أن هذه الاستحكامات الدفاعية أو العسكرية لا يمكن أن تحقق حفظ الأمن وسلامة الدولة فاختار موضع بغداد الذى امتاز بموقع عسكرى طبيعى، ومن الناحية الاقتصادية فإن موضع بغداد يعتبر مركزًا وسطًا بين الأقطار الإسلامية الشرقية والغربية، فهى تقع على الطرق التجارية من جهة، وتكاد تكون على مسافة متساوية بين البصرة والموصل، أو أنها تتوسط المناطق الشمالية والجنوبية من جهة أخرى، كذلك فإن موضع بغداد فى المنطقة الواقعة إلى غربى نهر دجلة، والمحصورة فى البقعة التى يقترب عندها النهران الكبيران دجلة والفرات يحقق الناحية الطبيعية والمناخية والصحية الجيدة، فهى منطقة سهلة زراعية منبسطة يمكن الوصول إليها براً وبحرًا، تحيطها من الغرب أراضى مستوية ترتفع قليلًا كلما اقتربت من وادى الفرات[(١٠١)].

أما فيما يتعلق بتاريخ الإنشاء فقد أورد البلاذرى كما تقدم "قالوا: وكانت بغداد قديمة فمصرها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله وابتنى بها مدينة وابتدأها فى سنة خمس وأربعين ومائة"[(١٠٢)].

وقد أورد الطبرى كما تقدم فى أحداث سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م "وفى هذه السنة أسست مدينة بغداد، وهى التى تدعى مدينة المنصور"[(١٠٣)].

كما أورد الطبرى "وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن حمادًا التركى، قال: بعث المنصور رجالًا فى سنة خمس وأربعين ومائة، يطلبون له موضعًا يبنى فيه مدينته، فطلبوا وارتادوا، فلم يرض موضعًا، حتى جاء فنزل الدير على الصراة، فقال: هذا موضع أرضاه، تأتيه الميرة من الفرات ودجلة، ومن هذه الصراة"[(١٠٤)].

وفى رواية أورد "وذكر عن السرى، عن سليمان بن مجالد، أن المنصور وجه فى حشر الصناع والفعلة من الشأم والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة،

فأحضروا، وأمر باختيار قوم من ذوى الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة، فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن أرطأة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأمر بخط المدينة وحفر الأساسات، وضرب اللبن وطبخ الآجر، فبدئ بذلك، وكان أول ما ابتدئ به فى عملها سنة خمس وأربعين ومائة"(١٠٥).

وفى ذلك أورد ياقوت الحموى "فخط البناء وقدر المدينة ووضع أول لبنة بيده فقال: بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله.."(١٠٦).

ويحدد ياقوت الحموى البدء والفراغ من عمارة مدينة بغداد بقوله "كان أول من مصرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ثانى الخلفاء، وانتقل إليها من الهاشمية، وهى مدينة كان قد اختطها أخوه أبو العباس السفاح قرب الكوفة وشرع فى عمارتها سنة ١٤٥ ونزلها سنة ١٤٩"(١٠٧).

وقد ورد تاريخ الفراغ من عمارة بغداد وهو سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م فى رواية للطبرى بما نصه "وذكر عن سليمان بن مجالد، أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء، فامتنع من ذلك، فحلف المنصور أن يتولى له، وحلف أبو حنيفة ألا يفعل، فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعده، وأخذ الرجال بالعمل. قال: وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه، قال: وكان أبو حنيفة المتولى لذلك، حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلى الخندق، وكان استتمامه فى سنة تسع وأربعين ومائة.. وكان أبو حنيفة أول من عد اللبن بالقصب.."(١٠٨).

مما تقدم يتضح أن الخليفة المنصور شرع فى عمارة مدينة بغداد فى سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، وهذه السنة تمثل كما يذكر طاهر العميد(١٠٩) التاريخ الأقرب إلى الواقع، وفرغ الخليفة المنصور من عمارتها فى سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، وهذه السنة أيضاً تمثل التاريخ الأقرب إلى الواقع، وقد أمدنا البلاذرى ببعض مراحل بناء مدينة بغداد بما نصه "وابتدأها فى سنة خمس وأربعين ومائة فلما بلغه خروج محمد وإبراهيم بنى عبد

الله بن حسن بن حسن عاد إلى الكوفة، ثم حول بيوت الأموال والخزائن والدواوين من الكوفة إلى بغداد سنة ست وأربعين ومائة وسماها مدينة السلام واستتم بناء حائط مدينته وجميع أمره وبناء سور بغداد القديم سنة سبع وأربعين ومائة وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة بمكة ودفن عند بئر ميمون الحضرمى حليف بنى أمية"(١١٠).

أما فيما يتعلق بوصف واسم بغداد عند اليعقوبى فقد ورد بها نصه "وإنما ابتدأت بالعراق لأنها وسط الدنيا، وسرة الأرض، وذكرت بغداد لأنها وسط العراق، والمدينة العظمى التى ليس لها نظير فى مشارق الأرض ومغاربها، سعةً وكبراً وعمارةً، وكثرة مياهٍ، وصحة هواءٍ، ولأنه سكنها من أصناف الناس، وأهل الأمصار والكور، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، وأثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم، فليس من أهل بلد إلا ولهم فيها محلة، ومتجر ومتصرف، فاجتمع بها ما ليس فى مدينة فى الدنيا. ثم يجرى فى حافتيها النهران الأعظمان، دجلة والفرات، فيأتيها التجارات والمير براً وبحرًا، بأيسر السعى، حتى تكامل بها كل متجر، يحمل من المشرق والمغرب، من أرض الإسلام، وغير أرض الإسلام، فإنه يحمل إليها من الهند، والسند، والصين، والتبت، والترك، والديلم، والخزر، والحبشة، وسائر البلدان، حتى يكون بها من تجارات البلدان أكثر مما فى تلك البلدان التى خرجت التجارات منها، ويكون مع ذلك أوجد وأمكن حتى كأنما سيقت إليها خيرات الأرض، وجمعت فيها ذخائر الدنيا، وتكاملت بها بركات العالم. وهى مع هذا مدينة بنى هاشم، ودار ملكهم، ومحل سلطانهم، لم يبتد بها أحد قبلهم، ولم يسكنها ملوك سواهم.. ثم هى وسط الدنيا، لأنها على ما أجمع عليه قول الحساب، وتضمنته كتب الأوائل من الحكماء فى الإقليم الرابع، وهو الإقليم الأوسط، الذى يعتدل فيه الهواء، فى جميع الأزمان والفصول، فيكون الحر بها شديدًا فى أيام القيظ، والبرد شديدًا فى أيام الشتاء ويعتدل الفصلان الخريف والربيع فى أوقاتها.. فلذلك اعتدل الهواء، وطاب الثرى، وعذب الماء، وزكت الأشجار، وطابت الثمار، وأخصبت الزروع، وكثرت الخيرات.. حسنت أخلاق أهلها، ونضرت وجوههم، وانفتقت أذهانهم،

حتى فضلوا الناس، فى العلم، والفهم، والأدب، والنظر، والتمييز، والتجارات، والصناعات، والمكاسب، والحذق بكل مناظرةٍ، وأحكام كل مهنةٍ، واتقان كل صناعة.. ولم تكن بغداد مدينة فى الأيام المتقدمة - أعنى أيام الأكاسرة والأعاجم - وإنما كانت قرية من قرى طسوج بادوريا.. ولم يكن ببغداد إلا دير على موضع مصب الصراة إلى دجلة، الذى يقال له قرن الصراة، وهو الدير الذى يسمى الدير العتيق، قائم بحاله إلى هذا الوقت.. ولم تكن أيضاً بغداد فى أيام العرب، لما جاء الإسلام، لأن العرب اختطت البصرة، والكوفة.. واختطت العرب فى هاتين المدينتين خططها. إلا أن القوم جميعاً قد انتقل وجوههم، وجلتهم، ومياسير تجارهم، إلى بغداد.. فلما أفضت الخلافة إلى بنى عم رسول الله، صلى الله عليه وآله، من ولد العباس بن عبد المطلب.. فضل العراق، وجلالتها، وسعتها، ووسطها للدنيا.."[111].

مما تقدم يتضح أن اسم بغداد الذى اشتهرت به المدينة لم يكن اسمًا جديدًا استحدث مع بنائها، أو ظهر فيها بعد، وإنما كان اسمًا قديمًا يرجع إلى الفترة التى سبقت الفتح الإسلامى للعراق، وقد أجمع المؤرخون على أن لفظة بغداد فارسية الأصل، وقيل أنها لفظة آرامية[112].

وبغداد ذكرها المقدسى عند ذكره إقليم العراق بما نصه "بغداد.. وبها مدينة السلام، ولهم الخصائص والظرافة، والقرائح واللطافة، هواء رقيق، وعلم دقيق، كل جيد بها، وكل حسن فيها، وكل حاذق منها، وكل ظرف لها، وكل قلب إليها، وكل حرب عليها، وكل ذب عنها، هى أشهر من أن توصف وأحسن من أن تنعت وأعلى من أن تمدح أحدثها أبو العباس السفاح ثم بنى المنصور بها مدينة السلام وزاد فيها الخلفاء من بعده.."[113].

كما ذكرها ياقوت الحموى بما نصه "أم الدنيا وسيدة البلاد، قال ابن الأنبارى: أصل بغداد للأعاجم، والعرب تختلف فى لفظها إذ لم يكن أصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم، قال بعض الأعاجم: تفسيره بستان رجل، فباغ بستان وداد

اسم رجل، وبعضهم يقول: بغ اسم للصنم، فذكر انه أهدى إلى كسرى خصى من المشرق فأقطعه إياها، وكان الخصى من عباد الأصنام ببلده فقال: بغ داد أى الصنم أعطانى، وقيل: بغ هو البستان وداد أعطى، وكان كسرى قد وهب لهذا الخصى هذا البستان فقال: بغ داد فسميت به، وقال حمزة بن الحسن: بغداد اسم فارسى معرب عن باغ داذويه، لان بعض رقعة مدينة المنصور كان باغًا لرجل من الفرس اسمه داذويه، وبعضها أثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطها فاعتل فقالوا: ما الذى يأمر الملك أن تسمى به هذه المدينة؟ فقال هلدوه وروز أى خلوها بسلام، فحكى ذلك للمنصور فقال: سميتها مدينة السلام، وفى بغداد سبع لغات: بغداد وبغدان، ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداذ فى آخره الذال المعجمة، وقالوا: لأنه ليس فى كلام العرب كلمة فيها دال بعدها ذال، قال أبو القاسم عبد الرحمن.. وهى فى اللغات كلها تذكر وتؤنث، وتسمى مدينة السلام أيضًا، فأما الزوراء[114]: فمدينة المنصور خاصة، وسميت مدينة السلام لأن دجلة يقال لها وادى السلام، وقال موسى بن عبد الحميد النسائى: كنت جالسًا عند عبد العزيز بن أبى رواد فأتاه رجل فقال له: من أين أنت؟ فقال له: من بغداد، فقال: لا تقل بغداد فإن بغ صنم وداد أعطى، ولكن قل مدينة السلام، فإن الله هو السلام والمدن كلها له، وقيل: إن بغداد كانت قبل سوقًا يقصدها تجار أهل الصين بتجاراتهم فيربحون الربح الواسع، وكان اسم ملك الصين بغ فكانوا إذا انصرفوا إلى بلادهم قالوا: بغ داد أى أن هذا الربح الذى ربحناه من عطية الملك..."[115].

وقد أورد الخطيب البغدادى "قال الشيخ أبو بكر: هكذا فى أصل كتابى عن ابن بشر أن بغداذ بالذال المعجمة فى الموضعين ثم ساق بقية الأبيات مثل ما تقدم. عن ابن سويد أخبرنا على بن أبى على.. قال يقال: بغدان، ومغدان، للمجانسة التى بين الباء والميم كما يقال: باسمك وما سمك، وعذاب لازم ولازب فى حروف كثيرة، وبعضهم يقول: بغداذ بالذال وهى أشد اللغات وأقلها قال أبو بكر: وأنشدنى أبى قال أنشدنا الطوسى وابن الحكم عن اللحيانى لاعرابى يمدح الكسائى:

ومالى صديق ناصح اغتدى له ببغداذ إلا أنت بر موافق

.. قال الشيخ أبو بكر: والمحفوظ أن هذا الاسم كان يعرف به الموضع قديما قبل أبى جعفر المنصور، وقول ابن أبى الأغر هذا: أن المنصور هو الذى سمى الموضع بغداذ لم يتابعه عليه أحد والله أعلم"[١١٦].

وعلى ما يبدو أن الاسم الجديد وهو "مدينة السلام" كما ورد فى رواية ياقوت الحموى التى تقدم ذكرها لم ينتشر انتشاراً واسعاً، إذ سرعان ما تحول الناس عنه إلى اسم بغداد، واقتصر استعمال مدينة السلام على الوثائق الرسمية التى تصدر من دار الخلافة وولاة الأقاليم وقواد الجيوش، واستعمل الاسم كذلك فى دار الضرب ببغداد، ومن المرجح أن المنصور آثر تسميتها بهذا الاسم لأنه ورد فى القرآن الكريم فى عدة مواضع بمعنى الجنة، وقد وردت لفظة "السلام" و"سلام" و"سلاماً" فى ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم، وقيل بأن بغداد سميت مدينة السلام لمقاربتها دجلة، وكانت دجلة تسمى قصر السلام، وقيل الزوراء[١١٧].

أما فيما يتعلق بمساحة بغداد وأبعادها فقد اختلف حولها المؤرخون، حيث أورد اليعقوبى ما نصه "وجعل للمدينة أربعة أبواب: بابًا سماه باب الكوفة، وبابًا سماه باب البصرة، وبابًا سماه باب خراسان، وبابًا سماه باب الشأم. وبين كل باب منها إلى الآخر خمسة آلاف ذراع، بالذراع السوداء، من خارج الخندق[١١٨]"، ونقل شريف يوسف[١١٩] عن كريزويل أن تقدير الذراع ٥١,٨٠سم، كما يعلق طاهر العميد على نص اليعقوبى بقوله أنه يتضح منها أن بين كل بابين خمسة آلاف ذراع، ولما كانت المسافة بين جميع الأبواب الأربعة متساوية فإن محيط المدينة المدورة يكون ٢٠٠٠٠ ذراعًا وهو طول السور الخارجى، أى حوالى (١٠.٠٠٠م)، وتكون مساحة المدينة المستديرة ٧.٩٤٥.٤٥٧م، أى أن مساحتها حوالى ثمانية كيلو مترات مربعة[١٢٠].

ويحدثنا اليعقوبى عن المهندسين والصناع والفعلة بما نصه "ثم وجه فى إحضار المهندسين، وأهل المعرفة بالبناء، والعلم بالذرع والمساحة، وقسمة الأرضين، حتى اختط مدينته المعروفة بمدينة أبى جعفر. وأحضر البنائين، والفعلة، والصناع من

النجارين، والحدادين، والحفارين، فلما اجتمعوا وتكاملوا، أجرى عليهم الأرزاق، وأقام لهم الأجرة. وكتب إلى كل بلد فى حمل من فيه، ممن يفهم شيئاً من البناء، فحضره مائة ألف من أصناف المهن والصناعات، خبر بهذا جماعة من المشايخ، أن أبا جعفر المنصور لم يبتد البناء، حتى تكامل له من الفعلة، وأهل المهن مائة ألف. ثم اختطها فى شهر ربيع الأول .. وجعلها مدورة، ولا تعرف فى جميع أقطار الدنيا مدينة مدورة غيرها. ووضع أساس المدينة فى وقت اختاره نوبخت المنجم، وماشا الله بن سارية. وقبل وضع الأساس ما ضرب اللبن العظام، وكان فى اللبنة التامة المربعة، ذراع فى ذراع، وزنها مائتا رطل، واللبنة المنصفة طولها ذراع، وعرضها نصف ذراع، ووزنها مائة رطل، وحفرت الآبار للماء، وعملت القناة التى تأخذ من نهر كرخايا، وهو النهر الآخذ من الفرات، فاتقنت القناة، وأجريت إلى داخل المدينة للشرب، ولضرب اللبن، وبل الطين"[١٢٦].

ويضيف اليعقوبى "وكان الذين هندسوها عبد الله بن محرز، والحجاج بن يوسف، وعمران بن الوضاح، وشهاب بن كثير، بحضرة نوبخت، وإبراهيم بن محمد الفزارى، والطبرى المنجمين أصحاب الحساب. وقسم الأرباض أربعة أرباع، وقلد للقيام بكل ربع رجلاً من المهندسين، وأعطى أصحاب كل ربع مبلغ ما يصير لصاحب كل قطيعة من الذرع، ومبلغ ذرع ما لعمل الأسواق فى ربض ربض. فقلد الربع من باب الكوفة إلى باب البصرة وباب المحمول والكرخ وما اتصل بذلك كله المسيب بن زهير والربيع مولاه وعمران بن الوضاح المهندس. والربع من باب الكوفة إلى باب الشأم، وشارع طريق الأنبار إلى حد ربض حرب بن عبد الله سليمان بن مجالد وواضحا مولاه، وعبد الله بن محرز المهندس. والربع من باب الشأم إلى ربض حرب، وما اتصل بربض حرب وشارع باب الشأم، وما اتصل بذلك إلى الجسر على منتهى دجلة، حرب بن عبد الله وغزوان مولاه، والحجاج بن يوسف المهندس. ومن باب خراسان إلى الجسر الذى على دجلة ماداً فى الشارع على دجلة إلى البغيين، وباب قطربل هشام بن عمرو التغلبى، وعمارة بن حمزة، وشهاب بن كثير المهندس. ووقع إلى كل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الذرع، ولمن معه

من أصحابه، وما قدره للحوانيت والأسواق فى كل ربض، وأمرهم أن يوسعوا فى الحوانيت، ليكون فى كل ربض سوق جامعة، تجمع التجارات، وأن يجعلوا فى كل ربض من السكك والدروب النافذة وغير النافذة، ما يعتدل بها المنازل. وأن يسموا كل درب باسم القائد النازل فيه، أو الرجل النبيه الذى ينزله، أو أهل البلد الذين يسكنونه. وحد لهم أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعًا بالسوداء، والدروب ست عشرة ذراعًا. وأن يبتنوا فى جميع الأرض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفى بها من فى كل ناحية ومحلة. وأمرهم جميعًا أن يجعلوا من قطائع القواد والجند ذرعًا معلوماً للتجار، يبنونه وينزلونه، ولسوقة الناس وأهل البلدان"(١٢٢).

وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن القادة والموالى والمهندسين كانوا يشرفون على الأرباض الأربعة بواقع ثلاثة على كل ربض منها، وأما المهندسون فهم عمران ابن الوضاح، وعبد الله بن محرز، والحجاج بن يوسف، وشهاب بن كثير، ويذكر طاهر العميد أنه إضافة إلى هؤلاء كان يشرف على البناء بعض المراقبين، وأغلب الظن أن المنصور اختار الحجاج بن أرطأة وأبى حنيفة النعمان ليشرفا على سير العمل كما تقدم فى رواية اليعقوبي(١٢٣).

كان الخليفة المنصور يتمتع بنظرة فاحصة وصائبة فى مجال التخطيط والعمارة، وعلى دراية كبيرة بالنواحى الهندسية والمعمارية، فقد أحب أن يتبين معالم تخطيط مدينته التى أسهم هو ومهندسوه فى وضع فكرتها وتصميمها، قال الطبرى "وذكر أن المنصور لما عزم على بنائها أحب أن ينظر إليها عيانا، فأمر أن يخط بالرماد، ثم أقبل يدخل من كل باب، ويمر فى فصلانها وطاقاتها ورحابها، وهى مخطوطة بالرماد، ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خط من خنادقها، فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن، وينصب عليه النفط، فنظر إليها والنار تشتعل، ففهمها وعرف رسمها، وأمر أن يحفر ذلك على الرسم، ثم ابتدئ فى عملها"(١٢٤).

قام الخليفة أبو جعفر المنصور عقب ذلك وكما تقدم بوضع أول لبنة بيده وقال "بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله.."(١٢٥).

قول المنصور عن بغداد "لم يكن فى الإسلام مثلها"

يعد تخطيط مدينة بغداد على النحو الذى تقدم هو أروع ما وصل إليه فن تخطيط المدن فى العالم العربى الإسلامى، ويمثل قمة تطور هذا الفن، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "ثمان وخمسين ومائة"، عند ذكر وفاة أبى جعفر المنصور ما نصه عن مدينة بغداد "وذكر عمر بن شبه .. لما حج المنصور فى السنة التى توفى فيها شيعه المهدى، فقال: يا بنى.. وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها"(١٢٦)، غير أن دراسة تخطيط البصرة والكوفة وواسط يكشف عن أن هذا الفن قد بدأ فى تخطيط وعمارة المدينة المنورة فى عصر الرسول، صلى الله عليه وسلم، ثم فى مدينتى البصرة والكوفة، ونضج عند إنشاء مدينة واسط التى تشبه إلى حد كبير سواء فى تخطيطها أو عمائرها مدينة بغداد، حيث ازدهر هذا الفن وبلغ قمته فى مدينة بغداد، ولعل أبرز ما يميز مدينة المنصور شكلها المستدير، فقد أتقن من خططها تدويرها، وجعلها بهيئة حلقات متتابعة تصغر كلما اقتربت من المركز، وتتسع كلما ابتعدت عنه، وقد أورد الخطيب البغدادى "وذكر وكيع فيما بلغنى عنه أن أبا جعفر بنى المدينة مدورة لأن المدورة لها معان سوى المربعة، وذلك أن المربعة إذا كان الملك فى وسطها كان بعضها أقرب إليه من بعض، والمدور من حيث قسم كان مستويا لا يزيد هذا على هذا ولا هذا على هذا، وبنى بها أربعة أبواب، وعمل عليها الخنادق وعمل لها سورين وفصيلين بين كل بابين فصيلان"،(١٢٧) حيث يشغل قصر الخليفة النقطة المركزية المحورية الرئيسية فيه كما هو الحال فى مدينة واسط، كما أنها تتميز من خلال تحصيناتها الدفاعية القوية والمتألفة من خندق وسورين هائلين أو من خندق وثلاثة أسوار، وهى التحصينات التى تشبه إلى حد كبير مثيلاتها فى مدينة واسط التى جاءت فى تحصيناتها الدفاعية من خندق وسورين، كذلك تتميز من خلال ترتيب

الأسواق على جانبى الشوارع الأربعة الرئيسية التى تربط قلب المدينة بجسور الخندق الأربعة التى يؤدى كل منها إلى أحد المداخل الأربعة فى سور المدينة الخارجى، كذلك جعل خطط الناس بين السور الأعظم والسور الفاصل بينها وبين القسم المركزى فى المدينة، والذى دعى بالرحبة العظمى، وقد جعلت الخطط ذات طابع هندسى أى تخترقها شوارع مستقيمة تؤدى إلى شوارع رئيسية أخرى تفصل بين الخطط والأسوار، وقد جاء تخطيط المدينة محكمًا سواء تتبعناه من الداخل إلى الخارج، أو من الخارج إلى الداخل، وتفصيل ذلك من الخارج أن بغداد تشتمل على خندق عميق يطوق المدينة، ويمد بالماء من نهر كرخايا وليس من دجلة مباشرة، وكان الغرض من حفر الخندق حول المدينة زيادة تحصينها، وهو الأمر الذى يحقق الهدف العسكرى الذى كان الخليفة المنصور يرمى إليه، ويمكن إجتياز الخندق من خلال أربعة جسور، أو أربع معابر، يؤدى كل منها إلى باب، حيث تشتمل المدينة على أربعة أبواب نفذت على خط محورى واحد، بحيث تقسم المدينة إلى أربعة أرباع كما هو الحال فى مدينة واسط، وأفردت جوانب هذه الشوارع بمنطقة الطاقات لحوانيت التجار، وقد اشتمل التخطيط على السور الأول الخارجى الذى يلى الخندق مباشرة، وتفصيل ذلك أن الداخل يجتاز القنطرة التى فوق الخندق، وعرضها حوالى ٤م، تؤدى إلى غرفة مستطيلة يغطيها قبو نصف برميلى ٢٠×٣٠ ذراعاً نفذت على هيئة برج بارز عن السور الخارجى، ومن هذه الحجرة ينعطف الداخل يساراً ليصل إلى رحبة مستطيلة ذات فناء مكشوف، وتشتمل على بابين جانبيين يفتحان على الفصيل الأول، وعلى محور الرحبة يوجد المدخل الرئيسى للمدينة، وكان يشتمل على باب حديدى منزلق، ويفتح هذا الباب على دهليز مغطى بقبو نصف برميلى ١٢ ×١٢ ذراعاً بارتفاع ٢٣ ذراعاً ويعلو الدهليز المقبى مجلس ١٢×١٢ ذراعاً تعلوه قبة ترتفع ٢٤ ذراعاً عن أرضية المجلس أو ٥٠ ذراعاً عن أرضية الرحبة، ويفتح الدهليز السابق المقبى على رحبة مكشوفة، يكتنفها بابان جانبيان يفتحان على غرفتين جانبيتين، يغطى كل منهما قبو نصف أسطوانى، ويؤديان إلى الفصيل الثانى،

وبعد الرحبة توجد الطاقات الكبيرة، وهى عبارة عن ٥٣ عقداً، تحمل بينها ٥٤ قبواً نصف أسطوانياً، وتكتنف الطاقات الكبرى من الجانبين غرف الحرس والجنود، وتتكون من ٥٤ غرفة فى الجهة اليمنى ومثلها فى الجهة اليسرى، وهى فى مجموعها (١٠٨) غرفة، منها (١٠٠) غرفة للجند، وثمانى غرف للضباط، وينتهى دهليز الطاقات الكبرى بباب يفتح على رحبة مربعة أيضاً، يكتنفها غرفتان، يغطى كل منها قبو نصف برميلى، وعلى محور الرحبة الرئيسى يتجه الداخل إلى الطاقات الصغرى، والسور الأول الخارجى يطل على الخندق، وتفصله عنه مسناة متينة محكمة مشيدة بالطابوق والنورة، ويبدو أنه لم يكن سواء فى ضخامته أو ارتفاعه مثل السور الأعظم، أو الثانى، أو الأوسط بمدينة بغداد، وأغلب الظن أن المداخل التى كانت تخترق هذا السور كانت ذات صفة حربية أو عسكرية على هيئة أبواب منكسرة، أو غير مباشرة، وهى أربعة أبواب وصفها الخطيب البغدادى بقوله "المدينة مدورة عليها سور مدور ... وللمدينة أربعة أبواب.. لكل باب منها بابان، باب دون باب، بينهما دهليز ورحبة يدخل إلى الفصيل الدائر بين السورين، فالأول باب الفصيل، والثانى باب المدينة، فإذا دخل الداخل من باب خراسان الأول عطف على يساره فى دهليز أزج[١٢٨] معقود بالآجر والجص، عرضه عشرون ذراعاً وطوله ثلاثون ذراعاً، المدخل إليه فى عرضه والمخرج منه من طوله يخرج إلى رحبة مادة إلى الباب الثانى، فى صدر هذه الرحبة فى طولها الباب الثانى وهو باب المدينة وعن يمينه وشماله فى جنبتى هذه الرحبة بابان [إلى الفصيلين] فالأيمن يؤدى إلى فصيل باب الشام، والأيسر يؤدى إلى فصيل باب البصرة، ثم يدور من باب البصرة إلى باب الكوفة، ويدور الذى انتهى إلى باب الشام إلى باب الكوفة، على نعت واحد وحكاية واحدة. والأبواب الأربعة على صورة واحدة، فى الأبواب والفصلان والرحاب والطاقات. ثم الباب الثانى وهو باب المدينة وعليه السور الكبير الذى وصفنا، فيدخل من الباب الكبير إلى دهليز أزج معقود بالآجر والجص طوله عشرون ذراعاً، وعرضه اثنى عشر ذراعاً، وكذلك سائر الأبواب الأربعة، وعلى كل أزج من

آزاج هذه الأبواب مجلس له درجة على السور يرتقى إليها منها، على هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبة فى السماء سمكها خمسون ذراعاً مزخرفة، وعلى رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح لا يشبه نظائره. وكانت هذه القبة مجلس المنصور إذا أحب النظر إل الماء وإلى من يقبل من ناحية خراسان. وقبة على باب الشام كانت مجلس المنصور إذا أحب النظر إلى الأرباض وما والاها. وقبة على باب البصرة كانت مجلسه إذا أحب النظر إلى الكرخ ومن أقبل من تلك الناحية. وقبة على باب الكوفة كانت مجلسه إذا أحب النظر إلى البساتين والضياع. وعلى كل باب من أبواب المدينة الأوائل والثوانى باب حديد عظيم جليل المقدار كل باب منها فردان"(١٢٩).

ويصف لنا اليعقوبى هذه الأبواب بقوله "ولا يغلق الباب الواحد منها ولا يفتحه إلا جماعة رجال، يدخل الفارس بالعلم، والرامح بالرمح الطويل، من غير أن يميل العلم، ولا يثنى الرمح"(١٣٠).

ويضيف اليعقوبى "وعلى كل باب من أبواب المدينة التى على السور الأعظم، قبة معقودة، عظيمة مذهبة، وحولها مجالس ومرتفقات.. يصعد إلى هذه القباب على عقود مبنية، بعضها بالجص والآجر، وبعضها باللبن العظام، قد عملت ازاجا بعضها أعلى من بعض، فداخل الأزاج للرابطة والحرس.. فإذا خرج الخارج من الطاقات، خرج إلى رحبة، ثم إلى دهليز عظيم أزج معقود بالآجر والجص، عليه بابا حديد، يخرج من الباب إلى الرحبة العظمى. وكذلك الطاقات الأربعة على مثال واحد"(١٣١).

ويفصل السور الأول عن السور الثانى الأعظم فصيل بعرض ٥٠م، خال من البناء لكى يتمكن الجيش من التحرك فى أثناء الحرب والهجوم على المدينة، قال الخطيب البغدادى "وأمر أن لا يسكن تحت السور الطويل الداخل أحد ولا يبنى منزلا"(١٣٢)، أما السور الثانى فهو السور الرئيسى، أو الأوسط، أو الأعظم، أو الكبير فى المدينة، شيد باللبن والطين، يبلغ ارتفاعه حوالى ٣٠م، بعرض يبلغ فى أساسه ٤٥م، ويتناقص هذا العرض كلما ارتفع السور إلى أن يصبح ١٢م، كان

يدعم هذا السور أبراج من الخارج على هيئة نصف دائرية يبلغ عددها ١١٣ برجاً تتوزع بين المداخل الأربعة بمعدل ٢٨ برجاً بين كل بابين فيما عدا المسافة بين بابى الكوفة والبصرة فيبلغ عددها ٢٩ برجاً، قال الخطيب البغدادى "قال محمد بن خلف. قالوا: وبنى المنصور مدينته وبنى بها أربعة أبواب، فإذا جاء أحد من الحجاز دخل من باب الكوفة، وإذا جاء من المغرب دخل من باب الشام، وإذا جاء أحد من الأهواز والبصرة وواسط واليمامة والبحرين دخل من باب البصرة، وإذا جاء الجائى من المشرق دخل من باب خراسان.. وجعل، يعنى المنصور. كل باب مقابلا للقصر وبنى على كل باب قبة، وجعل بين كل بابين ثمانية وعشرين برجاً، إلا بين باب البصرة وباب الكوفة فإنه يزيد واحداً"[١٣٣].

وتقع المداخل التى تخترق السور الأعظم على استقامة تلك التى تنفذ من السور الخارجى الأول، ويبلغ عرض الفصيل الثانى حوالى ١٥٠م، وهو الفصيل الذى يقع بين السور الأعظم والسور الداخلى، أو الثالث، وقد خصص لخطط من سكن المدينة من الناس، قال الخطيب البغدادى "وأمر أن يبنى فى الفصيل الثانى مع السور النازل لأنه أحصن للسور"[١٣٤]، وقد نسقت هذه الخطط بهيئة هندسية بديعة بحيث تخترقها شوارع رئيسية مستقيمة تؤدى من جهة إلى شارع رئيسى يفصل ما بين هذه الخطط والسور الثالث الداخلى، وإلى شارع آخر يعزلها من السور الأعظم من الجهة الثانية من جهة أخرى[١٣٥].

وقد كانت هذه الخطط غير قبائلية بل مهنية على غرار خطط مدينة واسط، وتخترق الشوارع الأربعة الرئيسية هذه الخطط على هيئة دهاليز مسقوفة على جانبيها حنايا جعلت حوانيت للتجار كما تقدم، وهى توصل ما بين مداخل السور الأعظم ومداخل السور الثالث، أما السور الثالث أو الداخلى فيفصل بين الخطط والرحبة العظمى أو المنطقة المركزية، وقد بنى باللبن والطين، ويبدو أنه لم يكن ضخماً أو مرتفعاً مثل السور الأعظم، وقد أورد اليعقوبى عن السكك والدروب التى تلى السور الثالث "وبين الطاقات إلى الطاقات السكك والدروب، تعرف بقواده

ومواليه، ويسكان كل سكة. فمن باب البصرة إلى باب الكوفة سكة الشعرط، وسكة الهيثم، وسكة المطبق، وفيها الحبس الأعظم الذى يسمى المطبق، وثيق البناء، محكم السور، وسكة النساء، وسكة سرجس، وسكة الحسين، وسكة عطية، وسكة مجاشع، وسكة العباس، وسكة غزوان، وسكة أبى حنيفة، والسكة الضيقة"(١٣٦).

وأورد اليعقوبى "ومن باب البصرة إلى باب خراسان سكة الحرس، وسكة النعيمية، وسكة سليمان، وسكة الربيع، وسكة مهلهل، وسكة شيخ بن عميرة، وسكة المروروذية، وسكة واضح، وسكة السقائين. وسكة ابن بريهة بن عيسى بن المنصور، وسكة أبى أحمد، والدرب الضيق"(١٣٧).

كما أورد "ومن باب الكوفة إلى باب الشأم سكة العكى وسكة أبى قرة، وسكة عبدوية، وسكة السميدع، وسكة العلاء، وسكة نافع، وسكة أسلم، وسكة المنارة.

ومن باب الشأم إلى باب خراسان سكة المؤذنين، وسكة دارم. وسكة اسرايل، وسكة تعرف فى هذا الوقت بالقواريرى.. وسكة الحكم بن يوسف، وسكة سماعة. وسكة صاعد مولى أبى جعفر، وسكة تعرف اليوم بالزيادى.. وسكة غزوان. هذه السكك بين الطاقات والطاقات داخل المدينة وداخل السور، وفى كل سكة من هذه السكك جلة. القواد الموثوق بهم فى النزول معه، وجلة مواليه، ومن يحتاج إليه فى الأمر المهم، وعلى كل سكة من طرفيها الأبواب الوثيقة، ولا تتصل سكة منها بسور الرحبة التى فيها دار الخلافة، لأن حوالى سور الرحبة كما تدور الطريق"(١٣٨).

أما فيما يتعلق بالرحبة العظمى أو المنطقة المركزية فقد اشتملت على القصر، والمسجد الجامع، ودواوين الدولة، ودار صاحب الشرطة، وسقيفة كبيرة ممتدة على أعمدة مبنية بالآجر والجص يقيم فيها صاحب الحرس، فقد أورد اليعقوبى "وفى وسط الرحبة القصر الذى سمى بابه باب الذهب، وإلى جنب القصر المسجد الجامع، ليس حول القصر بناء، ولا دار، ولا مسكن لأحد، إلا دار من ناحية باب الشأم للحرس، وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص، يجلس فى إحداهما صاحب الشرطة، وفى الأخرى صاحب الحرس، وهى اليوم يصلى فيها

الناس. وحول الرحبة كما تدور منازل أولاد المنصور الأصاغر، ومن يقرب من خدمته من عبيده، وبيت المال، وخزانة السلاح، وديوان الرسائل، وديوان الخراج، وديوان الخاتم، وديوان الجند، وديوان الحوائج، وديوان الأحشام، ومطبخ العامة، وديوان النفقات"[١٣٩].

وقد أورد الخطيب البغدادى "وكان فى صدر قصر المنصور: إيوان طوله ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وفى صدر الإيوان مجلس عشرون ذراعًا فى عشرين ذراعًا، وسمكه عشرون ذراعاً، وسقفه قبة وعليه مجلس مثله فوق القبة الخضراء، وسمكه إلى أول حد عقد القبة عشرون ذراعًا، فصار من الأرض إلى رأس القبة الخضراء ثمانين ذراعاً، وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس. وكانت القبة الخضراء ترى من أطراف بغداد.. وكانت هذه القبة تاج بغداد وعلم البلد ومأثرة من مآثر بنى العباس عظيمة، بنيت أول ملكهم وبقيت إلى هذا الوقت [إلى آخر أمر الواثق] فكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة"[١٤٠].

ويذكر طاهر مظفر[١٤١] العميد عند ذكره القصور العباسية فى بغداد أن قصر المنصور، أو قصر باب الذهب، أو كما تقدم قصر الذهب، أو قصر القبة الخضراء كان مربع الشكل يبلغ طول ضلعه ٤٠٠ ذراع، أى ما يعادل ٢٢٤م، أو ٢٠٠م تقريباً كما يذكر عيسى[١٤٢] سلمان حميد عند ذكره تخطيط المدن، فتكون مساحته فى رأى طاهر العميد مقاربة لخمسين ألف متر مربع، وكان فى صدر هذا القصر كما تقدم إيوان طوله (٣٠ ذراعاً) وعرضه (٢٠ ذراعاً) وسقفه قبة عليه مجلس مثله فوقه تقوم القبة الخضراء، ويبلغ ارتفاع القبة عن الأرض (٨٠ ذراعاً)، والراجح أن هذا الإيوان كان على هيئة قاعة كبيرة ذات قبو فى صدره سماها الخطيب البغدادى (مجلس) على شكل مربع يبلغ طول ضلعه (٢٠ ذراعاً)، وتعلوها قاعة أخرى بنفس الأبعاد تعلوها القبة الخضراء التى كانت بمثابة التاج أو العلم على المدينة من جهة، ومأثرة من مآثر بنى العباس من جهة أخرى، ويعلو القبة تمثال لفارس يحمل رمحاً ويدور مع الريح، وهو الأسلوب الذى اقتبس من قصر الحجاج بن يوسف بمدينة واسط[١٤٣].

كان قصر المنصور بمثابة البلاط الرسمى للخليفة، حيث ينظر الخليفة فى أحد قاعاته فى أمور الدولة، وبقى القصر قصراً للخلفاء، الذين أعقبوا المنصور، المهدى (١٥٩ – ١٦٩هـ/ ٧٧٥ – ٧٨٥م)، والهادى (١٦٩ – ١٧٠هـ/ ٧٨٥ – ٧٨٦م)، إلا أن هارون الرشيد فضل الإقامة فى قصر الخلد الذى شيد خارج مدينة بغداد فى سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م بأمر من الخليفة المنصور، وحينما آلت الخلافة إلى الأمين (١٩٣ – ١٩٨هـ/ ٨٠٩ – ٨١٣م) تحول من قصر الخلد إلى قصر المنصور فعاد القصر مركزاً للخلافة، وأضاف إليه الأمين ميداناً، وقد تأثر القصر عندما هاجمت جيوش طاهر بن الحسين قائد المأمون المدينة المدورة، وبقيت القبة الخضراء قائمة على جدرانها حتى سقطت قمتها فى سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م بفعل مطر عظيم ورعد هائل، ثم سقطت القبة فى سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م بسبب الفيضان الذى حدث فى بغداد[١٤٤].

مسجد بغداد الجامع

ذكره اليعقوبى فقال "وفى وسط الرحبة القصر الذى سمى بابه باب الذهب، وإلى جنب القصر المسجد الجامع"[١٤٥].

ويعد مسجد المنصور أول مسجد شيد فى بغداد، وجعل ملتصقاً بالقصر من الجهة الشمالية الشرقية، وقد ترتب على تشييد المسجد بعد الفراغ من عمارة القصر إلى وجود انحراف فى المسجد بمقدار (٣٤) درجة عن خط القبلة شأنه فى ذلك شأن المسجد الجامع بمدينة واسط، وقد شيد باللبن والطين، واندثرت معالمه مثلما اندثرت آثار ومخلفات مدينة بغداد الأثرية، غير أنه أمكن الاستدلال على مخططه من خلال ما ورد عنه من إشارات عابرة فى المصادر التاريخية وكتب الجغرافيين والرحالة المسلمين من جهة، وكتابات بعض علماء الآثار الإسلامية من جهة أخرى، وتفصيل ذلك أن الخليفة المنصور بدأ تأسيسه كما تقدم فى سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م وفرغ منه فى سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، وكان مربع الشكل يبلغ طول ضلعه (٢٠٠ ذراع) أو (٢٠٠م) تقريباً على غرار تخطيط مسجد الحجاج بن يوسف الثقفى بمدينة واسط، ومادة البناء من اللبن والطين وهى المادة التى شيدت بها أغلب منشآت مدينة المنصور سواء المدنية أو الدفاعية (العسكرية) كما تقدم، أما أعمدته فقد كانت من الخشب تتألف من قطعتين[١٤٦].

وقد تناول أحمد فكري[١٤٧] تخطيط المسجد فى عهد الخليفة المنصور أى عند تأسيسه فذكر أنه كان يشغل مربعاً طول كل ضلع من أضلاعه مائتى ذراع، أى ما يقرب من مائة متر، وقد قسم هذا المربع إلى صحن أوسط مكشوف يشغل مساحة

مستطيلة وأربع ظلات تحيط بالصحن من الجوانب الأربعة، وتعد ظلة القبلة أكبر هذه الظلات وأعمقها فهى تشغل ثلث مساحة المسجد كله، وتتكون من خمس بلاطات تفصلها خمس بائكات صفت فى كل منها ستة عشر عموداً من الخشب، وتمتد البائكات من الشرق إلى الغرب فى موازاة جدار القبلة كما هو الحال فى ظلة القبلة بالجامع الأموى بدمشق ٨٦ - ٩٦هـ/ ٧٠٥ - ٧١٥م الذى يعد من روائع العمارة الإسلامية فى العصر الأموى، وكانت ظلة القبلة تشرف على الصحن من خلال بائكة تتكون من ثلاثة عشر عقداً، وكانت تحيط بالصحن من الجوانب الأخرى ظلات، وتشتمل كل ظلة على بلاطتين، بحيث تشرف الظلة المقابلة لظلة القبلة على الصحن من خلال بائكة تتكون من ثلاثة عشر عقداً تمتد من الشرق إلى الغرب فى موازاة جدار القبلة وعلى غرار عقود ظلة القبلة، أما الظلتان الشرقية والغربية فتمتد عقودهما عمودية على اتجاه جدار القبلة، أى من الشمال إلى الجنوب وبالتحديد فهى عمودية على البائكة الخامسة التى تشرف من خلالها ظلة القبلة على الصحن، وتشرف كل ظلة على الصحن من خلال بائكة تتكون من عشرة عقود.

وقد وردت منارة أو مئذنة المسجد فى وصف الخطيب البغدادى، غير أنه لم يرد فى هذا الوصف ما يوضح تكوينها المعمارى وموقعها الذى كانت تشغله من عمارة المسجد، ويرجح طاهر العميد أنها كانت على مقربة من أساطين ظلة القبلة(١٤٨).

ظل المسجد مستخدماً للصلاة حتى بعد سقوط بغداد فى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ م، وتفصيل ذلك أن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٩م) قام بتجديده وإعادة بنائه فى سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م وفرغ من عمارته فى سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م، واستخدم فى تشييده الطابوق والجص، وقد تمت هذه العمارة على نفس مخطط المسجد الأول وبنفس الأبعاد، وسجلت هذه الأعمال المعمارية على لوحة كتابية تضمنت اسم الرشيد، واسم البناء، والنجار وتاريخ ذلك، وقد ظلت هذه الكتابات حتى منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، ويرجح طاهر العميد أن الخليفة هارون صنع منبراً للمسجد غير المنبر القديم اعتماداً على رواية الخطيب البغدادي(١٤٩).

ويذكر شريف يوسف[١٥٠] أن الخليفة المعتمد فى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م أضاف إلى الجامع ديوان المنصور المعروف بـ"دار القطان" لغرض توسيعه، ومن هذه الدار كان يدخل الخليفة المنصور إلى الجامع، وكان الباب الذى يدخل منه الخليفة يسمى (المشبك).

وقد ضاق المسجد بالمصلين فقام الخليفة العباسى المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩ هـ/ ٨٩٢ – ٩٠٢م) بزيادته فى سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م كما يذكر أحمد فكرى فأضاف إلى ظلة القبلة من جهة القبلة ظلة أخرى تعادل الظلة الأولى أو القديمة حجماً من خمس أو ست بلاطات تمتد فى موازاة جدار القبلة الجديدة، أى تمتد من الشرق إلى الغرب، وامتدت البلاطات التى تتكون من سبع عشرة بلاطة عمودية إليها فاجتازتها إلى جدار القبلة الجديد الذى تقدم ذكره، وجعل المعتضد بالله للمسجد صحنا ثانياً فى امتداد الصحن الأول أو العتيق، فى مؤخرة المسجد، ويضيف أحمد فكرى أنه وضع رسمان افتراضيان متعارضان لمسجد المعتضد بالله، الرسم الأول وضعه هرتز فلد، والرسم الثانى وضعه كريزويل، أما الرسم الذى نشره أحمد فكرى فيتفق مع رسم هرتز فلد فهو يستند إلى أنه كان من المتبع فى زيادات المساجد الجامعة أن يهدم جدار القبلة وتضاف بلاطات جديدة إلى ظلة القبلة الأولى من جهة القبلة[١٥١].

وفى هذا الصدد ذكر عيسى[١٥٢] سلمان حميد عند ذكره مسجد مدينة المنصور الجامع أيام الخليفة المعتضد أن المعتضد أمر فى عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م بتوسيعه بإضافة جزء من القصر إليه، وذكر طاهر[١٥٣] العميد أن المرحلة الثالثة من مراحل المسجد تبدأ بعد عودة العاصمة من سامراء إلى بغداد سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م فى عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ – ٨٩٢م)، وتعليقًا على ما تقدم فإن سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م تقع فى عهد الخليفة العباسى المعتمد على الله وليس فى عهد الخليفة المعتضد بالله كما ذكر عيسى سلمان حميد، وربما أن المسجد تعرض لزيادتين فى عهد الخليفة المعتمد إحداهما فى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، والأخرى فى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، وهى

السنة التى توفى فيها، ثم اكتملت هذه الزيادة الأخيرة فى عهد الخليفة المعتضد بالله فى سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م.

وتناول طاهر العميد آراء كل من هرتز فلد وكريزويل وانتهى إلى تقييم يراه صحيحاً وملائماً للنصوص التاريخية(١٥٤).

يمكن عرضه فى النقاط التالية:

- إضافة دار القطان بالقصر إلى المسجد ونقد كريزويل فى عدم ذكره هذه الإضافة.

- زيادة ا . على عهد المعتضد الذى اقتطع من القصر مساحة مقاربة لمساحة المسجد الأول أو نحوها، وضمت إلى المسجد وعرفت بالصحن الأول، بينما عرف صحن مسجد المنصور بالصحن العتيق، وفتحت بين جدار الصحن العتيق والصحن الأول سبعة عشر طاقا، ثلاثه عشر منها إلى الصحن، وأربعة منها إلى الأروقة (الظلات) على أساس طاقتين لكل رواق (ظلة)، ثم حول المنبر والمحراب والمقصورة إلى قبلة المسجد الجديد المضاف من القصر.

- لم تبلغ الزيادة التى تمت فى عهد المعتضد بالله إلى وسط قصر باب الذهب، أى إلى موضع القبة الخضراء، بدليل وجود القبة بعد هذا التاريخ حتى سقطت فى سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، مما يدل على أن الزيادة لم تكن مساوية لضلع المسجد الأول وإنما مقاربة له.

وقد أشار الرحالة بنيامين التطيلى اليهودى إلى هذا المسجد فى سنة ٥٦٦هـ/ ١١٦٠م، ثم ا وصفه فى رحلة ابن جبير، ثم تأثر المسجد من فيضان عام ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م، وفيضان عام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، وعلى ما يبدو فإنه سلم فى أثناء حصار المغول لبغداد فى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، فقد وصفه لنا الرحالة ابن بطوطة عندما زار بغداد فى سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، ويشير كريزويل إلى ذكر بدرو تايكسيرا Pedro Teixeira للمسجد فى سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م، ويبدو أن المسجد

خرب تماماً واندثر عقب إستيلاء الفرس على بغداد فى سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣ - ١٦٢٤م، وهناك اعتقاد بأن محراب مسجد المنصور هو الذى عثر عليه فى جامع الخاصكى فى بغداد، ونقل منه إلى المتحف العراقى، وهو يتكون من قطعة واحدة من المرمر المنحوت[١٥٥].

اندثار مدينة بغداد

لم تعمر مدينة بغداد طويلاً أو تتوسع بالطريقة التى توسعت فيها البصرة والكوفة وواسط، وذلك لعوامل عدة أدت إلى عدم نموها وازدهارها، فالمكان المخصص لسكنى الناس كان محدوداً للغاية، ولم تمض فترة طويلة على اكتمالها حتى أمر الخليفة المنصور بإخراج التجار منها إلى ربض الكرخ، كما أن الأحداث السياسية أثرت عليها تأثيراً بالغاً خاصة تلك الصراعات بين الأخوين الأمين والمأمون عندما حاصرها جيش المأمون وقت إقامة الأمين فيها، كذلك الإقبال على السكنى فى الرصافة والكرخ، وازدهار الحركة التجارية فيهما، وكان لقرار الخليفة المعتصم بالله إنشاء مدينة سامراء فى سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٥م لتكون عاصمة وحاضرة بدلاً من بغداد أكبر الأثر فى تأثر المدينة المدورة، ومما زاد أيضاً فى سرعة اندثارها الفيضانات التى تعرضت لها من دجلة والفرات، وكان لطبيعة المواد الإنشائية التى استخدمت فى البناء وتقدم ذكرها سواء اللبن أو الطين أكبر الأثر فى سرعة تخربها، وقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى عدم بقاء المدينة فاندثرت المدينة واختفت معالمها تدريجياً، وهى اليوم يمكن القول أنها كانت فى البقعة المحصورة بين محلة الكرخ جنوباً وبلدة الكاظمية شمالاً، ونهر دجلة شرقاً ومجرى نهر الداودى غرباً[١٥٦].

ومن الأعمال المعمارية التى تنسب إلى الخليفة المنصور عمارة القناطر، وقد أورد ياقوت الحموى أن "القنطرة عربية فيما أحسب لأنها جاءت فى الشعر القديم.. قال اللغويون: هى أزج يبنى بآجر أو حجارة على الماء يعبر عليه.. القنطرة الجديدة: هى اليوم فى غاية العتق وقد جددت عدة نوب إلا أنها بهذا تعرف على الصراة على مرور الأيام، وعلى الصراة اليوم قنطرتان: سفلى يدخل منها إلى باب البصرة وأخرى فوق ذلك فى الخراب وهى هذه المعروفة بالجديدة، وأول من بناها المنصور وكانت تلى دور الصحابة وطاق الحرانى"(١٥٧).

والصراة ذكره ياقوت الحموى بقوله "بالفتح، قال الفراء: يقال هو الصرى والصرى للماء يطول استنقاعه.. وهما نهران ببغداد: الصراة الكبرى والصراة الصغرى، ولا أعرف أنا إلا واحدة وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحول.. ويسقى ضياع بادوريا ويتفرغ منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد فيمر بقنطرة العباس ثم قنطرة الصبيبات ثم قنطرة رحا البطريق ثم القنطرة العتيقة ثم القنطرة الجديدة ويصب فى دجلة، ولم يبق عليه الآن إلا القنطرة العتيقة والجديدة.. وأما أهل الأثر فيقولون: الصراة العظمى حفرها بنوساسان.."(١٥٨).

وقنطرة الصراة العتيقة هى التى ذكرها ابن الأثير فى أحداث سنة "خمس وأربعين ومائة" وهى قنطرة شيدها الخليفة المنصور، فقد أورد "ثم إن المنصور أمر ببناء قنطرة الصراة العتيقة"(١٥٩).

خلع المنصور عيسى بن موسى من ولاية العهد

ومن الأحداث السياسية التى شهدتها سنة "سبع وأربعين ومائة" أن الخليفة المنصور خلع عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى، فقد أورد الطبرى "وفى هذه السنة خلع المنصور عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى، وجعله ولى عهد من بعده. وقال بعضهم : ثم من بعده عيسى بن موسى"(١٦٠).

وقد تقدم ذكر عيسى بن موسى عند ذكر الخليفة العباسى السفاح (١٣٢-١٣٦ هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م)، فقد أورد الطبرى كما تقدم "وبعث (أبو العباس السفاح) ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة، وهو يومئذ بواسط محاصر ابن هبيرة"، كما تقدم أيضًا عند ذكر وفاة السفاح على لسان الطبرى "وكان الذى أخذ البيعة بالعراق لأبى جعفر بعد موت العباس عيسى بن موسى"، وكان الخليفة السفاح قد عهد بالخلافة من بعده إلى أخيه أبى جعفر، ثم إلى عيسى بن موسى بن محمد بن على، وقد ارتبط اسم عيسى بن موسى عند معظم علماء الآثار بعمارة قصر الأخيضر.

الفراغ من عمارة مدينة بغداد

١٤٩هـ/ ٧٦٦م

أورد الطبرى فى أحداث سنة "تسع وأربعين ومائة" الفراغ من عمارة مدينة بغداد كما تقدم بما نصه "وفى هذه السنة استتم المنصور بناء سور مدينة بغداد، وفرغ من خندقها وجميع أمورها"(١٦١).

وقد ذكر طاهر العميد كما تقدم أن سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢م تمثل التاريخ الأقرب إلى الواقع فيما يتعلق بتأسيس مدينة بغداد كما أن سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م تعد التاريخ الأقرب إلى الواقع فيما يتعلق بتاريخ الفراغ من عمارة مدينة بغداد، وهو الأمر الذى تقدم ذكره عند ياقوت الحموى فى معجم البلدان بما نصه "كان أول من مصرها وجعلها مدينة المنصور.. وشرع فى عمارتها سنة ١٤٥ ونزلها سنة ١٤٩".

مدينة عسكر المهدى أو الرصافة

١٥١ – ١٥٩هـ/ ٧٦٨ – ٧٧٥م

أراد الخليفة المنصور أن تكون بغداد مركزاً مدنياً وإدارياً للعالم الإسلامى لذلك أمر أن تكون ثكنات الجيش الذى كان يقوده المهدى فى الجانب الشرقى من دجلة فى مكان مقابل لمدينة السلام، وأطلق عليه اسم عسكر المهدى أو الرصافة، فقد أورد البلاذرى عند ذكره أمر مدينة السلام "وبنى المنصور للمهدى الرصافة فى الجانب الشرقى ببغداد، وكان هذا الجانب يدعى عسكر المهدى لأنه عسكر فيه حين خرج إلى الرى، فلما قدم من الرى وقد بدا للمنصور فى إنفاذه إلى خراسان للاقامة بها نزل الرصافة وذلك فى سنة إحدى وخمسين ومائة وقد كان المنصور أمر فبنى للمهدى قبل إنزاله الجانب الشرقى قصره الذى يعرف بقصر الوضاح وبقصر المهدى وبالشرقية، وهو مما يلى باب الكرخ، والوضاح رجل من أهل الأنبار كان تولى النفقة عليه فنسب إليه"(١٦٢).

مما تقدم يتضح أن الرصافة أو عسكر المهدى كانت تقع فى الجانب الشرقى لبغداد، وهو الجانب الذى عرف بعسكر المهدى، وكان الخليفة المنصور قد سمح لابنه المهدى أن ينتقل إليها بجنده ويبنى له فيها قصراً، فبدأ فى البناء سنة ١٤٣هـ/ ٧٦٠م وسمى "قصر الرصافة"، وكان البدء فى تأسيسها فى سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م، أى بعد الفراغ من عمارة بغداد بسنتين، وكان هذا الموضع معسكراً للجيش العباسى، خاصة بعد عودته من الرى، وقد ذكرها اليعقوبى بقوله "والجانب

الشرقى من بغداد نزله المهدى بن المنصور، وهو ولى عهد أبيه. وابتدأ بناءه فى سنة ثلاث وأربعين ومائة، فاختط المهدى قصره بالرصافة إلى جانب المسجد الجامع، الذى فى الرصافة. وحفر نهراً يأخذ من النهروان، سماه نهر المهدى، يجرى فى الجانب الشرقى، وأقطع المنصور أخوته وقواده، بعدما أقطع من بالجانب الغربى، وهو جانب مدينته، وقسمت القطائع فى هذا الجانب، وهو يعرف بعسكر المهدى، كما قسمت فى جانب المدينة، وتنافس الناس فى النزول على المهدى، لمحبتهم له، ولا تساعه عليهم بالأموال والعطايا، ولأنه كان أوسع الجانبين أرضاً، لأن الناس سبقوا إلى الجانب الغربى، وهو جزيرة بين دجلة والفرات، فبنوا فيه، وصار فيه الأسواق والتجارات. فلما ابتدئ البناء فى الجانب الشرقى امتنع على من أراد سعة البناء"(١٦٣).

ويتفق الطبرى مع البلاذرى فى تاريخ البدء فى عمارة الرصافة أو عسكر المهدى وهو سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "إحدى وخمسين ومائة" ما نصه "وفى هذه السنة قدم على المنصور ابنه المهدى من خراسان.. وفى هذه السنة ابتدأ المنصور ببناء الرصافة فى الجانب الشرقى من مدينة السلام لابنه محمد المهدى"(١٦٤).

ويتناول الطبرى ذكر الخبر عن سبب البناء بها نصه" ذكر عن أحمد بن محمد الشروى، عن أبيه، أن المهدى لما قدم من خراسان أمره المنصور بالمقام بالجانب الشرقى، وبنى له الرصافة، وعمل لها سوراً وخندقاً وميداناً وبستاناً، وأجرى له الماء، فكان يجرى الماء من نهر المهدى إلى الرصافة"(١٦٥).

وفى رواية أخرى أورد الطبرى "وأما خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن خازم، فإنه ذكر أن محمد بن موسى بن محمد.. حدثه، أن أباه حدثه، أن الراوندية لما شغبوا على أبى جعفر وحاربوه على باب الذهب، دخل عليه قثم بن العباس.. وهو يومئذ شيخ كبير مقدم عند القوم – فقال له أبو جعفر: أما ترى ما نحن فيه.. قد خفت أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر من أيدينا، فما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين، عندى

فى هذا رأى إن أنا أظهرته لك فسد، وإن تركتنى أمضيته، صلحت لك خلافتك، وهابك جندك.. فقال له: فأمضه. قال: فانصرف قثم إلى منزله، فدعا غلاماً له فقال له: إذا كان غدًا فتقدمنى.. فقل لى: أى الحيين أشرف؟ اليمن أم مضر؟ فإذا أجبتك فخل عنان بغلتى وأنت حر. قال: فغدا الغلام، فجلس حيث أمره من دار الخليفة، فلما جاء الشيخ.. قال له: قل، فقال: أى الحيين أشرف؟ اليمن أم مضر؟... قال: فقال قثم: مضر كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها كتاب الله عز وجل، وفيها بيت الله، ومنها خليفة الله. قال: فامتعضت اليمن.. ثم قال لغلامه: قم بعنان بغلة الشيخ، فاكبحها كبحاً عنيفاً... ففعل الغلام ما أمره به مولاه.. فامتعضت من ذلك مضر، فقالت: أيفعل هذا بشيخنا! فأمر رجل منهم غلامه، فقال: اقطع يد العبد.. فنفر الحيان، وصرف قثم بغلته، فدخل على أبى جعفر، وافترق الجند، فصارت مضر فرقة، واليمن فرقة، والخراسانية فرقة، وربيعة فرقة، فقال قثم لأبى جعفر: قد فُرقت بين جندك، وجعلتهم أحزاباً.. وقد بقى عليك فى التدبير بقية، قال: ما هى؟ قال: اعبر با بنك فأنزله فى ذلك الجانب قصراً، وحوله وحول معك من جيشك معه قوماً فيصير ذلك بلداً، وهذا بلداً.. قال: فقبل أمره ورأيه، فاستوى له ملكه، وكان ذلك سبب البناء فى الجانب الشرقى وفى الرصافة وأقطاع القواد هناك. قال: وتولى صالح صاحب المصلى القطائع فى الجانب الشرقى، ففعل كفعل أبى العباس الطوسى فى فضول المصلى القطائع فى الجنب الغربى،... وفى هذه السنة جدد المنصور البيعة لنفسه ولابنه محمد المهدى من بعده، ولعيسى بن موسى من بعد المهدى"[١٦٦].

وقد أورد ياقوت الحموي عسكر المهدى بقوله "عسكر المهدى: وهو محمد بن المنصور أمير المؤمنين: وهى المحلة المعروفة اليوم ببغداد بالرصافة من محال الجانب الشرقى، وقد ذكرت، وقال ابن الفقيه: وبنى المنصور الرصافة فى الجانب الشرقى للمهدى، وكانت الرصافة تعرف بعسكر المهدى لأنه عسكر بها حين شخص إلى الرى، فلما قدم من الرى نزل الرصافة، وذلك فى سنة ١٥١.."[١٦٧].

وفى موضع آخر أورد رصافة بغداد بقوله "رصافة بغداد: بالجانب الشرقى، لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربى واستتم بناءها أمر ابنه المهدى أن يعسكر فى الجانب الشرقى وأن يبنى له فيه دوراً وجعلها معسكراً له فالتحق بها الناس وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور، وعمل المهدى بها جامعاً أكبر من جامع المنصور وأحسن. وخربت تلك النواحى كلها ولم يبق إلا الجامع وبلصقه مقابر الخلفاء لبنى العباس وعليهم وقوف وفراشون برسم الخدمة ولولا ذلك لخربت.. وكان فراغ المهدى من بناء الرصافة والجامع بها فى سنة ١٥٩، وهى السنة الثانية من خلافته"[١٦٨].

وقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "إحدى وخمسين ومائة" ذكر بناء الرصافة للمهدى بقوله "وفى هذه السنة قدم المهدى من خراسان فى شوال، فقدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة والبصرة وغيرها، فهنأوه بمقدمه، فأجازهم وحملهم وكساهم، وفعل بهم المنصور مثل ذلك، وبنى له الرصافة"[١٦٩].

مما تقدم يتضح أن بناء عسكر المهدى أو الرصافة ارتبط ارتباطاً وثيقاً ببناء مدينة بغداد، وربط الخليفة المنصور بين الرصافة والجانب الغربى لمدينة بغداد بجسر فوق دجلة، وكانت المدينة بمثابة ثكنات للجيش، وذلك فى الجانب الشرقى من دجلة المقابل لمدينة بغداد، وكان البدء فى العمارة سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م، وكان الفراغ من عمارتها فى سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م كما ذكر ياقوت الحموى وتقدم ذكره على الرغم من أن عيسى سلمان حميد[١٧٠] ذكر أن بناء مدينة الرصافة كمل فى سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠ م، واشتملت المدينة على خندق وسور، وكان الخندق يأخذ الماء من دجلة، كما اشتملت على ميدان وبستان، وأمر المهدى بعد أن بويع له بالخلافة (١٥٨ – ١٦٩ هـ/ ٧٧٥ – ٧٨٥م) ببناء قصره فى وسطها، وبناء المسجد الجامع فى سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م الذى وصف بأنه أكثر ضخامة وحسناً من جامع المنصور ببغداد كما أورد ياقوت الحموى، وكان الخليفة المنصور قد شيد قصراً آخر عرف بقصر الخلد خارج مدينة بغداد فى سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م على شاطئ دجلة قرب الجسر والذى يربط بغداد بالرصافة أو عسكر المهدى، وكان المهدى كما يذكر طاهر العميد[١٧١] قد أقام

أول الأمر فى قصر شيد له باللبن فى عيسا باذ ثم بنى له قصراً كبيراً من الآجر دعاه باسم قصر السلامة، وعيسا باذ ذكرها ياقوت الحموى بقوله ".. وذكرنا أن باذ فيه مما تستعمله الفرس، ومعنى باذ العمارة، فكأن معناه عمارة عيسى، ويسمون العامر أباذان: هذه محلة كانت بشرقى بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدى وأمه وأم الرشيد والهادى الخيزران هو أخوهما لأمهما وأبيهما وكانت إقطاعًا له، وبها مات موسى بن المهدى بن الهادى، وبنى بها المهدى قصره الذى سماه قصر السلام فبلغت النفقة عليه خمسين ألف ألف درهم"(١٧٢).

وقد أقطع المهدى رجاله وقادة جيشه الأراضى وبنوا قصورهم ودورهم وغير ذلك فيها وانتشر العمران فى هذا الجانب فى عهدى المهدى (١٥٨-١٦٩ هـ/ ٧٧٥ -٧٨٥م) والرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٩م)، وشيد بها البرامكة الفرس قصورهم منها قصر جعفر الذى دعى بالجعفرى ثم عرف بالمأمونى عندما أقام فيه الخليفة المأمون، حيث عرفت المنطقة الواقعة بجانب هذا القصر بالمأمونية، واشتهرت الرصافة بقصورها ومساجدها ودور العلم، ومن قصورها إضافة للجعفرى أو المأمونى التاج والفردوس ودار الشجرة، ومن أبواب سورها باب السلطان، وباب الظفرية، وباب الحلبة (الباب الوسطانى) الذى لا يزال قائماً إلى يومنا هذا وباب الطلسم الذى أمر بتشييده الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ/ ١١٨٠ - ١٢٢٥م)، وشيد السور فى القرن السادس الهجري/ الثانى عشر الميلادى، وامتد البناء والعمران إلى الكرخ الذى كان يرتبط بالرصافة بعدة جسور، وأطلق على الرصافة والكرخ اسم بغداد(١٧٣).

الخليفة المنصور وبناء مدينة طُبْنَة بإفريقية

تعد بلدة أو مدينة طبنة ذات أهمية كبيرة بإفريقية، فهى تقع فى طرف إفريقية على ضفة نهر الزاب، فتحها موسى بن نصير، وأمر بعمارتها الخليفة المنصور، فقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "إحدى وخمسين ومائة" عند ذكره ولاية أبى جعفر عمر بن حفص إفريقية "وفى هذه السنة استعمل المنصور على إفريقية أبا جعفر عمر بن حفص.. وكان سبب مسيره إليها أن المنصور لما بلغه قتل الأغلب بن سالم خاف على إفريقية، فوجه إليها عمر والياً، فقدم القيروان فى صفر سنة إحدى وخمسين ومائة.. وأقام والأمور مستقيمة ثلاث سنين. فسار إلى الزاب لبناء مدينة طبنة بأمر المنصور.."[١٧٤].

وطبنة ذكرها ياقوت الحموى بقوله" طبنة: بضم أوله ثم السكون، ونون مفتوحة، وهى فيها أحسب عجمية.. وطبنة: بلدة فى طرف إفريقية مما يلى المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير.. وسورها مبنى بالطوب، وبها قصر وأرباض.."[١٧٥].

الخليفة المنصور وبناء القصر بالكوفة

من الإشارات التاريخية المعمارية التى تتعلق بالعمارة المدنية (السكنية) فى العراق ما أورده الطبرى فى أحداث سنة "ثلاث وخمسين ومائة" من أن الخليفة المنصور شيد قصراً له بمدينة الكوفة، فقد أورد "فلما قدم المنصور البصرة فى هذه السنة.. وقيل إنه إنما قدمها القدمة الآخرة فى سنة خمس وخمسين ومائة، وكانت قدمته الأولى فى سنة خمس وأربعين ومائة، وأقام بها أربعين يوماً، وبنى بها قصراً ثم انصرف منها إلى مدينة السلام"(١٧٦).

لبس القلانس الطوال

كما أورد الطبرى فى أحداث هذه السنة "وفيها أخذ المنصور الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول، وكانوا - فيما ذكر - يحتالون لها بالقصب من داخل"[١٧٧].

والقلنسوة هى عبارة عن لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال وجمعها قلانس، ولبس القلانس من قبل الناس كان بأمر الخليفة المنصور فى سنة "ثلاث وخمسين ومائة" وقد وصفت على لسان الطبرى بما نصه "الطوال المفرطة الطول"، وهو الأمر الذى جعل الناس "يحتالون لها بالقصب من داخل".

مدينة الرافقة (الرقة) ١٥٥هـ/ ٧٧٢م

أنشأ المنصور مدينة الرافقة أو الرقة على نهر الفرات فى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م، وأقام فيها فصائل من جنده الخراسانيين، والرافقة مدينة ذكرها البلاذري(١٧٨) فى فتوح البلدان، وذكرها الطبرى فى أحداث سنة "أربع وخمسين ومائة" بقوله "وفى هذه السنة عزم المنصور - فيما ذكر - على بناء مدينة الرافقة، فذكر عن محمد بن جابر، عن أبيه أن أبا جعفر لما أراد بناءها، امتنع أهل الرقة، وأرادوا محاربته، وقالوا: تعطل علينا أسواقنا وتذهب بمعايشنا، وتضيق منازلنا، فهم بمحاربتهم"(١٧٩).

وفى ذلك أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "أربع وخمسين ومائة" ما نصه "وأراد المنصور بناء الرافقة فمنعه أهل الرقة، فهم لمحاربتهم"(١٨٠).

هذا فيما يتعلق بذكر الرافقة مدينة المنصور فى أحداث سنة ١٥٤هـ/ ٧٧١م، وما حدث بين المنصور وأهل الرقة، غير أن الطبرى أورد فى أحداث سنة "خمس وخمسين ومائة" ما نصه عن بناء المدينة "وفيها وجه المنصور ابنه المهدى لبناء مدينة الرافقة، فشخص إليها، فبناها على بناء مدينته ببغداد فى أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها وسور سورها وخندقها، ثم انصرف إلى مدينته"(١٨١).

وفى ذلك أورد ابن الأثير "وفيها سير المهدى لبناء الرافقة، فسار إليها، فبناها على بناء مدينة بغداذ"(١٨٢).

وقد هدف الخليفة المنصور من بناء الرافقة على نهر الفرات أن يقيم فيها فصائل من جنده من الخراسانيين بهدف حماية الجبهة السورية من غارات الروم(١٨٣).

والرافقة ذكرها ياقوت الحموى بقوله "الرافقة: الفاء قبل القاف، قال أحمد بن

الطيب: الرافقة بلد متصل البناء بـ ـقة وهما على ضفة الفرات.. قال: وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل، وهى على هيئة مدينة السلام، ولها ربض بينها وبين الرقة وبه أسواقها، وقد خرب بعض أسوار الرقة، قلت: هكذا كانت أولاً فأما الآن فإن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة وصار اسم المدينة الرقة، وهى من أعمال الجزيرة مدينة كبيرة كثيرة الخير، قال أحمد بن يحيى: لم يكن للرافقة أثر قديم إنما بناها المنصور فى سنة ١٥٥ على بناء مدينة بغداد، ورتب بها جنداً من أهل خراسان، وجرى ذلك على يد المهدى وهو ولى عهده، ثم إن الرشيد بنى قصورها، وكان فيما بين الرقة والرافقة فضاء وأرض مزارع"(١٨٤).

وقد جعل سور الرافقة أو الرقة بشكل حدوة الفرس، ويقع المسجد الجامع فى منتصف القسم الشمالى منها، أى أنها مستديرة باللبن من ثلاث جهات هى الشمالية والشرقية والغربية، أما الجهة الرابعة وهى الجنوبية فقد جاءت مستقيمة، ويبلغ طولها من الشرق إلى الغرب حوالى ١٥٠٠م، ونفس المسافة من الشمال إلى الجنوب، ولا تزال بعض أسوارها الداخلية فى كل من الشمال والغرب والقسم الشرقى من السور الجنوبى فى حالة جيدة، فى حين أن السور الشرقى يبدو فى حالة سيئة، وهى مشيدة على الصخر مباشرة بسمك ٥.٨٥م، بارتفاع يبلغ ١٠م، ويشتمل السور الداخلى على أبراج مستديرة تبعد عن بعضها البعض نحو ٣٠م، أما الأسوار الخارجية فكانت أقل ارتفاعاً وسمكاً من الأسوار الداخلية، وتخلو هذه الأسوار من الأبراج، ويفصل بينها وبين الأسوار الداخلية فصيل عرضه ٢٠.٨٠م، ويتقدمها خندق يبلغ عرضه ١٥.٩٠م(١٨٥).

وأغلب الظن أن المدينة كانت تشتمل على أربعة أبواب على غرار مدينة بغداد، وتوجد بقايا من باب عرف باسم بغداد، يوجد فى الركن الجنوبى الشرقى، وتعددت الآراء بشأن تاريخ هذا الباب فقال هرتز فلد بنسبته إلى الخليفة الرشيد الذى اعتاد الإقامة فى الرقة وبالتحديد فى سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٢م، وذكر كريزويل أنه يرجع إلى عهد الخليفة المنصور فى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م أى إلى تاريخ الفراغ من عمارة المدينة، ويرجعه وارن إلى عصر ازدهار الرقة فى القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادى عشر للميلاد(١٨٦).

مسجد الرافقة أو الرقة

١٥٥هـ/٧٧٢م

شيده الخليفة العباسى المنصور فى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م فى الاتجاه الشمالى الشرقى من المدينة، وهو العام الذى شيد فيه مدينة الرافقة أو الرقة، وقد اندثرت المدينة كما اندثر المسجد، إلا أنه تخلفت منهما آثار لها أهمية كبرى بالنسبة لوحدات وعناصر العمارة والزخرفة الإسلامية(١٨٧).

وقد كشفت هذه الآثار عن أن المسجد كان يشغل مساحة مستطيلة تمتد رأسياً من الشمال إلى الجنوب مقاساتها داخل الجدران ١٠٨.١٠م طولاً، و٩٢.٩٠م عرضاً، قسمت إلى صحن أوسط مكشوف على هيئة شبه مربعة، حيث يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٦٨م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٦٣م، وقد وجد به ضريح تعلوه قبة ومنارة ترجع إلى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، وتحيط بالصحن أربع ظلات أكبرها وأعمقها ظلة القبلة التى تمتد بعمق يبلغ ٣٢م، وتتكون من ثلاث بلاطات تتميز باتساعها، حيث يبلغ عرض كل منها عشرة أمتار تقريباً، وتمتد البلاطات والبائكات من الشرق إلى الغرب فى موازاة جدار القبلة، يفصلها بائكتان تشتمل كل منهما على أربع عشرة دعامة يعلوها خمسة عشر عقداً، وكان يغطى سقف ظلة القبلة ثلاثة جمالونات تمتد بامتداد البلاطات والبائكات، ولم يتبق من ظلة القبلة سوى البائكة المطلة على الصحن والتى تتكون من أحد عشر عقداً من الآجر بارتفاع يبلغ ١٣م، ويرجح أنها من أعمال السلطان نور الدين محمود زنكى فى سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م كما يتضح من النص المسجل على أحد عقودها(١٨٨).

أما بقية الأروقة فقد جاءت من بلاطتين، حيث يتضح من آثار دعامات فى أركان الصحن أنه كانت تحيط به ثلاث ظلات، ويشتمل المسجد على تسعة مداخل وزعت بشكل متناسق بواقع ثلاثة فى الجوانب الشمالية والشرقية والغربية، وجاءت المداخل فى الجدارين الشرقى والغربى على محور واحد، وتدعم جدران المسجد التى شيدت باللبن بسمك ١.٧٠م أبراج نصف دائرية فى الجدران، وشبه دائرية فى الأركان يبلغ عددها ٢٠ برجاً وزعت بشكل متناغم، حيث وزعت بواقع أربعة أبراج نصف دائرية فى كل جدار، كما اشتمل المسجد على برج بهيئة شبه دائرية فى كل ركن من أركان المسجد.

ويذكر أحمد فكرى أنه يبدو أن بلاطة المحراب فى ظلة القبلة كانت أكثر سعة من البلاطتين الثانية والثالثة، إذ أنه كانت تقوم خارج الجدارين الشرقى والغربى من ظلة القبلة دعامتان متقابلتان كما يرى فى المسقط الأفقى، ولابد أن صف الأعمدة الذى يتوسط البلاطتين الثانية والثالثة كان يقع فى امتدادهما، إذ ليس من المنطق المعمارى أن ينحرف صف الأعمدة عن سمت هاتين الدعامتين، كما يظهر على الرسم الذى افترضه هرتز فلد، وعلى الرسم المطابق له الذى نشره كريزويل، وقد افترض هرتز فلد أن هذه البلاطات كانت تنقسم إلى خمس عشرة بلاطة عمودية، أى أنه كان فى بيت الصلاة صفان من الأعمدة بكل صف منها أربعة عشر عموداً، ويؤيد هذا الافتراض مقاسات المسافات الفاصلة بين آثار الأعمدة، ولم يتحقق هرتز فلد من موضع المحراب ورسمه(١٨٩).

وفى اعتقادى أن موضع المحراب كان يقع على محور المدخل الأوسط بالجدار الشمالى، أى أنه كان يتوسط الجدار الجنوبى على محور البلاطة الثانية العمودية، وبالتالى يكون المعمار قد وفق فى توزيع أبراج جدار القبلة على جانبيه.

عمائر دفاعية بالكوفة والبصرة

١٥٥هـ/ ٧٧٢م

ومن الأعمال المعمارية التى أوردها الطبرى فى هذه السنة العمارة الدفاعية أو العسكرية والتى تمثلت فى بناء سور وخندق بالكوفة والبصرة من قبل أبى جعفر المنصور، فقد أورد الطبرى "وفيها – فيما ذكر محمد بن عمر – خندق أبو جعفر على الكوفة والبصرة، وضرب عليهما سوراً، وجعل ما أنفق على سور ذلك وخندقه من أموال أهله. وعزل فيها المنصور عبد الملك بن أيوب بن ظبيان عن البصرة، واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكى، وضم إليه سعيد بن دعلج، وأمره ببناء سور لها يطيف بها، وخندق عليها من دون السور من أموال أهلها، ففعل ذلك"(١٩٠).

وفى ذلك أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "خمس وخمسين ومائة" ما نصه "وفيها سير المهدى لبناء الرافقة.. وعمل للكوفة والبصرة سوراً وخندقاً، وجعل ما أنفق فيه من الأموال على أهلها"(١٩١).

قصر الخُلد ١٥٧هـ/ ٧٧٤م

شيد المنصور قصر الخلد على شاطئ دجلة فوق مصب نهر الصراة بقليل، بين باب خراسان والجسر فى باب الشعير، وأتم عمارته فى سنة واحدة وعرف بذلك تشبيهًا له بجنة الخلد، وتفاؤلاً بخلود ملكه وبقاء الخلافة فى بنيه، وقصر الخلد ذكره الطبرى فى أحداث سنة "سبع وخمسين ومائة" فقال "فمما كان فيها من ذلك ابتناء المنصور قصره الذى على شاطئ دجلة، الذى يدعى الخلد، وقسم بناءه على مولاه الربيع وأبان بن صدقة"[١٩٢].

وفى ذلك أورد ابن الأثير فى نفس السنه "فى هذه السنة بنى المنصور قصره الذى يدعى الخلد"[١٩٣].

ويذكر طاهر العميد أن الخليفة المنصور شيده فيما بين سنتى ١٥٧ – ١٥٨هـ/ ٧٧٣ – ٧٧٤م على شاطئ دجلة فوق مصب نهر الصراة بدجلة، وموقعه شمال الدير العتيق (دير مار فيثون) بقليل، وهو الدير الذى كان عند مصب الصراه بدجلة بين باب خراسان والجسر فى باب الشعير، والراجح كما يذكر طاهر العميد أن المنصور سماه بالخلد تشبهاً بجنة الخلد التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، وكان اختيار موقعه للتمتع بمنظر نهر دجلة والاستفادة من وفرة المياه لسقى الحدائق الواسعة للقصر، وقد توفى المنصور فى نفس السنة التى انتقل فيها إلى قصر الخلد، وقد شهد هذا القصر حفلة زواج الرشيد بزبيدة بنت جعفر فى سنة ١٦٥هـ/ ٧٨١ م، وكان الرشيد يفضل الإقامة به، ونزله الأمين فى أثناء خلافة والده ثم انتقل إلى قصر المنصور بعد خلافته، ونزله المأمون عندما استخلف[١٩٤].

وبعد أن تهدم بنى عضد الدولة البويهى على أطلاله البيمارستان العضدى سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م، وبنيت حوله منازل فصار محلة كبيرة عرفت بالخلد[١٩٥].

تحويل أسواق مدينة بغداد إلى باب الكَرْخ

أورد البلاذرى عند ذكره أمر مدينة السلام "وجعل مجمع الأسواق بالكرخ وأمر التجار فابتنوا الحوانيت وألزمهم الغلة"(١٩٦).

وقد أورد اليعقوبى عن الكرخ "والكرخ السوق العظمى مادة من قصر وضاح إلى سوق الثلثاء طولاً، بمقدار فرسخين، ومن قطيعة الربيع إلى دجلة عرضاً، مقدار فرسخ. فلكل تجار وتجارة شوارع معلومة، وصفوف فى تلك الشوارع، وحوانيت، وعراص، وليس يختلط قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع غير صنفه، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، وكل سوق مفردة، وكل أهل منفردون بتجاراتهم، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم.."(١٩٧).

وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "سبع وخمسين ومائة" ما نصه "وفيها حول المنصور الأسواق من مدينة السلام إلى باب الكرخ وغيره من المواضع"(١٩٨).

وفى ذلك أورد ابن الأثير فى هذه السنة "وفيها حول المنصور الأسواق إلى الكرخ وغيره"(١٩٩).

وكرخ بغداد ذكره ياقوت الحموى بقوله "كرخ بغداد: ولما ابتنى المنصور مدينة بغداد أمر أن تجعل الأسواق فى طاقات المدينة إزاء كل باب سوق، فلم يزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من بطارقة الروم رسولاً من عند الملك فأمر الربيع أن يطوف به فى المدينة حتى ينظر إليها ويتأملها ويرى سورها وأبوابها وما حولها من

العمارة ويصعده السور حتى يمشى من أوله إلى آخره ويريه قباب الأبواب والطاقات وجميع ذلك، ففعل الربيع ما أمره به، فلما رجع إلى المنصور قال له: كيف رأيت مدينتى؟ قال: رأيت بناء حسناً ومدينة حصينة إلا أن أعداءك فيها معك، قال: من هم؟ قال: السوقة، يوافى الجاسوس من جميع الأطراف فيدخل الجاسوس بعلة التجارة والتجار هم برد الآفاق فيتجسس الأخبار ويعرف ما يريد وينصرف من غير أن يعلم به أحد، فسكت المنصور، فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوقة من المدينة وتقدم إلى إبراهيم بن حبيش الكوفى وخراش بن المسيب اليمانى بذلك وأمرهما أن يبنيا ما بين الصراة ونهر عيسى سوقاً وأن يجعلاها صفوفاً ورتب كل صف فى موضعه وقال: اجعلا سوق القصابين فى آخر الأسواق.. ثم أمر أن يبنى لهم مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة ولا يدخلوا المدينة، قال الخطيب: وقلد المنصور ذلك رجلاً يقال له الوضاح.: فبنى القصر الذى يقال له قصر الوضاح والمسجد فيه، قال ولم يضع المنصور على الأسواق غلة حتى مات، فلما استخلف المهدى أشار عليه أبو عبد الله حتى وضع على الحوانيت الخراج.. فلما كثر الناس ضاقت عليهم فقالوا لإبراهيم بن حبيش وخراش: قد ضاقت علينا هذه الصفوف ونحن نتسع ونبنى لنا أسواقاً من أموالنا .. فأجيبوا .. وقد قيل: إن السبب فى نقلهم إلى الكرخ أن دخاخينهم ارتفعت وأسودت حيطان المدينة وتأذى بها المنصور فأمر بنقلهم.. والأشعار فى الكرخ كثيرة جداً، وكانت الكرخ أولاً فى وسط بغداد والمحال حولها، فأما الآن فهى محلة وحدها مفردة فى وسط الخراب وحولها محال إلا أنها غير مختلطة بها.."[٢٠٠].

نزول المنصور قصر الخلد

وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "ثمان وخمسين ومائة" ما نصه "وفى هذه السنة نزل المنصور قصره الذى يعرف بالخلد"[٢٠١].

وقد تقدم أن هذا القصر شيده الخليفة المنصور على شاطىء دجلة فوق مصب نهر الصراة بقليل، بين باب خراسان والجسر فى باب الشعير، وأتم عمارته فى سنة واحدة، وذلك فى سنة ١٥٧ هـ/ ٧٧٤م، وعرف بذلك تشبيها له بجنة الخلد، وتفاؤلاً بخلود ملكه وبقاء الخلافة فى بنيه، وقد توفى الخليفة المنصور فى نفس السنة التى انتقل فيها إلى هذا القصر، أى فى سنة ١٥٨ هـ/ ٧٧٤م، ومن الأحداث الهامة التى شهدها هذا القصر كما تقدم حفلة زواج الرشيد بزبيدة بنت جعفر فى سنة ١٦٥ هـ/ ٧٨١م، وكان الرشيد يفضله، ونزله الأمين والمأمون، وشيد على أطلاله البيمارستان العضدى سنة ٣٦٨ هـ/ ٩٧٨م.

مرمة القصر الأبيض

كما أورد الطبرى فيما يتعلق بترميم القصر الأبيض الذى يعد من قصور الحيرة "وفيها أمر المنصور بمرمة القصر الأبيض، الذى كان كسر بناه، وأمر أن يغرم كل من وجد فى داره شيء من الآجر الخسروانى، مما نقضه من بناء الأكاسرة، وقال: هذا فى المسلمين، فلم يتم ذلك ولا ما أمر به من مرمة القصر"[٢٠٢].

والقصر الأبيض ذكره ياقوت الحموى فقال "والقصر الأبيض: من قصور الحيرة، ذكر فى الفتوح أنه كان بالرقة وأظنه من أبنية الرشيد، وجد على جدار من جدرانه مكتوبًا: حضر عبد الله بن عبد الله ولأمر ما كتمت نفسى وعيبت بين الأسماء اسمى فى سنة ٣٠٥..."[٢٠٣].

والواقع أن أمر مرمة القصر الأبيض لم يتم فى عهد الخليفة المنصور وكذلك ما يتعلق بالآجر الخسروانى، وهو من قصور الحيرة، وربما رمم بعد المنصور.

قول المنصور للمهدى عن بغداد

"وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها"

وقد أورد الطبرى عند ذكره وفاة أبى جعفر المنصور وصفته "وكان ولد بالحميمة"[٢٠٤]. وأورد أيضًا "فمن ولده المهدى – واسمه محمد – وجعفر الأكبر، وأمهما أروى بنت منصور... وكانت تكنى أم موسى، وهلك جعفر هذا قبل المنصور. وسليمان وعيسى ويعقوب، وأمهم فاطمة بنت محمد، من ولد طلحة عبيد الله. وجعفر الأصغر، أمه أم ولد كردية، كان المنصور اشتراها فتسراها، وكان يقال لابنها: ابن الكردية. وصالح المسكين، أمه أم ولد رومية، يقال لها قالى الفراشة. والقاسم، مات قبل المنصور، وهو ابن عشر سنين، وأمه أم ولد تعرف بأم القاسم، ولها بباب الشأم بستان يعرف إلى اليوم ببستان أم القاسم. والعالية، أمها امرأة من بنى أمية، زوجها المنصور من إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس.. ذكر عن الهيثم بن عدى أن المنصور أوصى المهدى فى هذه السنة لما شخص متوجها إلى مكة فى شوال، وقد نزل قصر عبدويه، وأقام بهذا القصر أياماً والمهدى معه يوصيه[٢٠٥].

وأورد أيضاً عن بغداد ما نصه " وذكر عمر بن شبة.. لما حج المنصور فى السنة التى توفى فيها شيعه المهدى، فقال: يا بنى.. وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها.. ومات فدفن ببئر ميمون.. وفى هذه السنة [illegible] للمهدى بالخلافة، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بمكة، صبيحة الليلة التى توفى فيها أبو جعفر المنصور وذلك يوم السبت لست ليال خلون من ذى الحجة سنة ثمان

وخمسين .. وقال الواقدى: وبويع له ببغداد يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة. وأم المهدى أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد بن شمر الحميرى.. وحفر للمنصور مائة قبر، ودفن فى كلها، لئلا يعرف موضع قبره الذى هو ظاهر للناس، ودفن فى غيرها للخوف عليه. قال: وهكذا قبور خلفاء ولد العباس، لا يعرف لأحد منهم قبر.."(٢٠٦).

قصر عيسى

يقع هذا القصر عند مصب نهر الرُّفَيل فى دجلة بالجانب الغربى فى القطيعة المطلة على دجلة، ويعد من القصور التى شيدت فى عهد الخليفة المنصور، ذكره ياقوت الحموى فقال "قصر عيسى: هو منسوب إلى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس، وهو أول قصر بناه الهاشميون فى أيام المنصور ببغداد وكان على شاطئ نهر الرفيل عند مصبه فى دجلة، وهو اليوم فى وسط العمارة من الجانب الغربى وليس للقصر أثر الآن إنما هناك محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى.."(٢٠٧).

مما تقدم يتضح أن قصر عيسى بن على بن عبد الله بن عباس يعد أول قصر بناه العباسيون فى عهد الخليفة المنصور ببغداد، وكان يقع على شاطىء نهر الرفيل الذى يصب فى دجلة بغداد ومأخذه من نهر عيسى، وهو منسوب إلى الرفيل واسمه معاذر بن خشيش بن أبرويز بن خشين بن خسروان، وقد عرف بذلك فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقد أطلق اسم القصر على محلة كبيرة ذات سوق فى الجانب الغربى بعد اندثار القصر.

قصر أبى الخصيب

يعد قصر أبى الخصيب من القصور التى نسبت إلى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور، فقد ذكره ياقوت الحموى بما نصه "قصر أبى الخصيب: بظاهر الكوفة قريب من السدير.. وهو أحد المتنزهات يشرف على النجف.. وهو عجيب الصنعة، وأبو الخصيب بن ورقاء مولى المنصور أحد حجابه له ذكر فى رصافة المنصور أبى جعفر أمير المؤمنين"(٢٠٨).

يتبين لنا من نص ياقوت الحموى أن هذه المنشأة كانت من الروعة والجمال بحيث عدت من المتنزهات البديعة فى عهد الخليفة المنصور، وكان القصر يقع بظاهر مدينة الكوفة يشرف على النجف، غير أنه شأنه شأن العديد من القصور العباسية التى شيدت فى القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى لم تصل إلينا تفاصيله المعمارية والزخرفية سواء من حيث التخطيط أو الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية.

قصر القرار

يقع قصر القرار أسفل قصر الخلد، وبالقرب، من مصب نهر الصراة، وقد وصف من قبل بعض المؤرخين كما يذكر شريف يوسف فى شمال قصر الخلد وبالقرب من الجسر، نزله المنصور فى آخر أيامه وسمى بقصر زبيدة، ويبدو أنه لم يتسم بالضخامة فى أيام المنصور، وقد بنت به زبيدة أم جعفر على عهد ابنها محمد الأمين مجلساً لم تر العرب مثله من حيث تصاويره وتذهيبه، وأحرقه أصحاب طاهر بن الحسين سنة ١٩٧هـ/ ٩١٢م، ثم هجر وهدم وصار مكانه السجن الجديد(٢٠٩).

أحداث سياسية فى أيام المنصور وبيعة المهدى

وفى أيام المنصور حدثت أحداث خطيرة، من ذلك حرج مركز العباسيين بين الساخطين من العرب وعلى رأسهم عمه عبد الله بن على، والساخطين من الفرس وعلى رأسهم أبو مسلم الخراسانى، ولكن المنصور استطاع بحزمه ودهائه أن يأسر عمه ثم يقتله، وأن يقهر الفرس ويقتل أبا مسلم، كما استطاع أن يقهر العلويين ويقتل محمداً (النفس الزكية) بن عبد الله بن الحسن فى الحجاز، وأخاه إبراهيم فى العراق، ومن الأحداث التى وقعت فى عهده خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وأخذ البيعة للمهدى ابنه، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنه كان أعظم الخلفاء العباسيين شدة وبأساً ويقظة وحزماً وصلاحاً واهتماماً بمصالح الرعية وجداً فى بلاطه، وهو يعتبر بحق المؤسس الثانى للدولة العباسية، ولم يحضر عند وفاة المنصور إلا خدمه ومولاه الربيع بن يونس، فكتم الربيع خبر موته، وأخذ الربيع من الأكابر والمسنين من أهل البيت البيعة للمهدى بن المنصور، ولعيسى بن موسى من بعده، ثم دعا بالقواد فبايعوا، وخرج موسى بن المهدى إلى مجلس العامة فبايع من بقى من القواد والوجوه، ثم توجه العباس بن محمد ومحمد بن سليمان إلى مكة، فبايع كثير من أهل مكة والمدينة، ومن ثم بويع المهدى البيعة الخاصة بمكة، ثم بايعه ببغداد أفراد البيت العباسى وقواد الجيش وغيرهم من رجال الدولة البيعة العامة، وذلك فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ[٢١٠].

المهدي

(١٥٨ — ١٦٩هـ/ ٧٧٥ — ٧٨٥م)

ولد محمد بن عبد الله المنصور (المهدى) بالحميمة سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م، وأمه أروى بنت منصور بن عبد الله الحميرى، نشأ فى بيت الخلافة، وعنى أبوه الخليفة المنصور بتثقيفه فمال إلى العلم والأدب، وعكف على حفظ أيام العرب ومكارم الأخلاق، ودراسة الأخبار والأشعار، فنشأ فصيحًا يقول الشعر ويجيده، ويحفظ كثيراً منه ومن أمثال العرب، وكان المهدى فى العاشرة من عمره حين آلت الخلافة إلى أبيه المنصور، ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره أرسله المنصور على رأس جيش للقضاء على فتنة والى خراسان، واستعان به المنصور للقضاء على فتنة أستاذ سيس[٢١١] الذى ادعى النبوة بخراسان، ثم ولاه المنصور فى سنة ١٥٣هـ/ ٧٧٠م إمارة الحج، ولما تمت البيعة العامة خطب المهدى خطبة عبر فيها عن عظم المسؤولية التى ألقاها موت أبيه على عاتقه[٢١٢].

عمائر دينية ودفاعية بالرصافة

أورد الطبرى فى أحداث سنة "تسع وخمسين ومائة" فيما يتعلق، بمدينة الرصافة التى تقدم ذكرها "وفيها بنى المهدى مسجد الرصافة. وفيها بنى حائطها، وحفر خندقها"(٢١٣)، وفى ذلك أورد ابن الأثير "وفيها بنى المهدى سور الرصافة ومسجدها، وحفر خندقها"(٢١٤).

ومدينة الرصافة أو عسكر المهدى كما تقدم شيدها الخليفة المنصور خلال الفترة من ١٥١هـ/ ٧٦٨م إلى سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م أى أن عمارتها استمرت بعد وفاته فى عهد المهدى، وذلك لتكون ثكنات الجيش الذى كان يقوده المهدى فى الجانب الشرقى من دجلة فى مكان مقابل لمدينة السلام، فقد شيد بها المهدى كما يتضح من النص عمارة دينية تمثلت فى مسجدها الجامع، كما بنى بها المهدى عمارة دفاعية أو عسكرية تمثلت فى سورها وخندقها، لذا كان الفراغ من عمارتها فى سنة ١٥٩ هـ/ ٧٧٥م.

استحكامات دفاعية بمدينة سمرقند

يحدثنا ابن الأثير عن بناء استحكامات دفاعية بسمرقند بقوله فى أحداث سنة "تسع وخمسين ومائة" "وفيها ولى حمزة بن يحيى سجستان[٢١٥]، وجبرائيل بن يحيى سمرقند، فبنى سورها، وحفر خندقها"[٢١٦].

وعلى الرغم من أن الطبرى أورد فى أحداث هذه السنة ما نصه "وفيها ولى حمزة بن مالك سجستان، وولى جبرئيل بن يحيى سمرقند"[٢١٧]، إلا أنه لم يشر إلى بناء الاستحكامات الدفاعية التى ذكرها ابن الأثير.

حريق ببغداد عند قصر عيسى بن على

ومن الأحداث التى مرت بمدينة بغداد فى هذه السنة ١٥٩ هـ/ ٧٧٥م ما أورده الطبرى ونصه "وفيها وقع الحريق فى ذى الحجة فى السفن ببغداد عند قصر عيسى بن على، فاحترق ناس كثير، واحترقت السفن بما فيها"(٢١٨).

وقد تقدم ذكر قصر عيسى بن على الذى ورد فى نص الطبرى عند ذكر قصر عيسى، وهو قصر عيسى بن على بن عبد الله بن عباس الذى يعد أول قصر بناه العباسيون فى عهد الخليفة المنصور ببغداد، وكان يقع على شاطىء نهر الرفيل الذى يصب فى دجلة بغداد، وقد اندثر هذا القصر غير أنه أطلق اسمه على محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى.

كسوة الكعبة وعمارة المسجد النبوى ومآثر أخرى

ذكر الطبرى فى أحداث سنة "ستين ومائة" "وحج بالناس فى هذه السنة المهدى.. وشخص مع المهدى فى هذه السنة ابنه هارون.. وفيها نزع المهدى كسوة الكعبة التى كانت عليها، وكساها كسوة جديدة، وذلك أن حجبة الكعبة – فيما ذكر – رفعوا إليه أنهم يخافون على الكعبة أن تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة، فأمر أن يكشف عنها ما عليها من الكسوة حتى بقيت مجردة، ثم طلى البيت كله بالخلوق، وذكر أنهم لما بلغوا إلى كسوة هشام وجدوها ديباجاً ثخيناً جيداً، ووجدوا كسوة من كان قبله عامتها من متاع اليمن. وقسم المهدى فى هذه السنة بمكة فى أهلها – فيما ذكر – مالا عظيماً، وفى أهل المدينة كذلك.. وفرق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب، ووسع فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بنزع المقصورة التى فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فنزعت، وأراد أن ينقص منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيده إلى ما كان عليه، ويلقى منه ما كان معاوية زاد فيه، فذكر عن مالك بن أنس أنه شاور فى ذلك، فقيل له: إن المسامير قد سلكت فى الخشب الذى أحدثه معاوية، وفى الخشب الأول وهو عتيق، فلا نأمن إن خرجت المسامير التى فيه وزعزعت أن يتكسر، فتركه المهدى. وأمر أيام مقامه بالمدينة بإثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرساً له بالعراق وأنصاراً، وأجرى عليهم أرزاقا سوى أعطياتهم، وأقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة تعرف بهم. وتزوج فى مقامه بها برقية بنت عمرو العثمانية. وفى هذه السنة حمل محمد بن سليمان الثلج للمهدى، حتى وافى به مكة، فكان المهدى أول من حمل له الثلج إلى مكة من الخلفاء[٢١٩].

خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادى

وشهدت هذه السنة ١٦٠ هـ/ ٧٧٨م خلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادى، قال ابن الأثير "كان جماعة من بنى هاشم وشيعة المهدى قد خاضوا فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، والبيعة لموسى الهادى بن المهدي"[٢٢٠].

وقد كان عيسى بن موسى بن محمد بن على كما تقدم هو الذى أخذ البيعة بالعراق لأبى جعفر المنصور بعد وفاة الخليفة السفاح، وكان الخليفة السفاح قد عهد إليه بالخلافة بعد المنصور، غير أن الخليفة المنصور كما تقدم خلع عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى، وقيل ثم من بعد المهدى عيسى بن موسى، وقد ارتبط اسم عيسى بن موسى عند معظم علماء الآثار الإسلامية بعمارة قصر الأخيضر الذى يؤرخ ببداية النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى، وهو الأمر الذى سوف نتناوله فى موضعه من الكتاب.

زيادة الخليفة المهدى فى المسجد النبوي

فيما يتعلق بزيادة الخليفة العباسى المهدى فى المسجد النبوى، تلك الزيادة التى أوردها الطبرى يرى أحمد فكرى نقلاً عن السمهودى "نقل ابن زبالة ويحيى أن المسجد لم يزل على حال ما زاد فيه الوليد، إلى أن هم أبو جعفر المنصور بالزيادة فيه، ثم توفى، ولم يزد فيه، حتى زاد فيه المهدى"، وعهد ببناء هذه الزيادة إلى عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز، وعبد الملك بن شبيب الغسانى، ومات ابن عاصم، فولى المهدى مكانه عبد الله بن موسى الحمصى، وكان ذلك فى سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٨ م، وتمت أعمال البناء بعد سنتين، أو بعد خمس سنوات، وقيل كانت زيادة المسجد من ناحية الشام، قدر مائة ذراع، ويعلق أحمد فكرى أن صحتها خمساً وستين ذراعاً، "ولم يزد فى القبلة ولا فى المشرق والمغرب شيئاً"، وقدرت هذه الزيادة بما يعادل ست أساطين، واستقرت حدود المسجد الشمالية على هذا الحد منذ ذلك التاريخ، وقيل إن المهدى زخرف مؤخر المسجد بالفسيفساء، وكانت مازالت آثار هذه الزخرفة باقية فى عهد السمهودي[٢٢١].

ويضيف أحمد فكرى أن حدود المسجد النبوى ونظمه قد استقرت على حالها فى عهد المهدى إلى أن احترق[٢٢٢] فى سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، وكان ابن جبير قد زاره قبل ذلك فى سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، وترك وصفاً دقيقاً له، وهو فى واقع الأمر كما يذكر أحمد فكرى وصف لحالة المسجد ونظامه فى عهد الخليفة المهدى، أى فى سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٣م، فقد أورد ابن جبير عند ذكره مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر روضته المقدسة "المسجد المبارك مستطيل، وتحفه من جهاته الأربع

بلاطات مستديرة به، ووسطه كله صحن مفروش بالرمل والحصى، فالجهة القبلية منها لها خمس بلاطات مستطيلة من غرب إلى شرق، والجهة الجوفية لها أيضاً خمس بلاطات على الصفة المذكورة، والجهة الشرقية لها ثلاث بلاطات، والجهة الغربية لها أربع بلاطات. والروضة المقدسة مع آخر الجهة القبلية مما يلى الشرق.. فجميع سعة الروضة المكرمة.. وهى مؤزرة بالرخام البديع النحت الرائع النعت. وينتهى الإزار منها إلى نحو الثلث أو أقل يسيراً، وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر.. والذى يعلوه من الجدار شبابيك عود متصلة بالسمك الأعلى، لأن أعلى الروضة المباركة متصل بسمك المسجد، وإلى حيز إزارالرخام تنتهى الأستار، وهى لازوردية اللون، مختمة بخواتيم بيض مثمنة ومربعة. وفى داخل الخواتيم دوائر مستديرة ونقط بيض تحف بها، فمنظرها منظر بديع الشكل. وفى أعلاها رسم مائل إلى البياض. وفى الصفحة القبلية أمام وجه النبى، صلى الله عليه وسلم، مسمار فضة، هو أمام الوجه الكريم فيقف الناس أمامه للسلام. وإلى قدميه، صلى الله عليه وسلم، رأس أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، ورأس عمر الفاروق مما يلى كتفى أبى بكر الصديق، رضى الله عنهما فيقف المسلم مستدبر القبلة ومستقبل الوجه الكريم، فيسلم ثم ينصرف يميناً إلى وجه أبى بكر، ثم إلى وجه عمر رضى الله عنهما. وأمام هذه الصفحة المكرمة نحو العشرين قنديلاً معلقة من الفضة، وفيها اثنان من ذهب. وفى جوفى الروضة المقدسة حوض صغير مرخم، فى قبلته شكل محراب، قيل: إنه كان بيت فاطمة، رضى الله عنها، ويقال: هو قبرها، والله اعلم بحقيقة ذلك. وعن يمين الروضة المكرمة المنبر الكريم.. وهو مرخم كله.. والمنبر مغشى بعود الآبنوس، ومقعد الرسول صلى الله عليه وسلم، من أعلاه ظاهر.. وعدد سواريه مئتان وتسعون، وهى أعمدة متصلة بالسمك دون قسى تنعطف عليها، فكأنها دعائم قوائم، وهى من حجر منحوت قطعاً قطعاً ململمة مثقبة توضع أنثى فى ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب إلى أن تتصل عموداً قائماً، وتكسى بغلالة جيار، ويبالغ فى صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض. والبلاط المتصل بالقبلة من الخمسة بلاطات المذكورة تحف به مقصورة تكتنفه طولاً من غرب إلى شرق، والمحراب

فيها.. وبإزاء المقصورة إلى جهة الشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد المبارك. ويليهما فى البلاط الثانى لجهة الشرق أيضاً دفة مطبقة على وجه الأرض مقفلة هى على سرداب يهبط إليه على أدراج تحت الأرض يفضى إلى خارج المسجد إلى دار أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، وهو كان طريق عائشة إليها.. ولا شك أن ذلك الموضع هو موضع الخوخة المفضية لدار أبى بكر التى أمر النبى، صلى الله عليه وسلم، بإبقائها خاصة. وأمام الروضة المقدسة أيضاً صندوق كبير هو للشمع والأنوار التى توقد أمام الروضة كل ليلة. وفى الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود هو موضع مبيت بعض السدنة الحارسين للمسجد المبارك.. والمؤذن الراتب فيه أحد أولاد بلال، رضى الله عنه. وفى جهة جوف الصحن قبة كبيرة محدثة جديدة تعرف بقبة الزيت هى مخزن لجميع آلات المسجد المبارك وما يحتاج إليه فيه. وبإزائها فى الصحن خمسة عشر نخلة .. ونصف جدار القبلة الأسفل رخام، موضوع إزاراً على إزار، مختلف الصنعة واللون، مجزع أبدع تجزيع. والنصف الأعلى من الجدار منزل كله بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء، قد أنتج الصناع فيه نتائج من الصنعة غريبة تضمنت تصاوير أشجار مختلفات الصفات مائلة الأغصان بثمرها. والمسجد كله على تلك الصفة، لكن الصنعة فى جدار القبلة أحفل. والجدار الناظر إلى الصحن من جهة القبلة كذلك، ومن جهة الجوف أيضاً. والغربى والشرقى الناظران إلى الصحن مجردان أبيضان ومقرنصان قد زينا برسم يتضمن أنواعاً من الأصبغة، إلى ما يطول وصفه وذكره من الاحتفال فى هذا المسجد المبارك المحتوى على التربة الطاهرة المقدسة.. وللمسجد المبارك تسعة عشر باباً، لم يبق منها مفتحاً سوى أربعة فى الغرب: منها اثنان، يعرف أحدهما بباب الرحمة، والثانى بباب الخشية، وفى الشرق اثنان: يعرف أحدهما بباب جبريل، عليه السلام، والثانى بباب الرجاء. ويقابل باب جبريل، عليه السلام، دار عثمان، رضى الله عنه، وهى التى استشهد بها. ويقابل الروضة المكرمة، من هذه الجهة الشرقية، روضة جمال الدين الموصلى، رحمه الله.. وأمام الروضة المكرمة شباك حديد مفتوح إلى روضته.. وفى القبلة باب صغير واحد مغلق، وفى

الجوف أربعة مغلقة، وفى الغرب خمسة مغلقة أيضاً، وفى الشرق خمسة أيضاً مغلقة، فكملت بالأربعة المفتوحة تسعة عشر باباً. وللمسجد المبارك ثلاث صوامع: إحداها فى الركن الشرقى المتصل بالقبلة، والاثنتان فى ركنى الجهة الجوفية صغيرتان كأنهما على هيئة برجين، والصومعة الأولى المذكورة على هيئة الصوامع"[٢٢٣].

عمارة القصور والمصانع

وفى أحداث سنة "إحدى وستين ومائة أورد الطبرى" وفيها أمر المهدى ببناء القصور فى طريق مكة أوسع من القصور التى كان أبو العباس بناها من القادسية إلى زبالة، وأمر بالزيادة فى قصور أبى العباس، وترك منازل أبى جعفر التى كان بناها على حالها، وأمر باتخاذ المصانع فى كل منهل، وبتجديد الأميال والبرك، وحفر الركايا مع المصانع، وولى ذلك يقطين بن موسى، فلم يزل ذلك إليه إلى سنة إحدى وسبعين ومائة، وكان خليفة يقطين فى ذلك أخوه أبو موسى"(٢٢٤).

عمارة المسجد الجامع بالبصرة

أورد الطبرى "وفيها أمر المهدى بالزيادة فى مسجد الجامع بالبصرة، فزيد فيه من مقدمه مما يلى القبلة، وعن يمينه مما يلى رحبة بنى سليم، وولى بناء ذلك محمد بن سليمان وهو يومئذ والى البصرة"[٢٢٥].

وقد ذكر أحمد فكرى المسجد الجامع بالبصرة التى تعد أول مدينة أحدثت فى الإسلام، وأضاف أن المسجد زيد فيه بعد العصر الأموى مرتين، مرة فى عهد الخليفة المهدى (١٥٨-١٦٩ هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) وذلك فى سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٩م، ومرة فى عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)، وأدخلت فى عهدهما الدور المحيطة بالمسجد ودار الأمارة[٢٢٦].

نزع المقاصير وتقصير المنابر

أورد الطبرى "وفيها أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الجماعات وتقصير المنابر وتصييرها إلى المقدار الذى عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب بذلك إلى الآفاق فعمل به"(٢٢٧).

قصر الأخيضر حوالى ١٦١هـ/ ٧٧٨م

الموقع

يقع قصر الأخيضر فى منطقة تتسم بأهمية تاريخية، إذ تلتقى عندها العديد من طرق القوافل التجارية القديمة، منها الطريق الذى يبدأ بالكوفة إلى الشام ماراً بالأخيضر، وتنتظم فى هذا الطريق عدة مراكز منها موجدة وعطشان إلى الجنوب من الأخيضر وقلعة شمعون وبردويل إلى الشمال، كما أنه يعتبر نقطة التقاء العديد من الطرق التى تربط العراق بالبحر الأبيض المتوسط وبالخليج العربى والبحر العربى، ويقع إلى الجنوب الغربى من كربلاء بنحو ٥٠كم، وحوالى ١٥٢كم جنوبى غربى بغداد، وهو على مقربة من وادى الأبيض، حيث يمتد فى البادية إلى مسافات بعيدة، وتتجمع فيه مياه الأمطار، وتأخذ طريقها إلى هورابى دبس[٢٢٨].

وهو الآن على الطريق الذى يربط كربلاء ببلدة عين التمر[٢٢٩]، وقد كشفت التحريات الأثرية والمسوحات الطبوغرافية التى أجريت كما يذكر عيسى سلمان بالمنطقة عن عدة مواقع من عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية والإسلامية، فقد ظهر بعد دراسة بعض الصور الجوية لقصر الأخيضر وما يحيط به من كثبان تمتد بين القصر ووادى الأبيض ظهر أن هذه الكثبان تؤلف مدينة كاملة تنتشر مساكنها فى شمال القصر وشرقيه وأجزاء أخرى من غربيه، فالنصف الشمالى منها يقع على مسافة كيلو مترين من بوابة القصر الشمالية، وقد قامت بعثة ألمانية سنة ١٩٧٣ – ١٩٧٤م بالكشف عن مجموعة من دور السكن وعثرت على مسجد وبقايا محراب، وظهر أن تلك البيوت كانت مشيدة باللبن، والبعض الآخر مشيداً بالآجر،

وكشفت التنقيبات الأثرية عن مجموعة من زخارف الجص والفخار والزجاج وأغلبها يرجع إلى العصر الأموي، وكشفت عن بيوت للسكن أمام القصر بمسافة ٣٠م، ويظهر أن تغييراً قد حدث فى طبيعة هذه المنطقة أدى إلى إهمال سكناها[٢٣٠].

المنشئ وتاريخ الإنشاء

اختلفت الآراء حول تاريخ بناء قصر الأخيضر، فهناك من يرى أن عمارة القصر تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، ونذكر منهم على سبيل المثال المستشرق ماسينون (Massignon) الذى أرخه بالعصر الساسانى، وأنه (قصر السدير) المشهور، وأيده فى ذلك ديولافوا (DieulaFoy)، ويرى الباحث العراقى محمود شكرى الألوسى أن اسم الأخيضر معروف، وهو محرف من (الأكيدر) أحد أمراء قبيلة كندة الذى أسلم فى صدر الإسلام، وهناك من يرى أنه شيد فى العصر الإسلامى، غير أنه اختلف فى الفترة الزمنية التى يعود إليها القصر، فقد رأت مس بل (Bell) التى تعد أول من فطن إلى وجود المسجد فى القصر وذلك فى سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٩م أنه (دومة الحيرة) التى شيدت فى زمن الأمويين، ورأى هرتزفلد (Hertz Feld) أنه يرجع إلى عهد بناء مدينة سامراء، وأرخ موسيل القصر بسنه ٢٧٧هـ/ ٨٩٠ – ٨٩١م، حيث رأى فيه نقطة تجمع القرامطة من سواد الكوفة، فنسبه إلى إسماعيل بن يوسف الأخيضر الذى نسبه أبو طاهر سليمان والياً على الكوفة سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٦م، بعد أن قام القرامطة العرب الشرقيون بقيادة أبى طاهر المذكور بالإستيلاء على المدينة، وجعل القرامطة حصن الأخيضر قاعدة لهم فى الشمال، وهكذا اقترن لقب الرجل الأول بالحصن وصار معلقاً بذاكرة أهل الواحات المجاورة له، ورأى كريزول (Creswell) أن تاريخ إنشاء القصر يرجع إلى حدود الفترة من ١٠٢ – ١٦٤هـ وذهب إلى أنه من بناء عيسى بن موسى بن عبد الله العباسى الذى كان والياً على الكوفة فى عهد عمه المنصور الخليفة العباسى، وكان السفاح الخليفة العباسى قد أوصى أن تكون الخلافة لعيسى بن موسى بعد أبى جعفر المنصور، غير أن المنصور خلع عيسى بن موسى كما تقدم فى أحداث سنة "سبع وأربعين ومائة" وبايع لابنه المهدى، وجعل عيسى بن موسى ولى عهد

المهدى، وقام الخليفة المهدى فى أحداث سنة "ستين ومائة" بخلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادى كما تقدم، وعند ذلك ذهب عيسى بن موسى إلى البادية، حيث شيد من وجهة نظر كريزويل قصر الأخيضر بالمال الذى أخذه من المنصور والمهدى لقاء تنازله عن ولاية العهد، وإضافة المهدى هنا من المؤلف، ويعلق نافع محمد يحيى الراوى كما يذكر شريف يوسف على رأى كريزويل فى نسبة القصر إلى عيسى بن موسى بقوله أن نسبة بناء القصر إلى عيسى بن موسى وانفراده بعزلة كاملة بعيداً عن الكوفة يتناقض مع واقع القصر، فالقصر بتكوينه المعمارى سواء من حيث التخطيط أو الوحدات والعناصر المعمارية يدل على أنه بنى للمقاتلة لا للعزلة والتعبد، وعلى هذا الأساس فإن كان لابد لتحقيق كريزويل لرأيه من أن عيسى بن موسى هو أقوى من وقع عليه الاختيار لبناء هذا الحصن، فأعتقد أن عيسى بن موسى بناه فى أثناء فترة ولايته على الكوفة التى استمرت ثلاث عشرة سنة عندما كان تابعاً للخلافة بأمر من الخليفة، وبمال من الدولة ليجعله حصناً يحمى الكوفة والأنبار وبالتالى بغداد من مهاجمة الخارجين على الحكم، إذ لابد هناك ظروفاً حربية تستدعى بناء مثل هذا الحصن المعزز بالأسوار والأبراج وبجميع الوسائل الحربية(٢٣١).

ويرى عيسى سلمان أن قيمة وأهمية هذا البناء تزداد عاماً بعد عام، فقد كان وما يزال موضوعاً لأكثر من دراسة وبحث علمى وكتاب لإلقاء الضوء على مكامن الروعة والإتقان فيه، والكشف عن الجديد فى هندسته وتصميمه وعناصره المعمارية والزخرفية، فهو بحق من أهم وأكمل الآثار العربية الإسلامية ليس فى العراق فحسب بل فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، إذا ما أخذت الفترة الزمنية التى ينسب إليها بعين الاعتبار، والواقع أنه لا يساور الشك فى الوقت الحاضر أياً من المتخصصين فى أن هذا البناء قد شيد فى العصر الإسلامى فى ضوء مسجده الأصيل وبعض عناصره المعمارية غير المعروفة قبل الإسلام، وصيغة هندسته وعمارته، ولم تذكر المصادر التاريخية هذا البناء، ولم تكشف التحريات والتنقيبات الأثرية التى أجريت فيه عن كتابات أو لقى تشير وبدقة إلى فترة تشييده، ويغلب على الظن أن

بعده عن المدن الرئيسية، وعدم وقوعه على أحد الطرق المهمة التى كانت تربط بين مدن العالم العربى الإسلامى وتلك التى تقود إلى مكة والمدينة، هما من العوامل التى أدت إلى عدم الإشارة إليه وذكر أخباره، ويرجح عيسى سلمان أنه شيد فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى أو بعبارة أخرى بين تاريخ بناء مدينة السلام (بغداد) وسر من رأى (سامراء)، وهذا الاحتمال قائم على طبيعة تصميمه وهندسته وعناصره المعمارية والهندسية خاصة إذا ما قورن مع دار إمارة الكوفة فى شكلها بعد التوسيع الذى أصابها فى العصر العباسى الأول[٢٣٢].

ويرجح حسن الباشا أنه شيد على يد الأمير العباسى عيسى بن موسى بن عبد الله فى حوالى سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م دون الاستناد إلى أدلة تاريخية أو نصوص تأسيسية يرد فيها هذا التاريخ[٢٣٣].

وظيفة القصر

يذكر عيسى سلمان أنه من الأمور التى لم يتفق المتخصصون حولها، هو نوع الوظيفة التى كان يؤديها هذا البناء، فهناك من يعتقد أنه حصن عسكرى يشكل خط دفاع وحماية ضد من يحاول أن يتقدم من الغرب أو الجنوب الغربى تجاه مدينة السلام، ويعتقد آخرون أنه قصر صيد ونزهة للاستمتاع بجمال المنطقة أيام الربيع، ويقول فريق ثالث أنه إحدى قلاع من انشق وتمرد على السلطة المركزية فى مدينة بغداد أو السلام، وهناك من يربطه بعدد من القصور أو الأبنية التى تقع غربى الفرات، وتوصل ما بين البصرة والشام، أى أنه محطة للقوافل التجارية التى كانت تسير على هذا الخط، وإذا ما عرفنا أن الأخيضر يقوم وسط بلدة صغيرة، كما تبين التصاوير الجوية وما كشفت عنه التحريات التى أجريت على مقربة منه، ووجود قصر آخر يقابله تقريباً ويقع إلى يسار وادى الأبيض، ويرجع إلى العصر الأموى وأن سعة الأخيضر ومخططه ووسائل دفاعه لا تختلف كثيراً عن تخطيط وعمارة دار إمارة الكوفة كما تقدم فى العصر العباسى الأول، فيظهر لنا أن الأخيضر ما هو إلا دار إمارة لوالى عباسى كان يمثل الخليفة فى حكم تلك المنطقة[٢٣٤].

وصف القصر

يحيط بالقصر وسوره الداخلى كما يذكر كل من طاهر العميد[٢٣٥] وشريف يوسف[٢٣٦] سور خارجى شيد باللبن يبلغ طول جداره الشمالى ٦١٠م، وهذا الجدار شيد بشكل مائل بحيث يكون بعده عن الزاوية الشمالية الشرقية للقصر ٤٦.٩٠م، وبعده عن الزاوية الشمالية الغربية ١١٢م، ثم يصبح متعامداً مع الضلع الغربى من السور الخارجى، أما الجدار الجنوبى فيبلغ طوله ٦٣٥م، ويبلغ طول الجدار الشرقى ٣١١م، والغربى ٥٤٠م، ويدعم هذا السور أبراج نصف وشبه دائرية، وسوره الداخلى المشيد بالحجر الجيرى غير المنتظم على شكل مستطيل طول ضلعه من الشمال إلى الجنوب ١٧٥.٨٠م، وعرضه من الشرق إلى الغرب ١٦٣.٦٠ م، ويشغل القصر جزءا كبيراً من هذه الأرض، وهو مستطيل الشكل، جداره من الشمال إلى الجنوب يبلغ ١١٢م، ومن الشرق إلى الغرب ٨٠م، وتتجه جدران السور نحو الجهات الأربع تماماً، وتفصيل ذلك أن السور الخارجى قد وصل إلينا فى حالة جيدة، يبلغ ارتفاعه الحالى بحدود ١٧م، وكان بحدود ٢١م، بسمك ٤.٥م إلى ارتفاع ١٠.٥م، أى إلى مستوى أرضية المجاز العلوى، إذ أن السور ينقسم إلى جدارين أحدهما خارجى، والآخر داخلى يطل على فناء القصر، يفصل بينهما مجاز بعرض ٢م، يغطيه قبو نصف برميلى، ويدور هذا المجاز أو الدهليز على السور كله، ولم يصل إلينا من هذا القبو غير جزء صغير بالقرب من الباب الشمالى، ويضاء هذا الجزء من خلال فتحات تمتد على الجدار الداخلى بارتفاع ١.٨٠م، ويتصل الدهليز أو المجاز بحجرة تقع فوق كل برج من الأبراج، وتدعم السور أبراج نصف دائرية تقوم على قواعد مستطيلة، أما أبراج الأركان فهى شبه دائرية، أو أبراج زاوية، أو على هيئة ثلاثة أرباع الدائرة، وترتكز على قواعد مربعة، وترتفع الأبراج بارتفاع السور، وهى على هيئة غرف نصف دائرية، وشبه دائرية فى القسم العلوى من السور، ويبلغ قطر هذه الأبراج ٣.٣٠م، أما أبراج الأركان فقطرها ٥.١٠م، ويبلغ عدد أبراج السور ثمانية وأربعون برجاً موزعة بالتساوى على الجدران، وتبلغ المسافة

بين كل برجين ٧م، وقد أوجد المعمار بين كل برجين حنيتين، وقياسات كل حنية ١٤٠×٥٠سم تقريباً، وفيها مزاغل شاقولية (عمودية) لرمى السهام، وتتوج الحنايا عقود نصف دائرية ترتكز على دعامات مستطيلة ملتصقة بالجدار، وترتفع بارتفاع القسم المصمت من السور، وهى ذات وظيفة دفاعية، وتغطى وجوه الجدران من الداخل حنايا بنفس العرض والارتفاع إلا أن وظيفتها غير دفاعية، كما فى الحنايا الخارجية، ويخترق السور أربعة مداخل تتوسط جدرانه الأربعة، ويتشابه تصميم المداخل الشرقية والغربية والجنوبية، أما المدخل الشمالى فيختلف عنها، حيث أوجد المعمار برجين مستطيلين على جانبيه، بواقع برج فى كل جانب، أما فى بقية المداخل فإن تصميم الأبراج على جانبيها جاء على هيئة نصف دائرية، ويمر الداخل إلى القصر من أى من هذه المداخل بفتحة باب مستطيلة، يتوجها عقد مدبب، تؤدى إلى بهو مستطيل ذى فتحات خاصة على يمين بدايته ويسارها، وهى مكان الباب المنزلق الذى يغلق على المدخل، ويؤدى البهو بدوره إلى باب آخر يطل على داخل القصر ويشبه الباب الخارجى، وعلى جانبى هذا الباب يوجد بابان لسلم يؤدى إلى القسم العلوى المقبى من السور وإلى غرفتين فوق بهو المدخل بشكل طابقين، والسلمان كما يذكر عيسى سلمان[٢٣٧] بهيئة ملتوية، ويتميزان بتصميم خاص، حيث يبرزان عن البناء الذى يخترقانه بهيئة مكعب مستطيل يرتفع بارتفاع السور، والفتحتان اللتان تدخلان الإضاءة والتهوية إلى بهو المدخل فى الطابقين الأول والثانى كبيرتان نسبياً، وتخترق سقف بهو المدخل الأرضى خمس فتحات متوازية مستطيلة صغيرة نسبياً، عبارة عن مزاغل أفقية، ويشكل السلمان الملتويان أيضاً جزء من القوى الدفاعية للمداخل وهما يفضيان إلى دهليز السور.

يتوسط المدخل الشمالى القصر، ويشتمل على واجهة بارزة بعرض ١٦م، وبروز ٥م عن مستوى وجه السور بأبراجه، فهو بهيئة مستطيل يتوسطه الباب الخارجى للمدخل بحيث يتألف من برجين مستطيلين يحفان بالباب الخارجى وفتحتين معقودتين إحداهما تعلو الأخرى، ويتضح من تصميم هذا المدخل أن تعديلاً أجرى

عليه، حيث كان فى الأصل يشبه المداخل الثلاثة الأخرى، حيث غطى جزء من هذا المستطيل إحدى الحنيتين اللتين تفصلان بين كل برجين، وظهرت الاستطالة بوضع غير متناغم مع الأبراج والجدار الذى تدعمه(٢٣٨).

يؤدى هذا المدخل إلى بهو مستطيل ٥.٨٠×٣م، ويوجد فراغ خلف الباب يؤشر مكان جانبى الباب المنزلق الذى يغلق على هذا المدخل، ويتكرر ذلك مرتين أخريين فى وسط البهو أو الدهليز وقبل باب نهاية الدهليز، مما يدل على وجود ثلاثة أبواب منزلقة، وشغل سقف الدهليز المقبى بسبعة أقبية متتالية من خلال سبعة مزاغل أفقية تستخدم من قبل الجنود المقيمين بالغرفة الكائنة فوق هذا الدهليز، وينتهى هذا الدهليز بعقد يفضى إلى دهليز كبير مستعرض يفصل جدار السور الشمالى عن القصر ويتقاطع معه ليؤدى إلى مدخل البهو الكبير الذى يتوسط القسم الشمالى من القصر، وتقوم قبة نصف كروية تزدان من الداخل بزخارف هندسية ناتجة من التباين فى صف الطابوق على مربع تقاطع المدخل مع الدهليز، ويمكن الصعود إلى السور من خلال سلمين يقعان فى بداية البهو الكبير أحدهما بشكل انسيابى، والآخر الأيمن بهيئة درج عادى، ولا يقتصر الصعود إلى دهليز السور على السلالم بالمداخل، بل هناك أربعة سلالم أخرى تقوم فى أركان السور من الداخل، وهى حلزونية تؤدى إلى الأبراج المستديرة والدهليز، وبالدهليز تحصينات دفاعية أخرى، حيث أوجد المعمار به من الداخل عدة نوافذ، وتوجد طاقات أخرى محدودة أقل ارتفاعاً من بقية النوافذ، أما من الخارج فجدران الدهليز والأبراج مفتوحة بمزاغل عددها ثلاثة فى كل برج نصف دائرى وخمسة فى كل برج شبه دائرى، عدا أربعة أبراج من الجدار الشمالى فهى خالية من المزاغل، وأربعة بين كل برجين، وجميع هذه المزاغل شاقولية (عمودية – رأسية)، وهناك مزاغل أخرى أفقية تنفذ من أرضية المجاز، وتخترق خلفيات الحنايا، وتكون وسيلة لصب السوائل والمحرقات على الذين ينجحون فى الوصول إلى قاعدة السور، وهى تشبه مزاغل دهاليز المداخل، والمزاغل هنا والأبواب المنزلقة، وسمك السور وصلابته، وارتفاعه وكثرة السلالم التى تؤدى إلى القسم العلوى منه، وسقف دهليزه نصف الأسطوانى، والنوافذ التى

تشرف على داخل القصر والغرف فوق الأبواب التى تتصل بالدهليز وغرف الأبراج المستديرة كلها وسائل دفاعية[٢٣٩].

وتتوج السور من الخارج حنايا على هيئة محاريب تتوجها عقود نصف دائرية ترتكز على أعمدة أسطوانية مندمجة، يحيط هذا السور الضخم بالقصر، ويتصل به من الجهة الشمالية فقط، ويشكل فناءً يحيط بالقصر من الجهات الثلاث الأخرى، وجدار القصر مدعم بأبراج نصف دائرية عددها (٢١ برجًا) إضافة إلى برجى الركن الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى، أما الجدار الشمالى فخال من الأبراج، وذلك لأنه الجدار الجنوبى للدهليز الكبير الذى يفصل بين القصر والسور.

يكشف تخطيط القصر أنه يتألف من قسمين أحدهما جنوبى، والآخر شمالى، وهما معاً يتكونا من سبع وحدات تختلف فى وظائفها، ويضم القسم الجنوبى الجزء المركزى الذى خصص للأمور السياسية والإدارية، وهناك أربع وحدات سكنية تحيط بالجزء المركزى من الشرق والغرب ويقع الجزء الخاص بالخدمات والمكون من المطبخ والحمامات ودور الخدم بالقسم الجنوبى من القصر، وجميع هذه الأجزاء بطابق واحد، أما القسم الشمالى فيضم المسجد والبهو الرئيسى ومرافقه، وهو من ثلاثة طوابق ما عدا المسجد فإنه يتألف من طابق واحد على غرار أجزاء القسم الجنوبى، ويبدو أن هذه الأجزاء كانت للحراس والموظفين، أما مادة بناء القصر فكانت من الحجر والجص، وهناك أجزاء منه شيدت بالطابوق والجص، وهو مشيد بقوة السور، وارتفاع جدرانه حوالى ٦ م[٢٤٠].

يتميز الدهليز المستعرض الفاصل بين جدار السور الشمالى والقصر بأنه أكثر اتساعاً من دهليز المدخل، ويتوصل إلى هذا الدهليز من باب المدخل الشمالى الذى يطل على هذا الدهليز، ويتقاطع معه ليؤدى إلى مركز القسم الشمالى من القصر، وقد سقف التقاطع بقبة نصف كروية، وهى أقدم قبة فى العمارة العربية الإسلامية، ويغطى الدهليز قبو أسطوانى يفتح من الجهة الشرقية على الفناء الشرقى الذى يفصل بين القصر والسور، ويفتح عن طريق بوابة إلى الفناء الغربى، ومنه يمكن

الدخول إلى صحن المسجد والدار التى كانت تشغل القسم الشرقى من القصر يؤدى الدهليز المستعرض إلى دهليز آخر مستطيل يؤدى بدوره إلى البهو الذى يتوسط القسم الشمالى، وهو أكبر وحدة فى القصر، يتميز هذا الدهليز الأخير بسمكه، ويغطيه قبو نصف برميلى معقود بالطابوق، ويشتمل على سلمين جانبيين أحدهما منحدر، يؤديان إلى الطابق العلوى، جاء تخطيطه مستطيل الشكل يتوسط القسم الشمالى من عمارة القصر، أبعاده ١٥.٥×٩م، تحيط به من الجهة الشرقية دهليز وثلاث قاعات مستطيلة، أما فى الجهة الغربية فهناك ثلاث قاعات مستطيلة ودهليز يؤدى إلى الجامع، ويفتح من الجهة الجنوبية بمدخل إلى المجاز الذى يفصل ما بين القسم الشمالى من القصر وبقية الأقسام، والجزء الغربى من القسم الشمالى يشغله المسجد، أما القسم الشرقى فتشغله دار كبيرة نسبياً من ثلاثة طوابق مثل القسم الأوسط فى القصر، تتكون من فناء مستطيل تطل عليه غرف من الناحيتين الشرقية والجنوبية، ويتقدم الغرف من الناحية الغربية رواق يغطيه سقف برميلى، وترتكز عقوده. التى على هيئة نصف برميلية على دعامات أسطوانية ذات قواعد وتيجان مربعة، ويتكرر نفس التكوين فى الطابق التالى والذى بعده، ومعظم غرف هذه الدار وتلك التى تقع فوق البهو الكبير وعلى جانبيه خالية من الزخارف ما عدا تلك الزخارف التى تزين بواطن أقبية المسجد المحفورة فى الجص، وتلك التى تزين أجزاء من البهو والمكونة من التفنن فى صف الطابوق.

يتألف القسم المركزى فى القصر من فناء يشغل نصف مساحة هذا القسم، وهو مستطيل الشكل، أبعاده ٣٣×٢٧م شغلت جدرانه الداخلية بحنايا مرتفعة ذات عقود مدببة ترتكز على دعامات مندمجة بالجدران وتزين الفراغات ما بين العقود وحدة هندسية على هيئة معينات ناتجة من التفنن فى صف الطابوق، ويرتفع جدارها بارتفاع القسم الشمالى من القصر أى بحدود ٢٠م، ويتوسط جداره الجنوبى بهو مفتوح على الصحن يسمى بهو الشرف، يطل على الفناء بعقد مدبب يرتكز على عمودين شبه أسطوانيين بقواعد وتيجان مربعة، والبهو مستطيل الشكل أبعاده ١٠.٧٥×٦م، يفتح على خمس غرف: اثنتان مستطيلتان على يمينه، ومثلهما على

يساره، والأخيرة مربعة خلفه، وتفتح هذه الغرفة المربعة من جوانبها الثلاثة فتطل من جهة الجنوب على رواق من ثلاثة عقود نصف دائرية تقوم على دعامات أسطوانية، ويطل الرواق على فناء مستطيل محاط بغرفتين من الجهتين الشرقية والغربية، ويتوسط هذا الفناء مدخل على خط محور الغرفة المربعة، والبهو الكبير فى القسم الشمالى والمدخل الشمالى، ويؤدى من جهة الجنوب إلى الدهليز المستطيل الذى يحيط بالقسم المركزى، أما من جهة الشرق فتفتح الغرفة المربعة على غرفة مستطيلة، وكذلك من الغرب، وجميع غرف هذا القسم من أقبية نصف برميلية من الداخل، وأسقف مستوية من الخارج، فيما عدا سطح بهو الشرف والقاعة المربعة التى تليه فهو من قبو نصف برميلى، ويستدل من تصميم هذا القسم وموقعه من القصر أنه كان لأعمال الوالى، ويحيط بهذا القسم دهليز مقبى يفصله عن باقى أقسام القصر، وبعض غرف هذا القسم مكسوة بالجص وتزدان بزخارف جصية، وخاصة كل من الغرفتين الجانبيتين اللتين تقعان على جانبى البهو، وهى عبارة عن وحدات هندسية محفورة بعمق وحنايا أو طاقات تتوجها عقود مفصصة، أما الدهليز المقبى الذى يفصل هذا القسم عن بقية أقسام القصر فيتميز من خلال تقاطع عقود أقبية مسقوفة عند الأركان الأربعة.

وتشغل الجناح الغربى من القصر داران للسكن جاء تصميمهما وفقاً للطراز الحيرى، تمتدان من خلف المسجد إلى القسم الجنوبى الغربى من الجدار الجنوبى، وهاتان الداران متناظرتان مع دارين مثلهما تماماً تشغلان الجناح الشرقى من القصر، تتألف الدار التى تشغل الركن الشمالى الغربى من فناء مربع تفتح عليه غرفتان يتوسطهما إيوان، ويتقدم الجميع رواق مقبى (سقيفة مقبية) تقوم عقوده على أعمدة أسطوانية من كل من الجهتين الشمالية والجنوبية، أما الدار الثانية فتشغل نفس مساحة الدار الأولى وبنفس التصميم، إلا أنها لا تتضمن أروقة (سقائف) تتقدم الغرف فيها، وهناك باب إضافى كما يذكر عيسى سلمان فى الدار التى تشغل الركن الجنوبى الشرقى تنفذ إلى فناء الدار من الجدار الشرقى للقصر باتجاه المدخل الرئيسى الذى يخترق ويتوسط جدار السور الشرقى. والقسم الأخير فى القصر هو الجناح

الذى يقع بين الدارين فى الركنين الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى، ويكمل استطالة القصر، وهو بعرض القسم المركزى، ويتألف من مجموعة غرف تطل على فناء، ويعتقد أن هذا القسم كان مخصصاً للخدم والخدمات التى تقدم للوالى، ويشغل جزءً من هذا القسم حمام مربع الشكل يفتح عليه الدهليز الرئيسى، والواقع أنه تم الكشف عن الحمام، وقد بنيت جدرانه بالطابوق والنورة، طولها من الشمال إلى الجنوب ٩.٩٠م وعرضها من الشرق إلى الغرب ٩.٣٠م، ويتكون من أربع غرف الأولى ٦.٢٠×٣.٢٠م فى الجهة الشرقية من الحمام، وفيها دكة على هيئة حرف L عرضها ٧٥سم وارتفاعها ٧٠سم، والثانية مستطيلة الشكل أبعادها ٣.٧٥× ٢.٧٥م وفيها دكة مربعة الشكل عرضها ٧٠سم وارتفاعها ٣٠سم، والثالثة مستطيلة أبعادها ٣×٢.٥٠م وفيها حوض يستقبل الماء الحار من الحوض الساخن، والرابعة أبعادها ٣.٢٥×٢.٨٠م فى الجهة الشرقية منها حوض كبير مستطيل الشكل استعمل لتسخين الماء بواسطة موقد (مشعل) تحته، ومساحة الحوض ٢.٧٥ ×١.٣٥م، وارتفاعه ١م(٢٤١).

وفى القصر إضافة تشغل حيزاً من الفناء الشرقى وتمتد من الشرق إلى الغرب فتتصل بجدار السور من جهة، وبجدار القصر من جهة أخرى، ولعلها أنشئت بعد فترة قصيرة من بناء القصر، حيث أن تخطيطها وعمارتها يتطابق تقريباً مع مخطط وعمارة الجزء الجنوبى من القسم المركزى، حيث تتألف من بهو الشرف محاطاً بخمس غرف، غرفة المؤخرة مربعة تفتح من جهة الجنوب على رواق تكتنفه حجرة من جهة الجنوب والغرب، ويطل الرواق على فناء مستطيل تقوم غرفتان على يمينه ومثلهما على يساره، وتزين واجهات الغرف المحيطة به والمطلة على الفناء الشمالى حنايا تتوجها عقود مدببة ترتكز على أعمدة أسطوانية، ولقد قامت هيئة فنية بصيانة هذا القسم، وكشفت عن سرداب تحت البهو الرئيسى والغرفة المربعة، ويكون النزول إليه من الرواق من القسم الجنوبى، وسطح هذا القسم مستوٍ على الرغم من أن سقوف جميع الغرف فيه مقببة بأقبية نصف برميلية، ويمثل تخطيط وعمارة هذا القسم الطراز الحيرى.

وقد اهتم المعمار بزخرفة المنشأة فابتكر طريقة جديدة فى تكوين الأشكال الزخرفية، وهى التفنن فى صف الطابوق فى أشكال هندسية متنوعة، كما استغل المعمار الجص فى تكوين أشكال زخرفية بديعة.

والواقع أن هذا الأثر تميز بروعة التصميم ودقة التخطيط والعمارة وجمال الزخارف النباتية والهندسية، ويتمثل فى هذا القصر أقدم أمثلة العقد المدبب ونصف الدائرى.

والأقبية البرميلية والمتقاطعة والحنايا والنوافذ لأغراض متعددة وظيفية وجمالية، والمزاغل العمودية (الشاقولية) والأفقية والتى بلغت ٢٢٦ مزغلاً، منها ٤٨ مزغلاً أفقياً، وغير ذلك من العناصر المعمارية، كما يتميز هذا الأثر من خلال زخارفه فنجد لأول مرة فى تاريخ العمارة الإسلامية طريقة جديدة فى تكوين الأشكال الزخرفية تتمثل فى التفنن فى صف الطابوق للحصول على أشكال هندسية متنوعة، وقد نفذت هذه التشكيلات بأسلوبين أحدهما بارز، والآخر بمستوى وجه الجدار الذى تزينه، وقد تطور هذا الأسلوب، وبلغ غاية من الدقة والاتقان خلال الفترات الزمنية اللاحقة لبناء قصر الأخيضر، كذلك تطورت التشكيلات الزخرفية المحفورة فى الجص وتنوعت[٢٤٢].

مسجد القصر

يعد هذا المسجد من أقدم المساجد القائمة فى العراق، يقع فى الركن الشمالى الغربى من القصر، يشغل مساحة مستطيلة تمتد أفقياً من الشرق إلى الغرب بمقدار ٣٣م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٢٧م، وتتميز جدرانه بسمكها ومتانتها، شيدت من الحجر غير المهندم والجص، مكسوة من الداخل بالجص، وقد جاء تخطيطه من صحن مستطيل أبعاده ١٦.٢٠×١٠.٣٠م وثلاث ظلات فى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية، حيث خلا المسجد من ظلة مؤخرة فى الجهة الشمالية، وتتكون ظلة القبلة من بلاطة واحدة يبلغ اتساعها ٥م تقريباً، تشرف على الصحن من خلال بائكة تتكون من خمسة عقود ترتكز على أعمدة أسطوانية ترتكز بدورها على قواعد مربعة المسقط، ويغطيها قبو نصف برميلى ينتهى بنصف قبة يرتكز من الجانبين الشرقى والغربى على حنيتين ركنيتين، ويزدان بأشكال هندسية جصية مخرمة، ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف، يتوجه عقد مدبب، وتشتمل ظلة القبلة على عقود وروابط خشبية تربط أعلى الدعائم بجدار القبلة، أما الظلتان الجانبيتان الشرقية والغربية فتتألف كل منهما من بلاطة باتساع ٣م، وعمق ١٠م تطل على الصحن من خلال بائكة ثلاثية من أعمدة أسطوانية على قواعد مربعة على غرار بائكة ظلة القبلة، وعقود البوائك كلها مدببة ذات مركزين، أما الأسقف فهى معقودة بالطابوق تزدان بأشكال زخرفية هندسية محفورة فى الجص(٢٤٣).

ويشتمل المسجد على مدخلين معقودين فى الجدار الشمالى يتوصل منهما إلى الصحن، كما يشتمل على مدخل ثالث يتوصل منه إلى ظلة القبلة، ويقع فى الجهة الشرقية.

وقد تهدمت معظم سقوف الظلات الثلاث وظلت بقايا منها كان لها أكبر الأثر في إعادة بناء هذه الأسقف من قبل مديرية الآثار العامة بالعراق، حيث قامت ببناء الأعمدة الأسطوانية وأكملت الأسقف وزخرفتها بنفس الأشكال الزخرفية التى كانت تغطيها من الداخل، خاصة ظلة القبلة، وهى تشبه فى تكوينها المعمارى والزخرفى سقوف بعض الغرف التى تحيط بإيوان الشرف فى القصر، وهذه السقوف معقود بالطابوق محلاة بتكوينات زخرفية هندسية محفورة فى الجص، وترتفع مستوى أسقف الوحدات السكنية بخلاف الأبنية التى تتصل به من الجهة الشرقية والتى تتألف من ثلاثة طوابق، وقد وجدت معالم لمسجد آخر فى الطابق الثانى فوق المدخل مباشرة، وهو يشبه المسجد الأصلى الذى نحن بصدده[٢٤٤].

خان عطشان أو العطيشى حوالى النصف الثانى من القرن ٢هـ/ ٨م

يقع هذا المبنى فى السهل الرملى الممتد بين قصر الأخيضر والكوفة، وسط بادية واسعة ومرتفعة قليلاً غرب طريق كربلاء النجف، ويبعد حوالى ١٦كم باتجاه الغرب من خان النخيلة، ويعرف البناء بين سكان المناطق القريبة بخان عطشان أو خان العطيشى، وهو صغير نسبياً إذا ما قورن بقصر الأخيضر، ويستدل من ذلك كما يذكر عيسى سلمان[٢٤٥] أنه لم يكن سوى دار استراحة لوالى منطقة الأخيضر فى رحلته بين الكوفة وقصر ولايته، ويرتبط البرج المعروف بموجدة بالقصر والخان، حيث تدل التسمية على نوع الوظيفة التى يؤديها، وهو علامة للمسافر بين الأخيضر وعطشان، وفى هذا الإطار يذكر شريف يوسف[٢٤٦] نقلاً عن كريزويل أن هذا البناء كان دار استراحة لعيسى بن موسى كلما كان يتوجه للصلاة فى جامع الكوفة أيام الجمع والأعياد.

أما فيما يتعلق بتاريخ خان عطشان أو العطيشى فيذكر عيسى سلمان أنه ليس هناك من يشك بعلاقته بقصر الأخيضر وأنه مثل قصر الأخيضر لم تذكره المصادر التاريخية أو كتب الجغرافيين أو كتب السير والأدب، كما أنه لا توجد أى كتابات فيه أو ملتقطات يمكن الاعتماد عليها فى تثبيت تاريخ بنائه أو الشخص الذى أمر بتعميره، ولكن إمعان النظر فى تخطيطه وتشييده والعناصر المعمارية والزخرفية قد سهل الربط بينه وبين الأخيضر، ومن أوجه الشبه قسم الشرف وتفصيلاته سواء من حيث توزيع الغرف حوله أو نوع الأسقف وعقد الإيوان الذى يطل على الصحن، وإذا ما عرفنا أن عطشان هو موقف راحة فإن حجمه ليس من الضرورى

أن يكون بحجم الأخيضر، ولا يختلف مدخل عشطان كثيراً عن مدخل الأخيضر سواء من حيث الموقع أو التكوين ولكن اختلاف الوظيفة الدفاعية تعد مظهراً أساسياً فى اختلاف التفاصيل، أما العقود فمدببة مثل عقود الأخيضر، وفى ضوء كل ذلك لابد أن يكون عطشان مرتبطاً تخطيطاً وبناءً وزخرفة بالأخيضر، ولابد أنه يعود إلى نفس الفترة التى شيد فيها الأخيضر أى إلى النصف الثانى من القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى، ويرتبط بهما أيضاً البرج المعروف بموجدة حيث تدل التسمية على نوع الوظيفة التى أريد أن يؤديها هذا البرج وهو علامة للمسافر بين عطشان والأخيضر(٢٤٧).

ويرجح شريف يوسف أن إنشاء الخان يرجع إلى التاريخ الذى شيد فيه قصر الأخيضر نفسه(٢٤٨).

شيد البناء بالطابوق والجص، وقد وصل إلينا فى حالة جيدة على الرغم من سقوط بعض جدرانه وسقوف بعض غرفه، أما فيما يتعلق بتخطيطه فهو يتكون من مساحة مستطيلة الشكل، أبعادها من الداخل ٢٥.٥٧م من الشمال إلى الجنوب، و ٢٩.٩٠م من الشرق إلى الغرب، تحيط بهذه المساحة أربعة جدران من أربع جهات، بواقع جدار فى كل جهة، وترتفع الجدران بمقدار ٧م، بسمك ١.٨٥م، تدعمها أبراج نصف دائرية فى الجدران وشبه دائرية فى الأركان، يبلغ عددها ثمانية أبراج، وتتوسط هذه الأبراج الجدران تقريبًا، وتفصيل ذلك أن البناء يشتمل على أربعة أبراج زاوية أو شبه دائرية أو ثلاثة أرباع الدائرة بواقع برج فى كل ركن أو زاوية، كما تشتمل الجدران الجنوبية والشرقية والغربية على ثلاثة أبراج نصف دائرية بواقع برج فى كل جدار، أما البرج الثامن فيتوسط الجدار الشمالى، وهو الذى يتوصل منه إلى داخل الخان، وجاءت الأبراج الركنية بقطر يبلغ ٤.٤٠م، أما الأبراج نصف الدائرية فهى بقطر ٣.١٠م، يتوصل إلى داخل المنشأة من المدخل الذى بالضلع الشمالى والذى يشبه فى تصميمه وعمارته مثيله فى قصر الأخيضر، يفضى المدخل إلى دهليز مستطيل فى اتجاه محور المدخل، يغطيه قبو نصف برميلى، وجاء الدهليز

باتساع ٢.٥٥م، وبعمق ١٢.٦٣م، ويطل الدهليز على الصحن من خلال مدخل يتوجه عقد مدبب، ويتوصل منه إلى فناء أو صحن الخان الذى تشرف عليه ثلاث غرف تغطيها أقبية نصف برميلية، بواقع قبو فى كل غرفة، وهى باتساع ٣.٩٠م، وهى كلها فقدت جدرانها الغربية المشرفة على الصحن المكشوف، وبسقوطها كما يذكر شريف يوسف(٢٤٩) تهدمت الأقبية التى كانت تغطى هذه الغرف.

ويشتمل الخان فى الزاوية الجنوبية الشرقية على غرفة أبعادها ٣.٤٢ × ٤.٠٤م، يغطيها قبو نصف برميلى، كما تشتمل الجهة الجنوبية على غرفة مستطيلة يغطيها قبو نصف برميلى، وهى تـمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب، ثم نجد دهليزًا مستطيلًا يمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب يغطيه قبو نصف برميلى، يتوصل منه إلى قاعة أو غرفة أخرى مستطيلة تمتد من الدهليز السابق إلى جدار الخان، أى تمتد من الشرق إلى الغرب فى موازاة الجدار الـجنوبى، يغطيها قبو نصف برميلى، وعلى مـحور المدخل الشمالى توجد غرفة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، يغطيها قبو نصف برميلى، يتوصل إليها من الصحن، وتشتمل الغرفة على دخلة فى جدارها الشمالى، وأخرى فى الجهة الغربية، ويشتمل الصحن على بئر يعد المصدر الوحيد للمياه.

منار أو برج موجدة:

يضيف عيسى سلمان أنه لابد أن يكون خان عطشان مرتبطًا تخطيطًا وعمارة وزخرفة بالأخيضر، ولابد أنه يعود إلى نفس الفترة التى شيد فيها قصر الأخيضر أى إلى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى، ويرتبط بهما أيضًا البرج المعروف بموجدة حيث تدل التسمية على نوع الوظيفة التى أريد أن يؤديها هذا البرج وهو علامة للمسافر بين خان عطشان وقصر الأخيضر(٢٥٠).

دواوين الأزمة

كان النظام الإدارى فى العصر العباسى من حيث توزيع العمل يعادل أحسن النظم الحديثة، ومن أهم دواوين الدولة ديوان الخراج، وديوان الدية، وديوان الزمام، وديوان الجند، وديوان الموالى والغلمان، وديوان البريد، وديوان زمام النفقات، وديوان الرسائل، وديوان الحوائج، وديوان الأحشام، وديوان المنح أو المقاضاة، وديوان الأكرة للإشراف على الترع والجسور وشؤون الرى، وكان ديوان الأزمة أو الزمام (ويشبه ديوان المحاسبة اليوم) الذى أنشأه المهدى من أهم دواوين الدولة، وكانت مهنة صاحبه جمع ضرائب بلاد العراق وتقديم حساب الضرائب فى الأقاليم الأخرى، ومن اختصاص صاحبه جمع الضرائب النوعية المسماة بالمعادن، وكانت تجمع لرجل يضبطها بزمام يكون له على كل ديوان، فيتخذ دواوين الأزمة ويولى على كل منها رجلاً، ولم تعرف دواوين الأزمة فى العصر الأموى، فقد وضعها الخليفة المهدى، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "اثنتين وستين ومائة" ما نصه "وفيها وضع المهدى دواوين الأزمة، وولى عليها عمر بن بزيع مولاه، فولى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق"(٢٥١).

المجزمون وأهل السجون

كما أورد الطبرى "وفيها أمر المهدى أن يجرى على المجزمين وأهل السجون فى جميع الآفاق"[٢٥٢].

هدم سور الحدث وعمارتها:

وقد شهدت سنة "اثنتين وستين ومائة" هدم سور الحدث، قال الطبرى "وفيها خرجت الروم إلى الحدث، فهدموا سورها"[٢٥٣].

والحدث ذكرها ياقوت الحموى فقال: "الحدث: بالتحريك.. قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعًا حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب، وكان الحسن بن قحطبة قد غزا الثغور.. فلما قدم على المهدى أخبره بما فى بناء طرسوس والمصيصة من المصلحة للمسلمين، فأمر ببناء ذلك وأن يكون بالحدث، وذلك فى سنة ١٦٢، وفى كتاب أحمد بن يحيى بن جابر: كان حصن الحدث مما فتح فى أيام عمر، رضى الله عنه، فتحه حبيب بن مسلمة.. وكانت بنو أمية يسمون درب الحدث درب السلامة للطيرة، لأن المسلمين أصيبوا به، وكان ذلك الحدث الذى سمى به الحدث فيما يقول بعضهم، وقال آخرون: لقى المسلمين على درب الحدث غلام حدث فقاتلهم فى أصحابه قتالًا استظهر فيه، فسمى الحدث بذلك الحدث"[٢٥٤].

قصر المهدى بعيساباذ:

شيد الخليفة المهدى قصر السلامة أو السلام شرقى بغداد فى محلة تعرف بمحلة

"عيسى باذ"، أى عمارة عيسى، وذلك نسبة إلى عيسى بن المهدى فى سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م، وكان على نهر المهدى، فمن الإشارات التاريخية المعمارية الهامة التى تتعلق بهذا القصر ما أورده الطبرى فى أحداث سنة "أربع وستين ومائة" ونصه "وفيها بنى المهدى بعيسا باذ الكبرى قصرًا من لبن، إلى أن أسس قصره الذى بالآجر: الذى سماه قصر السلامة، وكان تأسيسه إياه يوم الأربعاء فى آخر ذى القعدة"[٢٥٥].

ومحلة عيسا باذ ذكرها ياقوت الحموى بقوله" عيسا باذ.. وذكرنا أن باذ فيه مما تستعمله الفرس، ومعنى باذ العمارة، فكأن معناه عمارة عيسى، ويسمون العامر أباذان: هذه محلة كانت بشرقى بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدى وأمه وأم الرشيد والهادى الخيزران هو أخوهما لأمهما وأبيهما وكانت إقطاعًا له، وبها مات موسى بن المهدى بن الهادى، وبنى بها المهدى قصره الذى سماه قصر السلام فبلغت النفقة عليه خمسين ألف ألف درهم"[٢٥٦].

الدار العظمى بالموقف بمصر

ومن الإشارات التاريخية المعمارية فى أحداث سنة "خمس وستين ومائة" ما أورده الكندى عن بناء إبراهيم بن صالح والى مصر الدار العظمى بالموقف، قال الكندى: "ثم وليها إبراهيم بن صالح بن عبدالله بن عباس من قبل المهدى.. قدمها يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين ومائة.. وابتنى إبراهيم بن صالح داره العظمى المعروفة اليوم بدار عبدالعزيز التى فى الموقف ثم وهبها عند خروجه لآل عبد الرحمن بن عبدالجبار"(٢٥٧).

دينار عباسي ضرب سنة ١٦٥هـ

ومن الدنانير التى عثر عليها فى موقع رامة التى تعد من المحطات الرئيسية على طريق الحج البصرى، وتقع على ضفتى وادى الرمة بين عنيزة والبدائع، دينار ضرب سنة ١٦٥هـ يرجع إلى عهد الخليفة المهدي(٢٥٨).

ضرب الدنانير والدراهم بعيسا باذ

شهدت محلة عيسا باذ ضرب الدنانير والدراهم من قبل الخليفة المهدى، قال الطبرى فى أحداث سنة "ست وستين ومائة" ما نصه: "وفيها تحول المهدى إلى عيسا باذ فنزلها، وهى قصر السلامة، ونزل الناس بها معه، وضرب بها الدنانير والدراهم"(٢٥٩).

أخذ البيعة لهارون الرشيد

وفى هذه السنة أورد ابن الأثير "أخذ المهدى البيعة لولده هارون الرشيد بولاية العهد، بعد أخيه موسى الهادى، ولقبه الرشيد"(٢٦٠).

إقامة البريد:

وفى أحداث هذه السنة كما أورد الطبرى: "أمر المهدى بإقامة البريد بين مدينة الرسول ﷺ وبين مكة واليمن، بغالًا وإبلا، ولم يقم هنالك بريد قبل ذلك"(٢٦١).

وفاة عيسى بن موسى بالكوفة:

شهدت أحداث سنة "سبع وستين ومائة" كما أورد الطبرى وفاة عيسى بن موسى، حيث أورد "وفيها توفى عيسى بن موسى بالكوفة، وولى الكوفة يومئذ روح بن حاتم"(٢٦٢).

الوباء ببغداد والبصرة

كما أورد الطبرى فى أحداث هذه السنة "وفيها فشا الموت، وسعال شديد ووباء شديد ببغداد والبصرة"(٢٦٣).

زيادة الخليفة المهدى فى المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوى والمسجد الجامع بالموصل

شهدت سنة "سبع وستين ومائة" عمارة المسجد الحرام من قبل الخليفة العباسى المهدى، قال الطبرى: "وفيها أمر المهدى بالزيادة فى المسجد الحرام، فدخلت فيه دور كثيرة. وولى بناء ما زيد فيه يقطين بن موسى، فكان فى بنائه إلى أن توفى المهدى"(٢٦٤).

وفى ذلك أورد ابن الأثير "وفيها أمر المهدى بالزيادة فى المسجد الحرام، ومسجد النبى ﷺ، فدخلت فيه دور كثيرة، وكان المتولى لبنائه يقطين بن موسى، فبقى البناء فيه إلى أن توفى المهدى. وكذلك أمر بالزيادة فى المسجد الجامع بالموصل، ورأيت لوحًا فيه ذكر ذلك، وهو فى حائط الجامع، سنة ثلاثٍ وستمائة (وهو باقٍ)"(٢٦٥).

وقد أورد ابن جبير فيما يتعلق بتوسعة الخليفة المهدى فى المسجد الحرام عند ذكره المسجد الحرام والبيت العتيق ما نصه "وللمهدى محمد بن أبى جعفر المنصور العباسى فى توسعة المسجد الحرام والتأنق فى بنائه آثار كريمة. وجدت فى الجهة التى من الغرب إلى الشمال مكتوبًا فى أعلى جدار البلاط: "أمر عبدالله محمد المهدى أمير المؤمنين، أصلحه الله، بتوسعة المسجد الحرام، لحجاج بيت الله وعماره، فى سنة سبع وستين ومئة"(٢٦٦).

وفى موضع آخر أورد ابن جبير "وألفيت منقوشًا على سارية خارج باب الصفا تقابل السارية الواحدة من اللتين أقيمتا علمًا لطريق النبى، ﷺ، إلى الصفا داخل الحرم

المتقدمتى الذكر: "أمر عبدالله محمد المهدى أمير المؤمنين، أصلحه الله تعالى، بتوسعة المسجد الحرام مما يلى باب الصفا، لتكون الكعبة فى وسط المسجد، فى سنة سبع وستين ومئة". فدل ذلك المكتوب على أن الكعبة المقدسة فى وسط المسجد، وكان يظن بها الانحراف إلى جهة باب الصفا، فاختبرنا جوانبها المباركة بالكيل، فوجدنا الأمر صحيحًا حسبما تضمنه رسم السارية"(٢٦٧).

كما أورد ابن جبير "وتحت ذلك النقش فى أسفل السارية منقوش أيضًا: "أمر عبدالله محمد المهدى أمير المؤمنين، أصلحه الله، بتوسعة الباب الأوسط، الذى بين هاتين الأسطوانتين، وهو طريق رسول الله، ﷺ، إلى الصفا"(٢٦٨).

كذلك أورد "وفى أعلى السارية التى تليها منقوش أيضًا: "أمر عبدالله المهدى محمد أمير المؤمنين، أصلحه الله، بصرف الوادى إلى مجراه على عهد أبيه إبراهيم، صلى الله عليه وسلم، وتوسعته بالرحاب التى حول المسجد الحرام لحاج بيت الله وعماره". وتحتها أيضاً منقوش ما تحت الأول من ذكر توسعة الباب الأوسط. والوادى المذكور هو الوادى المنسوب لإبراهيم، ﷺ، ومجراه على باب الصفا المذكور، وكان السيل قد خالف مجراه فكان يأتى على المسيل بين الصفا والمروة ويدخل الحرم، فكان مدة مده بالأمطار يطاف حول الكعبة سبحًا، فأمر المهدى، رحمه الله، برفع موضع فى أعلى البلد يسمى رأس الردم، فمتى جاء السيل عرج عن ذلك الردم إلى مجراه واستمر على باب إبراهيم إلى الموضع الذى يسمى المسفلة ويخرج عن البلد ولا يجرى الماء فيه إلا عند نزول ديم المطر الكثير. وهو الوادى الذى عنى، ﷺ ، بقوله حيث حكى الله تبارك وتعالى عنه: "ربنا إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع"، فسبحان من أبقى له الآيات البينات"(٢٦٩).

وقد أوردت سلسلة آثار المملكة العربية السعودية عند ذكرها نقوش الحرم المكى الشريف أن الحرم المكى الشريف غنى بالكتابات الإسلامية التوثيقية المتمثلة فى نصوص تأسيسية أو تجديدية لمختلف العمائر والإصلاحات والترميمات والتوسعات التى حدثت بالحرم المكى، أو الكعبة المشرفة، أو مقام إبراهيم عليه

السلام أو حجر إسماعيل، أو بئر زمزم، أو المقامات الأربعة التى كانت قائمة قبل توحيد المملكة العربية السعودية، وتغطى هذه الكتابات فترة تاريخية تربو على عشرة قرون، بدءا من منتصف القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى وبعد ذلك، وكانت هذه الكتابات تنفذ على الأعمدة الرخامية، والألواح الحجرية المثبتة على الواجهات، أو على ألواح خشبية، أو معدنية، أو غيرها، وبقيت بعض الكتابات فى المبنى التاريخى القديم للمسجد الحرام، وقد جمعت الكتابات الأخرى، ومواد أثرية، وتحف فنية بعد أعمال التوسعات التى شملت جميع أجزاء الحرم المكى ومرافقه المختلفة، وجمعت فى متحف خاص بها، وهو متحف الحرمين الشريفين المقام على أرض مصنع كسوة الكعبة المشرفة، وأقدم هذه الكتابات الموجودة حتى الآن أربعة نقوش بالخط الكوفى البارز ونفذت على أعمدة رخامية فى الجهة الجنوبية من صحن المسجد، تؤرخ للأعمال التى أنجزت فى المسجد الحرام فى عهد الخليفة المهدى، وأحد هذه النصوص مؤرخ بسنة ١٦٧هـ/ ٧٨٤م، ويقع هذا النقش على مدخل باب الصفا المطل على صحن المسجد من الناحية الجنوبية شرق مكان المؤذنين حاليًا[٢٧٠].

نقش هذا النص على عمود خاص قطره ١٥٠سم، وارتفاع الكتابة ٥٠سم، وعدد أسطر النقش خمسة عشر سطرًا، كتبت بالخط الكوفى البارز، والنقش يمثل نصًا تأسيسيًا للأسطوانتين اللتين وضعتا علمًا بطريق رسول الله ﷺ الذى سلكه إلى الصفا بعد انتهائه من الطواف ليقتدى به المسلمون من حجاج ومعتمرين، وقد تمت هذه العمارة على يد الوزير يقطين بن موسى، ويعد هذا النقش من أقدم النصوص التأسيسية الإسلامية التى مازالت قائمة فى أماكنها الأصلية داخل الحرم المكى، ويكشف عن مدى الأهمية التى كانت ـ وما تزال ـ توليها الحكومات الإسلامية لتعمير المسجد الحرام وإصلاحه، ويحيط بالنص من أعلى وأسفل بعض الزخارف النباتية، والمراوح النخيلية، والعناصر المجدولة، وعناقيد العنب، وأوراق الأكانتس، ويقرأ النص على النحو التالى:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ـ أمر عبدالله محمد
٣ـ المهدى أمير المؤمنين
٤ـ حفظه الله بإقامة هاتين
٥ـ الأسطوانتين علمًا لطريق
٦ـ رسول الله صلى الله عليه
٧ـ وسلم إلى الصفا ليتأسى
٨ـ به حاج بيت الله وعماره
٩ـ أعظم الله أجر المهدي
١٠ـ أمير المؤمنين وأطال بقاه
١١ـ على يدى يقطين بن
١٢ـ موسى وإبراهيم
١٣ـ بن صالح فى سنة
١٤ـ سبع وستين ومائة
١٥ـ مما عمل أهل الكوفة

أما فيما يتعلق بنقش الخليفة المهدى غير المؤرخ فيقع فى الجهة الجنوبية من المسجد الحرام، ويطل على صحن المسجد، وهو يلى النص المؤرخ سنة ١٧٦هـ من الناحية الشرقية،ويمثل الجزء الثانى من باب الصفا، ومحفور حفرًا بارزًا بالخط الكوفى، منقوش على عمود رخام قطره ١٥٠سم،وارتفاع الكتابة ٥٠سم، ويتألف من خمسة عشر سطرًا، وتحيط به زخارف من أعلى وأسفل على نمط زخارف النقش المؤرخ، ويقرأ النص كما يلى:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ـ إن الله وملائكته يصلو

٣ـ ن على النبى يا أيها الذين

٤ـ آمنوا صلوا عليه

٥ـ وسلموا تسليمًا اللهم صلي

٦ـ على محمد عبدك

٧ـ ونبيك وصفيك أفضل

٨ـ ما صليت على أحد من

٩ـ خلقك اللهم صلى على

١٠ـ محمد وعلى آل محمد

١١ـ وارحم محمدًا وآل

١٢ـ محمد وبارك على محمد

١٣ـ كما صليت ورحمت وباركت

١٤ـ على إبراهيم وآل إبراهيم إ

١٥ـ نك حميد مجيد. عمل الكوفيين[٢٧١]

وقد تناول أحمد رجب عمارة المهدى للمسجد الحرام فذكر أن الخليفة المهدى عمر المسجد الحرام، وزاد فى مساحته، وذلك على مرحلتين الأولى سنة ١٦٠هـ (٧٧٦م)، والثانية ١٦٤هـ (٧٨٠م)، أما عن الأولى فقد نقل عن الأزرقى أن المهدى نزع كسوة الكعبة التى كانت عليها وكساها كسوة جديدة، وأمر بعمارة المسجد فزيد فى أعلاه، وتم شراء ما كان فى ذلك الموضع من الدور، وأمر بأساطين الرخام فنقلت فى السفن من الشام حتى أنزلت بجدة، ثم جرت على العجل من جدة إلى مكة، وجعل فى أعلى المسجد ثلاثة صفوف من الأساطين، وجعل بين يدى الطاق الأول (فى الجهة الشمالية) ـ الذى بناه أبو جعفر مما يلى دار الندوة ـ صفين، حتى صارت ثلاثة صفوف[٢٧٢].

وقد تقدم ذكر هذه الزيادة فى موضعها فى أحداث سنة "ستين ومائة"، أما عمارة المهدى الثانية التى نحن بصددها فقد ذكرها أحمد رجب[٢٧٣] فى سنة ١٦٤هـ ونحن

نذكرها هنا من أحداث سنة "سبع وستين ومائة" بناءً على ما أورده الطبرى وابن الأثير من جهة وتقدم ذكره، وما ورد من نصوص عند ابن جبير كتبت فى المسجد الحرام وتقدم ذكرها عند ذكره توسعة المسجد الحرام من قبل المهدى، حيث جاء ما نصه عن هذه الأعمال على لسان ابن جبير "وجدت فى الجهة التى من الغرب إلى الشمال مكتوبا فى أعلى جدار البلاط: "أمر عبدالله محمد المهدى أمير المؤمنين، أصلحه الله، بتوسعة المسجد الحرام، لحجاج بيت الله وعماره، فى سنة سبع وستين ومئة"، وأضاف الباحث نقلًا عن الأزرقى أن المهدى لما زاد الزيادة الأولى اتسع أعلاه وأسفله وشقه الذى يلى دار الندوة "الشامى"، وضاق شقه اليمانى الذى يلى الوادى والصفا، فكانت الكعبة فى شق المسجد، فلما حج المهدى سنة ١٦٤هـ ساءه ذلك، وأمر بتوسعة المسجد حتى تصبح الكعبة فى وسطه تمامًا، واستمرت هذه العمارة حتى وفاة المهدى سنة ١٦٩ هـ وبداية عهد ابنه الهادى، واستنبط الباحث شكل وتخطيط المسجد من كتابات ابن عبد ربه الأندلسى المتوفى ٣٢٨هـ والذى وصف المسجد وصفًا دقيقًا فى بداية القرن الرابع الهجرى، خاصة وأن تخطيط المسجد لم يطرأ عليه أى تغير منذ عمارة المهدى له وحتى زيارة ابن عبد ربه ووصفه له، باستثناء إضافة دار الندوة فى الجهة الشمالية فى عهد المعتضد سنة ٢٧٩هـ، وبحذف هذه الزيادة من تخطيط المسجد كما وصفه ابن عبد ربه يمكن عرض تخطيطه على النحو التالى: صحنه كبيرواسع ذرعه طولا من باب بنى جمح (الجهة الغربية)، إلى باب بنى هاشم (الجهة الشرقية) الذى يقابل دار العباس بن عبدالمطلب أربعمائة ذراع وأربعة أذرع،وذرعه عرضا من باب الصفا (الجهة الجنوبية) إلى دار الندوة (الجهة الشمالية) ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع، وله ثلاث بلاطات محدقة به من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض وهى داخلة فى الذرع الذى تقدم، فوقها سماوات (أسقف) مذهبة وحافاتها على عمد رخام بيض، عددها فى طوله من الشرق إلى الغرب مع وجه الصحن خمسون عمودا، وفى عرضه ثلاثون عمودا، وجملة عمد المسجد أربعمائة وأربعة وثلاثون عمودا، وللمسجد ثلاثة وعشرون بابا لا غلق عليها يصعد إليها بعدد من الدرج(٢٧٤).

ونقل الباحث عن الأزرقى وصفًا تفصيليًا لأبواب المسجد ومآذنه بعد زيادة المهدى، فذكر أن للمسجد أربعة وعشرين بابا، فيها ثلاثة وأربعون طاقا (فتحة)، منها فى الشق الذى يلى المسعى وهو الشرقى خمسة أبواب بها أحد عشر طاقا: هى: الباب الأول: وهو الباب الكبير الذى يقال له باب بنى شيبة، وهو من ثلاثة "طيقان" تستند على اسطوانتين (عموديتين). الباب الثانى: من طاق واحد طوله عشرة أذرع وعرضه سبعة أذرع، ويعرف باسم باب القوارير، لأنه فتح فى موضع دار القوارير. الباب الثالث: من طاق واحد، طوله عشرة أذرع، وعرضه سبعة أذرع، وهو باب النبى ﷺ، الباب الرابع: من ثلاثة "طيقان"، ترتكز على اسطوانتين، وارتفاع طاقاته ثلاثة عشر ذراعا، ويعرف باسم باب العباس بن عبدالمطلب، الباب الخامس: من ثلاثة طاقات، ترتكز على عمودين، ويعرف باسم باب على، وباب بنى هاشم[٢٧٥].

أما أبواب الجهة الجنوبية (الشق اليمانى) فهى سبعة أبواب: الباب الأول: من طاقين يرتكزان فى الوسط على اسطوانة، وارتفاعه ثلاثة عشر ذراعًا ونصف، ويعرف باسم باب بنى عائذ (باب بازان ـ باب قرة قول)، الباب الثانى: من طاقين، يرتكزان على أسطوانة، ارتفاعه أيضا ثلاثة عشر ذراعا ونصف، ويعرف باسم باب بنى سفيان بن عبد الأسد (باب البغلة)، الباب الثالث: من خمسة طاقات على أربعة أساطين، ويعرف باسم باب الصفا، الباب الرابع: من طاقين يرتكزان على اسطوانة، ويقال له باب بنى مخزوم (باب أجياد الصغير)، الباب الخامس، من طاقين على اسطوانة، ويعرف أيضا باسم باب مخزوم، الباب السادس: من طاقين على اسطوانة، ويعرف باسم باب بنى تميم (باب مدرسة الشريف عجلان ـ باب التكية)، الباب السابع: من طاقين على اسطوانة، ويعرف باسم باب أم هانى ابنة أبى طالب (باب الفرج ـ باب الحميدية).[٢٧٦]

أما أبواب الجهة الغربية (شق بنى جمح) فهى ستة أبواب: الباب الأول: من طاقين على اسطوانة، ويعرف باسم باب بنى حكيم بن خزام، وباب بنى الزبير بن

العوام، وباب الحزامية (باب الحزورة ـ باب البقالية ـ باب الوداع)، الباب الثانى: من ثلاثة طيقان على اسطوانتين، ويعرف باسم باب الخياطين، الباب الثالث: من طاقين على اسطوانة،ويعرف باسم باب بنى جمح، الباب الرابع: من طاق واحد، ويعرف باسم باب أبى البخترى بن هاشم الأسدى، الباب الخامس: من طاق واحد، ويعرف باسم باب زبيدة، الباب السادس: من طاق واحد، ويعرف باسم باب بنى سهم (باب العمرة).(٢٧٧)

أما أبواب الجهة الشمالية (الشق الشامى) منها ستة أبواب هى: الباب الأول: وهو يلى منارة بنى سهم، وهو من طاق واحد، ويعرف باسم باب عمرو بن العاص، الباب الثانى: ويعرف باسم باب السدة، لكونه سد ثم فتح، الباب الثالث: يعرف بباب دار العجلة، الباب الرابع: يعرف باسم باب قعيقان، وهو من طاق واحد، كما يقال له باب حجير بن إهاب، الباب الخامس: هو باب دار الندوة، وهو من طاق واحد، الباب السادس: هو باب دار شيبة بن عثمان، وهو من طاق واحد.(٢٧٨)

هذا وقد أصبح للمسجد بعد عمارة المهدى أربع منائر أو مآذن فى أركانه الأربعة، ونقل الباحث عن الأزرقى أن المنارة أو المئذنة الأولى: هى التى تلى باب بنى سهم (الزاوية الشمالية الغربية)، وهى من أعمال أبى جعفر المنصور، ويؤذن فيها صاحب الوقت بمكة، المنارة أو المئذنة الثانية: تلى أجياد، وتشرف على الحزورة وسوق الخياطين (الزاوية الجنوبية الغربية)، وفيها يسحر المؤذن فى شهر رمضان، المنارة أو المئذنة الثالثة: تشرف على دار ابن عباد، وعلى سوق الليل (الزاوية الجنوبية الشرقية)، ويقال لها منارة المكيين، المنارة أو المئذنة الرابعة: تطل على دار الإمارة (الزاوية الشمالية الشرقية)(٢٧٩).

ويستنبط الباحث شكل هذه المآذن من خلال وصف ابن جبير للمسجد فى أواخر القرن السادس الهجرى على الرغم كما يشير هو نفسه من اتساع الفترة الزمنية بين عمارة المهدى للمسجد سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م وبين زيارة ابن جبير له، وحجته

فى ذلك أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أى تجديد أو ترميم لهذه المنارات أو المآذن من شأنه أن يغير من شكلها خلال هذه الفترة، وعلى هذا فإن المآذن بشكلها الأول الذى بنيت عليه من قبل المهدى قد ظلت عند زيارة ابن جبير للمسجد، وعلى هذا الأساس فهذه المآذن، طبقًا لوصف ابن جبير والذى أسماها الصوامع، تنقسم إلى قسمين: السفلى مربع الشكل، والقسم العلوى أسطوانى يعلوه فحل الصومعة، وهو مستدير الشكل، ويحيط بالجزء المربع وكذا بالجزء الأسطوانى شباك من خشب فريد الصنعة.(٢٨٠) .

ظلام بالدنيا

وفى أحداث هذه السنة أورد الطبرى "وفيها أظلمت الدنيا لليالٍ بقين من ذى الحجة، حتى تعالى النهار".(٢٨١)

ديوان المهدى

وفى أحداث سنة "ثمان وستين ومائة" أورد الطبرى "وفيها رد المهدى ديوانه وديوان أهل بيته إلى المدينة ونقله من دمشق إليها"(٢٨٢).

مسكوكات عباسية ضربت باليمامة

ومن المسكوكات التى ضربت فى اليمامة(٢٨٣) درهم ضرب سنة ١٦٨هـ نصوص كتاباته كما يلى:

الوجه: مركز: لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم باليمامة

سنة ثمان وستين ومئة

الظهر: مركز: عبدالله

محمد رسول

الله صلى الله عليه

وسلمّ الخليفة المهدي

بن سعيد

الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وقد ازدهرت اليمامة فى العصر العباسى، وكانت من أهم الولايات التابعة لها فى الجزيرة العربية، وأقيمت بها دار لضرب المسكوكات الإسلامية منذ سنة ١٣١هـ ثم ظهرت مسكوكات اليمامة فى العصر العباسى، ومنها: فلس ضرب سنة ١٥٧هـ، ودراهم ضرب سنوات ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧هـ[٢٨٤]

الكنائس بمصر

ومن الإشارات التاريخية المعمارية فى ولاية على بن سليمان العباسى والى مصر فى أحداث سنة "تسع وستين ومائة" ما أورده الكندى ونصه "ثم وليها على بن سليمان من قبل موسى الهادى... وهدم الكنائس المحدثة بمصر فهدم كنيسة مريم الملاصقة لأبى شنوده وهدم كنائس محرس قسطنطين".[٢٨٥]

وفاة المهدى بما سبذان

هذا وقد توفى الخليفة العباسى المهدى فى هذه السنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م، قال الطبرى: "وفيها توفى المهدى.. وفى هذه السنة بويع لموسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بالخلافة، يوم توفى المهدى، وهو مقيم بجرجان[٢٨٦] يحارب أهل طبرستان[٢٨٧]، وكانت وفاة المهدى بما[٢٨٨] سبذان ومعه ابنه هارون، ومولاه الربيع ببغداد خلفه بها.. وكانت موافاة موسى الهادى بغداد.. فلما قدمها نزل القصر الذى يسمى الخلد، فأقام به شهرًا، ثم تحول إلى بستان أبى جعفر، ثم تحول إلى عيسا باذ".[٢٨٩]

قضى المهدى فى الخلافة زهاء عشر سنين تعد فترة انتقال بين عهد الشدة والقمع

الذى ساد فترة من سبقه من خلفاء بنى العباس، وعهد الاعتدال واللين الذى امتازت به أيامه وأيام من أتى بعده، فقد رد الأموال التى صادرها المنصور إلى أهلها، وأطلق العلويين الذين حبسهم أبوه، وعفا عنهم، وأدار عليهم الأرزاق، وبدأ عهده بسلسلة من ضروب الإصلاح، كما وفق إلى القضاء على الزنادقة وغيرهم من الخوارج عليه وعلى الدين، وحصن المدن، وغدت بغداد فى عهده مركزًا لتجارة العالم، وغدت الموسيقى والشعر والحكمة والأدب من مميزات هذا العهد، وكان المهدى محببًا إلى الخاص والعام، وكان من خلق المهدى الحياء والعفو والجود والحلم والعدل، وجلس للمظالم بنفسه.[٢٩٠]

الهادى

(١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م)

كان موسى الهادى أكبر من أخيه هارون، وقد ولاه أبو عهده، وعهد لهارون بالخلافة من بعده، ثم فكر فى تقديمه عليه، بسبب إيثاره، ومشاركة أمه الخيزران له فى محبته، لولا أن عاجلته المنية، وكان هارون من العقل بحيث لم يتردد فى البيعة لأخيه حين سمع بوفاة أبيه، وقد قضى الهادى قبل أن يعتلى عرش الخلافة أكثر أيامه فى بلاد المشرق، وأتته البيعة وهو يحارب فى طبرستان وجرجان.(٢٩١)

قدم الخليفة موسى الهادى بغداد بعد خلافته ونزل بقصر الخلد الذى شيد من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور كما تقدم، ثم تحول إلى بستان أبى جعفر ثم تحول إلى عيساباذ، قال الطبرى: "وكانت موافاة موسى الهادى بغداد.. فلما قدمها نزل القصر الذى يسمى الخلد، فأقام به شهرًا، ثم تحول إلى بستان أبى جعفر، ثم تحول إلى عيساباذ".(٢٩٢)

كما أورد الطبرى وفاته فى أحداث سنة "سبعين ومائة" بما نصه "وفيها توفى موسى الهادى بعيساباذ. واختلف فى السبب الذى كان به وفاته".(٢٩٣)

كذلك أورد "بويع للرشيد هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بالخلافة ليلة الجمعة الليلة التى توفى فيها أخوه موسى الهادى".(٢٩٤)

لم تطل خلافة الهادى، فقد ظل فى الخلافة سنة وشهرًا واثنين وعشرين يومًا، والليلة التى مات فيها، هى ليلة مات فيها خليفة، وجلس خليفة، وولد خليفة، وقد كانوا يحدثون أنه سيكون ليلة كذلك، فالخليفة الذى مات هو الهادى، والذى جلس فيها على سرير الخلافة هو الرشيد، والذى ولد هو المأمون.[٢٩٥]

نقش مؤرخ بعام ١٧٠هـ/٧٨٦م بمسجد قرية صدر أيد

يوجد فى محافظة النماص بمنطقة عسير مجموعة من المساجد الأثرية القديمة، من أبرزها مسجد قرية صدر أيد الذى لا يزال بحالة جيدة، والمسجد مبنى من الحجر مكسو بالجص، ويوجد به نقش فى أعلى المحراب من الخارج مؤرخ بعام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م.(٢٩٦)

عثر فى منطقة عسير على عدد كبير من النقوش العربية الإسلامية عبارة عن آيات قرآنية، وأدعية مأثورة، ونصائح، وشواهد قبور، وغيرها، وذلك فى أماكن عديدة ومتفرقة، منها ما عثر عليه على امتداد الطرق التجارية على الصخور. أو فى المدن على الأحجار الشاهدية، أو على جدران المساجد والمبانى، لعل من أبرزها مجموعة من النصوص تنتشر على صخور هضبة أم وقر التابعة لمحافظة بيشة. منها نقش مؤرخ بسنة ١٤٠هـ بالإضافة إلى عدد من النقوش عثر عليها فى موقع أم الرحى أحدها مؤرخ سنة ١٤١هـ ، كما تم العثور على مجموعة من النقوش فى بلاد بنى عمرو، التابعة لمحافظة النماص التى تقدم ذكرها، وفى جبل عيمة القريب من النماص، من أبرزها ثلاثة نصوص توجد على صخرة واحدة أحدها مؤرخ بسنة ١٥٥هـ فى مدينة النماص عثر على مجموعة من النصوص الإسلامية ـ من أبرزها نقش يوجد ضمن بناء الجدار الخارجى لمحراب مسجد قرية صدر أيد الأثرى المؤرخ بسنة ١٧٠هـ والذى تقدم ذكره.(٢٩٧)

ونص هذا النقش على النحو التالى:

١ـ "الله" الله عباد الله العزم قبل الندم والعطاء

٢ـ قبل الأخذ والتوبة قبل الموت والعمل في
٣ـ المهل الله الله عباد الله اعملوا والعمل
٤ـ مقبول والكلام "والأقلام" جارية...
٥ـ الله الله عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله وا
٦ـ لزهد فى ديار الزوال والرغبة فى ديار المقام
٧ـ ما تقدمون فعليه تقدمون ألا ترون أنكم إلى الله صا
٨ـ ئرون ثم توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون
٩ـ إن الله وملائكته يصلون على "النبى" يايها ياء يها الذين آمنوا
١٠ـ صلوا عليه وسلموا تسليما وكتب محمد بن عبد
١١ـ الرحمن فى ربيع الآخر سنة سبعين ومئة وهو يسل "يسأل"
١٢ـ الله الجنة بقدرته ويعوذ به من النار بعزته.(٢٩٨)

مدينة موسى بقزوين

أورد يا قوت الحموى عند ذكره قزوين مدينة تعرف بمدينة موسى، أمر بعمارتها موسى الهادى وتعد من مآثره، قال ياقوت الحموى "قزوين: بالفتح ثم السكون، وكسر الواو، وياء مثناة من تحت ساكنة، ونون: مدينة مشهورة... قال ابن الفقيه: أول من استحدثها سابور ذو الأكتاف واستحدث أبهر أيضًا، قال: وحصن قزوين يسمى كشرين بالفارسية وبينه وبين الذيلم جبل كانت ملوك الأرض تجعل فيه رابطة من الأساورة يدفعون الديلم إذا لم يكن بينهم هدنة.. وكان عثمان بن عفان، رضى الله عنه، ولى البراء بن عازب الرى فى سنة ٢٤ فسار منها إلى أبهر ففتحها.. ورحل عنها إلى قزوين فأناخ عليها وطلب أهلها الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر[٢٩٩] من الشرائط فقبلوا جميع ذلك إلا الجزية فإنهم نفروا منها، فقال: لابد منها، فلما رأوا ذلك أسلموا وأقاموا مكانهم فصارت أرضهم عشرية.. وكان موسى الهادى لما سار إلى الرى قدم قزوين وأمر ببناء مدينة بإزائها فهى تعرف بمدينة موسى وابتاع أرضًا يقال لها رستماباذ ووقفها على مصالح المدينة.."[٣٠٠]

هارون الرشيد

(١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٩م)

يعتبر هارون الرشيد أشهر خلفاء بنى العباس، فقد بلغت مدينة بغداد فى عهده درجة عظيمة من الرقى والازدهار، فغدت مركزًا للتجارة، وكعبة رجال العلم والأدب، واشتهر اسم الرشيد فى بلاد الغرب، لما كان بينه وبين شرلمان ملك الفرنجة من العلاقات السياسية وأواصر الود والصفاء، ومما زاد فى ذيوع شهرته بين أمم الغرب كتاب "ألف ليلة وليلة" الذى ترجم إلى معظم اللغات الأوروبية، حتى إنه لا تكاد تخلو منه مكتبة من مكتبات الأفراد فى أوروبا وأمريكا وقد ولد هارون بالرى لثلاث بقين من شهر ذى الحجة سنة ١٤٥هـ، وأمه أم ولد يمانية جرشية يقال لها الخيزران، وهى أم الهادى، ولى هارون الرشيد الخلافة فى الليلة التى توفى فيها أخوه الهادى، وهى ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ.(٣٠١)

تسمية الثغور بالعواصم

أورد الطبرى فيما يتعلق بتسمية الثغور بالعواصم فى أحداث سنة "سبعين ومائة" ما نصه "وفيها عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين(٣٠٢)، وجعلها حيزًا واحدًا وسميت العواصم".(٣٠٣)

عمارة طرسوس

شهدت سنة "سبعين ومائة" عمارة مدينة طرسوس، قال الطبرى: "وفيها عمرت طرسوس على يدى أبى سليم فرج الخادم التركى ونزلها الناس".(٣٠٤)

ومدينة طرسوس ذكرها ياقوت الحموى بقوله: "طرسوس: بفتح أوله وثانيه.. كلمة عجمية رومية.. وقالوا: سميت بطرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام، وقيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان كان خادمًا للرشيد فى سنة نيف وتسعين ومائة، قاله أحمد بن محمد الهمذانى، وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم.. وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب ويشقها نهر البردان وبها قبر المأمون عبد الله بن الرشيد جاءها غازيًا فأدركته منيته فمات".(٣٠٥)

الرشيد ومرج القلعة

وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "اثنتين وسبعين ومائة" "فمن ذلك شخوص الرشيد فيها إلى مرج القلعة مرتادًا بها منزلا ينزله".(٣٠٦)

ومرج القلعة ذكره ياقوت الحموى بقوله "بينه وبين حلوان منزل وهو من

حلوان إلى جهة همذان.. وإياه عنت عُلَية بنت المهدى بقولها وكانت قد خرجت إلى خراسان صحبة أخيها الرشيد فاشتاقت إلى بغداد فكتبت على مضرب أخيها:

ومغترب بالمـرج يبكـى لشجـوه

وقد غاب عنه المسعدون على الحب

إذا ما تراءى الركب من نحو أرضه

تنشق يستشفـى برائحـة الركـب

فلما وقف عليه الرشيد قال: حنت عُلية إلى الوطن، وأمرها بالرجوع إلى بغداد"[٣٠٧].

قصر الرشيد بباقردي وذكر بازبدى

شيد الخليفة هارون الرشيد قصرًا بباقردى، قال الطبرى فى أحداث سنة "أربع وسبعين ومائة" ما نصه "وفيها خرج الرشيد إلى با قردى وبازبدى، وبنى بباقردى قصرًا، فقال الشاعر فى ذلك:

بقردى وبازبدى مصيف ومربع وعذب يحاكى السلسبيل برود

وبغداد، ما بغداد، أما تـرابـها فخرء، وأما حرها فشديد"[٣٠٨]

وكورة بازبدى ذكرها ياقوت الحموى بقوله: "بازَبْدَى: بفتح الزاى، وسكون الباء الموحدة، مقصور: كورة قرب باقردى من ناحية جزيرة ابن عمر، وبازبدى فى غربى دجلة، وباقِردى فى شرقيه، كورتان متقابلتان، وبازبدى: هو اسم قرية فى قبالة جزيرة ابن عمر سميت الكورة بأسرها بها، وبالقرب منها جبل الجودي وقرية ثمانين.. وقال بعض الشعراء يفضلها على بغداد:

بقردى وبازبـدى مصيـف ومربـع،

وعذب يـحاكـى السلسـبيل بـرود

وبغـداد مـا بغـــداد! أمـا ترا بهـا

فحمى، وأما بردهـا فشديد"[٣٠٩]

أما باقردى فقد ذكرها ياقوت الحموى بقوله: "باقردى: بكسر القاف، وفتح الدال، وياء.. كذا جاء اسمها فى الكتب، وأهلها يقولون قردى وينشدون:

بقردى وبازبدى مصيف ومربع".[٣١٠]

وباء بمكة

يحدثنا الطبرى عن وباء وقع بمكة فى أحداث هذه السنة بقوله "وحج بالناس فيها هارون الرشيد، فبدأ بالمدينة.. ووقع الوباء فى هذه السنة بمكة".[٣١١]

ولاية العهد لمحمد بن الرشيد (الأمين)

وفى أحداث سنة "خمس وسبعين ومائة" أورد الطبرى "فمن ذلك عقد الرشيد لابنه محمد بمدينة السلام من بعده ولاية عهد المسلمين وأخذه له بذلك بيعة القواد والجند، وتسميته إياه الأمين".[٣١٢]

الزيادة فى جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر

شهدت سنة "خمس وسبعين ومائة" الزيادة فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ٢١هـ/ ٦٤٢م من قبل والى مصر موسى بن عيسى، قال الكندى: "ثم وليها موسى بن عيسى الثانية... من قبل الرشيد دخلها يوم الإثنين لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائة.. وأمر موسى بالزيادة فى المسجد الجامع زاد فيه الرحبة التى تقابل الصيارفة اليوم وهو نصف الرحبة المنسوبة إلى أبى أيوب وذلك فى شعبان سنة خمس وسبعين ومائة". (٣١٣)

ويعلق أحمد فكرى على هذه الزيادة بقوله أن المسجد زيد فيه فى عهد موسى بن عيسى والى مصر من قبل هارون الرشيد، سنة خمس وسبعين ومائة (٧٩١م)، وهذه الزيادة قد أضافت إلى مؤخر المسجد وخارج جداره الشمالى رحبة واسعة، وهى نصف الرحبة التى كانت معروفة فى أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادى باسم رحبة أبى أيوب. (٣١٤)

ريح وظلمة وحمرة

وفى أحداث سنة "سبع وسبعين ومائة" أورد الطبرى "وكان فيها ـ فيما ذكر الواقدى ـ ريح وظلمة وحمرة.. ثم كانت ظلمة.. ثم كانت ريح وظلمة شديدة". (٣١٥)

عمارة المساجد والرباطات بخراسان

شهدت أحداث سنة "ثمان وسبعين ومائة" بناء الفضل بن يحيى المساجد والرباطات بخراسان، قال الطبرى: "وفيها شخص الفضل بن يحيى إلى خراسان واليًا عليها، فأحسن السيرة بها، وبنى بها المساجد والرباطات".(٣١٦)

والرباطات لغة من (ربط) جأشه.. باطة: اشتد قلبه فلم يفر عند الفزع.. (رابط) مرابطة، ورباطًا: لازم الثغر وموضع المخافة. يقال: رابط الجيش.

وفى التنزيل العزيز: "يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا". و ـ واظب على الأمر ولازمه.. (الرباط): ما يربط به.. وـ موضع المرابطة. وملجأ الفقراء من الصوفية.. (المرابطة): الجماعة من الناس، والخيل تلزم الثغر مما يلى العدو..".(٣١٧)

ولقد كانت الأربطة فى أصلها منشآت دينية وعسكرية يقيم بها المرابطون أو المحاربون للتعبد والاستعداد للجهاد والتربص لأعداء الإسلام الذين يغيرون على بلادهم، وقد اشتق لفظها من القرآن الكريم، فقد جاء فى سورة آل عمران قوله عز وجل: "يأيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون".(٣١٨)

وقوله عز وجل فى سورة الأنفال: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون"(٣١٩)، ومع التطور الزمنى صار الرباط مجرد مأوى يقيم به المنقطعون للعبادة، ومن الأربطة ما كان

يخصص للنساء، فكان بمثابة دار كفالة للمرأة، حيث كان يقيم به البنات اليتامى والأرامل والمطلقات اللاتى لا عائل لهن، وقد كانت الأربطة تشيد فى الثغور على حدود الدولة الإسلامية لحماية البلاد من المهاجمين من البحر، كما أقيمت أيضًا فى الصحراء، فقد تطلبت مسيرة الفتح الإسلامى سواء فى شرق أو غرب العالم الإسلامى تأمين حدود الدولة الإسلامية.(٣٢٠)

هدم سور الموصل ونزول الرقة

أورد الطبرى فى أحداث سنة "ثمانين ومائة" ما نصه "وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب الخوارج الذين خرجوا منها، ثم مضى إلى الرقة فنزلها واتخذها وطنا".(٣٢١)

عمارة القصر الكبير بالمنستير وسور مدينة طرابلس

أولاً: عمارة القصر الكبير بالمنستير

المنستير ذكرها البكرى فقال: "ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير الذى جاء فيه الأثر المتقدم الذكر، ويذكر أن الذى بنى القصر الكبير بالمنستير هو هرثمة بن أعين سنة ثمانين ومائة، وله فى يوم عاشورا موسم عظيم ومجمع كثير. وبالمنستير البيوت والحجر والطواحن الفارسية ومواجل الماء، وهو حصن عالى البناء متقن العمل. وفى الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه، وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين دون الأهل والعشائر".(٣٢٢)

ثانيًا: سور مدينة طرابلس (أطرابلس)

وقد أورد ابن الأثير عند ذكره ولاية هرثمة بن أعين بلاد إفريقية فى أحداث سنة "ثمانين ومائة" ما نصه "وسار هرثمة إلى القيروان، فقدمها فى ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة.. وبنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين ومائة، وبنى سور مدينة طرابلس مما يلى البحر".(٣٢٣)

أما فيما يتعلق بموضع المنستير فقد ذكره ياقوت الحموى بقوله "مُنَسْتِير: بضم أوله، وفتح ثانيه.. وهو موضع بين المهدية(٣٢٤) وسوسة(٣٢٥) بإفريقية.. وهى خمسة قصور يحيط بها سور واحد يسكنها قوم من أهل العبادة والعلم، قال البكرى: ومن محارس(٣٢٦) سوسة المذكورة المنستير الذى جاء فيه الأثر، ويقال إن الذى بنى القصر

الكبير بالمنستير هرثمة بن أعين سنة ١٨٠ وله فى يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير، وبالمنستير البيوت الحجر والطواحين الفارسية ومواجل الماء، وهو حصن كبير عالٍ متقن العمل، وفى الطبقة الثانية مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه وفيه جماعة من الصالحين المرابطين.. وفى قبلته حصن فسيح مزار للنساء المرابطات، وبها جامع متقن البناء وهو آزاج معقودة كلها، وفيه حمامات وغُدر، وأهل القيروان[٣٢٧] يتبرعون بحمل الأموال إليهم والصدقات، وبقرب المنستير ملاحة يحمل ملحها فى المراكب إلى عدة مواضع"[٣٢٨]، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه تطابق ما أورده ياقوت الحموى سواء على لسانه أو على لسان البكرى وما أورده الطبرى وتقدم ذكره سواء بالنسبة للقصر أو تاريخ إنشائه، ويتكون قصر أورباط المنستير ١٨٠هـ/ ٧٩٦م من طابقين، وهو يشغل مساحة مربعة الشكل فى تخطيطها، يبلغ طول ضلعها حوالى ٣٢م، ويحيط بالطابق الأرضى سور خارجى اشتمل على ثلاثة أبراج شبه دائرية فى ثلاث زوايا أو فى ثلاثة أركان بواقع برج زاوية فى كل ركن، أما البرج الشرقى فقد جاء مربعًا تقريبًا، وترتكز عليه ابتداءً من مستوى سطح القصر أو الرباط منارة أسطوانية، ويتوسط الجدار الجنوبى مدخل بارز قائم الزوايا يفتح على دهليز مستقيم، يؤدى بدوره إلى صحن القصر، وتحيط بالصحن من أربعة جوانب مجموعة من الحجرات المفردة، قائمة على جدران القصر الأربعة، كان يقيم فيها المرابطون، فيما عدا قاعات الجهة الجنوبية، أى القاعات التى على ضلع المدخل، حيث يرجح حسن الباشا[٣٢٩] أنها كانت اسطبلات للخيل، وتتقدم الحجرات ظلة أو سقيفة يرتكز عليها ممر الطابق العلوى، ولم يبق من هذه الحجرات غير حجيرات ضلع المدخل، وكان يوجد بئر فى صحن الرباط، أما الطابق العلوى للقصر أو الرباط فيتكون من مسجد يشتمل على محراب أعلى مدخل الرباط مباشرة، وجاء تخطيط المسجد من سبع بلاطات تغطيها أقبية طولية تتعامد على جدار القبلة، وعلى ما يبدو فإن هذا الطابق كان يشتمل فى المساحة المتبقية منه على غرف على غرار الطابق الأرضى، يمتد أمامها ممر،وقد أقيم أمام مدخل القصر فى الضلع الجنوبى الغربى رباط للنساء يستند من جانبه الجنوبى الشرقى على برج

قصر المنستير، وقد نقش على محراب مسجده كتابة مؤرخة رمضان سنة ٢٥٦هـ (٨٧٠م).

أما فيما يتعلق بطرابلس وسورها فقد أورد ياقوت الحموى طرابلس فى موضعين أحدهما فى حرف الألف باسم أطرابلس فقال "أطرابلس: بضم الباء الموحدة واللام، والسين مهملة: مدينة مشهورة.. أطرابلس أيضًا: مدينة فى آخر أرض برقة وأول أرض إفريقية"[٣٣٠]، والآخر فى باب الطاء بما نصه "طرابلس: بفتح أوله.. ويقال أطرابلس، وقال ابن بشير البكرى، طرابلس بالرومية والإغريقية ثلاث مدن، وسماها اليونانيون طرابليطة وذلك بلغتهم أيضًا ثلاث مدن، لأن طرا معناه ثلاث وبليطة مدينة، وقد ذكر أن أشباروس قيصر أول من بناها، وتسمى أيضًا مدينة إياس، وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان، وهى على شاطئ البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، وبها أسواق حافلة جامعة وبها مسجد يعرف بمسجد الشعاب.. وفيها رباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون أعمرها وأشهرها مسجد الشعاب، ومرساها مأمون من أكثر الرياح، وهى كثيرة الثمار والخيرات، ولها بساتين جليلة فى شرقيها وتتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير، وداخل مدينتها بئر تعرف ببئر أبى الكنود.. وأعذب آبارها بئر القبة.. غزا عمرو بن العاص طرابلس سنة ٢٣.. وكان البحر لاصقًا بالمدينة ولم يكن فى ما بين المدينة والبحر سور.. وإنما بنى سورها مما يلى البحر هرثمة بن أعين حين ولايته على القيروان..".[٣٣١]

سقوط رأس منارة الإسكندرية بمصر

وتعرضت مصر لزلزال شديد فى هذه السنة، قال الطبرى "وفيها كانت بأرض مصر زلزلة شديدة، فسقط رأس منارة الإسكندرية".[٣٣٢]

الحيرة وعمائرها من قبل الرشيد

أورد الطبرى عند ذكره أحداث سنة "ثمانين ومائة" ومسير الرشيد إلى البصرة ".. ثم شخص إلى الحيرة، فسكنها وابتنى بها المنازل، وأقطع من معه الخطط".[٣٣٣]

ومدينة الحيرة ذكرها ياقوت الحموى فقال: "الحيرة: بالكسر ثم السكون، وراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف.. كانت مسكن ملوك العرب فى الجاهلية.. والنسبة إليها حارى.. وأما وصفهم إياها بالبياض فإنما أرادوا حسن العمارة، وقيل: سميت الحيرة لأن تبعًا الأكبر لما قصد خراسان خلف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم حيروا به أى أقيموا به، وقال الزجاجى: كان أول من نزل بها مالك بن زهير.. فلما نزلها جعلها حيرًا وأقطعه قومه فسميت الحيرة بذلك..".[٣٣٤]

عمارة مدينة عين زَرْبَى من قبل الرشيد

أورد ابن الأثير عن بناء مدينة عين زربى ما نصه "وفيها أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربى وحصنها، وسير إليها جندًا من أهل خراسان وغيرهم، فأقطعهم بها المنازل".[٣٣٥]

وبلد عين زربى ذكره ياقوت الحموى بقوله "عين زربى: بفتح الزاى، وسكون الراء، وباء موحدة، وألف مقصورة.. بلد بالثغر من نواحى المصيصة، قال ابن الفقيه: كان تجديد زربى وعمارتها على يد أبى سليمان التركى الخادم فى حدود سنة ١٩٠، وكان قد ولى الثغور من قبل الرشيد، ثم استولى عليها الروم فخربوها فأنفق سيف الدولة بن حمدان.. حتى أعاد عمارتها.. وأهلها اليوم أرمن.. وقد نسب إليها قوم من أهل العلم.. قال الواقدى: ولما كانت سنة ١٨٠ أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربى وتحصينها وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم وأقطعهم بها المنازل، ثم لما كانت أيام المعتصم نقل إليها وإلى نواحيها قومًا من الزط الذين كانوا قد غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع أهل الثغر بهم".[٣٣٦]

البيعة للمأمون بعد الأمين

وفى أحداث سنة "اثنتين وثمانين ومائة" أورد الطبرى "فكان فيها انصراف الرشيد من مكة ومسيره إلى الرقة، وبيعته بها لابنه عبدالله المأمون بعد ابنه محمد الأمين".[٣٣٧]

تأسيس دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) بإفريقية

ولاية إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١١م)

ينسب الأغالبة إلى الأغلب بن سالم التميمى، وهو عربى من قبيلة تميم التى أسهمت فى القضاء على الخلافة الأموية وقيام الدولة العباسية، وكان الأغلب من أصحاب أبى مسلم الخراسانى وشغل مركزًا مرموقًا فى جيش محمد بن الأشعث بمصر، ولما ساءت أحوال إفريقية من جراء ثورات الخوارج خرج إليها محمد بن الأشعث وبصحبته الأغلب، وولاه ابن الأشعث بلاد الزاب فاتخذ من طبنة مقرًا له، وفى سنة ١٤٨ هـ/ ٧٦٥م عهد المنصور إليه بولاية إفريقية، غيرأنه مات بضربة سهم فى القيروان سنة ١٥٠ هـ/ ٧٦٧م فلقب بالشهيد وكان أن ولى الرشيد إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمى (إبراهيم الأول) إفريقية فى سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م، واتخذ إبراهيم من القيروان عاصمة وحاضرة لدولته، قال الطبرى فى أحداث سنة "أربع وثمانين ومائة" ما نصه "وقام بأمر إفريقية إبراهيم الأغلب، فولاها إياه الرشيد".[٣٣٨]

وفى ذلك أورد ابن الأثير عند ذكره ولاية إبراهيم بن الأغلب إفريقية "فولاه الرشيد فى المحرم سنة أربع وثمانين ومائة".[٣٣٩]

وذكر ابن عذارى المراكشى عند ذكره ولاية إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمى إفريقية ما نصه "وصله عهد الرشيد فى العشر الوسط لجمادى الأخيرة من سنة ١٨٤، وقال له فيه: "قد تقدم لكم بإفريقية أمر.".. وكان إبراهيم

قد سمع من الليث بن سعد.. وكان لإبراهيم فضائل جمة ومآثر حسنة.. ولما ملك إفريقية، قمع أهل الشر بها وضبط أمرها. وكان له مع بربرها حروب".[٣٤٠]

توفى إبراهيم بن الأغلب فى أواخر شوال من سنة ١٩٦ هـ/ ٨١١م، وقد تمتعت دولة الأغالبة باستقلال اسمى، ولكنها ما لبثت أن استقلت على مر الزمن استقلالاً يكاد يكون تامًا، بحيث لم يبق للخليفة العباسى سوى ذكر اسمه فى الخطبة ونقشه على السكة.[٣٤١]

تأسيس مدينة العباسية بإفريقية
مدينة القصر القديم

اتخذ إبراهيم بن الأغلب من القيروان عاصمة وحاضرة لدولته، ثم شرع في سنة ١٨٥هـ/ ٨٠١م في تشييد مدينة القصر القديم التي تقع على بعد ثلاثة أميال جنوب القيروان وسماها العباسية تقربًا من الخلافة العباسية، وتعبيرًا عن ولائه للعباسيين، ولم يشر الطبري إلى هذه المدينة، غير أن البكري ذكر مدينة القصر القديم فقال "فأما مدينة القصر القديم فإن الذي أسسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم سنة أربع وثمانين ومائة، وصارت دار أمراء بني الأغلب، وهي بقبلي مدينة القيروان وعلى ثلاثة أميال منها، بها جامع له صومعة مستديرة مبنية بالآجر والعمد سبع طبقات لم يبن أحكم منها ولا أحسن منظرًا، وحمامات كثيرة وفنادق وأسواق جمة ومواجل للماء. وإذا قحطت القيروان وفقد الماء في مواجلها نقلوا الماء من مدينة القصر. وكان لها من الأبواب باب الرحمة قبلي وباب الحديد قبلي وباب غلبون شرقي وباب الريح شرقي وباب السعادة غربي يقابل المقبرة الكبيرة. وداخل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف بالميدان. (ويجاور مدينة القصر بنية) تعرف بالرصافة. ولما أتى إبراهيم مدينة القصر وانتقل إليها خرب دار الإمارة التي كانت بالقيروان بقبلي الجامع منذ فتحت". (٣٤٢)

وقد أورد ذكرها ابن الأثير عند ذكره ولاية إبراهيم بن الأغلب إفريقية بما نصه "فولاه الرشيد في المحرم سنة أربع وثمانين ومائة.. فسكنت البلاد، وابتنى مدينة سماها العباسية بقرب القيروان، وانتقل إليها بأهله وعبيده". (٣٤٣)

ومدينة العباسية أو القصر القديم ذكرها ياقوت الحموى فقال: "العباسية: مثل الذى قبلها إلا أنها بياء النسبة كأنها منسوبة إلى رجل اسمه العباس، وأكثر ما يراد به العباس بن عبد المطلب أبو الخلفاء، وهى فى عدة مواضع، منها: ... والعباسية: مدينة بناها إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية قرب القيروان نسبها إلى بنى العباس. والعباسية: محلة كانت ببغداد وأظنها خربت الآن وكانت بين الصراتين بين يدى قصر المنصور قرب المحلة المعروفة اليوم بباب البصرة، وهى منسوبة إلى العباس بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس". (٣٤٤)

ومدينة القصر القديم ذكرها ابن عذارى فقال: "وفى سنة ١٨٥، شرع إبراهيم فى بناء مدينة القصر القديم، وصار بعد ذلك دار الأمراء بنى الأغلب. وكان على ثلاثة أميال من القيروان، وكان قد اشترى موضعه من بنى طالوت، فبناه ونقل إليه السلاح والعدد سرًا،وسكن حوله عبيذه وأهل الثقة به من خدمته". (٣٤٥)

ومن الأحداث التى ذكرها ابن الأثير وارتبطت بالعباسية والقيروان عند ذكره ولاية إبراهيم بن الأغلب إفريقية ما نصه "ثم إن عمران بن مخلد... وكان من بطانة إبراهيم بن الأغلب، وينزل معه فى قصره.. جمع جمعًا كثيرًا، وثار عليه، فنزل بين القيروان والعباسية.. فخندق إبراهيم على العباسية، وامتنع فيها، ودامت الحرب بينهما سنة كاملة.. فانهزموا، فنادى منادى إبراهيم بالأمان.. وقلع أبواب القيروان وهدم فى سورها.. ولما انهزم عمران سكن الشر بإفريقية، وأمن الناس، فبقى كذلك إلى أن توفى إبراهيم فى شوال سنة ست وتسعين ومائة، وعمره ست وخمسون سنة، وإمارته اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام". (٣٤٦)

صاعقة فى المسجد الحرام

وفى أحداث سنة "خمس وثمانين ومائة" وقعت فى المسجد الحرام صاعقة، قال الطبرى ".. ووقعت فى المسجد الحرام صاعقة فقتلت رجلين". (٣٤٧)

زلزلة المصيصة (المعمورة)

وفى أحداث سنة "سبع وثمانين ومائة" كان إيقاع الخليفة الرشيد بالبرامكة، فقد أورد الطبرى "فمما كان فيها من ذلك قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد وإيقاعه بالبرامكة".[٣٤٨] وفى هذه السنة زلزلت المصيصة، قال الطبرى "وفيها زلزلت المصيصة فانهدم بعض سورها، ونضب ماؤهم ساعة الليل"[٣٤٩].

نقش خاتم الخاصة

وفى أحداث سنة "تسعين ومائة" "أورد الطبرى" وفى هذه السنة غزا الرشيد الصائفة، واستخلف ابنه عبد الله المأمون بالرقة وفوض إليه الأمور، وكتب إلى الآفاق بالسمع له والطاعة، ودفع إليه خاتم المنصور يتيمن به، وهو خاتم الخاصة، نقشه: "الله ثقتى آمنت به"[٣٥٠].

نقش قلنسوة "غاز حاج" وفتح هرقلة

وأورد الطبرى أيضًا فى أحداث هذه السنة "وفيها فتح الرشيد هرقلة، وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم.. وكان شخوص هارون إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب، واتخذ قلنسوة مكتوبًا عليها "غاز حاج"، فكان يلبسها.. ثم صار الرشيد إلى الطوانة.. ثم رحل عنها، وخلف عليها عقبة بن جعفر، وأمره ببناء منزل هنالك.. واستهداه أيضًا طيبًا وسرادقًا"[٣٥١].

ومدينة هرقلة ذكرها ياقوت الحموى بقوله "هِرَقلة: بالكسر ثم الفتح: مدينة ببلاد الروم سميت بهرقلة بنت الروم بن اليفزبن سام بن نوح، عليه السلام، وكان الرشيد غزاها بنفسه ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديد ورمى بالنار والنفط حتى غلب أهلها.. ثم قدم الرقة فى شهر رمضان، فلما عيد جلس للشعراء فدخلوا عليه.. وكان فى السبى الذى سبى من هرقلة ابنة بطريقها، وكانت ذات حسن وجمال، فنودى عليها فى المغانم فزاد عليها صاحب الرشيد.. فنقلها معه إلى الرقة وبنى لها حصنًا بين الرافقة وبالس على الفرات وسماه هرقلة.. وبقى الحصن عامرًا

مدة حتى خرب وآثاره إلى وقتنا ذا باقية وفيه آثار عمارة وأبنية عجيبة، وهو قرب صفين من الجانب الغربى"[٣٥٢].

أما بلد الطوانة فقد ذكره ياقوت الحموى بقوله "طوانة: بضم أوله، وبعد الألف نون: بلد بثغور المصيصة.. وكان المأمون لما قدم الثغر غازيًا أمر أن يسور على الطوانة قدر ميل فى ميل ويصيره مدينة وهيأ له الرجال والمال فمات بعد شروعه بقليل فبطله المعتصم.."[٣٥٣].

مسجد الأعاسرة المؤرخ ١٩٠هـ/٨٠٥م

يوجد مسجد الأعاسرة فى بلاد بنى عمرو بمحافظه النماص بعسير، ويؤرخ ١٩٠هـ/ ٨٠٥م[٣٥٤].

وقوع الثلج ببغداد

وقد شهدت مدينة بغداد وقوع الثلج فى أحداث سنة "إحدى وتسعين ومائة"، قال الطبرى "وفيها وقع الثلج بمدينة السلام"[٣٥٥].

هدم الكنائس بالثغور

كما أورد الطبرى "وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور، وكتب إلى السندى بن شاهك يأمره بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم"[٣٥٦].

عمارة طرسوس

أورد ابن الأثير "وأمر هرثمة ببناء طرسوس وتمصيرها.. وبنى مسجدها"[٣٥٧].

وفى ذلك أورد ياقوت الحموى، عند ذكره طرسوس ".. وقيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان كان خادمًا للرشيد فى سنة نيف وتسعين ومائة، قاله أحمد بن محمد الهمذانى، وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم.."[٣٥٨].

وفاة هارون الرشيد

وتوفى الخليفة العباسى هارون الرشيد فى سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م، وفى ذلك أورد الطبرى فى أحداث سنة "ثلاث وتسعين ومائة" ما نصه "وفيها مات هارون الرشيد"، كما أورد "(خلافة الأمين) وفى هذه السنة بويع لمحمد الأمين بن هارون بالخلافة فى عسكر الرشيد.. ولما قدم كتاب صالح على محمد الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد ـ وكان نازلًا فى قصره بالخلد ـ تحول إلى قصر أبى جعفر بالمدينة"(٣٥٩).

القصر الأبيض بالحيرة

يعد القصر الأبيض من القصور التى نسبها ياقوت الحموى للرشيد، فقد أورد "والقصرالأبيض: من قصور الحيرة، ذكر فى الفتوح أنه كان بالرقة وأظنه من أبنية الرشيد.."(٣٦٠).

الرشيد والبرامكة

وقد قامت الفتن الداخلية فى عهد الرشيد وخاصة فى الموصل وإفريقية وأرمينية، كما أثر البرامكة فى الدولة، وقد ظهر من الأسرة البرمكية فى أوائل الدولة العباسية خالد بن برمك، الذى تقلد الوزارة فى عهدى السفاح والمنصور، واتخذ هارون الرشيد يحيى بن خالد قبل أن يلى الخلافة كاتبًا له يرجع إلى رأيه وتدبيره، ولما ولى الرشيد الخلافة استوزر يحيى فعلا شأنه وبعد صيته، وكان يحيى بن خالد البرمكى أشهر رجال عصره علمًا وأدبًا وفضلًا وجودًا ونبلًا، ولما تولى هارون بلاد المغرب ساعده يحيى وأخلص له، لذا فوض إليه الرشيد أمور دولته، واستعان بأولاده الأربعة جعفر والفضل ومحمد وموسى، وكانت نكبتهم على يد الرشيد، وكانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقارًا ورونقًا وخيرًا، وأوسعها رقعة، وكان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم، كان يحج سنة ويغزو سنة مدة خلافته إلا سنين قليلة، وكان يصلى كل يوم مائة ركعة، وحج ماشيًا، ولم يحج خليفة ماشيًا غيره، اشتهر بحسن معاملة العلماء، وفى عهد الرشيد كان من

أعلام الإسلام الإمام مالك بن أنس، والليث بن سعد الفقيه المصرى، والفقيه أبو يوسف صاحب كتاب الخراج، وسيبويه إمام العربية، ومروان بن أبى حفصة الشاعر، والمفضل بن فضالة قاضى مصر، وموسى الكاظم الإمام السابع عند طائفة الإمامية الإثنى عشرية، والعباس بن الأحنف الشاعر[٣٦١].

عمائر الرشيد بقزوين

أورد ياقوت الحموى عند ذكره قزوين ما نصه "قزوين: بالفتح ثم السكون، وكسر الواو، وياء مثناة من تحت ساكنة، ونون: مدينة مشهورة.. وهى فى الاقليم الرابع، طولها خمس وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة، قال ابن الفقيه: أول من استحدثها سابور ذو الاكتاف واستحدث أبهر أيضًا، قال: وحصن قزوين يسمى كشرين بالفارسية وبينه وبين الديلم جبل.. وكان عثمان بن عفان، رضى الله عنه، ولى البراء بن عازب الرى فى سنة ٢٤ فسار منها إلى أبهر ففتحها.. ورحل عنها إلى قزوين.. وطلب أهلها الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر من الشرائط.. قالوا: ولما ولى سعيد بن العاصى بن أمية الكوفة.. وقدم قزوين فمصرها وجعلها مغزى أهل الكوفة إلى الديلم، وكان موسى الهادى لما سار إلى الرى قدم قزوين وأمر ببناء مدينة بإزائها فهى تعرف بمدينة موسى وابتاع أرضًا يقال لها رستماباذ ووقفها على مصالح المدينة وكان عمرو الرومى تولاها ثم تولاها بعده ابنه محمد بن عمرو. وكان المبارك التركى بنى بها حصنًا سماه المباركية وبه قوم من مواليه، وحدث محمد بن هارون الأصبهانى قال: اجتاز الرشيد بهمذان وهو يريد خراسان فاعترضه أهل قزوين.. فسار إلى قزوين ودخلها وبنى جامعها وكتب اسمه على بابه فى لوح حجر وابتاع بها حوانيت ومستغلات ووقفها على مصالح المدينة وعمارة قبتها وسورها.."
(٣٦٢)

درب زبيدة

ومن طرق التجارة والحج التى تقع بمكة المكرمة، طريق مكة المكرمة ـ الكوفة

الذى ازدهر فى العصر الأموى وازداد شهرة فى العصر العباسى الأول، حيث عرف فيما بعد باسم "درب زبيدة"، وهو يعد من أشهر الطرق فى جزيرة العرب، حيث تعهده الخلفاء بالعمارة والاصلاح بهدف الاتصال بالحجاز حتى اليمن، وقد سمى الطريق بدرب زبيدة نسبة إلى زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد التى كان لها أعمال خيرية كثيرة فى الطريق وفى مكة والمشاعر المقدسة، ويقع جزء من الطريق فى منطقة مكة المكرمة، والمواقع الرئيسية التى وردت فى المصادر الجغرافية المبكرة هى: المسلح، القصر، الغمرة، أو طاس، ذات عرق، غمر ذى كندة، بستان بنى عامر، مشاش، ومن ثم إلى مكة المكرمة، وآثار الطريق مشاهدة حتى اليوم فى المسلح، والعقيق، والخرابة، ومسلحة، والضريبة، ومكة الرقة، والمضيق، والعلوية، وأم الضميران، والشرائع، والبرود، ومواضع أخرى بالقرب من مكة، ويلتقى طريق البصرة ـ مكة المكرمة ـ من طريق درب زبيدة عند ذات عرق فى الموقع المسمى اليوم الضريبة، كذلك ترتبط مكة بطريق تجارى قديم ينطلق من مكة إلى وادى سرف، وبطن مر، وعسفان، والسيالة، وملل، والشجرة، ثم المدينة المنورة، وتتصل مكة أيضًا بالمدينة المنورة بواسطة الطريق السلطانى الذى يمر عبر مرة رهاط حيث يتفرع من درب زبيدة عند المسلح، ومنه إلى حاذة وصفينة والسوارقية(٣٦٣).

عين زبيدة

تعد عين زبيدة من الآثار التى تشتهر بها مكة المكرمة، وهى من الأعمال الجليلة التى قامت بها السيدة زبيدة بنت جعفر ـ زوجة الخليفة هارون الرشيد ـ فعندما علمت بما يعانيه أهل مكة والحجاج والمعتمرون من نقص شديد فى مياه الشرب، وجهت المهندسين لإيجاد وسيلة لتوفير المياه، فعثروا على مصدر للمياه يأتى من أعلى جبل شامخ بين الطائف وعرفات، فشقت مجرى العين الرئيسية فى وادى حنين، وأسالت إليها المياه، كما قام المهندسون بحفر عيون وقنوات مساندة للعين الأم لضمان رفع منسوب المياه، ومن هذه العيون: عين حشلش، عين ميمون (عين ميمونة)، عين الزعفران، عين البرود، عين الصفدة، عين الطارقى والحربيات، وأوصلت السيدة زبيدة مياه هذه العيون حتى مكة المكرمة، كما أمرت بايصال عين

مماثلة لصعيد عرفات وهى عين وادى نعمان، وتم تحويل قناة مماثلة إلى مزدلفة ومنى، وقد نفذت عمارة هذه القنوات والعيون بطرق هندسية دقيقة، وزودت بفتحات ذات أعماق متفاوتة، أما مجرى القناة فتتفاوت سعته حسب طبيعة الطبقة الصخرية، ولا تزال معظم المعالم المعمارية لعين زبيدة باقية حتى اليوم وذلك من خلال مجرى العين الممتد على سفوح الجبال، والخرزات الدائرية والمربعة المقامة على مجرى العين الرئيسية، وبقية العيون المساندة الأخرى، وقد صرفت زبيدة أموالاً طائلة على العين وإصلاح مرافقها طوال حياتها، وقد استمر جريان عين زبيدة طوال قرون عديدة حسب تعهدها بالصيانة، وحسب توافر مياه السيول والأمطار، ومع التطور الحضارى الذى شهدته مكة المكرمة، واستخدام التقنيات العصرية فى استخراج المياه وتنقيتها، وجلب المياه بعد تحليتها من البحر، فقد جفت عيون زبيدة بسبب انسداد مجاريها، وتعرض خرزاتها للتلف، والامتداد العمراني، وغيرها مما جعلها غير صالحة للاستخدام مرة أخرى[٣٦٤].

الأمين

(١٩٣ - ١٩٨هـ / ٨٠٩ - ٨١٣م)

ولد أبو عبد الله محمد الأمين سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، وهى السنة التى ولى فيها أبوه هارون الرشيد الخلافة، وذلك بعد مولد أخيه عبد الله المأمون بستة أشهر، وأمه أم جعفر زبيدة ابنة جعفر بن المنصور، وليس فى خلفاء بنى العباس من أبوه وأمه هاشميان سواه، ولمامات الرشيد بطوس[٣٦٥]، أحضر إليه رجاء الخادم وهو ببغداد البردة والقضيب والخاتم، وهى شارات الخلافة[٣٦٦].

الدنانير والدراهم بخراسان

من الاشارات التاريخية التى تتعلق بالدنانير والدراهم ما أورده الطبرى فى أحداث سنة "خمس وتسعين ومائة" ونصه "فمن ذلك ما كان من أمر محمد بن هارون بإسقاط ما كان ضرب لأخيه عبد الله المأمون من الدنانير والدراهم بخراسان فى سنة أربع وتسعين ومائة، لأن المأمون كان أمر ألا يثبت فيها اسم محمد، وكان يقال لتلك الدنانير والدراهم الرباعية، وكانت لا تجوز حينًا"[٣٦٧].

نقش مؤرخ بسنة ١٩٥هـ بوادى الصويدرة

ومن النقوش المؤرخة المنتشرة على الواجهات الصخرية فى وادى الصويدرة، يوجد نقش مؤرخ سنة ١٩٥هـ ويقع فى الجهة الجنوبية الغربية من المرتفع الجبلى غربى الجسر وشمالى بلدة الصويدرة الحديثة، وكتب النقش على واجهة صخرية بمساحة ٤٠×١٨ سم ويتكون من ثلاثة أسطر كالآتى:

١ - اللهم أغفر لشعيب ابن ا

٢- لفضل السلمى مرفى صفر سنة خمس
٣- وتسعين ومئة[٣٦٨].

بناء قبة (الهوى) الهواء بمصر

من الإشارات التاريخية المعمارية التى تتعلق بمصر فى أحداث سنة "خمس وتسعين ومائة" بناء قبة الهوى (الهواء) على يد حاتم بن هرثمة، قال الكندى "ثم وليها حاتم بن هرثمة من قبل محمد بن هرون.. وابتنى حاتم بن هرثمة القبة التى تعرف بقبة الهوى وهو أول من ابتناها. فوليها حاتم إلى أن صرف عنها فى جمادى الآخر سنة خمس وتسعين ومائة"[٣٦٩].

عمارة إفريقية فى عهد

أبو العباس عبد الله (الأول) بن إبراهيم بن الأغلب

(١٩٦-٢٠١هـ/٨١١-٨١٦م)

تولى أبو العباس عبد الله بن إبراهيم الذى عرف بعبد الله الأول حكم دولة الأغالبة، وذلك بعد إبراهيم بن الأغلب ، فقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "إحدى وثمانين ومائة" وسنة "ست وتسعين ومائة" عند ذكره ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية ما نصه "ولما توفى إبراهيم بن الأغلب ولى بعده ابنه عبد الله، وكان عبد الله غائبًا بطرابلس قد حصره البربر.. فعهد إليه أبوه بالإمارة، وأمر ابنه زيادة الله بن إبراهيم أن يبايع لأخيه عبد الله بالامارة، فكتب إلى أخيه بموت أبيه، وبالإمارة، ففارق طرابلس، ووصل إلى القيروان، فاستقامت الأمور، ولم يكن فى أيامه شر، ولا حرب، وسكن الناس فعمرت البلاد، وتوفى فى ذى الحجة سنة إحدى ومائتين"[٣٧٠].

ذكر بعض القصور العباسية فى الأحداث التاريخية

ومن الأحداث التاريخية التى ارتبطت بالقصور العباسية ما أورده الطبرى ونصه فى أحداث سنة "ثمان وتسعين ومائة" "وذكر عن محمد بن راشد.. قصره بباب الذهب.. فصار إلى قصر القرار ـ فى قرن الصراة، أسفل من قصر الخلد"[٣٧١].

استحداث مدينة سِيسر فى خلافة الأمين:

تعد مدينة سيسر من المدن التى استحدثت فى عهد الخليفة الأمين، فقد ذكرها ياقوت الحموى[٣٧٢] بما نصه "سيسر: بكسر أوله، وبعد الياء سين أخرى، وآخره راء: بلد متاخم لهمذان، قالوا: سمى سيسر لأنه فى انخفاض من الأرض بين رؤوس آكام ثلاثين فمعناه ثلاثون رأسًا، وهى بين همذان وأذربيجان، حصنها ومدينتها استحدثت فى أيام الأمين بن الرشيد، وفيها عيون كثيرة لا تحصى، وكانت تدعى صدخانية لكثرة عيونها ومنابعها، ولم تزال سيسر وماو الاها مراعى لمواشى الأكراد وغيرهم حتى أنفذ المهدى إليها مولى له يعرف بسلمان بن قيراط وأبوه صاحب الصحراء التى تسمى صحراء قيراط ببغداد ومعه شريك له يعرف بسلام الطيفورى.. فكتبا إلى المهدى يعرفانه ذلك فأمرهما ببناء حصن.. فبنيا مدينة سيسر وحصناها وسكناها وضم إليها رستاق ما ينهرج من الدينور ورستاق الجوذمة من أذربيجان من كورة برزة ورستاق خانيجر فكورت بها الرساتيق وولى عليها عاملاً برأسه إلى أن كان أيام الرشيد كثر الذعار بنواحيها، فلما كان أيام فتنة الأمين والمأمون تغلب عليها مرة بن أبى مرة العجلى ومنع الخوارج، فلما استقر أمر المأمون أخذت من يد مرة وجعلت فى ضياع الخلافة..".

الفتن والاضطرابات فى عهد الأمين

كان عهد الخليفة الأمين مليئًا بالفتن والاضطرابات، وفى الوقت الذى قامت فيه هذه الفتنة بينه وبين أخيه المأمون، اشتعلت نار الثورة فى بلاد الشام على يد على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية، المعروف بالسفيانى، الذى دعا إلى نفسه، واحتل دمشق وما يليها بعد أن طرد عامل الأمين، وكاد أن يتم له الاستقلال بهذه البلاد، لولا أن قام بين اليمنيين والمضريين نزاع خطير حال دون تحقيق ذلك، وقد أرسل الأمين الجيوش لقمع هذه الفتن بقيادة الحسين بن على بن عيسى بن ماهان، ثم عبد الله بن صالح، ولكن سوء الحالة فى بغداد حال دون القيام بعمل جدى ضد السفيانى، وهكذا أصبحت بلاد الشام مسرحًا للفوضى سنتين أو أكثر[٣٧٣].

وقد اجتمعت فى الأمين خصائل لم تكن فى غيره، فقد كان أحسن الناس وجهًا وأسخاهم، وأشرف الخلفاء أبًا وأمًا، حسن الأدب عالمًا بالشعر، لكن غلب عليه الهوى واللعب، وكان مع سخائه بالمال بخيلاً بالطعام جدًا، وبنى مجالس للتنزه، قال الطبرى "قال حميد: ولما ملك محمد وجه إلى جميع البلدان فى طلب الملهين وضمهم إليه، وأجرى لهم الأرزاق، ونافس فى ابتياع فره الدواب، وأخذ الوحوش والسباع والطير وغير ذلك، واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقواده، واستخف بهم، وقسم ما فى بيوت الأموال وما بحضرته من الجوهر فى خصيانه وجلسائه ومحدثيه، وحمل إليه ما كان فى الرقة من الجوهر والخزائن والسلاح، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانية وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلى ورقة كلواذى وباب الأنبار وبناورى والهوب، وأمر بعمل خمس حراقات فى دجلة على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس، وأنفق فى عملها مالاً عظيمًا.. وذكر عن الحسين بن الضحاك، قال: ابتنى الأمير سفينة عظيمة، أنفق عليها ثلاثة آلاف ألف درهم، واتخذ أخرى على خلقة شىء يكون فى البحر يقال له الدلفين، فقال فى ذلك أبو نواس"[٣٧٤].

ولم يعمر الأمين طويلاً، فقد قتل بعد أن جلس على عرش الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م، وكان فى الثامنة والعشرين من عمره، وقد ذهب ضحية هذه الفتنة التى قامت بينه وبين أخيه المأمون، بسبب خلعه أخاه، وتوليته ابنه موسى العهد من بعده، ونكث العهد والميثاق الذى أخذه عليه أبوه الرشيد، ولما قتل الأمين أرسل عبد الله بن طاهر رأسه إلى المأمون، الذى صفا له الجو واستقرت له الأمور[٣٧٥].

المأمون

(١٩٨- ٢١٨ هـ / ٨١٣- ٨٣٣م)

ولد عبد الله أبو العباس المأمون بن الرشيد فى سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م فى الليلة التى مات فيها عمه الخليفة الهادى، وأمه أم ولد تسمى مراجل، وقد ولاه أبوه العهد وهو فى الثالثة عشرة من عمره بعد أخيه الأمين، وأسند إليه ولاية خراسان وما يتصل بها إلى همذان[٣٧٦]، ولما توفى أبوه لم يف له أخوه الأمين بعهده، كما تقدم، بل عول على أن يقدم عليه ابنه موسى فى ولاية العهد، فأبى المأمون ذلك،ونشبت بينهما تلك الحروب التى انتهت بقتل الأمين فى ٢٥ من المحرم سنة ١٩٨ هـ/ ٨١٣م، وقد بويع المأمون بالخلافة وهو فى الرى، وظل بخراسان حتى قدم بغداد فى منتصف شهر صفر سنة ٢٠٤هـ[٣٧٧].

كسوة الكعبة

وفى ذلك أورد الطبرى فى أحداث سنة "ثمان وتسعين ومائة" ما نصه "وفى هذه السنة وضعت الحرب ـ بين محمد وعبد الله ابنى هارون الرشيد ـ أوزارها، واستوسق الناس بالمشرق والعراق والحجاز لعبد الله المأمون بالطاعة"[٣٧٨].

وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "مائتين" فيما يتعلق بكسوة الكعبة ما نصه "وفى هذه السنة فى أول يوم من المحرم منها بعدما تفرق الحاج من مكة جلس حسين بن حسن الأفطس خلف المقام على نمرقة مثنية، فأمر بثياب الكعبة التى عليها فجردت منها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئًا، وبقيت حجارة مجردة، ثم كساها ثوبين من قزرقيق، كان أبو السرايا وجه بهما معه مكتوب عليهما: أمر به

الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد، لكسوة بيت الله الحرام، وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس، لتطهر من كسوتهم. وكتب فى سنة تسع وتسعين ومائة. ثم أمر حسين بن حسن بالكسوة التى كانت على الكعبة فقسمت بين أصحابه من العلويين وأتباعهم على قدر منازلهم عنده، وعمد إلى ما فى خزانة الكعبة من مالٍ فأخذه، ولم يسمع بأحد عنده وديعة لأحد من ولد العباس وأتباعهم إلا هجم عليه فى داره.. وكان الذى يتولى العذاب لهم رجلاً من أهل الكوفة يقال له محمد بن مسلمة، كان ينزل فى دار خالصة عند الحناطين، فكان يقال لها دار العذاب، وأخافوا الناس.. وجعلوا يحكون الذهب الرقيق الذى فى رؤوس أساطين المسجد، فيخرج من الأسطوانة بعد التعب الشديد قدر مثقال ذهب أو نحوه، حتى عم ذلك أكثر أساطين المسجد الحرام، وقلعوا الحديد الذى على شبابيك زمزم، ومن خشب الساج، فبيع بالثمن الخسيس[٣٧٩].

نقوش أثرية بمنطقة القصيم فيما بين القرنين الثانى والثالث الهجريين

أسفرت الدراسات والمسوحات الأثرية فى منطقة القصيم عن اكتشاف مجموعة من النقوش الإسلامية المبكرة، عثر عليها منقورة على الواجهات الصخرية للجبال والهضاب الواقعة حول المواقع الأثرية، وبالقرب من طرق الحج الممتدة عبر أراضى المنطقة، وذلك فى موقعين أثريين مهمين: الأول موقع ضرية فى الجزء الغربى من المنطقة، وهو الأكثر ثراءً بالنقوش الإسلامية، أما الموقع الثانى الذى عثر فيه أيضًا على نقوش إسلامية فهو موقع النبهانية جبل الكويفر بالقرب من جنوب غرب بريدة، وتعود تواريخ النقوش الإسلامية المكتشفة حتى الآن فيما بين القرن الثانى والثالث الهجريين[٣٨٠].

وتتناول هذه النقوش موضوعات مختلفة، فمنها ما كتب لطلب المغفرة من الله عز وجل، أو لا ثبات الإيمان به والتوكل عليه، والثقة به، والشهادة بوحدانيته. ومنها ما هو للدعاء فى طلب الجنة، وبعضها يتضمن نصوصًا مقتبسة من آيات قرآنية، وتتميز نقوش المنطقة بأنها كتبت على نمط الخط الغائر على الواجهة الحجرية، وهى تخلو من الاعجام (النقط)، وتتباين فيما بينها فى أسلوب الخط، فبعضها كتب بإتقان ومهارة، وبعضها الآخر كتب على غير ذلك، وتتركز نقوش ضرية الإسلامية على واجهة جبل السناف، ومن أمثلة نقوشه النقش الذى يتكون من ثلاثة أسطر،ويقرأ على النحو التالى:

١ - اللهم أغفر ٢ - لحكيم بن إبراهيم ٣- ذنبه ونور عليه قبره

أما النقش الثانى فيشتمل على سطرين على النحو التالى:

١ - اللهم أغفر ٢- لجحيس بن محمد

أما النقش الثالث فيتكون من سطرين على النحو التالى:

١ - الله إله محمد ٢- بن على ووليه[٣٨١].

أما النقش الرابع فيتكون من سطرين على النحو التالى:

١ - الله ثقة محمد ٢- بن أحمد ووليه

وكتب النقش الخامس من ثلاثة أسطر على النحو التالى:

١ - محمد بن أ. السلم ٢- يشهد أن لا إله إلا الله ٣- وحده

ويتكون النقش السادس من سطرين على النحو التالى:

١ - اللهم أغفر لحسن ٢ - بن أيوب

أما نص النقش السابع فهو ١ - حسن أحمد يتوكل ٢- على الله

ونص النقش الثامن هو :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم ٢ - اللهو اغفر لمحمد ٣- بن حسن ذنبه.

أما النقش التاسع فنصوصه:

١ - وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا ٢- الحزن

إن ربنا لغفور شكور الذى ا

٣- حلنا دار المقامة من فضله لايمسنا ٤ ـ فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب.

أما النقش العاشر فهو من خمسة أسطر على النحو التالى: ١ ـ اللهم إذا ٢ ـ جمعت الأولين والآ ٣ ـ خرين لميقات يوم معلوم ٤ ـ فاجعل يحيى بن ذبيب ٥ ـ من رفقاء محمد فى الجنة.

أما النقش الحادى عشر فقد جاء من ثلاثة أسطر على النحو التالى: ١ - اللهم إن

إبراهيم ٢- بن زياد بك واثق فلا ٣- تخذله، وجاء النص الثانى عشر من سطرين: ١- اللهم اغفر ليحيى ٢- بن ذبيب[٣٨٢].

أما فيما يتعلق بنقوش النبهانية فقد عثر على إحدى الواجهات الصخرية لجبل الكويفر بالقرب من النبهانية الواقعة على مسافة ١٠٧ كم جنوب غربى بريدة، على نقش يتكون من ثلاثة أسطر على النحو التالى: ١- اللهم أغفر لموسى ٢- بن حميد ذنبه كله ٣- وارحم من قال آمين[٣٨٣].

هوامش الفصل الأول

(١) ابن خلكان (أبى العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. يوسف على طويل، د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٨م، مج ٥، ص٢٦٦.

(٢) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، مج٢، ص٣٠٧.، أنظر أيضاً: عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م، ج١، ص ص ٥٦-٥٧.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٤، ص ص ٢٦-٢٩.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٤، ص ٣٩.

(٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار الجيل، بيروت، النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج٢، ص ص ١٤-١٥.

(٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٩٥.

(٧) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٦.

(٨) الكوفة: بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم خد العذراء، قال أبو بكر محمد بن القاسم: سميت الكوفة لاستدارتها.. وقيل: سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم: قد تكوف الرمل.. وقيل: سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد، من قول العرب: قد أعطيت فلانًا كيفة أى قطعة.. قال أبو القاسم: قد ذهبت جماعة إلى أنها سميت كوفة بموضعها من الأرض وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة، وقال آخرون: سميت كوفة لأن جبل ساتيدما يحيط بها كالكفاف عليها، وقال ابن الكلبى: سميت بجبل صغير فى وسطها كان

يقال له كوفان وعليه اختطت مهرة موضعها وكان هذا الجبل مرتفعًا عليها فسميت به، فهذا فى اشتقاقها كافٍ.. وأما تمصيرها وأوليته فكانت فى أيام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه.. وقال ابن عباس: كانت منازل أهل الكوفة قبل أن تبنى أخصاصًا من قصب إذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها فإذا عادوا بنوها فكانوا يغزون ونساؤهم معهم، فلما كان فى أيام المغيرة بن شعبة بنت القبائل باللبن من غير ارتفاع..".
ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ص ٤٩٠ ـ ٤٩١.

(٩) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلى العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلى الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهى كانت قصبتها.. وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحًا.. وذلك فى سنة ٣١ فى أيام عثمان، رضى الله عنه، بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز، وقد اختلفت فى تسميتها بذلك...".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٥٠.

(١٠) تعتمد هذه النظرية على ما ذكر من زواج الحسين رضى الله عنه من شهر بانوه ابنة يزدجرد الثالث آخر ملوك آل ساسان انظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ص ١٧.

(١١) "البصرة: .. البصرة فى كلام العرب الأرض الغليظة، وقال قطرب: البصرة الأرض الغليظة التى فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب.. وقال غيره: البصرة حجارة رخوة فيها بياض، وقال ابن الأعرابى: البصرة حجارة صلاب.. وذكر الشرقى بن القطامى أن المسلمين حين وافوا مكان البصرة.. نظروا إليها من بعيد وأبصروا الحصى عليها فقالوا: إن هذه أرض بصرة، يعنون حصبة، فسميت بذلك.. وقيل الأرض الطيبة الحمراء.. سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة.. وأما النسب إليها.. بصرى، بكسر الباء.. وأما فتحها وتمصيرها.. أن عمر بن الخطاب أراد أن يتخذ المسلمين مصرًا، وكان المسلمون قد غزوا من قبل البحرين توج ونوبندجان وطاسان، فلما فتحوها كتبوا إليه: إنا وجدنا بطاسان مكانًا لا بأس به. فكتب إليهم: إن بينى بينكم دجلة، لا حاجة فى شئ بينى وبينه دجلة أن تتخذوه مصرًا. ثم قدم عليه رجل من بنى سدوس يقال له ثابت، فقال: يا أمير المؤمنين إنى مررت بمكان دون دجلة فيه قصر وفيه مسالح للعجم يقال له

الخريبة ويسمى أيضًا البصيرة.. له خليج يجرى فيه الماء.. فأعجب ذلك عمر".
ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ٤٣٠.

(١٢) جزيرة أقور: .. وهى التى بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات.. بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمدوميا فارقين والموصل وغير ذلك". ياقوت الحموى: معجم مج٢، ص ١٣٤.

(١٣) اشتق هذا اللفظ من حروراء "وحروراء.. يجوز أن يكون مشتقاً من الريح الحرور، وهى الحارة.. قيل: هى قرية بظاهر الكوفة.. نزل به الخوارج الذين خالفوا على بن أبى طالب: رضى الله عنه، فنسبوا إليها".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٢٤٥، حسن إبراهيم حسن: تاريخ، ج٢، ص١٦ هامش١.

(١٤) ذكر حسن إبراهيم حسن العلج حمار الوحش. أنظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ، ج٢، ص١٦ هامش ٢.

(١٥) المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أحمد البشارى) ت حوالى ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(١٦) قال ابن الأثير فى أحداث سنة ١٢٤هـ عند ذكره ابتداء أمر أبى مسلم الخراسانى" "قد اختلف الناس فى أبى مسلم، فقيل: حرًا، واسمه إبراهيم بن عثمان بن بشار بن سدوس بن جود زده، من ولد بزرجمهر، ويكنى [أبا] إسحاق، وولد بأصبهان، ونشأ بالكوفة، وكان أبوه أوصى إلى عيسى بن موسى السراج، فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، فلما اتصل بإبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الإمام قال له: غير اسمك.. فسمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم، ويكنى أبا مسلم.. وزوجه إبراهيم الإمام ابنة عمران بن إسماعيل الطائى المعروف بأبى النجم، وهى بخراسان مع أبيها.. وقيل: أنه من أهل ضياع بنى معقل العجلية بأصبهان أو غيرها من الجبل، وكان اسمه إبراهيم، ويلقب حيكان، وإنما سماه عبد الرحمن، وكناه أبا مسلم إبراهيم الإمام، وكان مع أبى موسى السراج صاحبه يخرز الأعنة

ويعمل السروج، وله [معرفة] بصنعة الأدم والسروج، فكان يحملها إلى أصبهان والجبال والجزيرة والموصل ونصيبين وآمد وغيرها يتجر فيها.. وقيل: أن أبا مسلم كان عبدا.. وقيل: أنه كان لبعض أهل هراة أو بوشنج. ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد أبى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م: الكامل فى التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب المصرى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٤، ص ص ٢٧٧ـ٢٧٩.

(١٧) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٥، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ص ١٦-١٧.

(١٨) مرو: مرو الشاهجان: هذه مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها، نص عليه الحاكم أبو عبد الله فى تاريخ نيسابور مع كونه ألف كتابه فى فضائل نيسابور إلا أنه لم يقدر على دفع فضل هذه المدينة، والنسبة إليها مروزى على غير قياس.. أما لفظ مرو فقد ذكرنا أنه بالعربية الحجارة البيض التى يقتدح بها إلا أن هذا عربى ومرو مازالت عجمية ثم لم أر بها من هذه الحجارة شيئًا البتة، وأما الشاهجان فهى فارسية معناها نفس السلطان لأن الجان هى النفس أو الروح والشاه هو السلطان، سميت بذلك لجلالتها عندهم".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ١١٢ – ١١٣.

(١٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٣، ص١٢٠، حسن إبراهيم حسن: تاريخ، ج٢، ص ص ١٨–٢٠.

(٢٠) الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير) ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م: تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مج٤، ص ص ٣٤٣ـ٣٤٧.، حسن إبراهيم: تاريخ، ج٢، ص ص ٢٠-٢١.

(٢١) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١١٦.، أنظر أيضًا: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ص ٢٩٤ـ٢٩٥.

(٢٢) أورد حسن إبراهيم حسن أن السفاح قيل معناه الرجل الكثير العطايا، وقد أطلق هذا الاسم على بعض شيوخ القبائل فى الجاهلية، ويرجح ما ذهب إليه نيكلسون من أنه سمى بهذا الاسم لقوله فى أول خطاب له "فأنا السفاح المبيح"، وأن هذا

الاسم أو اللقب إنما أطلق وشاع عن أبى العباس بعد هذه الخطبة، لما قام به من سفك دماء بالنسبة للأمويين وغيرهم من الخارجين على الدولة، ولا يبعد أن يكون قصده من عبارة "السفاح" انه يتوعد أهل الكوفة لما أظهروه فى ماضى أيامهم من تغير فى الأهواء والميول، وأن يتوعد غيرهم من أعدائه، ولاسيما الأمويين.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ، ج٢، ص٢٤ هامش١.

(٢٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٤٨.

(٢٤) حمام أعين: ذكره ياقوت الحموى بقوله "حمام أعين: بتشديد الميم: بالكوفة، ذكره فى الأخبار مشهور، منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبى وقاص".

ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص٢٩٩.

(٢٥) أبو سلمة الخلال: ذكره ابن خلكان فقال "أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمدانى، مولى السبيع وزير أبى العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس، وأبو سلمة أول من وقع علية اسم الوزير، وشهر بالوزارة فى دولة بنى العباس ولم يكن من قبله يعرف بهذا النعت.. وأنفق أموالاً كثيرة فى إقامة دولة بنى العباس، وصار إلى خراسان فى هذا المعنى ، وأبو مسلم الخراسانى يومئذ تابع له فى هذا الأمر، وكان يدعو إلى بيعة إبراهيم الإمام أخى السفاح، فلما قتله مروان بن محمد.. بحران وانقلبت الدعوة إلى السفاح، توهموا من أبى سلمة.. أنه مال إلى العلويين ، فلما ولى السفاح واستوزره بقى فى نفسه شئ". ابن خلكان: وفيات، مج٢، ص١٦٧.

(٢٦) واسط: فى عدة مواضع: نبدأ أولاً بواسط الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها.. فأما تسميتها فلأنها متوسطة بين البصرة والكوفة.. لا قول فيه غير ذلك إلا ما ذهب إليه بعض أهل اللغة حكاية عن الكلبى أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمى واسط قصب، فلما عمر الحجاج مدينته سماها باسمها... ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص٣٤٧.

(٢٧) المدائن: .. بالفتح جمع المدينة.. فهى مثل قرينة وقرائن وسفينة وسفائن، والنسبة إليها مدائنى.. أن الإسكندر لما سار فى الأرض ودانت له الأمم وبنى المدن العظام فى المشرق والمغرب رجع إلى المدائن وبنى فيها مدينة وسورها وهى إلى هذا الوقت موجودة الأثر.. قال يزدجرد: أما أنوشروان بن قباذ وكان أجل ملوك فارس.. فإنه بنى المدائن وأقام بها هو ومن كان بعده من ملوك بنى ساسان إلى أيام عمر بن

الخطاب، رضى الله عنه، وقد ذكر فى سير الفرس أن أول من اختط مدينة فى هذا الموضع أردشير بن بابك.. والذى عندى فيه أن هذا الموضع كان مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيرهم فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التى قبلها وسماها باسم.

ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ص ٧٤-٧٥.

(٢٨) الأهواز: آخره زاى، وهى جمع هوز، وأصله حوز، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها جملة لأنه ليس فى كلام الفرس حاء مهملة.. وعلى هذا يكون الأهواز اسمًا غربيًا سمى به فى الإسلام، وكان اسمها فى أيام الفرس خوزستان، وفى خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوزكذا... فالأهواز اسم للكورة بأسرها، وأما البلد الذى يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز.. الأهواز تسمى بالفارسية هرمشير.. وقال صاحب كتاب العين: الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس.. وبها آثار كسروية.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٢٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٣٤٩ - ٣٥٠، أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى والفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ص ٤١ -٤٢.

(٣٠) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٣٥٤، ٣٦٣-٣٦٥.

(٣١) البلاذرى (الإمام أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٨١.

(٣٢) طاهر مظفر العميد: بغداد مدينة المنصور المدورة (رسالة مقدمة إلى جامعة بغداد للحصول على درجة الماجستير)، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص ص ١٠٨-١٠٩.

(٣٣) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨١.

(٣٤) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٣٦٥.

(٣٥) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ٣٨٩.

(٣٦) طاهر العميد: بغداد، ص ١١٠.

(٣٧) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨١.

(٣٨) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٢٥٧.
القت جنس نباتات عشبية، فيه أنواع تزرع وأخرى تنبت برية فى المروج والحقول.
إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٩م، ج٢، ص ٧١٤.
(٣٩) ابن خلكان: وفيات، مج٢، ص١٣١.
(٤٠) ابن خلكان: وفيات، مج٢، ص ٢٤٢.
(٤١) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٨.
(٤٢) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٥٠٩.
(٤٣) ابن خلكان: وفيات، مج٣، ص ص ١٢٦-١٢٧.
(٤٤) أورد ابن دقماق هنا ما يطابق نص ياقوت الحموى. أنظر: ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن يدمر العلائى): الانتصار لواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ق٢، ص٢.
(٤٥) الكندى المصرى (أبى عمر محمد بن يوسف) ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م: تاريخ ولاة مصر ويليه كتاب تسمية قضاتها، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ص٨١ ـ ٨٣.
(٤٦) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل، دار المعارف بمصر، ص ٧٠ ـ ٧١.
(٤٧) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص٨٣.
(٤٨) المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م، ج١، ص٣٠٤.
(٤٩) فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، المجلد الأول، ص ٣٤٨.
(٥٠) ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى دار الآفاق الجديدة، بيروت، ق١، ص ٣٤.
(٥١) المقريزى: الخطط، ج١، ص٣٠٤.
(٥٢) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٥٣) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٤.، إبراهيم العدوى: مصر الإسلامية، وزارة الثقافة، هيئة الآثار، ص ٩٩.

(٥٤) سمرقند: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربية سمران: بلد معروف مشهور قيل: إنه من أبنية ذى القرنين بها وراء النهر، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبى وادى الصغد مرتفعة عليه.. وقال الأزهرى: بناها شمر أبو كرب فسميت شمركنت فأعربت فقيل سمرقند، هكذا تلفظ به العرب فى كلامها وأشعارها.
ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٥٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٣٦٩. أنظر أيضاً: ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٣.

(٥٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٤٦٠.

(٥٧) الصغد: بالضم ثم السكون، وآخره دال مهملة، وقد يقال بالسين مكان الصاد: وهى كورة عجيبة قصبتها سمرقند، وقيل: هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى، وقيل: جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق وصغد سمرقند ونهر الأبلة وشعب بوان، وهى قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بخارى لا تبين القرية حتى تأتيها لالتحاف الأشجار بها، وهى من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار متجاوبة الأطيار.. وقال: منبرها الأجل سمرقند ثم كش ثم نسف ثم كشانية، وقال غيره: قصبة الصغد اشتيخن، وفضلها على سمرقند، وبعضهم يجعل بخارى أيضاً من الصغد، وقال: إن النهر من أصله إلى بخارى يسمى الصغد، ولا يصح هذا، والصغد فى الأصل اسم للوادى والنهر الذى تشرب منه هذه النواحى".
ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص٤٠٩.

(٥٨) بخارى: بالضم: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها يعبر إليها من آمل الشط.. وكانت قاعدة ملك السامانية.. وأما اشتقاقها وسبب تسميتها بهذا الاسم فإنى تطلبته فلم أظفر به، ولاشك أنها مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه.. وليس بها وراء النهر وخراسان بلدة أهلها أحسن قيامًا بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا أكثر عددًا على قدرها فى المساحة، وذلك مخصوص بهذه البلدة لأن متنزهات الدنيا صغد سمرقند ونهر الأبلة".
ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٣٥٣.

(٥٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٦٩.
(٦٠) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٧٠.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٤٤.
ذكر ياقوت "الأملال: آخره لام.. قال: أراد ملل وهو منزل على طريق المدينة من مكة وقد ذكر فى موضعه" ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٢٥٥، مج٥، ص ص ١٩٤-١٩٥.
(٦١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٣٧٤-٣٧٥.
(٦٢) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٩.
(٦٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ص ٢٣-٢٨.
(٦٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ص ٢٨-٢٩.
(٦٥) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨١.
(٦٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ٣٨٩.
(٦٧) برقة: بفتح أوله والقاف: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن.. وأرض برقة أرض خلوقية بحيث ثياب أهلها أبدًا محمرة لذلك، ويحيط بها البرابر من كل جانب.. وفى برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة مثل جوز ولوز وأترج وسفرجل، وفى مدينة برقة قبر رويفع صاحب النبى، صلى الله عليه وسلم، وأهلها يشربون من ماء السماء يجرى فى أودية ويفيض إلى برك بناها لهم الملوك، ولها آبار يرتفق بها الناس، ولها ساحل يقال له أجية، وهى مدينة بها سوق ومنبر وعدة محارس..".
ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٣٨٨-٣٨٩.
(٦٨) الكندى: تاريخ، ص٨٥.
(٦٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٩٢.
(٧٠) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ص١٩٢ -١٩٣.
(٧١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٣٩٢.
(٧٢) أورد ابن جبير عند ذكره المسجد الحرام والبيت العتيق "وللصوامع أيضاً أشكال بديعة، وذلك أنها ارتفعت بمقدار النصف، مركنة من الأربعة جوانب بحجارة رائعة النقش عجيبة الوضع، قد أحاط بها شباك من الخشب الغريب الصنعة، وارتفع عن الشباك عمود فى الهواء كأنه مخروط مختم كله بالآجر تختياً يتداخل

بعضه على بعض بصنعة تستميل الأبصار حسنًا. وفى أعلى ذلك العمود الفحل وقد استدار به أيضًا شباك آخر من الخشب على تلك الصنعة بعينها. وهى متميزة الأشكال كلها لا يشبه بعضها بعضًا. لكنها على هذا المثال المذكور، من كون نصفها الأول مركنًا ونصفها الأعلى عمودًا لا ركن له".

ابن جبير: رحلة ابن جبير (رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ٦٩.

(٧٣) أحمد رجب محمد على: المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ص ٤٩ -٥٠.

(٧٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٩٧.

(٧٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص٨٤.

(٧٦) أنطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة.. وكانت العرب إذا أعجبها شئ نسبته إلى أنطاكية، قال الهيثم بن عدى: أول من بنى أنطاكية انطيخس وهو الملك الثالث بعد الاسكندر، وذكر يحيي.. أن أول من بنى أنطاكية أنطيغونيا.. ولم يتمها فأتمها بعده سلوقوس.. وقال فى موضع آخر من كتابه: بنى الملك انطيغونيا على نهر أورنطس مدينة وسماها أنطيوخيا وهى التى كمل سلوقوس بناءها وزخرفها وسماها على اسم ولده انطيوخوس وهى أنطاكية.. وقيل: إن أول من بناها وسكنها انطاكية بنت الروم.. ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير.. وأنطاكية: بلد عظيم ذو سور وفصيل، وسوره ثلاثمائة وستون برجاً..".

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٧٧) طرسوس: بفتح أوله وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة، بوزن قربوس، كلمة عجمية رومية.. وهى فى الإقليم الرابع، وقالوا: سميت بطرسوس بن الروم.. وقيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان كان خادمًا للرشيد فى سنة نيف وتسعين ومائة، قاله أحمد بن محمد الهمذانى، وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية

وحنب وبلاد الروم.. وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب ويشقها نهر البردان وبها قبر المأمون عبد الله بن الرشيد جاءها غازيًا فأدركته منيته فمات.. ومازالت موطنًا للصالحين والزهاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين ثم لم تزل مع المسلمين فى أحسن حال وخرج منها جماعة من أهل الفضل".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص٢٨.

(٧٨) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ص ١٤٤- ١٤٥.

(٧٩) الكندى: تاريخ، ص ص ٩١-٩٤.

(٨٠) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨١.

(٨١) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص٣٨٩.

(٨٢) الراوندية: أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٤١هـ ما نصه "فمن ذلك خروج الراوندية، وقد قال بعضهم: كان أمر الراوندية وأمر أبى جعفر الذى أنا ذاكره، فى سنة سبع وثلاثين ومائة أو ست وثلاثين ومائة.. والراوندية قوم ـ فيما ذكر عن على بن محمد ـ كانوا من أهل خراسان على رأى أبى مسلم صاحب دعوة بنى هاشم، يقولون ـ فيما زعم ـ بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم فى عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأن الهيثم بن معاوية جبرائيل..".

الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٩٥.، أنظر أيضاً: ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٨٦.

(٨٣) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨٩.

(٨٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٥٧.، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٣٢.

أنظر عن تأسيس بغداد:

Creswell: Ashort Account, pp. 229-230.

(٨٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٥٧.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٣٢.، عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن، (حضارة العراق)، بغداد، ١٩٨٥م، ج٩، ص٢٩.

(٨٦) جرجرايا: بفتح الجيم، وسكون الراء الأولى: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى، كانت مدينة وخربت مع ما خرب من النهروانات، وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكتاب والوزراء، ولها ذكر فى الشعر كثير..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص١٢٣.

(٨٧) الموصل: بالفتح، وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرًا وعظمًا وكثرةٍ وسعة رقعة فهى محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهى باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى اذربيجان، وكثيراً ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر بها، قالوا: وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل بل الملك الذى أحدثها كان يسمى الموصل، وهى مدينة قديمة الأس على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقى نينوى.. كان أول من عظمها وألحقها بالأمصار العظام وجعل لها ديوانًا برأسه ونصب عليها جسراً ونصب طرقاتها وبنى عليها سورًا مروان بن محمد بن مروان..".

ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ٢٢٣.

(٨٨) أرمينية: بكسر أوله ويفتح.. اسم لصقع عظيم واسع فى جهة الشمال، والنسبة إليها أرمنى.. قال أهل السير: سميت أرمينية بأرمنيا بن لنطا.. وقيل: هما أرمينيتان الكبرى والصغرى.. وقيل: ارمينية الكبرى خلاط ونواحيها وإرمينية الصغرى تفليس ونواحيها، وقيل: هى ثلاث أرمينيات، وقيل: أربع.. وبها قبر صفوان بن المعطل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم..".

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ١٥٩-١٦٠.

(٨٩) الرقة: بفتح أوله وثانيه وتشديده، وأصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء، وجمعها رقاق، وقال غيره: الرقاق الأرض اللينة التراب.. وهى مدينة مشهورة على الفرات.. معدودة فى بلاد الجزيرة".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٥٨-٥٩.

(٩٠) الصراة: بالفتح.. وهما نهران ببغداد: الصراة الكبرى والصراة الصغرى، ولا أعرف انا إلا واحدة وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة.. المحول بينها وبين بغداد فرسخ ويسقى ضياع بادوريا ويتفرع منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد فيمر بقنطرة العباس..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ٣٩٩.

(٩١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٥٧.، أنظر أيضاً: طاهر العميد: بغداد، ص ص ١١٨ -١٣٤.، بشير فرنسيس: بغداد تاريخها وآثارها، مطبعة الرابطة، بغداد، ط١، ١٩٥٩م، ص ص ٥-٦.، صالح أحمد العلى: بغداد مدينة السلام، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٨٥م، مج١، ص٢٦.

(٩٢) "الساباط: سقيفة بين حائطين تحتها ممر نافذ": إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص٤١٣.

Ministry of information: Baghdad, Republic of Iraq, Baghdad, 1972, pp. 3 – 4.

(٩٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٥٧.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٣٢.، ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٩٤) بارما: بكسر الراء، وتشديد الميم: جبل بين تكريت والموصل، وهو الذى يعرف بجبل حمزين، يزعمون أنه محيط بالدنيا، قال أبو زيد: وجبل بارما تشقه دجلة عند السن، والسن فى شرقى دجلة، فتجرى بحافتيه وفى الماء منه عيون للقار والنفط. وجبل بارما يمتد على وسط الجزيرة مما يلى المغرب والمشرق حتى يتصل بكرمان، وهو جبل ما سندان. وبارما أيضاً: قرية فى شرقى دجلة الموصل وإليها نسب السن فيقال: سن بارما".

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٣٢٠.

(٩٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٤٥٧-٤٥٨.، ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٤٥٧-٤٥٨.

(٩٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٨.

(٩٧) رحا البطريق: ببغداد على الصراة، حدث أبو زكرياء، ولا أعرفه، قال: دخلت على أبى العباس الفضل بن الربيع يومًا فوجدت يعقوب بن المهدى عن يمينه ومنصور بن المهدى عن يساره.. فسلمت فأومأ بيده إلى بالإنصراف.. فخرجت فردنى أبو حيلة فدخلت فإذا عيسى بن موسى كاتبه قاعد فجلسنا حتى حضر الغداء.. فلما أكلنا جاؤوا بأطباق الفاكهة.. فأخذ الفضل منه رطبة فناولها ليعقوب بن المهدى وقال له: إن هذا من بستان أبى الذى وهبه له المنصور، فقال له يعقوب: رحم الله

أباك فإني ذكرته أمس وقد اجتزت على الصراة برحا البطريق فإذا أحسن موضع فإذا الدور من تحتها والسوق من فوقها وماء غزير حاد الجرية..".
ياقوت الحموي: معجم، مج٣، ص ٣١.

(٩٨) المخرم: هو اسم رجل: وهو كثير التخريم، وهو نفاذ الشئ إلى شئ آخر، بضم أوله.. وهي محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها كانت الدار التى يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية خلف الجامع المعروف بجامع السلطان، خربها الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد.. في سنة ٥٨٧، وكانت هذه المحلة بين الزاهر والرصافة".
ياقوت الحموي: معجم، مج٥، ص٧١ .

(٩٩) العتيقة: بفتح أوله.. لفظ ضد الجديد، محلة ببغداد في الجانب الغربي ما بين طاق الحراني إلى باب الشعير وما اتصل به من شاطئ دجلة، وسميت العتيقة لأنها كانت قبل عمارة بغداد قرية يقال لها سونايا.. وكانت منازل هذه القرية في مكان هذه المحلة وما حولها كان مزارع وبساتين.
ياقوت الحموي: معجم، مج٤، ص ص ٨٣-٨٤.

(١٠٠) الطبري: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٨، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٣٣.
قال الطبري "فأحضره وشاوره، وساءله ـ فهو الدهقان الذى قريته قائمة إلى اليوم في المربعة المعروفة بأبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي، وقباب القرية قائم بناؤها إلى اليوم، وداره ثابتة على حالها ـ فقال: يا أمير المؤمنين، سألتني عن هذه الأمكنة وطيبها وما يختار منها، فالذى أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طساسيج في الجانب الغربي طسوجين وهما قطربل وبادوريا، وفي الجانب الشرقي طسوجين وهما نهر بوق وكلوازى، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء، فإن أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الآخر العمارات، وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة، تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات، وتجيئك طرائف مصر والشأم وما اتصل بها في تأمرا حتى تصل إلى الذاب، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة، وأنت بين أنهار لا يصل اليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل اليك عدوك، وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب إلا احتاج إلى العبور، وأنت متوسط

للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله، وأنت قريب من البر والبحر والجبل".
الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٨.، أنظر أيضًا: ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٥٨.
ونهر بوق ذكره ياقوت "طسوج من سواد بغداد قرب كلوازى" أنظر: ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ٣١٨، أما كلوا ذى فهو "طسوج قرب مدينة السلام بغداد وناحية الجانب الشرقى من بغداد من جانبها وناحية الجانب الغربى من نهر بوق"
ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ٤٧٧، أما قطر بل فهو "بالضم.. اسم قرية بين بغداد وعكبرا.. وقيل: هو اسم الطسوج من طساسيج بغداد أى كورة، فما كان من شرقى السراة فهو بادوريا وما كان من غربيها فهو قطر بل"
ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ٣٧١، أما بادوريا فهو "طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربى من بغداد"، أنظر ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٣١٧.

(١٠١) طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٣٥-١٤٣.، خالص الأشعب: مدينة بغداد، دار الجاحظ، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ص ص ٥-٢٦.
(١٠٢) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨٩. Creswell: Ashort Account, pp. 230-231
(١٠٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٧.
(١٠٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٩.
(١٠٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٩.
(١٠٦) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٥٨.
(١٠٧) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٤٥٧.
(١٠٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٤٥٩-٤٦٠.
(١٠٩) طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٨٣-١٨٥.
(١١٠) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨٩.
(١١١) اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب، (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): كتاب البلدان، السلسلة الجغرافية (٦)، دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ص ٧-٩.

(١١٢) طاهر العميد: بغداد، ص١٤٩.، مكسمليان شتريك: خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، دراسة خططية تاريخية، ترجمة خالد إسماعيل على، المجمع العلمى العراقى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٨٤.

(١١٣) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١١٩.

(١١٤) زوراء: تأنيث الأزور، وهو المائل، والأزورار عن الشئ: العدول عنه والانحراف، ومنه سميت القدس الزوراء لميلها، وبه سميت دجلة بغداد الزوراء.. قال الأزهرى: ومدينة الزوراء ببغداد فى الجانب الشرقى، سميت الزوراء لا زورار فى قبلتها، وقال غيره: الزوراء مدينة أبى جعفر المنصور، وهى فى الجانب الغربى، وهو أصح مما ذهب إليه الأزهرى بإجماع أهل السير، قالوا: إنما سميت الزوراء لأنه لما عمرها جعل الأبواب الداخلة مزورة عن الأبواب الخارجة أى ليست على سمتها..".
ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ١٥٥ - ١٥٦.

(١١٥) قال ياقوت "مدينة بغداد طولها خمس وسبعون درجة وعرضها اربع وثلاثون درجة داخلة فى الإقليم الرابع، وقال أبو عون وغيره: إنها فى الإقليم الثالث.. قلت أنا: ولاشك أن بغداد أحدثت بعد بطليموس بأكثر من ألف سنة.. وقال صاحب الزيج طول بغداد سبعون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلث، وتعديل نهارها ست عشرة درجة وثلثا درجة، وأطول نهارها أربع عشرة ساعة وخمس دقائق، وغاية ارتفاع الشمس بها ثمانون درجة وثلث، وظل الظهر بها درجتان، وظل العصر أربع عشرة درجة، وسمت القبلة ثلاثة عشرة درجة ونصف، وجهها عن مكة مائة وسبع عشرة درجة، فى الوجود ثلاثمائة درجة".
ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٤٥٦-٤٥٧.

(١١٦) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ المكتبة السلفية، المدينة المنورة، جـ١، ص ص ٦١ - ٦٢.، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ص ١٣٢ - ١٣٣.

(١١٧) طاهر العميد: بغداد ص ص ١٦٠ - ١٦٢. أحمد مختار العبادى، فى التارخ العباسى، ص٥٥.

(١١٨) اليعقوبى: البلدان، ص١١ .، أورد الخطيب البغدادى عن مساحة بغداد "أخبرنا أبو عمر الحسن بن عثمان.. قال أنبأنا جعفر بن محمد بن أحمد .. قال حدثنى أبو الفضل العباسى.. قال سمعت أحمد.. يقول: مدينة أبى جعفر ثلاثون ومائة جريب، خنادقها وسورها ثلاثون جريباً، وانفق عليها ثمانية عشر ألف ألف، وبنيت فى سنة خمس وأربعين ومائة. وقال أبو الفضل حدثنى أبو الطيب.. قال قال لى خالى، وكان قيم بدر – قال لنا بدر غلام المعتضد: قال أمير المؤمنين أنظروا كم هى مدينة أبى جعفر؟ فنظرنا وحسبنا فإذا هى ميلين مكسر فى ميلين .". الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١، ص٦٩.

(١١٩) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد للنشر الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ص٢٧٥.

(١٢٠) اختلف الرواة حول مساحة بغداد، حيث أن هناك ست روايات أوردها الخطيب البغدادى مزيد من التفاصيل أنظر: طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٦٣ – ١٦٥.، أورد شريف يوسف إن اسحق الأزدى ذكر أنه من كل باب إلى الباب الآخر ميل فإذا اعتبرنا الميل مساويًا أربعة آلاف ذراع سوداء. وكان طول محيط المدينة ١٦٠٠٠ ذراعًا، أى حوالى ٧٨٩٣م، وطول قطر المدينة ٥٠٩٣ ذراعًا، أى ٢٥١٢ م، فالمساحة الكلية للمدينة ٢٠٣٦٨٠٠٠ ذراعًا مربعًا وهذا يساوى ٤٩٥٦٧٥٦ م، وهى تساوى ٩٥و٤ كيلو مترًا مربعًا، وقد اعتمد على هذه المقاييس هرتزفلد وكريزويل واتخذاها أساسًا لتخطيط المدينة، وكانت الأبعاد التى ذكرها كل من الخطيب البغدادى وابن الجوزى وياقوت الحموى كما يلى: قطر المدينة ٥٢٨٣ ذراعًا، أى ٢٦١٥م، وطول المحيط ١٦٥٩٧ ذراعًا، أى ٨١٣٢م، المساحة ٢٣٨ ٢١٩١٦ ذراعًا، أى ٥٣١٤٢٦٢ مترًا مربعًا، ومن هنا نلاحظ وجود فروق كبيرة فى قياس الأبعاد ولا يمكن الوصول إلى الحقيقة إلا من خلال الحفائر على الرغم من زوال معالم السور: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٢٧٥.

(١٢١) اليعقوبى: البلدان، ص١١.

(١٢٢) اليعقوبى: البلدان، ص ص ١٤– ١٥.

(١٢٣) اليعقوبى: البلدان، ص١١ .، طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٦٦ – ١٧١.

(١٢٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٥٩.

(١٢٥) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٤٥٨.
(١٢٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٥٤٢ – ٥٤٣.
أنظر عن وصف مدينة بغداد:

Creswell: Ashort Account, pp. 230-235.

(١٢٧) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، ص٧٣.
(١٢٨) الأزج: بناء مستطيل مقوس السقف. أنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ١، ص١٥.
(١٢٩) الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، ص ص ٧٤ – ٧٥.
(١٣٠) اليعقوبى: البلدان، ص ص ١١ – ١٢.
(١٣١) اليعقوبى: البلدان، ص ص ١٢ – ١٣.
(١٣٢) الخطيب البغدادى: تاريخ، ص٧٣.
(١٣٣) الخطيب البغدادى: تاريخ، ص٧٣.
(١٣٤) الخطيب البغدادى: تاريخ، ص٧٣.
(١٣٥) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م، جـ١، ص ص ٢٨ – ٣٨، Creswell: Ashort Account,pp.337-338.
(١٣٦) اليعقوبى: البلدان، ص١٣.
(١٣٧) اليعقوبى: البلدان، ص١٣.
(١٣٨) اليعقوبى: البلدان، ص ص ١٣ – ١٤.
(١٣٩) اليعقوبى: البلدان، ص١٣.
(١٤٠) الخطيب البغدادى: تاريخ، ص٧٣.
(١٤١) طاهر العميد: القصور (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ١٥٠ – ١٥١.
(١٤٢) عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ٣٠ – ٣١.
(١٤٣) طاهر العميد: القصور (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ١٥٠ – ١٥١.
(١٤٤) طاهر العميد: القصور (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ١٥١ – ١٥٢.
(١٤٥) اليعقوبى: البلدان، ص١٣.

(١٤٦)عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن (حضارة العراق)، جـ٩، ص ٣٢.
(١٤٧)أحمد فكرى: مساجد القاهرة، المدخل، ص ص ٢٣١ - ٢٣٤.
(١٤٨) طاهر العميد: بغداد، ص٢٧٦.، أنظر عن المنارة: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٢٨١.
(١٤٩) طاهر العميد: بغداد، ص ص ٢٧٩ - ٢٨٠، Creswell: Ashort Account,pp.240 - 241.
(١٥٠) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٢٨١ - ٢٨٢.
(١٥١) أحمد فكرى: مساجد، المدخل، ص٣٤، هامش١.
(١٥٢) عيسى سلمان: تخطيط المدن (حضارة العراق)، جـ٩، ص٣٢.
(١٥٣) طاهر العميد: بغداد، ص٢٨١.
(١٥٤) طاهر العميد: بغداد، ص ص ٢٨١ - ٢٩٩.
(١٥٥) طاهر العميد: بغداد، ص ص ٢٩٩ - ٣٠١، ٣٠٢ - ٣٠٧.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٢٨٢ - ٢٨٤.
(١٥٦) عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ٣٦ - ٣٧.
(١٥٧) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ص ٤٠٥-٤٠٦.
(١٥٨) ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ٣٩٩.
(١٥٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٣٥.
(١٦٠) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٨٣.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٤٩.
(١٦١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٩٤.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٦٠.
(١٦٢) البلاذرى: فتوح، ص٢٨٩.

الرى: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، فإن كان عربيًا فأصله من رويت على الراوية أروى.. وهى مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات وهى محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال.. قال العمرانى: الرى بلد بناه فيروز بن يزدجرد وسماه رام فيروز، ثم ذكر الرى المشهورة بعدها وجعلهما بلدتين. فأما الرى المشهورة فإنى رأيتها، وهى مدينة عجيبة الحسن مبنية بالآجر المنمق المحكم اللمع بالزرقة. وإلى جانبها جبل مشرف عليها.. وكانت مدينة عظيمة خرب أكثرها.. وكان أهل المدينة ثلاث طوائف: شافعية وهم الأقل، وحنفية وهم الأكثر، وشيعه وهم السواد الأعظم.. وقد حكى الأصطخرى أنها

كانت أكبر من أصبهان لأنه قال: وليس بالجبال بعد الري أكبر من أصبهان..". يا قوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ص ١١٦-١١٧

(١٦٣) اليعقوبى: البلدان، ص ص ٢٢ - ٢٣.

(١٦٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٠.

(١٦٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٠.

(١٦٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٥٠٠ - ٥٠١.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ص ١٧١ - ١٧٣.

(١٦٧)أورد ياقوت ".. وقال ابن طاهر: أبو بكر محمد بن عبد الله يعرف بقاضي العسكر وهو عسكر المهدى كان يتولى القضاء فيه، هذا أحد أصحاب الرأى، وهو ممن اشتهر بالاعتزال وكان يعد فى عقلاء الرجال".

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص١٢٤.

(١٦٨) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص٤٦.

أورد ياقوت ".. ويلصقها محلة أبى حنيفة الإمام وبها قبره، وهناك محلة وسويق ويلاصقها دار الروم لم يبق شيء غير هذا، وفى هذه الرصافة يقول على بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

.. وحدث جماعة من أهل هذه الرصافة.. وبرصافة بغداد مقابر جماعة الخلفاء من بنى العباس وعليهم تربة عظيمة بعمارة هائلة المنظر عليها هيبة وجلالة إذا رآها الرائى خشع قلبه، وعليها وقوف وخدم مرتبون للنظر فى مصالحها، وبها من الخلفاء الراضى بن المقتدر، وهو فى قبة مفردة فى ظاهر سور الرصافة وحده، وفى التربة قبر المستكفى والمطيع والطائع والقادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمقتضى والمستنجد، وأما المستضيء فعليه تربة مفردة فى ظاهر محلة قصر عيسى بالجانب الغربى من بغداد معروفة، وقبر المعتضد والمكتفى والقاهر أبنية بدار طاهر بن الحسين وبها الملتقى أيضاً".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٤٦ - ٤٧.

والرصافة لغة كما أورد ياقوت "بضم أوله، مشهور إن لم يكن اشتقاقه من الرصف وهم ضم الشيء إلى الشيء كما يرصف البناء فلا أدرى ما اشتقاقه"

(١٦٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٧١.

(١٧٠) عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن، (حضارة العراق)، جـ٩، ص٣٧.

(١٧١) طاهر العميد: القصور، (حضارة العراق)، جـ٩، ص١٥٣.

(١٧٢) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ١٧٢ - ١٧٣.

(١٧٣)عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن (حضارة العراق) جـ٩، ص ص ٣٧ – ٣٨.، طاهر العميد: القصور (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ١٥٣ - ١٥٤.

(١٧٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٦٨.

(١٧٥) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٢١.

(١٧٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٤.

(١٧٧) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٤.

القلنسوة: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال جمعها قلانس، وقلانيس، وقلاس، وقلاسى". المعجم الوسيط، ص٧٥٤.

(١٧٨) البلاذرى: فتوح، ص٢٩١.، ابن خرداذبة (أبى القاسم عبد الله بن عبد الله) ت حوالى ٣٠٠هـ: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص٧٣.

(١٧٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٦.

(١٨٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٨٢.

(١٨١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٧.

(١٨٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٨٤.

(١٨٣) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٣٠٥ – ٣٠٦.، أحمد عبد الرازق أحمد: العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى، القاهرة، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م، ص ص ٢٣ - ٢٤.

أنظر عن الرقة وقصورها:

Creswell: Ashort Account, pp 243-248, 270-275.

(١٨٤) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص١٥.

(١٨٥) كمال الدين سامح: العمارة فى صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ص ٦٤ – ٦٥.

(١٨٦) أحمد عبد الرزاق: العمارة الإسلامية، ص ص ٢٧ - ٢٨.

(١٨٧) نص التجديد من ثمانية أسطر على النحو التالى "بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر

مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاه – ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين هذه البنية المباركة وتجديدها – وهى إحدى عشرة قنطرة وأركانها والجمالون.. الانفاق عليها من مال عبد الله الفقير – إلى رحمة الخاضع لهيبته المعضد بقوته المجاهد فى سبيله المرابط لأعداء دينه الملك العادل العالم الغازى – الزاهد المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور نور الدين (ركن الإسلام) والمسلمين محى العدل فى العالمين – منصف المظلومين من الظالمين نصير الحق بالبراهين قاهر المشركين قامع الملحدين قاتل الكفرة والمشركين ـ أبو القاسم محمود بن أتابك زنكى من آق سنقر ناصر أمير المؤمنين تقبل الله أعماله وبلغه أماله وختم بالصالحات ـ وأقواله وأفعاله فى شهور سنة إحدى وستين وخمسمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله. أحمد فكرى: المدخل، ص٣٥.، أحمد عبد الرزاق: العمارة الإسلامية، ص ص ٢٩ – ٣٠.

(١٨٨) أحمد فكرى: المدخل، ص٢٣٥.، أحمد عبد الرزاق: العمارة، ص٢٨.، Creswell Ashort, p. 247.

(١٨٩) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

(١٩٠) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٧.

(١٩١) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٨٤.

(١٩٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥١١، أنظر عن قصر الخلد: شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص٢٨٨.

(١٩٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٩٠.

كان بإزاء قصر الخلد دار سكنى البرامكة فى الجانب الغربى من بغداد، وكانت للبرامكة عدة قصور بالجانب الشرقى، وشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك قصراً بالرصافة فى جوار الشماسية، وكان للفضل بن يحيى القصر الذى فى سويقة خالد بباب الشماسية واسمه قصر الطين، وقد خرب ولا يعرف له موضع.

شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٢٩٠ – ٢٩١.

(١٩٤) طاهر العميد: القصور (حضارة العراق)، جـ٩، ص١٥٢.

(١٩٥) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

(١٩٦) البلاذرى: فتوح، ص٢٨٩.

(١٩٧) اليعقوبي: البلدان، ص١٨.
(١٩٨) الطبرى تاريخ، مج٤، ص٥١١.
(١٩٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٩٠.
(٢٠٠) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٤٤٨.
(٢٠١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥١٤.
(٢٠٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥١٥.
(٢٠٣) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٣٥٤.
(٢٠٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥١٧.
(٢٠٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٤٠.
(٢٠٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٥٤٢ – ٥٤٦.
(٢٠٧) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٣٦١، مج ٥، ص ٣٢٠
(٢٠٨) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٣٥٤.
النجف: بالتحريك.. وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع ميل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها.. وبالقرب من هذا الموقع قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وقد ذكرته الشعراء فى أشعارها فأكثرت..".
ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٥، ص ٢٧١.
(٢٠٩) شريف يوسف: تاريخ فن، ص٢٨٩.
(٢١٠) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص ص٢٩ – ٣٧.
(٢١١) سيس: ذكرها ياقوت الحموى سيسية، فقد أورد ما نصه "سيسية: وعامة أهلها يقولون سيسية: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة وبها مسكن ابن ليون سلطان تلك الناحية الأرمنى. قال الواقدى: جلا أهل سيسة ولحقوا بأعالى الروم فى سنة ٩٤ أو ٩٣".
ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٢٩٧ – ٢٩٨.
(٢١٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ، جـ٢، ص ص ٣٨ – ٣٩.
(٢١٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٤٨.
(٢١٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢١٣.
(٢١٥) سجستان: بكسر أوله وثانيه.. وهى ناحية كبيرة وولاية واسعة، ذهب بعضهم إلى

أن سجستان اسم للناحية وأن اسم مدينتها زرنج.. وهى جنوبى هراة، وأرضها كلها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبداً.. قال الاصطخري: أرض سجستان سبخة ورمال حارة، بها نخيل، ولا يقع بها الثلج، وهى أرض سهلة لا يرى فيها جبل.. وبسجستان نخل كثير وتمر، وفى رجالهم عظم خلق وجلادة ويمشون فى أسواقهم وبأيديهم سيوف مشهورة، ويعتمون بثلاث عمائم وأربع كل واحدة لون ما بين أحمر وأصفر وأخضر وأبيض وغير ذلك من الألوان.. وهم فرس وليس بينهم من المذاهب غير الحنفية من الفقهاء إلا قليل نادر".
ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص١٩٠.

(٢١٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢١٣.

(٢١٧) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٤٨.

(٢١٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٥١.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢١٣.

(٢١٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٥٨، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢٢٠) ابن الأثير: الكامل، مج٥، ص ٢١٦.

(٢٢١) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢٢٢) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢٢٣) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ص ١٥٠ - ١٥٤.

(٢٢٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٥٦٠ - ٥٦١.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٢٦.

(٢٢٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٦١.

(٢٢٦) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢٢٧) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٦١.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٢٦.

(٢٢٨) طاهر العميد: الأخيضر ومظاهره العسكرية، العمارة العسكرية (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، ص٢٩٢.

كربلاء: بالمد: وهو الموضع الذى قتل فيه الحسين بن على، رضى الله عنه، فى طرف البرية عند الكوفة، فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة فى القدمين، يقال: جاء يمشى

مكربلاً، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك، ويقال: كربلت الحنطة إذا هذبتها ونقيتها.. فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والدغل فسميت بذلك".
ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ص ٤٤٥.

(٢٢٩) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا، منهما يجلب العشب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جداً، وهى على طرف البرية، وهى قديمة افتتحها المسلمون فى أيام أبى بكر على يد خالد بن الوليد فى سنة ١٢ للهجرة، وكان فتحها عنوة..".
ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص١٧٦.

(٢٣٠) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق (قصور ومشاهد)، جـ٢، ص١٦.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة، ص٣٠٣.
يذكر شريف يوسف أنه ثبت أن قصر الأخيضر بحدوده المؤشرة فى المخططة الجوية يعود لها أو من زمنها أو أنه شيد بعدها بقليل حينما ازدهرت المنطقة، لأن قصر الأخيضر لا يمكن أن يقوم وحده فى هذه المنطقة إلا وحوله مرافق سكن كثيرة تتبع له أو يتبع لها، وبعد هذا الاكتشاف الأثرى الواضح يرى المؤرخون أن لابد من إجراء مزيد من الحفائر الأثرية الواسعة فى منطقة الأخيضر، وبغير هذه الحفائر لا يمكن البت فى تاريخ الأخيضر على الوجه الدقيق.
شريف يوسف: تاريخ فن، ص٣٠٣.

(٢٣١) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة، ص ص ٣٠١ - ٣٠٣.

(٢٣٢) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ٢، ص ص ١٦ - ١٧.

(٢٣٣) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ٢٢٦.، طاهر العميد: الأخيضر ومظاهره العسكرية، العمارة العسكرية، (حضارة العراق)، جـ٩، ص٢٠٧.

(٢٣٤) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص١٧.

(٢٣٥) طاهر العميد: الأخيضر ومظاهره العسكرية، (حضارة العراق)، جـ٩، ص ٢٠٨.

(٢٣٦) شريف يوسف: تاريخ فن، ص٢٩٤.

(٢٣٧) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ٢، ص٢٢.

(٢٣٨) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص٢٢.، شريف يوسف: تاريخ فن، ص٢٩٤.

Cresweel: Ashort Account, p.250.

(٢٣٩) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص٢٣.

(٢٤٠) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص٢٣.

(٢٤١) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص٣٤.

(٢٤٢) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص ص ٣٧ - ٣٩.

(٢٤٣) أحمد فكرى: المدخل، ص٢٣٤.، عيسى سلمان وآخرون، العمارات، جـ١، ص ١٠٥.

(٢٤٤) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ١٠٥ - ١٠٨.

(٢٤٥) عيسى سلمان: العمارات العربية، جـ٢، ص٣٩.

(٢٤٦) شريف يوسف: تاريخ فن، ص٣٠٤.

(٢٤٧) عيسى سلمان: العمارات، جـ٢، ص ص ٣٩ - ٤٣.

(٢٤٨) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢٤٩) شريف يوسف: تاريخ فن، ص٣٠٥.

(٢٥٠) عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ٣٩-٤٣.

(٢٥١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٦٤، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٢٩، أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٦٨هـ "وفيها ولى المهدى على بن يقطين ديوان زمام الأزمة على عمر بن بزيع.. ولم يكن لبنى أمية دواوين أزمة"، الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٨٢، أنظر أيضًا: حسن إبراهيم حسن: تاريخ، جـ ٢، ص ٢١٨.

(٢٥٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٦٤، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٢٩.

(٢٥٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٦٤، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٢٩.

(٢٥٤) ياقوت الحموى: معجم، مج٢، صص٢٢٧ـ٢٢٨.

(٢٥٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٧٠، أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٢٩٠.

(٢٥٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، صص١٧٢ـ١٧٣.

(٢٥٧) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص١٠٠.

(٢٥٨) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة القصيم، ص١٤٧.

(٢٥٩) الطبرى: تاريخ، مج ٤، ص ٥٧٨.

(٢٦٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٤١.

(٢٦١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٧٨، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٤٤.

(٢٦٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٨٠.

(٢٦٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٨٠، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٤٧.

(٢٦٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٥٨٠ـ٥٨١.

(٢٦٥) ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص٢٤٨.

(٢٦٦) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص٦١.

(٢٦٧) ابن جبير: رحلة، ص ص ٧٦ـ٧٧.

(٢٦٨) ابن جبير: رحلة، ص٧٧.

(٢٦٩) ابن جبير: رحلة، ص٧٧.

(٢٧٠) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ص ١١٠ـ١١١.

(٢٧١) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ص ١١١ـ١١٤.

(٢٧٢) أحمد رجب محمد على: المسجد الحرام، ص٥٢.

(٢٧٣) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص٥٢.

(٢٧٤) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص ص ٥٢ـ٥٣.

(٢٧٥) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص ص ٥٣ـ٥٤.

(٢٧٦) أحمد رجب، المسجد الحرام، ص ص ٥٤ـ٥٥.

(٢٧٧) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص ص ٥٥ـ٥٦.

(٢٧٨) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص٥٦.

(٢٧٩) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص ص ٥٦_٥٧.
(٢٨٠) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص٥٧.
(٢٨١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٨١.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٤٨.
(٢٨٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٨٢.
(٢٨٣) اليمامة: منقول عن اسم طائر يقال له اليمام واحدته يمامة، وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه سنة ١٢ للهجرة.. وهى معدودة من نجد وقاعدتها حجر. وتسمى اليمامة جوًا والعروض. بفتح العين، وكان اسمها قديمًا جوًا فميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم".
ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ٤٤١_٤٤٢.
(٢٨٤) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة الرياض (سلسلة آثار المملكة العربية السعودية)، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص ص ٥٦_٥٧.
(٢٨٥) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ص ١٠٥_١٠٦
(٢٨٦) جرجان: بالضم ، وآخره نون.. مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه، وقيل: إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، قال الاصطخرى: أما جرجان فإنها أكبر مدينة بنواحيها.. وهى قطعتان: إحداهما المدينة والأخرى بكراباذ، وبينهما نهر كبير، ويرتفع منها الإبريسم وثياب الإبريسم ما يحمل إلى جميع الآفاق.. وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنًا من جرجان على مقدارها.. وقد خرج منها رجال كثيرون موصوفون بالستر والسخاء، منهم: البرمكى صاحب المأمون،ونقودهم نقود طبرستان الدنانير والدراهم.. وقال مسعر.. وجرجان مدينة حسنة على واد عظيم فى ثغور بلدان السهل والجبل والبر والبحر".
ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص ١١٩_١٢٠.
(٢٨٧) طبرستان: بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء، قد ذكرنا معنى الطبر قبله، واستان: الموضع أو الناحية، كأنه يقول: ناحية الطبر.. وهى بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه.

والغالب على هذه النواحى الجبال، فمن أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل، وهى قصبتها، وسارية، وهى مثلها، وشالوس وهى مقاربة لها، وربما عدت جرجان من خراسان إلى غير ذلك من البلدان، وطبرستان فى البلاد المعروفة بما زندران.. وهى بين الرى وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل، رأيت أطرافها وعاينت جبالها، وهى كثيرة المياه متهدلة الأشجار كثيرة الفواكه.. جاء الإسلام وفتحت المدن المتصلة بطبرستان.. فلما ولى السفاح وجه إليهم عاملًا فصالحوه على مال ثم غدروا وقتلوا المسلمين، وذلك فى خلافة المنصور..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ١٣ـ١٥.

(٢٨٨) ما سبذان: بفتح السين والباء الموحدة، والذال معجمة، وآخره نون، وأصله ماه سبذان مضاف إلى اسم القمر.. قال مسعر.. وخرجنا من مرج القلعة إلى الطزر نعطف منها يمنة إلى ما سبذان ومهرجان قذق وهى مدن عدة، منها: أريوجان.. ومن هذه المدينة إلى الرذ، بالراء، عدة فراسخ، وبها قبر المهدى وليس له أثر إلا بناء قد تعفت رسومه ولم يبق منه إلا الآثار".

ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص٤١.

(٢٨٩) الطبرى: تاريخ مج٤، ص ص ٥٨٣ـ٥٩٣، ٥٩٥.

(٢٩٠) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص ص ٣٩ـ٤١.

(٢٩١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٤١.

(٢٩٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٩٥.

(٢٩٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٠٤، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٦٧.

(٢٩٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦١٧.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٧٣.

(٢٩٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٤٥.

(٢٩٦) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة عسير، ص٧٨.

(٢٩٧) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة عسير، ص ص ١٠٨ـ١٠٩.

(٢٩٨) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة عسير، ص١١١.

(٢٩٩) أبهر: بالفتح ثم السكون وفتح الهاء وراء: يجوز أن يكون أصله فى اللغة من الأبهر، وهو عجس القوس، أو من البهر وهو الغلبة.. وأبهر، أيضًا، مدينة مشهورة

بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحى الجبل، والعجم يسمونها أوهر.. وأما فتحها، فإنه لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة، وجرير بن عبدالله البجلى همذان، والبراء بن عازب الرى، فى سنة أربع وعشرين فى أيام عثمان بن عفان، رضى الله عنه، وضم إليه جيشًا، فغزا أبهر، فسار البراء، ومعه حنظلة بن زيد.. حتى نزل على أبهر، فأقام على حصنها، وهو حصن منيع.. وينسب إليها كثير من العلماء والفقهاء المالكية وكانوا على رأى مالك بن أنس.. وأبهر أيضًا: بليدة من نواحى أصبهان ينسب إليها آخرون..".

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٨٢_٨٣.

(٣٠٠) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٢٤٣_٢٤٤.

(٣٠١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص ص ٤٥_٤٦.

(٣٠٢) قنسرين: بكسر أوله.. فى جبلها مشهد يقال إنه قبر صالح النبى عليه السلام.. وكان فتح قنسرين على يد أبى عبيدة بن الجراح، رضى الله عنه، فى سنة ١٧،وكانت حمص وقنسرين شيئًا واحدًا.. وقال أبو المنذر: سميت قنسرين لأن ميسرة بن مسروق العيسى مر عليها فلما نظر إليها قال: ما هذه؟ فسميت له بالرومية، فقال: والله لكأنها قن نسر، فسميت قنسرين..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٤٠٣.

(٣٠٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٠.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٧٥.

(٣٠٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٠.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٧٥.

(٣٠٥) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٢٨.

(٣٠٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٢.

(٣٠٧) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص١٠١.

(٣٠٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٥.

(٣٠٩) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٣٢١.

(٣١٠) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٣٢٧.

(٣١١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٥.

(٣١٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٦.

(٣١٣) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص١٠٨.

(٣١٤) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ٦٩ـ٧٠.
(٣١٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٣٦.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣٠٣.
(٣١٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٣٧.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣٠٧.
(٣١٧) المعجم الوسيط، ص٣٢٣.
(٣١٨) سورة آل عمران، الآية (٢٠٠).
(٣١٩) سورة الأنفال، الآية (٦٠).
(٣٢٠) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ص ١٦٩ـ١٧٠.
(٣٢١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٤.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣٠٢.
(٣٢٢) البكرى: المسالك، جـ٢، ص٦٩٢.
(٣٢٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص٣٠٢.
(٣٢٤) المهدية: بالفتح ثم السكون.. وهذه المدينة بإفريقية منسوبة إلى المهدى.. والثياب السوسية المهدوية إليها تنسب، وقد اختطها المهدى، واختلف فى نسبه.. وهى على ساحل بحر الروم داخلة فيه ككف على زند، عليها سور عالٍ محكم كأعظم ما يكون يمشى عليه فارسان، عليها باب من حديد مصمت مصراع واحد تأنق المهدى فى عمله".
ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ص ٢٢٩ـ٢٣٠.
(٣٢٥) سوسة: بضم أوله.. قال أبو سعد: سوسة بلد بالمغرب، وهى مدينة عظيمة بها قوم لون الحنطة يضرب إلى الصفرة، ومن السوسة يخرج إلى السوس الأقصى على ساحل البحر المحيط بالدنيا، فمن السوس الأقصى إلى القيروان.. ومن القيروان إلى أطرابلس.. ومن أطرابلس إلى مصر.. وفيه تخليط، والصحيح أن سوسة مدينة صغيرة بنواحى إفريقية.. أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة.. وقيل.. وهى مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح: من الشمال والجنوب والشرق..".
ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٢٨١ـ٢٨٢.
(٣٢٦) أورد ياقوت الحموى عند ذكره سوسة ما نصه: ".. وخارج سوسة محارس ومرابط ومجامع للصالحين، وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط يأوى إليه الصالحون والعباد، وقيل: داخلها محرس آخر

عظيم يسمى محرس القصب وهو متصل بدار الصناعة.. ومن محارس سوسة المذكورة المنستير..".
ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ٢٨٣.
(٣٢٧) القيروان: قال الأزهرى: القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان، وقد تكلمت به العرب قديمًا.. وهذه مدينة عظيمة بإفريقية.. وليس بالغرب مدينة أجل منها.. وهى مدينة مصرت فى الإسلام فى أيام معاوية، رضى الله عنه، وكان من حديث تمصيرها ما ذكره جماعة كثيرة من أهل السير، قالوا: عزل معاوية بن أبى سفيان معاوية بن حديج الكندى عن إفريقية واقتصر به على ولاية مصر وولى إفريقية عقبة بن نافع.. وكان مقيمًا بنواحى برقة وزويلة منذ ولاية عمرو بن العاص له.. وسار إلى إفريقية.. وقال: إن أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم، إذا عضهم السيف أسلموا وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عادتهم ودينهم.. ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيًا، وقد رأيت أن أبنى ههنا مدينة يسكنها المسلمون، فاستصوبوا رأيه فجاؤوا إلى موضع القيروان وهى فى طرف البر..". ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٤٢٠.
(٣٢٨) ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ص ٢٠٩ - ٢١٠.
(٣٢٩)حسن الباشا: مدخل، ص ص ١٧٠-١٧١، Creswell: A short Account, pp.288-289.
(٣٣٠) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٢١٦-٢١٧.
(٣٣١) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٢٥.
(٣٣٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٤.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣١٤.
(٣٣٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٤.
(٣٣٤) ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص ٣٢٨-٣٢٩.
(٣٣٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣١٦.
(٣٣٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ١٧٧-١٧٨.
(٣٣٧) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٦.
(٣٣٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٨، أنظر أيضًا: شريف عبد الوهاب السيد محمد: منشآت الأغالبة فى إفريقية "العمائر الدينية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة

الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م، ص ص ٣٣-٣٦.

(٣٣٩) ابن الأثير: الكامل، مج٥، ص٣١٨.

(٣٤٠) ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب فى تاريخ وحلى المغرب، دار الثقافة، جـ١، ص٩٢.

(٣٤١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ، جـ٢، ص١٨٠، شريف عبد الوهاب: منشآت الأغالبة، ص ٣٦.

(٣٤٢) البكرى (أبى عبيد) ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٧م: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، جـ٢، ص ٦٨٠.

(٣٤٣) ابن الأثير: الكامل، مج٥، ص٣١٨.

(٣٤٤) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٧٥.

(٣٤٥) ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب، جـ١، ص ص ٩٢_٩٣.

(٣٤٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣١٩.

(٣٤٧) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٩.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣٣٩.

(٣٤٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٥٧.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣٤٨.

(٣٤٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٦٥.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٦٢.

(٣٥٠) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٧٦.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٧٣.

(٣٥١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٧٧.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ص٣٧١ - ٣٧٢، ٣٧٣.

(٣٥٢) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ص٣٩٨_ ٣٩٩.

(٣٥٣) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص٤٥_ ٤٦.

(٣٥٤) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة عسير، ص٧٨.

(٣٥٥) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص٣.

(٣٥٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٣.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٣٨٠

(٣٥٧) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ص ٣٨٠ _ ٣٨١.

(٣٥٨) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٢٨.

(٣٥٩) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ص١٤ ـ ٢٦.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ٣٩٥.
(٣٦٠) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٣٥٤.
(٣٦١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ص٤٦ـ ٥٥.
(٣٦٢) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ص ٣٤٢-٣٤٣.
(٣٦٣) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ص ٩٦-٩٩، آثار منطقة المدينة المنورة، ص ص ١٠٤-١٠٨، ١١١-١١٢، ١٢٥.
(٣٦٤) هناك دراسات قائمة الآن لإعادة استخدام مجارى عين زبيدة، أو أجزاء منها.

- مزيد من التفاصيل أنظر:

وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ص ١٠٣-١٠٥.

(٣٦٥) طوس: ذكرها ياقوت الحموى فقال "طوس.. مدينة بخراسان.. تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان ولهما أكثر من ألف قرية فتحت فى أيام عثمان بن عفان، رضى الله عنه، وبها قبر على بن موسى الرضا وبها أيضًا قبر هارون الرشيد، وقال مسعر.. وطوس أربع مدن منها اثنتان كبيرتان واثنتان صغيرتان، وبها آثار أبنية إسلامية جليلة، وبها دار حميد بن قحطبة، ومساحتها ميل فى مثله، وفى بعض بساتينها قبر على بن موسى الرضا وقبر الرشيد، وبينها وبين نيسابور قصر هائل عظيم محكم البنيان لم أر مثله علو جدران وإحكام بنيان، وفى داخله مقاصير تتحير فى حسنها الأوهام وآزاج وأروقة وخزائن وحجر للخلوة، وسألت عن أمره فوجدت أهل البلد مجمعين على أنه من بناء بعض التبابعة..".
ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٤٩.
(٣٦٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ٥٦.
(٣٦٧) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٤١.، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٤١١.
(٣٦٨) وكالة الآثار والمتاحف: أثار منطقة المدينة المنورة، ص ١٣٧.
(٣٦٩) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ص ١١٧-١١٨.
(٣٧٠) ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ص ٣٢٠، ٤٣٦.
(٣٧١) ورد ذكر قصر القرار أيضًا عند الطبرى بقوله ".. بقصر أم جعفر المعروف بالقرار".

الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ص ٩٢، ١١٢.، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٤٤٥.

(٣٧٢) ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ٢٩٧.

الذعار: (الذاعر): الخائف والفزع. وفى الحديث: "لايزال الشيطان ذاعرًا من المؤمن". ويقال: رجل ذاعر: ذو عيوب. (ج) ذعار".

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص ٣١٢.

(٣٧٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ٥٦.

(٣٧٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ٥٧.

(٣٧٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ٥٧.

(٣٧٦) همذان: بالتحريك.. قال هشام... سميت بهمذان بن الفلوج بن سام بن نوح، عليه السلام، وهمذان وأصبهان أخوان بنى كل واحد منهما بلدة.. ووجد فى بعض كتب السريانيين فى أخبار الملوك والبلدان: إن الذى بنى همذان يقال له كرميس بن حليمون، وذكر بعض علماء الفرس أن اسم همذان إنما كان نادمه ومعناه المحبوبة.. كان فتح همذان فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وكان الذى فتحها المغيرة بن شعبة فى سنة ٢٤ من الهجرة.. وهو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة.. وقال بعض علماء الفرس: كان همذان أكبر مدينة بالجبال.. وذكر أيضًا بعض مشايخ همذان أنها أعتق مدينة بالجبل، واستدلوا على ذلك من بقية بناء قديم باقٍ إلى الآن.. قال المؤلف: ولا شك عند كل من شاهد همذان بأنها من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها وأرفهها ومازالت محلاً للملوك ومعدنًا لأهل الدين والفضل إلا أن شتاءها مفرط البرد..".

ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ص ٤١٠-٤١٢.

(٣٧٧) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ٥٨.

(٣٧٨) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ١٢١.

(٣٧٩) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ص ١٢٧-١٢٨.

(٣٨٠) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة القصيم، ص ١٢٢.

(٣٨١) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة القصيم، ص ص ١٢٢-١٢٥.

(٣٨٢) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة القصيم، ص ص ١٢٦-١٣٤.

(٣٨٣) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة القصيم، ص ١٣٥.

الفصل الثانى

الآثار والحضارة الإسلامية العباسية
فى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى

أحداث سنة "إحدى ومائتين"

ولاية العهد

ومن الأحداث التاريخية والحضارية التى أوردها الطبرى فى سنة "إحدى ومائتين" فيما يتعلق بولاية العهد "وفى هذه السنة جعل المأمون على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ولى عهد المسلمين والخليفة من بعده، وسماه الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق".[1]

مجاعة فى خراسان والرى وإصبهان

وفى أحداث هذه السنة أورد الطبرى "وفيها أصاب أهل خراسان والرى وإصبهان[2] مجاعة، وعز الطعام، ووقع الموت".[3]

ولاية زيادة الله (الأول) بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية

٢٠١ـ٢٢٣هـ/ ٨١٦ـ٨٣٧م

تولى زيادة الله بن إبراهيم الذى عرف بزيادة الله الأول حكم دولة الأغالبة بعد أخيه عبد الله بن إبراهيم، وكان أول من سمى زيادة الله فى الإسلام، وكان من أطول الأغالبة عهدًا بالحكم، وفى عهده فتحت جزيرة صقلية فى سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧ م، وقد شهدت إفريقية فى عهده ازدهارًا عظيمًا، فقد كان مولعًا بالتشييد والعمارة، وترك آثارًا عديدة فى القيروان والعباسية وتونس وسوسة، كما كان على صلة طيبة بالخليفة المأمون، ذكره ابن الأثير فقال فى سنة "إحدى ومائتين" ما نصه"وفى هذه السنة سادس ذى الحجة توفى أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب، أمير إفريقية، وكانت إمارته خمس سنين ونحو شهرين"(٤) وذلك عند ذكره ولاية زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية.

وقد ذكره ياقوت الحموى عند ذكره مدينة سوسة فى نص هام، حيث أورد "سوسة: بضم أوله .. قال أبو سعد: سوسة بلد بالمغرب، وهى مدينة عظيمة.. وكان زيادة الله بن الأغلب قد بنى سورها، وكان يقول: لا أبالى ما قدمت عليه يوم القيامة وفى صحيفتى أربع حسنات: بنيان مسجد الجامع والقيروان وبنيان قنطرة الربيع وبنيان حصن مدينة سوسة وتوليتى أحمد بن أبى محرز قضاء إفريقية"(٥).

وفى ذلك أورد البكرى "والخروج إلى القيروان من سوسة على الباب القبلى المعروف بباب القيروان، ومقبرة سوسة عن يمين هذا الطريق. وكان زيادة الله بنى سورها وكان يقول: ما أبالى ما قدمت عليه يوم القيامة وفى صحيفتى أربع حسنات:

بنيانى المسجد الجامع بالقيروان وبنيانى قنطرة الربيع وبنيانى حصن مدينة سوسة وتوليتى أحمد بن أبى محرز قضاء إفريقية. وخارج مدينة سوسة محارس وروابط ومجامع للصالحين، وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط، وهو مأوى للأخيار والصالحين. داخله حصن ثان يسمى القصبة، وهو بجوفى المدينة متصل بدار الصناعة بسفح الجبل.. ومدينة سوسة فى سند عال ترى دورها من البحر.."[٦].

مدينة زبيد باليمن

من الأحداث السياسية التى شهدتها سنة "ثلاث ومائتين" أن المأمون ولى محمدًا الزيادى بلاد تهامة باليمن ليقضى على المتشيعين فيها، واختط مدينه زبيد، وزبيد ذكرها ياقوت الحموى بقوله " زَبيد: بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت: اسم واد به مدينة يقال لها الحُصيب ثم غلب عليها اسم الوادى فلا تعرف إلا به، وهى مدينة مشهورة باليمن أحدثت فى أيام المأمون وبإزائها ساحل غلافقة وساحل المندب"(٧).

وذكرها ابن المجاور بقوله "وحج ابن زياد ومن معه سنة ثلاث ومائتين وسار إلى اليمن وفتح تهامة.. واختط زبيد فى شعبان سنة أربع ومائتين"(٨).

وفاة على بن موسى بن جعفر

توفى عل بن موسى بن جعفر فى أحداث سنة "ثلاث ومائتين"، قال الطبرى "مما كان فيها موت على بن موسى بن جعفر"(٩).

انكساف الشمس

أورد الطبرى "وفى هذه السنة انكسفت الشمس يوم الأحد لليلتين بقيتا من ذى الحجة حتى ذهب ضوءها، وكان غاب أكثر من ثلثيها، وكان انكسافها ارتفاع النهار، فلم يزل كذلك حتى قرب الظهر ثم انجلت"(١٠).

زلازل بخراسان

أورد ابن الأثير فيما يتعلق بزلازل خراسان "وكانت بخراسان زلازل عظيمة، ودامت مقدار سبعين يومًا، وكان معظمها ببلخ[١١]، والجوزجان[١٢]، والفارياب[١٣]، والطالقان[١٤]، وما وراء النهر، فخربت البلاد، وتهدمت الدور، وهلك فيها خلق كثير[١٥].

بناء منازل على شط دجلة

شيد الخليفة المأمون المنازل على شط دجلة، فقد أورد الطبرى" وقيل: إنه لم يزل مقيمًا ببغداد فى الرصافة حتى بنى منازل على شط دجلة عند قصره الأول، وفى بستان موسى"[١٦].

زيادة دجلة

فى أحداث سنة "خمس ومائتين" أورد ابن الأثير" وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة، فتهدمت المنازل ببغداذ، وكثر الخراب بها"[١٧].

المد وغرق السواد وكسكر وقطيعة أم جعفر والعباس

وفى أحداث سنة "ست ومائتين" أورد الطبرى "وفيها كان المد الذى غرق منه السواد[١٨] وكسكر[١٩] وقطيعة أم[٢٠] جعفر وقطيعة العباس وذهب بأكثرها"[٢١].

رباط سوسة بتونس

٢٠٦هـ / ٨٢١م

كان الخوف من غارات الروم على سواحل تونس من جهة، والاستعداد الدائم للجهاد ضد الروم فى صقلية من جهة أخرى حافزًا على عناية الأغالبة بتحصين هذه السواحل، وذلك بإقامة المحارس والأربطة، وكانت الأربطة تزود بمنارات توقد فيها النار للنذير باقتراب سفن العدو، وعن طريق هذه الإشارات تستعد المحارس والأربطة المجاورة لملاقاة العدو برًا وبحرًا، ولذلك كثر عددها على سواحل تونس، ويعد رباط سوسة المعروف بقصر الرباط كما تقدم من المنشآت الدفاعية أو العسكرية الهامة فى تاريخ العمارة الإسلامية، فقد وصلت إلينا عمارته فى حالة جيدة.

فيما يتعلق بالموقع فهو يقع على خليج قابس بداخل أسوار مدينة سوسة فى القسم الأدنى منها، أما فيما يتعلق بالمنشئ وتاريخ الإنشاء فهو من إنشاء زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب الذى عرف بزيادة الله الأول، والذى حكم إفريقية خلال الفترة من ٢٠١ ـ ٢٢٣هـ/ ٨١٦ ـ ٨٣٧م، وقد شهدت إفريقية فى عهده ازدهارًا عظيمًا، وكان مولعًا بالتشييد والعمارة، وترك آثارًا عديدة منها هذا القصر أو الرباط الذى عرف برباط سوسة، وقد شيده فى سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م، ويعد هذا الرباط من الأبنية الأثرية الرائعة والمشهورة فى العالم الإسلامى، وقد نقش تاريخ إنشائه فى لوحة حجرية توجد فوق باب منارته أو مئذنته، جاء فى النص "مما أمر به الأمير زيادة الله بن إبراهيم أطال الله بقاه على يدى مسرور الخادم مولاه فى سنة ست ومائتين" (٨٢١م)[٢٢].

أما فيما يتعلق بتخطيط الرباط فقد جاء من مساحة مربعة الشكل، يبلغ طول ضلعها ٣٩م تقريبًا، يحيط بها سور خارجى تدعمه أبراج نصف دائرية فى ثلاثة جوانب هى الشمالية والشرقية والغربية بواقع برج نصف دائرى يتوسط كل جانب، وهذه الأبراج خلا منها رباط المنستير أو قصر المنستير الذى تقدم ذكره فى أحداث سنة "ثمانين ومائة" والذى شيد من قبل هرثمة بن أعين والى إفريقية، وذلك على الرغم من أن تخطيط قصر أو رباط المنستير جاء مربعًا يبلغ طول ضلعه حوالى ٣٢م.

ويشتمل رباط سوسة فى أركانه على أبراج زاوية أو شبه دائرية بواقع برج فى كل ركن أو زاوية فيما عدا الركن الجنوبى الشرقى الذى جاء مربعًا تقريبًا تقوم عليه منارة أسطوانية تنتهى بجو سق تعلوه قبة، وهو الأمر الذى يتطابق ومثيله فى قصر أو رباط المنستير.

كان ارتفاع الرباط من الخارج حوالى ١٠م، يتوصل إليه من خلال المدخل الوحيد بالجهة الجنوبية، ويتميز ببروزه الذى يتوسط الواجهة الجنوبية، وهو قائم الزوايا شأنه فى ذلك شأن مدخل قصر المنستير، ويؤدى المدخل من خلال درج هابط إلى داخل الرباط، حيث نصل إلى باب يتوجه عقد مستقيم يفضى إلى ممر ينقسم إلى ثلاثة أقسام، غطى القسم الأول كما يظهر من المسقط الأفقى بقبو متقاطع، أما القسمان الثانى والثالث جهة الصحن فقد غطى كل منهما بقبو نصف برميلى، ويفضى ممر المدخل إلى الصحن الذى جاء من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٤٠ر٢٠م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٢٠و٢٩م يحيط به من الجهات الشمالية والشرقية والغربية أروقة أو سقائف تطل عليه ببوائك ترتكز عقودها على دعامات نفذت على هيئة حرف T، وهذه الأروقة فى الجهات الشمالية والشرقية والغربية من بلاطة واحدة أو سقيفة واحدة تتقدم حجرات هذه الجوانب الثلاثة تنوعت تغطيتها ما بين أقبية متقاطعة ونصف برميلية، أما الجهة الجنوبية فهى تشتمل على بلاطتين أو سقيفتين على جانبى دهليز المدخل، وأما التغطيات فيهما فمن أقبية نصف برميلية، وخلف هذه الأروقة أو السقائف تقع

حجرات الرباط، وهى مستطيلة من حيث التخطيط تفتح على الأروقة أو السقائف من جهة، وتتعامد على جدران الرباط من الداخل من جهة أخرى، وبشكل عام يشبه هذا الأسلوب مثيله فى قصر المنستير، وقد جاءت تغطيات جميع الغرف سواء ما خصص منها للمرابطين أو المجاهدين أو غير ذلك من اسطبلات أو مطابخ وحمامات بأقبية نصف برميلية.

هذا فيما يتعلق بالطابق الأرضى، أما فيما يتعلق بالطابق الأول، فقد كان يماثل الأول فى اشتماله على غرف مماثلة فى جميع جوانبه باستثناء الجانب الجنوبى منه الذى يشغله مسجد صغير على غرار ما وجد فى قصر المنستير.

مسجد الرباط

يعلو سطح الرباط فى الجهة الجنوبية مسجد، يشغل من هذا السطح أو الطابق الأول مستطيلًا طوله الداخلى ٣٩م، وعرضه ٧م، ويقتصر تكوين المسجد على ظله القبلة أو بيت الصلاة أو رواق القبلة، إذ ليس له صحن ولا ظلات جانبية (مجنبات)، أما فيما يتعلق بتخطيط هذه الظلة فقد جاءت من بلاطتين موازيتين لجدار القبلة، أى تمتدان من الشرق إلى الغرب فى موازاة جدار القبلة، وإحدى عشرة بلاطة عمودية عليه، أى تمتد من الشمال إلى الجنوب بحيث تتعامد على جدار القبلة، وتتميز البلاطة التى تتقدم المحراب باتساعها عن البلاطة الثانية، حيث جاءت باتساع ٣.٧٠م، أما البلاطة الثانية فيبلغ اتساعها ٢.٧٠م، ويفصل بين البلاطتين صف من الدعامات، يتكون من عشر دعامات أفقية بالنسبة لجدار القبلة، وترتقى على هذه الدعامات عقود تمتد فى اتجاهين، حيث يوجد صف يتكون من أحد عشر عقدًا فى موازاة جدار القبلة، وتوجد عشرة صفوف عمودية على جدار القبلة، بحيث يتكون كل صف من عقدين، وتنحصر بين هذه العقود الأخيرة إحدى عشرة بلاطة، وتختلف مقاسات البلاطات العمودية بين الدعامات، أقصاها طولًا ٢.٩٠ م، وأقصرها ٢.٤٠م، وتختلف المقاسات كذلك فى بداية البلاطة الواحدة وعند نهايتها، ولذا فإن عقود البلاطات جميعًا ليست عمودية على جدار القبلة، ولا هى

موازية بعضها بعضًا، وتزداد البلاطتان المتطرفتان سعة عن البلاطات الأخرى، ويتوسط جدار القبلة محراب تعلوه قبة تبدو من الخارج بارزة.

ويتوصل إلى المسجد من خلال خمسة مداخل فى الجدار المقابل لجدار القبلة، اثنان عن يمين المواجه للمحراب، وثلاثة عن يساره، حيث لم يفتح باب يقابل المحراب نفسه فى ذلك الجدار، وقد غطيت الأسقف فى بلاطات المسجد سواء الموازية أو العمودية بأبنية نصف دائرية أو برميلية.

وقد أجرى بالرباط عمارة فى سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م[٢٣].

نقش صخرى بالقرب من الربذة

ومن النقوش التى عثر عليها بالقرب من موقع الربذة يوجد نقش عثر عليه منقورًا على واجهة صخرية فى جبل سنام شمالى الربذة بحوالى ١٢كم، كتب بحروف كبيرة غير منقوطة ومن سطر واحد يقرأ بالله ثقة يحيى بن زياد، وهو على الأرجح أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله منصور الأسلمى المعروف بالفراء، وهو من أشهر الكوفيين وأعلمهم فى النحو واللغة وفنون الأدب، وله عدة تصانيف، توفى فى طريق مكة سنة٢٠٧هـ / ٨٢٢م، وربما كانت الربذة هى المكان الذى دفن فيه لكونها مدينة عامرة فى ذلك التاريخ[٢٤].

وتقع الربذة على خط الطول ٤١.١٨ شرقًا ودائرة العرض ٢٤.٤٠ شمالًا، وتبعد عن المدينة المنورة بحوالى ٢٠٠كم فى اتجاه الجنوب الشرقى، ويقال إنها سميت الربذة باسم جبل فارع أحمر، على بعد ميل من الربذة، مما يلى الغرب، قيل اسمه "ربذة"، وهذا الجبل معروف الآن باسم المصيعيكية، كذلك يوجد جبل سنام إلى الشمال من الربذة بحوالى ١٢كم، ويشكل أحد المعالم الجغرافية لتحديد موقع الربذة، وكان يستريح بالربذة عدد من خلفاء وأمراء بنى العباس عند قدومهم لأداء فريضة الحج[٢٥].

غلاء السعر ببغداد والبصرة والكوفة

وفى أحداث سنة " سبع ومائتين" أورد الطبرى "وفى هذه السنة غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة بالهارونى أربعين درهمًا إلى الخمسين بالقفيز الملجم"(٢٦).

وفاة الشاعر أبو العتاهية

وشهدت سنة "إحدى عشرة ومائتين" وفاة أبو العتاهية الشاعر، قال الطبرى "وفيها مات أبو العتاهية الشاعر"(٢٧).

زلزلة باليمن

وفى أحداث سنة "إحدى عشرة ومائتين" أورد ابن الأثير "وفيها كانت باليمن زلزلة شديدة، فكان أشدها بعدن(٢٨)، فتهدمت المنازل، وخربت القرى، وهلك فيها خلق كثير"(٢٩).

عمارة جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر

٢١٢هـ / ٨٢٧م

شهدت سنة "اثنتى عشرة ومائتين" عمارة جامع عمرو بن العاص ٢١هـ/ ٦٤٢م بفسطاط مصر على يد والى مصر عبد الله بن طاهر، فقد أورد الكندى عند ذكره عبد الله بن طاهر ما نصه" ثم وليها عبد الله بن طاهر بن الحسين من قبل المأمون على صلاتها وخراجها دخلها يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة .. وجمع عبد الله بن طاهر على المسير إلى الإسكندرية .. وذلك لمستهل صفر سنة اثنتى عشرة .. ورجع ابن طاهر إلى الفسطاط فى جمادى الآخرة سنة ثنتى عشرة ... وأمر بالزيادة فى المسجد الجامع فزيد فيه مثله.."[٣٠].

ويعلق أحمد فكرى على هذه الزيادة بأنها أكثر الأعمال أهمية فى المسجد، وذلك فى سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م، فقد تضاعفت بهذه الأعمال مساحة المسجد عما قبل، واحتفظ المسجد منذ ذلك التاريخ بحدوده ومساحته التى ينحصر فيها اليوم، إذ لم يزد فيه أحد من بعد[٣١].

القول بخلق القرآن وتفضيل على بن أبى طالب رضى الله عنه :

شهدت سنة "اثنتى عشرة ومائتين" القول بخلق القرآن، قال الطبرى " وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل على بن أبى طالب عليه السلام، وقال: هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك فى شهر ربيع الأول منها"[٣٢].

البرد الشديد

فى أحداث سنة "ست عشرة ومائتين" أورد الطبرى "وفى هذه السنة كان البرد الشديد"(٣٣).

قدوم المأمون على الفسطاط وسخا وحلوان وأعماله المعمارية

هذا وقد شهدت سنة "سبع عشرة ومائتين" قدوم أمير المؤمنين المأمون الفسطاط بمصر، قال الكندى "قدم لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين.. وركب أمير المؤمنين فنظر إلى المقياس وأمر بإقامة جسر آخر فعمل له هذا الجسر القائم بالفسطاط اليوم وترك القديم.. وارتحل المأمون يوم الخميس لثمانى عشرة من صفر فكان مقامه بالفسطاط وسخا(٣٤) وحلوان(٣٥) تسعة وأربعين يومًا"(٣٦).

عمارة الطوانة

أورد الطبرى أن المأمون وجه ابنه العباس إلى أرض الروم وأمره ببناء الطوانة، وذلك فى أحداث سنة "ثمان عشرة ومائتين" حيث ذكر ما نصه "وفيها وجه المأمون ابنه العباس إلى أرض الروم، وأمره بنزول الطوانة وبنائها، وكان قد وجه الفعلة والفروض، فابتدأ البناء، وبناها ميلًا فى ميل، وجعل سورها على ثلاثة فراسخ، وجعل لها أربعة أبواب، وبنى على كل باب حصنًا، وكان توجيهه ابنه العباس فى ذلك فى أول يوم من جمادى"(٣٧).

ومدينة الطوانة ذكرها ياقوت الحموى بمانصه "طوانة: بضم أوله، وبعد الألف نون: بلد بثغور المصيصة ... وقال بطليموس: مدينة الطوانة طولها ست وستون درجة، وعرضها ثمان وثلاثون درجة، داخلة فى الإقليم الخامس .. وكان المأمون لما قدم الثغر غازيًا أمر أن يسور على الطوانة قدر ميل فى ميل وعينه مدينة وهيأ له الرجال والمال فمات بعد شروعه بقليل فبطله المعتصم"(٣٨).

وفاة المأمون

شهدت سنة "ثمان عشرة ومائتين" وفاة المأمون، أورد الطبرى "وفى هذه السنة توفى المأمون"(٣٩).

كان المأمون من عظماء الخلفاء، ومن عقلاء الرجال، وله اختراعات كثيرة فى مملكته، منها أنه أول من فحص منهم علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها إلى العربية وشهرها، وحل إقليدس ونظر فى علوم الأوائل، وتكلم فى الطب وقرب أهل الحكمة، ومن اختراعاته مقاسمة أهل السواد بالخمسين، وكانت المقاسمة المعهودة النصف، وأيضًا إلزام الناس أن يقولوا بخلق القرآن، ونوظر فيها أحمد بن حنبل وغيره، وأوصى أخاه المعتصم بها، ومن اختراعاته أيضًا نقل الدولة من بنى العباس إلى على بن أبى طالب، وتغيير الناس السواد بلبس الخضرة، وقالوا هو لباس أهل الجنة(٤٠).

مال المأمون أول الأمر إلى العلويين، واتخذ الخضرة شعارهم، وصاهر عليًا الرضا وولاه عهده كما تقدم، وأنزل العلويين منازل العز والكرم، وبعد وفاة على الرضا لم يغير المأمون من سياسته بعد أن رجع إلى السواد شعار العباسيين، وفى سنة ٢٠٣هـ ولى المأمون محمدًا الزيادى بلاد تهامة ليقضى على المتشيعين فيها، فاختط مدينة زبيد، وأصبح أشبه بملك مستقل، إلا أنه كان يخطب للعباسيين ويؤدى لهم الخراج، وظل الملك فى أعقابه إلى سنة٥٥٣هـ وكانت الدولة الزيادية أول دولة استقلت باليمن، كما كان الأمر بالنسبة إلى دولة الأغالبة التى أسسها الرشيد سنة١٨٤هـ/ ٨٠٠م لتكون حاجزًا بين بلاده وبلاد الأدارسة، وكان السبب فى تكوين الدولتين خوف العباسيين من أن يمتد نفوذ العلويين إلى بلادهم(٤١).

وقد ثار أهل بغداد وولوا إبراهيم بن المهدى الخلافة حين كان المأمون بمرو، ولما أحس الناس بقدوم المأمون خلعوا إبراهيم، فاختفى ثم قبض عليه، فعفا عنه المأمون وقربه إليه ومن صفات المأمون تحليه بالعفو وكراهته للانتقام، وقد فاق المأمون الخلفاء العباسيين قاطبة فى كرمه، وكان حاضر البديهة سريع الجواب، ومما

يؤثر عنه كثرة الأحاديث التى أصبحت أقرب إلى الحكم، وكان يقرب منه الشعراء، ويميل إلى الإقناع فى الجدل والمناقشة، وتوفى المأمون فى آخر غزواته ببلاد الدولة البيزنطية، فقد أصابته الحمى، وهو فى شمال مدينة طوس، وتوفى فى الثامنة والأربعين من عمره، وكان قد عهد بالخلافة من بعده إلى أخيه أبى إسحاق بن الرشيد، وأحسن بذلك إلى أسرته ونفسه[٤٢].

المعتصم

٢١٨ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ـ ٨٤٢م

ولد أبو إسحاق محمد المعتصم سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م، وأمه أم ولد تسمى ماردة (ماربة)، وأبوه هارون الرشيد، وكان على بلاد الشام ومصر فى عهد أخيه المأمون، ولما مرض المأمون عهد إليه بالخلافة وعدل عن تولية ابنه العباس الذى كان يتمتع بشهرة واسعة بين جند العرب، ولعل السبب الذى حمله على ذلك هو أنه رأى فى شكيمة المعتصم ومتانة خلقه ما يضمن له تنفيذ السياسة التى رسمها لدولته، وقد أوصى أخاه المعتصم، وبويع المعتصم يوم وفاة أخيه المأمون فى التاسع عشر من رجب سنة٢١٨هـ / ٨٣٣م، وسمى المثمن من أحد عشر وجهًا: هو الثامن ولد العباس، والثامن الخلفاء، وتولى الخلافة وعمره ثمانى عشرة سنة، وكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر، وتوفى وله ثمانى وأربعون سنة، وولد فى شعبان وهو الشهر الثامن وخلف ثمانية ذكور، وثمانية بنات، وغزا ثمانى غزوات، وخلف ثمانية ألف ألف درهم(٤٣).

وفى ذلك أورد الطبرى "وفى هذه السنة بويع لأبى إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن عبد الله المنصور بالخلافة .. وذكر أن الناس كانوا قد أشفقوا من منازعة العباس بن المأمون له فى الخلافة، فسلموا من ذلك"(٤٤).

الأذان خارج المقصورة بمصر

فيما يتعلق بمصر فى أحداث سنة "تسع عشرة ومائتين" فقد أورد الكندى "ثم وليها موسى بن أبى العباس .. مستهل رمضان سنة تسع عشرة.. أخبرنى ابن قديد عن يحيى بن عثمان قال: كان المؤذنون على الزمان يؤذنون بين يدى الإمام يوم الجمعة من داخل المقصورة فأول من أخرجهم منها موسى بن أبى العباس فى ولايته على مصر"(٤٥).

مدينة سر من رأى (سامراء. سامرا)

٢٢١هـ/٨٣٦م

لم يشر الطبري[٤٦] فى أحداث سنة "إحدى وعشرين ومائتين" إلى بناء مدينة سر من رأى، أو سامراء، أو سامرا على الرغم من أنه ذكرها فى الأحداث التاريخية التى تلت هذه السنة سواء السياسية أو العسكرية أو غير ذلك.

قال البلاذرى عند ذكره أمر مدينة السلام "ونزلها أمير المؤمنين المعتصم بالله ثم شخص عنها إلى القاطول فنزل قصر الرشيد كان ابتناه حين حفر قاطوله الذى دعاه أبا الجند لقيام ما يسقى من الأرضين بأرزاق جنده، ثم بنى بالقاطول بناء نزله ودفع ذلك القصر إلى أشناس التركى مولاه وهم بتمصير ما هناك وابتدأ بناء مدينة تركها ثم رأى تمصير سر من رأى فمصرها ونقل الناس إليها وأقام بها، وبنى مسجدًا جامعا فى طرف الأسواق وسماها سرمن رأى، ونزل أشناس مولاه فيمن ضم إليه من القواد كرخ فيروز، وأنزل بعض قواده الدور... وتوفى رحمه الله بسر من رأى فى سنة سبع وعشرين ومائتين"[٤٧].

ويذكر اليعقوبى أنها المدينة الثانية من مدن خلفاء بنى هاشم بعد مدينة بغداد، وذلك بما نصه "قد ذكرنا بغداد وابتداء أمرها، والوقت الذى بناها أبو جعفر المنصور فيه، ووصفنا كيف هندست، وقسمت أرباضها، وقطائعها، وأسواقها، ودروبها، وسككها، ومحالها فى الجانب الغربى من دجلة، وهو جانب المدينة والكرخ. والجانب الشرقى وهو جانب الرصافة، الذى يسمى عسكر المهدى..

فلنذكر الآن سر من رأى، وإنها المدينة الثانية من مدن خلفاء بنى هاشم. وقد سكنها ثمانية خلفاء منهم: المعتصم وهو ابتدأها وأنشأها"[٤٨].

ويحدثنا اليعقوبى عن موقعها بقوله "قال أحمد بن أبى يعقوب: كانت سرمن رأى فى متقدم الأيام صحراء من أرض الطيرهان، لاعمارة بها، وكان بها دير للنصارى، بالموضع الذى صارت فيه دار السلطان، المعروفة بدار العامة. وصار الدير بيت المال، فلما قدم المعتصم بغداد، منصرفه من طرسوس فى السنة التى بويع له بالخلافة، وهى سنة ثمان عشرة ومائتين، نزل دار المأمون، ثم بنى دارًا فى الجانب الشرقى من بغداد، وانتقل إليها، وأقام بها فى سنة ثمانى عشرة وتسع عشرة وعشرين وإحدى وعشرين ومائتين. وكان معه خلق من الأتراك وهم يومئذ عجم .. فاجتمع له فى أيام المأمون منهم زهاء ثلاثة آلاف غلام. فلما أفضت إليه الخلافة ألح فى طلبهم،واشترى من كان ببغداد من رقيق الناس.. منهم: أشناس.. "[٤٩].

ويحدثنا اليعقوبى عن سبب البناء بقوله ".. وكان أولئك الأتراك العجم إذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يمينًا وشمالًا .. فثقل ذلك على المعتصم، وعزم على الخروج من بغداد. فخرج إلى الشماسية[٥٠]، وهو الموضع الذى كان المأمون يخرج إليه، فيقيم به الأيام والشهور، فعزم أن يبنى بالشماسية خارج بغداد مدينة، فضاقت عليه أرض ذلك الموضع، وكره أيضًا قربها من بغداد"[٥١].

وأما فيما يتعلق بارتياد موضع سرمن رأى أو سامراء أو سامرا فقد أورد اليعقوبى "فمضى إلى البردان بمشورة الفضل بن مروان، وهو يومئذ وزير، وذلك فى سنة إحدى وعشرين ومائتين، وأقام بالبردان أيامًا، وأحضر المهندسين، ثم لم يرض الموضع فصار إلى موضع يقال له باحمشا، من الجانب الشرقى من دجلة، فقدر هناك مدينة على دجلة، وطلب موضعًا يحفر فيه نهرًا، فلم يجده، فنفذ إلى القرية المعروفة بالمطيرة، فأقام بها مدة، ثم مد إلى القاطول، فقال هذا أصلح المواضع، فصير النهر المعروف بالقاطول وسط المدينة، ويكون البناء على دجلة وعلى القاطول، فابتدأ البناء"[٥٢].

وأضاف اليعقوبى "فابتدأ البناء وأقطع القواد والكتاب والناس فبنوا، حتى ارتفع البناء، واختطت الأسواق على القاطول وعلى دجلة، وسكن هو فى بعض ما بنى له، وسكن بعض الناس أيضًا. ثم قال أرض القاطول غير طائلة، وإنما هى حصًا وأفهار، والبناء بها صعب جدًا، وليس لارضها سعة. ثم ركب متصيدًا، فمر فى مسيره حتى صار إلى موضع سرمن رأى، وهى صحراء من أرض الطيرهان، لاعمارة بها، ولا أنيس فيها، إلا دير للنصارى فوقف بالدير وكلم من فيه من الرهبان، وقال: ما اسم هذا الموضع؟ فقال له بعض الرهبان: نجد فى كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى سرمن رأى، وأنه كان مدينة سام بن نوح، وأنه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور، له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة، ينزلها وينزلها ولده. فقال: أنا والله أبنيها، وأنزلها، وينزلها ولدى... ثم عزم المعتصم على أن ينزل بذلك الموضع، فأحضر محمد بن عبد الملك الزيات، وابن أبى داود، وعمر بن فرج، وأحمد بن خالد المعروف بأبى الوزير، وقال لهم: اشتروا من أصحاب هذا الدير هذه الأرض، وادفعوا إليهم ثمنها أربعة آلاف دينار، ففعلوا ذلك.. "(٥٣).

ويتفق ما أورده اليعقوبى هنا من بناء الخليفة المعتصم مدينة على القاطول ثم تركه هذه المدينة لأنها كما ذكر على لسان المعتصم "غير طائلة، وإنما هى حصًا وأفهار، والبناء بها صعب جدًا، وليس لأرضها سعة"، وما أورده البلاذرى وتقدم ذكره "وابتدأ بناء مدينة تركها ثم رأى تمصير سرمن رأى فمصرها".

أما فيما يتعلق ببدء البناء وغير ذلك فقد ذكر اليعقوبى "ثم أحضر المهندسين فقال: اختاروا أصلح هذه المواضع، فاختاروا عدة مواضع للقصور، وصير إلى كل رجل من أصحابه بناء قصر، فصير إلى خاقان عرطوج أبى الفتح بن خاقان بناء الجوسق الخاقانى، وإلى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالغمرى، وإلى أبى الوزير بناء القصر المعروف بالوزيرى. ثم خط القطائع للقواد والكتاب والناس، وخط المسجد الجامع، واختط الأسواق حول المسجد الجامع، ووسعت صفوف الأسواق، وجعلت كل تجارة منفردة، وكل قوم على حدتهم، على مثل مارسمت

عليه أسواق بغداد"[٥٤]، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه وجود تشابه كبير بين سر من رأى، ومدينة بغداد، ويعد هذا أمرًا طبيعيًا، فمما يؤثر عن المنصور قوله لابنه المهدى كما تقدم وذكر عمر بن شبة .. لما حج المنصور فى السنة التى توفى فيها شيعه المهدى، فقال: يا بنى.. بنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها[٥٥]" هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن اليعقوبى على الرغم من أنه لم يذكر شكل المدينة الجديدة إلا أنه أمدنا بمعلومات عظيمة الأهمية بالنسبة للاستعانة بالمهندسين وتخطيط المدينة على أسس هندسية ومعمارية رائعة، ومن ذلك ذكره لثلاثة قصور عظيمة هى الجوسق الخاقانى، والغمرى، والوزيرى، ثم القطائع للقواد والكتاب والناس، ثم المسجد الجامع والأسواق.

ويحدثنا اليعقوبى عن أهل المهن والصنائع بقوله "وكتب فى إشخاص الفعلة، والبنائين، وأهل المهن من الحدادين والنجارين، وسائر الصناعات، وفى حمل الساج، وسائر الخشب، والجذوع من البصرة، وما والاها من بغداد، وسائر السواد، ومن أنطاكية وسائر سواحل الشأم، وفى حمل عملة الرخام، وفرش الرخام، فأقيمت باللاذقية[٥٦] وغيرها دور صناعة الرخام"[٥٧].

أما فيما يتعلق بالقطائع سواء التى تتعلق بالأتراك أو الناس فقد أورد اليعقوبى ما نصه "وأفرد قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعًا، وجعلهم معتزلين عنهم، لا يختلطون بقوم من المولدين، ولا يجاورهم إلا الفراغنة. وأقطع أشناس وأصحابه الموضع المعروف بالكرخ، وضم إليه عدة من قواد الأتراك والرجال، وأمره أن يبنى المساجد والأسواق. وأقطع خاقان عرطوج وأصحابه مما يلى الجوسق الخاقانى، وأمر بضم أصحابه ومنعهم من الاختلاط بالناس. وأقطع وصيفًا وأصحابه مما يلى الحير، وبنى حائطًا سماه حائر الحير ممتدًا. وصيرت قطائع الأتراك جميعًا والفراغنة العجم بعيدة من الأسواق، والزحام فى شوارع واسعة ودروب طوال، ليس معهم فى قطائعهم ودروبهم أحد من الناس، يختلط بهم من تاجر ولا غيره. ثم اشترى لهم الجوارى، فأزوجهم منهن، ومنعهم أن يتزوجوا، ويصاهروا إلى أحد من المولدين، إلى أن ينشأ لهم الولد، فيتزوج بعضهم إلى بعض، وأجرى لجوارى الأتراك أرزاقًا

قائمة، وأثبت أسماءهن فى الدواوين، فلم يكن يقدر أحد منهم يطلق امرأته ولا يفارقها"(٥٨).

ويضيف اليعقوبى "ولما أقطع أشناس التركى فى آخر البناء مغربًا، وأقطع أصحابه معه، وسمى الموضع الكرخ، أمره أن لا يطلق لغريب من تاجر ولا غيره مجاورتهم، ولا يطلق معاشرة المولدين، فأقطع قومًا آخرين فوق الكرخ، وسماه الدور، وبنى لهم فى خلال الدور والقطائع المساجد والحمامات، وجعل فى كل موضع سويقة، فيها عدة حوانيت للفاميين والقصابين، ومن أشبههم ممن لابد لهم منه، ولا غنى عنه. وأقطع الأفشين خيذر بن كاوس الأسروشنى فى آخر البناء، مشرقًا، على قدر فرسخين، وسمى الموضع المطيرة"(٥٩).

مما تقدم يتضح أن اليعقوبى أمدنا بمعلومات عظيمة الأهمية سواء عن قطائع الأتراك أو موضع الكرخ وموضع المطيرة بما تشتمل عليه هذه المواضع من منشآت وأسواق وغير ذلك، وموضع الدور، ويضيف اليعقوبى "فأقطع أصحابه الأسروشنية وغيرهم من المضمومين إليه حول داره، وأمره أن يبنى فيما هناك سويقة، فيها حوانيت للتجار فيما لابد منه، ومساجد وحمامات. واستقطع الحسن بن سهل بين آخر الأسواق وكان آخرها الجبل الذى صار فيه خشبة بابك وبين المطيرة موضع قطيعة أفشين، وليس فى ذلك الموضع يومئذ شيء من العمارات، ثم أحدقت العمارة به حتى صارت قطيعة الحسن بن سهل وسط سر من رأى. وامتد بناء الناس من كل ناحية، واتصل البناء بالمطيرة، وجعلت الشوارع لقطائع قواد خراسان، وأصحابهم من الجند والشاكرية، وعن يمين الشوارع ويسارها الدروب فيها منازل الناس كافة، وكان الشارع المعروف بالسريجة ـ وهو الشارع الأعظم ـ ممتدًا من المطيرة إلى الوادى، المعروف فى هذا الوقت بوادى اسحق بن إبراهيم، لأن اسحق بن إبراهيم انتقل من قطيعته فى أيام المتوكل، فبنى على رأس الوادى، واتسع فى البناء. ثم قطيعة اسحق بن يحيى بن معاذ، ثم تتصل قطائع الناس يمنة ويسرة فى هذا الشارع الأعظم، وفى دروب من جانبى الشارع الأعظم، تنفذ إلى شارع ـ يعرف بأبى أحمد وهو أبو أحمد بن الرشيد ـ من أحد الجانبين، وتنفذ إلى دجلة، وما قرب

منها من الجانب الآخر، وتمر القطائع إلى ديوان الخراج الأعظم، وهو فى هذا الشارع الكبير"(٦٠).

ويصف لنا اليعقوبى قطائع هذا الشارع بقوله "وفى هذا الشارع قطائع قواد خراسان، منها: قطيعة هاشم بن بانيجور، وقطيعة عجيف بن عنبسة، وقطيعة الحسن بن على المأمونى، وقطيعة هرون بن نعيم، وقطيعة حزام بن غالب، وظهر قطيعة حزام الاصطبلات لدواب الخليفة الخاصية والعامية يتولاها حزام ويعقوب أخوه، ثم مواضع الرطابين وسوق الرقيق فى مربعة فيها طرق منشعبة، فيها الحجر والغرف والحوانيت للرقيق، ثم مجلس الشرط، والحبس الكبير، ومنازل الناس، والأسواق فى هذا الشارع يمنة ويسرة، مثل سائر البياعات والصناعات. ويتصل ذاك إلى خشبة بابك، ثم السوق العظمى لا تختلط بها المنازل، كل تجارة منفردة، وكل أهل مهنة لا يختلطون بغيرهم، ثم الجامع القديم الذى لم يزل يجمع فيه إلى أيام المتوكل، فضاق على الناس، فهدمه وبنى مسجدًا جامعًا واسعًا فى طرف الحير، المسجد الجامع والأسواق من أحد الجانبين ومن الجانب الآخر القطائع والمنازل، وأسواق أصحاب البياعات الدنية مثل أصحاب الفقاع والهرائس والشراب، وقطيعة راشد المغربى، وقطيعة مبارك المغربى، وسويقة مبارك، وجبل جعفر الخياط وفيه كانت قطيعة جعفر، ثم قطيعة أبى الوزير، ثم قطيعة العباس بن على بن المهدى، ثم قطيعة عبد الوهاب بن على بن المهدى، ويمتد الشارع ـ وفيه قطائع عامة ـ إلى دار هارون بن المعتصم، وهو الواثق، عند دار العامة وهى الدار التى نزلها يحيى بن أكثم فى أيام المتوكل لما ولاه قضاء القضاة، ثم باب العامة ودار الخليفة ـ وهى دار العامة ـ التى يجلس فيها يوم الإثنين والخميس، ثم الخزائن خزائن الخاصة وخزائن العامة، ثم قطيعة مسرور سمانة الخادم وإليه الخزائن، ثم قطيعة قرقاس الخادم وهو خراسانى، ثم قطيعة ثابت الخادم، ثم قطيعة أبى الجعفاء وسائر الخدم الكبار"(٦١).

أما فيما يتعلق بشارع أبى أحمد فقد أورد اليعقوبى ما نصه "والشارع الثانى يعرف بأبى أحمد وهو أبو أحمد بن الرشيد، أول هذا الشارع من المشرق دار

بختيشوع المتطبب التى بناها فى أيام المتوكل، ثم قطائع قواد خراسان، وأسبابهم من العرب، ومن أهل قم[٦٢]، وأصبهان، وقزوين[٦٣] والجبل[٦٤] وآذربيجان[٦٥]، يمنة فى الجنوب مما يلى القبلة، فهو نافذ إلى شارع السريجة الأعظم، وما كان مما يلى الشمال ظهر القبلة، فهو نافذ إلى شارع أبى أحمد، ديوان الخراج الأعظم، وقطيعة عمر، وقطيعة للكتاب وسائر الناس، وقطيعة أبى أحمد بن الرشيد فى وسط الشارع، وفى آخره مما يلى الوادى الغربى الذى يقال له: وادى إبراهيم بن رياح قطيعة ابن أبى دؤاد، وقطيعة الفضل بن مروان، وقطيعة محمد بن عبد الملك الزيات، وقطيعة إبراهيم بن رياح فى الشارع الأعظم، ثم تتصل الاقطاعات فى هذا الشارع وفى الدروب إلى يمنته ويسرته إلى قطيعة بغا الصغير، ثم قطيعة بغا الكبير، ثم قطيعة سيما الدمشقى، ثم قطيعة برمش، ثم قطيعة وصيف القديمة، ثم قطيعة ايتاخ ويتصل ذلك إلى باب البستان وقصور الخليفة"[٦٦].

أما فيما يتعلق بالشارع الثالث فقد أورد اليعقوبى "والشارع الثالث شارع الحير، الأول الذى صارت فيه دار أحمد بن الخصيب فى أيام المتوكل، فأصل هذا الشارع من المشرق ومن الوادى المتصل بوادى اسحق بن إبراهيم، وفيه قطائع الجند والشاكرية وأخلاط الناس، ويمتد إلى وادى إبراهيم بن رياح"[٦٧].

أما فيما يتعلق بالشارع الرابع فقد أورد اليعقوبى "والشارع الرابع يعرف بشارع برغامش التركى، فيه قطائع الأتراك والفراغنة، فدروب الأتراك منفردة، ودروب الفراغنة منفردة، والأتراك فى الدروب التى فى القبلة، والفراغنة بإزائهم بالدروب التى فى ظهر القبلة، كل درب بإزاء درب، لا يخالطهم أحد من الناس، وآخر منازل الأتراك وقطائعهم قطائع الخزر ممايلى المشرق. أول هذا الشارع من المطيرة عند قطائع الإفشين التى صارت لوصيف وأصحاب وصيف، ثم يمتد الشارع إلى الوادى، الذى يتصل بوادى إبراهيم ابن رياح"[٦٨].

أما فيما يتعلق بالشارع الخامس فقدأورد الطبرى "والشارع الخامس يعرف بصالح العباسى، وهو شارع الأسكر فيه قطائع الأتراك والفراغنة، والأتراك أيضًا

فى دروب منفردة، والفراغنة فى دروب منفردة، ممتد من المطيرة إلى دار صالح العباسى، التى على رأس الوادى، ويتصل ذاك بقطائع القواد والكتاب والوجوه والناس كافة، ثم شارع خلف شارع الأسكر يقال له شارع الحير الجديد، فيه أخلاط من الناس من قواد الفراغنة والأسروشنية والاشتاخنجية وغيرهم من سائر كورخراسان. وهذه الشوارع التى من الحير كلما اجتمعت إلى إقطاعات لقوم هدم الحائط وبنى خلفه حائطًا غيره، وخلف الحائط الوحش من الظباء والحمير الوحش، والأيايل والأرانب والنعام، وعليها حائط يدور فى صحراء حسنة واسعة. والشارع الذى على دجلة يسمى شارع الخليج، وهناك الفرض والسفن والتجارات التى ترد من بغداد، وواسط، وكسكر، وسائر السواد من البصرة، والأبلة، والأهواز، وما اتصل بذلك، ومن الموصل وبعربايا، وديار ربيعة وما اتصل بذلك. وفى هذا الشارع قطائع المغاربة كلهم أو أكثرهم، والموضع المعروف بالأزلاخ الذى عمر بالرجالة المغاربة فى أول ما اختطت سرمن رأى. واتسع الناس فى البناء بسرمن رأى أكثر من اتساعهم ببغداد، وبنوا المنازل الواسعة، إلا أن شربهم جميعًا من دجلة، مما يحمل فى الروايا على البغال، وعلى الإبل، لأن آبارهم بعيدة الرشاء، ثم هى مالحة غير سائغة، فليس لها اتساع فى الماء، ولكن دجلة قريبة والروايا كثيرة. وبلغت غلات ومستغلات سرمن رأى وأسواقها عشرة آلاف ألف درهم فى السنة، وقرب محمل ما يؤتى به من الميرة من الموصل، وبعربايا، وسائر ديار ربيعة فى السفن فى دجلة فصلحت أسعارهم"(٦٩).

وبعد أن فرغ اليعقوبى من ذكر شوارع سرمن رأى، يتناول الجسر والجانبين الشرقى والغربى لسرمن رأى، وفى ذلك يذكر اليعقوبى "ولما فرغ المعتصم من الخطط، ووضع الأساس للبناء فى الجانب الشرقى من دجلة، وهو جانب سرمن رأى، عقد جسرًا إلى الجانب الغربى من دجلة، فأنشأ هناك العمارات والبساتين والأجنة حفر الأنهار من دجلة، وصير إلى كل قائد عمارة ناحية من النواحى، وحمل النخل من بغداد، والبصرة، وسائر السواد، وحملت الغروس من الجزيرة، والشأم، والجبل، والرى، وخراسان، وسائر البلدان، فكثرت المياه فى هذه العمارة فى الجانب

الشرقى بسرمن رأى، وصلح النخل، وثبتت الأشجار، وزكت الثمار، وحسنت الفواكه، وحسن الريحان والبقل، وزرع الناس أصناف الزرع والرياحين والبقول والرطاب. وكانت الأرض مستريحة ألوف سنين، فزكا كل ما غرس فيها، وزرع بها حتى بلغت غلة العمارات بالنهر المعروف بالاسحاقى وما عليه، والأيتاخى، والعمرى، والعبد الملكى، ودالية ابن حماد، والمسروري، وسيف، والعربات المحدثة وهى خمس قرى، والقرى السفلى وهى سبع قرى، والأجنة، والبساتين، وخراج الزرع أربع مائة ألف دينار فى السنة. وأقدم المعتصم من كل بلد من يعمل عملًا من الأعمال، أو يعالج مهنة من مهن العمارة، والزرع، والنخل، والغروس، وهندسة الماء، ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الأرض. وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها، وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر، وحمل من الكوفة من يعمل الخزف. ومن يعمل الأدهان، ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة. فأنزلوا بعيالهم بهذا المواضع، وأقطعوا فيها، وجعل هناك أسواقًا لأهل المهن بالمدينة(٧٠).

ويضيف اليعقوبى "وبنى المعتصم العمارات قصورًا وصير فى كل بستان قصرًا، فيه مجالس وبرك وميادين، فحسنت العمارات، ورغب وجوه الناس فى أن يكون لهم بها أدنى أرض، وتنافسوا فى ذلك. وبلغ الجريب من الأرض مالًا كبيرًا، ومات المعتصم بالله سنة سبع وعشرين ومائتين"(٧١).

ويصف لنا المقدسى فى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادى مدينة سامراء عند إنشائها بقوله "سامرا كانت مصرًا عظيمًا ومستقر الخلفاء فى القديم اختطها المعتصم"(٧٢).

ويذكر المقدسى اسمها "سرور من رأى" بما نصه "وكانت عجيبة حسنة حتى سميت سرور من رأى ثم اختصر فقيل سرمرى وبها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق قد لبست حيطانه بالمينا وجعلت فيه أساطين الرخام وفرش به وله منارة طويلة وأمور متقنة وكانت بلدًا جليلًا"(٧٣).

ويتناول المقدسى مدينة سامراء فى زمنه وما آلت إليه بها نصه "والآن قد خربت يسير الرجل الميلين والثلاثة لا يرى عمارة وهى من الجانب الشرقى وفى الغربى بساتين.. فلما خربت وصارت إلى ما ذكرنا سميت ساء من رأى ثم اختصرت فقيل سامرا"(٧٤).

كما يحدثنا عن كرخ سامراء بقوله "والكرخ مدينة متصلة بها وأعمر منها من نحو الموصل وسمعت يومًا القاضى أبا الحسين القزوينى يقول ما أخرجت بغداد فقيهًا قط إلا أبا موسى الضرير قلت فأبو الحسن الكرخى قال لم يكن من كرخ بغداد وانما كان من كرخ سامرا"(٧٥).

وكرخ سامراء تقدم ذكره عند اليعقوبى بقوله على سبيل المثال "وأفرد قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعًا وجعلهم معتزلين عنهم.. وأقطع أشناس وأصحابه الموضع المعروف بالكرخ، وضم إليه عدة من قواد الأتراك والرجال، وأمره أن يبنى المساجد والأسواق.."(٧٦).

مما تقدم يتضح أن المدينة ذكرت باسم "سرمن رأى" عند اليعقوبى، وذكرت عند المقدسى باسم "سرور من رأى"، و "سامرا"، وأورد المقدسى كما تقدم أن اسم "سرورمن رأى" اختصر فقيل "سرمرى"، وأن اسم "ساء من رأى" اختصر فقيل "سامرا"، وقد ذكرها ياقوت الحموى فقال فيما يتعلق بالاسم "سامراء"، فقال "سامراء: لغة فى سر من رأى: مدينة كانت بين بغداد وتكريت(٧٧) على شرقى دجلة وقد خربت، وفيها لغات: سامراء، ممدود، وسامرا، مقصور، وسر من رأ، مهموز الآخر، وسر من را، مقصور الآخر، أما سامراء فشاهده قول البحترى:

وأرى المطايـــا لا قـــصوبها ... عــن لــيل ســامراء تذرعــه

وسر من را مقصور غير مهموز فى قول الحسين بن الضحاك:

سر مـــن را أسَرْ مـــن بغـــداد ... فالـه عـن بعـض ذكـرها المعتاد

وسر من راء ممدود الآخر فى قول البحترى:

لأرحلـــن وآمـــالى مطـــرحة يـسر مـن راء مستبطى لها القدر

وسامرا، مقصور، وسر من رأى وساء من رأى، عن الجوهرى، وسراء، وكتب المنتصر إلى المتوكل وهو بالشام:

إلى الله أشـــكو عـــبرة تتحـــير ولـو قـد حـدا الحـادى لظلت تحدر

فيا حسرتا إن كنت فى سر من رأى مقــيمًا وبالــشام الخلــيفة جعفــر!

وقال أبو سعد: سامراء بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخًا يقال لها سر من رأى فخففها الناس وقالوا سامراء"(٧٨).

ويحدثنا ياقوت الحموى عن موقعها بقوله "سامراء.. مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة وقد خربت.. وقال أبو سعد: سامراء بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخًا .. وهى فى الإقليم الرابع، طولها تسع وستون درجة وثلثا درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وسدس"(٧٩).

أمافيما يتعلق باسمها وموضعها من حيث التأصيل فقد أورد "وقيل: إنها مدينة بنيت لسام فنسبت إليه بالفارسية سام راه، وقيل: بل هو موضع عليه الخراج، قالوا بالفارسية: ساءمره أى هو موضع الحساب، وقال حمزة: كانت سامراء مدينة عتيقة من مدن الفرس تحمل إليها الإتاوة التى كانت موظفة لملك الفرس على ملك الروم، ودليل ذلك قائم فى اسم المدينة لأن سا اسم الإتاوة، ومرة اسم العدد، والمعنى أنه مكان قبض عدد جزية الروم، وقال الشعبى: وكان سام بن نوح له جمال ورواء ومنظر، وكان يصيف بالقرية التى ابتناها نوح، عليه السلام، عند خروجه من السفينة ببازبدى وسماها ثمانين، ويشتو بأرض جوخي(٨٠)، وكان ممره من أرض جوخى إلى بازبدى على شاطئ دجلة من الجانب الشرقى، ويسمى ذلك المكان الآن سام راه يعنى طريق سام، وقال إبراهيم الجنيدى: سمعتهم يقولون إن سامراء بناها سام بن نوح، عليه السلام، ودعا أن لا يصيب أهلها سوء، فأراد السفاح أن يبنيها فبنى مدينة الأنبار بحذائها، وأراد المنصور بعدما أسس بغداد بناءها، وسمع فى

الرواية ببركة هذه المدينة فابتدأ البناء فى البردان ثم بدا له وبنى بغداد وأراد الرشيد أيضًا بناءها فبنى بحذائها قصرًا وهو بإزاء أثر عظيم قديم كان للأكاسرة ثم بناها المعتصم ونزلها فى سنة ٢٢١"(٨١).

ويحدثنا ياقوت الحموى عن تاريخ البدء فى عمارتها والأحداث المحيطة به بقوله "ثم بناها المعتصم ونزلها فى سنة ٢٢١، وذكر محمد بن أحمد البشارى نكتة حسنة فيها قال: لما عمرت سامراء وكملت واتسق خيرها واحتفلت سميت سرور من رأى، ثم اختصرت فقيل سرمن رأى، فلما خربت وتشوهت خلقتها واستوحشت سميت ساء من رأى، ثم اختصرت فقيل سامراء، وكان الرشيد حفر نهرًا عندها سماه القاطول وأتى الجند وبنى عنده قصرًا ثم بنى المعتصم أيضًا هناك قصرًا ووهبه لمولاه اشناس، فلما ضاقت بغداد عن عساكره وأراد استحداث مدينة كان هذا الموضع على خاطره فجاءه، وبنى عنده سرمن رأى، وقد حكى فى سبب استحداثه سرمن رأى أنه قال ابن عبدوس: فى سنة ٢١٩ أمر المعتصم أبا الوزير أحمد بن خالد الكاتب بأن يأخذ مائة ألف دينار ويشترى بها بناحية سرمن رأى موضعًا يبنى فيه مدينة وقال له: إنى أتخوف أن يصيح هؤلاء الحربية صيحة فيقتلوا غلمانى فإذا ابتعت لى هذا الموضع كنت فوقهم فإن رابنى رائب أتيتهم فى البر والبحر حتى آتى عليهم، فقال له أبو الوزير: آخذ خمسة آلاف دينار وإن احتجت إلى زيادة استزدت، قال: فأخذت خمسة آلاف دينار وقصدت الموضع فابتعت ديرًا كان فى الموضع من النصارى بخمسة آلاف درهم وابتعت بستانًا كان فى جانبه بخمسة آلاف درهم ثم أحكمت الأمر فيما احتجت إلى ابتياعه بشئ يسير فانحدرت فأتيته بالصكاك، فخرج إلى الموضع فى آخر سنة ٢٢٠ ونزل القاطول فى المضارب ثم جعل يتقدم قليلًا قليلًا وينتقل من موضع إلى موضع حتى نزل الموضع وبدأ بالبناء فيه سنة ٢٢١، وكان لما ضاقت بغداد عن عسكره وكان إذا ركب يموت جماعة من الصبيان والعميان والضعفاء لازدحام الخيل وضغطها، فاجتمع أهل الخير على باب المعتصم وقالوا: إما أن تخرج من بغداد فإن الناس قد تأذوا بعسكرك أو نحاربك، فقال: كيف تحاربوننى؟ قالو: نحاربك بسهام السحر، قال: وما سهام السحر؟ قالوا:

ندعو عليك، فقال المعتصم: لا طاقة لى بذلك، وخرج من بغداد ونزل سامراء وسكنها وكان الخلفاء يسكنونها بعده إلى أن خربت إلا يسيرًا منها، هذا كله قول السمعانى ولفظه، وقال أهل السير: إن جيوش المعتصم كثروا حتى بلغ عدد مماليكه من الأتراك سبعين ألفًا فمدوا أيديهم إلى حرم الناس وسعوا فيها بالفساد، فاجتمع العامة ووقفوا للمعتصم وقالوا: يا أمير المؤمنين ما شيء أحب إلينا من مجاورتك لأنك الإمام والحامى للدين وقد أفرط علينا أمر غلمانك وعمنا أذاهم فإمامنعتهم عنا أو نقلتهم عنا، فقال: أما نقلهم فلا يكون إلا بنقلى ولكنى افتقدهم وأنهاهم وأزيل ما شكوتم منه، فنظروا وإذا الأمر قد زاد وعظم وخاف منهم الفتنة ووقوع الحرب وعاودوه بالشكوى وقالوا: إن قدرت على نصفتنا وإلا فتحول عناو إلا حاربناك بالدعاء وندعو عليك فى الأسحار، فقال: هذه جيوش لا قدرة لى بها، نعم أتحول وكرامة، وساق من فوره حتى نزل سامراء وبنى بها دارًا وأمر عسكره بمثل ذلك، فعمر الناس حول قصره حتى صارت أعظم بلاد الله، وبنى بها مسجدًا جامعًا فى طرف الأسواق، وأنزل أشناس بمن ضم إليه من القواد كرخ سامراء، وهو كرخ فيروز، وأنزل بعضهم فى الدور المعروفة بدور العربانى، فتوفى بسامراء فى سنة ٢٢٧"(٨٢).

وكرخ سامراء ذكره ياقوت الحموى بقوله "كرخ سامرا: وكان يقال له كرخ فيروز، منسوب إلى فيروز بن بلاش بن قباذ الملك، وهو أقدم من سامرا، فلما بنيت سامرا اتصل بها، وهو إلى الآن باقٍ عامر وخربت سامرا، وكان الأتراك الشبلية ينزلونه فى أيام المعتصم... وهو موضع مدينة قديمة على ارتفاع من الأرض، وزعم بعضهم أنه كرخ باجدًا.."(٨٣).

وفى أحداث سنة "عشرين ومائتين" أورد ابن الأثير "ذكر بناء سامرا" بما نصه "وفى هذه السنة خرج المعتصم إلى سامرا لبنائها، وكان سبب ذلك أنه قال: إنى أتخوف هؤلاء الحربية أن يصيحوا صيحة فيقتلوا غلمانى، فأريد أن أكون فوقهم، فإن رابنى منهم شيء أتيتهم فى البر والماء، حتى آتى عليهم، فخرج إليها، فأعجبه مكانها. وقيل كان سبب ذلك أن المعتصم كان قد أكثر من الغلمان الأتراك، فكانوا

لايزالون يرون الواحد بعد الواحد قتيلاً وذلك أنهم كانوا جفاة، يركبون الدواب، فيركضونها إلى الشوارع، فيصدمون الرجل والمرأة والصبى، فيأخذهم الأبناء عن دوابهم، ويضربونهم، وربما هلك أحدهم فتأذى بهم الناس. ثم إن المعتصم ركب يوم عيد، فقام إليه شيخ فقال له: يا أبا إسحاق! فأراد الجند ضربه، فمنعهم وقال: يا شيخ (مالك، مالك)؟ قال: لا جزاك الله عن الجوار خيرًا، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك، فأسكنتهم بيننا، فأيتمت صبياننا، وأرملت بهم نسواننا، وقتلت رجالنا، والمعتصم يسمع ذلك، فدخل منزله، ولم ير راكبًا إلى مثل ذلك اليوم، فخرج، فصلى بالناس العيد، ولم يدخل بغداذ، بل سار إلى ناحية القاطول، ولم يرجع إلى بغداذ. قال مسرور الكبير: سألنى المعتصم أين كان الرشيد يتنزه إذا ضجر ببغداذ، قلت: بالقاطول، وكان قد بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم، وكان قد خاف من الجند ما خاف المعتصم، فلما وثب أهل الشام بالشام وعصوا خرج إلى الرقة فأقام بها، وبقيت مدينة القاطول لم تستتم. ولما خرج المعتصم إلى القاطول استخلف ببغداذ ابنه الواثق. وكان المعتصم قد اصطنع قومًا من أهل الحوف بمصر، واستخدمهم، وسماهم المغاربة، وجمع خلقًا من سمرقند، وأشروسنة، وفرغانة، وسماهم الفراغنة، فكانوا من أصحابه، وبقوا بعده. وكان ابتداء العمارة بسامرا سنة إحدى وعشرين ومائتين"(٨٤).

وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن بناء مدينة سامراء أو سامرا كان فى سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م وهو التاريخ الذى أجمعت عليه كل المصادر التى تقدم ذكرها.

ويذكر فريد شافعى أن ظهور مدينة سامرا بدأ فى عالم الوجود عندما وقع احتيار الخليفة المعتصم العباسى على بقعة من الأرض على نهر دجلة تبعد نحو ١٠٠ كيلو متر إلى الشمال من بغداد ليقيم عليها مدينة جديدة يسكنها هو وجنده وحاشيته وخواصه كى يحول دون تفاقم الفتن بين جنده الأتراك المجلوبين من أواسط آسيا من ناحية، وبين أهالى بغداد من ناحية أخرى، وحسما لما كان يقوم بين الجانبين من مصادمات ومعارك تراق فيها الدماء وتهدر من جرائها الأرواح، بدأ بناء مدينة سامرا عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م وعمرت وتزايد اتساعها وترامت أطرافها فى سرعة

غير عادية. إذ امتد العمران فيها على مسافة تقرب من ٢٠ كيلو متر ووصل عرضها على ضفتى نهر دجلة نحو خمسة كيلو مترات[٨٥].

ويضيف فريد شافعى أن أول ما يلفت النظر فى سامرا أنها أقدم مدينة إسلامية بقيت آثارها واضحة، وتبرهن بقاياها على أن تخطيطها قد خضع لنظم هندسية وتصميمات مدروسة لا تكاد تضارعها فى ذلك أية مدينة أخرى من المدن القديمة المعروفة، ويتضح ذلك من الصور التى أخذت من الجو لكثير من أجزائها المترامية الأطراف وعلى امتداد طولها الكبير وعرضها على نهر دجلة، وتبين لنا تلك الصور مقدار ما وصلت إليه شوارعها من انتظام خطوطها واستقامتها وتوازيها وتقاطعها ببعضها فى زوايا قائمة أو حادة أو منفرجة، وما ينشأ عن ذلك من مستطيلات ومربعات ومثلثات تقوم فيها العمائر المختلفة أنواعًا المتقنة بناء، من قصور ومنازل وأبنية عامة مثل المساجد الجامعة الكبيرة، ثم ثكنات الجنود وخزائن المال وحدائق الحيوانات والحمامات والأسواق والحدائق العامة وغير ذلك، فكأنها مدينة خططت فى العصر الحديث على النظم الهندسية المعروفة فى علم تخطيط المدن[٨٦].

وتعطينا بقايا القصور الضخمة العظيمة التى بناها الخلفاء فى سامرا فكرة عن مقدار الترف والأبهة التى كانت تحيط بهم، فقد كان يتقدم القصر منها أبواب ضخمة عالية وأفنية واسعة، وتتتابع وراء بعضها، وتأتى بعدها قاعات العرش والاستقبال وأجنحة الحريم وأهل البيت والأمراء، وتحيط بها دور المال وثكنات الحرس والجنود والإسطبلات وخزائن السلاح ومنازل الحاشية وقصور الوزراء والحمامات والأسواق إلى غير ذلك مما يجعل القصر منها كأنه مدينة قائمة بذاتها، ومن أهم أمثلة تلك القصور قصر الجوسق الخاقانى الذى شيده المعتصم فى سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، ويعرف الآن ببيت الخليفة والذى جعل له المعتصم ساحة كبيرة يلعب فيها بالصوالج (البولو) وميدانًا عظيمًا للسباق[٨٧].

قصر المعتصم بسامراء (الجوسق الخاقاني. دار الخلافة)

يعد هذا القصر من أهم وأروع وأكبر وأعظم القصور العباسية بمدينة سر من رأى (سامراء ـ سامرا)، شيده الخليفة المعتصم فقد أورد اليعقوبى "فصير إلى خاقان عرطوج أبى الفتح بن خاقان بناء الجوسق الخاقانى"[٨٨]، وهو يقع على شارع السريجة الشارع الأعظم، ويضم دواوين الدولة، وقد جاء تخطيطه مستطيل الشكل يبلغ طوله ٧٠٠م تقريبًا، يشرف على نهر دجلة من خلال واجهة رئيسية تمتد بعرض حوالي ٢٠٠م، ويعرف ما بقى من هذا القصر بباب العامة وعرف بهذا الاسم لأن المعتصم كان يجلس فى إيوان المدخل ليستمع إلى شكاوى عامة الناس، وكان يخصص يومين فى الأسبوع لهذا الغرض وتعرف اليوم بالخليفة، وهو عبارة عن بناء ضخم فخم يطل على نهر دجلة، يتكون من ثلاثة ايوانات من خلال ثلاثة عقود ترتفع بمقدار ١٢م تقريبًا، وتغطى هذه الإيوانات أقبية نصف برميلية، أما الإيوان الأوسط فهو ١٧.٥٠× ٨٦و٧م، بارتفاع ١٠و١١م، يتميز الإيوان الأوسط بأنه أكثر اتساعًا وارتفاعًا من الإيوانين الجانبيين ويوجد باب خلف الإيوان الأوسط يبلغ عرضه ٣.٧٥م، وقيل (٤م)، بارتفاع ٧.١٠م، بعمق ١.٣٢م، أوجد المعمار على جانبيه غرفتين صغيرتين كما أوجد خلفهما غرفتين بنفس الأبعاد تقريبًا، وتوجد بقايا غرفة مربعة ذات سقف مسطح خلف الإيوان الرئيسى، ونقل طاهر العميد عن كريزويل أنه لابد أن يكون لباب العامة طابق أعلى يدل على ذلك وجود جزء من حائط على ارتفاع ٥م يرتفع عموديًا فوق الجانب الشمالى من الإيوان[٨٩].

ومن أقسام القصر قاعة العرش، وتشتمل على قاعة وسطى مربعة محاطة بأربع

قاعات، وقد عثر فيها على بقايا إطار من رخام، وأغلب الظن أنها كانت مسقفة بقبة، كما عثر فى القاعات على بقايا زخارف جصية فى بواطن العقود، ووصلت إلينا حشوة الباب الخشبية وهى تشبه مثيلتها فى جامع ابن طولون بمصر، وكشفت الحفائر عن قاعة أطلق عليها قاعة الحريم على جانبيها من الناحيتين الشرقية والغربية توجد غرف صغيرة للجلوس مجهزة جميعها بأنابيب المياه بعضها موصول بأنابيب رصاصية كبيرة، وبعضها بأنابيب زجاجية، وبعضها بأنابيب فخارية، وهناك غرف أخرى لدورات المياه والغسيل، وأمام القاعة الشرقية من مجموعة قاعة العرش قاعة أخرى كبيرة طولها ٣٨م، وعرضها ١٠.٤٠م، تطل على الرحبة الكبرى بخمسة أبواب، وأبعاد الرحبة تقريبًا ١٨٠×٣٥٠م تحيطها جدران من الشمال والجنوب، وتدعم الجدار أبراج نصف دائرية، وتبلغ المسافة بين البرج والآخر ٢٠م، وكانت الرحبة الكبرى مقسمة من خلال قناة إلى قسم غربى مرصوف يزدان بنافورتين، وآخر شرقى غير مرصوف فيه أقنية صغيرة، ويوجد فى أقصى الجهة الشرقية لهذه الرحبة سرداب صغير عبارة عن تجويف فى القصر، وعند كل جانب من هذا السرداب ثلاثة تجاويف حول ساحة مربعة الشكل، وتعرف هذه التجاويف بالسجن وأحيانًا تعرف ببركة السبع أو هاوية السباع(٩٠).

وفى وسط الرحبة الشرقية يوجد بناء يشرف على ملعب كبير يعرف بملعب الصولجان، له سور طويل يبلغ طوله ٥٣٠م، وعرضه ٦٥م، ويرجح انه كان ملعب الصوالجة، وفى الركن الشمالى الشرقى من القصر حفرة محاطة ببناية مربعة يبلغ طول ضلعها ١٨٠م تقريبًا، وفى وسطها بركة يبلغ قطرها حوالي ٨٠م منقورة فى الصخر، ومن المرجح أنها كانت فسقية، وفى الجزء العلوى توجد حجرات كثيرة بعضها سقف بأقبية متقاطعة، وقد كشف فى هذه الحجرات عن بعض المخازن وعثر فيها على بعض قطع من الخزف الصينى وألواح مربعة من القاشانى المموهة بالذهب، ونجد إلى الشرق مجموعة متنوعة من المبانى على امتداد الجدار الشمالى للقصر، وكان بيت المال فى هذا المكان من القصر(٩١).

قصر الجص

تقع آثار هذا القصر إلى الغرب من نهر دجلة على بعد ١٩كم من مدينة سامراء فى السهل الذى يقع على الجانب الأيسر من نهر الإسحاقى، وقد باشرت مديرية الآثار الحفائر فى موقعه من عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م بكشف جميع أقسامه ووضعت مخططًا له، وقد جرفت مياه دجلة الزاوية الشمالية الغربية منه، فزالت معالم السور الخارجى من الجهتين الشمالية والغربية، كما زالت آثار الضلع الشمالى من السور الداخلى أيضًا، وأما الضلع الشرقى من هذا السور فلم يبق إلا ربعه الجنوبى فقط[٩٢].

يتألف القصر من بناية مربعة يبلغ طول ضلعها ١٤٠م، ويبلغ طول السور الخارجى ٣٥٠م، مما يدل على أن المساحة التى كان يشغلها القصر مع السور الداخلى لا تقل عن ١٩٠٠٠م، أما مساحة القصر بالحديقة والسور الخارجى فتزيد على ١٣٠٠٠٠م، وتقع فى مركز المنشأة قاعة مربعة كبيرة يبلغ طول ضلعها ١٥.٤٠ م، ويبلغ سمك جدرانها ٢.٢٠م، ويستدل من ذلك على أنها كانت مسقفة بقبة، وأغلب الظن أنها كانت تستمد الإضاءة من نوافذ مفتوحة فى قاعدتها، وتتصل هذه القاعة المركزية بأربع قاعات مستطيلة من وسط أضلاعها الأربعة من خلال أربعة مداخل كبيرة، وتتصل كل قاعة بدهليز مستطيل يتصل بدوره بالخارج من خلال بابين متناظرين مفتوحين فى طرفى ضلعه الطويل، ويمتد أمام هذين البابين اللذين يؤلفان مداخل القصر فى كل ضلع من أضلاعه الأربعة دكة عريضة تشرف على الساحات الممتدة بين القصر والسور الخارجي[٩٣].

وقد أوجد المعمار فى كل إيوان من الإيوانات الأربعة غرفتين تفضيان إلى الفناء، كما يوجد فى منتهى كل قاعة من القاعات المستطيلة التى تحيط بالفناء المركزى قاعة مربعة توصل هذه القاعات بعضها ببعض، وتؤلف هذه الأقسام حول الفناء المركزى شكلًا متعامدًا أو متقاطعًا تام التناظر، وأما الساحات التى بين أضلاع هذا التقاطع المتناظر فتنقسم إلى عدة بيوت، وهى فى الجهة الجنوبية الشرقية من عشرة بيوت صغيرة، يتراوح عدد غرفها بين ست وثمانى غرف، ويستقبل كل واحد منها بمدخل خاص ومرحاض وحمام خاص، وتفتح مداخل هذه البيوت على الممر الذى يمتد على طول السور الداخلى، وأما مداخل بقية البيوت (الأحواش) فتنفتح على ممر خاص يقع عموديًا على ممر السور، وينفذ إلى قلب القصر، غير أن تقسيمات القسم الذى يقع بين الصحن الغربى والصحن الشمالى تشبه الزاوية الجنوبية الشرقية وتكون بيوتًا متناظرة مع بيوت تلك الزاوية[٩٤].

وأغلب الظن أن تقسيمات الزاوية الشمالية الشرقية من القصر كانت تشبه مثيلاتها فى الزاوية الغربية الجنوبية، وقد دعم سور القصر بمائة برج، أربعة منها شبه دائرية فى الأركان، ووزعت بقية الأبراج على أساس اثنى عشر برجًا فى كل نصف ضلع من الأضلاع الأربعة، وقد كشف عن برجين من أبراج السور الخارجى، قطر كل واحد منهما ٨م، وتبلغ المسافة بين كل برجين ٢٥م، وقد شيدت الأقسام المركزية بالآجر والجص، أما الأقسام الأخرى فقد بنيت مع الجدران بالجص ، وقد استخدم فى بناء الأساس النورة والرماد عوضًا عن الجص، أما السور الخارجى فقد شيد باللبن، وأطلقت مديرية الآثار على القصر اسم الحويصلات نسبة إلى اسم محلى لموقع تل الحويصلات، وتميل المؤسسة العامة للآثار إلى أن محل القصر الذى ظهر من التنقيبات فى الحويصلات إنما هو "قصر الجص" الذى ذكره اليعقوبى ضمن ما ذكر من مبانى على الجانب الغربى لنهر دجلة فى عهد المعتصم[٩٥].

وفاة زيادة الله بن الأغلب ومآثره المعمارية
وولاية أخيه الأغلب (أبو عقال الأغلب)
٢٢٣ـ ٢٢٦هـ/ ٨٣٧ـ ٨٤٠م

تولى أبو عقال الأغلب الحكم بعد أخيه زيادة الله بن الأغلب الذى توفى فى سنة ٢٢٣ هـ/ ٨٣٧م، فقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "ثلاث وعشرين ومائتين" وفاة زيادة الله بن الأغلب بما نصه "فى هذه السنة رابع عشر رجب توفى زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، أمير إفريقية، وكان عمره إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام، وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة وسبعة أشهر"[٩٦].

كما أورد "وولى بعده أخوه أبو عفان الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، فأحسن إلى الجند، وأزال مظالم كثيرة، وزاد العمال فى ارزاقهم .."[٩٧].

عمارة زيادة الله فى المسجد الجامع بالقيروان

وزيادة الله بن الأغلب ذكره البكرى فقال "وكان زيادة الله.. يقول: ما أبالى ما قدمت عليه يوم القيامة وفى صحيفتى أربع حسنات: بنيانى المسجد الجامع بالقيروان.."[٩٨]، وقد ذكره ياقوت الحموى كما تقدم عند ذكره مدينة سوسة وذكر مآثره بما نصه ".. وكان زيادة الله بن الأغلب قد بنى سورها، وكان يقول: لا أبالى ما قدمت عليه يوم القيامة وفى صحيفتى أربع حسنات: بنيان مسجد الجامع والقيروان وبنيان قنطرة الربيع وبنيان حصن مدينة سوسة وتوليتى أحمد بن أبى محرز قضاء إفريقية"[٩٩].

أعمال زيادة الله بن الأغلب فى جامع القيروان

يتناول أحمد فكرى المسجد الجامع بالقيروان من حيث النشأة خلال الفترة من ٥٠ـ ٥٥هـ/ ٦٧٠ ـ ٦٧٥م والتطور، فالقيروان رابع مدينة أحدثت فى الإسلام بعد البصرة والكوفة والفسطاط، بدأ عقبة البناء فيها سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، وفرغ منها فى سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م، وكان أول ما اختط فى المدينة مسجدها الجامع الذى عرف بجامع القيروان، وقد جدد المسجد فى أيام حسان بن النعمان حوالى سنة ٨٠هـ/ ٦٩٤م، وزاد فيه بشر بن صفوان زيادة كبيرة فى سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م، ثم جدد المسجد مرة ثالثة فى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م فى عهد يزيد بن حاتم، ومرة رابعة قبيل سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م فى عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، وتتمثل أعمال زيادة الله فى جامع القيروان فى تغيير تخطيط المسجد، فقد غير فى تخطيط بلاطة المحراب فى ظلة القبلة أو بيت الصلاة، فقد أقام محرابًا جديدًا للمسجد، وشيد من فوقه قبة عظيمة، ووسع البلاطة التى أمامه، فهدم صف الأعمدة الذى كان يتوسط بيت الصلاة أو ظلة القبلة، أمام المحراب، وجعل من البلاطتين اللتين كان هذا الصف من الأعمدة يفصل بينهما، بلاطة واحدة واسعة، هى التى أصبحت بلاطة المحراب أو البلاطة الوسطى، وأصبح لبيت الصلاة أو ظلة القبلة سبع عشرة بلاطة بدلًا من ثمانى عشرة بلاطة، وكذلك أضاف زيادة الله إلى بيت الصلاة أو ظلة القبلة بلاطة كانت تطل على الصحن حينذاك، ويحدها صفان متجاوران من الأعمدة، بكل منها ١٩ عمودًا، فأصبح لبيت الصلاة أو ظلة القبلة ثمانى بلاطات بدلًا من سبع، ويطلق أحمد فكرى على هذه البلاطة لفظ "أسكوب"، وقد أعاد زيادة الله البناء بالصخر والآجر والرخام، وأدخل محراب عقبة بين حائطين بحيث لا يظهر فى الجامع أثر لغيره، وتم كسوة المحراب بالرخام الأبيض المخرم المنقوش، ومحراب عقبة لا يزال يرى اليوم من خلال هذه الكسوة الرخامية[١٠٠].

مسجد بوفتاتة بسوسة

٢٢٣ - ٢٢٦هـ/٨٣٨ - ٨٤١م

يذكر أحمد فكرى أنه شيدت فى عصر الأغالبة مساجد عدة، تخلف منها على حالتها الأولى أربعة مساجد، شيدت فيمابين ٢٠٦هـ/ ٨٢١م و ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، وذلك بالإضافة إلى المسجد الجامع فى القيروان، وتضم مدينة سوسة التى تقدم ذكرها وحدها ثلاثة مساجد تحتفظ بتواريخ عمارتها مسجلة بالحجارة على بنائها، وذلك بالإضافة إلى احتفاظها بوحداتها وعناصرها المعمارية والزخرفية القديمة، وتحتفظ هذه المدينة أيضًا بأسوارها التى تعتبر أنموذجًا رائعًا للعمارة الدفاعية أو العسكرية والتى شيدت فى سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، وفوق هذا فإن هذه المجموعة التونسية من المساجد متناسقة مظهرًا وبنيانًا[١٠١].

وفيما يتعلق بمسجد بوفتاتة فلا يعرف السبب فى تسميته بهذا الاسم كما يذكر أحمد فكرى فى حين يرجح حسن حسنى عبد الوهاب كما يذكر شريف عبد الوهاب أن بناء هذا المسجد تم على يدى فتاتة مولى الأمير أبى عقال الأغلب، وهو المشرف أيضًا على إقامة الجانب القبلى من سور المدينة، ولهذا السبب نسب الجامع إليه فعرف باسمه إلى الآن مع زيادة واضحة للفظ "بو"، وهو مسجد صغير يقع قريبًا من باب سوسة الجنوبى المعروف باسم باب القيروان، ويشغل مساحة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٣م، ومن الشرق إلى الغرب بمقدار ١٠م، ويعتقد أحمد فكرى أن المسجد كان يشتمل على صحن يحيط بالمسجد من ثلاث جهات هى

الشمالية والشرقية والغربية على غير النظام الذى تبدو عليه الجدران التى تحيط به حاليًا من الشرق ومن الشمال، وذلك لأن الكتابة الكوفية المسجلة على الحجارة فى إطار يعلو جدار واجهة المسجد الشمالية، كانت تمتد كذلك على واجهته الغربية، ومازالت تشاهد آثار منها على هذه الواجهة، وفى هذه الكتابات نص يقرأ فيه "بن إبراهيم الأغلب"، وهو الأمير أبو عقال الذى كان واليًا على إفريقية خلال الفترة من سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م إلى سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤١م[١٠٢].

ويتكون المسجد من ظلة أو بيت للصلاة تتقدمه سقيفة فى الجهة الشمالية منه تشرف على الصحن، وربما استخدمت هذه السقيفة كصحن للجنائز، وتشرف هذه السقيفة على الصحن من الجهة الشمالية، وذلك من خلال بائكة ثلاثية العقود، كما تفتح هذا السقيفة من خلال باب مفتوح على الصحن من الجهة الشرقية، إذ ليس من المتبع فى بلاد المغرب أن تقام هذه الصلاة داخل بيوت الصلاة فى المساجد، أما المسجد فيتكون من نلاث بلاطات تمتد موازية لجدار القبلة أى من الشرق إلى الغرب تتقاطع معها ثلاث بلاطات تمتد عمودية على جدار القبلة، أى أن البلاطات تمتد موازية وعمودية فى آن واحد بالنسبة لجدار القبلة، حيث يشتمل المسجد على بائكتين موازيتين لجدار القبلة، بكل بائكة ثلاثة عقـود ترتكز على دعامتين من جهة، وبروزين بالجدار الشرقى والغربى من جهة أخرى، وترتكز على هذه الدعامات الأربعة بائكتان تمتدان بشكل عمودى على جدار القبلة، بكل بائكة ثلاثة عقود كذلك، أى أن تخطيط المسجد كما يذكر أحمد فكري[١٠٣] يرسم مربعًا يتكون من تسع مربعات، طول كل ضلع منها ٢.٥٠م تقريبًا، ويتوسط المحراب جدار القبلة.

يشتمل المسجد على مدخل يتوسط الجدار الشمالى المقابل لجدار القبلة، يتوصل إليه من السقيفة التى تتقدم المسجد، كما يشتمل على فتحتين إحداهما فى الجدار الشرقى، والأخرى فى السقيفة تفتح على الصحن من الجهة الشرقية.

الحبس الذى يشبه المنارة

وفى أحداث سنة "خمس وعشرين ومائتين أورد الطبرى" وفيها غضب المعتصم على الأفشين فحبسه.. فحبس فى الجوسق، ثم بنى له حبسًا مرتفعًا، وسماه لؤلؤة داخل الجوسق، وهو يعرف إلى الآن بالأفشين.. وكان الحبس الذى بنى للأفشين شبيهًا بالمنارة، وجعل فى وسطها مقدار مجلسه، وكان الرجال ينوبون تحتها كما تدور"[١٠٤].

وفاة الأغلب وولاية أبى العباس محمد بن الأغلب

(محمد الأول) إفريقية ٢٢٦ـ٢٤٢هـ/٨٤٠ـ٨٥٦م

توفى الأغلب فى سنة ٢٢٦ هـ/ ٨٤٠م فولى أبو العباس محمد ودانت له إفريقية، وأسس مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية فى سنة ٢٣٩ هـ/ ٨٥٣م، فقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "ست وعشرين ومائتين" فيما يتعلق بدولة الأغالبة أو الدولة الأغلبية ما نصه "فى هذه السنة، فى ربيع الآخر، (توفى الأغلب بن إبراهيم يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة، وكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر وسبعة أيام. ولما توفى) ولى أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب بلاد إفريقية بعد وفاة والده.."(١٠٥).

مدينة العباسية

يحدثنا ابن الأثير عن بناء مدينة العباسية من قبل أبى العباس محمد بن الأغلب وهو ما سوف نتناوله فى موضعه من الكتاب فى أحداث سنة "ست وعشرين ومائتين" على الرغم من أن تاريخ بنائها سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م بما نصه ".. ولى أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب بلاد إفريقية بعد وفاة والده، ودانت له إفريقية، وابتنى مدينة بقرب تاهرت(١٠٦) سماها العباسية فى سنة تسع وثلاثين ومائتين، فأحرقها أفلح بن عبد الوهاب الإباضى.. وتوفى محمد بن الأغلب يوم الاثنين غرة المحرم من سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وكانت ولايته خمس عشرة وثمانية أشهر وعشرة أيام"(١٠٧).

زلزلة بالأهواز

وقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "ست وعشرين ومائتين" ما نصه "فى هذه السنة زلزلت الأهواز زلزلة شديدة، خمسة أيام، وكان مع الزلزلة ريح شديدة، فخرج الناس عن منازلهم، وخرب كثير منها"[١٠٨]

وفاة المعتصم

أورد الطبري في أحداث سنة "سبع وعشرين ومائتين" ما نصه "وفيها كانت وفاة المعتصم وذلك، ـ فيما ذكر ـ يوم الخميس، فقال بعضهم: لثماني عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول لساعتين مضتا من النهار.. وبويع في يوم توفي المعتصم ابنه هارون الواثق بن محمد المعتصم، وذلك في يوم الأربعاء لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين ويكنى أبا جعفر، وأمه أم ولد رومية تسمى قراطيس"[109].

كان المعتصم شديد الرأي، شديد المنة، وكان موصوفًا بالشجاعة، وسمي المثمن كما تقدم، واتبع وصية أخيه المأمون في حمل الناس على القول بخلق القرآن، فأهان أحمد بن حنبل وسجنه، وأصبح كل عالم أو قاضي هدفًا لخطر الضرب بالسياط والتعذيب إذا لم يأخذ برأي المعتزلة في القول بخلق القرآن، ولم تكن سياسة المعتصم نحو العلويين أقل شدة من سياسة الخلفاء العباسيين قبله، ومن المصاعب التي واجهت المعتصم فتنه الهنود المعروفين بالزط، الذين استولوا على طريق البصرة، وفرضوا المكوس الجائرة على السفن ثم حالوا دون وصول المؤن والأقوات إلى بغداد، ومن الحوادث الهامة التي وقعت في عهده فتح عمورية وهدمها، والثورات التي أشعلها بابك الخرمي ومازيار الأفشين، كذلك أثار الأكراد الفتنة في بلاد الموصل[110].

وقد أورد الطبري عن مكان دفن المعتصم "فلما مات دفن بسامرا... وكان مولده بالخلد"[111].

الواثق بالله

(٢٢٧ -٢٣٢هـ/ ٨٤٢ -٨٤٧م)

ولد هارون الواثق بالله بن المعتصم فى شهر شعبان سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م، وأمه أم ولد رومية يقال لها قراطيس، وكان الواثق منذ حداثته راجح العقل، بصيرًا بتصريف الأمور، سياسيًا ماهرًا، موصوفًا بكثير من الخلال التى جعلت أباه يعتمد عليه فى أثناء غيابه، فتركه فى بغداد سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م حين سار لبناء مدينة سامرا، كما أنابه عنه سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م فى استقبال الأفشين بعد رجوعه منتصرًا فى حرب بابك الخرمى، وعهد إليه بفتح عمورية، وولى المعتصم ابنه الواثق عهده، فولى الخلافة فى شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ/ ٧٤٢م، واقتدى بأبيه فى الاعتماد على الأتراك، فولى أشناس التركى السلطة، وتوجه بتاج مرصع بالجواهر، فكان أول خليفة استخلف سلطانًا(١١٢).

مدينة سامراء (سامرا)

أورد البلاذرى عن مدينة سامراء فى عهد الخليفة هارون الواثق بالله ما نصه "وأقام هارون الواثق بالله بسرمن رأى فى بناء بناه وسماه الهارونى حتى توفى به"(١١٣).

وفى ذلك أورد اليعقوبى "وولى الخلافة هارون الواثق بن المعتصم، فبنى الواثق القصر المعروف بالهارونى على دجلة، وجعل فيه مجالس فى دكة شرقية، ودكة غربية. وانتقل إليه وزادت الأقطاعات، وقرب قومًا، وباعد ديار قوم على الأحظاء، لا على الأبعاد، فأقطع وصيفًا دار أفشين التى بالمطيرة، وانتقل وصيف عن داره القديمة إلى

دار أفشين، ولم يزل يسكنها، وكان أصحابه ورجاله حوله. وزاد فى الأسواق، وعظمت الفرض التى تردها السفن من بغداد، وواسط، والبصرة، والموصل، وجدد الناس البناء، وأحكموه وأتقنوه لما علموا أنها قد صارت مدينة عامرة، وكانوا قبل ذلك يسمونها العسكر. ثم توفى الواثق فى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين"[١١٤]، والاحكام فى البناء كان فلسفة الخليفة المعتصم، قال الطبرى وذكر عن الفضل.. لم يكن للمعتصم لذة فى تزيين البناء، وكانت غايته فى الإحكام"[١١٥].

وقد أورد ياقوت الحموى "وأقام ابنه الواثق بسامراء حتى مات بها"[١١٦].

غلاء السعر بطريق مكة

من الأحداث التى أوردها الطبرى فى سنة "ثمان وعشرين ومائتين" ما نصه "وفيها غلا السعر بطريق مكة.. وأصاب الناس فى الموقف حر شديد ثم مطر شديد فيه برد، فأضربهم شدة الحر، ثم شدة البرد فى ساعة واحدة، ومطروا بمنى فى يوم النحر مطرًا شديدًا لم يروا مثله، وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة قتلت عدة من الحاج "[١١٧].

القصر الهارونى بسامراء

ويرد ذكر القصر المعروف بالهارونى الذى بناه الخليفة هارون الواثق بالله بسامراء وذلك فى أحداث سنة "تسع وعشرين ومائتين"، فقد أورد الطبرى مانصه "ذكر عن عزون بن عبد العزيز الأنصارى، أنه قال: كنا ليلة فى هذه السنة عند الواثق.. فجلس فى رواقه الأوسط فى الهارونى فى البناء الأول الذى كان إبراهيم بن رباح بناه، وقد كان فى أحد شقى ذلك الرواق قبة مرتفعة فى السماء بيضاء، كأنها بيضة إلا قدر ذراع - فيما ترى العين - حولها فى وسطها ساج منقوش مغشى باللازورد، وكانت تسمى قبة المنطقة، وكان ذلك الرواق يسمى رواق قبة المنطقة"[١١٨].

يقع هذا القصر فى الجنوب الغربى من دار العامة، وعلى الشاطئ الشرقى من

دجلة فى الموقع المعروف بالكوير، شيده الخليفة الواثق بن المعتصم فجعل فيه مجالس فى دكة شرقية وأخرى غربية، ولا تزال آثارها باقية، وقد اشتهر آجر هذا القصر الضخم بالصلابة والمتانة، ذكره الطبرى[١١٩] فى أحداث سنة "تسع وعشرين ومائتين كما تقدم.

الحاج والعطش الشديد

فى أحداث سنة "اثنتين وثلاثين ومائتين" أورد الطبرى "وفى هذه السنة أصاب الحاج فى المرجع عطش شديد فى أربعة منازل إلى الربذة، فبلغت الشربة عدة دنانير. ومات خلق كثير من العطش[١٢٠].

وفاة الواثق

كما أورد الطبرى فى أحداث سنة "اثنتين وثلاثين ومائتين" ما نصه "وفيها مات الواثق.. ودفن فى قصره بالهاروني"[١٢١].

وكان هذا القصر أمام الجسر الذى أقامه المعتصم على دجلة تمامًا، ويقع أمام الجسر من الجانب الغربى من النهر قصر العاشق[١٢٢].

اشتداد البرد

كما أورد "وفيها اشتد البرد فى نيسان حتى جمد الماء لخمس خلون منه"[١٢٣]. وشهدت هذه السنة وفات الخليفة الواثق وخلافة جعفر المتوكل، قال الطبرى "وفيها مات الواثق.. ودفن فى قصره بالهارونى.. وفى هذه السنة بويع لجعفر المتوكل على الله بالخلافة، وهو جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد ذى الثفنات بن على السجاد بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب"[١٢٤].

وفى أوائل عهد الواثق ثارت القيسية بدمشق، فانتصر عليهم فى مرج راهط، وعاث بنوسليم وغيرهم من البدو فى بلاد الحجاز، فأرسل إليهم الواثق فى سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م جيشًا بقيادة بغا الكبير أحد قواد الأتراك، فانتصر عليهم، وسار لاخضاع بنى مرة بعدن، ثم عاد بغا إلى سامرا بعد أن أقر الأمن فى جزيرة العرب

الشمالية، وقد سار الواثق على سياسة أبيه المعتصم فى الانتصار للمعتزلة، وشدد فى فرض آرائه الدينية على الناس، وناظر الخليفة أحمد بن نصر فى مسألة خلق القرآن، وقد تمتع ولاة الأقاليم فى عهد الواثق بنفوذ كبير، وانتشرت الرشوة والفساد بين رجال الدولة، وكان الواثق لايبارى فى علمه وأدبه حتى سمى المأمون الأصغر لأدبه وفضله، وشغف بالوقوف على آراء العلماء والحكماء، وأفرد مجلسًا للمناظرة فى قصره، مقتفيًا فى ذلك أثر عمه المأمون، وكان شاعرًا يقول الشعر، وبموت الواثق انتهى العصر الذهبى للدولة العباسية(١٢٥).

الخليفة المتوكل على الله

٢٣٢ -٢٤٧هـ/ ٨٤٧ -٨٦١م

ولد جعفر بن المعتصم فى سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م بفم الصلح[١٢٦]، ويكنى أبا الفضل، وأمه أم ولد يقال لها شجاع قيل إنها تركية، وقيل خوارزمية، وقد تربت منذ حداثة سنها فى بيت المعتصم واشتركت فى تربية ابنها وإعداده لاعتلاء العرش، ولى الواثق أخاه المتوكل إمارة الحج فى سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١م[١٢٧].

مدينة سامراء (سامرا) فى عهد المتوكل على الله

يحدثنا البلاذرى عن مدينة سامراء أو سامرا فى عهد الخليفة المتوكل على الله بقوله "ثم استخلف أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله رحمه الله فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فأقام بالهارونى وبنى بناء كثيرا وأقطع الناس فى ظهر سر من رأى بالحائر الذى كان المعتصم بالله احتجره بها قطائع فاتسعوا بها وبنى مسجدا جامعا كبيرا وأعظم النفقة عليه وأمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها حتى نظر إليها من فراسخ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول، ثم أنه أحدث مدينة سماها المتوكلية"[(١٢٨)].

ويحدثنا اليعقوبى عن سامراء فى عهد الخليفة المتوكل على الله بقوله "ثم توفى الواثق فى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وولى جعفر المتوكل بن المعتصم، فنزل الهارونى وأثره على جميع قصور المعتصم، وأنزل ابنه محمد المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق، وأنزل ابنه، إبراهيم المؤيد بالمطيرة، وأنزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقًا بموضع يقال له: بلكوارا، فاتصل البناء من بلكوارا إلى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار أربعة فراسخ. وزاد فى شوارع الحير شارع الأسكر والشارع الجديد. وبنى المسجد الجامع فى أول الحير فى موضع واسع خارج المنازل، لا يتصل به شىء من القطائع والأسواق، وأتقنه، ووسعه، وأحكم بناءه، وجعل فيه فوارة ماءٍ لا ينقطع ماؤها، وجعل الطرق إليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذى يأخذ من وادى إبراهيم بن رياح، فى كل صف حوانيت، فيها أصناف التجارات والصناعات والبياعات، عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء،

لئلا يضيق عليه الدخول إلى المسجد، إذا حضر المسجد فى الجمع فى جيوشه وجموعه وبخيله ورجله، ومن كل صف إلى الصف الذى يليه دروب وسكك، فيها قطائع جماعة من عامة الناس، فاتسعت على الناس المنازل والدور، واتسع أهل الأسواق والمهن والصناعات فى تلك الحوانيت والأسواق التى فى صفوف المسجد الجامع. وأقطع نجاح بن سلمة الكاتب فى آخر الصفوف، مما يلى قبلة المسجد. وأقطع أحمد بن إسرايل الكاتب أيضًا بالقرب من ذاك. وأقطع محمد بن موسى المنجم وأخوته وجماعة من الكتاب والقواد والهاشميين وغيرهم"(١٢٩).

وأورد المقدسى ذكر الخليفة المتوكل بما نصه "سامرا كانت مصرًا عظيمًا ومستقر الخلفاء فى القديم اختطها المعتصم وزاد فيها بعده المتوكل وصارت مرحلة وكانت عجيبة حسنة حتى سميت سرور من رأى ثم اختصر فقيل سرمرى وبها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق قد لبست حيطانه بالمينا وجعلت فيه أساطين الرخام وفرش به وله منارة طويلة وأمور متقنة وكانت بلدًا جليلاً"(١٣٠).

وفى ذلك أورد ياقوت الحموى ما نصه "ثم ولى المتوكل فأقام بالهارونى وبنى به أبنية كثيرة وأقطع الناس فى ظهر سر من رأى فى الحيز الذى كان احتجره المعتصم، واتسع الناس بذلك، وبنى مسجدًا جامعًا فأعظم النفقة عليه وأمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر إليها من فراسخ فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول، واشتق من دجلة قناتين شتوية وصيفية تدخلان الجامع وتتخللان شوارع سامراء، واشتق نهرًا آخر وقدره للدخول إلى الحيز فمات قبل أن يتمم، وحاول المنتصر تتميمه فلقصر أيامه لم يتمم ثم اختلف الأمر بعده فبطل، وكان المتوكل أنفق عليه سبعمائة ألف دينار، ولم يبن أحد من الخلفاء بسرمن رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل، فمن ذلك: القصر المعروف بالعروس أنفق عليه ثلاثين ألف ألف درهم، والقصر المختار خمسة آلاف ألف درهم، والوحيد ألفى ألف درهم، والجعفرى المحدث عشرة آلاف ألف درهم، والغريب عشرة آلاف ألف درهم، والشيدان عشرة آلاف ألف درهم، والبرج عشرة آلاف ألف درهم، والصبح خمسة آلاف ألف درهم، والمليح خمسة آلاف ألف درهم، وقصر بستان الايتاخية عشرة

آلاف ألف درهم، والتل علوه وسفله خمسة آلاف ألف درهم، والجوسق في ميدان الصخر خمسمائة ألف درهم، والمسجد الجامع خمسة عشر ألف ألف درهم، وبركوان للمعتز عشرين ألف ألف درهم، والقلائد خمسين ألف دينار، وجعل فيها أبنية بمائة ألف دينار، والغرد في دجلة ألف ألف درهم، والقصر بالمتوكلية وهو الذي يقال له الماحوزة خمسين ألف ألف درهم، والبهو خمسة وعشرين ألف ألف درهم، واللؤلؤة خمسة آلاف ألف درهم، فذلك الجميع مائتا ألف ألف وأربعة وتسعون ألف ألف درهم، وكان المعتصم والواثق والمتوكل إذا بنى أحدهم قصرًا أو غيره أمر الشعراء أن يعملوا فيه شعرًا"(١٣١).

أعمال هدم بفعل الأمطار بالموصل

وذكر ابن الأثير أن المطر جاء عظيمًا بالموصل، فقد أورد في أحداث سنة "اثنتين وثلاثين ومائتين" ما نصه "وفيها غرق كثير من الموصل [وهلك] فيها خلق، قيل: كانوا نحو مائة ألف إنسان، وكان سبب ذلك أن المطر جاء بها عظيمًا لم يسمع بمثله، بحيث أن بعض أهلها جعل سطلاً عمقه ذراع في سعة ذراع، فامتلأ ثلاث دفعات في نحو ساعة، وزادت دجلة زيادة عظيمة فركب الماء الربض الأسفل، وشاطئ نهر سوق الأربعاء، فدخل كثيرًا من الأسواق، فقيل: إن أمير الموصل، وهو غانم بن حميد الطوسي، كفن ثلاثين ألفًا، وبقي تحت الهدم خلق كثير لم يحملوا سوى من حمله الماء"(١٣٢).

طرز سامراء

تزيد أهمية بناء مدينة سامراء كما يذكر فريد شافعى بسبب ما نتج عنه من تحول خطير فى تطور الزخارف المحفورة فى الجص فى العمائر، وخاصة النباتية منها، فقد اعترف علماء الفنون بأن الزخارف النباتية الإسلامية التى عرفت فيما بعد بالأرابسك، نسبة إلى العرب قد ولدت فى سامراء، واطلاق كلمة أرابسك على تلك الزخارف تسليم صريح بفضل العرب فى ابتكارها وبعبقريتهم فى تطويرها، وقد ابتدأت تلك الزخارف بالظهور فى سامراء وهى تحتفظ فى مرحلتها الأولى برواسب هلينستية وساسانية، وذلك من ناحية أشكال العناصر وأساليب حفرها، ثم انتقلت إلى مرحلة ثانية تضاءلت فيها تلك الرواسب، سواء فى العناصر أو أساليب الصناعة حتى كادت أن تختفى، وهو ما آلت إليه فى المرحلة الثالثة، إذ اختفت تمامًا وظهرت عناصر وأساليب جديدة لا تمت بصلة لما كان مستخدمًا فى المرحلة الأولى(١٣٣).

تمتاز المرحلة الأولى التى اتفق علماء الآثار على تسميتها بالطراز الأول بقرب عناصرها من أشكال هلينستية وساسانية، فهى تخرج من عروق طويلة تمتد فى انحناءات وحلزونات، ويتضح فى أسلوب حفرها اتساع الأرضيات وتجسيم العناصر فى تقعر أو تحدب، ومن عناصرها السائدة ورقة العنب الخماسية ذات القطاع المقعر، وعنصر الورقة الثلاثية، وعنقود العنب ذو المحيط الذى يتكون من ثلاثة فصوص، وله قطاع محدب تملؤه حبيبات مثقوب وسطها، ثم عناصر كأسية ذات قطاع محدب تملؤها معينات غائرة(١٣٤).

وفى الطراز الثانى تضاءلت الأرضيات حتى صارت قنوات ضيقة تفصل ما بين

العناصر التى كادت أن تفقد ما ألفناه من اتصال بعضها ببعض بواسطة العروق الطويلة، وتطورت العناصر إلى وحدات كبيرة مسطحة لا تجسيم فيها، وبحيث يتبع محيط كل عنصر منها الحدود الخارجية للعناصر الأخرى التى تحيط به، وأصبح لا يفصلها عن بعضها إلا تلك القنوات الضيقة، ونتج عن هذا الاتجاه الجديد تحوير كبير فى أشكال العناصر وهيئاتها وأحجامها، فقد زاد مقياسها عما كانت عليه فى الطراز الأول، وأغلب الظن كما يذكر فريد شافعى أن ابتكار هذه التصميمات والوحدات يرجع إلى الضرورة التى فرضت على الفنانين المسلمين فى سامراء أن ينتجوا أكبر ما يمكن من المسطحات الزخرفية لكسوة الجدران فى أقصر وقت لكى يلبوا ازدياد الطلب على تشييد العمائر وتزيينها بالزخارف الجصية على الجدران، الأمر الذى لم يكن يتوفر لهم لو ظلوا يستخدمون الطراز الأول بعناصره وأساليبه التى كانت تستنفذ وقتًا وجهدًا كبيرين فضلاً عن ارتفاع نفقة انتاجها(١٣٥).

وفى الطراز الثالث الذى يعد المرحلة الأخيرة لتطور الطراز الثانى بفكرته وعناصره مع تعديل جديد فيها بحيث يصبح أكثر صلاحية لفكرة جديدة هى الصب فى قوالب واستخراج نسخ متعددة من التكوين الزخرفى الواحد، وهى طريقة لها طابع آلى يساعد على توفير الوقت والجهد والنفقة أكثر من طريقة الحفر المبسطة فى الطراز الثانى، ويساعد على اتباع تلك الطريقة الآلية أسلوب حفر العناصر الزخرفية بطريقة الشطف للتخلص من الأرضيات العميقة، فتلاصقت عناصر الطراز الثالث تمامًا بجوار بعضها، وأصبح لها قطاع محدب، والميزتان تساعدان كثيرًا على استخلاص النسخ الزخرفية من القالب، ولكن ليس من الضرورى أن تكون طريقة القوالب قد اتبعت فى جميع الأحوال، ويلاحظ أن العناصر التى تبدو جديدة فى الطرازين الثانى والثالث قد تطورت من عناصر قديمة مختارة من الفنون الهلينستية والساسانية مثل المراوح النخيلية وأنصافها، إلا أنه تطورت منها عناصر أخرى تعد من ابتكارات الفن العربى الإسلامى مثل الكؤوس وأنصافها، ومن أهم المميزات الجديدة لزخارف الطرازين الثانى والثالث

ظاهرة خروج الأوراق النباتية من بعضها، ومع ذلك بقيت ظاهرة خروج العناصر مباشرة من العروق الممتدة على هيئة منحنيات أو التواءات أو موجات، وانتشر الطراز الثالث فى حفر الزخارف على الخشب والرخام، وعثر على أمثلة كثيرة منها فى سامراء، أما زخارف الخزف ذى البريق المعدنى فقد تبع معظمها الطراز الثانى نظرًا لملاءمته لطبيعة النقش على مسطحات مستوية، كما زخرفت به ألواح من الخشب بنقشه بالألوان بغير حفر[١٣٦].

جامع سامراء الكبير

٢٣٤ -٢٣٧هـ/ ٨٤٨ -٨٥١م

يحدثنا البلاذرى عن هذا المسجد بما نصه "ثم استخلف أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله رحمه الله فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.. وبنى مسجدا جامعا كبيرا وأعظم النفقة عليه وأمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها حتى نظر إليها من فراسخ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول.."(١٣٧).

والمسجد الأول الذى ذكر فى نص البلاذرى هو مسجد المعتصم الذى بنى عند تشييد مدينة سامراء فى سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، فقد ذكره البلاذرى بما نصه "ثم رأى تمصير سر من رأى فمصرها ونقل الناس إليها وأقام بها، وبنى مسجدًا جامعا فى طرف الأسواق وسماها سر من رأى"(١٣٨).

وذكره اليعقوبى بقوله "وبنى المسجد الجامع فى أول الحير فى موضع واسع خارج المنازل، لا يتصل به شىء من القطائع والأسواق، وأتقنه، ووسعه، وأحكم بناءه، وجعل فيه فوارة ماءٍ لا ينقطع ماؤها، وجعل الطرق إليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذى يأخذ من وادى إبراهيم بن رياح، فى كل صف حوانيت، فيها أصناف التجارات والصناعات والبياعات، عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء، لئلا يضيق عليه الدخول إلى المسجد، إذا حضر المسجد فى الجمع فى جيوشه وجموعه وبخيله ورجله"(١٣٩).

وقد أورد المقدسى "سامرا كانت مصرًا عظيمًا.. وبها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق قد لبست حيطانه بالمينا وجعلت فيه أساطين الرخام وفرش به وله منارة طويلة وأمور متقنة.."(١٤٠).

وذكره ياقوت الحموى بقوله "ثم ولى المتوكل.. وبنى مسجدًا جامعًا فأعظم النفقة عليه وأمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر إليها من فراسخ فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول، واشتق من دجلة قناتين شتوية وصيفية تدخلان الجامع وتتخللان شوارع سامراء.. ولم يبن أحد من الخلفاء بسر من رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل، فمن ذلك.. والمسجد الجامع خمسة عشر ألف ألف درهم"(١٤١).

فيما يتعلق بالموقع فقد أورد اليعقوبى كما تقدم "فى أول الحير فى موضع واسع خارج المنازل، لا يتصل به شىء من القطائع والأسواق"، وذكر عيسى سلمان عند ذكره الجامع الكبير فى سر من رأى (جامع المتوكل) أن الخليفة المعتصم بالله عندما أمر بتخطيط عاصمته الجديدة جعل مسجدها الجامع فى وسطها تقريبًا غير بعيد عن دار الخلافة مطلاً على الشارع الأعظم، بين الأسواق غير متصل بها، والظاهر أن جامع المعتصم هذا قد ضاق بالمصلين، خصوصا بعد أن نمت المدينة بسرعة وازداد عدد سكانها، فى عهد الخليفة المتوكل على الله، الذى عرف بحبه للبناء والتعمير، ويعتبر عهده من أزهى أيام سر من رأى، وقد أمر المتوكل بهدم مسجد المدينة الجامع وبنى مسجدًا جديدًا بدله أوسع منه وفى نفس المكان(١٤٢).

ولم يذكر عيسى سلمان المصادر التى استقى منها هذه المعلومات، حيث لم تشر النصوص التاريخية التى تقدم ذكرها إلى أن الخليفة المتوكل على الله قد أمر بهدم المسجد الجامع الذى أنشأه الخليفة المعتصم عندما أنشأ سامراء فى سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م وإنشاء مسجده الجامع فى موضعه، فالبلاذرى كما تقدم أشار إلى المسجد الجامع الذى أنشأه المعتصم كما أشار إلى المسجد الجامع الذى أنشأة المتوكل دون أن يشير إلى أن مسجد المتوكل شيد فى موضع مسجد المعتصم، ولم يتطرق إلى هدم مسجد المعتصم من قبل المتوكل بل أن البلاذرى ذكر ما نصه كما تقدم "ثم استخلف أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله.. وبنى مسجدا جامعا كبيرا.. فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول"، والنص يبين بجلاء أن سامراء اشتملت على مسجدين

جامعين أحدهما للمعتصم، والآخر للمتوكل، كذلك اليعقوبى فقد أشار إلى المسجد الجامع الذى أنشأه المعتصم كما تقدم بقوله "وخط المسجد الجامع، واختط الأسواق حول المسجد الجامع"، كما أشار إلى المسجد الجامع الذى أنشأه المتوكل بقوله كما تقدم "وبنى المسجد الجامع فى أول الحير فى موضع واسع خارج المنازل، لا يتصل به شىء من القطائع والأسواق"، ولم يتطرق اليعقوبى إلى هدم مسجد المعتصم من قبل المتوكل أو أن مسجد المتوكل شيد فى نفس موضع مسجد المعتصم، ويتضح هذا الأمر بشكل جلى فى نص ياقوت الحموى الذى أورد كما تقدم "ثم ولى المتوكل.. وبنى مسجدًا جامعًا فأعظم النفقة عليه.. فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول"، وهو الأمر الذى يؤكد على أن الخليفة المتوكل على الله ترك مسجد المعتصم الذى ضاق بالمصلين وشيد مسجدًا جامعًا آخر، ويعد نص ياقوت الحموى هنا تأكيدًا لنص البلاذرى فى أن مسجد المتوكل شيد فى موضع غير الموضع الذى شيد فيه مسجد المعتصم، وأن المتوكل لم يأمر بهدم مسجد المعتصم ويشيد فى موضعه مسجده.

وقد ذكر شريف(١٤٣) يوسف عند ذكره المسجد الجامع فى سامراء أن المعتصم أسس المسجد الجامع أولاً فى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، واختطت من حوله الأسواق والدور والقطائع، وقد بقى هذا المسجد إلى أيام المتوكل حيث وجد الجامع هذا صغيرًا لا يسع عدد المصلين، ولذلك بدأ بإنشاء جامع ضخم فى سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م بدلاً من الجامع الأول فى موضع واسع خارج المنازل عند أول الحير ولا يتصل به شىء من القطائع والأسواق، ولم يتطرق شريف يوسف إلى ما تطرق إليه عيسى سلمان من أن المتوكل قد هدم المسجد الذى بناه المعتصم وشيد بدلاً منه مسجده، بل أنه تناول هنا هذا الموضوع بشكل عام ودون الاعتماد أيضًا على نصوص تاريخية، إلا أنه أكثر صحة وإيضاحًا من عيسى سلمان.

والواقع أن سبب بناء المتوكل على الله لمسجده الجامع لا يرجع إلى ضيق المسجد الجامع الذى أنشأه المعتصم فى سامراء بالمصلين فقط وإنما أيضًا لما ذكره اليعقوبى

وتقدم ذكره ونصه".. لئلا يضيق عليه الدخول إلى المسجد، إذا حضر المسجد فى الجمع فى جيوشه وجموعه وبخيله ورجله".

أما فيما يتعلق بتاريخ الإنشاء، فقد ذكر أحمد فكرى أنه من المعروف أن الخليفة المتوكل هو الذى بنى المسجد الجامع فى سامراء ولكنه لا يعرف تحديدًا تاريخ بنائه له، وقد تولى المتوكل الخلافة فيما بين سنتى ٢٣٢ و ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ و٨٦١م، فيكون المسجد قد شيد فيما بين هاتين السنتين[١٤٤].

والواقع أنه لا يمكن قبول ما ذكره أحمد فكرى على هذا النحو، فهو يؤرخ المسجد الجامع فى سامراء بفترة حكم الخليفة المتوكل دون أن يحدد بداية أو نهاية حتى ولو على سبيل التقريب علمًا بأن تاريخ البدء فى البناء حدده عيسى[١٤٥] سلمان عام ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م كما حدد تاريخ الفراغ من عمارة المسجد فى سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م، ويتفق شريف يوسف فى تحديد البدء والفراغ من عمارة جامع سامراء مع عيسى سلمان، حيث ذكر أن المتوكل بدأ بإنشاء جامع ضخم فى سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٩ م، وقد أتقن بناءه وأحكم تشييده وفرغ من بنائه سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥٢م، وأنفق عليه ما يعادل ٦٠٠ ألف دينار، ولم يشر عيسى سلمان أو شريف يوسف[١٤٦] إلى المصادر التى استقيا منها هذه التواريخ، وعلى ما يبدو فإنها حددت من قبلهما على سبيل التخمين، ويؤرخ فريد[١٤٧] شافعى المسجد الجامع فى سامراء فى سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥٢م، وربما قصد تاريخ الفراغ من عمارة المسجد وهو ما يتفق وما أورده عيسى سلمان وشريف يوسف وتقدم ذكره، والمرجح أن ما ذهب إليه عيسى سلمان وشريف يوسف هو التاريخ الأقرب إلى الواقع.

يعد مسجد سامراء من روائع العمارة الإسلامية سواء من حيث التخطيط أو الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية، فقد جاء آية من آيات الفن المعمارى الإسلامى، فهو من الناحية التاريخية والأثرية يتبوأ مكانة متميزة ليس بين مساجد العراق الأثرية فحسب، بل مساجد العالم العربى الإسلامى، فهو كما يذكر عيسى سلمان[١٤٨] أقدم جامع شاخص لم يهدم أو يعمر أو يوسع بعد أن تم تشييده ولم

يضف إليه أو يحور فيه فى وقت لاحق على إنشائه، فقد أهمل بعد أن هجرت سامراء، وقاوم بناؤه المحكم والمتين العوامل الطبيعية والبشرية، وهو من أكبر المساجد، حيث تبلغ مساحته الكلية ١٦٦.٩٤٤م، فهو يعد فريدًا من حيث السعة، ويعد وحيدًا من حيث فخامة البناء، كما أنه مشهور بمئذنته الملوية المتميزة بشكلها الحلزونى، وارتفاعها الشاهق، وقدمها فهى من أقدم مآذن العراق الباقية.

أحاط الخليفة مسجده بفضاء عرف بالزيادة، وكانت هذه الزيادة تحيط بجوانبه الشرقية والغربية والشمالية، وقد حددت هذه الزيادة بسور أو جدار ضخم شيد بمادة بنائية تختلف عن تلك التى شيد بها المسجد من الداخل، أى أن المسجد كان يشتمل على سورين أحدهما خارجى يحدد الفضاء أو الزيادة، والآخر داخلى يحدد الصحن والظلات أو الأروقة، وبعد أن أهمل المسجد بعد أن هجرت سامراء تهدم السور الخارجى، وتحول إلى خط ترابى مرتفع يشير إلى حدود المسجد من الخارج وسقطت أجزاء كبيرة من الجدار الداخلى للمسجد، وانهارت سقوف ظلة القبلة أو بيت الصلاة والمجنبات والدعائم التى كانت ترتكز عليها، وتبين الصور الجوية كما يذكر عيسى سلمان[١٤٩] للأثر والتى التقطت له فى بداية القرن العشرين ما تبقى من جدرانه ومئذنته والأكوام الترابية التى تؤشر تخطيطه وسعته، وقد جلب جامع المتوكل انتباه الرحالة الأوربيين قبل القرن العشرين، وجرت محاولات من قبل المتخصصين منهم، خاصة فى الربع الأول من القرن العشرين للتنقيب فيه ووضع مخططات له، وقامت بعد ذلك هيئات فنية من مديرية الآثار العامة بأعمال التحرى والتنقيب فيه، ورفعت كميات كبيرة من الأنقاض فى داخله وتتبعت أجزاء من سوره الخارجى، وبعد عمل جهيد متواصل تم وضع مخطط علمى له، وتثبيت أبعاد المسجد، وتفاصيل قياسات بلاطاته (أساكيبه) وأروقته (ظلاته) وبلاطاته وغيرها من التفاصيل الهندسية والمعمارية والزخرفية.

شيد المسجد على بقعة مرتفعة نسبيًا عما يجاورها من الأرض، لذا يمكن مشاهدته من مسافات بعيدة من خارج المدينة، وهو مستطيل الشكل تتجه جدرانه نحو الاتجاهات الأربعة تقريبًا على غرار معظم المساجد فى العراق، وتمتد جدران

سوره الخارجى التى شيدت من اللبن والطين من الشمال إلى الجنوب كما يذكر عيسى سلمان[١٥٠] ٤٤٤ مترًا، ومن الشرق إلى الغرب ٣٧٦ مترًا أى ما يعادل كما يذكر أحمد فكرى[١٥١] مساحة أربعين فدانًا، وكشفت التحريات التى أجريت فيه أنه كان مدعمًا بأبراج عددها ٦٨ برجًا، نصف دائرية ترتكز على قواعد مستطيلة، فيما عدا أبراج الأركان أو الزوايا فهى شبه دائرية ترتكز على قواعد مربعة، ويحيط السور الخارجى بفضاء أو زيادة تقدم ذكرها تفصل ما بين السور الخارجى والسور الداخلى للمسجد، ويعتقد أنها شيدت بغرض عزل الجامع عن محيطه الخارجى الذى يتميز بالضجيج فى المناطق المزدحمة حوله من جهة، واستخدام هذه الزيادة للصلاة إذا ما ضاق المسجد بالمصلين من جهة أخرى.

أما المسجد من الداخل، أى داخل الأسوار الخارجية، فقد جاء تخطيطه مستطيل الشكل أيضًا أبعاده من الخارج ٢٤٨.٧٠ مترًا طولاً، و ١٦٥.٨٠ مترًا عرضًا، ومن الداخل ٢٣٨.٦٠ مترًا طولا، و ١٥٥.٦٠ مترًا عرضًا، وقد قسم هذا المستطيل إلى صحن مستطيل يمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب وأربع ظلات أو أربعة أروقة تحيط به من الجوانب الأربعة أكبرها وأعمقها ظلة القبلة، وتفصيل ذلك كما يذكر أحمد فكرى[١٥٢]، وفيما يتعلق بظلة القبلة فإنه يستدل من نتائج الحفائر التى أجريت فى هذا المسجد، والتى نشرها هرتز فلد لأول مرة فى سنة ١٩١٢، على أن طول جدار القبلة ١٥٠ مترًا، وجوف ظلة القبلة أوبيت الصلاة ٦٢ مترًا، أى أن أبعاد ظلة القبلة ١٥٠×٦٢م، أى أنها عبارة عن مساحة مستطيلة تتكون من تسع بلاطات (تسعة أساكيب)، ويحدها تسعة صفوف من الدعامات، موازية لجدار القبلة، يشتمل كل صف منها على (٢٤) دعامة، كما تتكون ظلة القبلة من خمس وعشرين بلاطة عمودية من خلال أربعة وعشرين صفًا من الدعامات العمودية، أى أن الظلة تتكون من تسع بلاطات موازية، ومن خمس وعشرين بلاطة عمودية من جهة، ومن تسعة صفوف من الدعامات موازية لجدار القبلة يشتمل كل صف منها على (٢٤) دعامة، ومن أربعة وعشرين صفًا من الدعامات عمودية على جدار القبلة، يشتمل كل صف منها على تسع دعامات من جهة أخرى.

وتتميز بلاطة المحراب بسعتها عن غيرها من البلاطات، حيث يبلغ عرضها ٤.٢٠م، وكانت الدعامات مربعة القاعدة، طول ضلع كل منها ٢م، وكانت تعلو إلى إرتفاع يقرب من عشرة أمتار ونصف المتر، على هيئة مضلع من ثمانية أضلاع، يحف بكل ركن من أركانه الأربعة أسطوانة من الرخام، وكان المحراب يتوسط جدار القبلة، وهو عبارة عن طاقة مستطيلة كما يذكر أحمد فكرى[١٥٣] "مقاساتها متران وستون سنتيمترًا، طولاً، وما يقرب من مترين، عرضًا"، وبلغ عدد الدعامات فى ظلة القبلة أو بيت الصلاة وحدة ٢١٦ دعامة، وتطل ظلة القبلة على الصحن من خلال سبع عشرة فتحة وست عشرة دعامة، وكان يحيط بصحن المسجد مجنبات أو ظلات جانبية فى جهاته الثلاثة، ففى الظلة الشمالية المقابلة لظلة القبله توجد ثلاث بلاطات تمتد بنفس أسلوب بلاطات ظلة القبلة، وفى كل من الظلتين الشرقية والغربية أربع بلاطات تحدها أربعة صفوف من الدعامات فى اتجاه جدار القبلة، يشتمل كل صف منها على إحدى وعشرين دعامة، وتطل الظلة الشرقية والغربية على الصحن من خلال اثنتين وعشرين فتحة وإحدى وعشرين دعامة وليس ثلاث وعشرين بائكة كما يذكر عيسى سلمان"[١٥٤]، وقد بلغت جملة عدد الدعامات الداخلية فى المسجد ٤٥٦ دعامة كما يذكر أحمد فكرى[١٥٥].

أما الصحن فهو مستطيل الشكل يمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب كما تقدم تشرف عليه ظلة القبلة من خلال سبع عشرة فتحة أو دعامة وكذلك الظلة الشمالية المقابلة لظلة القبلة، كما تشرف عليه الظلة الشرقية من خلال اثنتين وعشرين فتحة أو دعامة وكذلك الظلة الغربية، وكانت تتوسطه نافورة وميضأة.

هذا فيما يتعلق بالتخطيط أما فيما يتعلق بمادة البناء فقد شيد المسجد بالطابوق والجص، وفرشت أرضيته بطابوق مربع، صف كما يذكر عيسى سلمان[١٥٦] باتقان ودقة وشمل الصحن والظلات، وتتسم جدران المسجد بارتفاعها الذى يبلغ ١١ م[١٥٧]، بسمك يبلغ ٢.٧٠م[١٥٨]، وتدعم جدران المسجد ٤٤ برجًا على هيئة نصف دائرية، ترتفع بارتفاع الجدران، وترتكز على قواعد مستطيلة، أما أبراج الأركان

فهى على هيئة شبه دائرية ترتكز على قواعد مربعة، ويبلغ قطر الأبراج الأولى ٣.٦٠ م، أما الأبراج الركنية فيبلغ قطرها ٥م، والمسافة بين كل برج وآخر ١٥م، وقد وزعت هذه الأبراج بشكل متناغم على جدران المسجد، حيث يشتمل السور الشرقى على ١٢ برجًا، ومثل ذلك فى السور الغربى المقابل له، كما يشتمل السور الجنوبى وهو جدار القبلة على ثمانية أبراج، ومثل ذلك فى السور الشمالى المقابل له، فضلاً عن أربعة أبراج ركنية بواقع برج فى كل ركن فيصبح العدد الاجمالى ٤٤ برجًا، وتقع أبراج الجانب الشرقى على محور أبراج الجانب الغربى، كما تقع أبراج الجانب الجنوبى على محور أبراج الجانب الشمالى فى تناغم وتناظر معمارى بديع سواء فى توزيع الأبراج أو المسافات بينها، وفى هذا الإطار فإن ما ذكره شريف يوسف(١٥٩) من أن الجدران دعمت من الخارج بأبراج نصف دائرية عددها "٤٠ برجًا"، وأن عدد الأبراج فى كل من الضلعين الشرقى والغربى "عشرة أبراج"، وفى الضلعين الشمالى والجنوبى "ثمانية أبراج"، يضاف إلى ذلك "أربعة أبراج ركنية" غير صحيح حيث أن العدد كما تقدم من "أربعة وأربعين برجًا"، وأن الضلع الشرقى اشتمل على "اثنى عشر برجًا"، كما اشتمل الضلع الغربى على "اثنى عشر برجًا" وليس عشرة أبراج كما ذكر شريف يوسف.

ويتوصل إلى داخل المسجد من خلال خمسة عشر مدخلاً كما يذكر عيسى سلمان(١٦٠) وزعت ثلاثة فى الجدار الشمالى يتوسط أحدها الجدار، ويقع على الخط المحورى الذى ينتهى بالمحراب الذى يتوسط الجدار الجنوبى (جدار القبلة)، كما يقع على منتصف قاعدة المئذنة فى الزيادة الشمالية من المسجد، وجاء توزيع المدخلين على جانبى المدخل الأوسط بشكل رائع سواء من حيث التكوين، أو المسافة الممتدة بينهما وبين المدخل الأوسط، حيث يفتح كل منهما على بلاطة تفضى بدورها إلى الصحن، كما تشتمل كل مسافة على برجين بشكل متناغم، أما جدار القبلة فى الجهة الجنوبية فيشتمل على مدخلين على جانبى المحراب، بواقع مدخل فى كل جانب يتوصل منهما إلى المنشآت القائمة فى هذه الجهة من عمارة المسجد من الخارج، وهى منشأت بنيت للخليفة كاستراحة قبل أن يدخل إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة أو

غير ذلك، ويشتمل كل من الجدارين الشرقى والغربى على خمسة مداخل متناظرة، ويؤدى اثنان منها فى كل جدار إلى ظلة القبلة، أما بقية المداخل فتؤدى إلى الظلتين الشرقية والغربية وهى متناظرة متناغمة أيضًا، وعقود هذه الأبواب مستوية، وعلى ارتفاع واحد ٦م تتوجها نوافذ ذات عقود مدببة، عددها ثلاثة فوق كل مدخل، وعرض هذه المداخل بين ٣.٥٠م و ٤.٥٠م ويذكر أحمد فكرى[١٦١] فى هذا الصدد أن أبواب المسجد تعددت تبعًا لاتساع أرجائه، فكانت جملتها ١٦ بابًا، منها اثنان يحفان بالمحراب، ومثلهما فتحا فى جدار المؤخر، وخمسة مفتوحة فى الجدار الشرقى، وسبعة فى الجدار الغربى.

وفى رواية ثالثة يذكر شريف يوسف[١٦٢] أن للمسجد سبعة عشر مدخلاً، اثنان فى الضلع الجنوبى، وتم استحداث مدخلين منها فى وقت لاحق من زمن بناء الضلع الغربى، وتبلغ سعة كل مدخل ٢م تقريبًا، وسعة كل مدخل صغير ١.٢٥م، من هذه الأبواب خمسة فى الجانب الشمالى للجامع، وفى الحائط الغربى ثمانية أبواب يضاف إليها باب صغير مما يلى الركن الجنوبى، وتتقابل فى تناسق أبواب الجانب الشرقى المقابل مع مواقع أبواب الجانب الغربى عدا البابين الرابع والسادس فلا وجود لهما فى هذا الضلع، أما فى الجانب الجنوبى فلا يوجد سوى ثلاث فتحات، وقد ثبت أن الفتحة الوسطى لم تكن بابًا بل محرابًا، وقد سقطت جميع أجزاء البناء التى كانت تعلو الأبواب الكبيرة، ويتضح من الأكتاف الجانبية للأبواب وجود عقود رابطة بينها تقويها كتل خشبية، ومن المحتمل أنه كان يوجد نوافذ صغيرة معقودة تعلو الأبواب الكبيرة.

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو من حنية يتوجها عقد مدبب، يبلغ عمقها ١.٧٥م، وتبلغ سعة فتحتها ٢.٦٠م، وعلى ضوء ما تبقى من المحراب أعيد بناؤه على مساحة واسعة نسبيًا وارتفاع حوالى ٨م، والحنية ذات عقدين مدببين يرتكزان على أعمدة أسطوانية، وتشكل طاقية المحراب القسم العلوى منه على هيئة نصف قبة مدببة ذات حنيتين ركنيتين، ويؤطر هذا القسم من المحراب اطار مستطيل ذو وجه مقعر قليلاً، يحيط به من الخارج إطار آخر أضيق منه ذو وجه مستو وبارز

قليلاً، وهناك إطار آخر مستطيل أعرض قليلاً من الاطارين السابقين يحيط بهما، وينخفض بوضوح عن مستوى وجه جدار القبلة والإطار السابق،وهو مقعر أيضًا، وتكوين المحراب بشكل عام رائع فى مظهره، ومتناسق فى أجزائه(١٦٣).

ويشتمل جدار القبلة على أربع وعشرين نافذة تقع فى القسم العلوى منه، وتفتح كل نافذة منها على بلاطة من بلاطات بيت الصلاة أو ظلة القبلة فيما عدا بلاطة المحراب، وقد نفذت بغرض الاضاءة والتهوية، وهو الأمر الذى يتضح جليًا من تصميمها وتنفيذها، فهى من الخارج مستطيلة، أما من الداخل فذات شكل جميل يتناسب مع ما كان عليه جدار القبلة من الداخل من روعة زخرفية، فتظهر هذه النوافذ غائرة داخل شكل مستطيل حيث ترتد إلى الداخل قليلاً، وهى عبارة عن فتحة مستطيلة يتوجها عقد خماسى مفصص يرتكز على عمودين مندمجين، وسعة النوافذ من الداخل أكبر من سعتها من الخارج، وتقع على مستوى أقل من مستواها فى الخارج بحيث تنساب انحدارًا داخل الجدار(١٦٤).

وتزين جدران المسجد من أعلى من الخارج سلسلة من دوائر مقعرة مؤطرة بشكل مربع منخفض عن مستوى وجه الجدار، ويبلغ قطر كل من هذه الدوائر ١م، ويبلغ عددها ست دوائر بين كل برجين، ويتوسطها أحيانًا قنوات مستطيلة لتصريف ماء المطر، وتجدر الإشارة إلى أن عدد الدوائر بين برجى الجزء الغربى والجزء الشرقى من الجدار الجنوبى خمس دوائر فقط، ويقع هذا الشريط الزخرفى الغائر فوق فتحات النوافذ فى الجدار الجنوبى، ويرى عيسى سلمان أن المعمار اتبع تقنية خاصة فى الحصول على الأشكال المطلوبة وبشكل مفرغ أو غائر وذلك بطريقة صف الطابوق فى شكل انحدارى أو انسيابى إلى الداخل فحصل على الشكل المطلوب الذى لا يستطيع أن يحفره فى طبقة من كساء جص، حيث يحتاج إلى أن يجعل هذا الكساء سميكًا جدًا قد لا يثبت على وجه الجدار، ويحتمل جدًا أن لهذه الدوائر أهمية فى تخفيف ضغط الرياح على هذه الجدران الطويلة والمرتفعة(١٦٥).

وكشفت التنقيبات عن بقايا قواعد الدعامات وأجزاء منها، وهى مثمنة الشكل كما تقدم ترتكز على قواعد مربعة تزدان بأعمدة رخامية أسطوانية الشكل تقع فى

أركان القاعدة المربعة، تلتصق بالوجه الذى تزينه، أى أنها أربعة أعمدة لكل دعامة، ويحتمل أنها، أى هذه الدعامات كانت تحمل عقودًا مدببة يرتكز عليها سقف المسجد، واستخدمت الأخشاب الضخمة لربط العقود، حيث لازالت الحفر المخصصة لتثبيت هذه الأخشاب باقية على طول جدران المسجد، ويحتمل أيضًا أن أوجه الجدران المطلة على الصحن، أى أوجه الدعامات التى كانت تحمل عقود البوائك كانت تزدان بحنايا أو مشكاوات ذات عقود مدببة ترتكز على أعمدة مندمجة، حيث استخدم هذا الأسلوب فى زخرفة القسم العلوى من المئذنة، وفى أوجه الجدران المطلة على الصحن فى جامع أبى دلف(١٦٦).

أما فيما يتعلق بالمئذنة فتعد أقدم ما بقى من مآذن العراق وأروعها، وهى تشتهر بشكلها الحلزونى، وتعرف بين الناس بالملوية، والتى صار المسجد يعرف بها، وقد بنيت على مسافة ٢٧.٢٠(١٦٧) مترًا إلى شمال الجدار الشمالى للمسجد فى الزيادة الشمالية، وتقع على الخط المحورى الذى يربط بينها وبين المحراب كما تقدم وتتكون من بدن يرتكز على قاعدة مربعة تتكون من مستويين، يبلغ طول ضلع المستوى السفلى ٣١.١٨٠(١٦٨) مترًا، أما المستوى العلوى أسفل بدن المئذنة فيبلغ طول ضلعه ٣٠.٥٠ مترًا، وترتفع القاعدة عن مستوى سطح الأرض بمقدار ٤.٢٠ م، وتزدان أوجه المستوى الأول أو السفلى بحنايا ذات عقود مدببة، عددها تسع فى كل من الجوانب الشمالية والغربية والشرقية، وسبع فى الجانب الجنوبى الذى تشغله الصعود إلى المئذنة، والقاعدة تتصل بالمسجد من خلال منحدر طوله ٢٥م، وعرضه ١٢م، يبعد عن جدار الجامع الشمالى بمقدرا ٢.٢٥م، ويرتكز عليها بدن المئذنة الذى يرتفع بمقدار ٥٠م، فهى فريدة فى تصميمها وارتفاعها، وهو الأمر الذى يتوافق وماورد من نصوص تاريخية، فقد أورد البلاذرى كما تقدم "وأمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها حتى نظر إليها من فراسخ"، وأورد ياقوت الحموى كما تقدم أيضًا ما نصه بشأنها ".. وأمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر إليها من فراسخ"، ويتكون بدن المئذنة من ست أسطوانات بنيت فوق بعضها، وبتدرج متناسق ومتناغم، بحيث يقل حجم الاسطوانات بهيئة انسيابية كما يذكر عيسى سلمان(١٦٩) بين القاعدة المربعة الواسعة نسبيًا والقمة الأسطوانية الضيقة

نسبيًا، والبدن مصمت يدور حوله سلم المئذنة فى اتجاه معاكس لسير عقارب الساعة، وتبدأ الدرجات الأولى عند منتصف سطح القاعدة الجنوبى، أى على الخط المحورى للمسجد، ويدور الصاعد إلى قمة الملوية خمس مرات حول البدن، ثم ينعطف يسارًا عند منتصف قاعدة الطبقة السادسة والأخيرة، حيث يخترق السلم هذا القسم بهيئة عمودية تدريجية ليؤدى إلى القمة التى يبلغ قطرها ٣م، وتزخرف النصف العلوى من الأسطوانة السادسة ثمانى حنايا متجاورة تتوجها عقود مدببة ترتكز أطرافها على أعمدة شبه أسطوانية مندمجة فى الجدران، وتشكل إحدى هذه الحنايا قبوًا للسلم حيث يخترق القسم العلوى من المئذنة.

ويشير عيسى سلمان أنه تم إكمال صيانة جدران الجامع، وإعادة بناء ما تهدم منها، كما تم صيانة المئذنة فعاد إلى الجامع شكله الأول وروعته[١٧٠].

ويذكر عيسى سلمان أن المئذنة الملوية ستظل فريدة بين مآذن المساجد العربية الإسلامية رغم محاولات عدد من المتخصصين فى شؤون العمارة الإسلامية فى ايجاد صلة مباشرة أو غير مباشرة بينها وبين عدد من الأبراج المدرجة فى العراق والأقطار المجاورة، ولكن الفاصل الزمنى شاسع بين الملوية وتلك الأبراج السومرية والآشورية والاختلاف واضح فى التكوين والغرض[١٧١].

ويتناول فريد شافعى المئذنة بقوله والظاهرة المعمارية الثانية فى عمائر سامرا بعد ظاهرة البدنات هى ابتكار المآذن الملوية، فهى من أكثر العناصر الإسلامية طرافة لا فى سامرا فحسب بل وفى العالم الإسلامى كله وغير الإسلامى، ذلك أنها تختلف عن جميع المآذن والأبراج العالية بأن السلم الذى يصعد إلى قمتها لم يوضع بداخل المئذنة كما هو مألوف ومتبع فى العالم كله، بل يدور مرتفعًا حول بدن المئذنة من الخارج حتى ينتهى إلى الجوسق الرشيق الذى يتوجها، مما أعطى لها تلك الهيئة الفريدة فى نوعها، ومن المرجح أن فكرة السلم الصاعد الذى يلتف من الخارج، ويقتطع من جسم البناء ما يعادل عرضه قد أوحت بها فكرة مشابهة فى العراق نفسه فى المعبد الآشورى المسمى بالزيقورات، وكانت بقايا منه لا زالت موجودة وكشف عنها منذ نحو ١٠٠ سنة فى منطقة خور سابادا القديمة التى تقع على بعد نحو ٢٥ كيلو متر

إلى الشمال من مدينة الموصل، غير أن ذلك النوع من المعابد يتميز بأن له نسب ضخمة وأضلاع متعامدة تجعل انحدار السلم يسير مستقيمًا حول الأضلاع، مما يترك للفنانين المسلمين الفضل فى إكساب الملوية ذلك الشكل الإسلامى الجذاب الجديد من حيث استدارتها ورشاقتها وطرافتها(١٧٢).

ارتداء الطيالسة العسلية من قبل أهل الذمة

وفى أحداث سنة "خمس وثلاثين ومائتين" أورد ابن الأثير " وفى هذه السنة أمر المتوكل أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية، وشد الزنانير، وركوب السروج بالركب الخشب، وعمل كرتين فى مؤخر السروج، وعمل رقعتين على لباس مماليكهم مخالفتين لون الثوب، كل واحدة منهما قدر أربع أصابع، ولون كل واحدة منهما غير لون الأخرى، ومن خرج من نسائهم تلبس إزارًا عسليًا، ومنعهم من لباس المناطق، وأمر بهدم بيعهم المحدثة، وبأخذ العشر من منازلهم، وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب، ونهى أن يستعان بهم فى أعمال السلطان، ولا يعلمهم مسلم.. وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض، وكتب فى ذلك إلى الآفاق"(١٧٣).

تغير ماء دجلة

وقد أورد الطبرى فى أحداث هذه السنة "وذكر أن ماء دجلة تغير فى هذه السنة إلى الصفرة ثلاثة أيام. ففزع الناس لذلك، ثم صار لون ماء المدود وذلك فى ذى الحجة"(١٧٤).

المسجد الجامع فى سوسة

٢٣٦هـ / ٨٥٠م

يقع هذا المسجد فى الطرف الشمالى الشرقى لمدينة سوسة بالقرب من باب البحر، شيده الأمير أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم، وقد سجل تاريخ الإنشاء على إفريز حجرى بالخط الكوفى حول الصحن يمتد بطول ١٣٥م، حيث يدور هذا الإفريز حول الصحن وفوق عقود المسجد، وقد تضمنت الكتابات المنحوتة بشكل بارز على الحجر آيات من القرآن الكريم، وقد سقطت كما يذكر أحمد فكرى[١٧٥] نصف هذه الحجارة وتبعثرت فى سنة ١٩٤٢م إثر سقوط قذيفة على صحن المسجد، وكان لأحمد فكرى حظ تنظيم هذه الحجارة والمعاونة فى إعادة تركيبها من جديد على حالتها الأولى، ولكن الجزء الذى كان يمتد منها على واجهة ظلة القبلة كانت قد اختلت مواضعه عند إضافة رواق إليه فى سنة ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م، وسقطت بعض حروفه وكلماته، ولذا فإن النص التاريخى لبناء المسجد ليس كاملاً، وإنما يقرأ منه "مما أمر به.. محمد الا... ست وثلاثون ومائتين فى المسجد.."، والمعروف أن الأمير الذى كان واليًا على إفريقية فى ذلك الوقت هو أبو العباس محمد بن الأغلب.

وعلى الرغم من أنه قد أضيفت إلى المسجد إضافات فى فترات تالية غير معروفة، وهدم جدار القبلة، وزيد فى ظلة القبلة أوبيت الصلاة ثلاث بلاطات من جهة القبلة، وأقيم لها جدار جديد، ومحراب بدلاً من المحراب العتيق إلا أن هذه الإضافات لم تغير من نظام المسجد الأول كما يذكر أحمد فكرى، والذى كان محددًا بالاطار الكتابى المنحوت فى الحجر من جهة، وبوحدة البناء من جهة أخرى[١٧٦].

كان هذا المسجد يشغل مستطيلاً يمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب، حيث يمتد المسجد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٥٢م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٤٤م، يحيط به جدار ضخم يبلغ سمكه ام، وتنقسم هذه المساحة إلى صحن أوسط فسيح مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٤١م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٢٧م، وأربع ظلات أكبرها وأعمقها ظلة القبلة التى تمتد بطول ٤٩م، كما يبلغ عرضها ١٠م تقريبًا، قسمت إلى ثلاث بلاطات موازية تمتد من الشرق إلى الغرب بالنسبة لجدار القبلة، وثلاث عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة، أى تمتد من الشمال إلى الجنوب، حيث تمتد البائكات موازية وعمودية فى آن واحد بالنسبة لجدار القبلة، وتشتمل هذه البائكات على اثنتى عشرة دعامة، وتحمل كل دعامة أطراف أربعة عقود بهيئة نصف دائرية مرتفعة موازية لجدار القبلة، وأخرى متجاوزة ومنخفضة عمودية عليه، ويشرف الصف الأخير منها على الصحن من خلال بائكة تتكون من أحد عشر عقدًا، ويتميز العقد الأوسط بأنه أكثر اتساعًا من بقية العقود، ومن ثم تتميز البلاطة الوسطى العمودية بأنها أكثر اتساعًا من بقية البلاطات، حيث جاءت باتساع ٤.٣٠م، بينما جاءت بقية البلاطات الموازية والعمودية بإتساع يزيد قليلاً عن ٣م، وتخطيط ظلة القبلة على هذا النحو يتفق وتخطيط مسجد بوفتاتة بسوسة ٢٢٣-٢٢٦هـ/ ٨٣٧-٨٤١م، أما بقية ظلات المسجد فى الجهات الشمالية الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية فمن بلاطة واحدة، وتشرف هذه الظلات على الصحن ببوائك تتكون عقودها من سبعة عقود فى الجانبين ومن أحد عشر عقدًا فى الجهة المقابلة لظلة القبلة، وهو الجانب الذى ألصق سلم المئذنة بثلاث بوائك منه.

تقع المئذنة فى الركن الشمالى الشرقى من المسجد، وهى على هيئة برج شبه دائرى هدم قسمه العلوى الذى كان على هيئة مثمنة تتوجه قبة، ومازال سلمها باقيًا من عهد بناء المسجد، ويغطى المسجد أسقف من أقبية نصف برميلية[١٧٧].

هدم قبر الحسين بن على رضى الله عنه

فى أحداث سنة "ست وثلاثين ومائتين أورد الطبرى" وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن على وهدم ما حوله من المنازل والدور.. وأن يمنع الا اس من إتيانه"(١٧٨).

الروم وأعمال تخريب فى دمياط وأشتوم تنيس

وقد شهدت سنة "ثمان وثلاثين ومائتين" مجيئ الروم إلى دمياط، قال الطبرى "ويقال إن الروم الذين كانوا فى الشلنديات التى أناخت بدمياط.. أحرقوا مسجد الجامع بدمياط، وأحرقوا كنائس.. ثم صاروا إلى أشتوم تنيس . وله سور وباب حديد كان المعتصم أمر بعمله. فخربوا عامته، وأحرقوا ما فيه من المجانيق والعرادات، وأخذوا بابيه الحديد، فحملوهما، ثم توجهوا إلى بلادهم، لم يعرض لهم أحد"(١٧٩).

مدينة العباسية بإفريقية (٢٣٩ هـ/ ٨٥٣م):

يحدثنا ابن الأثير عن بناء مدينة العباسية من قبل الأمير أبى العباس محمد بن الأغلب وذلك بما نصه "ولى أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب بلاد إفريقية بعد وفاة والده، ودانت له إفريقية، وابتنى مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية فى سنة تسع وثلاثين ومائتين"(١٨٠).

مطر شديد بسامراء

وأورد ابن الأثير فى أحداث سنة إحدى وأربعين ومائتين "وفيها مطر الناس بسامراء مطرًا شديدًا فى آب"(١٨١).

زلزلة شديدة بالرى

أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "إحدى وأربعين ومائتين" ما نصه "وفيها كانت بالرى زلزلة شديدة هدمت المساكن، ومات تحتها خلق كثير لا يحصون، وبقيت تتردد فيها أربعين يومًا"(١٨٢).

زلازل بقومس ورساتيقها

أورد فى أحداث سنة "اثنتين وأربعين ومائتين" "فى هذه السنة كانت زلازل هائلة بقومس ورساتيقها فى شعبان، فتهدمت الدور، وهلك تحت الهدم بشر كثير.. وكان أكثر ذلك بالدامغان. وكان بالشام، وفارس، وخراسان فى هذه السنة زلازل.. وكان باليمن مثل ذلك مع خسف"(١٨٣).

أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب وحكم إفريقية

(٢٤٢ -٢٤٩هـ/ ٨٥٦ -٨٦٣م)

لما توفى أبو العباس محمد خلفه أبو إبراهيم أحمد، وساد الهدوء البلاد فى أيامه واستقرت سياسيًا مما ساعده على القيام بالكثير من المشروعات فحفر المواجل وشيد المساجد والقناطر، وقد شيد بأرض إفريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد، وأنفق ٣٠٠٠٠٠ دينار، وقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "اثنتين وأربعين ومائتين" "وفيها مات أبو العباس محمد بن الأغلب، أمير إفريقية، عاشر المحرم، كان عمره ستًا وثلاثين سنة. وولى بعده ابنه أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب"(١٨٤).

مارستان المغافر بمصر ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م

شيده الفتح بن خاقان فى عهد المتوكل على الله فى حوالى سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م فى خطة المغافر التى كان موضعها ما بين العامر من الفسطاط وبين مصلى خولان بالقرافة، وقد خرب ذلك المارستان، قال المقريزى "مارستان المغافر هذا المارستان كان فى خطة المغافر التى موضعها ما بين العامر من مدينة مصر وبين مصلى خولان التى بالقرافة بناء الفتح بن خاقان فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله وقد باد أثره"(١٨٥).

المتوكل ومدينة دمشق

فى أحداث سنة "أربع وأربعين ومائتين" أورد ابن الأثير "فى هذه السنة دخل المتوكل مدينة دمشق فى صفر. وعزم على المقام بها، ونقل دواوين الملك إليها، وأمر بالبناء بها، ثم استوبأ البلد وذلك بأن هواءه بارد ندى، والماء ثقيل، والريح تهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضى عامة الليل، وهى كثيرة البراغيث، وغلت الأسعار، وحال الثلج بين السابلة والميرة، فرجع إلى سامرا. وكان مقامه بدمشق شهرين وأيامًا"(١٨٦).

حربة النبى صلى الله عليه وسلم (العنزة)

كما أورد فى أحداث هذه السنة "وفيها أتى المتوكل بحربة كانت للنبى ﷺ تسمى العنزة فكانت للنجاشى، فأهداها للزبير بن العوام وأهداها الزبير للنبى صلى الله عليه وسلم، وهى التى كانت تركز بين يدى النبى، ﷺ، فى العيدين، فكان يحملها بين يديه صاحب الشرطة"(١٨٧).

اتفاق أعياد الأضحى والشعانين والفطر فى يوم واحد

"وفيها اتفق عيد الأضحى والشعانين للنصارى، وعيد الفطر لليهود، فى يوم واحد"[١٨٨].

قصر بلكوارا

يقع القصر على بعد ٦ كم جنوبى مدينة سامراء الحديثة عند الطرف الجنوبى فى منطقة الأطلال القديمة، ووجود عقد كبير فى موقع يعرف اليوم باسم المنقور جعل هرتز فلد يقوم بالتنقيب فى سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وسرعان ما وجد نفسه أنه إزاء قصر عظيم يتكون من مساحة مستطيلة، يبلغ طول سوره الخارجى ١٥٠م، دعم بأبراج، ويرتكز جانبه الجنوبى على ضفة نهر دجلة الذى يرتفع حوالى ١٥م، وللبقايا ثلاثة أبواب، يقع كل باب منها فى وسط الجدران الشمالية والشرقية والغربية، أما الجدار الجنوبى الذى يؤدى إلى النهر فلا يشتمل على باب، ويخترقها طريقان رئيسيان متقاطعان، وفى الجهة التى يحدها النهر اقتطع الذراع الجنوبى الغربى للشارع الرئيسى وحل مكانه مستطيل أبعاده ٤٦٠×٥٧٥م، محاط بسور مدعم بأبراج، ويمتد من شاطئ النهر إلى نقطة تقاطع الشارعين الرئيسيين[١٨٩].

قسم القصر إلى ثلاثة مستطيلات متوازية، والقصر الداخلى له مدخل واحد كبير فى وسط جداره الشمالى الشرقى، ويشتمل المستطيل الأوسط على العديد من قاعات الشرف وحجرات ووحدات سكنية وقاعة للعرض، وفى القصر أيضًا ثلاث رحبات (أحواش) وتسع قاعات مرتبة على هيئة متقاطعة، وقد روعى التناسق المحورى التام فى وحدات القصر، وتفتح قاعات الشرف على الرحبة الثالثة كقاعات كبيرة ومفتوحة على النهر، وهناك حديقة تقع خارج القصر، يحيط بها سور مغطى بالملاط وينتهى عند الشاطئ بسقفيات غنية بالزخارف، وفى وسط الحديقة حوض للماء وخارجها يوجد مرفأ للسفن، وتتألف واجهة القصر المطلة على

الرحبة والحديقة من ثلاثة عقود متتالية كما فى باب العامة بقصر المعتصم، ويتميز العقد الأوسط باتساعه وارتفاعه، وكانت هذه القاعات للاجتماعات العامة، وصممت القاعتان الخارجيتان على المحور المستعرض على شكل حرف T مقلوب، أما القاعات الخمس الداخلية فعلى شكل متقاطع، وهناك أربع مجموعات من الغرف المتشابهة تمامًا بين أذرع التصميم المتقاطع الصليبى، وهى مسقفة بالخشب، ومن المحتمل بسقف معقودة أحيانًا، والغرف الصغرى لها عقود من طابوق مغطاه بالطين(١٩٠).

ويشتمل الجانبان الآخران من المستطيل الكبير على مجموعة بيوت منفردة، وكان الفضاء الواقع بين النهر وخط الجانب الداخلى لقاعة الشرف الثالثة يتسع لهذه البيوت، أما الفضاء بجانب القاعتين الأوليتين فبقى من غير بناء تقريبًا، والبيوت تتألف من ست عشرة غرفة تحيط بفناء، وقد كشف عن مسجدين فى هذا القصر، الأول أبعاده ١٥×١٣م يشتمل على صفين من الأعمدة الخفيفة من خشب الساج أو الرخام، وتخلفت آثار مواضعها فى الأساس فقط، ولم يتبق شىء من جدران المسجد، وانتزع الطابوق المفخور وأخذ جميعه فأصبح من الصعب تمييز شكل المحراب، أما المسجد الثانى فقد وجد فى القسم الجنوبى المقابل، أبعاده ٧.٧٦× ١٠.٣٥م، وقد شيد باللبن، وله ثلاثة أبواب فى جداره الشمالى، ومحرابه عبارة عن حنية مستديرة عميقة يحيط بها حلية ذات تقوير تشكل إطارًا مستطيلاً(١٩١).

وقد شيد هذا القصر كما يذكر طاهر العميد الخليفة المتوكل، ويمكن تأريخه بين سنتى ٢٤٠ و ٢٤٥ هـ/ ٨٥٤ و ٨٥٩م(١٩٢).

بناء الماحوزة (المتوكلية ـ الجعفرية)

فى أحداث سنة "خمس وأربعين ومائتين" أورد الطبرى "ففيها أمر المتوكل ببناء الماحوزة، وسماها الجعفرى، وأقطع القواد وأصحابه فيها، وجد فى بنائها، وتحول إلى المحمدية ليتم أمر الماحوزة، وأمر بنقض القصر المختار والبديع، وحمل ساجهما إلى الجعفرى، وأنفق عليها - فيما قيل - أكثر من ألفى ألف دينار، وجمع فيها القراء.. وكان يسميها هو وأصحابه الخاصة المتوكلية، وبنى فيها قصرًا سماه لؤلؤة، لم ير مثله فى علوه، وأمر بحفر نهر يأخذ رأسه خمسة فراسخ فوق الماحوزة من موضع يقال له كرمى يكون شربًا لما حولها من فوهة النهر إليها، وأمر بأخذ جبلتا والخصاصة العليا والسفلى وكرمى، وحمل أهلها على بيع منازلهم وأرضهم.. وقدر للنهر من النفقة مائتى ألف دينار.. حتى قتل المتوكل، فبطل النهر، وأخربت الجعفرية، ونقضت ولم يتم أمر النهر"(١٩٣).

مدينة المتوكلية أو الجعفرية ٢٤٥هـ / ٨٥٩م

بناها الخليفة المتوكل على نظام مدينة سرمن رأى أو سامراء ومد الشارع الأعظم إليها ليصل بينهما، وقد شيدت فى موضع يعرف بالماحوزة بين دجلة والرصافة شمال سامراء بحوالى ٢٠كم، فقد أورد البلاذرى "ثم أنه أحدث مدينة سماها المتوكلية وعمرها وأقام بها وأقطع الناس فيها القطائع وجعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى فدخلت الدور والقرية المعروفة بالماحوزه فيها، وبنى بها مسجدًا جامعا وكان من ابتدائه إياها إلى أن نزلها أشهر ونزلها فى أول سنة ست وأربعين ومائتين ثم توفى بها رحمه الله فى شوال سنة سبع وأربعين واستخلف فى هذه الليلة المنتصر بالله"(١٩٤).

قول المتوكل "الآن علمت أنى ملك، إذ بنيت لنفسى مدينة سكنتها"

وقد ذكرها اليعقوبي بقوله "وعزم المتوكل أن يبتنى مدينة ينتقل إليها، وتنسب إليه، ويكون له بها الذكر، فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعًا، فوقع اختيارهم على موضع يقال له: الماحوزة. وقيل له: إن المعتصم قد كان على أن يبتنى هاهنا مدينة، ويحفر نهرًا، قد كان فى الدهر القديم. فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه فى سنة خمس وأربعين ومائتين، ووجه فى حفر ذلك النهر، ليكون وسط المدينة، فقدر النفقة على النهر ألف ألف وخمسمائة ألف دينار، فطاب نفسًا بذلك ورضى به، وابتدأ الحفر وأنفقت الأموال الجليلة على ذلك النهر، واختط موضع قصوره ومنازله، وأقطع ولاة عهوده، وسائر أولاده، وقواده، وكتابه، وجنده، والناس كافة. ومد الشارع الأعظم من دار أشناس التى بالكرخ، وهى التى صارت للفتح بن خاقان، مقدار ثلاثة فراسخ إلى قصوره، وجعل دون

قصوره ثلاثة أبواب عظام جليلة، يدخل منها الفارس برمحه. وأقطع الناس يمنة الشارع الأعظم ويسرته، وجعل عرض الشارع الأعظم مائتى ذراع، وقدر أن يحفر فى جنبى الشارع نهرين، يجرى فيهما الماء من النهر الكبير الذى يحفره، وبنيت القصور، وشيدت الدور، وارتفع البناء، وكان يدور بنفسه فمن رآه قد جد فى البناء أجازه وأعطاه، فجد الناس وسمى المتوكل هذه المدينة الجعفرية، واتصل البناء من الجعفرية إلى الموضع المعروف بالدور، ثم بالكرخ وسر من رأى مادًا إلى الموضع الذى كان ينزله ابنه أبو عبد الله المعتز، ليس بين شىء من ذلك فضاء ولا فرج، ولا موضع، لا عمارة فيه، فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ. وارتفع البنيان فى مقدار سنة، وجعلت الأسواق فى موضع معتزل، وجعل فى كل مربعة وناحية سوقًا، وبنى المسجد الجامع، وانتقل المتوكل إلى قصور هذه المدينة أول يوم من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين. فلما جلس أجاز الناس بالجوائز السنية، ووصلهم وأعطى جميع القواد والكتاب، ومن تولى عملاً من الأعمال، وتكامل له السرور. وقال: الآن علمت أنى ملك، إذبنيت لنفسى مدينة سكنتها. ونقلت الدواوين ديوان الخراج وديوان الضياع، وديوان الزمام، وديوان الجند والشاكرية، وديوان الموالى والغلمان، وديوان البريد وجميع الدواوين. إلا أن النهر لم يتم أمره ولم يجر الماء فيه إلا جريًا ضعيفًا، لم يكن له اتصال ولا استقامة، على أنه قد أنفق عليه شبيهًا بألف ألف دينار، ولكن كان حفره صعبًا جدًا إنما كانوا يحفرون حصًا وأفهارًا لا يعمل فيها المعاول. وأقام المتوكل نازلاً فى قصوره بالجعفرية تسعة أشهر وثلاثة أيام، وقتل لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، فى قصره الجعفرى، أعظم القصور شؤمًا"[(١٩٥)].

والمتوكلية ذكرها ياقوت الحموى بقوله "المتوكلية: مدينة بناها المتوكل على الله قرب سامرا بنى فيها قصرًا وسماه الجعفرى أيضًا سنة ٢٤٦ وبها قتل فى شوال سنة ٢٤٧ فانتقل الناس عنها إلى سامرا وخربت"[(١٩٦)].

كما ذكر الجعفرية بقوله "الجعفرية: منسوبة إلى جعفر: محلة كبيرة مشهورة فى الجانب الشرقى من بغداد.."[(١٩٧)].

أما فيما يتعلق بالجعفرى فقد أورد "الجعفرى: هذا اسم قصر بناه أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله قرب سامراء بموضع يسمى الماحوزة فاستحدث عنده مدينة وانتقل إليها وأقطع القواد منها قطائع فصارت أكبر من سامراء، وشق إليها نهرًا فوهته على عشرة فراسخ من الجعفرى يعرف بجبة دجلة، وفى هذا القصر قتل المتوكل فى شوال سنة ٢٤٧ فعاد الناس إلى سامراء، وكانت النفقة عليه عشرة آلاف درهم، كذا ذكر بعضهم فى كتاب أبى عبد الله بن عبدوس، وفى سنة ٢٤٥ بنى المتوكل الجعفرى وأنفق عليه ألفى ألف دينار، وكان المتولى لذلك دليل بن يعقوب.."[١٩٨].

زلزلة ببلاد المغرب وعسكر المهدى والمدائن

وفى أحداث سنة "خمس وأربعين ومائتين" أورد الطبرى "وزلزلت فى هذه السنة بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والمنازل والقناطر، فأمر المتوكل بتفرقة ثلاثة آلاف درهم فى الذين أصيبوا بمنازلهم، وزلزل عسكر المهدى ببغداد فيها، وزلزلت المدائن"[١٩٩].

زلزلة بأنطاكية وبلدان أخرى

وأورد الطبرى فى أحداث هذه السنة "وذكر أنه كانت فى هذه السنة بأنطاكية زلزلة ورجفة فى شوال، قتلت خلقًا كثيرًا، وسقط منها ألف وخمسمائة دار، وسقط من سورها نيف وتسعون برجًا.. وسمع فيها - فيما قيل - أهل تنيس فى مصر ضجة دائمة هائلة، فمات منها خلق كثير. وفيها زلزلت بالس والرقة وحران ورأس عين وحمص ودمشق والرها وطرسوس والمصيصة وأذنة وسواحل الشأم. ورجفت اللاذقية، فما بقى منها منزل، ولا أفلت من أهلها إلا اليسير، وذهبت جبلة بأهلها"[٢٠٠].

تحول المتوكل إلى الماحوزة

وفى أحداث سنة "ست وأربعين ومائتين" أورد الطبرى "وفيها تحول المتوكل إلى المدينة التى بناها الماحوزة، فنزلها يوم عاشوراء من هذه السنة"[٢٠١].

مطر ببغداد

كما أورد فى أحداث هذه السنة "ومطر أهل بغداد فى هذه السنة واحدًا وعشرين يومًا فى شعبان ورمضان، حتى نبت العشب فوق الأجاجير.."(٢٠٢).

جامع المتوكلية أو الجعفرية (أبى دلف) حوالى ٢٤٧ هـ/ ٨٦١م

يقع هذا الجامع فى القسم الشمالى الشرقى من مدينة الجعفرية أو المتوكلية، وتبين التصاوير الجوية كما يذكر عيسى سلمان التى ألتقطت لهذا الجامع فى بداية القرن العشرين أنه لا يتوسط المدينة أو أسواقها، كما هو الأمر فى جامع سامراء الكبير، بل أنه لا تتصل به أبنية، ويقع جامع أبى دلف اليوم إلى يمين الطريق الذى يربط بين سامراء والدور، ويبعد عن سامراء الحديثة بحوالى ٢٠ كيلو متر، ويشير هذا البناء الضخم إلى عظمة المدينة التى شيدها المتوكل والامكانيات الهائلة التى وفرها لبنائها خلال عام واحد فقط[٢٠٣].

شيده الخليفة المتوكل فى مدينته التى تقدم ذكرها، والتى لم تعمر طويلاً، حيث لم يسكنها الخليفة سوى تسعة شهور وثلاثة أيام ثم هجرت، وذلك بعد أن قتل المتوكل فى سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م وعاد ابنه الخليفة محمد المنتصر إلى سامراء، وعرف الجامع الذى يؤرخ بسنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م بجامع أبى دلف، ويذكر أحمد فكرى أن البدء فى عمارة المسجد كان سنة ٢٤٥هـ/ ٨٦٠م وأن البناء تم بعد سنة وستة أشهر، وكان أبو دلف هو القاسم بن عيسى بن ادريس العجلى زعيمًا لقبيلته، وشاعرًا بليغًا، وقائدًا شجاعًا قربه هارون الرشيد، واعتمد عليه المأمون، وكان أحد كبار قادة جيوشه، وكان كذلك فى أيام المعتصم، ويبدو أن تسمية جامع الجعفرية أو جامع المتوكل بالجعفرية أو المتوكلية بجامع أبى دلف جاءت متأخرة[٢٠٤].

ولم يكتف الخليفة محمد المنتصر الذى ولى الأمر بعد قتل والده الخليفة المتوكل بترك الجعفرية أو المتوكلية بل أمر بهدم دورها وقصورها ومرافقها العامة، وحمل كل

ما يمكن حمله من الأنقاض إلى سامراء، وكانت معظم أبنية المتوكلية مشيدة باللبن فاندثرت بسرعة وصارت أثرًا بعد عين، وعلى ما يبدو فإن المسجد لم يهدم بل ترك فتأثر بالعوامل الطبيعية فسقطت معظم أجزائه المشيدة باللبن، وظلت الأجزاء المشيدة بالطابوق والجص، وهى المادة التى بنيت بها الدعامات وبعض الأبراج والمئذنة، ومما ساعد على بقاء هذه الأجزاء بعد المسجد من مدينة سامراء ومدينة الدور، كما أنه لم يتعرض إلى أعمال هدم مقصودة بغرض الحصول على الطابوق واستخدامه فى مناطق أخرى كما حدث فى عدد من الآثار العراقية فى مختلف أنحاء العراق[٢٠٥].

ويقارب جامع أبى دلف جامع سامراء فى سعته ويتشابه معه فى شكله وزيادته ومئذنته الحلزونية وموقعها منه، وقد لفت هذا الجامع انتباه رواد العمارة العربية الإسلامية فبدأت التحريات به كما يذكر عيسى سلمان مع بداية القرن العشرين واستمرت أكثر من عقدين وكانت من قبل الأجانب، وتم التوصل إلى إيضاح شكله ورسم تخطيط أولى له وتثبيت أطوال جدرانه واستكملت هذه الأعمال من قبل هيئات فنية وطنية ولفترة تزيد على عقدين، حيث تم الكشف الكامل لتخطيط المسجد، وظهرت أجزاء من سوره الخارجى، وتم التعرف على محاريبه والدار الملحقة به، ثم بدأت بعد ذلك أعمال الترميم، حيث رممت دعاماته، وأعيد بناء قسم كبير من عقوده وحلياته التى تزين جدرانه، وترميم المئذنة وإعادة بناء ما تهدم منها خاصة القسم العلوى قياسًا على مئذنة جامع سامراء، وأيضًا رسم خريطة دقيقة لتخطيطه[٢٠٦].

والمسجد يشغل مستطيلاً مثل جامع سامراء تحيط به زيادة توازى جدرانها جدران المسجد، وتضم الدار الملحقة بظلة القبلة أو بيت الصلاة، ومئذنته تقع فى الزيادة الشمالية مثل ملوية سامراء لاتتصل بجدار المسجد والزيادة، وتتجه جدران المسجد نحو الاتجاهات الأربعة تقريبًا،ويبلغ طول جدار المسجد من الشمال إلى الجنوب كما يذكر عيسى سلمان[٢٠٧] ٢٢٢.٨٠م من الخارج، ومن الشرق إلى الغرب فطول جداره ١٣٨.٢٤م من الداخل، ويتكون المسجد من صحن مستطيل يمتد

رأسيًا على غرار صحن مسجد سامراء، ويمتد هذا الصحن بطول ١٥٦م، وعرض ١٠٤م، يحيط به من جوانبه الأربعة أربع ظلات، بواقع ظلة فى كل جانب، أكبرها وأعمقها ظلة القبلة فى الجهة الجنوبية، ويمتد جدار القبلة فيه من الشرق إلى الغرب بمقدار ١٤٠م، أما جوف ظلة القبلة فيمتد بمقدار ٤٠م، وتتكون ظلة القبلة من سبع بلاطات موازية لجدار القبلة أى تمتد من الشرق إلى الغرب، وسبع عشرة بلاطة عمودية أى تمتد من الشمال إلى الجنوب فى اتجاه جدار القبلة، وتتميز البلاطة الوسطى العمودية على المحراب بسعتها عن بقية البلاطات العمودية، حيث يبلغ اتساعها ٧.٣٠م، بينما جاءت بقية البلاطات فى اتساعها ٦.٢٠م، وتقسم هذه البلاطة ظلة القبلة إلى قسمين متساويين متناغمين رائعين سواء من حيث الشكل أو المضمون، ويلاحظ أن البلاطات العمودية أكثر سعة من البلاطات الموازية، وقد أوجد المعمار تباينًا أيضًا فى اتساع البلاطات الموازية، حيث يبلغ اتساع البلاطات الخمس الموازية والتى تبدأ من الجهة الشمالية أى جهة الصحن ٣.١٢م، أما البلاطتان الباقيتان وهما بلاطة المحراب، أى التى تتقدم المحراب، والبلاطة التى تليها، أى الأولى والثانية من جهة جدار القبلة فيبلغ اتساع كل منهما حوالى ٤.٥٠م، وقد جاءت البائكة الثانية فى ظلة القبلة من جهة جدار القبلة فى دعاماتها على هيئة حرف T معدول، حيث ترتكز عليها عقود موازية وعمودية، أما البائكة الأخيرة التى تشرف من خلالها ظلة القبلة على الصحن فقد جاءت فى دعاماتها على هيئة حرف T مقلوب، حيث ترتكز أيضًا عليها عقود موازية وعمودية، بحيث تشرف الموازية على الصحن، وتمتد العمودية على اتجاه جدار القبلة.

وتتكون كل من الظلتين الجانبيتين الشرقية والغربية من بلاطتين بعمق ١٤.٣م تمتد عقودهما عمودية على اتجاه جدار القبلة، أى من الشمال إلى الجنوب، وتتكون الظلة الشمالية المقابلة لظلة القبلة من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة وسبع عشرة بلاطة عمودية على اتجاه جدار القبلة، وهى توازى بلاطات ظلة القبلة، وقد جاءت أيضًا البلاطة العمودية الوسطى أوسع من بقية البلاطات، وتقع هذه البلاطة الوسطى التى تقسم الظلة الشمالية إلى قسمين متساويين متناغمين على غرار ظلة القبلة على محور البلاطة الوسطى العمودية على المحراب من جهة، كما تقع على

محور المدخل الذى يتوسط الجدار الشمالى والمئذنة الملوية من جهة أخرى على غرار مسجد سامراء الكبير، وتحيط هذه الظلات من الجوانب الأربعة بصحن مستطيل تقدم ذكره، وتشرف ظلة القبلة على هذا الصحن من خلال بائكة تتكون من أربع عشرة دعامة نفذت فى اثنتى عشرة دعامة منها على هيئة حرف T مقلوب، وهذه البائكة عبارة عن ثلاثة عشر عقدًا، وتمتد هذه العقود من الشرق إلى الغرب فى موازاة جدار القبلة، وتشرف الظلة الشمالية المقابلة لظلة القبلة ببائكة مماثلة للبائكة السابقة سواء من حيث عدد الدعامات والعقود أو الامتداد، غير أن دعاماتها على هيئة حرف T معدول، أما الظلتان الشرقيةوالغربية فتشرف كل منهما على الصحن من خلال بائكة تتكون من تسعة عشر عقدًا، وتمتد العقود فى البائكتين من الشمال إلى الجنوب عمودية على اتجاه جدار القبلة، وتزدان العقود التى تشرف على الصحن بزخارف هندسية قوامها أشكال مستطيلات متداخلة.

هذا فيما يتعلق بالتخطيط أما فيما يتعلق بالوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية فان جدران المسجد من حيث مادة البناء شيدت مع جدران الزيادة باللبن، ولذلك لم تقاوم العوامل الطبيعية من أمطار ورياح وغير ذلك فتهدمت وتحولت إلى أكوام وخطوط ترابية كما يذكر عيسى سلمان(٢٠٨) تحدد شكل البناء، والجدران تتميز بضخامتها وسمكها، حيث يبلغ سمكها ١.٦٠م، أما جدار القبلة فيبلغ سمكه ١.٨٠م، وتدعم هذه الجدران أبراج نصف دائرية تقوم على قواعد مستطيلة، وقد بنيت قواعد الأبراج بالطابوق والجص، وهى المادة التى استخدمت فى بعض أبراج جدار القبلة، أما أبراج الأركان أو الزوايا فقد جاءت شبه دائرية يبلغ قطرها ٣.٦٠م ترتكز على قواعد مربعة شيدت بالطابوق والجص، ويبلغ عدد أبراج جدران المسجد كما يذكر عيسى سلمان(٢٠٩) عدا أبراج الأركان ٣٨ برجًا، تتوزع بشكل متناظر على الجدارين الشرقى والغربى، حيث يدعم كل منهما عشرة أبراج، والمسافات بينها متساوية أيضًا فهى ما بين ١٤ إلى ١٥م عدا تلك التى تفصل بين آخر برج من الجهة الجنوبية وبرج الركن فى جدار القبلة فهى بحدود ٣٥.٨٠م من الجانبين، ويبلغ عدد أبراج جدار القبلة عشرة فقط شيد بعضها بالطابوق والجص،

والبعض الآخر باللبن والجص بالتناوب، أما الجدار الشمالى فتدعمه ثمانية أبراج، وقد بقى جزء كبير منه بأبراجه، ويستدل من بقايا هذا الجدار أن جدران المسجد كانت مكسوة بالجص من الداخل والخارج.

وقد نشر أحمد فكرى مسقطًا أفقيًا للمسجد نقلاً عن هرتز فلد يختلف وما ذكره عيسى سلمان سواء فى ظلة القبلة من حيث التخطيط، حيث خلت من البائكة الأولى الموازية والتى تتقدم جدار القبلة أو عدد الأبراج بجدار المسجد.

يتوصل إلى داخل المسجد كما يذكر عيسى سلمان[٢١٠] من ثمانية عشر بابًا وزعت ثلاثة فى جدار القبلة، أحد هذه الأبواب بجوار المحراب،وهو الذى يؤدى إلى الدار أو الاستراحة الملحقة بالمسجد من الجهة الجنوبية والمخصصة للخليفة عند قدومه لأداء الصلاة، وهو الأمر الذى وجد فى مسجد سامراء الجامع، وثلاثة أبواب بالجدار الشمالى، وقد تقدم الإشارة إلى الباب الأوسط الذى يقع على الخط المحورى له، وستة أبواب فى كل من الجدارين الشرقى والغربى، وهى متناظرة تمامًا، وتتراوح فتحاتها ما بين ١.٥٠ إلى ٢.٥م، والواقع أن ماذكره عيسى سلمان هنا من حيث أن عدد الأبواب ثمانية عشر بابًا يختلف والمسقط الأفقى الذى نشره للمسجد، حيث اشتمل المسقط الأفقى على خمسة أبواب فقط وليس ستة أبواب فى الجدار الشرقى، وكذلك فى الجدار الغربى،وبالتالى يكون عدد الأبواب الموقعة على المسقط الأفقى فى الجدارين عشرة أبواب فقط وبالتالى يكون المسجد وفقًا لرسم عيسى سلمان أو مخططه قد اشتمل على ستة عشر بابًا وليس ثمانية عشر بابًا.

وفى هذا الصدد أورد أحمد فكرى أن جدران المسجد كانت تخترقها خمسة عشر بابًا، ثلاثة شمالاً، وستة فى كل من الجدار الشرقى والغربى[٢١١].

والواقع أن أحمد فكرى هنا يتفق وعيسى سلمان فى أبواب الجدار الشمالى، كما يتفق معه فى أبواب الجدارين الشرقى والغربى على الرغم كما تقدم من أن عيسى سلمان وقع خمسة أبواب فقط فى الجدار الشرقى ومثلها فى الجدار الغربى وليس ستة أبواب كما ذكر هو نفسه، ولم يشر أحمد فكرى إلى وجود أبواب فى الجدار الجنوبى

وهو جدار القبلة، وأن ما ذكره أحمد فكرى يختلف وما نشره من مسقط أفقى عن هرتز فلد، وتجدر الإشارة هنا إلى أن تخطيط المسجد كما تناوله أحمد فكرى خاصة فى ظلة القبلة يختلف والمسقط الأفقى الذى تقدم، حيث أن أحمد فكرى لم يقم بوضع رسم تخطيطى لمسجد أبى دلف.

يتوسط المحراب جدار القبلة، وهو كما يذكر عيسى سلمان[٢١٢] عبارة عن تجويف مستطيل بعمق ٧١سم فى جدار القبلة، يبلغ اتساعه ٣٫٦٠م، وينتهى بجدار يبلغ عرضة ١.٦٠م، وقد عالج المعمار الفروق ما بين السعة والجدار من خلال تركيبة معمارية وفنية تتألف من أشرطة مقعرة وأعمدة مندمجة شبه دائرية ومزدوجة ومسننات ذات زوايا قائمة على جانب التجويف، وكشفت التنقيبات عن بقايا منبر إلى يمين المحراب يتألف من مصطبة لا تلتصق بجدار القبلة وتبدأ بدرجتين، وهذا المحراب يتقدم محرابًا آخر أكبر منه ويلتصق به مباشرة ويشبه المحراب الخلفى المحراب الأمامى، فقد جاء باتساع ٥.٧٤م بعمق يبرز عن مستوى وجه الجدار من الخارج ٢.٤٤م على هيئة برج مستطيل يتوسط أبراج جدار القبلة، ويرجح عيسى سلمان وجود خطأ فنى يتعلق بارتفاع المحراب وعدم تناسبه مع ارتفاع العقود فى البلاطات فتم معالجة ذلك ببناء محراب أصغر من المحراب الأول، ويحتمل أن المعمار قد واجه صعوبة فى عقد سقف المحراب لأنه مستطيل فيكون سقفه مستويًا فى الغالب، ومن الصعب تسقيف حنية عرض فتحتها ٥.٧٤م بعقد مستو، ويعد المنبر فى المسجد أقدم منبر معروف فى مساجد العراق، حيث لم يعثر على منابر فى المساجد والجوامع السابقة لهذا الجامع.

ترتكز عقود المسجد على دعامات مستطيلة ضخمة شيدت كما تقدم بالطابوق والجص، وقد ظلت فى حالة جيدة إذا ما قورنت بمثيلاتها فى جامع سامراء التى تهدمت، وهى مدببة عمودية مثل قواعدها على الجدارين الشمالى والجنوبى، وموازية للجدارين الشرقى والغربى وذلك باستثناء البائكة الأولى التى تتقدم جدار القبلة أى الجدار الجنوبى، حيث أن دعاماتها موازية لجدار القبلة، وأسلوب تنفيذ الدعامات والعقود سواء فى البلاطتين الأولى والثانية من جهة جدار القبلة، ثم فى

بقية البلاطات بظلة القبلة من الثالثة إلى السابعة سواء كانت موازية أو عمودية من جهة، وتنفيذ البائكة الثانية من جهة جدار القبلة،والبائكة التى يشرف من خلالها بيت الصلاة (ظلة القبلة) على الصحن، والبائكة التى يشرف عليها مؤخر المسجد (الظلة الشمالية) على الصحن من جهة أخرى من حيث تنفيذ دعاماتها على هيئة حرف T بأسلوبين أحدهما معدول والآخر مقلوب بحيث ترتكز على هذه الدعامات أطرف ثلاثة عقود يعد أمرًا غير مألوف، حيث لم نجده فى جامع سامراء الكبير، وربما يعزى ذلك إلى أن المعمار أراد أن يحدث نوعًا من التباين فى تخطيط المسجدين، خاصة أنهما لخليفة واحد هو الخليفة المتوكل على الله.

تزخرف أوجه الجدران المطلة على الصحن دخلات مستطيلة (مشاك مستطيلة) الشكل غائرة متدرجة تنتهى بحنايا ذوات عقود مقصوصة وثلاثية الفصوص، وأسلوب هذه الدخلات أو المشاكى يشبه تشكيلة المحراب البنائية، وتقع بين أكتاف عقود البواتك، وهى واسعة نسبيًا، وتكشف بقايا الجدران أو الجسور البنائية القائمة على عقود هذه الأجزاء من المسجد أنه قد استعمل السقف الخشبى المسطح فى المسجد، يدل على ذلك بقايا حفر لتثبيت الأخشاب فى الجدران، وهى تشبه تمامًا كما يذكر عيسى سلمان(٢١٣) مثيلاتها فى أعالى جدران جامع سامراء من الداخل، أبعادها ٦٥×١٠.٨٥م ترتفع عن مستوى سطح الأرض بحدود ٢.٧٠م، وتزخرف وجوه جدرانها حنايا مستطيلة تشبه حنايا المشاكى.

أما المئذنة فهى حلزونية أيضًا مثل مئذنة جامع سامراء ترتكز على قاعدة مربعة تقريبًا، ويزدان الجدار الشمالى منها بحنايا تتوجها عقود شبه ثلاثية الفصوص، أما الحنايا التى تزين الجوانب الجنوبية والشرقية والغربية فعقودها شبه مقصوصة، ويبلغ عدد هذه الحنايا ثلاث عشرة حنية فى الجوانب الشرقية والغربية والشمالية، أما فى الجانب الجنوبى فيوجد عشر حنيات، حيث يشغل انكسار مدخل السلم مساحة من هذا الجانب، وترتفع هذه الحنايا بمقدار ٢.٥٠م، ويبلغ اتساعها أقل قليلاً من نصف المتر، أما بدن المئذنة أعلى هذه القاعدة فهو مصمت أسطوانى الشكل، يتألف من أربع أسطوانات أى أنه أقل من بدن مئذنة جامع سامراء باسطوانتين، ويدور

السلم حول هذه الأسطوانات، وقد قامت هيئة فنية من مديرية الآثار كما تقدم بترميم هذه المئذنة وبناء الأجزاء المتهدمة منها فى سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، وتم زخرفة القسم العلوى من الأسطوانة الأخيرة بحنايا على هيئة محاريب كما هو الحال فى حنايا قمة مئذنة جامع سامراء، ويظن عيسى سلمان أن حنايا قمة مئذنة أبى دلف كانت على غرار حنايا القاعدة وتلك التى تزين واجهات الجدران المطلة على الصحن، ويبلغ ارتفاع المئذنة أعلى القاعدة حوالى ٢٠م، وهى بذلك أقل من ارتفاع بدن مئذنة جامع سامراء، وسقط القسم العلوى منها ولم يبق إلا ثلاث أسطوانات[٢١٤].

وقد تناول شريف يوسف مئذنة جامع أبى دلف، فذكر أنها تقع على بعد ٩.٥٠م من الجدار الشمالى للمسجد، وترتفع قاعدتها المربعة بمقدار ٢.٧٠م، ويبلغ طول الضلع الشمالى والجنوبى ١٠.٨٧م، أما الضلع الشرقى والغربى فيبلغ طولهما ١٠.٦٠م[٢١٥].

ويتوصل من المدخل الذى يقع فى القسم الشرقى من جدار القبلة مجاورًا للمحراب إلى دار الإمارة، وهى فى تكوينها المعمارى عبارةعن مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب بمقدار ٣٤.٧٥م، ومن الشرق إلى الغرب بمقدار ٤٢.٧٠م، ويشتمل الجدار الجنوبى فيها على برجين شبه دائريين، شيدهما المعمار فوق قاعدة مربعة الشكل، وقد قسمها المعمار إلى قسمين أحدهما يقع فى الجهة الغربية خلف المحراب مباشرة، ويتكون من فناء أوسط مكشوف مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ١٥.٥٠م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ١١.٦٠م، وأربعة ايوانات متعامدة أكثرها عمقًا الإيوان الجنوبى، ويكتنف الايوان الشمالى والجنوبى غرفتان، وهما أكثر عمقًا فى الجهة الشمالية خلف المحراب، وتفتح هذه القاعات الأربع على الفناء، كما تفتح القاعتان فى الجهة الشمالية على الأيوان الشمالى، أما الأيوان الشرقى والغربى فقد أوجد المعمار غرفتين إلى الجنوب من كل منهما، كما أوجد غرفة واحدة فى الجهة الشمالية فى تناسق معمارى بديع يدل دلالة واضحة على دقة فى التصميم والتنفيذ من قبل المعمار، أما القسم الآخر فقد جاء من فناء أوسط

مكشوف مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ١٤.٥٠م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٠.٣٠م وست غرف بواقع ثلاث غرف متجاورة فى الجهتين الجنوبية والشمالية، وقد ميز المعمار الغرف الجنوبية بأن أقام سقيفة تتقدمها تفتح على الفناء من خلال ثلاثة مداخل تقع على محور مداخل الغرف وقد أستخدمت الحجرة الشمالية الغربية من حجرات الجهة الشمالية كحمام، كما أوجد المعمار دهليزًا مستطيلاً خلف حجرات هذه الجهة يتوصل منه إلى مدخل يفضى بدوره إلى القسم الغربى من دار الإمارة، ويقع هذا الدهليز بين جدار القبلة فى قسمه الشرقى من جهة وجدار حجرات الجهة الشمالية من جهة أخرى، كما أوجد المعمار مدخلاً آخر يربط بين القسمين فى نهاية الجدار الفاصل بينهما أى أن هذا الجدار الفاصل يشتمل على مدخلين فى طرفيه الشمالى والجنوبى.

مقياس النيل بجزيرة الروضة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م

يعد مقياس النيل بالنهاية الجنوبية لجزيرة الروضة بمصر بمواجهة مصر القديمة من الآثار المعمارية الرائعة التى شيدت بمصر فى العصر العباسى، فقد أمر بعمارته الخليفة العباسى المتوكل على الله فى ولاية يزيد بن عبد الله التركى فى سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م وكان يعرف بالمقياس الهاشمى وبالمقياس الجديد وبالمقياس الكبير، فقد أورد الكندى فى أحداث سنة "سبع وأربعين ومائتين" عند ذكره ولاية يزيد بن عبد الله التركى ما نصه "وورد كتاب المتوكل بابتناء المقياس الهاشمى للنيل وبعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد عليها ابالرداد المعلم وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج سبعة دنانير وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائتين"(٢١٦).

وقد أورد ابن عبد الحكم "وكان أول من قاس النيل بمصر يوسف صلعم وضع مقياسًا بمنف.. ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير ووضع أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهو أكبرها"(٢١٧).

والروضة ذكرها ابن دقماق بقوله "هى جزيرة فى وسط البحر والبحر دائر عليها من جميع جهاتها وهى بين الفسطاط والجيزة وبطرفها من الجنوب دار المقياس وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن فى غيرها ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها وكانت الأسوار مستديرة عليها"(٢١٨).

وقد ذكره ياقوت الحموى بقوله "المقياس: هو عمود من رخام قائم فى وسط بركة على شاطئ النيل بمصر له طريق إلى النيل يدخل الماء إذا زاد عليه وفى ذلك

العمود خطوط معروفة عندهم يعرفون بوصول الماء إليها مقدار زيادته فأقل ما يكفى أهل مصر لسنتهم أن يزيد أربعة عشر ذراعًا فإن زاد ستة عشر ذراعًا زرعوا بحيث يفضل عندهم قوت عام وأكثر ما يزيد ثمانية عشر ذراعًا والذراع أربعة وعشرون إصبعًا.. وقيل: إنهم كانوا يقيسون الماء قبل ذلك بالرصاصة، قال: ولم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الأكسية ومعالمه هناك باقية إلى أن ابتنى المسلمون بين الحصن والبحر أبنيتهم الباقية إلى الآن ثم ابتنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياسًا بأسوان ثم بنى فى أيام معاوية مقياس بأنصنا ثم ابتنى عبد العزيز بن مروان مقياسًا بحلوان وكانت منزله، قال: فأما المقياس القديم الذى بالجزيرة فالذى وضع أساسه أسامة بن زيد التنوخى وهو الذى بنى بيت المال بمصر فى أيام سليمان بن عبد الملك وكان بناؤه المقياس فى سنة ٩٧، قال ابن بكير: أدركت المقياس يقيس الماء بمنف ويدخل زيادته كل يوم إلى الفسطاط، ثم بنى بها المتوكل مقياسًا فى سنة ٢٤٧ وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وأمر أن يعزل النصارى عن قياسه فجعل على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى الرداد وأصله من البصرة، ذكره ابن يونس وقال: قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر فلم يزل المقياس منذ ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وولده إلى الآن، وتوفى أبو الرداد سنة ٢٦٦.."(٢١٩).

وذكر ابن دقماق دار المقياس بقوله "هى دار فى رأس هذه الجزيرة من جهتها القبلية وصفته برج عظيم ودائره بسطتان مبنيتان يردان عنه جريان الماء وبداخل البرج أبنية كثيرة على عمد ودائره شبابيك وفى صدره من المشرق شباك كبير وفى جانب الدار فسقية عظيمة عميقة بينها وبين الدار باب وهذه الفسقية ينزل إليها بدرج دائرة إلى سفلها وفى وسطها عمود المقياس قائم وهو قطع رخام مفصل كل قطعة ذراع وفيها رسوم أعداد الأصابع وعدة القطع تسعة عشر قطعة وقاعدة طولها ذراع وبوسط هذا العمود عمود حديد يمسك القطع الرخام وبأعلى القاعدة سقالة

خشب مجوفة محشوة رصاصا تثقل العمود ويصل ماء النيل إلى هذه الفسقية من ثلاثة سروب بعضها فوق بعض طول كل منها نحو السبعين ذراعا والحكمة فى ذلك لأن السرب إذا كان قريبا يتحرك الماء داخل الفسقية وإذا كان بعيدا لا يتحرك داخلها ووفاء النيل ستة عشر ذراعا فإذا وفى الستة عشر يعلق على الشباك الكبير الذى تجاه مصر ستر أصفر فيكون ذلك علامة الوفاء والذى يعلق هذا الستر متولى الفسطاط وتكون تلك الليلة بمصر ليلة عظيمة توقد أهل مصر وأهل الروضة القناديل والشموع وتكرى كل مركب فى تلك الليلة بجملة مستكثرة وتزين حراريق الأمراء ويجعل فيها الطبلخانات والنفط وأنواع الزينة ويحضر استادار السلطان الكبير يبيت بالمقياس وكذلك خازن السلطان وصحبته جمدارية البقج ومعهم خلع من له عادة بذلك ويحضر جماعة من المقريين يقرؤن القرآن تلك الليلة حول الفسقية وتحضر الأغانى ويغنون لمن يكون حاضرا فى دار المقياس من العشا إلى باكر ويعمل صبيحة تلك الليلة سماطا من الشوا والحلوى والفاكهة ويحضر السلطان أو من يقوم مقامه من الأمراء الأكابر وكانوا الخلفاء المصريون يحضرون ذلك بأنفسهم فيقعد رأس السماط ويعطيهم دستور فيخطفوا العوام السماط ولا يمنع أحد من ذلك فإذا فرغ السماط يقوم السلطان أو من يقوم مقامه يدخل إلى عند الفسقية ويأخذ بيده طاسة فضة ملانة زعفران مزاب بماء ورد فيعطيها لابن أبى الرداد فيأخذها من يده ويرمى نفسه فى الفسقية بقماشه ومعه تلك الطاسة فيخلق العمود بذلك الزعفران ثم يخرج السلطان أو من يقوم مقامه فيجلس بالشباك تحت الستر ويفرق الخلع على أربابها ويخلع على والى الفسطاط وعلى رئيس الحراقة السلطانية وريسا حراريق الأمراء ومن جرت عادته بالخلع ثم يركب فى حراقته إلى السد فإذا وصل إلى السد يجد نائب السلطنة أو حاجب الحجاب ومعه الأمراء الأكابر واقفين على قنطرة السد وتحمل طبلخانة السلطان على لاكاديش وينزلوا إلى قنطرة السد فإذا وصل الذى خلق إلى عند السد يشير بكسره فيكسر حينئذ ويكون يوما عظيما تفرح به عامة أهل مصر والقاهرة وتغلق الأسواق للتفرج ويعم الفرح

سائر الناس من أهل مصر وغيرهم وهذا المقياس الذى يقاس به الآن يزعم أكثر الناس أنه عمارة المأمون وليس الأمر كذلك فإن المأمون مات فى سنة ثمان عشرة ومائتين وهذا المقياس عمر فى سنة خمس وأربعين ومائتين فبينهما تسع وعشرون سنة وفى دار المقياس يقول بعض أهل الأدب.

فأنظر لبسطته فرؤيتك التى — هى مشتهاه وروضة المتمتع

أرخى عليه الستر لما جئته — خجلا ومد تضرعا بالأصبع

وقال فيه بعضهم

فى قبة المقياس أكبر آية — تجرى به أرزاقنا الأقدار

فكأنما هى للنواظر جنة — تجرى لنا من تحتها الأنهار"(٢٢٠)

وقد ذكره المقريزى بقوله "(المقياس) الذى يقاس فيه ماء النيل اليوم ويقال له المقياس الهاشمى وهو آخر مقياس بنى بديار مصر. قال أبو عمر الكندى وورد كتاب المتوكل على الله بابتناء المقياس الهاشمى للنيل ويعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله بن دينار أمير مصر أبا الرداد المعلم وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج فى كل شهر سبعة دنانير وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائتين وعلامة وفاء النيل ستة عشر ذراعا أن يسبل أبو الرداد قاضى البحر الستر الأسود الخليفى على شباك المقياس فإذا شاهد الناس هذا الستر قد أسبل تباشروا بالوفاء واجتمعوا على العادة للفرجة من كل صوب وما أحسن قول شهاب الدين بن العطار فى تهتك الناس يوم تخليق المقياس.

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم — ما أحسن الستر قالوا العفو مأمول

ستر الاله علينا لا يزال فما — أحلى تهتكنا والستر مسبول"(٢٢١)

وقد أورد السيوطى "قال التيفاشى: ثم هدم المأمون مقياس الجزيرة، وأسسه ولم يتمه، فأتم المتوكل بناءه وهو الموجود الآن.. وقال بعضهم: كتب الخليفة جعفر المتوكل إلى مصر يأمر ببناء المقياس الجديد الهاشمى فى الجزير سنة سبع وأربعين

ومائتين، وكان الذى يتولى أمر المقياس النصارى، فورد كتاب أمير المؤمنين المتوكل فى هذه السنة على بكار بن قتيبة قاضى مصر، بألا يتولى ذلك إلا مسلم يختاره، فاختار القاضى بكار لذلك الرداد عبد الله بن عبد السلام المؤدب، وكان محدثًا فأقامه القاضى بكار لمراعاة المقياس، وأجرى عليه الرزق، وبقى ذلك فى ولده إلى اليوم. وقال صاحب المرآة: المقياس الظاهر الآن بناه المأمون، وقيل: إنما بناه أسامة ابن زيد التنوخى فى خلافة سليمان بن عبد الملك، ودثر فجدده المأمون. وبنى أحمد ابن طولون مقياسين، أحدهما بقوص وهو قائم اليوم، والآخر بالجزيرة وقد انهدم"[٢٢٢].

ويعد مقياس النيل كما يذكر فريد شافعى من المنشآت المعمارية الوثيقة الصلة بحضارة مصر، فقد شيد لقياس مناسيب المياه فى نهر النيل،وذلك لعلاقتها بمواسم الزراعة وجباية الخراج، أى أموال الدولة، ويعد هذا المقياس ثانى الآثار الإسلامية قدما بعد البقايا التى لا تزال قائمة فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، فقد أجمع المؤرخون على أنه شيد فى سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م كما تقدم بأمر من الخليفة المتوكل على الله العباسى، ونسبه البعض إلى الخليفة المأمون، ويضيف فريد شافعى نقلاً عن ابن خلكان أن اسم الخليفة المتوكل كان محفورًا فى الحجر فى نص تسجيلى يحيط بفوهة البئر من أعلاها ومعه تاريخ بنائها فى رجب سنة ٢٤٧هـ (٨٦١م)، وأن البئر قد بنيت على يد أحمد بن محمد الحاسب[٢٢٣].

والواقع أن المؤرخ ابن خلكان قد أمدنا بنصوص رائعة تتعلق بالمقياس عند ذكره ابن الرداد، ففيما يتعلق بأبى الرداد أورد وهو "أبو الرداد عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله الرداد، المؤذن البصرى، صاحب المقياس بمصر، كان رجلاً صالحًا وتولى مقياس النيل الجديد بجزيرة مصر، وجمع إليه جميع النظر فى أمره وما يتعلق به فى سنة ست وأربعين ومائتين، واستمرت الولاية فى ولده إلى الآن وتوفى فى سنة تسع وسبعين ومائتين، وقيل: سنة ست وستين ومائتين والرداد: بفتح الراء وبالدالين المهملتين وتشديد الأولى منهما وبينهما ألف"[٢٢٤].

أما فيما يتعلق بالمقياس ونصوصه الكتابية فقد أورد ابن خلكان "وهذا المقياس: وضعه أحمد بن محمد الحاسب القرصانى بأمر المتوكل على الله ـ وكان أسامة بن زيد التنوخى فى سنة ست، وسبعين للهجرة قد أمر ببناء المقياس فى الجزيرة قديمًا ـ وحكى عنه أنه قال: لما أردت أن أكتب على مواضع من المقياس ناظرت يزيد بن عبد الله، وسليمان بن وهب، والحسن الخادم، فيما ينبغى أن يكتب عليه، وأعلمتهم أن أحسن ما يكتب عليه آيات من القرآن، واسم أمير المؤمنين المتوكل على الله واسم الأمير المنتصر، إذ كان العمل له، فاختلفوا فى ذلك، وبادر سليمان بن وهب فكتب من غير أن يعلم ويستطلع الرأى فى ذلك، فورد كتاب أمير المؤمنين أن يكتب عليه آيات من القرآن وما يشبه أمر المقياس، واسم أمير المؤمنين، فاستخرجت من القرآن آيات لا يمكن أن يكتب على المقياس أحسن ولا أشبه بأمر المقياس منها،وجعلت جميع ما كتبت فى الرخام"(٢٢٥).

ويحدثنا ابن خلكان عن أسلوب الكتابة وموضعها ونصوصها بقوله "وجعلت جميع ما كتبت فى الرخام الذى تقدم فى البناية فى المواضع التى قدرت الكتابة فيها بخط مقوم غليظ على قدر الإصبع ثابت فى بدن الرخام مصبغ الحفر باللازورد المشمع يقرأ من بعد، فجعلت أول ما كتبت أربع آيات متساوية المقادير فى سطور أربعة فى تربيع بناء المقياس على وزن سبع عشرة ذراعًا من العمود. فكتبت فى الجانب الشرقى، وهو المقابل لـمدخل الـمقياس: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ [سورة ق: ٩]، وفى الجانب الشمالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [سورة الحج: ٥]، وعلى الجانب الغربى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحج: ٦٣]، وعلى الجانب الجنوبى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [سورة الشورى: ٢٨]، فصارت هذه الآيات سطورًا على وجه الماء إذا بلغ سبع عشرة ذراعًا، لأن هذا وسط الزيادة، ثم جعلت فى الذراع الثامن عشر فى جميع التربيع نطاقًا مثل النطاق الذى جعلته علامة

للذراع السادس عشر، وكتبت بإزاء الذراع الثامن عشر سطرًا واحدًا يحيط بجميع التربيع ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٢-٣٤] "بسم الله الرحمن الرحيم، مقياس يمنٍ وسعادةٍ ونـ - وسلامة. أمر ببنائه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله، أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده، على يدى أحمد بن محمد الحاسب، سنة سبع وأربعين ومائتين. وجعلت ما فوق ذلك عن الحيطان التى بأعلى البناء منقوشًا كله، محفورًا مصبوغًا باللازورد المشمع، و... ت إلى ما جاوز من العمود تسع عشرة ذراعًا، والرأس المنصوب عليه، والعارضة اللبخ المسكة له، فنقشت ذلك كله بالذهب واللازورد، وكتبت على العارضة آية الكرسى إلى آخرها، وكتبت على حائط الزقاق المقابل للنيل، فوق باب مدخل المقياس حيث يقرؤه السابلة سطرًا إلى الرخام من أوله إلى آخره، وهو "بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين، أمر عبد الله جعفر، الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ببناء هذا القياس الهاشمى، لتعرف به زيادة النيل ونقصانه، وأطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام له العز والتمكين والظفر على الأعداء، وتتابع الإحسان والنعماء وزاده فى الخير رغبة، وبالرعية رأفة، وكتبه أحمد بن محمد الحاسب فى رجب سنة سبع وأربعين ومائتين". وكتبت سطرين فى رخام عن جانبى الباب: أحدهما "بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا"، والآخر "بسم الله، بلغ الماء فى السنة التى بنى فيها هذا المقياس المتوكلى المبارك سبع عشرة ذراعًا وثمانية عشر إصبعًا"(٢٢٦).

ويضيف ابن خلكان "واتخذت مثال سبع من رخام ركبته فى وجه حائط فوقية القناة المطل على النيل، على المقدار الذى إذا بلغ الماء ست عشرة ذراعًا دخل الماء فى

فيه، وكتبت فوق ذلك فى أعلى الحائط: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة السجدة:٢٧]، كتبه أحمد بن محمد الحاسب فى جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين ومائتين، وصلى الله على سيدنا محمد النبى، وآله وسلم تسليمًا. والذراع فى المقياس ثمانية وعشرون إصبعًا إلى أن ينتهى إلى اثنتى عشرة ذراعًا، وبعد ذلك يصير اعتباره أربعة وعشرين إصبعًا(٢٢٧).

ويذكر فريد شافعى أنه على الرغم من أن المؤرخ ابن خلكان قد عنى عناية كبيرة باثبات النصوص الكتابية الأصلية التى كانت موجودة بالخط الكوفى على جدران البئر، والتى قال عنها فى أكثر من موضع أن الذى كتبها هو بانى المقياس واسمه "أحمد بن محمد الحاسب"، وذلك تبعًا للأقوال التى نقلها عن أبى الرداد الذى كان قائمًا على ملاحظة المقياس من قبل، فإن المستشرقين من أمثال بتلر (Butler) ولين (Lane) قد حاولوا تلمس تحريف فى اسمه فى أقوال المؤرخين، ومنهم ابن الداية الذى ذكر أن من قام بعمل المقياس الجديد فى مصر هو "أحمد بن كثير الفرغانى"، ومنهم ابن أبى أصيبعة وأبو المحاسن، وفوق ذلك فى أقوال أبى صالح الأرمينى الذى ذكر أن مهندس المقياس كان اسمه "ابن كاتب الفرغانى"، وأنه دفن فى كنيسة القديس كوليوتس (Coluthus)، وخلصوا من ذلك إلى القول بأنه هو "ابن الكاتب الفرغانى"، وأنه كان قبطيًا، وعارض كريزويل هذا الرأى(٢٢٨).

يضيف فريد شافعى أن معارضة كريزويل كانت على أساس أنه لا يمكن أن ينتسب ذلك الرجل إلى فرغانة(٢٢٩) وأن يكون قبطيًا فى نفس الوقت، ولكن من ناحية أخرى كان من رأيه أن أحمد بن محمد الحاسب وأحمد بن كثير الفرغانى شخص واحد، فترك بذلك مجالاً للظن بأن الرجل كان حقيقة من أهالى فرغانة التى كانت فى ذلك الوقت من أعمال بلاد فارس، وهى الآن جزء من تركستان الروسية، أو بمعنى آخر أنه لم يكن عربيًا من مصر أو مصرى الأصل، بل كان فارسيًا أو كان موطنه فارس، وهناك رواية أخرى ذكرها مؤرخ مسيحى آخر هو "أوتيخا" (Eutychius) فى كتاب وضعه عن تاريخ النيل فى سنة ٩٩٩م، أى بعد بناء المقياس

بنحو ١٣٨ سنة فقط، فقال عن ذلك المهندس أنه كان من العراق واختاره محمد بن موسى الفلكى[٢٣٠].

ولم تصل إلينا الكتابات التى أشار إليها ابن خلكان، ولعل ذلك قد حدث عندما قام أحمد بن طولون باصلاحات فى المقياس فى سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م، واستبدل الشريطين الكتابيين فى الجانبين الجنوبى والغربى القديمين بالشريطين الحاليين، ويعد الشريطان المنقوشان بالنحت فى الجانبين الشمالى والشرقى أقدم نصوص كتابية فى حكم المؤرخة وتوجد على أثار معمارية فى مصر، قال ياقوت الحموى فيما يتعلق باصلاحات أحمد بن طولون فى المقياس "ثم ركب أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ ومعه أبو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة قاضيه فنظر إلى المقياس وأمر بإصلاحه وقدر له ألف دينار فعمر، وبنى الخازن فى الصناعة مقياسًا وأثره باقٍ ولا يعتمد عليه"[٢٣١].

ويرى فريد شافعى أن اسم أحمد بن محمد الحاسب لم يذكر فى النص التسجيلى بما يمكن أن يفهم منه صراحة أنه كان مهندسًا، بل ذكر أن المقياس قد شيد على يدى "أحمد بن محمد الحاسب"، وفى موضع آخر: "وكتبه أحمد بن محمد الحاسب"، مما يحتمل معه أنه كان مشرفًا "إداريًا وماليًا على العمل فحسب، أو كان مشرفًا فنيًا أيضًا فى نفس الوقت، أى كان مهندسًا، ويعد بناء المقياس فخرًا هندسيًا للمهندسين العرب المسلمين من عدة نواح أولها أن جدران البئر التى شيدت بالحجر المنحوت المتقن قد صممت بحيث يزيد سمكها كلما ازداد عمقها فى الأرض، فعملت البئر على ثلاث حطات أو ثلاثة أدوار: السفلى منها على هيئة دائرة، تعلوها حطة مربعة ضلعها أكبر من قطر الدائرة، والمربع العلوى الأخير ضلعه أكبر من ضلع الحطة الوسطى، وهذا التدرج فى سمك الجدران يدل على دراية ومعرفة بالنظرية الهندسية الخاصة بازدياد الضغط الأفقى للأتربة على الجدران كلما زاد عمقها، كما أن أسلوب نحت الأحجار يدل على عناية ودقة فائقتين، وكذلك انتقاء نوع المونة التى استخدمت فى لصق أو بناء الأحجار، فقد ظلت تقاوم التحلل بفعل الماء فترة تزيد على ألف سنة[٢٣٢].

والمقياس عبارة عن بئر مربع مساحته حوالى ٦.٢٠م بوسطه عمود رخامى مثمن الشكل، ويتوصل لبئر المقياس من مدخل بالجدار الشمالى لمبنى مربع حديث من الحجر يبلغ طول ضلعه ١١م، ويصعد لهذا الباب من خلال سلم من ثمانى درجات، ويؤدى الباب إلى دهليز يلتف حول الجوانب الأربعة لبئر المقياس التى يحدها درابزين من الخشب الخرط الحديث، ويعلو البئر قبة تقوم على أربع دعامات من الحجر بارتفاع ٣.٣٠م، والقبة من الخشب المضلع من الخارج يكسوها الرصاص وهى مخروطية، وقد زخرفت من الداخل بزخارف نباتية ملونة، وكان النيل يتصل بالمقياس من خلال ثلاثة سروب (أنفاق) بالجهة الشرقية للمقياس، وتفصيل ذلك فيما يتعلق بالبئر فهى عبارة عن بئر مربعة تقريبًا يبلغ طول ضلعها ٦.٢٠م بعمق ١١.٤٣م، وكان قاع البئر مغطى بالبلاط[٢٣٣]، وتنقسم البئر إلى ثلاثة أقسام: السفلى وهو عبارة عن بئر مستديرة، وهذه البئر السفلية كشفها كامل غالب باشا، وهى مبنية من الطوب الأحمر المكسو من الخارج بالحجر الجيرى الذى يشبه الحجر المستخدم فى بناء المقياس، والجزء السفلى يؤدى إلى القاع من خلال سبع درجات صغيرة بالزاوية الجنوبية الشرقية، يبلغ ارتفاعها ٢.١٩م بقطر ٤.٧٣م، أما القسم الأوسط فهو مربع الشكل ويبدأ من مستوى الازار الموجود أسفل الدخلات حتى بداية القسم المستدير السفلى، ويبلغ ارتفاع القسم الأوسط ٣.٣٠م، أما القسم العلوى فهو عبارة عن مربع يبدأ من قمة البئر حتى أسفل الدخلات الأربع التى بجدران البئر، ويبلغ ارتفاع هذا القسم ٦.٠٣م[٢٣٤].

وقد نقل سامى نوار عن مارسيه أن عمق البئر يبلغ ١٠.٢٠م، وقد عارض بوبر مارسيه بقوله أن هذا العمق تم قياسه من قاع العمود لا من قاع البئر، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى كميات الطمى التى تترسب سنويا بقاع المقياس، وبجوانب البئر أربع دخلات تبدأ من نهاية القسم العلوى للبئر، وتنتهى قمة عقودها كما يذكر سامى نوار عند مستوى الدرجة السابعة من الدرجات التى بالجانب الجنوبى للبئر، ويعلو الدخلات اطار حجرى بارز أفقى يوازى مستوى الدرجة الخامسة من السلم الذى تقدم ذكره، وتبلغ مقاسات الدخلتين الشمالية ١.٦٥م عرضا والجنوبية ١.٦٣ م عرضا، أما الدخلة الغربية فعرضها ١.٨٤م بعمق ٨٤سم، ويبلغ اتساع فتحة

عقدها ١.٧٠م، أما الدخلة الشرقية فتبلغ فى اتساعها ١.٨٤م بعمق ٨٥سم، ويوجد بهذه الدخلة فتحة السروب التى كان يدخل منها ماء النيل إلى البئر، وقد سقفت الدخلات بقبو يتقدمه عقد مدبب يعلوه إطار بارز عن الجدران بـ ١٤ سم، ويتقدم الدخلة الشرقية بسطة بعرض ٤٩سم، ويكتنف كل دخلة عمودان مدمجان من الحجر، كما يوجد بأعلى الدخلات لوحات رخامية تشتمل على كتابات كوفية، ولم توضع الدخلات فى تماثل تام بسبب وجود سلالم فى مكان الدخلة الجنوبية وقبل قمة البئر، وقبل قمة البئر بحوالى ام يوجد شريط رخامى أبيض يشتمل على كتابات كوفية، ويبلغ ارتفاعه ٢٧سم، ويلتف هذا الشريط حول الجوانب الأربعة للبئر، وهى كتابات بارزة منحوتة[٢٣٥].

وفى أثناء تطهير بئر المقياس سنة ١٩٣٨م اكتشف كامل غالب بالبئر طبلية خشبية مغمورة فى الطمى بمقدار ٤م، وقد عثر على تسع قطع خشبية عبارة عن عوارض خشبية من شجر السرو على الرغم من وجودها بالبئر منذ سنة ٨٦١م، وقد وجدت متشبعة بالماء، أما الطبلية التى يرتكز عليها الجزء الدائرى السفلى للبئر فلم تكن متشبعة بالماء مما يدل على أن المسلمين كانوا يستخدمون الخشب المقاوم للتشبع بالماء بعد دهانه بمادة عازلة عن تأثير الماء، ويبلغ قطر الطبلية ٥.٢٥م بسمك ٥٠سم، وهى من جذوع شجر الجميز عبارة عن دائرة، وقد قويت القطع الخشبية المكونة للطبلية بواسطة أربع دعامات خشبية بهيئة صليبية،وثبتت أجزاء الطبلية بالمسامير ذات الحجم الكبير حوالى ٣٠سم، ولما رفعت الطبلية من أرضية البئر تغير لونها إلى السواد نتيجة التغير المفاجئ فى المناخ، وكانت ترتكز على قاعدتين من الآجر يحملان بئرًا قطرها الداخلى ٢.٦٠م، باتساع ٤٢سم، وبعمق ٢م، وكان يعلو الطبلية ٢٠ مدماكًا من الآجر لتثبيت الطبلية، وكانت هذه الطبلية تحمل حجرًا ثقيلاً من الجرانيت وضع على مدورته قاعدة رخامية بارتفاع ١.٢م يرتكز عليها عمود المقياس[٢٣٦].

كان المقياس يشتمل على ثلاثة سروب (أنفاق) تأخذ المياه من سيالة الروضة، وقد اكتشف كامل غالب باشا سنة ١٩٣٤م فى أثناء عمليات التمهيد لترميم

المقياس ثلاثة سروب بالجدار الشرقى لبئر المقياس، وقد نفذت بشكل رأسى يعلو كل منها الآخر، والقطاع العرضى بكل منها مستطيل مسقف بمجاديل أفقية رصت بجوار بعضها ما عدا عند المدخل، وفى مسافات أخرى قصيرة بالوسط فان الجزء العلوى منها معقود على شكل نصف دائرة ومقاسات هذه المجارى ومناسيب فروشها من جهة السيالة على النحو التالى:

١- العليا بطول ١٣.٤٠م ، وبعرض ٨٠ سم، وارتفاع ١.٧٠م، ومنسوب فرشها ١٦.١١م.

٢- الوسطى بطول ٣٦.٥٢م، وبعرض ٧٨سم، وارتفاع ١.٥٦م، ومنسوب فرشها ١٣.١٥م.

٣- السفلى بطول ٣٧.٣٩م ، وبعرض ١.٣٥سم ، وارتفاع ١.٤٠م، ومنسوب فرشها ١٠.٧٧م.

ويلاحظ أن مناسيب المجريين الأوسط والسفلى مع المناسيب المبينة برسومات الحملة الفرنسية للمقياس وبسكال كوست، وهذه المجارى تتصل ببعضها ببئرين، تبدأ الأولى على مسافة ٢.٦٠م من الواجهة الشرقية للمجرى العلوى وطولها ١.٥٨ م وعرضها بعرض فتحة المجرى، أما الثانية فعلى مسافة ١٢.٥٠م من نفس الواجهة، ويبلغ طولها ٩٧سم بعرض المجرى، وينتهى المجرى العلوى عند نهاية البئر الثانية على مسافة ٤ ١٣م من الواجهة الشرقية، أما المجريان الأخريان فيمتدان من سيالة الروضة لبئر المقياس مباشرة، وحسب رسومات الحملة الفرنسية فإن هذه المجارى المائية عبارة عن واحدة فى الجهة القبلية للبئر ومتصلة بها وفرشها بمساواة فرش البئر ومجريان بالجهة الشرقية للبئر توصلان لها الماء من سيالة الروضة، كذلك الحال برسم باسكال كوست وادوارد لين، أما رسومات ابرتون سنة ١٨٥٣م فيظهر بها ثلاثة مجار بالجهة الشرقية وهى الموجودة حاليًا، والاضافة بالجدار الشرقى، حيث أضيف المجرى العلوى بين ١٨٣٥-١٨٥٣م، وكانت هذه من أعمال محمد على بالمقياس لتقوية دخول الماء لبئر المقياس، وقد سدت المجارى المائية لعدم استخدام المقياس فى القياس[٢٣٧].

وقد نقل سامى نوار أن مارسيه قد شاهد المجرى السفلى بالجهة الجنوبية وكانت بمستوى أرضية البئر وكان قاع عمود المقياس يبعد عن الأرضية ١.٢٠م، وبما أن هذا المجرى كما يذكر سامى نوار كان ارتفاعه عن القاع ١.٣٤م فإن قمة هذا المجرى تبعد ١٤سم من قاع العمود، كما نقل عن كريزويل أن المجرى السفلى كان بارتفاع ١.٣٥م وعرض ٥٢سم وفوقه زخرفة بارزة حجرية، وكان هذا المجرى يبعد ٢٠سم من أعلى القاع، وقد علل بوبر اختلاف تحديد المجرى السفلى إلى أن البئر كانت مملوءة بالطمى منذ بداية ترميم المقياس فى عهد الحملة الفرنسية بحيث أنه لم يكن من الممكن رؤية القمة الداخلية لهذا المجرى، أما المجرى الثانى فقد حدده لوبير فى مستوى الذراع الثالث للعمود، وهو حاليا فى المنطقة الوسطى للبئر، وقد سد بالحجر واستخدم فى نزع البئر عند تنظيفه زمن الحملة الفرنسية، وكان يعلوه من ناحية الشاطئ الشرقى للنيل كتابة كوفية نصها "ما شاء الله لا قوة إلا بالله"، وكان للمسارب فتحات تؤدى لسلم خارج المقياس، أما السروب الثلاثة الآن بالجهة الشرقية فهى مسدودة، فالسرب الأول وهو العلوى يقع بنهاية الدخلة الموجودة بالجانب الشرقى، ويبلغ اتساعه ٨٥سم بارتفاع ١.٧٥م، وبطول ٣١.٤٠ م حتى سيالة الروضة، ويعلوها لوحة رخامية بها كتابة كوفية "ما شاء الله لا قوة إلا بالله"، أما السرب الثانى الأوسط فيبلغ اتساعه ٨٧سم بارتفاع ١.٥٦م، وبطول ٣٦.٤٩م، أما السرب السفلى فيعلوه كتب عبارة عن حجر مسطح به زخرفة نباتية باتساع ٥٢سم وبطول ٣٧.٣٧م(٢٣٨).

ولقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بتبليط سطح مجارى المياه الشرقية والبسطة المنشأة فى عهد الغورى والمشرفة على سيالة الروضة، واقترح كامل غالب نقل اطار العقد المغطى للفتحة السفلى بمجارى المياه الشرقية لتثبيته بمقياس المتوكل فى الفتحة العليا بدلا من السفلى التى كان بها فى الأصل، واقترح محمد رياض باشا مراعاة لصق أحجار العقد المراد نقله فى المكان المقترح بكيفية يفهم منها أن هذا ليس هو الموضع الأصلى للاطار حتى لا يلتبس الأمر على أحد نظرًا لصعوبة وضعه بالفتحة السفلى التى كان بها فى الأصل بسبب غمرها بالمياه(٢٣٩).

فيما يتعلق بعمود المقياس فهو مثمن الشكل من الرخام الأبيض، يتوسط البئر

وهو أساس عملية المقياس من خلال تقسيم بدنه إلى أذرع وأصابع، ويبلغ قطره ٤٨ سم، كما يبلغ عرض كل ضلع من أضلاعه ١٧سم، ويرتكز على أرضية البئر من خلال قاعدة مربعة بارتفاع ١.٢٠م، وطول كل ضلع من أضلاعها ٥٠سم، وترتكز القاعدة على حجر من الجرانيت قطره ١.٥م بارتفاع ٣٢سم، ويشتمل العمود من أسفل على ثقب فى منتصفه كان مخصصًا لتثبيت العمود بالطبلية الخشبية، ويتوج العمود تاج كورنثى الشكل به زخارف ورقة الأكنتس (شوكة اليهود)، وكان التاج مذهبًا وملونًا باللا زورد والأصباغ، ويحمل التاج عارضة خشبية لتثبيت العمود تمتد من الشرق إلى الغرب مستندة على منتصف الجدار الشرقى والغربى، وقد تم تركيبها فى سنة ١٩٤٧م تشتمل على كتابات كوفية كبيرة الحجم لآية الكرسى، وقد أطلق عليها اسم السقالة[٢٤٠].

وهذه العارضة هى الرابعة فبعد أن رأى حمزة باشا قائمقام القاهرة فى عهد السلطان مصطفى الثالث ١١٨٠هـ/ ١٧٠٩م أن العارضة الخشبية أصابها الخلل أمر برفعها ووضع أخرى عليها آية الكرسى وما كان عليها من كتابات من عهد الخليفة المتوكل وذلك بالخط الثلث، وقد أشار فورمون كما يذكر سامى نوار الذى زار مصر ١٧٤٧-١٧٥٠م إلى أن العارضة كانت تشمل فى كتاباتها تاريخ بناء المقياس ٢٤٧هـ/ ٨٦١م ولكنه لم يذكر اسم من قام بالبناء، وقد دمرت العارضة التى ركبها حمزة باشا فى زمن الحملة الفرنسية، ووضع الفرنسيون عارضة من قطعة واحدة والكتلة الرخامية التى أضيفت للعمود فوق تاجه مباشرة وكانت من الخشب، وقد أزيلت تلك الكتلة الرخامية التى ركبها الفرنسيون وتم نقلها لمتحف الفن الإسلامى من خلال لجنة حفظ الآثار العربية، وعند قيام الفرنسيين بتنظيف المقياس وجد لوبير أن القاعدة التى يرتكز عليها العمود عرضها ٥٠سم بارتفاع ١.٣٠م، وأن عمود المقياس قسم إلى ستة عشر قسمًا من خلال خطوط أفقية، وأن علامات الأذرع محفورة حفرًا غائرًا فى مناطق بعرض ١٥.٥ سم وارتفاع ٧.٥سم، ويبلغ الذراع ٥٤سم بحسب مقاييس الحملة الفرنسية، وعلامات العمود حاليًا يحدد أذرعها خطوط أفقية فى مجموعات، كل مجموعة أربعة خطوط متجاورة، وكما تقدم فى وصف ابن دقماق أن العمود عبارة عن أجزاء يربطها ببعض عمود يمر من

وسط هذه الأجزاء، وقد تعرض الذراع السادس عشر سنة ١٩٣٩م للتكسير، كما وجد كسر بالعمود تم معالجته من خلال طوق نحاس بارتفاع ٢٥سم بوسط العمود وذلك من خلال الحملة الفرنسية وكسر العمود قبل سنة ١٨٥٣م فى مكان اتصال الذراعين ١٦ و ١٧ وفى الطرف السفلى، وقد كانت هناك كتابات كوفية بجوار أرقام الأذرع تدل على قيمتها ولكنها محيت بفعل تأثير الماء، وذكر عمر طوسون الأذرع الثلاثة العلوية وهى عبارة عن كتابات بارزة من ١٥-١٧ بالعمود، وذكر مارسيه ١٥-١٦، وقد عاين كامل غالب الكتابات بنفسه وقرأها فى قمة العمود تسعة عشر وليس سبعة عشر وهذا كان حال كتابة العمود سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، أما كريزويل فيقرر أن الكتابة بقمة العمود تسعة عشر ثم يليها سبعة عشر على التوالى بحسب رواية ابن خلكان الذى ذكر أن العمود كان تسعة عشر ذراعًا، ويلاحظ أن الذراع (١٦) يوازى قاع الكورنيش بأسفل قمة البئر بـ ٤.١٩م، والذراع (١٧) يطابق الكتابات التى كانت تغلو دخلات البئر مستندا فى ذلك لرواية ابن خلكان الذى ذكر أن الكتابات بمستوى سطح الماء عندما يصل إلى سبعة عشر ذراعا، وقد نقل عمر طوسون مقاييس الأذرع بحسب ما سجله علماء الحملة الفرنسية(٢٤١).

ويعتقد البعض أن عمود المقياس هو الذى بناه أسامة بن زيد إلا أن هذا العمود كما يذكر سامى نوار جاء مثمنًا بينما عمود مقياس أسامة بن زيد مدور الشكل(٢٤٢).

يشتمل المقياس فى ركنه الشرقى للجدار الجنوبى على بداية سلالم المقياس حيث نهبط لأسفل بمقدار (٤٥) درجة سلم على هيئة قلبات ملتصقة وملتفة مع الجدران الأربعة للبئر، ويبلغ متوسط ارتفاع كل درجة من درجات السلم حوال ٢٤سم بعرض ٩٧سم، ومتوسط اتساع البسط ٢٣سم، وقد أمكن معرفة منسوب الفيضان حسب ارتفاع الماء للسلالم فالذراع (١٧) يوازى الدرجة (١٣)، وتاج عمود المقياس يوازى الدرجة (٢)، والشريط الكتابى لجدران البئر يوازى الدرجة (٣)، كما كان هناك شريط كتابى بارز من الحجر بالجدران الداخلية للبئر يوازى الدرجة (٥)، وآخر يوازى الدرجة (٨)، ونقل سامى نوار عن بوكوك أن القلبة الأولى لسلم المقياس تلتصق بالجدار الجنوبى للبئر وبها (٢١) درجة ثم يلى ذلك درجة سلم

صغيرة، وأن بالجهة الغربية (٤) درجات، وبالجهة الشمالية (٧) درجات، وأن البسطة الشمالية هى الأخيرة، وأشار أن عدد سلالم المقياس هى (٥٠) درجة، ويرى بوبر أن بوكوك كان يعد البسطة مع درجات السلم، وقد ذكر كريزويل كما يذكر سامى نوار أن هناك (٨) درجات بالجدار الشمالى لبئر المقياس تؤدى للبسطة الشمالية الشرقية للسلالم حيث يوجد درجتا سلم بالحائط الشرقى تصل لنهاية الضلع الرابع للبئر، وأن كامل غالب كشف الجزء المستدير من البئر وهو القسم السفلى وكشف به (٨) درجات بالجانب الجنوبى الشرقى من القسم السفلى الدائرى للبئر، وقد تم ترميم بعض درجات السلم بالقلبة الأولى و(١١) درجة من السلالم الأصلية ووجد أنه مازالت هناك نهايتها الخارجية[٢٤٣].

كانت سلالم المقياس من الرخام، أما الآن فهى من الحجر، وتبدأ كما تقدم من الركن الجنوبى الشرقى للجدار الجنوبى لبئر المقياس، وتمتد هابطة إلى الركن الجنوبى الغربى فى سلالم عددها (٢١) درجة، ويلاحظ أن الدرجة الرابعة متسعة عن سلالم الجدار الجنوبى، إذ يبلغ عرضها ٦٥سم، وبنهاية قلبة سلالم الجدار الجنوبى بسطة مربعه تقريبًا ١١٦×١١٥ يتوصل منها إلى ثلاث درجات بالجدار الغربى توصل بدورها لبسطة تصل إلى نهاية هذا الجدار الغربى، وذلك بسبب تعذر عمل سلالم لوجود الدخلة الغربية للبئر بهذا الجدار، وقد اعتبر البعض البسطة الأخيرة كدرجة سلم، ويبلغ ارتفاع البئر من مستوى هذه البسطة ٦.٢٧م[٢٤٤].

يشير سامى نوار إنه من الطبيعى أن المقياس كبئر له أهمية بالنسبة لمصر حتى وقت قريب كانت تغطيه مبان بسيطة التصميم، ونقل عن ابن شاكر الكتبى أن الظاهر بيبرس البندقدارى جدد قبة مزخرفة على المقياس، ويعد نوردن (Norden) أول من أشار للقسم العلوى من عمارة المقياس مع عمل رسم له يتضح منه أن بئر المقياس يعلوه من الخارج برج مربع يشتمل على ممر بنوافذ يعلوها من الداخل قبة تغطيها زخارف، ويعلو باب المنشأة كتابة كوفية من سطرين هما "دخول إلى هذا المكان شهادد" "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ويظهر نوردن الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة ومسجد المستنصر غربى المقياس والكشك الذى بناه السلطان سليم الأول مجاورًا لبرج المقياس، كما يظهر فى شرق المقياس سراى الصالح نجم الدين

أيوب، وهى على شكل قلعة مصغرة، وذكر مارسيه إن المقياس مبنى مربع تقريبًا ١٦.٩٠م من الشرق إلى الغرب و ٢١.٨٥م من الشمال إلى الجنوب، والارتفاع من قاع البئر لقمة قبة المقياس ٢٤.٦٠م، وأنه يصعد من مستوى الأرض من خلال أربع درجات تؤدى لباب بالجانب الشمالى الشرقى لمبنى المقياس باتساع ١.٢٠م، يؤدى بدوره للممر المحيط بالبئر، وكان بمبنى المقياس من الداخل أربع دعامات فى أركانه الأربعة، ويتوسط كل دعامتين منها عمودان من الرخام بتيجان كورنثية، وكان يوجد درابزين خشبى بين الدعامات والأعمدة من الخشب الخرط بارتفاع ١.٢٠م، ويعلو المبنى قبة خشبية يبلغ ارتفاعها ٨.٢٤م من مستوى قمة المبنى العلوى، بها (١٢) نافذة، كل منها بعرض ١.٥٠م، وارتفاع ١.٧٠م[٢٤٥].

دمرت قبة المقياس فى زمن الحملة الفرنسية، فقد أقامت بجواره فرقة عسكرية واستخدمت إحدى الغرف الملاصقة له كمخزن للبارود، ولذ لم يستطع روبرت أن يرسم المقياس، غير أنه تسلق حائط المقياس وعمل أنموذجًا رسمه سريعًا بدون سقف، وورد فى رحلة على بك العباسى بين ١٨٠٣-١٨٠٧م إنه سقطت أربعة أعمدة من الثمانية، وسقطت بعض أجزاء من السقف، وأن الجنود كانوا يرفعون طبقات الرصاص التى كانت تجمع الأجزاء الحجرية بالأسقف الخشبية، وأن القبة الخشبية تتلاشى بسرعة، وحين أنشأ خسروبا شاكشكه بدلاً من الكشك الذى هدمه الفرنسيون استخدم أعمدة ممر المقياس، وقد اكتشف كامل غالب باشا عمودين منها ضمن هذا الكشك الذى كان يقع تحته الرصيف الأصلى للمقياس، وكان الكشك متصدعًا، ويقع جنوب شرق جزيرة الروضة، وتقرر هدم هذا الكشك، وذكر عمر طوسون أنه يعلو البئر مبنى مستطيل ١٦.٩٠ ×٢١.٨٠م، والارتفاع من قاع البئر لقمة القبة ٦٤.٦٠م، وأن الممر حول البئر بعرض ٦.٦٠م، وأن البئر يحيط بها أربع دعامات من الطوب الأحمر، ويوجد بين كل دعامتين عمودان رخاميان، يبلغ قطر العمود ٤٠سم، وبين كل منهما درابزين خشبى بارتفاع ١.٥٠م، وأن ذلك قد اختفى فى عهده وتم بناء أعمدة خشبية بدلها كما كانت توجد ثريات فى الأركان الأربعة للمبنى تضاء ليلاً طوال فترة فيضان النيل، وكان بالقبة ١٢ نافذة حديدية والقبة ذات شكل هرمى، ومنطقة الانتقال بين القبة والمربع مضلعة من اثنى عشر

ضلعًا، بكل منها شباك، وكانت تزدان بزخارف نباتية، ونظرًا لعدم وجود وثائق أو أدلة عن شكل المبنى الخارجى للمقياس قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإقامة مبنى حجرى مربع بقمة هرمية الشكل طبقًا لرسم نوردن(٢٤٦).

وتم كذلك وضع درابزين من الخشب الخرط حول فوهة البئر طبقًا لرسم نوردن وهاى، ويغطى قبة المقياس من الداخل زخارف نباتية تشبه نقوش قبة مسجد سليمان باشا بالقلعة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م، وقبة الإمام الشافعى ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، وهى تفاصيل مطابقة بشكل كبير لرسومات نوردن، وتم كسوة المقياس من الخارج بألواح الرصاص، وقد تم تركيب هلال فى ٢٠/ ٧/ ١٩٥٢م، وأبدى كريزويل عدم ارتياحه لشكل الهلال، وبحسب رسم نوردن كان يعلو القمة شكل رمحى مدبب، ونظرًا لعدم وضوح الكتابات برسم نوردن فقد تشكلت لجنة لانتقاء كتابات تناسب موقعها من المقياس، وذلك حول القبة بدءا من الركن الجنوبى بأعلى شبابيكها بالخط النسخى بحروف كبيرة باللون الذهبى(٢٤٧).

وقد زخرفت القبة باللون الأزرق والأحمر والفيروزى والذهبى، ويتطرق سامى نوار إلى ما ذكره فريد شافعى وتقدم ذكره غير أنه يختلف معه فى ضرورة القيام بهذا العمل بين هبوط النيل وبين بداية الفيضان أى حوالى ستة أشهر فقط، حيث يرى أن الماء لم يكن ليعوق المعماريين المسلمين من البناء فى وسط الماء، اذ تو صلوا إلى امكانية عزل موقع العمل بل وتحويل الماء من ضفة إلى ضفة أخرى(٢٤٨).

كما يذكر سامى نوار عن فريد شافعى دون تعليق أن حفرة البئر المربعة لا يقل ضلعها عن ١٠م، ولا يقل ارتفاعها عن ١٢م، وهذا الأمر يستلزم حفر ١٢٠٠ مترا مكعبًا على الأقل من الأتربة والطين اللزج، وإلى ذلك العمق الكبير، وقد وضع البناء فوق "طبلية" من جذوع الشجر الضخمة، ثم ارتفع فى مداميك منتظمة وأحجار دقيقة النحت مع عمل النفق الأسفل فى الدور المستدير ليصل بينها وبين فرع النيل من جهة الفسطاط، ثم شيد الدور الثانى فوق الدور السفلى، وترك فيه نفق آخر مشيد بالحجر المنحوت مثل الدور السابق، ثم شيد الدور الثالث والأخير وفيه النفق العلوى الثالث، وذلك مع ما كان يتخلل البناء من أشرطة كتابية كوفية

منحوتة فى الحجر أو الرخام، وما فى الجدران من دخلات غائرة ذات رءوس من عقود مدببة وحليات، وأعمدة ركنية ملتصقة بنواصى الدخلات ذات تيجان مزخرفة وقواعد كأسية، ثم وضع العنصر الرئيسى فى المقياس وهو العمود الأوسط الرخامى الذى حفرت عليه علامات الأذرع والقراريط التى تعين مناسيب الماء ووضع ذلك العمود الذى يبلغ ارتفاعه نحو ١٠.٥٠ م فوق الطبلية الخشبية، وكان لابد من الانتهاء من كل ذلك خلال فترة ما بين هبوط النيل إلى الحد الذى يكاد يجف منه تمامًا فرع النيل بين الروضة والفسطاط، وبين بدء فيضانه مرة أخرى، أى ما يقرب من ستة أشهر فقط، وتعد الطبلية التى صنعت من الخشب المعشق المتين والمحكم والتى وضعت فوق الرمل مباشرة كأساس ترتفع فوقه جدران البئر، وهى تعمل فى نفس الوقت كقاعدة لعمود المقياس من أروع ما تفتق عنه ذهن المهندس[(٢٤٩)].

وإلى جانب ما يحتوى عليه المقياس من أقدم مثل للكتابات التسجيلية على العمائر الإسلامية فى مصر، فإن به أيضًا العقد المدبب ذو المركزين، وهو يتوج الدخلات الغائرة الأربع فى جوانب الدور العلوى من البئر، وقاعدة الأعمدة الركنية الملتصقة التى لها شكل كأسى أو ناقوسى، وهو الشكل الذى صار النموذج السائد لتيجان وقواعد الأعمدة فى العصر الإسلامى فى أقطار المشرق، ويوجد أقدم مثل فى سامراء[(٢٥٠)].

تتابعت على المقياس كتابات متعددة على مر العصور منذ انشائه منها ما اندثر ومنها ما لا يزال حتى اليوم، وقد أورد ابن خلكان ذكر الكتابات التى كانت على المقياس عند انشائه كما تقدم، وفى زمن الحملة الفرنسية سجل مارسيه كتابات المقياس التى ذكرها ابن خلكان حتى كلمة كفار المكتوبة فى بداية الجدار الغربى أما الكتابات التالية لهذه الكلمة وهى النص التأسيسى لبناء المقياس باسم الخليفة المتوكل فقد وجدت الحملة الفرنسية مكانه نصًا آخر بعد كلمة كفار، وهو نص قرآنى يملأ بقية الجدار الغربى والجدار الجنوبى كله، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أنه بعد عهد المتوكل أى من كان يهمه رفع اسم الخليفة المتوكل وينحصر ذلك فى أحمد بن طولون الذى رمم المقياس أو الخليفة الفاطمى المستنصر بالله كما يذكر

سامى نوار، وقد لاحظ مارسيه أن النص المضاف تختلف حروفه عن تلك الكتابات التى بالجدارين الشرقى والشمالى وهى الكتابات الأصلية التى ترجع إلى عهد المتوكل وقد قسم مارسيه الكتابات إلى ستة عصور وأيده فى ذلك فان برشم[٢٥١].

وقد وجدت الكتابات بأعلى المسارب (الأنفاق) بالجدار الشرقى فى لوحة رخامية بها نصه "ما شاء الله لا قوة إلا بالله"، كما وجدت الكتابات تعلو دخلات البئر فى أربع بلاطات رخامية، وهذه البلاطات توازى الذراع (١٧) لعمود المقياس، وهى كتابات قرآنية، ويرجع مارسيه هذه الكتابات لعهد المأمون، ويرى سامى نوار أن ذلك غير صحيح، ويرى على باشا مبارك أنها لم تتغير منذ وضعها أحمد بن محمد الحاسب، أما كتابات عمود المقياس وهى الأذرع الثلاث العليا فيرجعها مارسيه بالعمود إلى عهد الخليفة سليمان ٩٦-٩٧ هـ حيث اعتقد خطأ كما يذكر سامى نوار أن هذا العمود هو عمود مقياس التنوخى بينما هذا العمود هو عمود مقياس المتوكل، أما كتابات العارضة الخشبية التى ذكرها ابن خلكان فكانت من آية الكرسى ولم يذكر بقية النص بينما ذكر نوردن الذى زار مصر ١٧٤٧-١٧٥١م أنه كان بعد آية الكرسى دعوات للرسول ﷺ وتاريخ جمادى الآخر سنة ٢٤٧هـ وقد سجل كتابات العارضة علماء الحملة الفرنسية، أما العارضة الحالية فهى من تركيب لجنة فقط الآثار العربية عليها كتابات كوفية[٢٥٢].

ومن الكتابات التى اندثرت وذكرها ابن خلكان كتابة كانت تعلو تمثال أسد من الرخام كان بأعلى أحد المسارب، وأن الماء يدخل من فم الأسد إذا بلغ ستة عشر ذراعًا، وكان مدخل المقياس فى عهد المتوكل فى الجدار الغربى كما أورد ابن خلكان وتقدم ذكره، وقد اندثرت كتاباته بسبب بناء الخليفة المستنصر بالله الفاطمى لجامعه ملاصقًا للجدار الغربى للمقياس وذلك قبل الحملة الفرنسية، كما كان بأعلى المسراب بالجدار الشرقى كتابة كوفية، كما كانت هناك كتابات على لوحة رخامية بأعلى مدخل المبنى العلوى لبئر المقياس من الخارج باللغة الفرنسية والعربية فى تسعة سطور من عهد الحملة الفرنسية، كما أضاف الفرنسيون كتلة جرانيتية مستطيلة لها أربعة جوانب كتب على جانبين منها كتابات بالنحت البارز بالوجة الأول كتابة فرنسية ترجمتها السنة التاسعة للجمهورية الفرنسية وهو التقويم الذى

بدأ فى فرنسا مع بداية الثورة الفرنسية، والوجه الثانى سنة الهجرة ١٢١٥، وهذه الكتلة معروضة بصالة شواهد القبور بمتحف الفن الإسلامى(٢٥٣).

هذا وقد جدد المقياس فى العصر الفاطمى، فقد عهد الخليفة المستنصر بالله إلى وزيره بدر الجمالى بتجديده فأتم ذلك فى سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م وذلك من خلال بناء حائط من الحجر يحيط بالمقياس بعد أن بلغ النيل أقصى انخفاض له فى هذه السنة، وشيد مسجدًا فى جانبه الغربى عرف بمسجد المقياس، وقد ظلت اصلاحات الخليفة المستنصر بالله حتى زمن الحملة الفرنسية، إذ دمر المقياس، فقد ورد فى وصف مصر أنه يرجع لهذا العصر ثلاثة نصوص: كتب الأول منها فى داخل المقياس نفسه، والثانى أعلى باب المسجد، والثالث على الجدار الغربى للمسجد من الخارج، ونقل سامى نوار عن مارسيه أن هذه الكتابات تختلف عن الكتابات الأصلية بالمقياس فى أسلوب كتابتها لأنها أكثر رشاقة وظهرت بنهايات الحروف زخارف،ونقل عن بوبر أنه ربما حدث تغيير فى ارتفاع البئر مما نتج عنه تغيير للكتابات التى بقمته، وفى سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م خصص مائة حمل جير لطلاء واصلاح المقياس، وأنه قد حدثت فى أواخر العصر الفاطمى بعض الترميمات البسيطة، وأن الصالح نجم الدين أيوب عند عمارته لقلعته بالجزيرة كان المقياس يقع ضمن القلعة ومبانيها ويعتبر جزءا منها(٢٥٤).

وفى العصر المملوكى اعتنى بالمقياس اعتناءً عظيمًا ، فقد أقام الظاهر(٢٥٥) بيبرس البندقدارى قبة فوق بئره، وكان السلطان خشقدم قد كاد أن يهدمه ويزيله من الوجود بسبب الاضطرابات التى سادت المجتمع المصرى بسبب تأخر فيضان النيل وذلك حتى لا يعلم الناس الزيادة من النقصان.

وفى ربيع الآخر سنة ٨٨٦هـ / ١٣٤١م أمر السلطان قايتباى بترميم بعض أجزاء المقياس واصلاح أساساته، كما أبطل قايتباى كذلك المركب المسماة بالذهبية وكانت من شعار المملكة خاصة يوم وفاء النيل، إذ كان الملوك يتوجهون فيها للمقياس وكانت تشتمل على ستين مجدافًا(٢٥٦).

وقد أنشأ السلطان الغورى قصرًا له على بسطة المقياس، كما أمر باصلاح ما فسد من عمارته وببناء جامع بجواره تجاه دار النحاس ، وكان الغورى يكثر من الذهاب

للمقياس والاقامة به وكذلك كان يفعل السلطان سليم العثمانى الذى أنشأ فى ربيع الآخر سنة ٩٢٣هـ قصرًا من الخشب فوق القصر الذى شيده السلطان الغورى فوق بسطة المقياس، ويعرف هذا القصر الخشبى بالكشك، كما شيد كذلك قبة فوق المقياس[٢٥٧].

وظل الاهتمام بالمقياس وصيانته فى مدة البكوات خاصة على بك الكبير فى سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م فى تزايد مستمر.

وفى سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م قام حمزة باشا بابدال العتب الخشبى الذى كان يثبت عمود المقياس بسبب قدمه وسوءه حيث وضع عتبًا آخر مع كتابة ما كان مكتوبًا بالعتب الخشبى القديم بالخط الثلث بدلاً من الخط الكوفى الذى يرجع إلى عهد المتوكل[٢٥٨].

قام الفرنسيون فى أثناء حملتهم على مصر فى سنة ١٧٩٨-١٨٠١م بهدم المقياس وإعادة بنائه وتغيير معالمه، فقد أبدلوا أو ضاعه وهدموا قبته العالية والقصر البديع الشاهق والقاعة التى بها عمود المقياس وبنوها على شكل آخر ولكنه لم يتم، كما وضع الفرنسيون لوحة رخامية تشتمل على كتابات فوق باب المقياس باللغة الفرنسية ومعها الترجمة العربية[٢٥٩].

وأضاف الفرنسيون كذلك أعلى تاج عمود المقياس قطعة من الرخام الأبيض بارتفاع ذراع واحد قسم لأربعة وعشرين اصبعًا، وبعد رحيل القوات الفرنسية عن مصر فى ربيع الأول ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م تم الانتهاء من عمارة المقياس التى بدأت فى سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م وانشئ بالمقياس كشك خشبى علوى عوضًا عن الكشك القديم الذى هدم من قبل الفرنسيين، وقد عثر على إيصال بمبلغ عشرة جنيهات باللغة التركية لهذا الترميم الذى تم فى عهد محمد خسرو باشا[٢٦٠].

وكان قد عثر فى بئر المقياس على طغراء للسلطان محمود العثمانى محفورة حفرًا بارزًا على لوحة رخامية محفوظة الآن بالمقياس مما يدل على أن محمد على باشا أصلح المقياس فى عهد السلطان محمود، ومن ضمن هذا الاصلاح إضافة عقدين يستندان على قمة عمود المقياس فوق العتب الخشبى وعلى جدران بئر المقياس[٢٦١].

ظل المقياس لفترة زمنية طويلة تحت إشراف وزارة الرى نظرًا لاستمرار استخدامه فى معرفة منسوب مياه الفيضان، ويرجع الفضل فى الحفاظ على هذا الأثر وترميمه وكذلك غيره من المنشآت المائية إلى كامل غالب باشا الذى كان مفتشًا عامًا لرى الوجه القبلى، وقد بدأت أعمال الترميم بالمقياس فى العصر الحديث منذ الربع الثانى من القرن العشرين، ففى ١٧ يناير ١٩٢٥م ورد خطاب من مفتش الجيزة للجنة حفظ الآثار العربية يفيد انه فى أثناء تطهير المجارى التى توصل الماء من النيل للمقياس حدث هبوط فى عمود المقياس بمقدار ٤٠سم مما قد يسبب سقوط عمود المقياس فقامت وزارة الرى بعمل صلبات من خلال دعامة خشبية لجزئه العلوى بطول ٦م تقريبًا لمنع سقوط العامود، ولما كان الجزء الغاطس من العمود يبلغ ٣م فى الطين فقد تم نزح الماء من المقياس بواسطة الطلمبات فزاد الهبوط إلى ٧٠سم لذا عملت شدة من الحديد لمنع العمود من الهبوط حتى يأتى وقت التحاريق فى شهرى يونية ويولية لتنظيف قاع المقياس وعمل الاصلاحات اللازمة على أن تعمل معاينة كل ١٥ يومًا[٢٦٢].

وفى سنة ١٩٢٩م قامت وزارة الأشغال العمومية بنزع ملكية ما حول المقياس حتى يمكن الشروع فى إصلاحه على أن يتم البدء أولاً بكشف جدران البئر من الخارج إلى الأساسات حتى يمكن تقوية المبانى تدريجيًا وبناء جدران جديدة تسند الجدران القديمة ثم يتم بعد ذلك نزح المياه من داخل البئر وتقوية الأرضية وأساس العمود مع رفعه إلى مستواه الحقيقى على أن يوضع التصميم اللازم بمعرفة كامل غالب بعد موافقة لجنة حفظ الآثار العربية عليه[٢٦٣].

ومن المشاكل التى قامت حول عملية نزع الملكية بالنسبة للمنطقة المحيطة بالمقياس أن أفادت إدارة تحديد الملكية أن الجزء الجنوبى من أرض الجزيرة والبالغ " ٢٣ فدانًا و ١٢ قيراطًا" قد بيع منه "أربعة أفدنة واثنا عشر قيراطًا" بمعرفة عباس باشا الأول والى مصر، أما بقية المساحة فقد اغتصبتها أسرة المانسترلى وترتب على ذلك نزاع حول الملكية، لذلك فقد تمت مخابرة لجنة المنازعات بوزارة الأوقاف للسماح بتخصيص فدان واحد لاجراء اللازم من أعمال ترميم المقياس[٢٦٤].

فى نوفمبر ١٩٣١م عملت مقايسة لإصلاح المقياس بواسطة كامل غالب باشا.

ووفقت لجنة حفظ الآثار العربية فى الحصول على موافقة وزير الأوقاف بتقديم التسهيلات اللازمة لمصلحة الرى لتمهيد المكان المطلوب لمباشرة الاصلاح قبل الفصل فى النزاع القائم حول اثبات ملكية هذه المنطقة، وفى عام ١٩٣٨م قام المقاولان رويتلتز ولينهارد بناءً على تعليمات وزارة الأوقاف بوضع ١٤ طلمبة على حافة بئر المقياس مباشرة لرفع المياه من البئر على أن يتم بعد تجفيف المنطقة إقامة حاجز من الأسمنت المسلح حول جدران بئر المقياس من جميع الجهات ليمكن اجراء خطوات ترميم المقياس ذاته، وتقرر أن ينتهى تخطيط مصلحة التنظيم بجزيرة الروضة عند المنطقة الأثرية للمقياس مع عمل متنزه عام حول المقياس[٢٦٥].

وقد أظهرت الحفائر الرصيف الأصلى للمقياس تحت بناء كشك عثمانى كان مجاورًا لمبانى المقياس كما جاء فى رسومات كتاب وصف مصر، وفى سنة ١٩٣٩م تقرر إعادة بناء القطع القبلى بالسور الخارجى لمنطقة المقياس الذى عمل هو والقطع الشرقى لغرس السياج الحديدى فى الأرض حتى يمكن منع رشح المياه من خارج بئر المقياس ونزح المياه من داخله، أما القطع الشرقى فقد منع بنائه بسبب ظهور مبان أثرية وراءه للبسطة التى أضافها الغورى لمبانى المقياس[٢٦٦].

وقد تقرر نقل اطار العقد المغطى للفتحة السفلية بمجارى المياه الشرقية المنشأة فى عهد السلطان الغورى لتثبيته بمقياس المتوكل فى الفتحة العليا بدلاً من الفتحة السفلية التى كان بها أصلاً والمغمورة الآن بالماء مع مراعاة لصق أحجار العقد بكيفية يفهم منها أن هذا المكان ليس هو الموضع الأصلى للاطار حتى لا يلتبس الأمر على الأجيال المقبلة من الاثاريين خلال بحثهم فى التطورات التى مرت بالمقياس خلال العصور المتعاقبة، وفى سنة ١٩٤٦م نتج عن ارتفاع الفيضان فى هذه السنة نشع بمقياس النيل، وتم اتخاذ اللازم لتدارك هذا الأمر مع اتخاذ الاجراءات اللازمة لضمان عدم تكراره[٢٦٧].

وفى ٢٥ يناير سنة ١٩٤٧م تم تسليم المقياس لادارة حفظ الآثار العربية من وزارة الأشغال العمومية، وكان الفضل فى ذلك يرجع لكامل باشا غالب، وقد اشتملت ملفات مكتبة وزارة الرى على توجيهات للمقاولين بشأن ترميم سور

مقياس الروضة، منها أوامر إلى المقاولين حضرة زكى افندى فانوس وخليل افندى عوض الله، وكان تاريخ بدء العمل ٢٥/ ٣/ ١٩٣٥م وتاريخ النهو ١/ ٧/ ١٩٣٥[٢٦٨].

موظفو المقياس:

كانت عملية قياس زيادة نهر النيل تعرف بعملية اختبار النيل، وتبدأ أولاً بقياس قاع المقياس حيث الماء القديم الموجود قبل الفيضان وتتم هذه العملية فى ١٣ بئونه وينادى على الزيادة فى ٢٧ بئونه ويكسر السد الترابى للخليج الكبير فى احتفالات مهيبة صاخبة عندما تصل الزيادة إلى ١٦ ذراعًا التى يتم بها رى أرض مصر ويكون الرخاء والنماء[٢٦٩].

وقد رأى الخليفة الفاطمى المعز لدين الله فى شوال ٣٦٢هـ أن يمنع النداء بزيادة النيل وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى القائد جوهر، فلما تم وفاء النيل أباح النداء وكسر الخليج وذلك بسبب أن الناس يقلقون ويخشون القحط أو الغرق أو نقص أو توقف الماء فيقومون بتخزين الغلال وتخبئتها لبيعها بسعر عال أو لضمان وجود القوت إذا ما أجدبت الأرض فإن أو فى النيل هبطت أسعا رالغلال وظهرت بالأسواق وإلا كان القحط والجدب والمجاعات، وعلى هذا فإن فى كتمان أحوال النيل أعظم الفائدة، وقد عاد النداء بوفاء النيل مرة أخرى فى العصر الفاطمى، حيث ذكر ناصر خسرو الذى زار مصر (٤٣٩-٤٤٢هـ/ ١٠٤٧-١٠٥٠م) أن المنادين يطوفون بالمدينة ويذكرون الزيادة اليومية للفيضان وحين تبلغ الزيادة ذراعًا كاملاً تضرب البشائر ويفرح الناس، واستمرت المناداة طوال العصر الأيوبى[٢٧٠].

ولقد كان يتولى القياس القبط إلى أن أمر الخليفة المتوكل بعزل القبط عن القياس ثم ولى والى مصر يزيد بن عبد الله على المقياس عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤذن الذى كان يتولى بجانب القياس عملية تطهير المقياس، ويعرف بنو الرداد حاليًا ببنى الصواف، وقد تعددت مسميات ابن الرداد وبنيه ممن تولوا عملية القياس فإما حارس المقياس أو وكيل المقياس أو متولى المقياس أو صاحب المقياس أو شيخ المقياس أو قاضى البحر أو القياس، واسم الرداد يعنى مجبر العظام، وفى

العصر الإسلامى ارتبط هذا الاسم بموظفى المقياس من نسل أبى الرداد الذين توارثوا مهنة القياس، وكانت علامة وفاء النيل فى العصر العباسى هى أن يعلق ابن أبى الرداد الستر الأسود شعار الخلافة العباسية على شباك كبير بواجهة المقياس الشرقية المواجهة لمدينة الفسطاط فيعرف الناس تمام وفاء النيل ببلوغه ١٦ ذراعًا[٢٧١].

وربما حلت المناداة اليومية محل تعليق الستر الأسود فى العصرين الطولونى والاخشيدى ثم أبطلت المناداة فى عهد الخليفة المعز لدين الله وأمر أن يكتب بزيادة النيل إليه وإلى وزيره جوهر الصقلى فإذا بلغ وفاء النيل ١٦ ذراعًا أباح النداء، وكانت زيادة النيل وأحواله تسجل سنويًا فى سجلات خاصة بالمقياس، وكان لمتولى المقياس النظر فى أمور المقياس المختلفة كحفظه وصيانته، وليس هناك ما يدل على وجود أكثر من موظف للمقياس، وكان لمتولى المقياس مساعدون ينادون بأرجاء المدينة مبشرين بزيادة النيل، وقد جرت العادة عند وفاء النيل فى العصر المملوكى كان لون الستر هو اللون الأصفر أن يرسل السلطان بشيرًا بذلك لأنحاء البلاد لكن تطمئن قلوب العباد، وكان متولى المقياس يحمل فى أثناء سيره عودا، وكان قياس القاع من عصر يوم ٢٦ بئونه وهو ما يعرف بالماء القديم الذى تحسب عليه زيادة النيل وينادى بالزيادة فى اليوم التالى ٢٧ بئونه ثم يقاس النيل عصر كل يوم وفى صباح اليوم التالى ينتشر المنادون فى أنحاء المدينة يبشرون بالزيادة[٢٧٢].

كان هناك نوعان من الاعلان بزيادة النيل الأول الاعلان العام لكافة الشعب من خلال المنادين الذين يعلنون زيادة الأصابع دون الإشارة إلى عدد الأذرع، والإعلان الخاص يكون بواسطة رقاع يومية لأعيان الدولة، ويدون بها الزيادة بتاريخ اليوم من الشهر العربى ونظيره من الشهر القبطى بالأذرع والأصابع مع الكتابة بالزيادة التى كانت فى العام السابق والفرق بينهما زيادة ونقصانًا، وكان القياس بالذراع المعروفة بالسوداء، ويعد الخليفة الرشيد أول من وضعها[٢٧٣].

أما فيما يتعلق بحفل وفاء النيل فيظهر أن عادة الاحتفال بوفاء النيل ترجع إلى ما قبل الفتح الإسلامى لمصر، واستمرت هذه العادة بعد الفتح مع ادخال التعديلات اللازمة لكى تلازم الدين الجديد، وكان قبط مصر يلقون فى ليلة ١٢ من شهر بئونه

بجارية بكر فى النيل بعد أن يرضوا والديها ويلبسونها أفخر الثياب اعتقادًا منهم أن النيل لا يفيض إلا إذا فعلوا هذا، وكان الاحتفال بوفاء النيل قبل العصر الفاطمى احتفالاً بسيطًا، أما فى العصر الفاطمى فقد كان الاهتمام عظيمًا وجعل وفاء النيل الذى أصبح مرتبطًا بالاحتفال بكسر سد خليج القاهرة فكان يجتمع قراء الحضرة والمتصدرون بجوامع القاهرة ومصر فى ليلة الوفاء فى جامع المقياس لختم القرآن وفى الصباح يركب الخليفة الفاطمى لتخليق المقياس بالزعفران، وقد استمر الاهتمام بحفل الوفاء فى العصر الأيوبى وان لم يكن من المحتم ركوب السلطان لتخليق المقياس بنفسه، وفى العصر المملوكى كان بيبرس البندقدارى أول من نزل بنفسه من السلاطين لتخليق المقياس وكسر سد الخليج ثم من بعده الظاهر برقوق ثم الناصر فرج أحيانًا ثم المؤيد شيخ ثم الأشرف برسباى سنة واحدة ثم الظاهر خشقدم سنتين، وكان وصول الماء إلى ستة عشر ذراعًا فى العصر المملوكى يسمى بالماء السلطانى، ومن الطريف أنه كان يربط العامة بين السلطان ووفاء النيل بالتفاؤل والتشاؤم ويعتبرون عدم وفاء النيل عقوبة من الله تعالى، كما أنه حدث فى رمضان ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م أن أحضرت الآثار النبوية الشريفة من مدرسة الغورى ووضعت ببئر المقياس وغسلوها فى الماء الذى بالبئر لزيادة ماء النيل. إذ كان يعتبر المقياس من الأماكن الشريفة المقدسة[٢٧٤].

مقتل المتوكل وخلافة المنتصر

وفى أحدث سنة "سبع وأربعين ومائتين" أورد الطبرى "فمما كان فيها من ذلك مقتل المتوكل.. وفيها ماتت أم المتوكل بالجعفرية لست خلون من شهر ربيع الآخر وصلى عليها المنتصر، ودفنت عند المسجد الجامع. وفيها بويع للمنتصر محمد بن جعفر بالخلافة فى يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال ـ وقيل لثلاث خلون منه ـ وهو ابن خمس وعشرين سنة. وكفيته أبو جعفر بالجعفرية، فأقام بها بعد ما بويع له عشرة أيام، ثم تحول منه بعياله وقواده وجنوده إلى سامرا"[٢٧٥].

كان المتوكل يميل إلى أهل السنة ويعمل على نصرتهم، ويبدأ حكمة بنهى الناس عن القول بخلق القرآن الذى شغل الدولة العباسية فى عهد المأمون والمعتصم والواثق لكنه أساء إلى نفسه بسياسة العنف التى انتهجها فى معاملة العلويين، ومن ذلك هدم قبر الحسين بن على، وقد اشتهر بالحلم، وتشجيع الشعراء والعلماء[٢٧٦].

المنتصر بالله

(٢٤٧ -٢٤٨هـ/ ٨٦١ -٨٦٢م)

خلف المتوكل ابنه وقاتله المنتصر بالله فى شوال سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، وبايعه الناس بالخلافة، وبعث بنسخة البيعة إلى الأمصار، وكان بخلاف أبيه يحسن إلى العلويين، وسمح لهم بزيارة قبر الحسين، وكان"عظيم الحلم راجح العقل غزير المعروف راغبا فى الخير كثير الانصاف حسن العشرة"، وعلى الرغم من أنه كان يعطف على الأتراك قبل قتل أبيه، لم يلبث أن غضب عليهم وصار يسبهم ويقول:"هؤلاء قتلة الخلفاء"، ففكروافى قتله،وكان المنتصر شهمًا فاتكًا سفاكًا للدماء(٢٧٧).

أورد الطبرى فى أحداث سنة"ثمان وأربعين ومائتين" "وفى هذه السنة توفى المنتصر..وكان وفاته بسامرا بالقصر المحدث..وهو أول خليفة من بنى العباس - فيما بعد - عرف قبره، وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره. وكانت كنيته أباجعفر واسم أمه حبشية وهى أم ولد رومية..وفى هذه السنه بويع بالخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم"(٢٧٨).

المستعين بالله

(٢٤٨ـ٢٥٢هـ/٨٦٢ـ٨٦٦م)

لما مات المنتصر اجتمع القواد و تشاوروا فيمن يولونه الخلافة بعده، وأجمع رأيهم على تولية أحمد بن محمد المعتصم، وبايعوه وله من العمر ثمان وعشرون سنة ولقب المستعين بالله[٢٧٩].

القبة الصليبية ٢٤٨ هـ/٨٦٢م

تتبوأ هذه القبة الضريحية مكانة مهمة ليس بين أضرحة ومشاهد العراق فقط، بل بين أضرحة ومشاهد العالم الإسلامى أجمع فهى أقدم الأضرحة القائمة إلى الآن، يتميز تخطيطها بالشكل المثمن.

تقوم المنشأة على مرتفع طبيعى أوتل فى الجانب الغربى من دجلة إلى الجنوب من قصر العاشق، تطل على حوض النهر من منطقة تقابل الجوسق الخاقانى تقريبًا، ويضم البناء رفات ثلاثة من الخلفاء العباسيين الذين حكموا فى سامراء، وهم المنتصر بالله(٢٤٧ ـ ٢٤٨ هـ/ ٨٦١ ـ٨٦٢ م) المتوفى ٢٤٨ هـ/ ٨٦٢ م، والمعتز بالله (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ/ ٨٦٦ ـ ٨٦٩م) المتوفى٢٥٥هـ/ ٨٦٩ م، والمهتدى (٢٥٥ـ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ ـ٨٧٠م) المتوفى ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م، وقد شيدت القبة فى عام ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م كما يذكر عيسى سلمان بأمر من أم الخليفة المنتصر بالله،وذكر أن التسمية جاءت من أن هذه السيدة كانت صليبية قبل أن يتزوجها الخليفة، وقيل أن التسمية جاءت من شكل تخطيط وتصميم البناء[٢٨٠].

جاء تصميم القبة بسيطًا وفريدًا من الناحية المعمارية بين تخطيطات المنشآت الدينية والمدنية فهو يتألف من مساحة مربعة مسورة ومحددة من خارجها بمثمن فى تكوين معمارى فريد فى تصميمه وتنفيذه ، وقد شيد البناء بجص ولبن كلسى مثل قصر العاشق، ومكسو بطبقة غير سميكة من الجص أيضًا، وقد تساقطت سقوف أبنية هذه القبة، إلا أن مابقى منها أعطى صورة واضحة عما كانت عليه وقت تشييدها[٢٨١].

وجدران القبة المربعة متينة يزيد إرتفاعها عن خمسة أمتار، يبلغ طـول ضلعـها ٦،٣٠م، يتوسط كل من جدرانها مدخل يتوجه عقد مدبب، وتتعامد هذه الأبواب مع الأبواب الأربعة التى تتوسط أربعة من أضلاع جدار الرواق المثمن الذى يدور حول هذه الغرفة، وقد جاء هذا الرواق باتساع ٢،٦٠م، ويكون هذا التعامد شكلًا متقاطعًا ويستدل من بقايا سقف الرواق المثمن على وجود أقبية نصف أسطوانية متقاطعة وأرض هذه القبة مستوية ليس فيها ما يشير إلى عدد الأشخاص الذين دفنوا فيها، وتخلو جدرانها من التشكيلات الزخرفية، وقد أوجد المعمار فى أركان مربع القبة حنايا ركنية لتحويل هذا المربع إلى مثمن حتى يمكن إقامة القبة فوقها

أعمال الترميم

أوفدت مديرية الآثار العامة فى العراق هيئة فنية لترميم وصيانة هذا المبنى، وكشفت الهيئة عن جملة مرافق تحيط بالبناء الرئيسى وتتصل به وتتألف من غرف مستطيلة الشكل صغيرة نسبيًا ليست مرتفعة الجدران، ومعقودة بأقبية نصف برميلية، ومعظم هذه الغرف مشيد بالحص والحصى، ويتصل بعضها مع البعض الآخر، وتتألف بصورة أساسية من أربع مجاميع متناظرة بشكل متعامد أيضًا، وقامت الهيئة أيضًا بتحرى مربع القبة، وقد أنجزت هذه الهيئة ترميم وصيانة هذه القبة فقامت بعقد سقف رواقها وبناء قبتها بشكل نصف كروى مدبب قليلًا، وتشتمل القبة على أقدم مثل لمناطق الانتقال لتحويل الشكل المربع إلى مثمن من خلال أربع حنايا ركنية بواقع حنية فى كل ركن،وقد وجد هذا الأسلوب بشكل غير متكامل فى قبو مسجد الأخيضر وأقبية الايوانات الجانبية فى باب العامة فى الجو سق الخاقانى، حيث انه كان من حنيتين فقط وليس من أربع حنايا، أما الأقبية المتقاطعة فقد وجدت فى قصر الأخيضر(٢٨٢).

زلزلة بالرى ومطر بسامراء

يحدثنا الطبرى فى أحداث سنة "تسع وأربعين ومائتين" عن زلزلة شديدة بالرى بما نصه "وفيها أصاب أهل الرى فى ذى الحجة زلزلة شديدة ورجفة تهدمت منها

الدور ومات خلق من أهلها وهرب الباقون من أهلها من المدينة، فنزلوا خارجها. ومطر أهل سامرا يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الأولى، وذلك يوم السادس عشر من تموز مطرجود برعد وبرق، فأطبق الغيم ذلك اليوم، ولم يزل المطر جودًا سائلا يومئذ إلى اصفرار الشمس ثم ، كن"(٢٨٣).

ولاية أبو محمد زيادة الله (الثانى) بن محمد بن الأغلب
(زيادة الله الثانى)
(٢٤٩ـ٢٥٠هـ/ ٨٦٣ـ٨٦٤م)

أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "تسع وأربعين ومائتين" "وفيها توفى أبو إبراهيم أحمد بن محمد الأغلب، صاحب إفريقية، ثالث عشر ذى القعدة، فلما مات ولى أخوه زيادة الله بن محمد بن الأغلب، فلما ولى زيادة الله أرسل إلى خفاجة بن سفيان، أمير صقلية، يعرفه موت أخيه، وأمره أن يقيم على ولايته"(٢٨٤).

ولاية محمد الثانى (أبو الغرانيق محمد بن أحمد)
(٢٥٠ ـ ٢٦١ هـ/ ٨٦٤ ـ ٨٧٤م)
عمارة الحصون والمحارس على ساحل البحر

شهدت هذه السنة وفاة زيادة الله بن الأغلب، قال ابن الأثير عند ذكره ولاية محمد بن أبى إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب ولاية إفريقية "وفيها توفى زيادة الله ابن الأغلب، أمير إفريقية، وكانت ولايته سنة واحدة وستة أيام، ولما مات ملك بعده ابن أخيه محمد بن أبى إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب"(٢٨٥)، وأورد ابن الأثير فى موضع آخر" وبنى أيضًا حصونًا ومحارس على ساحل البحر"(٢٨٦).

مسجد الزيتونة الجامع ١١٤ - ٢٥٠هـ/ ٧٣٢ - ٨٦٤م

يذكر أحمد فكرى[٢٨٧] أن عبيد الله بن الحبحاب كان أول من شيد المسجد الجامع فى تونس، وهو المعروف بمسجد الزيتونة، وكان ذلك فى سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م وظن أن البناء تم بعد ذلك بسنتين، وقد جدد هذا المسجد، وأصلح، وأضيف إليه، وزيد فيه، وجمل وزخرف فى عصور مختلفة، وسجل كل هذا بدقة فى نصوص تاريخية منقوشة على الحجارة، ذكر فيها وصف هذه الأعمال وتاريخها، بل وذكر فى بعضها أسماء الصناع الذين تولوا عملها، حتى أنه يمكن فى ثقة تحديد مراحل تطوره سواء من حيث تخطيطه أو بنيانه وزخرفته.

ويعتقد أحمد فكرى أن مسجد الزيتونة كان فى سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م كانت له الحدود الخارجية التى يحتفظ بها منذ انشائه، ولعله ينقصنا النقش الذى يسجل تاريخ إنشاء عبيد الله بن الحبحاب للمسجد، وأن ظلة القبلة أو بيت الصلاة كان يقتصر على الأربع بلاطات (أربعة أساكيب) المجاورة لجدار القبلة، وأنه كان له محراب فى الموضع الذى مازال المحراب قائما فيه، ولم يستطع أحمد فكرى عمل رسم افتراضى للمسجد، حيث لم يستطع الكشف عن عناصر بنيان المسجد العتيق، إذ ليس من السهل اجراء حفائر به للكشف عن أسس تخطيطه، وقطع بصحة أن مسجد الزيتونة الجامع كان قائمًا قبل سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م فى حدود جدرانه الحالية، ففى تلك السنة شرع الأمير أبو إبراهيم أحمد فى تجديد المسجد، وزيادة عدد بلاطات (أساكيب) ظلة القبلة أو بيت الصلاة، وأتم أخوه زيادة الله ذلك التجديد وتلك الزيادة، ويحدد هذه الأعمال ويوضحها نقشان تاريخيان يحملان سنة ٢٥٠

هـ/ ٨٦٤م، يدور أحد هذين النقشين حول "قبة المحراب، ويمتد الآخر على واجهة البلاطة السابعة (الاسكوب السابع) المطلة على الصحن، من أولها إلى آخرها، أى أنه لا شك فى أن بيت الصلاة كله، فيما عدا مجنبة الصحن الشمالية، كان قائمًا فى تلك السنة"[٢٨٨].

ويضيف أحمد فكرى أن رسم تخطيط مسجد الأغالبة يعد أمرًا يسيرًا، فقد كان المسجد فى سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م ينحصر فى مستطيل غير منتظم الأضلاع، طول جدار القبلة الخارجى فيه ٦١م، والجدار الشرقى ٦٥م، والجدار الشمالى ٥٧م، والجدار الغربى ٧٦م[٢٨٩].

وتنقسم ظلة القبلة إلى سبع بلاطات موازية لجدار القبلة، يبلغ طول كل واحدة فيها ٥٤.٥٠م تجتازها خمس عشرة بلاطة عمودية على البآئكة الأولى التى تتقدم جدار القبلة، ويبلغ طول كل بلاطة عمودية ٢٥م تقريبًا، ويبلغ متوسط عرض كل من البلاطات الموازية والعمودية، فيما بين الأعمدة ٣م فيما عدا البلاطة الأولى التى تتقدم جدار القبلة والتى يبلغ عرضها ٤.٣٠م، أما البلاطة العمودية على المحراب فتبلغ ٤.٨٠م، ويتوسط المحراب جدار القبلة، تتقدمه قبة فوق تقاطع البلاطة الأولى الموازية والبلاطة الوسطى العمودية على المحراب والتى تقسم ظلة القبلة إلى قسمين متساويين متناغمين، وفتح فى البلاطة الأولى التى تتقدم جدار القبلة من جهة امتداد جدار القبلة باب يفضى إلى مقصورة مستطيلة تتكون من قاعتين مستطيلتين، وتمتد هذه المقصورة من جدار القبلة إلى نهاية البلاطة الرابعة الموازية لجدار القبلة، وتبرز خارج جدار ظلة القبلة بمقدار ٥م أى بمقدار مد جدار القبلة فى هذه الجهة من عمارة المسجد، ويجاور المحراب باب يؤدى إلى قاعة صغيرة مستطيلة تمتد أفقيًا فى موازاة جدار القبلة تعرف ببيت المنبر.

وتشتمل ظلة القبلة على ثلاث بائكات موازية لجدار القبلة، وأربع عشرة بائكة عمودية على اتجاه جدار القبلة، وتفصيل ذلك فى البائكات الموازية أن البائكة الأولى تشتمل على أعمدة مزدوجة وخمسة عشر عقدًا فى موازاة جدار القبلة منها عقد القبة

التى تتقدم المحراب، وهو العقد الأوسط، وهو أكثر اتساعًا من بقية العقود، ثم الباتكة الثانية وهى التى تنتهى بها البلاطة الرابعة، وهى موازية لجدار القبلة ترتكز على أعمدة منفردة وعقودها أربعة عشر عقدا بدون عقد البلاطة الوسطى العمودية على المحراب، وقد وزعت على جانبى ظلة القبلة بواقع سبعة عقود فى كل جانب، أما الباتكة الثالثة الموازية والتى تشرف على الصحن فهى على غرار الباتكة الأولى سواء من حيث ارتكازها على أعمدة مزدوجة أو من حيث عدد عقودها، وتحصر هذه الباتكات الثلاث خمس عشرة بلاطة عمودية وزعت بشكل متناغم بواقع سبع بلاطات على جانبى البلاطة الوسطى، وهى جميعًا عمودية على الباتكة الأولى الموازية التى تقدم ذكرها، وذلك من خلال أربعة عشر صفًا من الأعمدة تحمل عقودًا، بواقع ستة عقود فى كل صف، وصحن المسجد يشغل مستطيلًا غير منتظم الأضلاع، أكثر أضلاعه طولًا فى مؤخر المسجد، مقاسه نحو ٥٢م، وأقلها طولًا فى شرقيه، مقاسه ٣٧م، ولم يكن للصحن مجنبات (ظلات جانبية)، وتقع المئذنة فى ركنه الشمالى الغربى، ويشتمل المسجد على خمسة أبواب، إثنان منها فى الجدار الغربى يؤديان إلى الصحن، وثلاثة فى الجدار الشرقى، منها باب يفتح على البلاطة الثانية الموازية، ولم يكن للمسجد فى عصر الأغالبة غير هذه الأبواب.

دينار عباسى ضرب مكة سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م

وقد أوضحت المكتشفات والدراسات الأثرية أن مكة المكرمة كانت إحدى دور السك فى عصر الخلافة العباسية، فقد اكتشفت مجموعة من الدنانير الإسلامية بمنطقة جازان فى موقع بالقرب من القصادية شمال صبياء على طريق الحج الساحلى، منها دينار ضرب مكة سنة ٢٥٠هـ فى عهد الخليفة المستعين بالله الوزن ٤.٢جم، والقطر ٣.٣ سم نصوصه على النحو التالى:

نصوص الوجه: لا إله إلا

المركز: الله وحده

لا شريك له

العباس بن

أمير المؤمنين

الهامش الداخلى: بسم الله ضرب هذا الدينار بمكة سنة خمسين ومائتين.

الهامش الخارجى: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

نصوص الظهر: لله

المركز: محمد

رسول

الله

المستعين بالله

الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[٢٩٠].

المعتز بالله (٢٥٢ - ٢٥٥هـ/ ٨٦٦ - ٨٦٩م)

فى أحداث سنة "اثنتين وخمسين ومائتين" أورد الطبرى "فمن ذلك ما كان من خلع المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم نفسه من الخلافة. وبيعته للمعتز محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم، والدعاء للمعتز على منبرى بغداد ومسجدى جانبيها الشرقى منها والغربى، يوم الجمعة لأربع خلون من المحرم من هذه السنة، وأخذ البيعة له على من كان يومئذ بها من الجند"[(٢٩١)].

دينار عباسى ضرب مكة فى سنة ٢٥٢هـ

ومن الدنانير المكتشفة بمنطقة جازان فى موقع بالقرب من القصادية شمال صبياء على طريق الحج الساحلى، دينار ضرب مكة فى سنة ٢٥٢هـ فى عهد الخليفة المعتز بالله[(٢٩٢)].

ولاية أحمد بن طولون مصر وبناء دار الصناعة

ولد الأمير أبو العباس أحمد بن طولون ببغداد فى سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م، وكان أبوه مملوكًا تركيًا من بلاد منغوليا، وتلقى علومه العسكرية فى سر من رأى (سامراء - سامرا)، وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "أربع وخمسين ومائتين" ما نصه "وفيها عقد بايكباك لأحمد بن طولون على مصر"(٢٩٣).

وفى ذلك أورد ابن الأثير عند ذكره ابتداء حال أحمد بن طولون ما نصه "كانت ديار مصر قد أقطعها بايكباك، وهو من أكابر قواد الأتراك، وكان مقيمًا بالحضرة، واستخلف بها من ينوب عنه بها. وكان طولون والد أحمد بن طولون أيضًا من الأتراك، وقد نشأ هو، بعد والده، على طريقة مستقيمة، وسيرة حسنة، فالتمس بايكباك من يستخلفه بمصر، فأشير عليه بأحمد بن طولون، لما ظهر عنه من حسن السيرة، فولاه وسيره إليها. وكان بها ابن المدبر على الخراج، وقد تحكم فى البلد، فلما قدمها أحمد كف يد ابن المدبر، واستولى على البلد، وكان بايكباك قد استعمل أحمد بن طولون على مصر وحدها سوى باقى الأعمال كالإسكندرية وغيرها، فلما قتل المهتدى بايكباك وصارت مصر لياركوج التركى، وكان بينه وبين أحمد بن طولون مودة متأكدة، استعمله على ديار مصر جميعها، فقوى أمره، وعلا شأنه ودامت أيامه."(٢٩٤).

وأحمد بن طولون ذكره ابن خلكان بما نصه "الأمير أبو العباس أحمد بن طولون، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور، كان المعتز بالله قد ولاه مصر، ثم استولى

على دمشق والشام أجمع وأنطاكية والثغور فى مدة اشتغال الموفق أبى أحمد طلحة بن المتوكل، وكان نائبًا عن أخيه المعتمد على الله الخليفة وهو والد المعتضد بالله، بحرب صاحب الزنج. وكان أحمد عادلًا، جوادًا، متواضعًا، حسن السيرة، صادق الفراسة، يباشر الأمور بنفسه ويعمر البلاد ويتفقد أحوال رعاياه، ويحب أهل العلم، وكانت له مائدة يحضرها كل يوم الخاص والعام، وكان له ألف دينار فى كل شهر للصدقة.. وكان ـ مع ذلك كله ـ طائش السيف.. وكان يحفظ القرآن الكريم، ورزق حسن الصوت، وكان من أدرس الناس للقرآن، وبنى الجامع المنسوب إليه.. وكان أبوه مملوكًا أهداه نوح بن أسد السامانى عامل بخارى إلى المأمون فى جملة رقيق حمله إليه فى سنة مائتين، ومات طولون فى سنة أربعين ومائتين. وكانت ولادة ولده أحمد بسامرا فى الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة عشرين ومائتين، ويقال إن طولون تبناه ولم يكن ابنه، ودخل مصر لتسع ـ وقيل: لسبع ـ بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين، وقيل: يوم الاثنين لخمس بقين منه. وتوفى بها فى ليلة الأحد لعشر بقين ـ وقال الفرغانى: لعشر خلون ـ من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين.. وزرت قبره فى تربة عتيقة بالقرب من الباب المجاور للقلعة على طريق المتوجه إلى القرافة الصغرى بسطح المقطم. وطولون: بضم الطاء المهملة وسكون الواو وضم اللام وسكون الواو وبعدها نون، وهو اسم تركى.." (٢٩٥).

دار الصناعة بجزيرة الروضة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م

شيد أحمد بن طولون دارًا لصناعة السفن فى جزيرة الروضة سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، وهى الدار التى انتفع بها بعد ذلك عند بناء حصنه بالجزيرة فى سنة ٢٦٣ هـ/ ٨٧٧م، فقد أورد المقريزى عند ذكره الروضة ما نصه "وقال القضاعى جزيرة فسطاط مصر قال الكندى بنيت بالجزيرة الصناعة فى سنة أربع وخمسين"[(٢٩٦)].

المهتدى بالله (٢٥٥ -٢٥٦هـ/ ٨٦٩ -٨٧٠م)

فى أحدث سنة "خمس وخمسين ومائتين" أورد الطبرى "ولثلاث بقين من رجب منها خلع المعتز. ولليلتين خلتا من شعبان أظهر موته.. فلما مات أشهد على موته بنو هاشم والقواد.. فدفن مع المنتصر فى ناحية قصر الصوامع، فكانت خلافته من يوم بويع له بسامرا إلى أن خلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا. وكان عمره كله أربعًا وعشرين سنة.. وكان مولده بسامرا. وفى يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب من هذه السنة، بويع محمد بن الواثق، فسمى بالمهتدى بالله، وكان يكنى أبا عبد الله، وأمه رومية، وكانت تسمى قرب"[٢٩٧].

المعتمد على الله (٢٥٦ -٢٧٩هـ/ ٨٧٠ -٨٩١م)

وفى أحداث سنة "ست وخمسين ومائتين" أورد الطبرى "وفى رجب من هذه السنة لأربع عشرة ليلة خلت منه خلع المهتدى، وتوفى يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب.. وكانت خلافة المهتدى كلها إلى أن انقضى أمره أحد عشر شهرًا وخمسة وعشرين يومًا، وعمره كله ثمان وثلاثون سنة.. وكان ولد بالقاطول.. وفيها بويع أحمد بن أبى جعفر المعروف بابن فتيان، وسمى المعتمد على الله، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب"[٢٩٨].

مدينة القطائع بمصر

٢٥٦هـ/ ٨٦٩م

القطائع لغة "(أقطع).. وـ فلانًا أرضًا: ملكه إياها.. (القطيعة).. وـ الجزء من الأرض يملكه الحاكم لمن يريد من أتباعه منحة. (ج) قطائع"[(٢٩٩)].

وفى ذلك أورد ياقوت الحموى."القطائع: وهو جمع القطيعة، وهو ما أقطعه الخلفاء لقوم فعمروه"[(٣٠٠)].

ذكر البلوى عند ذكره مبدأ سعادة ابن طولون بتوليه مصر ما نصه "ووافق دخوله سر من رأى تقليد باكباك مصر، والتماسه من يخلفه عليها، فقيل له أحمد بن طولون: الثقة الأمين، الحبر، الدين، الخير، فقلده خلافته وضم إليه الجيش. ورحل إلى مصر فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين.. فلما حصلت مصر ليارجوخ.. كتب إلى أحمد بن طولون يعرفه ما جرى ويقول: تسلم من نفسك لنفسك. وزاده جميع الأعمال الخارجة كانت عن مصر.. وقد استكثر من العبيد والرجال والآلات، فضاقت به داره، وكان هو والأمراء من قبله يسكنون فى الدار التى تعرف إلى اليوم ببلد الإمارة.. فركب أحمد بن طولون إلى سفح الجبل، فاختط فيه قصرًا، وأمر أصحابه وغلمانه وتباعه أن يختطوا لأنفسهم حوله وما قرب منه، فاختط الناس وبنوا، حتى اتصل البناء بعمارة البلد، وهى هذه الدور الشارعة من حد قيسارية بدر إلى سوق الدواب. واتصل البناء والعمارة من الجانب الآخر إلى أن جاوز المدينة، ثم قطعت القطائع، وسميت كل قطيعة باسم من

يسكنها، فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم، وللروم قطيعة أخرى، وللفراشين قطيعة مفردة، ولغيرهم من كل صنف من الغلمان، وبنى القواد مواضع متعددة، فعمرت عمارة حسنة، تفرقت فيها السكك والأزقة، وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران، وسميت أسواقها، فسمى منها سوق العيار ين يجمع فيه البزازين والعطارين، وسوق الفاميين [يجمع] فيه الجزارين والبقالين والشوائين، وكان فى دكاكين الفاميين جميع ما فى دكاكين نظرائهم فى المدينة وأكثر وأحسن، وسوق الطباخين [يجمع] فيه الصيارفة والخبازين وأصحاب الحلواء، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقًا حسنًا عامرًا نبيلاً صينًا. فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن"(٣٠١).

ويحدثنا البلوى عن قصر أحمد بن طولون بما نصه "وبنى قصره ووسعه وحسنه، وبنى فيه ميدانًا حسنًا يضرب فيه بالصوالجة، فسمى القصر كله الميدان من أجل الميدان فكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير سئل عن ذهابه فيقول إلى الميدان، وعمل له أبوابًا وسمى كل باب منها باسم، فمنها باب الميدان، ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش، وسمى باب الصوالجة، وباب الخاصة لا يدخل منه إلا خاصته، و[ما] كان مما يلى المقطم سمى باب الجبل، وباب للحرم ولا يدخل منه إلا خادم أو حرمة، وباب سمى باسم حاجب كان يجلس عليه يقال له الدرمون لأنه كان رجلًا أسود عظيم الخلق، وقلد النظر فى جنايات الغلمان السودان، والرجالة خاصة، فسمى باب الدرمون، وباب آخر سمى باسم حاجب كان عليه يقال دعناج، وباب عمل من خشب الساج سمى باب الساج، وباب فى الشارع الأعظم، كان يخرج منه إلى الجامع الذى بناه فسمى باب الصلاة، وصور عليه سبعين من جبس. وهذا الباب قائم بحاله إلى اليوم، وهو يعرف بباب السباع أيضًا فى أول سوق الدواب. وكان الطريق الذى يعرج منه الفاصل إلى قصره طريقًا واسعًا، ولم يكن يكتنفه باب واحد ولا بابان، فقطعه بحائط، وعمل فيه ثلاثة أبواب كأكبر ما يكون من الأبواب [وكانت] الدروب متصلة كلها واحد إلى جانب واحد، يفرق

بين الناس الركن الذى ينصفق إليه الدرب. فكان إذا ركب أحمد بن طولون لعيد أو لغيره يخرج عسكره منه، متكاثف الخروج، على حسن ترتيب بغير زحمة، ويخرج هو من الباب الأوسط منها، لا يختلط به أحد، فتلك السكة إلى اليوم تسمى ثلاثة أبواب. ومن هذه الأبواب واحد قائم إلى اليوم، ودخل البابان الآخران بعدهما فى بناء الناس لما انقضت أيامهم وخربت القطائع. وكانت أبواب قصره، التى سمينا قبل هذا، تفتح بعد عرض الجيش أو يوم صدقة، وسائر الأيام تفتح على ترتيب فى وقت، وتغلق فى وقت، وكان له فى قصره مجلس يشرف منه يوم العرض، ويوم المساكين، فينفذ منه من يدخل إلى جنب الخارج، فكانوا يردون من باب الصوالجة ويصدرون من باب السباع. وبنى على باب السباع مجلسًا يشرف منه ليلة العيد على القطائع، فيرى اضطراب الغلمان فى تأهبهم، وتصرفهم فى فى حوائجهم، على مقدار كل واحد منهم، فإذا شاهد من واحد منهم يسيرًا من الاختلال، أمر له فى الوقت بما يتسع به، ويزيد فى جماله. وكان يشرف منه أيضًا على البحر، وعلى باب المدينة وما والاهما، وكان متنزهًا حسنًا. وكان يصلى الجمعة فى المسجد القديم الملاصق للشرطة"(٣٠٢).

وأورد الكندى عند ذكره الدولة الطولونية وأحمد بن طولون "ثم وليها أحمد بن طولون من قبل المعتز.. وبويع المهتدى بن الواثق.. وتوفى المهتدى فى شعبان سنة ست وخمسين ومائتين وبويع المعتمد بن المتوكل فأقر أحمد بن طولون عليها وابتدأ أحمد بن طولون فى بنيان الميدان فى شعبان سنة ست وخمسين وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى وبنى موضعها"(٣٠٣).

وذكر ابن دقماق مدينة القطائع بما نصه "هى مدينة كانت بين مصر والقاهرة عمرها أحمد بن طولون وذلك أنه لما دخل إلى مصر نزل فى دار الامارة القديمة التى بناها صالح بن على.. ثم اختط قصره المعروف بالميدان فى الموضع المعروف بالقطائع وذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين قال القضاعى واختط الناس.. وسميت كل قطيعة باسم من اقتطعها فقيل قطيعة السودان وقطيعة الروم وقطيعة الفراشين

وقطيعة هرون وكان لقصره أبواب منها باب الصلاة وهو باب السباع الذى يحاذى الجامع المنسوب إليه وهو قائم إلى اليوم ولم يزل هذا القصر والقطائع عامرين أحسن عمارة وكان خمارويه وابنيه جيش وهرون ينزلون هذا القصر وزادت العمارة فى أيامهما وكثر الناس فى هذه القطائع.. وقيل أن مدينة القطائع كانت ميلا فى ميل يسكنها جنده وقصره فى المدينة هو الآن الميدان الذى تحت القلعة قال ابن سعيد فى المغرب.. ولم يبق الآن لمدينة القطائع أثر غير جامع ابن طولون وحوله الآن مبانى كثيرة من غير سور يدور عليها فلما خربت أبدل الله عوضها مدينة القاهرة.. ورأيت فى بعض التواريخ أن الإمام المعتضد بالله العباسى أمر بهدمها حنقا على أحمد بن طولون فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين بعد انقضاء دولة آل طولون وكان متولى تخريبها محمد بن سليمان الكاتب"(٣٠٤).

وذكر المقريزى عند ذكره القطائع ودوله بنى طولون "اعلم أن القطائع قد زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل إلى جامع ابن طولون وهذا أشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فانه من أول الرميلة تحت القلعة إلى الموضع الذى يعرف اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل فقبة الهواء كانت فى سطح الجرف الذى عليه قلعة الجبل وتحت قبة الهواء قصر ابن طولون وموضع هذا القصر الميدان السلطانى تحت القلعة والرميلة التى تحت القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال كانت بستانا ويجاورها الميدان فى الموضع الذى يعرف اليوم بالقبيبات فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذى أنشأه أحمد بن طولون وبحذاء الجامع دار الامارة فى جهته القبلية ولها باب من جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة المحيطة بمصلى الأمير إلى جوار المحراب وهناك أيضا دار الحرم والقطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكره وغلمانه وكل قطيعة لطائفة.. فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التى بالقاهرة وكان ابتداء عمارة هذه القطائع وسببها أن أمير المؤمنين المعتصم بالله.. لما اختص بالأتراك..

فتقلد باكباك مصر.. وطلب من يوجهه إليها فذكر له أحمد بن طولون فقلده خلافته.. واتفق موت المعتز.. وقيام المهتدى بالله محمد بن الواثق وقتل باكباك ورد جميع ما كان بيده إلى ماجور التركى.. فكتب إليه تسلم من نفسك لنفسك.. فلما قتل المهدى.. بويع المعتمد بالله أحمد بن المتوكل.. وصار أحمد بن طولون من كثرة العبيد والرجال والآلات بحال يضيق به داره ولا يتسع له فركب إلى سفح الجبل فى شعبان وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى واختط موضعها فبنى القصر والميدان وتقدم إلى أصحابه وغلمانه وأتباعه أن يختطوا لأنفسهم حوله فاختطوا وبنوا حتى اتصل البناء لعمارة الفسطاط ثم قطعت القطائع"[٣٠٥].

مما تقدم يتضح أن أحمد بن طولون قد نزل بالعسكر عند ولايته مصر، وسكن بدار الامارة فيها فترة تبلغ نحو سنتين من ٢٥٤-٢٥٦هـ/ ٨٦٨-٨٦٩م وسكن معه بالعسكر جنده وأتباعه حتى ضاقت بهم، فرغب فى بناء مدينة جديدة خاصة به، ولعل نشأته فى مدينة سامرا كما يذكر فريد[٣٠٦] شافعى كانت سببًا فى أن يتجه إلى بناء مدينة خاصة به تنسب إليه بالإضافة إلى ما كان يجيش فى ذهنه من الطموح إلى الاستقلال بحكم مصر، ومن ثم فقد بدأ فى بناء القطائع سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م على غرار مدينة سامراء، وذلك فى الفضاء الواسع الذى كان يقع إلى الشمال الشرقى من العسكر، وينتهى عند هضبة من المقطم، وهى الهضبة التى شيد فوقها صلاح الدين الأيوبى قلعة الجبل، وبدأ أحمد بن طولون بناء القصر وجعل أمامه ميدانًا عظيمًا يلعب فيه بالصوالج (لعبة البولو)، وتقام فيه فنون القتال وتدريب الجند وغير ذلك، وأذن لأصحابه وغلمانه أن يختطوا لأنفسهم حوله فاتصلت العمارة بالعسكر والفسطاط، وأقطع كل جماعة منهم قطيعة سميت باسم من سكنها، وبنى قواده فى مواضع متفرقة منها، وعرفت لذلك بالقطائع، وكان يخترق المدينة شارع يصل ما بين القصر والجامع الطولونى لذا عرف بالشارع الأعظم تشبيهًا له بالشارع الأعظم الذى تقدم ذكره عند ذكر سامراء، والذى كان يخترق سامراء إلى قصر بلكوارا وجامع أبى دلف فى شمال سامراء.

وقد جمع تخطيط القطائع ما بين تخطيط مدينة سامراء وتخطيط كل من الفسطاط والعسكر بأزقتها ودروبها، فقد أورد البلوى كما تقدم "فعمرت عمارة حسنة، تفرقت فيها السكك والأزقة، وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران، وسميت أسواقها"، ولم تحصن القطائع بأسوار مثل الفسطاط والعسكر، فقد أورد ابن دقماق كما تقدم "من غير سوريدور عليها"، وقد اندثر القصر الذى شيد أسفل هضبة المقطم عند ميدان صلاح الدين حاليًا والذى كان يشتمل على تسعة أبواب من خلال ما تقدم من نصوص تاريخية، لكل منها اسم خاص منها باب الصلاة والذى عرف أيضًا بباب السباع، إذ كانت عليه صورة سبعين من الجص، وأغلب الظن أن الشارع الأعظم هو شارع الصليبة الآن الذى يمتد من ميدان صلاح الدين الآن إلى الجامع الطولونى، وبنى أحمد بن طولون على باب السباع مجلسًا يشرف منه ليلة العيد على القطائع، وكان يشرف أيضًا على البحر، فقد أورد البلوى كما تقدم" وكان له فى قصره مجلس.. وبنى على باب السباع مجلسًا"، ويتجلى تأثير سامراء على سبيل المثال على القطائع فى عمارة قصر ابن طولون الذى جاء على غرار الجوسق الخاقانى، وهو قصر الخليفة المعتصم، وقصر بلكوارا فى شمال سامراء، وما كان فيهما من أبهاء وقاعات وأفنية وبساتين وملاعب وأشجار وغير ذلك من أنواع الترف والأبهة سواء من حيث التصميم أو الأسلوب المعمارى والزخرفى.

دينار عباسى ضرب مكة سنة ٢٥٦هـ

ومن الدنانير الإسلامية التى اكتشفت بمنطقة جازان فى موقع بالقرب من القصادية شمال صبياء على طريق الحج الساحلى، دينار ضرب مكة فى سنة ٢٥٦هـ (الوزن ٤.٢جم، والقطر ٢.٣سم) من عهد الخليفة العباسى المعتمد على الله ونصوصه على النحو التالى:

نصوص الوجه : لا إله إلا

المركز: الله وحده

لا شريك له

جعفر

الهامش الداخلى: بسم الله ضرب هذا الدينار بمكة سنة ست وخمسين ومائتين.

الهامش الخارجى: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

نصوص الظهر: لله

المركز: محمد

رسول

الله

المعتمد على الله

الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[٣٠٧].

وباء فى بغداد وسامراء وواسط وغيرها

وفى أحداث سنة "ثمان وخمسين ومائتين" أورد الطبرى "وفى هذه السنة وقع الوباء فى الناس فى كور دجلة، فهلك فيها خلق كثير فى مدينة السلام وسامرا وواسط وغيرها"[٣٠٨].

هدم بالصيمرة

وأورد فى أحداث هذه السنة "ولعشر خلون من شعبان كانت هدة صعبة هائلة بالصيمرة. ثم سمع من غد ذلك اليوم وذلك يوم الأحد، هدة هى أعظم من التى كانت فى اليوم الأول، فتهدم من ذلك أكثر المدينة، وتساقطت الحيطان وهلك من أهلها ـ فيما قيل ـ زهاء عشرين ألفًا"[٣٠٩].

استقلال ابن طولون بمصر

٢٥٨هـ/٨٧١م

وقد شهدت سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧١م استقلال مصر من قبل أحمد بن طولون، فقد أورد الطبرى "ومات يارجوخ يوم الجمعة لثمان خلون من شهر رمضان، فصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل، وحضر جعفر بن المعتمد"[٣١٠].

وفى ذلك أورد ابن الأثير "وفيها مات ياركوج (يارجوخ - يارجوح - يارجوج) التركى فى رمضان، وصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل، وكان صاحب مصر ومقطعها ودعى له فيها قبل أحمد بن طولون، فلما توفى استقل أحمد بمصر"[٣١١].

استقل أحمد بن طولون بحكم مصر استقلالًا يكاد يكون تامًا، واعتمد على العنصر التركى، واتخذ من الأتراك حرسًا له، وأسند إليهم مناصب الدولة، كما كان يفعل الخلفاء العباسيون من قبله من تولية الفرس مناصب الدولة[٣١٢].

داء ببغداد

وقد أورد الطبرى "وفى هذه السنة حدث فى الناس ببغداد داء كان أهلها يسمونه القفاع"[٣١٣].

دينار ضرب مكة سنة ٢٥٩هـ

ومن الدنانير التى أكتشفت بمنطقة جازان فى موقع بالقرب من القصادية شمال صبياء على طريق الحج الساحلى، دينار ضرب مكة سنة ٢٥٩هـ فى عهد الخليفة المعتمد على الله[٣١٤].

بيمارستان أحمد بن طولون بمصر

٢٥٩هـ/ ٨٧٣م

شيد أحمد بن طولون مارستانًا أو بيمارستانًا بمدينة العسكر سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣ م، وقيل فى سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م، وأنفق على عمارته ٦٠٠٠٠ دينار، ذكر أنه أخذها من الكنز الذى عثر عليه فى الصعيد، ويعد ماذكر عن الأحباس أو الأوقاف عليه من أقدم ما ورد صراحة عن الأوقاف فى كتابات المؤرخين، ومن هنا تكمن أهمية هذا المارستان، فقد أورد البلوى عند ذكره بعض صدقات ابن طولون ومصانعه وآثاره ما نصه"وأما رغبته كانت فى أبواب البر التى كانت له فكانت ظاهرة بينة واضحة.. فمن ذلك بناء الجامع والبيمارستان، وما ضمنه خزائنه من العقاقير النفيسة الخطيرة، والدريقات المعروفة التى ليست إلا فى خزائن الملوك والخلفاء. فلم يكن يعدم فى بيمارستانه شىء من الأدوية ولا العقاقير الرئيسة، مثل دواء المسك وغيره مما لا يوجد مثله. واشترى له المستغلات النفيسة التى يفى بعضها بجميع حوائجه، إذ أبقى الله جل اسمه من يتولاها"[٣١٥].

وفى ذلك أورد الكندى عند ذكره أحمد بن طولون "وأمر أيضًا ببنيان المارستان للمرضى فبنى لهم فى سنة تسع وخمسين"[٣١٦].

وقد عرف هذا البيمارستان بالأعلى، فقد أورده ابن دقماق بقوله "المارستان العتيق بمصر ويعرف بالأعلى هذا المارستان يعرف بالأعلى أنشأه أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين وقيل فى سنة إحدى وستين ومائتين وذكر أن مبلغ ما

أنفق عليه وعلى مستغله ستون ألف دينار وحبس عليه سوق الرقيق وغيره ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان وشرط أن لا يعالج فيه جندى ولا مملوك وكان يشارفه بنفسه ويركب إليه يوما فى كل أسبوع.. وقيل أنه كان فى الدولة الأموية مارستان فى زقاق القناديل دار أبى زبيد"(٣١٧).

وقد ذكر المقريزى المارستانات فقال "قال الجوهرى فى الصحاح والمارستان بيت المرضى معرب.. وأول من بنى المارستان فى الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك وهو أيضا أول من عمل دار الضيافة وذلك فى سنة ثمان وثمانين وجعل فى المارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجزمين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق"(٣١٨).

أما فيما يتعلق بمارستان ابن طولون فقد أورد المقريزى "هذا المارستان موضعه الآن فى أرض العسكر وهى الكيمان والصحراء التى فيما بين جامع ابن طولون وكوم الجارح وفيما بين قنطرة السد التى على الخليج ظاهر مدينة مصر وبين السور الذى يفصل بين القرافة وبين مصر وقد دثر هذا المارستان فى جملة ما دثر ولم يبق له أثر. وقال أبو عمر الكندى فى كتاب الأمراء وأمر أحمد بن طولون أيضا ببناء المارستان للمرضى فبنى لهم فى سنة تسع وخمسين ومائتين. وقال جامع آلسيرة الطولونية وفى سنة إحدى وستين ومائتين بنى أحمد بن طولون المارستان ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودوره فى الاساكفة والقيسارية وسوق الرقيق وشرط فى المارستان أن لا يعالج فيه جندى ولا مملوك وعمل حمامين للمارستان احداهما للرجال والأخرى للنساء حبسهما على المارستان وغيره"(٣١٩).

ويضيف المقريزى "وشرط أنه إذا جىء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ فإذا أكل فروجا ورغيفا أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه وفى

سنة اثنتين وستين ومائتين كان ما حبسه على المارستان والعين والمسجد فى الجبل الذى يسمى بتنور فرعون وكان الذى أنفق على المارستان ومستغله ستين ألف دينار وكان يركب بنفسه فى كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر إلى المرضى وسائر الاعلاء والمحبوسين من المجانين فدخل مرة حتى وقف بالمجانين فناداه واحد منهم مغلول أيها الأمير اسمع كلامى ما أنا بمجنون وانما عملت على حيلة وفى نفسى شهوة رمانة عريشية أكبر ما يكون فأمر له بها من ساعته ففرح بها وهزها فى يده ورازها ثم غافل أحمد بن طولون ورمى بها فى صدره.. ثم لم يعاود بعد ذلك النظر فى المارستان"[٣٢٠].

غلاء فى عامة بلاد الإسلام

وفى أحداث سنة "ستين ومائة" أورد الطبرى" وفى هذه السنة اشتد الغلاء فى عامة بلاد الإسلام، فانجلى - فيما ذكر - عن مكة من شدة الغلاء من كان بها مجاورًا إلى المدينة وغيرها من البلدان، ورحل عنها العامل الذى كان بها مقيمًا وهو بريه، وارتفع السعر ببغداد، فبلغ الكر الشعير عشرين ومائة دينار، والحنطة خمسين ومائة، ودام ذلك شهورًا"[٣٢١].

وأورد ابن الأثير فى أحداث هذه السنة "وفيها كان بإفريقية وبلاد المغرب والأندلس غلاء شديد، وعم غيرها من البلاد، وتبعه وباء وطاعون عظيم هلك فيها كثير من الناس"[٣٢٢].

ولاية إبراهيم بن أحمد إفريقية
وبناء الحصون والمحارس وسورسوسة
(٢٦١ ـ ٢٨٩هـ/ ٨٧٤ ـ ٩٠٢م)

ذكر المؤرخون أنه أمن البلاد، وكان يجلس للعدل فى جامع القيروان، وقام ببناء مدينة رقادة قرب القيروان واتخذها عاصمة لدولته وشيد فيها القصور والدور والصهاريج الضخمة، وشيد برقادة "بيت الحكمة" لنشر الثقافة العلمية بإفريقية، واهتم بالعمارة الدفاعية أو العسكرية فشيد سور مدينة سوسة، كما شيد الحصون والمحارس على الشواطىء وزودها بأبراج للنار لإرسال الإشارات وفى أثناء النهار كانت الإشارات ترسل بالدخان، فقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "إحدى وستين ومائتين" "فى هذه السنة (توفى محمد بن أحمد بن الأغلب، صاحب إفريقية، سادس جمادى الأولى، وكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يومًا. ولما حضره الموت عقد لابنه أبى عقال العهد واستخلف أخاه إبراهيم لئلا ينازعه، وأشهد عليه آل الأغلب ومشايخ القيروان.. وكان عادلًا، حازمًا فى (أموره، أمن) البلاد، وقتل أهل البغى والفساد، وكان يجلس للعدل فى جامع القيروان يوم الخميس والإثنين، يسمع شكوى الخصوم، ويصبر عليهم، وينصف بينهم. وكان القوافل والتجار يسيرون فى الطرق آمنين. وبنى الحصون والمحارس على سواحل البحر، حتى كان يوقد النار من سبتة فيصل الخبر إلى الإسكندرية فى الليلة الواحدة، وبنى على سوسة سورًا"[٣٢٣].

بناء مدينة رقادة بإفريقية

٢٦٣-٢٦٤ هـ/٨٧٦-٨٧٧م

شيدت مدينة رقادة على بعد ثمانية أميال جنوبى القيروان، وهى العاصمة والحاضرة الثانية للأغالبة بعد العباسية، وظلت مقر الحكم حتى زوال دولة الأغالبة فى عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، وكان من قصورها بغداد، والمختار، والفتح، والبحر، والعروس، والصحن، أورد ابن الأثير بناء مدينة رقادة من قبل الأمير إبراهيم بن أحمد بإفريقية،حيث ذكر مانصه فى أحداث سنة "ثلاث وستين ومائتين" وفيها ابتدأ إبراهيم أمير إفريقية ببناء مدينة رقادة".[٣٢٤]

وحدثنا ابن الأثير فى أحداث سنة" أربع وستين ومائتين" عن الفراغ من عمارة رقادة بمانصه" وفيها فرغ إبراهيم بن محمد بن الأغلب، صاحب إفريقية، من بناء رقادة وكان ابتداء عمارتها سنة ثلاث وستين ومائتين،ولما (فرغت انتقل ابراهيم إليها).[٣٢٥]

ومدينة رقادة ذكرها ياقوت الحموى بقوله" رقادة:بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة ايام، وكان دورها أربعة وعشرين ألف ذراع وأربعين ذراعًا، وأكثرها بساتين، ولم يكن بإفريقية أطيب هواء ولاأعدل نسيمًا وأرق تربة منها،ويقال: إن من دخلها لايزال مستبشرًا من غير سبب، وذكروا أن أحد بنى الأغلب أرق وشرد عنه النوم أيامًا فعالجه اسحاق المتطبب.. فأمره بالخروج والمشى، فلماوصل إلى موضع رقادة نام فسميت رقادة يومئذ واتخذها دارًا ومسكنًا

وموضع فرجة للملوك، وقيل فى تسميتها برقادة: إن أبا الخطاب عبد الأعلى.. القائم بدعوة الإباضيةبأطرابلس لمانهض إلى القيروان لقتال رنجومة..التقى بهم بموضع رقادة..فقتلهم هناك قتلًا ذريعًا فسميت رقادة لرقاد قتلاهم بعضهم فوق بعض ،والمعروف أن الذى بنى رقادة إبرهيم بن أحمد بن الأغلب وانتقل إليها من مدينة القصرالقديم وبنى بها قصورًا عجيبة وجامعًا وعمرت الأسواق والحمامات والفنادق فلم تزل بعد ذلك دار ملك لبنى الأغلب إلى أن هرب عنها زيادة الله من أبى عبد الله الشيعى وسكنها عبيد الله إلى أن انتقل إلى المهدية سنة ٣٠٨،وكان ابتداء تأسيس إبرهيم بن أحمد لها سنة ٢٦٣، فلما انتقل عنها عبيد الله إلى المهدية دخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها ولم تزل تخرب شيئًا بعد شئ إلى أن ولى معد بن إسماعيل فخرب مابقى من آثارها ولم يبق منها شئ غير بساتينها"[٣٢٦]

جامع أحمد بن طولون بالقطائع

٢٦٣-٢٦٥هـ/٨٧٦-٨٧٩م

يعد جامع أحمد بن طولون من روائع العمارة الإسلامية بشكل عام والدينية بشكل خاص، كما يعد ثالث مسجد جامع كبير شيد بمصر بعد جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ٢١هـ/ ٦٤٢م، وجامع العسكر بالعسكر ١٦٩هـ/ ٧٨٥م ، كذلك يعد بحق من أقدم الجوامع المحتفظة بتفاصيلها المعمارية والزخرفية، وقد ذكره البلوى فى أكثر من موضع، فقال عند ذكره بناء القطائع والقصور والأسواق" وقد استكثر من العبيد والرجال والآلات، فضاقت به داره ،وكان هو والأمراء من قبله يسكنون فى الدار التى تعرف إلى اليوم ببلد الإمارة التى لها بابان، أحدهما بالحارة المعروفة بحوض أبى قديرة.. وبابها الآخر الملاصق للشرطة الفوقانية، وكان باب الشرطة أيضًا أحد أبوابها، وكانت كلها دارًا واحدة ولها باب إلى المسجد الملاصق للشرطة، وكان يجمع فيه الجمعة، وفيه منبره ومقصورته إلى اليوم.. فركب أحمد بن طولون إلى سفح الجبل، فاختط فيه قصرًا ،وأمر أصحابه وغلمانه وتباعه أن يختطوا لأنفسهم حوله وما قرب منه،فا ختط الناس وبنوا ،حتى اتصل البناء بعمارة البلد.. واتصل البناء والعمارة من الجانب الآخر إلى أن جاوز المدينة، ثم قطعت القطائع.. وبنى القواد مواضع متعددة، فعمرت عمارة حسنة.. فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن.. وبنى قصره ووسعه وحسنه، وبنى فيه ميدانًا.. فسمى القصر كله الميدان من أجل الميدان.. وعمل له أبوابًا.. وباب فى الشارع الأعظم ،كان يخرج منه إلى الجامع الذى بناه فسمى باب الصلاة"[٣٢٧].

وذكر البلوى فى موضع أخر" وكان يصلى الجمعة فى المسجد القديم الملاصق للشرطة، فلما ضاق عنه بنى الجامع الجديد، بما أفاء الله عليه من المال الذى وجده فوق الجبل،فى الموضع المعروف بتنور فرعون.. وتولى بناء.. والجامع رجل نصرانى حاذق بالهندسة..واتسعت أحواله بعد فراغه من بناء الجامع ".[٣٢٨]

والواقع أن بناء مدينة القطائع كان فى سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م كما أورد الكندى وتقدم ذكره" وابتدأ أحمد بن طولون فى بنيان الميدان فى شعبان سنة ست وخمسين.."[٣٢٩] وأيضًا كما أورد ابن دقماق وتقدم ذكره" ثم اختط قصره المعروف بالميدان فى الموضع المعروف بالقطائع وذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين"[٣٣٠]،أما فيما يتعلق بالجامع فقد شيد خلال الفترة من ٢٦٣ـ٢٦٥هـ/ ٨٧٦ـ٨٧٩م، فقد أورد المقريزى"وابتدأ فى بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أ حمد بن طولون.بعد بناء القطائع فى سنة ثلاث وستين ومائتين "[٣٣١]، وتفصيل ذلك على النحو التالى.

السبب فى البناء:

أمدنا البلوى بالسبب فى بناء جامع أحمد بن طولون، وذلك بمانصه" وكان يصلى الجمعة فى المسجد القديم الملاصق للشرطة، فلما ضاق عنه بنى الجامع الجديد، بما أفاء الله عليه من المال الذى وجده فوق الجبل، فى الموضع المعروف بتنور فرعون"[٣٣٢]، وفى ذلك أورد الكندى عن ذكره الدولة الطولونية وأحمد بن طولون"وشكا أهل مصر إلى أحمد ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه فأمر بابتناء المسجد الجامع بجبل يشكر"[٣٣٣]، وفى ذلك أورد ابن دقماق"وكان السبب فى عمارته أن أهل مصر شكوا إلى أحمد بن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة من كثرة جنده وسودانه فأمر بعمارة هذا الجامع"[٣٣٤].

أما فيما يتعلق بالمسجد القديم، وهو المسجد الجامع بالعسكر والملاصق للشرطة، والذى كان يصلى فيه أحمد بن طولون إلى أن بنى مسجده فقد أورد المقريزى عند ذكره العسكر" كان مكان العسكر فى صدر الإسلام يعرف بعد الفتح بالحمراء القصوى.. فلما زالت دولة بنى أمية ودخلت المسودة إلى مصر.. فى سنة ثلاث

وثلاثين ومائة وهى خراب فضاء يعرف بعضه بجبل يشكر نزل صالح بن على بن عبد الله بن عباس وأبوعون عبد الملك بن يزيد بعسكرهما فى هذا الفضاء وأمر عبد الملك أبو عون أصحابه بالبناء فيه فبنوا وسمى من يومئذ با لعسكر وصار أمراء مصر إذا قدموا ينزلون فيه من بعد أبى عون وقال الناس من عهده كنا بالعسكر خرجنا إلى العسكر وكنت فى العسكر فصارت مدينة الفسطاط والعسكر.. قدم الأمير أبو العباس أحمد بن طولون من العراق أميرا على مصر فنزل بالعسكر بدار الإمارة التى بناها صالح بن على بعد هزيمة مروان وقتله وكان لهاباب إلى الجامع الذى بالعسكر وكان الأمراء ينزلون بهذه الدار إلى أن نزلها أحمد بن طولون ثم تحول منها إلى القطائع.. ولما بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبنى الجامع على جبل يشكر". [٣٣٥]

كما أورد عند ذكره جامع العسكر وهو المسجد القديم الذى ذكره البلوى،والذى كان يصلى فيه أحمد بن طولون قبل أن يشيد مسجده مانصه" (جامع العسكر) هذا الجامع بظاهر مصر وهو حيث الفضاء الذى هو اليوم فيما بين جامع أحمدبن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر وكان إلى جانب الشرطة والدار التى يسكنها أمراء مصر ومن هذه الدار إلى الجامع باب وكان يجمع فيه الجمعة وفيه منبر ومقصورة وهـذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى ولايته امارة مصر ملاصقا لشرطة العسكر التى كان يقال لها الشرطة العليا فى سنة تسع وستين ومائة فكانوا يجمعون فيه.. وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع أحمد بن طولون ولم يزل هذا الجامع إلى مابعد الخمسمائة من سنى الهجرة". [٣٣٦]

الموقع:

يحدثنا الكندى عن موقع المسجد بالنسبة لمدينة القطائع بقوله"فأمر بابتناء المسجد الجامع بجبل يشكر". [٣٣٧]، وفى ذلك أورد ابن دقماق" فأمر بعمارة هذا الجامع على جبل يشكر[٣٣٨] بن جديلة من لخم وعلى طرفه الكبش وقيل مناظر الكبش المطلة على بركة الفيل.. وكان يشكر المنسوب إليه هذا الجبل رجلا صالحا

وكان الصالحون يصلون على القطعة البارزة منه الخالية من البناء التى فى الحد القبلى منه والمجاورة للباب ويقال أن فى هذه البقعة قبر هرون عليه السلام وهو مكان الدعاء فيه مستجاب وكان أحمد بن طولون لما أراد بناء هذا الجامع أشار عليه جماعة من الصالحين أن يبتنيه على هذا الجبل وذكروا له فضائله فقبله منهم وبناه وأدخل بيت يشكر العبد الصالح فيه"[٣٣٩].

وقد أورد المقريزى "هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء وقيل أن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات"[٣٤٠]، وفى ذلك أورد السيوطى "هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر، قال ابن عبد الظاهر: وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء، وقيل: إن موسى عليه الصلاة والسلام ناجى ربه عليه بكلمات"[٣٤١].

مما تقدم يتضح أن الأمير أحمد بن طولون بدأ تشييد مسجده بالقطائع بعد أن شكا الناس إليه من ضيق جامع العسكر بهم من كثرة جنده وسودانه يوم الجمعة فى موضع الهضبة التى كانت تشرف على العسكر وعلى القصر والميدان، ومن ثم عرف المسجد فى ذلك الوقت بجامع الميدان، وقد عرفت هذه الهضبة كما ورد فى النصوص التاريخية التى تقدم ذكرها بجبل يشكر نسبة إلى قبيلة يشكر بن جزيلة التى ذكرها ابن عبد الحكم بقوله "وسفح الجبل الغربى ليشكر بن جزيلة من لخم"[٣٤٢]، وكانت المنطقة التى فى جنوب هذه الهضبة تعرف بالحمراء القصوى، وهى التى عرفت بالعسكر كما جاء فى نص المقريزى الذى تقدم ذكره، والتى نزلها الأمير أحمد بن طولون حتى بنى مدينة القطائع، وكان يصلى فى مسجدها (جامع العسكر) حتى بنى مسجده.

تاريخ الإنشاء

اختلف المؤرخون فى تاريخ الإنشاء سواء من حيث البدء أو الفراغ من عمارة المسجد فعلى سبيل المثال أورد الكندى "فأمر بابتناء المسجد الجامع بجبل يشكر ابتدأ فى بنائه سنة أربع وقضى فى ست وستين ومائتين"[٣٤٣].

وأورد ابن دقماق "هذا الجامع عمره الأمير أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين وأنفق فى عمارته مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار وذكر.. أنه عمر فى سنة أربع وستين ومائتين.. قال القضاعى فى سنة أربع وستين ومائتين وقال ورأيت فى رواية أخرى أنه بناه فى صفر سنة تسع وخمسين ومائتين وقال وفرغ منه فى سنة ست وستين ومائتين (ونقلت) من خط الحافظ جمال الدين اليغمورى أن فى سنة ثلاث وستين ومائتين شرع أحمد بن طولون فى بناء جامعه.. وفرغ منه فى سنة خمس وستين ومائتين.."(٣٤٤).

وفى ذلك أورد المقريزى "وابتدأ فى بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بناء القطائع فى سنة ثلاث وستين ومائتين.. وفرغ منه في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين.. وبلغت النفقة على هذا الجامع فى بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار.. قال القضاعى.. فابتدأ بنيانه فى سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين"(٣٤٥)، وأورد السيوطى(٣٤٦) "وكان ابتداء بنائه فى سنة ثلاث وستين ومائتين، وفرغ منه سنة ست وستين [ومائتين]".

والواقع أن تاريخ الفراغ من عمارة المسجد كان فى سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م يؤيد ذلك ما هو مسجل بالخط الكوفى فى لوحة التأسيس المثبتة فوق إحدى دعامات ظلة القبلة، والتى جاء فيها كما يذكر أحمد فكرى "أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون.. ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء الله عليه وطيبه، لجماعة المسلمين، ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين" (مايو ٨٧٩م)، والنص كما أورده حسن عبد الوهاب "بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم

من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآذره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين. أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أدام الله له العز والكرامة والنعمة التامة فى الآخرة والأولى ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة وإيثارا لما فيه تسنية الدين وألفة المؤمنين ورغبة فى عمارة بيت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره إذ يقول الله تقدس وتعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلم على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كأفضل ما صليت وترحمت وباركت على إبراهيم.... وعلى آل إبراهيم وأنعم إنك حميد مجيد"(٣٤٧).

وباستعراض النصوص التاريخية التى تقدم ذكرها نجد أن سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م التى وردت فى النص التأسيسى بالخط الكوفى الذى تقدم ذكره والتى لا خلاف عليها تتفق مع ما نقله ابن دقماق من خط الحافظ جمال الدين اليغمورى وتقدم ذكره ونصه "أن فى سنة ثلاث وستين ومائتين شرع أحمد بن طولون فى بناء جامعه.. وفرغ منه فى سنة خمس وستين ومائتين"، كما تتفق مع ما أورده المقريزى فى خططه وتقدم ذكره ونصه "وابتدأ فى بناء هذا الجامع.. فى سنة ثلاث وستين ومائتين.. وفرغ منه

فى شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين" ورواية المقريزى هنا لا تتفق فى السنة الواردة على النص التأسيسى الكوفى الذى تقدم ذكره فحسب، وإنما تتفق أيضًا فى الشهر، وهو "شهر رمضان"، ومن ثم فإن التاريخ الصحيح الذى شرع فيه الأمير أحمد بن طولون فى بناء جامعه هو ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، وذلك طبقًا للروايات التاريخية، وأن التاريخ الصحيح الذى لا خلاف عليه الذى فرغ فيه ابن طولون من بناء جامعه هو رمضان ٢٦٥هـ/ مايو ٨٧٩م، وبالتالى يكون المسجد قد شيد تمامًا خلال الفترة من ٢٦٣-٢٦٥هـ/ ٨٧٦-٨٧٩م، أى أن البناء استغرق سنتين.

عمارة المسجد

يصف لنا المقدسى جامع أحمد بن طولون عند ذكره اقليم مصر بقوله "والجامع الفوقانى من بناء بنى طيلون أكبر وأبهى من السفلانى على أساطين واسعة مصهرجة وسقوفه عالية فى وسطه قبة على عمل قبة زمزم فيها سقاية مشرف على فم الخليج وغيره وله زيادات وخلفه دار حسنة ومنارته من حجر صغيرة درجها من خارج"(٣٤٨).

والجامع السفلانى ذكره المقدسى بقوله "وهذا الجامع يسمى السفلانى من عمل عمرو بن العاص"(٣٤٩)، وهو جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر ٢١هـ/ ٦٤٢م.

وقد ذكره ناصر خسرو عند ذكره وصف مدينة مصر بقوله "وفى طرف المدينة جامع ابن طولون. وهو مشيد على ربوة وله جداران محكمان، ولم أر أعظم منهما غير جدار آمد وميافارقين. وقد بناه أمير من أمراء العباسيين كان حاكما على مصر. وفى أيام الحاكم بأمر الله، جد هذا السلطان (المستنصر) باعه أحفاد ابن طولون بثلاثين ألف دينار مغربى. وبعد مدة شرعوا فى هدم المئذنة بحجة أنها لم تبع. فأرسل لهم الحاكم قائلا: "لقد بعتمونى هذا المسجد فكيف تهدمونه؟" فأجابوا: "نحن لم نبع المئذنة". فأعطاهم خمسة آلاف دينار ثمنا لها. وكان السلطان يصلى فى هذا المسجد طوال شهر رمضان، وأيام الجمع من بقية الشهور"(٣٥٠).

وذكره ابن جبير فقال "وبين مصر والقاهرة المسجد الكبير المنسوب إلى أبى العباس أحمد بن طولون، وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان، جعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق فى كل شهر"(٣٥١).

المسجد فى عهد أحمد بن طولون:

احتفظ جامع أحمد بن طولون بمعظم وحداته وعناصره المعمارية والزخرفية، وبقى كما يذكر أحمد فكرى خالدًا فى حالة يمكن معها الاستدلال على نظامه وهيئته الكاملة التى كان يبدو عليها يوم الانتهاء من بنائه، فهو لهذا أقدم المساجد الجامعة القائمة بمصر، وأعظمها قدرًا وقيمة أثرية، وهو كذلك أكثرها فسحة واتساعا(٣٥٢).

أحيط جامع ابن طولون بعد د من الروايات والأساطير، فقد أورد البلوى عند ذكره أحمد بن طولون وبناء الجامع" فقد ر له ثلاثمائة عمود، وقيل له: ما تجدها أو تنفذ إلى الكنائس فى الأرياف وفى الضياع الخراب، فتحمل إليك ، فأنكره ولم يختره، وتعذب قلبه بالفكر فى أمره، وبلغ النصرانى وهو فى المطبق الخبر فكتب إليه يقول: أنا أبنيه للأمير، أيده الله، كما يحب ويختار، بلا عمود إلا عمودى القبلة. وأحضره فأدخل إليه.. فقال له: أنا أصوره للأمير حتى يراه عيانًا. بلا عمود إلا عمودى القبلة. فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت، وصوره له فأعجب به واستحسنه. فأطلقه وخلع عليه، وأطلق له النفقة عليه مائة ألف دينار،فقال له: أنفق وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك. فوضع النصرانى يده فى البناء فى الموضع الذى هو فيه وهو جبل يشكر فكان ينشر منه ويسطح ويعمله جيرًا ويبنى إلى إن فرغ من جميعه وبيضه وخلقه وفرش فيه الحصر، وعلق القناديل والسلاسل الطوال الغلاظ الحسان، وحمل إليه صناديق المصاحف ونقل إليه الفقهاء والقراء. وتصدق فى ذلك اليوم صدقات عظيمة فيه وعمل طعامًا واسعًا كبيرًا ،وحمل إليه فأطعم سائر من حضر،وكان يومًا عظيمًا نبيلًا جليلًا(٣٥٣)

ويعلق فريد شافعى على أسلوب بناء البائكات بحيث تحمل عقودها"بدنات"

أى أكتاف بنائية بدلًا من الأعمدة الأسطوانية أنه رويت عنها قصة أو أسطورة من الأساطير التى كانت تدس على المؤرخين العرب فيرددونها بغير تحقيق أو تمحيص ثم يورد فريد شافعى الرواية السابقة التى ذكرها البلوى وذلك عن القريزى فى خططه، ويرى أن هذه القصة قد دست على المقريزى ومن نقل عنه،أو أنه قد نقلها بغير تبصر من مرجع حاقد على الإسلام والعرب، فهى تتضمن عدة معان منها ما يتصل بالفكرة التى يرويها المؤرخون غير المسلمين بأن النصارى كانوا مضطهدين من الحكام وأولى الأمر فى العصر الإسلامى هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن النصارى كانوا يعانون من تخريب كنائسهم بقصد الاستيلاء على عمدها واستخدامها فى عمائر المسلمين،ومن جهة ثالثة أن المسلمين كانوا فى حاجة إلى خبرة النصارى فى النواحى الفنية والمعمارية، ومايبرهن على أنه لم يكن للنصارى فضل فى ابتكار بناء البدنات بالآجر بدلًا من الأعمدة أنها فكرة سبق عملها فى كل من جامع سامرا الكبير وجامع أبى دلف ولم يخترعها المهندس النصرانى،بل هى ابتكار عراقى يرجح مجيئه إلى مصر مع التأثيرات العراقية الأخرى التى تتضح فى بعض العناصر المعمارية والزخرفية فى جامع ابن طولون(٣٥٤)

ويضيف فريد شافعى أن هناك ملاحظة فى قصة النصرانى والجامع استرعت انتباهه وهى أنه قبل أن يصور النصرانى شكل الجامع لأحمد بن طولون كان معروفًا أن المسجد يحتاج إلى" ثلاثمائة عمود"،وليس هناك من شك ـ إذا كانت القصة فيها شئ من الصدق ـ فى أن هذا العدد لم يأت خبط عشواء، بل وصلوا إليه بالحساب، عمل على أساس فكرة تخطيطه للمسجد قبل أن يضعها ذلك النصرانى بل قبل أن يصل خبر الأعمدة الرخامية إليه، ولم يكن الأمر اذن يحتاج إلى خدماته، ثم عن لناكما يذكر فريد شافعى أن نحصى عدد البدنات التى شيدت فوجدت (١٦٠) بدنة وبالتالى فإن الجامع لم يكن يحتاج لبائكاته إلى أكثر من"مائتى عـ ود" كنهاية قصوى إذا تطلب الأمر ذلك، وليس إلى" ثلاثمائة عمود" كما ورد فى تلك الأسطورة، أما أعمدة المحراب التى قال عنها أنهما عمودان، فالموجود حاليًا أربعة أعمدة ترجع إلى أيام ابن طولون، ويعد هذا المحراب أقدم المحاريب المجوفة المؤكدة التاريخ الباقية فى مصر الإسلامية(٣٥٥)

ويعلق حسن عبد الوهاب على مهندس المسجد أن بعض المؤرخين عبروا عنه بالنصرانى كما تقدم، وعبر عنه آخرون بأنه مهندس المقياس أحمدبن محمد الحاسب، أما الصناع فالغالب أنهم من أهل مصر، يحتمل أن يكون بينهم عراقيون، ويضيف أنه عثر على اسم اثنين من النجارين: أحدهما محمد بن عبيد، والآخر محمد بن.. مكتوبان على أجزاء من السقف القديم(٣٥٦).

ويذكر لنا ابن دقماق رواية عن مواد البناء وموقع المسجد بقوله"(ونقلت) من خط الحافظ جمال الدين اليغمورى أن فى سنة ثلاث وستين ومائتين شرع أحمد بن طولون فى بناء جامعه وقال أريد أن يبنى بناء ان احترقت مصر بقى وان غرقت بقى فبناه بالجير والرماد والآجر الأحمر القوى النار إلى السقف على ما هو عليه(٣٥٧).

وفى ذلك يذكر المقريزى"..وقيل ان أحمد بن طولون قال أريد أن أبنى بناء إن احترقت مصر بقى وان غرقت بقى فقيل له يبنى بالجير والرماد والآجر الأحمر القوى النار إلى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فإنه لا صبر لها على النار فبناه هذا البناء". (٣٥٨)

ومن الروايات التاريخية التى وردت فى المصادر التاريخية فى أثناء أعمال البناء فى الجامع ما أورده المقريزى عن صرف الصناع عن أعمالهم فى العصر ونصه "ورأى أحمد بن طولون الصناع يبنون فى الجامع عند العشاء وكان فى شهر رمضان فقال متى يشترى هؤلاء الضعفاء افطارا لعيالهم وأولادهم اصرفوهم العصر فصارت سنة إلى اليوم بمصر فلما فرغ شهر رمضان قيل له قد انقضى شهر رمضان فيعودون إلى رسمهم فقال قد بلغنى دعاؤهم وقد تبركت به وليس هذا مما يوفر العمل علينا وفرغ منه فى شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين"(٣٥٩).

تخطيط المسجد:

يغطى المسجد مع الزيادات المكشوفة المسورة التى تحيط به من الجوانب الثلاثة: الشمالية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الغربية مساحة تبلغ نحو ستة أفدنة ونصف، وهى على هيئة مربع يبلغ طول ضلعه ١٦٢م تقريبًا (١٦٢.٢٥×١٦١.٥٠

م)، أما المسجد نفسه فهو قريب من مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ١٢٢م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٤٠م وذلك من الخارج، أما من الداخل فيبلغ طول الجدار الجنوبى الشرقى أى جدار القبلة نحو ١١٨م (١١٨.١٠م)، والضلع العمودى عليه ١٣٨م (١٣٧.٨٠م)، وترتفع جدرانه إلى قمة شرفاته فوق سطحه نحو ١٣م من منسوب أرضية الظلات الداخلية، ويزيد ارتفاع الجدار الشمالى فى الجهة الشمالية الشرقية، مما دعا إلى عمل سلالم أمام الأبواب فى تلك الجهة فقط[٣٦٠].

تبع تخطيط جامع ابن طولون النظام التقليدى المكون من الصحن المكشوف والظلات المسقوفة المحيطة به، وتفصيل ذلك أنه يتكون من صحن كبير مكشوف مربع يبلغ طول ضلعه ٩٢م تقريبًا (٩٢.٣٥×٩١.٨٠م)، وتحيط به الظلات من جوانبه الأربعة بواقع ظلة فى كل جانب، وتعد ظلة القبلة أكبر هذه الظلات وأعمقها، فهى تقع فى الجهة الجنوبية الشرقية وتمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ١.٨م، أما جوف هذه الظلة من جدار القبلة إلى الصحن فيبلغ ٣٣م، وتنقسم ظلة القبلة إلى خمس بلاطات تفصلها خمس بائكات موازية لجدار القبلة، أى تمتد من الشرق إلى الغرب، وتتكون كل بائكة من سبعة عشر عقدًا، ترتكز عقود هذه البائكات على دعامات أو بدنات أو أكتاف بنائية مستطيلة المسقط شيدت من الآجر كما تقدم بمقاس (٢.٥٠×١.٣٠م)، أى من الطوب الأحمر أو المحروق، وتتكون نواصى أو أركان هذه البدنات من أعمدة قطاعها الأفقى من ثلاثة أرباع الدائرة، بواقع عمود فى كل ركن من الأركان الأربعة لكل بدنة أو دعامة، وخفف ثقل البناء فوق الدعامات وبين العقود المدببة بعمل فتحات صغيرة مستطيلة تتوجها عقود مدببة، وتعمل هذه الفتحات على إدخال الضوء إلى داخل ظلة القبلة العميقة شأنها فى ذلك شأن مثيلاتها فى الظلات الأخرى التى تحيط بالصحن، ويشتمل كل صف من صفوف بائكات ظلة القبلة على ست عشرة دعامة، وتتكون الظلات الأخرى التى تحيط بالصحن من الجوانب الثلاثة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الغربية من بلاطتين، وجاءت الظلة الشمالية الغربية فى امتداد عقودها المدببة بنفس

هيئة ظلة القبلة، أما امتداد العقود فى الظلتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية فمن الشمال إلى الجنوب، أى جاء بشكل عمودى على اتجاه جدار القبلة، وقد توجت جميع البائكات من الوجهين، فيما عدا الواجهة التى تشرف على الصحن وكذلك أوجه الجدران الداخلية بشريط من زخارف جصية يسير فوق قمم اطارات العقود مباشرة، ثم يأتى فوقه إزار أو شريط من الخشب وضع تحت السقف، ويزيد مجموع أطوال تلك الازارات كما يذكر فريد شافعى[٣٦١] على كيلو مترين ونصف، وقد كتبت عليها آيات قرآنية بخط كوفى بسيط حروفه بارزة، كما بقى من السقف بعض منه أخذ نموذجًا لتجديد بقية السقوف التى تأثرت بفعل الزمن، وكان سقف البلاطة الواحدة فى كل ظلة يتكون من كمرات عرضية تحصر بينها حشوات مستطيلة تنقسم إلى مجموعة من مربعات متلاصقة ذات غور قليل.

أما الصحن فهو عبارة عن فناء كبير مكشوف مربع يبلغ طول ضلعه نحو ٩٢م (٩٢.٣٥×٩١.٨٠م)، تحيط به الظلات من جوانبه الأربعة، تدور حوله بائكة من جوانبه الأربعة، تتكون من ثلاثة عشر عقدًا، وقد زينت واجهات بائكات الصحن بشريط أفقى يأتى تحت مستوى سطح المسجد مباشرة، ويتكون من حشوات مثمنة متلاصقة غائرة، ولا يعرف كما يذكر فريد شافعى[٣٦٢] ما إذا كانت تلك الواجهات قد زودت فى الأصل بشرافات ذات شكل خاص لأنها اندثرت ولم يبق لها أثر، بينما زودت النهايات العليا لجدران المسجد الخارجية بأشرطة من الحشوات الهندسية، تعلوها دروة السطح المكونة من شرافات فريدة فى نوعها، ولا يوجد لها مثيل فى العالم الإسلامى، ويسميها الناس بالعرائس لأنها تشبه أشكالًا آدمية تجريدية تتلاصق أيديها وأرجلها.

ويذكر أحمد فكرى أن هذه الشرافات غريبة المظهر شكلت من الآجر وشبهها البعض بشكل عرف الديك، وهى تظهر كأنها أجسام أقزام صفت متجاورة متشابكة الأذرع وتقوم أقدامها على صف من المربعات، بداخل كل منها دائرة مفتوحة[٣٦٣].

وكان صحن المسجد فى عهد أحمد بن طولون يشتمل على فوارة، فقد أورد ابن دقماق ما نصه "وفرغ منه فى سنة خمس وستين ومائتين وفى سنة تسع وسبعين ومائتين لعشر خلون من جمادى الآخرة ليلة الخميس احترقت الفوارة التى بوسط الجامع الطولونى وكانت هذه الفوارة فى وسط صحنه مشبكة من جميع جوانبها وفوقها قبة مذهبة على عشرة عمد رخام وستة عشر عمود رخام فى جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام فتحتها أربعة أذرع فى وسطها فوارة تفور بالماء وعلى سطحها علامات للزوال وسطحها بدرا بزين ساج فاحترق جميع ذلك فى ساعة واحدة"[٣٦٤].

هذا فيما يتعلق بالتخطيط أما فيما يتعلق بالوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية فتفصيله أن المسجد يشتمل على محراب مجوف يحف به من كل جانب عمودان متلاصقان، ويذكر أحمد فكرى[٣٦٥] انه لعل الأعمدة الأربعة التى يتصدر اثنان منها بكل جانب من جانبيه كانت قائمة منذ عهد ابن طولون، والأعمدة قديمة، أما تيجانها فقد نحتت فى العصر الطولونى، وهى تشبه شبها قويا تيجان أعمدة محرابى المسجد الجامع بالقيروان، وتعتبر هذه التيجان أمثلة رائعة لفن النحت العربى على الحجارة فى القرن ٣هـ/ ٩م، أما الدعامات فهى تقوم مقام الأعمدة، وجملة عددها كما يذكر أحمد فكرى[٣٦٦] "مائة وستون دعامة"، وهى مستطيلة القاعدة، طول كل منها ٢.٤٦م (٢.٥٠م)، وعرضها ١.٢٧م (١.٣٠م)، وقد صفت كما تقدم فى ظلة القبلة والظلة المقابلة لها فى صفوف موازية لجدار القبلة، وصفت فى الظلتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية فى صفوف عمودية على اتجاه جدار القبلة، وتبلغ المسافة التى تفصل الدعامة عن التى تليها فى امتداد صفوفها ٤.٥٠م تقريبًا، وهى مقاس فتحة العقد الذى يربط بين الدعامتين.

وقد استخدمت الدعامات فى حمل العقود ورفع السقف، وترتفع إلى مستوى واحد فى جميع أنحاء المسجد كما يذكر أحمد فكرى[٣٦٧]، وان كان ارتفاعها الذى يبلغ ٥م فوق أرضية ظلة القبلة يزيد بمقدار ٥٠سم عن ارتفاعها فوق أرضية بقية

الظلات، وإذا كانت هذه الدعامات قد شغلت جزءا كبيرًا من المسجد بلغ مسطحه فى ظلة القبلة ٢٥٠م فان بنيانها قد صمم بحيث يسمح برفع العقود إلى مقدار ٨م ورفع السقف إلى مقدار ١٠م فوق أرضية المسجد بحيث يجعل الضوء والهواء يغمران ظلة القبلة، ويلتصق بكل ركن من أركان الدعامات، ويندمج فى بنائه عمود متوج مبنى من الآجر المكسو بالجص، ويقف ارتفاع الدعامة عند نهاية تيجان الأعمدة، ويربط بنيانها فى هذا المستوى رباط من لوحة خشبية مدت بين صفوف الآجر، أما الطاقات التى فتحت فوق هذه الدعامات فهى معقودة بعقود مدببة، يبلغ طول قاعدتها ١م، وارتفاعها ٢م، ويحف بها على غرار الدعامات عمد صغيرة من الآجر، مندمجة فى بناء جانبيها على الواجهتين الداخلية والخارجية للدعامة، وهى للاضاءة والتهوية، وتخفيف الحمل والثقل، وتوفير مواد البناء واقتصاد ملموس فى العمل والنفقات.

أما العقود فيبلغ متوسط إرتفاعها فوق التاج ٣م، ومتوسط فتحاتها بين الدعامات ٤.٦٠م، أى أن العقد يرتفع فى المتوسط ٣٠سم فوق مدار نصف الدائرة كما يذكر أحمد فكرى[٣٦٨]، وقد فتحت نوافذ فى جدران المسجد الداخلية ويبلغ عددها ١٢٨ نافذة، يرتفع مستوى قواعدها عن أرضية المسجد ما يقرب من ٦م، ويبلغ متوسط اتساع قاعدة النافذة ٢.٢٥م، ومتوسط ارتفاعها ١.٧٥م، وهى معقودة بعقود مدببة من مركزين، وكانت هذه النوافذ مغشاه أو محشوة جميعا بستائر من الجص مفرغة بالزخارف، ويحف بجانب كل منها من الداخل ومن الخارج عمودان قصيران متوجان بتاجين مزخرفين، ويحيط بكل نافذة من الداخل إطار زخرفى، وتملأ الزخارف هذه النوافذ، وتجرى على بواطن عقودها ويحيط بها إطار داخلى من كتابات كوفية من آيات من القرآن الكريم، وقد صممت ونفذت بحيث تواجه كل بلاطة أفقية من بلاطات ظلة القبلة نافذة من كل جانب، وتواجه كل بلاطة فى مؤخر المسجد نافذة كذلك من كل جانب، وبحيث تواجه كل صف من البلاطات وكل صف من الدعامات فى ظلة القبلة نافذة مفتوحة فى جدار القبلة

يقابلها عدد مماثل فى جدار المؤخر، وفتحت كذلك أربع وعشرون نافذة فى كل من الجدارين الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى.

ويذكر أحمد فكرى أن المسافة بين النافذتين فى جدار القبلة وفى جدار مؤخر المسجد وفيما يقابل الظلتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية تبلغ ٤ م تقريبًا، أما المسافة بين النوافذ فى أطراف البلاطات الأفقية (الأساكيب) وأطراف أروقة مؤخر المسجد فهى ٦م بين كل نافذتين، ولهذا حفرت بين هذه النوافذ طاقات صماء على هيئتها، حتى يتناسق مظهرها على الواجهة، وهكذا نلقى بجدار القبلة ٣٣ نافذة، ومثلها فى الجدار الشمالى الغربى (مؤخر المسجد)، أما واجهة المسجد الشرقية ففيها ٣١ نافذة وسبع طاقات صماء على هيئة النوافذ وكذلك فى واجهة المسجد الغربية(٣٦٩).

وتنحصر الزيادات بين جدران المسجد الداخلية والخارجية، وجدران الزيادات أقل سمكًا من جدران المسجد، حيث يبلغ سمك جدران المسجد ١.٦٠م، أما سمك جدران الزيادات فيبلغ ١.٣٠م، وهى كذلك أقل ارتفاعًا، إذ أن ارتفاعها عن سطح الأرض ٨م، بينما يبلغ ارتفاع جدران المسجد١٣م، وقد فتحت فى كل منها أبواب، ويبلغ عرض كل زيادة ١٩م تقريبًا بين الجدارين، فقد فتحت فى جدران الزيادات أبواب تقابل أبواب المسجد الداخلية، فيما عدا أربعة أبواب تؤدى إلى ظلة القبلة من الزيادتين الشرقية والغربية، فى طرف كل من البلاطة التى تتقدم المحراب والبلاطة الثالثة، فإنه ليس لها مقابل فى جدارى هاتين الزيادتين، وفيما عدا أربعة أبواب أخرى، إثنان فى طرفى جدار الزيادة الشمالية، وواحد فى الطرف الشمالى من كل من جدارى مجنبات (ظلات) الصحن، وبجدار القبلة أربعة أبواب، إثنان منها ينفذان إلى ظلة القبلة وواحد ينفذ فى الطرف الجنوبى من كل من الزيادتين الشرقية والغربية، وجملة عدد الأبواب فى المسجد وزياداته (٤٢)(٣٧٠).

وكان بالجهة الجنوبية بناء ملتصق بجدار القبلة يحل محل الزيادة، وكان يضم دار الامارة، ذكره المقريزى بما نصه "وراح أحمد بن طولون ونزل فى الدار التى عملها

فيه للامارة وقد فرشت وعلقت وحملت اليها الآلات والأوانى وصناديق الأشربة وما شاكلها فنزل بها أحمد وجدد طهره وغير ثيابه وخرج من بابها إلى المقصورة فركع وسجد شكرا لله تعالى على ما أعانه عليه من ذلك ويسره له فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى أشرف على الفوارة"(٣٧١).

أما المئذنة فتقع فى الزيادة الشمالية الغربية، وتلتصق بجدار هذه الزيادة فى موضع يقابل ما بين البابين الثالث والرابع من الشرق فى جدار مؤخر المسجد، قال المقريزى "وقيل عن أحمد بن طولون أنه كان لا يعبث بشىء قط فاتفق أنه أخذ درجا أبيض بيده وأخرجه ومده واستيقظ لنفسه وعلم أنه قد فطن به وأخذ عليه لكونه لم تكن تلك عادته فطلب المعمار على الجامع وقال تبنى المنارة التى للتأذين هكذا فبنيت على تلك الصورة والعامة يقولون أن العشارى الذى على المنارة المذكورة يدور مع الشمس وليس صحيحا وانما يدور مع دوران الرياح"(٣٧٢)، وفى موضع آخر أورد "وبناه على بناء جامع سامرا وكذلك المنارة"(٣٧٣).

مما تقدم يتضح أن المنارة أو المئذنة التى بناها معمار المسجد بأمر من أحمد بن طولون كانت أقرب فى التصميم والعمارة إلى مئذنة جامع سامراء الكبير، غير أن هذه المئذنة لم تصل إلينا، أما المئذنة الحالية فهى من بناء السلطان لاجين فى سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م وهو الأمر الذى سوف نتناوله فى موضعه عند ذكر الإصلاحات والإضافات وأعمال الترميم التى تمت بالمسجد منذ الفراغ من عمارته وحتى الآن.

الميضاة وخزانة الشرابات والأدوية والطبيب:

أورد المقريزى عند ذكره ميضأة المسجد وخزانة شرابه وطبيبه ما نصه "وعمل فى مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة"(٣٧٤).

الجانب الزخرفى

فيما يتعلق بالجانب الزخرفى فقد تعددت الوحدات والعناصر الزخرفية فى

المسجد، فقد وجدت فى إطارات الدعامات وتيجانها وتيجان الطاقات والنوافذ، وفى إطارات العقود والنوافذ والطاقات، وفى بواطن عقود الدعامات وعقود النوافذ، وفى الازارات التى تعلو رؤوس العقود ورؤوس النوافذ، وفى الازارات التى تمتد حول جدران المسجد الداخلية، وفى الازار الخشبى الذى يحيط بهذه الجدران، وفى رؤوس الطاقات الممتدة بين النوافذ على الواجهات، وفى السرر المقامة بين الطاقات والعقود، وتلك الممتدة على واجهات الصحن، وفى الشرافات التى تعلو الجدران، وفى ستائر النوافذ المفرغة[٣٧٥].

تتنوع زخارف جامع أحمد بن طولون تنوعًا كبيرًا من حيث مواضعها ومن حيث أساليبها وأشكالها، ويدور حول عقود المسجد جميعًا إطار زخرفى، وتمتاز بوائك ظلة القبلة بأن الإطار الزخر فى يدور حول عقودها من الواجهتين، وتتكون الزخارف فى هذا الاطار من أشكال الآلئ وخطوط لولبية وبراعم زهرية، ويدور حول الطاقات المفتوحة فوق الدعامات وبين العقود إطار زخرفى، يحيط بالطاقة فحسب، أى أن لكل طاقة إطار منفصل يكسو حافة العقد، ويدور إطار حول عقود النوافذ، ولكنه إطار متصل يحيط بجدران المسجد الداخلية متخذًا فى سيره وانسيابه ودورانه نفس نظام الاطار الدائر حول العقود، وتتكون زخارف إطار النوافذ من وريقات نباتية مدببة الرأس يتوسطها شريط محزوز، وتنتهى حافاتها السفلى بتجويفين مستديرين، أما الازار الذى يجرى تحت سقف المسجد فيتكون من أشكال وريقات زهرية، يتوسط كل منها حز رأسى، وترتبط حوافها السفلى بدوائر محزوزة، وزخرفت واجهات الصحن بالاضافة إلى الاطارات الزخرفية التى تحيط بالعقود والطاقات بتكوينات على هيئة شرفات من السرر والجامات الوردية المحصورة كل منها فى إطار مثمن، وتوجد أشكال من هذه الجامات على واجهات الصحن أيضا على جانبى الطاقات المفتوحة فوق الدعامات، فى المواضع المنحصرة بين أكتاف العقود وأكتاف الطاقات، وترسم هذه الأشكال الأخيرة صورًا مزدوجة من الأزهار الوردية والقواقع البحرية والمعينات، أما واجهات جدران المسجد على الزيادات فقد توجت الطاقات الصماء فيها بأشكال قواقع مدببة الرأس من سبعة

فصوص، ولعل أكثر الزخارف تنوعًا هى تلك التى كانت تشاهد على بواطن العقود، إذ تظهر فيها مجموعات زاخرة من أشكال التوريق التى تتكون من عناصر من لآلئ وزهيرات وأوراق العنب وأشرطة وأسنة مثلثة وخطوط لولبية وأخرى متعرجة أو متعانقة، ودوائر مقصوصة، وكذلك تظهر مجموعة أخرى من أشكال التوريق فى الستائر الجصية المخرمة التى كانت تتدلى على النوافذ، وشكلت التيجان على أعمدة العقود والطاقات والنوافذ على هيئة زهرية أو ناقوس وحليت بأوراق نباتية(٣٧٦).

ويذكر أحمد فكرى أن البحوث قد تعددت عن مصادر زخرفة المسجد الطولونى، وقد لاحظ زاره (Sarre) وهرتزفلد (Herz Feld) وخاصة فلورى (Flury) أوجه شبه كثيرة وعلاقة قوية بين الزخارف الطولونية وزخارف سامراء، ويرى أحمد فكرى أن الفنانين الذين عهدت إليهم زخرفة المسجد استوحوا زخارفهم وموضوعاتها وأشكالها من الآثار العربية الإسلامية التى كانت معروفة لهم، واشتقوا بعضها كذلك من آثار غير إسلامية شاهدوها أو شاهدوا نماذج لها فهناك أمثلة متناثرة لأشكال أصلها ساسانى، وأخرى أصلها هللينى، وأخرى أصلها بيزنطى، غير أن الفنان الطولونى أثبت مهارة فائقة فى تنسيق الأشكال المقتبسة وأخرجها فى صورة جديدة تبدو كأنها مبتكرة، وقد خطا الفن العربى فى مجال الزخرفة منذ بدايته فى العصر الأموى خطوات شاسعة، واستمرت الأساليب الأموية الزخرفية متبعة فى العصر العباسى الأول سواء فى النحت على الحجر أو الخشب أو فى الصياغة والحفر على الجص، وأخذت فى الوقت نفسه تتدرج وتتطور، ونبتت منها أشكال وموضوعات وأساليب جديدة مبتكرة فلا غرابة إذن فى أن تربط صلات قوية زخارف المسجد الطولونى بزخارف سامراء(٣٧٧).

لم تتبع زخارف المسجد الطولونى طريقة الصب الآلى فى زخرفة الجص، وهى طريقة كانت متبعة فى زخارف سامراء، فقد حفرت الزخرفة الطولونية مباشرة على الجص بعد تفريغه وتسويته على المسطحات، ثم تهذب بالنحت بعد جفافه، ولهذا لا

يبدو التعبير الفنى آليا جامدا كما هو الحال فى سامراء، وتنوعت الأشكال الهندسية وتعقدت، وامتزجت الأشكال الهندسية بالأشكال النباتية سواء كان هذا المزج عبارة عن مزج ظاهرى أو غير ظاهرى، ومن خصائص الزخرفة الطولونية الخيال، فقد خلق الفنان من الجمع بين الأشكال الهندسية والنباتية أشكالاً زخرفية لا حصر لعددها وتنوعها، أخضعها لحدود الهندسة بينما انطلق الخيال بها إلى اللانهاية، ومن هنا ابتدعت أشكال فريدة مثل أشكال المضلعات النجمية، وتشاهد هذه المضلعات مع مضلعات سداسية على بواطن العقود، وهى تختلط بعناصر زخرفية مجاورة لها[٣٧٨].

ومن خصائص الزخرفة الطولونية التكرار سواء بالنسبة للزخارف الهندسية أو النباتية، وهو تكرار فيه تناوب وتجديد لا يمل المرء من متابعته، ومن خصائصها أيضا كراهة الفراغ أو امتلاء الفراغات، ومن هذه الخصائص الخط الكوفى، وقد أضيفت إلى الكتابات الكوفية المحيطة باطارات النوافذ بعض العناصر النباتية على هيئة وريقات، ويمتاز المسجد بانه سجل معظم القرآن الكريم فى الازار الخشبى الذى يرتقى جميع جدران المسجد الداخلية وبوائكة[٣٧٩].

الروايات التاريخية بعد الفراغ من عمارة المسجد

من الأحداث التاريخية التى ارتبطت بالمسجد ما أورده المقريزى ونصه " وراح أحمد بن طولون فى يوم الجمعة إلى الجامع فلما رقى الخطيب المنبر وخطب وهو أبو يعقوب البلخى دعا للمعتمد ولولده ونسى أن يدعو لأحمد بن طولون ونزل عن المنبر فأشار أحمد إلى نسيم الخادم أن اضربه خمسمائة سوط فذكر الخطيب سهوه وهو على مراقى المنبر فعاد وقال الحمد لله وصلى الله على محمد ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما اللهم وأصلح الأمير أبا العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين وزاد فى الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ثم نزل فنظر أحمد إلى نسيم أن أجعلها دنانير ووقف الخطيب على ما كان منه فحمد الله تعالى على سلامته وهنأه الناس بالسلامة".[٣٨٠]

وفى رواية أخرى أورد المقريزى "وقال ابن عبد الظاهر سمعت غير واحد يقول انه لما فرغ أحمد بن طولون من بناء هذا الجامع أسر للناس بسماع ما يقوله الناس فيه من العيوب فقال رجل محرابه صغير وقال آخر ما فيه عمود وقال آخر ليست له ميضأة فجمع الناس وقال أما المحراب فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لى فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذى خطه لى واما العمد فانى بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكنز وما كنت لأشوبه بغيره وهذه العمد اما أن تكون من مسجد أو كنيسة فنزهته عنها وأما الميضأة فانى نظرت فوجدت ما يكون بها من النجاسات فطهرته منها وها أنا أبنيها خلفه ثم أمر ببنائها". (٣٨١)

وقد أورد المقريزى فى روايه أخرى "ويقال أن أحمد بن طولون رأى فى منامه كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نوره على المدينة التى حول الجامع إلا الجامع فانه لم يقع عليه من النور شئ فتألم وقال والله ما بنيته إلا لله خالصا ومن المال الحلال الذى لا شبهة فيه فقال له معبر حاذق هذا الجامع يبقى ويخرب كل ما حوله لأن الله تعالى قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا فكل شئ يقع عليه جلال الله عز وجل لا يثبت وقد صح تعبير هذه الرؤيا فان جميع ما حول الجامع خرب دهرا طويلا.. وبقى الجامع عامرا ثم عادت العمارة لما حوله كما هى الآن". (٣٨٢)

المسجد على مر العصور

فى سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م احترقت الفوارة، قال ابن دقماق الذى أورد تاريخ ٢٧٩هـ "وفى سنة تسع وسبعين ومائتين لعشر خلون من جمادى الآخرة ليلة الخميس احترقت الفوارة التى بوسط الجامع الطولونى.. وفى سنة خمس وثمانين وثلثمائة فى المحرم أمر العزيز ببناء فوارة فى الجامع الطولونى عوضا عن التى احترقت فبدىء فيها وعملت وقيل إن الذى عمرها أم العزيز على يدى راشد الخفيفى". (٣٨٣)

وقال المقريزى الذى أورد تاريخ ٣٧٦هـ / ٩٨٦م، "وفى سنة ست وسبعين

وثلثمائة فى ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى احترقت الفوارة التى كانت بجامع ابن طولون فلم يبق منها شئ.. وفى المحرم سنة خمس وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله بن المعز ببناء فوارة عوضا عن التى احترقت فعمل ذلك على يد راشد الحنفى وتولى عمارتها ابن الرومية وابن البناء وماتت أم العزيز فى سلخ ذى القعدة من السنة". (٣٨٤)

مما تقدم يتضح أن ابن دقماق والمقريزى اتفقا على أن تاريخ تجديد الفوارة كان فى سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م فى عهد الخليفة الفاطمى العزيز بالله.

وقد تأثر المسجد فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله، قال المقريزى "وكان من خبر جامع ابن طولون أنه لما كان غلاء مصر فى زمان المستنصر وخربت القطائع والعسكر عدم الساكن هناك وصار ما حول الجامع خرابا وتوالت الأيام على ذلك وتشعث الجامع وخرب أكثره". (٣٨٥)

وقد قام الخليفة المستنصر بالله الفاطمى بتجديد أحد الأبواب النافذة إلى المسجد من الزيادة الشمالية، وسجل تاريخ هذا التجديد فى لوحة رخامية على هذا الباب وكان ذلك فى سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م، ونصه "بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين. نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين. أمر بتجديد هذا الباب وما يليه عند عدوان النار على ما أبدعه المارقون فيه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصرى أدام الله قدرته وأعلى كلمته ابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وذلك فى صفر سنة سبعين وأربعمائة. والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين وسلم تسليما". (٣٨٦)

ويرجع إلى العصر الفاطمى ثلاثة محاريب صغيرة صنعت من لوحات من الجص، أحدها من عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى والملك الأفضل شاهنشاه

سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م، حيث يتميز المسجد بكثرة المحاريب التى توجد به، إذ يبلغ عددها ستة محاريب أقدمها هو المحراب الرئيسى الذى وضع فى محور القبلة، وهو مجوف مسقطه نصف دائرى، ولم تبق من عناصره الزخرفية الأصلية إلا واجهته الجصية المحصورة داخل إطار يضم الحنية والأعمدة الأربعة على جانبيها وكوشتى العقد، وترجع زخارف وكسوات هذا المحراب إلى السلطان لاجين، وينسب إلى لاجين عمل المحراب الجصى المعروف بمحراب السيدة نفيسة، وهناك محراب جصى مسطح آخر ينسب إلى نفس العصر، وهو تقليد لمحراب فاطمى من عمل الأفضل شاهنشاه وهو ما سوف نتناوله لاحقًا ضمن أعمال السلطان لاجين فى المسجد، أما فى العصر الفاطمى فقد وضع على واجهتى الدعامتين اللتين تكتنفان دكة المبلغ محرابان مسطحان من الجص يرجعان إلى العصر الفاطمى المبكر.(٣٨٧)

وذكر حسن عبد الوهاب عمارة للخليفة الحافظ لدين الله فى سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م.(٣٨٨)

وفى العصر الأيوبى أمدنا ابن جبير كما تقدم بوصف للمسجد، حيث أورد "وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان، جعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق فى كل شهر".(٣٨٩)

وفى ذلك يذكر المقريزى "وتوالت الأيام على ذلك وتشعث الجامع وخرب أكثره وصار أخيرا ينزل فيه المغاربة بأباعرها ومتاعها عندما تمر بمصر أيام الحج".(٣٩٠)

وقد اتخذ المسجد مخبزًا، فقد أورد المقريزى فى السلوك فى أحداث سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م، ما نصه "وأمر أن يفرق من الشون السلطانية على أرباب الزوايا فى كل يوم مائة أردب، بعد ما يعمل خبزًا بجامع ابن طولون".(٣٩١)

أعمال السلطان لاجين بالمسجد

ارتبطت أعمال السلطان لاجين فى الجامع الطولونى بالأحداث السياسية التى جرت خلال تلك الفترة، فقد أورد المقريزى لنا هذه الأحداث بقوله "فهيأ الله جل

جلاله لعمارة هذا الجامع أن كان بين الملك الأشرف خليل بن قلاون وبين الأمير بيدر أمور موحشة تزايدت وتأكدت إلى أن جمع بيدر من يثق به وقتل الأشرف بناحية تروجه فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة.. وكان ممن وافق الأمير بيدرا على قتل الأشرف الأمير حسام الدين لاجين المنصورى والأمير قراسنقر فلما قتل بيدر فى محاربة مماليك الأشرف له فر لاجين وقراسنقر من المعركة فاختفى لاجين بالجامع الطولونى وقراسنقر فى داره بالقاهرة وصار لاجين يتردد بمفرده من غير أحد معه فى الجامع وهو حينئذ خراب لا ساكن فيه وأعطى الله عهدًا ان سلمه الله من هذه المحنة ومكنه من الأرض أن يجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له ما يقوم به ثم أنه خرج منه فى خفية إلى القرافة فأقام بها مدة وراسل قراسنقر.. إلى أن اجتمعا بالأمير زين الدين كتبغا المنصورى وهو إذ ذاك نائب السلطنة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون والقائم بأمور الدولة كلها فأحضرهما إلى مجلس السلطان.. فخلع عليهما وصار كل منهما إلى داره وهو آمن فلم تطل أيام الملك الناصر فى هذه الولاية حتى خلعه الأمير كتبغا وجلس على تخت الملك وتلقب بالملك العادل فجعل لاجين نائب السلطنة بديار مصر وجرت أمور اقتضت قيام لاجين على كتبغا وهم بطريق الشام ففر كتبغا إلى دمشق واستولى لاجين على دست المملكة وسار إلى مصر وجلس على سرير الملك بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور فى المحرم من سنة ست وتسعين وستمائة فأقام قراسنقر فى نيابة السلطنة بديار مصر وأخرج الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل إلى كرك الشوبك فجعله فى قلعتها.. وخلع على الأمير علم الدين سنجر الدوادارى وأقامه فى نيابة دار العدل وجعل إليه شراء الأوقاف على الجامع الطولونى وصرف إليه كل ما يحتاج إليه فى العمارة وأكد عليه فى أن لا يسخر فيه فاعلا ولا صانعا وأن لا يقيم مستحثا للصناع ولا يشترى لعمارته شيئا مما يحتاج إليه من سائر الأصناف إلا بالقيمة التامة وأن يكون ما ينفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته فابتاع منية أندونة من أراضى الجيزة.. وحكرها وعمر الجامع وأزال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه وبيضه ورتب فيه دروسا لالقاء الفقه على المذاهب الأربعة.. ودرسا يلقى فيه تفسير القرآن الكريم ودرسا لحديث النبى صلى

الله عليه وسلم ودرسا للطب وقرر للخطيب معلوما وجعل له اماما راتبا ومؤذنين وفراشين وقومة وعمل بجواره مكتبا لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل وغير ذلك من أنواع القربات ووجوه البر فبلغت النفقة على عمارة الجامع وثمن مستغلاته عشرين ألف دينار". (٣٩٢)

والسلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ذكر المقريزى بقوله "أحد مماليك المنصور قلاون وجلس على التخت بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور فى يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم المذكور واستناب مملوكه منكوتمر فنفرت القلوب عنه حتى قتل فى ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة فكانت مدته سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما..". (٣٩٣)

وفى ذلك أورد السيوطى "ثم إن لاجين لما قتل الأشرف خليل بن قلاوون هرب، فاختفى بمنارة هذا الجامع فنذر إن نجاه الله من هذه الفتنة ليعمرنه، فنجاه الله، وتسلطن، فأمر بتجديده.. ووقف عليه وقفًا، ورتب فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة والقراءات والطب والميقات حتى جعل من جملة ذلك وقفًا على الديكة تكون فى سطح الجامع فى مكان مخصوص بها لأنها تعين المؤقتين وتوقظهم فى السحر. فلما قرئ كتاب الوقف على السلطان أعجبه كل ما فيه إلا أمر الديكة، فقال: أبطلوا هذا لا تضحكوا الناس علينا، فأبطل". (٣٩٤)

ومن أعمال السلطان لاجين الباقية بالمسجد الميضأة التى بناها مكان الفوارة القديمة التى شيدها أحمد بن طولون عند عمارته للمسجد، والتى احترقت فى سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م، وجددها الخليفة الفاطمى العزيز بالله فى سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م، ولم تصل إلينا الفوارة التى جددها الخليفة الفاطمى العزيز بالله، وقيل أمه تغريد، ولم تكن هذه الفوارة مستخدمة للوضوء بل كانت الميضأة القديمة تقوم فى الزيادة الشمالية الغربية بجوار المئذنة للحفاظ على الجدران أن تتأثر من جريان الماء إذا بنيت بداخله، أما الميضأة التى شيدها السلطان لاجين فى موضع الفوارة القديمة فقد جاءت عبارة عن قبة تتكون من مسقط على هيئة مربع يبلغ طول ضلعه نحو ١٤م (

١٢.٧٥ × ١٤.١٠م)، له جدران سميكة بنيت من الحجر المنحوت، ويتوسطها من الداخل حوض مثمن يملأ بالماء للوضوء، وبكل من الجدران الخارجية فتحة باب يتوجها عقد مدبب من مركزين، ويغطى المربع قبة قطاعها مدبب بنيت بالآجر وكسيت بالملاط من الداخل والخارج وذلك من خلال مقرنصات حاملة كمناطق انتقال لتحويل المربع السفلى إلى طابق مثمن علوى ترتكز عليه القبة، ويبلغ ارتفاعها عن أرضية الصحن إلى نهاية الخوذة النحاسية فى قمتها نحو ٣٣م، وتشتمل أعلى مناطق الانتقال على ثمانى نوافذ، وكتبت آية الوضوء بالخط النسخى المملوكى حول رقبة القبة من الداخل، وتتسم عمارة القبة بأنها ذات طابع محلى، وتشتمل على سلم فى سمك جدارها يوصل إلى سطح قاعدتها المربعة.

ومن أعمال السلطان لاجين القبة التى تعلو المحراب، وهى ترتكز على قاعدة مربعة من الخارج، تشتمل من الداخل على حطات من المقرنصات المكسوة بالخشب لتحويل المربع إلى مثمن ترتكز عليه دائرة القبة، ووضعت بين المقرنصات شمسيات من الجص والزجاج اطارها الخارجى يماثل اطار المقرنصات وذلك للاضاءة، والتهوية، والقبة فى تكوينها العام وتفاصيلها ذات طابع مملوكى محلى.

ومن أعماله الحجرة وراء المحراب والتى يتوصل إليها من الباب الموجود بجوار المنبر والذى يرجح أنه كان يؤدى إلى دار الامارة التى تقدم ذكرها، وهى حجرة صغيرة تتسم بأهمية خاصة ترجع إلى بقايا السقف الذى كان يغطيها، وبقى منه طنف بارز تحمله كوابيل خشبية أطرافها تشبه رؤوس حيوانات لها أنياب، وهى من نوع لا يوجد كما يذكر فريد شافعى إلا فى المغرب والأندلس، ولا يمكن أن يكون صانعها إلا من الغرب العربى الإسلامى، فهى ترجع إلى أعمال السلطان لاجين فى ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦ م، وهى تؤكد وجود التأثيرات المغربية الأندلسية.

ومن أعماله أيضًا المنبر الحالى بالمسجد كما هو مسجل فى واجهة عتب بابه. وقد صنع من الخشب الساج الهندى والأبنوس، يتكون بابه من مصراعين أو ضلفتين فى إطار تتوجه صفوف من المقرنصات تعلوها شرافات على هيئة الورقة النباتية

الثلاثية، يؤدى الباب إلى سلم يفضى بدوره إلى جلسة الخطيب يعلوها جوسق علوى، ويزدان الجوسق بمقرنصات وشرافات على نفس النمط السابق، وقد أوجد الصانع على جانبى المنبر ريشتين، ويزدان كل جانب من جانبى المنبر بحشوات هندسية صغيرة عليها زخارف نباتية دقيقة الحفر، ويتكون من تجميع حشواته وحدات هندسية منتظمة قوامها الطبق النجمى الذى يتميز به الفن العربى الإسلامى دون غيره من الفنون، وقد انتقلت بعض حشواته إلى مجموعات ومتاحف أوربا ثم أعيد بعضها إلى مكانه، وجدد البعض الآخر على أساس الرسوم والصور، فقد بقى منبر لاجين حتى سنة ١٨٤٥م حينما عاينه ورسمه جيمس ويلد، ثم امتدت إليه الأيدى بالسلب والنهب، إلى أن عنى هرتس باشا بجمع حشواته من أوروبا، وصور لحشوات أخرى استعان بها مع الباقى منه على اصلاح المنبر واعادته إلى أصله، وقد كتب على بابه "أمر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصورى فى العاشر من صفر سنة ست وتسعين وستمائة"، أما درابزين المنبر فهو من الخشب الخرط.[٣٩٥]

أما المحراب الرئيسى فهو من تجديد السلطان لاجين، حيث لم يتبق من عناصره الزخرفية الأصلية إلا واجهته الجصية المحصورة داخل اطار يضم الحنية والأعمدة الأربعة على جانبيها وكوشتى العقد، ثم الشريط الخشبى الذى يحتوى على الكتابة الكوفية البارزة ثم شريط الزخارف الجصية الذى يعلوه، أما تجويف المحراب فقد كسى بألواح الرخام والفسيفساء الرخامية، يتوجها شريط من الفسيفساء الزجاجية يحتوى على كتابة بالخط النسخى المملوكى، وكيست طاقية المحراب ووجه العقد من الخارج بالخشب الملون بالنقوش، وكل هذه الزخارف ترجع إلى أعمال السلطان لاجين وكتب بتجويف المحراب بالخط النسخى "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وينسب إلى لاجين أيضًا عمل المحراب الجصى المعروف بمحراب السيدة نفيسة، وهو مسطح وضع على وجه جدار القبلة على بعد نحو ٢٧م إلى الشرق من المحراب الرئيسى، وهناك محراب جصى آخر مسطح ينسب إلى نفس العصر، وهو تقليد لمحراب فاطمى من عمل الأفضل شاهنشاه، ووضع الاثنان على واجهتى دعامتين

من دعامات البائكة الثالثة من جهة الصحن فى ظلة القبلة على جانبى محور المحراب.[٣٩٦].

المئذنة

تعد المئذنة الحجرية الحالية من أعمال السلطان لاجين فى سنة ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦ م، فقد شيدها السلطان لاجين من أسفلها إلى قمتها بالحجر، أى من نفس مادة بناء الميضأة التى شيدها فى وسط المسجد فى موضع الفوارة القديمة التى تقدم ذكرها، وتفصيل ذلك على النحو التالى:

تعد المئذنة الحالية بجامع ابن طولون من أهم الوحدات المعمارية فى المسجد، نظرًا لما أثير حولها من آراء ونظريات وردت فى المصادر التاريخية والأثرية من قبل المؤرخين وعلماء الآثار، على أننى سوف أتناول أولًا الوصف الأثرى لهذه المئذنة على ما هى عليه الآن، ثم أتناول ما أثير حولها من آراء ونظريات.

الموقع:

تقع هذه المئذنة فى الزيادة الشمالية الغربية من المسجد لصق حائط الزيادة على مسافة ٤٠.٠سم.

التكوين العام:

يبدأ تكوينها المعمارى بقاعدة مربعة تقريبًا يعلوها طابق أسطوانى يعلوه طابق مثمن ثم تنتهى المئذنة بجوسق مثمن تعلوه مبخرة.

مادة البناء:

بنيت المئذنة كلها من القاعدة إلى القمة بالحجر.

القاعدة:

تبدأ قاعدة المئذنة من الأرض، وهى مربعة تقريبًا (١٢.٧٨م × ١٣.٦٥م)، يبلغ ارتفاعها حوالى (٢١.٣٥م) أى أكثر من نصف الارتفاع الكلى للمئذنة، يلتف حول أوجهها من الخارج سلم مكشوف بأربع قلبات يدور دورة كاملة بعكس اتجاه عقارب الساعة، يتراوح عرضه بين (١.٧٠، ١.١٠م) له درابزين حجرى مدرج،

يتوصل إلى قلبات السلم من خلال فتحة مدخل بالناحية الجنوبية الشرقية يتوجها عقد حدوى، يؤدى المدخل إلى قلبة سلم تتكون من عدد (١٤) درجة حجرية تنتهى ببسطة تؤدى إلى قلبة ثانية للسلم تتكون من عدد (٣٠) درجة تنتهى بمدخلين أحدهما يؤدى إلى سطح القنطرة والرواق الشمالى الغربى للجامع، يتوجه عقد نصف دائرى، والآخر يتوجه عقد مدبب يؤدى إلى بسطه مستطيلة تؤدى بدورها إلى قلبة ثالثة تتكون من عدد (٢٦) درجة تنتهى ببسطة تؤدى بدورها إلى القلبة الرابعة، وتتكون من عدد (٢٩) درجة تنتهى ببسطة تؤدى إلى القلبة الخامسة والأخيرة، وتتكون من عدد (٢٤) درجة، ثم يرقى من خلال ثلاث درجات إلى سطح القاعدة المربعة، وبالأضلاع الأربعة للقاعدة دخلات مصمتة توأمية بواقع دخلة توأمية فى كل ضلع يتوجها عقد حدوى، وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بعمل ثقب فى الدخلة التى بالجهة الجنوبية الغربية من هذه الدخلات التوأمية، وهو يعد ثقبًا أفقيًا بعرض ١م وسمك ٣م بحيث يصل إلى عمق يكفى للكشف عن آثار جدران مستديرة فى جوف القاعدة للتحقق من مدى صحة أن هذا البدن ما هو إلا غلاف لمئذنة قديمة مستديرة تشبه ملوية سامرا.

الطابق الأول الأسطوانى:[٣٩٧]

هذا الطابق أعلَى القاعدة، يبلغ ارتفاعه حوالى (٨.٨٢م) يلتف حوله سلم حجرى حلزونى من الخارج أيضًا، يتكون من عدد (٤٥) درجة، له درابزين من الحجر مدرج يبدأ من نهاية درابزين القلبة الخامسة وينتهى إلى شرفة حجرية يحيط بها درابزين حجرى يتكون من مدماكين، وهى شرفة مستديرة تعلو الطابق الأسطوانى.

الطابق الثانى المثمن[٣٩٨]

يبدأ هذا الطابق من أرضية الشرفة الحجرية، بكل ضلع من أضلاعه الأربعة الموازية لأضلاع القاعدة فتحة مستطيلة يتوجها عقد مقصوص مصمت، أما الأضلاع الأربعة الأخرى فهى مضاهيات، يلى الفتحات والمضاهيات إزار حجرى، يعلوه مقرنص من ثلاث حطات يحمل الشرفة الثانية للمئذنة، وهى شرفة مثمنة

ليس لها درابزين، يتوصل إلى أرضيتها من داخل الطابق من خلال سلم حجرى حلزونى يلتف حول عمود حجرى مثمن، ويتكون السلم من عدد (١٥) درجة أعلى الدرجتين السابعة والثامنة من السلم توجد دخلة يتوجها عقد مدبب، وهو الأمر الذى يتفق تمامًا وفتحات الطابق المثمن من الداخل حيث نجد فى اثنتين منها عقودًا مدببة.

الجوسق والقمة:

يبدأ الجوسق من أرضية الشرفة الثانية، وهو مثمن، بكل ضلع من أضلاعه الأربعة الموازية لامتداد أضلاع القاعدة توجد فتحة مستطيلة، أما الأضلاع الأربعة الأخرى فهى مضاهيات، ويعلو هذه الفتحات والمضاهيات ثمانى فتحات معقودة، وبأركان مثمن الجوسق أعمدة حجرية مخلقة لها قواعد وتيجان ناقوسية، ثم يتوج الجوسق والمئذنة مبخرة ترتكز على مقرنص من حطتين، ويرتفع الجوسق والقمة عن مستوى سطح الأرض بحوالى (٤٠.٤٤م)، ولقد كان بأعلى المئذنة مركب من نحاس تعرف بالعشارى ذكره المقريزى وابن دقماق كما تقدم حتى سقطت عام ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م[٣٩٩]، ومن المرجح أن السلطان لاجين أعاده مثلما حافظ على سمة السلم الخارجى أو عمله مثل عشارى قبة الشافعى.

القنطرة

ترتبط المئذنة بالمسجد من خلال قنطرة بنيت من الحجر، حملت على عقدين حدويين فتحتهما حوالى ٤,٠٤م، وهما مبنيان من جهة جدار المسجد بكيفية تدل دلالة ظاهرة على أنهما خارجان عن نظام البناء الأصلى لأنهما عند اتصالهما به يقطعان شباكين من شبابيك المسجد فى محوريهما، ويغطى القنطرة سقف أسطوانى من الحجر[٤٠٠].

الآراء والنظريات حول المئذنة:

الواقع أن هذه المئذنة قد ثار حولها جدل واسع بين المؤرخين وعلماء الآثار وتشعب البحث وكثرت النظريات، وتعددت الآراء فى تاريخها، فمن العلماء من

اعتبرها المئذنة الأصلية التى بنيت مع الجامع ٢٦٣ ـ ٢٦٥هـ / ٨٧٦ ـ ٨٧٩ م، ومن العلماء من يرى أن الجزء الأصلى فيها هو المكون من القاعدة المربعة والطابق الأسطوانى، وأن الطابق المثمن والجوسق والقمة قد أضيفا فى وقت متأخر، ومن العلماء من نسب المئذنة كلها أو الجزء العلوى منها إلى العصر الفاطمى، وقد ظن فى وقت من الأوقات أن الجزء المربع ما هو إلا غلاف لمئذنة قديمة مستديرة تشبه ملوية سامرا وأن ذلك الغلاف المربع لم يغلف البدن المستدير كله بل ترك جزءا منه هو الطابق الأسطوانى الذى يعلو ذلك الغلاف المربع، ومن العلماء من نسب المئذنة كلها إلى أعمال الاصلاح والتعمير التى قام بها السلطان لاجين فى جامع ابن طولون فى سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦م، وأن فكرة السلم الحلزونى قد اقتبست عند إعادة البناء من بقايا المئذنة القديمة التى كانت قد بنيت فى الأصل ع ـ نمط ملوية سامراء، أما الجزء العلوى فهو من طراز نهايات المآذن فى أواخر العصر الأيوبى وأوائل العصر المملوكى، ولقد أفرد فريد شافعي[٤٠١] بحثًا فى مئذنة ابن طولون حيث ذكر أن الرأى قد انتهى إلى أن المئذنة كلها من أعمال السلطان لاجين ويرى أن الجزء المربع فى المئذنة ظاهرة لم تحظ بعناية كافية، وهى نقطة هامة تستحق التوضيح ليكمل موضوع المئذنة من الوجهه الأثرية المعمارية فأقرب ما يتبادر إلى الذهن تلك المشابهة الكبيرة بين ذلك الجزء المربع وبين الزيقورات الآشورى فى خورساباد ٧٢٢ ـ ٧٥٠ ق.م إلا أنه من الواضح أن العلاقة بين الزيقورات وبين مئذنة مسجد ابن طولون سحيقة وعلينا أن نبحث عن مصادر أخرى لفكرة القاعدة المربعة أوثق صلة بالمئذنة الطولونية وانتهى فريد شافعى من بحثه إلى أن مئذنه جامع ابن طولون من خلال بناءها أو اعادة بناءها بمعنى أوضح لا شك قد حدث فى وقت وفدت فيه موجة فنية قوية من المغرب والأندلس محملة بتأثيرات عديدة تتمثل فيما يتعلق بمئذنة ابن طولون فى ثلاث ظواهر.

الظاهرة الأولى:

العقد المستدير ذو شكل حدوة الفرس، وهو مستعمل فى عقدى القنطرة التى تصل المئذنة بالمسجد، ثم فى عقد باب الدخول إلى سلم المئذنة، ثم فى جميع عقود الشبابيك التوائم المصمتة فى أوجه الجزء المربع من المئذنة[٤٠٢].

الظاهرة الثانية:

الشبابيك التوائم وهى من الظواهر ذات الأصل الغربى الإسلامى فقد ظهرت هناك منذ العصور الأولى للإسلام، وهى فى مئذنة جامع ابن طولون على الهيئة الأصلية التى توجد عليها فى الغرب الإسلامى، وتعد مئذنة مسجد ابن طولون الأثر الوحيد فى مصر الذى توجد به هذه الظاهرة محتفظة بمميزاتها النقية التى كانت عليها فى موطنها الأصلى فى الغرب الإسلامي[٤٠٣].

الظاهرة الثالثة:

الكوابيل المفصصة:

وكل منها يتكون محيطه الخارجى من قوس من ربع دائرة مقعر ومفصص إلى فصوص محدبة متعددة يقسمها شريط أوسط إلى قسمين، وهى ظاهرة انفردت بها بلاد الغرب الإسلامى فنرى منها أمثلة قديمة فى جامع قرطبة فى الجزء الذى ينسب للحكم ٣٥٠ ـ ٣٥٥هـ / ٩٦١ ـ ٩٦٦م، وهذه الكوابيل توجد تحت طرف القبو فى سقف القنطرة التى تصل المئذنة بمسجد ابن طولون، وهذا النوع لم يظهر فى أى أثر آخر فى مصر غير جامع أحمد بن طولون.

وأغلب الظن أن تلك الموجة القوية الوافدة من الغرب الإسلامى كما يذكر فريد شافعى كان لها الفضل الأكبر فى الايحاء بتلك القاعدة الضخمة المربعة لمئذنة مسجد ابن طولون، وبالرغم من أننا قد رأينا أن مآذن مصر منذ العصر الفاطمى قد تأثرت بنموذج المآذن فى الغرب الإسلامى إلا أن هذا التأثير قد ازداد قوة فى مئذنة مسجد ابن طولون، وتجددت بمعنى آخر مع مجئ تلك الموجة الفنية القوية التى تقدم ذكرها[٤٠٤].

هذا وقد اشترك مع ذلك الايحاء الوافد من الغرب الإسلامى عامل مترسب من تقاليد عراقية قديمة هو فكرة السلم الخارجى الذى كان موجودًا فى بقايا المئذنة التى كان قد أنشأها ابن طولون مع مسجده، وأغلب الظن أن تلك البقايا كانت قائمة فى وقت البدء فى بناء المئذنة الجديدة التى حلت محلها[٤٠٥].

ويضيف فريد شافعى ولا نستبعد والحال هذا أن المعمارى الذى قام بإعادة بناء مئذنة ابن طولون إما أنه كان مغربيًا أو أندلسيًا أو كان مصريًا أشرك معه صناعًا من تلك البلاد استعان بهم وترك لهم حرية كبيرة فى التصرف فى البناء، فامتزجت التقاليد الغربية الإسلامية مع رواسب التقاليد العراقية الإسلامية القديمة فى مصر وأنتجت لنا ذلك الشكل الفريد الذى يتكون منه أكثر من ثلاثة أرباع مئذنة مسجد ابن طولون، وكان للتقاليد المحلية القائمة فى وقت تجديد البناء فضل إتمام الأجزاء العليا من المئذنة، فهو حلقة من سلسلة تطور محلى لنهايات المآذن ذوات المباخر والتى رأيناها تبدأ بمئذنة مشهد أبى الغضنفر أسد الفائزى حوالى ٥٥٢هـ/ ١١٥٧ م وتنتهى بمئذنة قوصون ٧٣٥ هـ/ ١٣٣٥ ـ ١٣٣٦م[٤٠٦].

وتعليقًا على ما ذكره فريد شافعى أننى وان كنت اتفق معه تمامًا فيما يتعلق بالتأثيرات الوافدة من الغرب الإسلامى على مئذنة جامع ابن طولون، إلا أننى أختلف معه فيما توصل إليه من أن الموجة القوية الوافدة من الغرب الإسلامى كان لها الفضل الأكبر فى الايحاء بتلك القاعدة الضخمة المربعة لمئذنة مسجد ابن طولون، وأن مآذن مصر منذ العصر الفاطمى قد تأثرت بنموذج المآذن فى الغرب الإسلامى، وأن هذا التأثير قد ازداد قوة فى مئذنة مسجد ابن طولون، حيث تكون فكرة القاعدة الضخمة المربعة فى مئذنة ابن طولون معماريًا فى سنة ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦م يجب أن تدرس من خلال التطور الذى طرأ على المئذنة المصرية منذ نشأتها فى جامع عمرو بن العاص من الناحيتين التاريخية والأثرية، خاصة وأننى قد رجحت أن يكون بجامع عمرو منذ إنشائه فى عام ٢١ هـ/ ٦٤٢م تكوينًا معماريًا مخصصًا لإعلان الأذان ثم تطور هذا التكوين معماريًا إلى مئذنة خلال عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه على نمط مآذن عثمان بن عفان فى المسجد النبوى ثم تطورت عمارتها وتعددت فى جامع عمرو بن العاص ومساجد فسطاط مصر خلال عهد مسلمة بن مخلد الأنصارى وهى فى تطورها وتعددها إنما احتفظت بالتكوين المعمارى المربع وذلك فى عام ٥٣ هـ/ ٦٧٣م ثم انتقلت وحدة المئذنة خلال تلك الفترة تقريبًا من مصر على يد عقبة بن نافع إلى بلاد المغرب فى المسجد الجامع بالقيروان، ومن المرجح

أنه فى عهد الوالى مسلمة بن مخلد الأنصارى عندما جمعت له مصر والمغرب وهو أول وال جمع له ذلك تطورت عمارة المئذنة وتعددت فى المغرب وتميزت بالتكوين المربع الذى كانت عليه المئذنة المصرية إمتدادًا للتكوين المعمارى للمئذنة فى المشرق العربى الإسلامى، وهذا إنما يدل على الدور البالغ الأهمية الذى قامت به مصر من خلال موقعها الجغرافى منذ فجر الإسلام خلال عهد عمرو بن العاص فى نقل الثقافة الإسلامية والتقاليد المعمارية ومن ضمنها وحدة المئذنة إلى أقطار المغرب الإسلامى.

ولما كان المؤرخون وعلماء الآثار قد أجمعوا على أن أقدم مئذنة فى المغرب الإسلامى هى مئذنة جامع القيروان التى تنسب إلى عمل الوالى بشر بن صفوان فى ما بين سنتى ١٠٥ـ ١٠٩هـ / ٧٢٤ ـ ٧٢٩م، على أساس الأدلة التاريخية أو إلى ٢٢١ هـ / ٨٣٦م، على أساس الأدلة المعمارية ـ وهى فى الحالة الأولى تعد أقدم مثل باق للمآذن وفى الحالة الثانية تعد ثان الأمثلة الباقية إذ تسبقها منارة قصر الـ ير الشرقى فى بلاد الشام والتى تؤرخ فى حوالى سنة ١١٠هـ / ٧٣٠م[٤٠٧]، فإنه يمكن القول فيما يتعلق بالحالة الأولى أنه إذا كانت أقدم مآذن مصر التى ورد ذكرها صراحة فى المصادر التاريخية ترجع إلى سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٣م، وهى مآذن مسلمة بن مخلد فى جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر وبقية مساجد الفسطاط عدا مسجدى تجيب وخولان، والتى رجحت أن يكون تكوينها المعمارى من مربع فإنه فى هذه الحالة تكون بينها وبين مئذنة القيروان ما يزيد على نصف قرن، ومن هنا يمكن القول أن عمارة المئذنة فى مصر ذات التكوين المربع قد شهدت تطورًا كبيرًا فى عمارتها خلال تلك الفترة، وأن هذا التطور انتقل إلى مآذن الغرب الإسلامى وليس العكس، ونحن وإن كنا لا نملك من الأدلة المادية وليس لدينا من المخلفات الأثرية فى مصر من عمارة المئذنة ما يوضح لنا ذلك، إلا أننا يمكن أن نقرر هذا من خلال ما ورد فى بطون وثنايا المصادر التاريخية من نصوص توضح ذلك.

أما فى الحالة الثانية والتى ترجع فيها مئذنة القيروان إلى سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م، على أساس الأدلة المعمارية فيمكن القول أن التكوين المعمارى المربع للمئذنة فى مصر

قد شهد تطورًا كبيرًا فى الفترة من ٥٣ هـ / ٦٧٣م، وحتى ٢٢١ هـ / ٨٣٦م، وانتقل منها إلى الغرب الإسلامى وليس العكس وعلى ذلك فإننى لا أتفق مع رأى الدكتور فريد شافعى فيما ذهب إليه من أن المآذن الفاطمية فى مصر تأثرت من خلال قواعدها المربعة بمآذن الغرب الإسلامى، وأن هذا التأثير ازداد قوة فى قاعدة مئذنة جامع ابن طولون.

ونرى من خلال كل ما تقدم أن المئذنة الحالية بجامع أحمد بن طولون هى من بناء السلطان لاجين فى سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م وتفصيل ذلك أن المئذنة الأولى التى شيدت وقت تشييد الجامع زمن أحمد بن طولون والتى سقطت ولم تصل إلينا، كانت مبنية من الآجر شأنها فى ذلك شأن بقية وحدات وعناصر الجامع المعمارية كما تقدم، وأن هذه المئذنة عند تشييدها تأثرت بملويتى سامراء وأبى دلف سواء من حيث التصميم أو العمارة، وقد شاهدهما ابن طولون قبل حضوره إلى مصر، وذلك من خلال الموقع ووجود السلم الصاعد إلى أعلى الذى يلتف حول بدن المئذنة من الخارج، فقد روى المقريزي" وقيل عن أحمد بن طولون أنه كان لا يعبث بشئ قط فاتفق أنه أخذ درجا أبيض بيده وأخرجه ومده واستيقظ لنفسه وعلم أنه قد فطن به وأخذ عليه لكونه لم تكن تلك عادته فطلب المعمار على الجامع وقال تبنى المنارة التى للتأذين هكذا فبنيت على تلك الصورة والعامة يقولون أن العشارى الذى على المنارة المذكورة يدور مع الشمس وليس صحيحا وإنما يدور مع دوران الرياح"(٤٠٨)، وفى موضع آخر أورد المقريزى

"وبناه على بناء جامع سامرا وكذلك المنارة"(٤٠٩).

وعلى ما يبدو أن هذه المئذنة على هذا النمط بمادة بناءها الآجرية لم تستمر طويلًا وإنما جددت أكثر من مرة قبل سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦م، فقد أورد المقدسى عنها ما نصه "ومنارته من حجر صغيرة درجها من خارج"(٤١٠)، وهو الأمر الذى يدل على أن المئذنة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى أعيد بناؤها بالحجر بعد أن سقطت المئذنة الآجرية الأولى التى بنيت زمن ابن طولون نتيجة

تأثرها ببعض الزلازل التى شهدتها مصر خلال الفترة التى أعقبت وفاة ابن طولون حتى بداية العصر الفاطمى، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "اثنتين وسبعين ومائتين" ما نصه "ووردت الأخبار فيها أن مصر زلزلت فى جمادى الآخرة زلازل أخربت الدور والمسجد الجامع"(٤١١)، وفى ذلك أورد ابن الأثير "وفيها زلزلت مصر، فى جمادى الآخرة، زلزلة شديدة أخربت الدور والمسجد الجامع، وأحصى بها، فى يوم واحد، ألف جنازة"(٤١٢).

وذكر ابن اياس انه فى ولاية هرون بن خمارويه بن أحمد بن طولون وقعت زلزلة بمصر حتى وصلت إلى الاسكندرية، فقد أورد ما نصه "وفى أيامه وقعت زلزلة بمصر، حتى وصلت إلى الاسكندرية، وسقط منها رأس المنار وكانت زلزلة عظيمة جدًا"(٤١٣).

كما ذكر ابن اياس زمن كافور الاخشيدى انه قد وقعت زلزلة عظيمة بمصر، فقد أورد ما نصه "أن فى زمن كافور، وقعت زلزلة عظيمة بمصر، فخاف الناس من ذلك وهربوا إلى الصحارى، وظنوا أنها القيامة"(٤١٤).

وأغلب الظن أن المئذنة قد تأثرت بهذه الزلازل، كما تأثرت أيضًا من جراء الهدم الذى تعرضت له فى زمن الحاكم بأمر الله فقد ذكر ناصر خسرو فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ما نصه "وفى طرف المدينة جامع ابن طولون.. وفى أيام الحاكم بأمر الله.. باعه أحفاد ابن طولون بثلاثين ألف دينار مغربى. وبعد مدة شرعوا فى هدم المئذنة بحجة أنها لم تبع. فأرسل لهم الحاكم قائلا: "لقد بعتمونى هذا المسجد فكيف تهدمونه؟" فأجابوا: "نحن لم نبع المئذنة". فأعطاهم خمسة آلاف دينار ثمنا لها. وكان السلطان يصلى فى هذا المسجد طوال شهر رمضان، وأيام الجمع من بقية الشهور"(٤١٥).

ومن المحتمل أن تكون المئذنة قد حدث بها تجديد وقتئذ، فقد كان السلطان يصلى فى هذا الجامع طوال شهر رمضان وأيام الجمع من بقية الشهور.

ولقد كان جامع ابن طولون خلال الربع الأخير من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى بحالة مزدهرة، فقد أورد ابن جبير خلال العصر الأيوبى ما

نصه "وهو من الجوامع الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان"[٤١٦]، وهو الأمر الذى يدل على أن المسجد حتى هذا التاريخ كان ينال من العناية والرعاية من قبل المعمار المسلم بحيث يحافظ على طرازه المعمارى الرائع.

وقد شهد جامع أحمد ابن طولون إهمالًا وتدهورًا فى أواخر العصر الأيوبى وأوائل عصر المماليك البحرية، وهو الأمر الذى نلحظه بوضوح فى المصادر التاريخية، فقد أورد المقريزى "فاختفى لاجين بالجامع الطولونى.. وصار لاجين يتردد بمفرده من غير أحد معه فى الجامع وهو حينئذ خراب لا ساكن فيه.. وعمر الجامع وأزال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه وبيضه"[٤١٧]، وأورد السيوطى ما نصه "ثم إن لاجين[٤١٨] لما قتل الأشرف خليل بن قلاوون هرب، فاختفى بمنارة هذا الجامع فنذر إن نجاه الله من هذه الفتنة ليعمرنه، فنجاه الله، وتسلطن، فأمر بتجديده"[٤١٩].

وهو الأمر الذى انعكس سلبيًا على عمارة المئذنة فأصابها ما أصاب الجامع من اهمال وتدهور، وذلك فى سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣م، ولما كان لاجين قد أخذ عهدًا على نفسه أن يعمر الجامع إذا تسلطن على مصر، فإنه لما تسلطن أخذ فى أسباب عمارة جامع ابن طولون، ومن المؤكد أنه أدرك بقايا من السمة المعمارية التى تميزت بها المئذنة تلك السمة التى حافظ عليه كل من قام بتجديد المئذنة قبله، وهى السلالم التى تلتف حول المئذنة من الخارج لكونها فريدة من حيث التصميم والعمارة، ولكنه آثر هدم المئذنة كلها وإعادة بنائها من جديد على ترميمها، ومن المؤكد أنه فعل ذلك من منظور حرصه على تشييد مئذنة ضخمة مرتفعة من جهة ومن جهة أخرى ليحافظ على تلك السمة المعمارية التى تميز المئذنة من خلال تكوين معمارى محلى يتمثل فى القاعدة المربعة والطابق الأسطوانى، وكذلك ليضيف إلى هذه السمة المعمارية الهامة القسم العلوى المكون من الطابق المثمن والجوسق المثمن والقمة والذى يمثل طراز نهايات المآذن فى العصرين الفاطمى والأيوبى، وهو أمر لا يمكن تحقيقه معماريًا إذ ما قام بترميم المئذنة التى لجأ إليها، وإنما يمكن تحقيقه فى ظل وجود أساس متين وقاعدة ضخمة قوية، وهو الأمر الذى أوحى بوجود هذه

القاعدة المربعة الضخمة لتحمل البدن الأسطوانى الضخم ثم القسم العلوى جميعه، فهذه القاعدة الضخمة هى - فى إعتقادى - ضرورة معمارية هامة، وهو الأمر الذى يدل دلالة واضحة على أن المئذنة كانت موضع عناية خاصة من قبل السلطان لاجين ومعماره وعلى ذلك فالمئذنة كلها من أساسها وحتى قمتها من بناء السلطان لاجين فى سنة ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦م.

وفى سنة ٧٦٧ هـ/ ١٣٦٥م، أورد المقريزى "جدد الأمير يلبغا العمرى الخاصكى درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه... وأول من ولى نظره بعد تجديده الأمير علم الدين سنجر الجاولى وهو إذ ذاك دوادار السلطان الملك المنصور لاجين ثم ولى نظره قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة ثم من بعده الأمير مكين فى أيام الناصر محمد بن قلاون فجدد فى أوقافه طاحونا وفرنا وحوانيت فلما مات وليه قاضى القضاة عز الدين بن جماعة"(٤٢٠).

بناء مئذنتين من قبل الناصر محمد بن قلاوون بالجامع

شيد الملك الناصر محمد بن قلاوون مئذنتين بالمسجد فى أوائل القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، وقد هدمت هاتان المئذنتان من بعد وكانت على طرفى جداره الشرقى، بناهما من الآجر، هدمت الأولى فى القرن ١٣ هـ/ ١٩م، وهدمت الثانية الشمالية الشرقية فى سنة ١٩٣٣م لخلل بهما، فقد أورد المقريزى " ثم ولاه الناصر للقاضى كريم الدين الكبير فجدد فيه مئذنتين فلما نكبه السلطان عاد نظره إلى قاضى القضاة الشافعى وما برح إلى أيام الناصر حسن بن محمد بن قلاون فولاه للأمير صرغتمش وتوفر فى مدة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضة وقبض عليه.."(٤٢١).

تجديدات المسجد:

كما أنه من التجديدات التى طرأت على المسجد الرواق البحرى الملاصق للمئذنة فى سنة ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩ م، والميضأة الحديثة، فقد أورد المقريزى "فباشره قاضى

القضاة إلى أيام الأشرف شعبان بن حسين ففوض نظره إلى الأمير الجاى اليوسفى إلى أن غرق فتحدث فيه قاضى القضاة الشافعى إلى أن فوض السلطان الملك الظاهر برقوق نظره إلى الأمير قطلوبغا الصفوى فى العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.. وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة جدد الرواق البحرى الملاصق للمئذنة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى الهويدى البازدار مقدم الدولة. وجدد ميضأة بجانب الميضأة القديمة.."[٤٢٢].

ويذكر حسن عبد الوهاب أن الرواق أزيل كما أزيلت الميضأة كما زالت التربة والمصلى اللتان أنشأهما الشيخ شرف الدين المدينى سنة ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤م فى عمارة سور الزيادة الغربية سنة ١٩٤٣م[٤٢٣].

وفى القرن ١٢هـ/ ١٨م، كان الجامع مهملًا، فشيد فيه مصنع لعمل الأحزمة الصوفية، وظل على إهماله حتى سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م، فتحول إلى ملجأ للعجزة والطاعنين فى السن تحت إشراف كلوت بك فلحق بالجامع تلف كبير، ثم أدركته إدارة حفظ الآثار العربية سنة ١٨٨٢م فوجدته مغلقًا وعقوده مسدودة وسقوفه مفقودة وآيلة للسقوط والدور تحجبه من جميع نواحيه، ومنبره يكاد يكون معدومًا، وزخارفه مشوهة ومحتجبة، وتنقص منه البائكة المشرفة على الصحن بظلة القبلة فوجهت إليه عنايتها فقامت فى المدة بين ١٨٩٠ ـ ١٩١٨م بإزالة الأبنية المستحدثة وأزالت الأتربة والأنقاض، وأصلحت القبة التى تعلو المحراب والمنارة الكبيرة والشبابيك الجصية وجزءا من السقف، كما قامت بالمحافظة على الزخارف الجصية وهدمت بعض الدور التى كانت تحجب الواجهة الشرقية للجامع وأصلحت المنارة الشمالية الشرقية[٤٢٤].

وفى سنة ١٨١٩م رغب الملك فؤاد فى إعادة إقامة الشعائر الدينية فى الجامع فصلى فيه الجمعة فى ٢٢ رجب سنة ١٣٣٦هـ/ ٣ مايو ١٩١٨م، وأمر بتخلية جوانبه وإتمام إصلاحه، وفى عهده تمت تخلية الوجهة البحرية للجامع وفتحت أبوابها وأصلحت أسوارها، وأزيلت الأبنية المحدثة بالزيادة القبلية، كما أخلى قسم

كبير من الوجهتين الشرقية والغربية، وتم تبليط الظلات الغربية والبحرية والقبلية وأصلحت الزخارف الجصية بباطن العقود، وأصلح السبيل الموجود فى الزيادة القبلية وأزيلت الأتربة من الزيادات ومهدت هى والصحن، وأعيد بناء الرواق المشرف على الصحن من الظلة الجنوبية الشرقية، كما عمل لجميع الأروقة سقف من الأسمنت المسلح برسم السقف القديم، ثم غلفت بأخشاب أدخلت فيها الأجزاء القديمة، وأعيد تركيب الازار الكوفي[٤٢٥].

بلغت نفقات هذه الاصلاحات نحو ٤٠.٠٠٠ جنيه، كما بلغت نفقات نزع الملكية نحو ٤٥.٠٠٠ جنيه، وعنى الملك فاروق الأول بالمسجد فأصلح كثيرًا من الشبابيك الجصية، كما أصلح المحراب المستنصرى، ونزعت ملكية بعض الدور التى تلاصق الزيادة الغربية بجوار المنارة الكبيرة، كما بدأت مصلحة التنظيم فى نزع ملكية بقية الدور التى تحجب الوجهتين الشرقية والقبلية[٤٢٦].

وقد صدرت دراسة لأعمال ترميم مئذنة جامع ابن طولون عقب زلزال أكتوبر ١٩٩٢م وتأثير زلزال نوفمبر ١٩٩٥م من قبل سناء عبد المقصود وياسر العسيلى، وتمت أعمال الترميم خلال الفترة من ١٥ / ١١ / ١٩٩٣م إلى ٢٦ / ٤ / ١٩٩٤م، وتطرقت الدراسة فى التمهيد إلى أن الجامع كان يشتمل قديمًا على ثلاث مآذن تهدم منها اثنتان لتصدعهما، وبقيت المئذنة موضوع دراستهما، وبمعاينة الباحثين للموقع على الطبيعة وجدا أن لجنة حفظ الآثار العربية قد حافظت على أماكن المئذنتين أعلى ظلة القبلة بترك بقايا من مبانيهما بالطوب الأحمر من نفس نوعية الطوب المستخدمة فى بناء الحائط الشمالى الشرقى للجامع وكذلك المونة[٤٢٧].

وتطرقت الدراسة إلى موقع المئذنة، وذكرت أنها على بعد ٥.٣٦م وراء جدار الجامع الخارجى و ٩م شمالًا من محوره، كما تطرقت إلى تاريخ المئذنة ووحدة القياس المستخدمة ووصفها وأعمال الترميم من قبل لجنة حفظ الآثار العربية، والرفع المساحى والمعمارى، كذلك تطرقت إلى فحص المئذنة فى أكتوبر ١٩٩٣م سواء من

الخارج أو الداخل، والاستنتاج المبدئ بعد الفحص والأعمال اللازمة التى تم عملها ونتائجها، ثم دراسة البيئة المحيطة والعوامل الطبيعية[٤٢٨].

تناول الفصل الثالث من الدراسة الأسلوب الانشائى للمئذنة بما يشتمل عليه من اتزان المئذنة تحت تأثير الأحمال الاستاتيكية والديناميكية، وسلوك المئذنة فى أثناء الزلزال، والأسلوب المقترح فى الترميم، أما الفصل الرابع فقد تناول برنامج أعمال الترميم، وهو البرنامج الذى تطرق إلى العوامل المؤثرة على المبخرة، واعداد وتنفيذ مشروع الترميم.[٤٢٩]

وتنتهى الدراسة فى الفصل الخامس إلى أن المئذنة الحالية بنيت فى عهد السلطان لاجين، وبنيت القنطرة التى تربط بين الجامع والمئذنة فى عصر متقدم لبناء المئذنة، وتوصى الدراسة للوصول إلى الشكل الأصلى للمئذنة يدرس الآتى:

العشارى أعلى المبخرة، والدروة الخشبية التى وجد أماكن تثبيتها فى أثناء الترميم، ودراسة المآذن الأخرى بظلة القبلة، كما وجدت من خلال رسومات بسكال كوست ولوحات روبرت هاى وبرس دافين التى تؤكد ذلك ويظهر فيه العشارى أعلى المبخرة، والدروة الخشبية، والشرافات أعلى الجزء الأسطوانى.[٤٣٠]

ولقد قام المجلس الأعلى للآثار بترميم المسجد بعد رصد مظاهر التدهور التى تمثلت فى المياه السطحية والرطوبة بالحوائط واستخدام مواد غير متوافقة مع طبيعة المواد الأثرية، حيث تم استخدام الأسمنت فى أعمال ترميم سابقة، فضلًا عن وجود فراغات داخل الحوائط والدعائم، وتلف معظم الأرضيات، وتم عمل كافة الأرصاد المساحية والرفع المعمارى وكذلك الرفع الفوتوغرافى لكل الأجزاء، ثم دراسة الاتزان الانشائى للعناصر الانشائية مثل العقود والدعامات والمئذنة، ودراسة تربة التأسيس الصخرية وغير ذلك[٤٣١].

وقد كشفت أعمال الحفائر التى تمت قبل البدء فى أعمال الترميم عن ثلاثة

صهاريج أحدها أسفل سبيل السلطان لاجين فى الزيادة الغربية فى الموقع المجاور لأحد أبواب الجامع من ناحية شارع الزيادة، وهو السبيل الذى جدده السلطان قايتباى ثم قامت لجنة حفظ الآثار العربية بترميمه فى عهد الملك فؤاد الأول، أما الصهريج الثانى والثالث ففى الطرف الغربى من الزيادة الشمالية الغربية، ومن مسقط دائرى. وقد شملت أعمال الترميم الأساسات والحوائط وأعمال الأرضيات وعزل الرطوبة، والأسقف الخشبية والزخارف الجصية والعناصر الزخرفية، أما فيما يتعلق بأعمال الترميم الدقيق فقد تم دراسة المحاريب الجصية ورصد مظاهر التلف والتدهور بها ثم أعمال الترميم والعلاج، ودراسة الشبابيك الجصية والكرانيش المحيطة بعقود المسجد وأسفل السقف ورصد مظاهر التلف والتدهور بها ثم أعمال الترميم والعلاج، ودراسة السرر التى يزدان الصحن بها فى واجهاته، ورصد مظاهر التلف والتدهور ثم أعمال الترميم والعلاج وغير ذلك من طبقات الملاط بالحوائط الخارجية، وبواطن العقود المزخرفة، والتيجان، والأعمال الخشبية مثل الأبواب ودكة المبلغ والسقف الخشبى والازارات، ثم الآجر والأحجار وأعمال الرخام[٤٣٢].

عمارة حصن الجزيرة بمصر

٢٦٣ هـ / ٨٧٧م

يحدثنا البلوى عن عمارة دفاعية أو عسكرية فى عهد أحمد بن طولون بمصر تتمثل فى بناء حصن على الجزيرة بلغت النفقة عليه ٨٠٠٠٠ دينار واستغرق العمل فيه نحو عشرة أشهر، وذلك بما نصه "وخرج موسى بن بغا.. وعزم على أن يقصد مصر.. وخرج حتى بلغ الرقة، واتصل ذلك بأحمد بن طولون.. فعمل على محاربة موسى، وتأمل البلد فعلم أنه لا يفتح إلا من جهة نيله، فأراد لكبر همته و (كثرة) فكره فى العواقب، أن يبنى حصنًا على الجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة، ليكون معقلًا لحرمه لكثرتهم كانوا ولذ خائره، ويستعمل بعد ذلك لحرب من يأتيه.. وأمر ببناء الحصن على الجزيرة.. فأقام موسى بن بغا بالرقة عشرة أشهر.. وكان أحمد بن طولون مجدًا فى بناء الحصن على الجزيرة، وقد ألزم قواده وثقاته أمره، وفرقه قطعًا، وألزم كلًا منهم قطعة يكد نفسه بالفراغ منها، ويتعاهدهم هو بنفسه فى كل يوم يشرف عليهم، ولا يعلم أن الله عز وجل قد كفاه وأغناه عما يعانيه، وما يشك أحد أن كل طوبة بنيت فيه تقوم على أحمد بن طولون بدرهم صحيح. ولما تتابعت الأخبار بموت موسى بن بغا كف عن البناء وتصدق بمال كثير.. وما رأى الناس شيئًا كان أعجب من ذلك الجد العظيم فى البناء، ومباكرة الصناع فى السحر، حين يخرجون من منازلهم فى كل يوم، حتى انقطع ذلك فلم ير أحد من الصناع أحدًا يطلبه، فكان كأنه نار صب عليه ماء فخمد من وقته، ووهب للصناع كل ما كان سلفًا عليهم"(٤٣٣).

وقد أورد الكندى "وتقدم أبو أحمد الموفق إلى موسى بن بغا فى صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماجور التركى.. فخرج موسى بن بغا فنزل الرقة وبلغ ابن طولون أنه سائر إليه وأنه مجد فى محاربته فعمل أحمد بن طولون فى الحذر منه وابتدأ فى بنيان حصن الجزيرة الذى بين الجسرين ورأى أن يجعلها معقلًا لماله وحرمه وذلك فى سنة ثلاث وستين. واجتهد أحمد بن طولون فى بنيان المراكب الحربية وإطافتها بالجزيرة"[٤٣٤].

وفى ذلك أورد ابن دقماق فى الانتصار عند ذكره الروضة "هى جزيرة فى وسط البحر والبحر دائر عليها من جميع جهاتها وهى بين الفسطاط والجيزة وبطرفها من الجنوب دار المقياس وكانت حصينة.. قال الكندى وتعرف قديما بجزيرة الصناعة واستمرت خرابا إلى أن عمر حصنها أحمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حريمه وماله.. ولم يزل حصنا إلى أن أخذه النيل شيئا بعد شىء وهدمه"[٤٣٥].

وقد ذكر المقريزى هذا الحصن عندما ذكر الروضة بما نصه "أعلم أن الروضة تطلق فى زماننا هذا على الجزيرة التى بين مدينة مصر ومدينة الجيزة وعرفت فى أول الإسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن وعرفت إلى اليوم بالروضة وإلى هذه الجزيرة انتقل المقوقس لما فتح الله تعالى على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط وبها أيضا بنى أحمد بن طولون الحصن وبها كانت الصناعة يعنى صناعة السفن الحربية أى كانت بها دار الصناعة"[٤٣٦].

ويعلق فريد شافعى على الصناعة أن أحمد بن طولون شيد دارًا لصناعة السفن فى جزيرة الروضة سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م، وهى الدار التى انتفع بها بعد ذلك عندما بدأ فى بناء حصنه بالجزيرة، إذ اجتهد فى بناء المراكب الحربية بدار الصناعة، وجعلها تطوف بالجزيرة لحراستها، وتزيد من فرص الدفاع عن الحصن وتقوى من منعته[٤٣٧].

طاعون بخراسان وقومس

وفى أحداث سنة "أربع وستين ومائتين" أورد ابن الأثير" وفيها وقع الطاعون بخراسان جميعها وقومس، فأفنى خلقًا كثيرًا"(٤٣٨).

كسوة الكعبة

وفى أحداث سنة "ست وستين ومائتين" أورد الطبرى "وفيها وثبت الأعراب على كسوة الكعبة، فانتهبوها، وصار بعضها إلى صاحب الزنج، وأصاب الحاج فيها شدة شديدة"(٤٣٩).

غلاء بإفريقية

وأورد ابن الأثير "وفيها كان بإفريقية غلاء شديد وقحط عظيم، كادت الأقوات تعدم"(٤٤٠).

زلزلة فى العالم الإسلامى

وفى أحداث سنة "سبع وستين ومائتين" أورد ابن الأثير "وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام. ومصر، وبلاد الجزيرة، وإفريقية، والأندلس، وكان قبلها هدة عظيمة قوية"(٤٤١).

زلازل وأمطار وصواعق ببغداد

وفى أحداث سنة "ثمان وستين ومائتين" أورد الطبرى "وفى شهر ربيع الأول منها زلزلت بغداد لثمان خلون منه، وكان بعد ذلك ثلاثة أيام مطر شديد، ووقعت بها أربع صواعق"(٤٤٢).

كسوف الشمس والقمر

وفى أحداث سنة "تسع وستين ومائتين" أورد الطبرى "وفى المحرم منها فى ليلة أربع عشرة انخسف القمر وغاب منخسفًا، وانكسفت الشمس يوم الجمعة لليلتين بقيتا من المحرم وقت المغيب، وغابت منكسفة، فاجتمع فى المحرم كسوف الشمس والقمر"(٤٤٣).

لعن المعتمد لابن طولون على المنابر

ومن الأحداث التى أوردها ابن الأثير فى سنة "تسع وستين ومائتين" ما نصه "وفيها لعن المعتمد أحمد بن طولون فى دار العامة وأمر بلعنه على المنابر، وولى إسحاق بن كنداجيق على أعمال ابن طولون، وفوض إليه من باب الشماسية إلى إفريقية، وولى شرطة الخاصة. وكان سبب هذا اللعن أن ابن طولون قطع خطبة الموفق، وأسقط اسمه من الطراز (الطرز)، فتقدم الموفق إلى المعتمد بلعنه، ففعل مكرهًا، لأن هوى المعتمد كان مع ابن طولون"(٤٤٤).

وفى ذلك أورد البلوى "وكان أحمد بن طولون لما أسقط اسمه والدعوة له على المنابر، أمر أن يمحوا اسمه عن الطرز التى قد كتبت قبل ذلك، ولا تكتب فيما يستأنف، فلم يبق بمصر ولا بنواحيها ثوب على طرازه اسم الموفق إلا نقض، فلحق الناس فى ذلك مشقة"(٤٤٥).

المدينة الموفقية:

أورد الطبرى فى أحداث سنة "سبعين ومائتين" ".. وأمر الموفق أن يكتب إلى أمصار الإسلام بالنداء فى أهل البصرة والأبلة وكور دجلة وأهل الأهواز وكورها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزنج بقتل الفاسق، وأن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم. ففعل ذلك، فسارع الناس إلى ما أمروا به، وقدموا المدينة الموفقية من جميع النواحى. وأقام الموفق بعد ذلك بالموفقية ليزداد الناس بمقامه أمنًا وإيناسًا"(٤٤٦).

وقد ذكر ياقوت الحموى الموفقى بقوله "الموفقى: بالضم ثم الفتح، منسوب إلى الموفق أبى أحمد الناصر لدين الله بن المتوكل على الله وأخى المعتمد على الله ووالد المعتضد بالله وكان قد ولى عهد أخيه: وهو نهر كبير حفره الموفق، قصبة أعلاه بزوفرو قصبة أسفله خسرو سابور قرب واسط وخسرو فيروز"(٤٤٧).

وفاة أحمد بن طولون بمصر
٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م

توفى أحمد بن طولون فى سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م، وخلفه ابنه أبو الجيش خمارويه، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "سبعين ومائتين" وفاة أحمد بن طولون، وذلك بما نصه "ولست خلون من شعبان منها، ورد الخبر بموت أحمد بن طولون مدينة السلام - فيما ذكر. وقال بعضهم: كانت وفاته يوم الاثنين لثمان عشرة مضت من ذى القعدة منها"(٤٤٨).

وفى ذلك أورد ابن الأثير "فى هذه السنة توفى أحمد بن طولون، صاحب مصر، والشام، والثغور الشامية"(٤٤٩).

دور طولونية

أمدنا ابن دقماق باسم الدار التى اشتراها أحمد بن طولون لابنه عدنان، حيث أورد "(دار على بن صالح) التى عند المسجد الأخضر اشتراها أحمد بن طولون لابنه عدنان"(٤٥٠)، أما "الشرطة العليا" فقد "كانت دار أحمد بن طولون قبل أن ينتقل إلى القطائع"(٤٥١)، أما "الصناعة الكبرى من الساحل "فقد كانت "هى دار خديجة ابنة الفتح بن خاقان زوجة أحمد بن طولون وكان بها سلم ينزل منه إلى البحر فنسب إليها فعملها الاخشيد هذه الصناعة فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكانت الصناعة قبل ذلك بالجزيرة(٤٥٢).

حصن (قلعة) يافا :

أورد البلوى عند ذكره بعض أفعال ابن طولون الجميلة بناء حصن يافا بما نصه "ومن ذلك بناؤه حصن يافا لأنها لم يكن لها حصن، ومات قبل الفراغ منه وأتمه بعده ابنه أبو الجيش"[٤٥٣]، وفى ذلك أورد ابن الأثير "وكانت إمارته نحو ست وعشرين سنة.. وهو الذى بنى قلعة يافا، وكانت المدينة بغير قلعة"[٤٥٤].

قناطر مياه ابن طولون بمصر

قبل سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م

من المنشآت المائية التى ترجع إلى عهد أحمد بن طولون قناطر المياه التى تعرف الآن بمجرى الإمام، وقد أورد البلوى بناء العين بالمعافر بما نصه "ثم العين التى بالمعافر بناها بنية صحيحة، ورغبة قوية جميلة، حتى إنـها ليس لـها نظير. ولقد اجتهد الماذرائيون وأنفقوا الأموال الـخطيرة ليحكوها فأعجزهم ذلك، لأنـها وقعت فى موضع جيرانه كلهم محتاجون إليها، وهى مفتوحة طول النهار لـمن كشف وجهه للأخذ منها، ولمن كان له غلام أو جارية، والليل كله للضعفاء والمستورين والمستورات. فهى لهم حياة ومعونة. واتخذ لها المستغل الذى فيه فضل عن الكفاية"(٤٥٥).

وذكر ابن دقماق قناطر أحمد بن طولون وبئره بما نصه "بظاهر المعافر كان السبب فى عمارة هذه القناطر أن أحمد بن طولون ركب فمر بمسجد الاقدام وحده وتقدم عسكره وقد كده العطش وكان فى المسجد خياط فقال يا خياط عندك ماء فقال نعم فأخرج له كوزا فيه ماء وقال اشرب ولا تمد فتبسم أحمد بن طولون وشرب فمد فيه حتى شرب أكثره ثم ناوله إياه وقال يا فتى سقيتنا وقلت لا تمد فقال نعم أعزك الله موضعنا ها هنا منقطع وإنما أخيط جمعتى حتى أجمع ثمن راوية فقال له والماء ها هنا عندكم معوز فقال نعم فمضى أحمد بن طولون فلما حصل فى داره قال جيؤنى الساعة بخياط فى مسجد الاقدام فما كان بأسرع من أن جاؤا به فلما رآه قال سرمع

المهندسين حتى يخطوا عندك موضع سقاية.. فجدوا فى العمل.. وكان قد أشير عليه بأن يجرى الماء من عين أبى خليد المعروفة بالنعش فقال هذه العين لا تعرف إلا بابى خليد وأنا أريد أن استنبط بئرا فعدل عن العين إلى الشرق واستنبط بئره هذه وبنى القناطر وأجرى الماء إلى الفسقية التى بقرب درب سالم.. وتعرف هذه البئر التى عمرها أحمد بن طولون بعفصة الكبرى"[٤٥٦].

وأورد المقريزى عند ذكره قناطر ابن طولون وبئره "هذه القناطر قائمة إلى اليوم من بئر أحمد بن طولون التى عند بركة الحبش وتعرف هذه البئر عندنا ببئر عفصة ولا تزال هذه القناطر إلى أثناء القرافة الكبرى ومن هناك خفيت لتهدمها وهى من أعظم المبانى.قال القضاعى قناطر أحمد بن طولون وبئره بظاهر المغافر كان السبب فى بناء هذه القناطر.. وقال جامع السيرة الطولونية.. والذى تولى لأحمد بن طولون بناء هذه العين رجل نصرانى حسن الهندسة حاذق بها.. وكان مبلغ النفقة على هذه العين فى بنائها ومستغلها أربعين ألف دينار وأنشد أبو عمرو والكندى فى كتاب الأمراء لسعيد القاص أبياتا فى رثاء دولة بنى طولون منها فى العين والسقاية:

وعين معين الشرب عين زكية	وعين أجاج للرواة وللطهر
كأن وفود النيل فى جنباتها	تروح وتغدو بين مد إلى جزر
فأرك بها مستنبطا لمعينها	من الأرض من بطن عميق إلى ظهر
بناء لو أن الجن جاءت بمثله	لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر
يمر على أرض المغافر كلها	وشعبان والاحمور والحى من بشر
قبائل لانوء السحاب يمدها	ولا النيل يرويها ولا جدول يجري

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون سريع فخذ من الأشعريين هم ولد سريع بن مانع.. وهم رهط أبى قبيل التابعى الذى خطته اليوم الكوم شرقى قناطر سقاية أحمد بن طولون المعروفة بعفصة الكبيرة بالقرافة[٤٥٧].

ويذكر فريد شافعى أن ابن طولون ترك أثرًا مهمًا آخر هو قناطر المياه التى يتوصل إليها من نفس الطريق الموصل إلى قرافة البساتين، ويعد برج المأخذ المتصل بالقناطر هو أكثر الأجزاء الباقية تماسكًا، شيد عند حافة صخرة بارزة من الأرض عند نقطة يخرج منها واد صغير اقتطع من الصخر ويتجه نحو السهل الخصب لقرية البساتين، والبرج كتلة بنائية مستطيلة الشكل ١٨ × ١٥م مشيدة بالآجر صغير الحجم بداخلها بئر مفرغ مفتوح إلى السماء، وعلى جانبيه غرفتان يغطيهما قبوان، وينقسم البئر إلى قسمين، ويسحب الماء منهما بواسطة ساقيتين خشبيتين ترفعانه إلى المجرى فوق ظهر البرج، ثم يسير منه فى مجرى وضع فوق القناطر التى تخرج من البرج فى انحراف يبلغ ١٤٠ درجة على جانب البرج الشمالى، وبعد نحو ١٧م ينحرف اتجاه القناطر من الشمال الغربى إلى الشمال بميل قليل نحو الغرب، ثم ينحرف مرة أخرى بعد ١٢٢م نحو الشمال بميل إلى الشرق، ويمتد بعد ذلك خط مستقيم نحو مئذنة شاهين أغا الخلواتى، غير أن أكثر عقود هذه القناطر قد تهدم وأصبح فى حالة خربة(٤٥٨).

ويتناول سامى نوار الواجهة الشرقية الرئيسية فيذكر أنها مهدمة، وقد تم بها بعض الترميمات لنصفها السفلى فقط، وهى تتكون من حجرتين مستطيلتين تربط بينهما فتحة باب تتوسط الجدار الفاصل بين الحجرتين والذى يرتفع حتى مستوى ارتفاع الواجهة ليبدأ من فوقه عقد نصف دائرى يصل إلى قمة الواجهة ويغطى سقف الحجرتين قبوان برميليان، وقد كان بالجدار الداخلى للحجرة الداخلية فتحة تؤدى إلى بئر السقاية لكنها سدت الآن بالطوب الأحمر، ويرجح سامى نوار أن هذه الواجهه قبل سقوطها كانت تزدان من أعلى بثلاث حنيات معقودة بثلاثة عقود مدببة تشبه تلك العقود الموجودة بالجدار الجنوبى الغربى لبرج مأخذ السقاية، أما الواجهة الجنوبية فقد خلت من الفتحات، وهى بحالة جيدة إلى حد ما بالمقارنة مع الواجهات الثلاث الأخرى لبرج مأخذ السقاية التى يظهر بها تأثير المياه على الجدران السفلية والعلوية ببرج المأخذ، ويزدان القسم العلوى لهذه الواجهة على

مسافة ٥٠سم من السطح بسبع دخلات يبلغ ارتفاع كل منها ١.٥ م بعرض ٨٠ سم وبعمق ١٣ سم، وتتوج هذه الدخلات سبعة عقود نصف دائرية وضعت فى صف أفقى واحد، وقد كسيت بعض أجزاء منها بالملاط بلون أصفر[٤٥٩].

أما فيما يتعلق بالواجهة الغربية فهى متهدمة إلى حد ما، وقد رمم نصفها السفلى الذى تتوسطه فتحة يتوجها عقد نصف دائرى، وتشتمل فى نصفها العلوى على مسافة ٥٠ سم من السطح على ثلاث دخلات معقودة بعقود نصف دائرية وضعت فى صف أفقى واحد، ويوجد أسفل الدخلة الوسطى فتحة غير أصلية يدل على ذلك كما يذكر سامى نوار حجمها الكبير وشكلها غير المنتظم وموقعها الذى لا يتفق والشكل العام للواجهة، أما الدخلة التى تقع بأقصى اليسار فيلاحظ أنها قد اندثرت ووضع الدبش فى موضعها وكذلك الجزء العلوى لهذه الواجهة، ويلتصق بأقصى الركن الشمالى للواجهة منحدر يؤدى إلى سطح برج المأخذ، وقد صمم هذا الشكل لصعود الدواب التى تدير الساقيتين، ويوجد بأسفل المنحدر فتحة غير منتظمة الشكل حاليًا تؤدى إلى دهليز بأسفل المنحدر السابق ذكره، وهذا الدهليز يبلغ طوله ٦م بعرض ١.٢م وبارتفاع يتدرج ما بين ٢.٥ إلى ٤م، ويغطيه قبو برميلى، وينتهى بأربع درجات سلم حجرية تؤدى إلى حجرة مستطيلة الشكل ١٥ × ١٣م بارتفاع ٣.٥م يسقفها قبو برميلى، وتوجد بمنتصف الجدار الشرقى للحجرة دخلة معقودة بعقد نصف دائرى يقابلها بالجدار الغربى للحجرة فتحة غير أصلية يرجح أنها كانت دخلة معقودة، وقد خصصت هذه الحجرة للقائمين على العمل بالبئر وربما كما يذكر سامى نوار لتشوين الاحتياجات الضرورية لتشغيل السقاية، أما فيما يتعلق بالواجهة الشمالية فهى غير منتظمة الشكل بسبب خروج عقود السقاية من الطرف الشمالى الغربى التى يسبقها حجرة مستطيلة الشكل مقببة بقبو برميلى تشغل المساحة التى بأسفل الحجرة العلوية بالجدار الغربى، ويعتبر برج مأخذ السقاية نموذجًا مبسطًا للسقايات بعد ذلك[٤٦٠].

أما فيما يتعلق بسطح البرج فيصعد إليه من خلال المنحدر الذى يقع بالركن

الشمالى للواجهة الغربية، ويتوسط السطح فتحتان مستطيلتان كان يركب بهما الترسان الرأسيان اللذين يشتملان على القواديس التى ترفع الماء من خلال سلسلة طويلة تصل بين البئر وسطح برج المأخذ، ويوجد حوض بين الفتحتين فى الوسط لتجميع مياه القواديس، وينتهى الحوض من جانبه الشمالى بمجراة مستطيلة تنخفض عن سطح برج المأخذ بـ ٢٢سم بعرض ٤٠ سم، وهذه المجراة تتجه شمالًا بغرب لتخرج من البرج موازية للمنحدر الذى يؤدى إلى السطح محمولة فوق عقود السقاية، وقد حمل حوض تجميع المياه على عقدين مدببين، ويلاحظ أن هذا العقد قد شيد أسفله عقد آخر صنجاته أقل حجمًا من العقد العلوى، وقد ملئت المسافة بين العقدين بالآجر المرصوص فى وضع أفقى، وربما كما يذكر سامى نوار أن العقد السفلى شيد لتقوية العقد العلوى فى تاريخ لاحق على بناء السقاية.

والحوض يرتفع عن السطح المتعدد الارتفاع فى أجزائه بسبب الهدم بـ ٣٧سم، أما فيما يتعلق بعقود مجرى السقاية فهى تخرج من الركن الشمالى الغربى فى سلسلة متتابعة من العقود والبوابات، ويخرج من برج المأخذ فى اتجاه الشمال ثمانى دخلات معقودة بعقود مدببة يليها عقد مدبب مفتوح ثم ثمانى دخلات تتوجها عقود مدببة يليها عقد مفتوح ثم ١٢ دخلة معقودة بعقود مدببة ثم نجد عقدين مدببين، وعلى ذلك الجزء مسافة مهدمة إلى حد بعيد من جسم السقاية، وبعد مسافة نصف كم يلاحظ أنه يكثر استخدام الدبش فى البناء بطريقة تدل على أنه وضع لترميم الأجزاء المتهدمة من السقاية فى عصور لاحقة على عهد عمارتها، وتتوالى العقود الحاملة للمجرى المائى الذى يبلغ عرضه ٤٨سم، وهو مغطى بالخافقى لمنع تسرب المياه لجسم السقاية، ويقل ارتفاع السقاية تدريجيًا بسبب ارتفاع الأرض إلى أن تختفى السقاية جنوب شارع ٩ تعويضات الرحمة سابقًا[٤٦١].

ويضيف فريد شافعى أنه يبدو أن الأمر قد التبس على المقريزى فيما يتعلق باسم من شيد القناطر فقد ذكر المقريزى أن الملك الكامل محمد لما دفن ابنه فى سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١م، بحوار قبر الإمام الشافعى، وبنى القبة على قبره، أجرى لها الماء من

بركة الحبش بقناطر متصلة، فكان ذلك سببًا فى زيادة العمران فى تلك القرافة، غير أن طريقة بناء قناطر البساتين لا تدع مجالًا للشك بأنها وثيقة الاتصال بأسلوب بناء جامع ابن طولون مما يرجح نسبة القناطر إلى أحمد بن طولون، أى أن المقريزى كما يذكر فريد شافعى قد صدق فى جزء من قصته عن بناء ذلك الجامع أن المهندس الذى بناه كان هو نفسه الذى بنى تلك القناطر من قبل، أى قبل سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م وهو تاريخ البدء فى بناء الجامع، أما بقية القصة الخاصة بأن المهندس كان نصرانيًا فهى غير صحيحة[٤٦٢].

ويعلق فريد شافعى على القصة التى رواها ابن دقماق وتقدم ذكرها أنه مما يسترعى انتباهنا ما هناك من ضعف فى هذه القصة، فليس من المنطق أن ينفق ابن طولون المال الكثير الذى تكلفه بناؤها لمجرد نقل المياه إلى بقعة من الصحراء أو من القرافة لا ينتظر أن يسكنها إلا النفر اليسير من الناس، وأنه لابد من وجود سبب وحافز آخر أقوى مما ذكره ابن دقماق، وقد دعانا ذلك الشك كما يذكر فريد شافعى إلى أن نتتبع موقع القناطر ومأخذ مياهها على الخريطة المساحية، فتبين لنا أن كازانوفا (Casa nova) قد زحزحها عن موقعها الحقيقى، وذلك فى الخريطة التى جمع فيها نتائج بحثه وتحليله لما ذكره المؤرخون عن أحياء الفسطاط فى الدراسة التى نشرها عن طبوغرافيتها، هذا وقد صححنا موضع القناطر فى الخريطة التى أعددناها للعاصمة الكبيرة القديمة، كما وضحنا تخطيط القناطر فى رسم تفصيلى آخر، ونتبين من ذلك أن خط سيرها لا يسمح بأن تصل إلى البركة عند عين الصيرة كما ظن كازانوفا، بل يبعد عنها بمقدار كيلو مترين تقريبًا[٤٦٣].

وخلص فريد شافعى إلى بضع نتائج معمارية وحضارية من استعراض موقع هذه القناطر وعلاقتها بأعمال ابن طولون، ذلك أنه يتبين أن بداية القناطر أى البئر المشيدة التى كان يرفع منها الماء بواسطة ساقيتين تعين ـ حسب أقوال المؤرخين ـ نقطة على حدود بركة الحبش التى كانت تشغل مساحة كبيرة من الأرض فى جنوب الفسطاط من القرافة الكبرى إلى شمال قرية البساتين أو بساتين الوزير، وأن الحدود

الشمالية للبركة كانت تبعد نحو كيلو مترين ونصف عن ضريح الإمام الشافعى، ويتضح أيضًا أن بركة الحبش ظلت تستمد ماءها من النيل مباشرة فترة طويلة من الزمن وذلك عن طريق بركة (الشعبية) ثم خليج بنى وائل الذى كان يخرج من النيل جنوب قصر الشمع بنحو ٣٠٠م، أى قبل أن يتفرع عند رأس جزيرة الروضة إلى فرعيه المعروفين، وأحدهما الفرع الذى يسير بحذاء الفسطاط، والذى يحدثنا المؤرخون عنه أنه كان ينحسر شيئًا فشيئًا عن أرض تضم من ضفته الشرقية إلى مساحة الفسطاط مناطق جديدة مع مرور الوقت، حتى ضاق مجراه إلى حد أنه كان يجف وقتًا من السنة حتى يأتى موسم الفيضان التالى وهكذا[٤٦٤].

ويضيف فريد شافعى أن كل ذلك جعل المناطق على شواطئ بركة الحبش تحتفظ بمياه جوفية طوال السنة ويمكن استخراجها بسهولة نسبية من آبار تحفر على قرب منها، ولو تتبعنا بقايا قناطر ابن طولون من عند بئر المأخذ واتجاهها نحو الشمال لوجدنا أن امتدادها يسير ليتصل بامتداد شارع سيدى عقبة حتى ميدان مسجد الإمام الشافعى، وقد قطع امتداد القناطر فى الوقت الحاضر التقسيم الجديد لقرافة سيدى عقبة الذى خطط منذ عهد قريب جنوب ضريح الإمام الليث، كذلك لو زدنا فى امتداد خط اتجاه القناطر على استقامة شارع سيدى عقبة من ميدان مسجد الإمام الشافعى نحو الشمال لوجدناه يسير مطابقًا تقريبًا لخط شارع الإمام الشافعى حتى يصل إلى موضع سجن مصر الذى تقرر هدمه أخيرًا لتضم أرضه إلى الميدان الذى يبدأ من هذا الموضع حتى ميدان صلاح الدين، وهذه المنطقة كلها هى التى كان يشغلها القصر العظيم الذى بناه أحمد بن طولون لنفسه فى شمال القطائع وسمى قصر الميدان وجعل منه الحدائق الغناء والبساتين العامرة والملاعب والساحات، فكان القصر مترامى الأطراف، وكان لابد من تزويد كل ذلك بالماء الغزير، أو الكافى على الأقل[٤٦٥].

ويضيف فريد شافعى أن أول ما يتبادر إلى الذهن أن تحفر عدة آبار كافية لذلك الغرض، وقد وفق ابن طولون فى اختيار موضع البئر عند شاطئ بركة الحبش

لتحقيق الغرضين اللذين يغلب على ظننا أن أحمد بن طولون كان يهدف إليهما من بنائه لقناطر المياه، وهما حمل الماء إلى كل من قصره ومنطقة القرافة التى بها قبر الإمام الشافعى الذى توفى ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م، ودفن فى مقابر أولاد عبد الحكم، ويبدو أنها القناطر التى جددها الملك الكامل فظن المقريزى أنها من بنائه، وهناك ميزة هندسية واقتصادية يوفرها موقع وتخطيط القناطر، هى فارق نحو ١٠م فى الارتفاع بين منسوب الأرض عند بئر مأخذ القناطر على شاطئ بركة الحبش وبين منسوب الأرض عند شاطئ النيل، ولا يقتصر الاقتصاد فى النفقة على بناء القناطر ومأخذ المياه من ناحية ذلك الارتفاع الكبير فحسب، بل أيضًا من ناحية ما يترتب عليه من عرض القناطر نفسها، فقد أمكن عمل العرض نحو ١.٥٠م فقط، بينما تطلب ارتفاع قناطر الناصر محمد بن قلاوون من عند فم الخليج والمعروفة بمجرى العيون أن يقرب عرضها من ٣م بل يزيد على ذلك فى بعض المواضع، وقد يتبادر إلى الأذهان أن تزويد مدينة القطائع بالماء كان يتم بواسطة قناطر ابن طولون، ولكننا لسنا نظن ذلك بسبب أن منسوب الأرض حول جامع ابن طولون ينخفض بكثير عن منسوب ميدان صلاح الدين ولا يعلو إلا قليلًا عن شاطئ النهر مما كان يسمح بحفر الآبار فى سهولة نسبية(٤٦٦).

تعرضت السقاية لعديد من الاصلاحات كما تعرضت كذلك لأعمال الهدم والتعدى فقد قامت مصلحة المناجم فى سنة ١٩٢٨م بالتصريح بعمل ثغرة فى جدران السقاية والسماح بعمل خطى سكة حديد بخارية "ديكوفيل"، وأوصت لجنة حفظ الآثار العربية بمخابرة مصلحة المناجم لازالة هذين الخطين، ثم وافقت اللجنة فى ٢٧ نوفمبر ١٩٢٨م لنظارة المناجم على فتح ثغرة فى السقاية لا يزيد اتساعها عن ٩م، وأن تحدد هذه الثغرة بجدارين، وتستعمل لمرور السكة الحديد التى تستخدم فى نقل الرمل من البساتين(٤٦٧).

وقد تم عمل حرم على جانبى السقاية إلى أثر سيدى عقبة(٤٦٨).

زلزلة بمصر

وفى أحداث سنة "اثنتين وسبعين ومائتين" أورد الطبرى "ووردت الأخبار فيها أن مصر زلزلت فى جمادى الآخرة زلازل أخربت الدور والمسجد الجامع"[٤٦٩].

غلاء ببغداد

كما أورد "وفيها غلا السعر ببغداد.. وفيها ضجت العامة بسبب غلاء السعر"[٤٧٠].

مسجد جواثى حوالى ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م

تقع جواثى بمحافظة الاحساء على مسافة ١٨ كم باتجاه أقصى الركن الشمالى الشرقى لمدينة الهفوف، وإلى الشمال الشرقى من قرية الكلابية بمسافة ٣ كم، وتعد جواثى من بين مواقع الاستقرار الأولى فى المنطقة الشرقية، وتضم مدينة جواثى أول مسجد أقيمت به صلاة الجمعة فى الإسلام بعد المسجد النبوى بالمدينة، وقد عرف بمسجد عبد القيس، وبقيت المدينة ذات نشاط تجارى طوال العصر الأموى حتى العصر العباسى الأول ١٣٢ ـ ٢٣٢ هـ، ثم جرى تخريب المدينة وحرق بيوتها[٤٧١].

يقع مسجد جواثى وسط منتزه جواثى، وقد عثر عليه مصادفة تحت جدران أساسات المسجد العلوى المعروف بمسجد جواثى، فقد كشف عنه فى أثناء أعمال ترميم وتدعيم أساسات المسجد العلوى فى ٢٤ / ١٢ / ١٤١٢ هـ، ويضم مسجد جواثى ثلاث مراحل معمارية تمثل تأريخ المسجد، ولعل المرحلة الثانية أوضح المعالم المعمارية للمسجد، حيث اكتملت فيها عناصر صورته الإنشائية بشكل واضح، ويمثل هذه المرحلة المسجد المكتشف، وهو عبارة عن بناء مستطيل الشكل أبعاده ١١ × ١٣.٢٠م، يشتمل على ساحة خارجية يطلق عليها صحن المسجد، ويتقدم هذه الساحة ظلة كبيرة من ثلاث بلاطات (ثلاثة أروقة) أطوالها ٩.٢٥ × ١٣.٢٠ م، ويشتمل المسجد على أربعة محاريب رمزية متماثلة فى تفاصيلها، ثلاثة منها تقع فى جدار القبلة، والرابع يتوسط جدار باتكة البلاطة الثانية (الرواق الثانى)، وقد حفرت فى واجهة جصية تغطى الجدار، تظهر عليها بقايا ألوان حمراء مرسومة، وتبدو آثار سور ضخم مدعم بأبراج نصف دائرية ملاصق لجدار قبلة المسجد، يوحى بأن المسجد يقع ضمن أسوار قلعة حصينة، واستنادًا إلى نتائج تحليل طبقة الجص التى تغطى أرضيات المسجد يمكن تأريخه بسنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م[٤٧٢].

قصر المعشوق ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م

يقع هذا القصر الذى يعرف فى الوقت الحاضر باسم العاشق على طريق بغداد ـ الموصل الرئيسى بمسافة ١٢٥كم شمالى مدينة بغداد على الضفة الغربية لنهر دجلة مقابل دار الخليفة، وإلى الجنوب من قصر الجص فى الحويصلات، وهو على بعد ١٥ كم فى شمال مدينة سامراء الحديثة بالجانب الغربى من دجلة، وعلى بعد ٩ كم من قصر الجص، وقد حظى هذا القصر باهتمام المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب، كما حظى بعناية علماء الآثار والباحثين الأجانب، كذلك أولته المؤسسة العامة للآثار عناية خاصة خلال المواسم ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤م، و ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م، و ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م، و ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧م[٤٧٣].

يتألف القصر من طابقين، وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله ١٣١م من الشمال إلى الجنوب، وعرضه ٩٦م من الشرق إلى الغرب، يحيط به سور تدعمه أبراج، وبين هذا السور والقصر عدة منشآت، ويلتف حول القصر وسوره خندق واسع كان يأخذ مياهه من قناة جوفية، وكان الخندق مرتفعًا بالنسبة إلى منسوب مياه نهر الاسحاقى، ويبلغ عرض الخندق ٤٠م، ويشاهد أمام القصر آثار لبركة واسعة، ويشتمل كل ركن من الأركان الأربعة للسور على برج، كما يشتمل على ستة أبراج فى الجانبين الشرقى والغربى، وأربعة فى الجانب الجنوبى، واثنان فى الجانب الشمالى بسبب وجود البوابة البارزة، وتوجد بقايا جدران فى الجهة الشمالية تدل على مرافق القصر، وقد وجد أن جدران الجهة الأمامية تلاصق من الخارج مجموعة من الغرف بهيئة مستطيلات متوازية ومتعامدة على هذا الجدار، وظهر أن إحداها وهى الغرفة

الشرقية تكون ممرًا يؤدى إلى مرافق القصر العليا، ويحتمل أن يكون هذا الممر مدخلًا للقصر من جهته الشمالية، وشيد المدخل بهيئة سلم منحدر، ويرتفع هذا البناء إلى ٤ م، ثم ينعطف نحو اليسار، وبعد مسافة ١١م ينحرف مرة أخرى نحو اليسار مشكلًا ممرًا يصل نقطة فوق باب المدخل، وظهرت دلائل معمارية تؤكد استمرارية السلم وانعطافه يسارًا ومرة ثالثة بداية من نقطة انتهاء أساسه، حيث يصل بعقد مشيد من الخشب مشكلًا سقفًا للسلم يؤدى بعد مسافة ١١م إلى مدخل عرضه ٢م يفضى إلى مرافق القصر، وقد عثر على نوافذ عديدة تتخلل جدران المدخل للإضاءة والتهوية[٤٧٤].

شيد هذا القصر أبو الحسن على بن المنجم للخليفة المعتمد على الله بن المتوكل فى سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م، وقد أقام فيه قبل أن يترك سامراء إلى بغداد، وهو الأمر الذى أشار إليه اليعقوبى، وهناك من يرى أن المعتمد أتم عمارته قبل ستتين من عودته إلى بغداد، حيث غادر سامراء نحو بغداد فى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، وتشير بقايا البناء إلى أن الخليفة المعتمد كان يهدف إلى بناء قلعة حصينة، يدل على ذلك الخندق والأبراج والمزاغل التى لا أثر لها اليوم فى الجدران والتى من المحتمل أنها كانت موجودة[٤٧٥].

دينار طولونى مؤرخ بعام ٢٧٦ هـ/٨٨٩م
عثر عليه بقلعة العقير

تقع آثار هذه المنطقة (مستوطنة العقير) بالقرب من برج أبو زهمول وما حوله، وكانت هذه المدينة قائمة حتى خربت سنة ٤٢٢هـ، وهى عبارة عن تلال أثرية تنتشر على مساحة تبلغ ١.٥ × ٢كم، وقد أظهرت أعمال التنقيب أن المدينة تضم ثلاثة أحياء. وعلى الأرجح أن المدينة تقوم مباشرة فوق أساسات مبان قديمة تعود لفترة ما قبل الإسلام، أما أبرز آثارها فهو العثور على قلعة كبيرة محصنة بسور دفاعى سميك، وقد دعم السور بأبراج دائرية موزعة على أضلاعه الأربعة، بينما يتوسط جدار السور الجنوبى للقصر مدخل رئيسى، وهو مدخل يكتنفه برجان نصف دائريان، ويمكن تأريخ القلعة بالقرن ٣هـ/ ٩م بناءً على المواد الأثرية المكتشفة، ومنها دينار طولونى مؤرخ بعام ٢٧٦ هـ فى عهد خمارويه بن أحمد بن طولون[٤٧٦].

وفى أحداث سنة "ثمان وسبعين ومائتين" أورد الطبرى "ووردت الأخبار فيها عن مصر أن النيل غار ماؤه وغلت الأسعار عندهم"[٤٧٧].

المعتضد بالله

(٢٧٩-٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠٢م)

أورد الطبرى فى أحداث سنة "تسع وسبعين ومائتين" "وفيها خلع جعفر المفوض من العهد لثمان بقين من المحرم. وفى ذلك اليوم بويع للمعتضد بأنه ولى العهد من بعد المعتمد.. وفيها توفى المعتمد ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب... فكانت خلافته ثلاثًا وعشرين سنة وستة أيام - فيما ذكر. وفى صبيحة هذه الليلة بويع لأبى العباس المعتضد بالله بالخلافة"(٤٧٨).

وفى ذلك أورد ابن الأثير "فى هذه السنة، فى المحرم، خرج المعتمد على الله، وجلس للقواد والقضاة ووجوه الناس، وأعلمهم أنه خلع ابنه المفوض إلى الله جعفرًا من ولاية العهد، وجعل ولاية العهد للمعتضد بالله أبى العباس أحمد بن الموفق.. وأسقط اسمه من السكة، والخطبة، والطراز، وغير ذلك، وخطب للمعتضد، وكان يومًا مشهودًا.. وفيها توفى المعتمد على الله ليلة الإثنين لإحدى عشرة بقيت من رجب ببغداذ.. وحمل إلى سامرا فدفن بها. وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر.. وكانت خلافته ثلاثًا وعشرين سنة وستة أيام.. وفى صبيحة الليلة التى مات فيها المعتمد بويع لأبى العباس المعتضد بالله أحمد بن الموفق أبى طلحة بن المتوكل"(٤٧٩).

زلزلة بدبيل

وفى أحداث سنة "ثمانين ومائتين" أورد الطبرى "وفيها - فيها ذكر - فى ذى الحجة ورد كتاب من دبيل بانكساف القمر فى شوال لأربع عشرة خلت منها، ثم تجلى فى آخر الليل، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلمة، ودامت الظلمة عليهم، فلما كان عند العصر هبت ريح سوداء شديدة، فدامت إلى ثلث الليل، فلما كان ثلث الليل زلزلوا، فأصبحوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلها إلا اليسير، قدر مائة دار، وأنهم دفنوا إلى حين كتب الكتاب ثلاثين ألف نفس يخرجون من تحت الهدم، ويدفنون، وأنهم زلزلوا بعد الهدم خمس مرات"[٤٨٠].

زواج الخليفة المعتضد من ابنة خمارويه

شهدت أحداث سنة "اثنتين وثمانين ومائتين" زواج الخليفة المعتضد من ابنة خمارويه، فقد ساعد موت الموفق وابن كنداج فى سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م، والخليفة المعتمد فى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، على توطيد سلطان خمارويه الذى استطاع أن يكسب رضا الخليفة المعتضد بهداياه، فأقره على ولاية البلاد الممتدة بين الفرات وبرقة ثلاثين سنة، وجعلها لأولاده من بعده، وكان من أثر سياسة حسن التفاهم أن عرض خمارويه زواج ابنته أسماء التى تلقب بقطر الندى من ابن الخليفة العباسى، ولكن الخليفة اختارها لنفسه، فقد أورد الطبرى "وفيها قدم ابن الجصاص من مصر بابنة أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون التى تزوجها المعتضد، ومعها أحد عمومتها، فكان دخولهم بغداد يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرم"(٤٨١).

بلدة العباسة (قصر العباسة)

سميت هذه البلدة بالعباسة نسبة إلى عباسة بنت أحمد بن طولون التى شيدت قصرًا فى هذا الموضع وأحكمت عمارته لوداع بنت أخيها قطر الندى، فكان يقال لذلك الموضع قصر عباسة، وقد جعلها الملك الكامل الأيوبى من متنزهاته، ذكرها ياقوت الحموى فقال "العباسة: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وبعد الألف سين مهملة، وهو من العبوس ضد البش، هكذا يتلفظون بها من غير إلحاق ياء النسبة: وهى بليدة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية، ذات نخل طوال، وقد عمرت فى أيامنا لكون الملك الكامل بن العادل بن أيوب جعلها من متنزهاته ويكثر الخروج إليها للصيد لأن إلى جانبها مما يلى البرية مستنقع ماء يأوى إليه طير كثير فهو يخرج إليها للصيد، وبينها وبين القاهرة خمسة عشر فرسخًا، سميت بعباسة بنت أحمد بن طولون، كان خمارويه لما زوج ابنته قطر الندى من المعتضد وخرج بها من مصر إلى العراق عملت عباسة فى هذا الموضع قصرًا وأحكمت بناءه وبرزت إليه لوداع بنت أخيها، فلما سارت قطر الندى عمر ذلك الموضع بالقفر وصار بلدًا لأنه فى أول أودية مصر من جهة الشام، فكان يقال له قصر عباسة، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبقى عباسة"(٤٨٢).

والعباسة ذكرها المقريزى "هذه القرية فيما بين بلبيس والصالحية من أرض السدير لم يزل منتزها لملوك مصر وبها ولد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك أبوه العباس.. ولم تزل العباسة.. حتى أنشأ الملك الصالح نجم الدين.. المنزلة الصالحية فتلاشى حينئذ أمر العباسة.. وسميت بالعباسة بنت أحمد بن طولون فانها

خرجت إلى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها قطر الندى بنت خمارويه.. لما حملت إلى المعتضد.. ثم بنت قرية فسميت باسمها[٤٨٣].

وشهدت العباسة لجوء هارون بن خمارويه إليها ومعه أهله وأعمامه ونفر يسير من جنده بعد أن هزم الأسطول العباسى مثيله المصرى واستولى محمد بن سليمان على تنيس ودمياط، وفى هذا المكان قتل هارون على يد عميه شيبان وعدى ابنا أحمد ابن طولون[٤٨٤].

مقتل خمارويه بن أحمد بن طولون:

قتل خمارويه فى سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م، فقد أورد ابن الأثير "وفيها قتل خمارويه ابن أحمد بن طولون، ذبحه بعض خدمه على فراشه فى ذى الحجة بدمشق"[٤٨٥].

وخمارويه ذكره الكندى فقال "ثم وليها أبو الجيش خمارويه بن أحمد على صلاتها وخراجها بايعه الجند يوم الأحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين.. مقتله ليلة الأحد لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين.. وحمل خمارويه إلى الفسطاط فدفن بها فكانت ولايته عليها اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يومًا"[٤٨٦].

خمارويه وعمارة جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر

خمارويه ذكره ابن دقماق فقال عند ذكره عمارة خمارويه فى جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر ٢١ هـ/ ٦٤٢ م، ما نصه "كانت ولاية خمارويه بن أحمد بن طولون على مصر إلى أن قتل اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما وكان اسمه خمار فلما كانت سنة ثلاث وسبعين ورد كتاب من العراق بالزيادة فى اسمه ويه فسمى خمارويه وجعل على الطرز وكتب له المعتضد كتابا بولايته من الفرات إلى برقة هو وولده ثلاثين سنة وعقد المعتضد النكاح على ابنته قطر الندى فحملها أبو الجيش إليه مع أبى عبد الله بن الجصاص وحمل معها مالم ير مثله ولا سمع به منه دكة أربع قطع ذهب عليها قبة ذهب مشبكة فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من الجوهر لا يعرف لها قيمة.. وكان قد وقع فى الجامع حريق فى ليلة الجمعة لتسع ليال خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين.. فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بعمارته على يد أحمد بن محمد العجيفى فأعيد على ما كان وكتب اسم خمارويه فى دائرة الرواق الذى عليه اللوح الأخضر وهى موجودة الآن"[٤٨٧].

عمارة قصر ابن طولون وتحويل الميدان إلى بستان

وخمارويه ذكره المقريزى عند ذكره القطائع ودولة بنى طولون فقال "فلما مات أحمد بن طولون وقام من بعده ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان الذى كان لأبيه فجعله كله بستانا وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر ونقل إليه الودى اللطيف.. من أصناف خيار النخل وحمل إليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وكسا أجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة وجعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص وأجرى فيها الماء المدبر فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فتنحدر إلى فساقى معمولة ويفيض منها الماء إلى مجار تسقى سائر البستان وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة يتعاهدها البستانى.. وزرع فيه النيلوفر الأحمر والأزرق والأصفر والجنوى العجيب وأهدى إليه من خراسان وغيرها كل أصل عجيب وطعموا له شجر المشمش باللوز وأشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن"(٤٨٨).

بناء البرج من خشب الساج فى بستان ابن طولون:

يحدثنا المقريزى عن هذا البرج بقوله "وبنى فيه برجا من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ ليقوم مقام الأقفاص وزوقه بأصناف الأصباغ وبلط أرضه وجعل فى تضاعيفه أنهارا لطافا جداولها يجرى فيه الماء مدبرا من السواقى التى تدور على الآبار العذبة ويسقى منها الأشجار وغيرها وسرح فى هذا البرج من أصناف القمارى والدباسى والنونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطير تشرب

وتغتسل من تلك الأنهار الجارية فى البرج وجعل فيه أوكارا فى قواديس لطيفة ممكنة فى جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها وعارض لها فيه عيدانا ممكنة فى جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجاوب بعضها بعضا بالصياح وسرح فى البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيئًا كثيرا وعمل فى داره مجلسا برواقه"(٤٨٩).

مجلس خمارويه (بيت الذهب) وبركة الزئبق

يحدثنا المقريزى عن هذا المجلس بقوله "وعمل فى داره مجلسا برواقه سماه بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد المعمول فى أحسن نقش وأظرف تفصيل وجعل فيه على مقدار قامة ونصف صورا فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتى تغنينه بأحسن تصوير وأبهج تزويق وجعل على رؤسهن الأكاليل من الذهب الخالص الابريز الرزين والكوادن المرصعة بأصناف الجواهر وفى آذانها الأجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة وهى مسمرة فى الحيطان ولونت أجسامها بأصناف أشباه الثياب من الأصباغ العجيبة فكان هذا البيت من أعجب مبانى الدنيا وجعل بين يدى هذا البيت فسقية مقدرة وملأها زئبقا وذلك أنه شكا إلى طبيبه كثرة السهر فأشار عليه بالتغميز فأنف من ذلك وقال لا أقدر على وضع يد أحد على فقال له تأمر بعمل بركة من زئبق فعمل بركة يقال أنها خمسون ذراعا طولا فى خمسين ذراعا عرضا وملأها من الزئبق فأنفق فى ذلك أموالا عظيمة وجعل فى أركان البركة سككا من الفضة الخالصة وجعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة فى حلق من الفضة وعمل فرشا من آدم يحشى بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شده ويلقى على تلك البركة الزئبق وتشد زنانير الحرير التى فى حلق الفضة بسكك الفضة وينام على هذا الفرش فلا يزال الفرش يرج ويتحرك بحركة الزئبق ما دام عليه وكانت هذه البركة من أعظم ما سمع به من الهمم الملوكية فكان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب إذا تألف نور القمر بنور الزئبق ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة

يحفرون لأخذ الزئبق من شقوق البركة وما عرف ملك قط تقدم خمارويه فى عمل مثل هذه البركة"[٤٩٠].

بناء القبة بالقصر (الدكة):

يحدثنا المقريزى عن قبة بناها خمارويه بالقصر وتضاهى قبة الهواء بقوله "وبنى أيضا فى القصر قبة تضاهى قبة الهواء سماها الدكة فكانت أحسن شئ بنى وجعل لها الستر التى تقى الحر والبرد فتسبل إذا شاء وترفع إذا أحب وفرش أرضها بالفرش السرية وعمل لكل فصل فرشا يليق به وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى داره من البستان وغيره ويرى الصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة"[٤٩١].

ميدان خمارويه:

أورد لنا المقريزى الميدان الذى شيده خمارويه وهو أكبر من ميدان أحمد بن طولون بما نصه "وبنى ميدانا آخر أكبر من ميدان أبيه وكان أحمد بن طولون قد اتخذ حجرة بقربه فيها رجال سماهم بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلا يبيت منهم فى كل ليلة أربعة يتعاقبون الليل نوبة يكبرون ويسبحون ويحمدون ويهللون ويقرؤن القرآن تطريبا بألحان ويتوسلون بقصائد زهدية ويؤذنون أوقات الأذان فلما ولى خمارويه أقرهم على حالهم وأجرهم على رسمهم وكان يجلس للشرب"[٤٩٢].

ويضيف المقريزى عن بناء دار السباع من قبل خمارويه:

"وكان يجلس للشرب مع حظاياه فى الليل... وبنى أيضا فى داره دارا للسباع عمل فيها بيوتا بآزاج كل بيت يسع سبعا ولبوته وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها بحركات ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل وفى جانب كل بيت حوض من رخام بمزراب من نحاس يصب فيه الماء وبين يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها وفى جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من مزراب كبير فإذا أراد سائس سبع

من تلك السباع تنظيف بيته أو وضع وظيفة اللحم التى لغذائه رفع الباب بحيلة من أعلى البيت وصاح بالسبع فيخرج إلى القاعة المذكورة ويرد الباب ثم ينزل إلى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف ويضع الوظيفة من اللحم فى مكان معد لذلك .. ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرج إلى القاعة وتتمشى فيها وتمرح وتلعب.. وكان من جملة هذه السباع سبع أزرق العينين يقال له زريق قد أنس بخمارويه وصار مطلقا فى الدار لا يؤذى أحدا ويقام له بوظيفته من الغذاء فى كل يوم فإذا نصبت مائدة خمارويه أقبل زريق معها وربض بين يديه فرمى إليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة من الجدى ونحو ذلك مما على المائدة.. فإذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه.. وكان فى عنقه طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه ما دام نائما لمراعاة زريق له وحراسته إياه حتى إذا شاء الله انفاذ قضائه فى خمارويه كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر.."(٤٩٣).

دار الحرم والاصطبلات:

يحدثنا المقريزى عن بناء خمارويه لدار الحرم بقوله "وبنى أيضا دار الحرم ونقل إليها أمهات أولاد أبيه مع أولادهن وجعل معهن المعزولات من أمهات أولاده وأفرد لكل واحدة حجرة واسعة.. واتسعت أيضا اصطبلات خمارويه فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا فكان للخيل الخاص اصطبل مفرد والدواب الغلمان اصطبلات عدة ولبغال القباب اصطبلات ولبغال النقل.. اصطبلات.. وعمل للنمور دارا مفردة وللفهود دارا مفردة وللفيلة دارا وللزرافات دارا كل ذلك سوى الاصطبلات التى بالجيزة فانه كان له فى عدة ضياع من الجيزة اصطبلات مثل نهيا ووسيم وسفط وطهرمس وغيرها.. وكان للخليفة أيضا بمصر اصطبلات سوى ما ذكر تنتج فيها الخيل لحلبة السباق وللرباط فى سبيل الله تعالى برسم الغزو وكان لكل دار من الدور المذكورة ولكل اصطبل وكلاء لهم الرزق.. والوظائف الكثيرة والأموال المتسعة.. وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلاثة وعشرين ألف دينار فى كل شهر سوى ما هو موظف لجواريه وأرزاق من يخدمهن.. ولا يزال يتفرج ويتنزه ويخرج إلى مواضع.. كالأهرام ومدينة العقاب ونحو ذلك لأجل

الصيد.. وكانت حلبة السباق فى أيامهم تقوم مقام الأعياد لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكاملة فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون فى الأعياد وتطلق الخيل من غايتها.. حتى يتم السبق قال القضاعى المنظر بناه أحمد بن طولون فى ولايته لعرض الخيل وكان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربعة التى منها هذا العرض ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة ببغداد فبقى من هذه الأربعة شهر رمضان بمكة والجمعة ببغداد وذهبت اثنتان.. ولما تكامل عز خمارويه وانتهى أمره بدأ يسترجع منه الدهر ما أعطاه فأول ما طرقه موت حظيته بوران التى من أجلها بنى بيت الذهب وصور فيه صورتها وصورته.. ثم أنه أخذفى تجهيز ابنته فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة.. قال القضاعى وعقد المعتضد النكاح على ابنته يعنى ابنة خمارويه قطر الندى.. ولما فرغ خمارويه من جهاز ابنته أمر فبنى لها على رأس كل مرحلة تنزل بها قصر فيما بين مصر وبغداد.. حتى قدمت بغداد أول المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين فزفت على الخليفة المعتضد وبعد ذلك قتل خمارويه بدمشق وكانت مدة بنى طولون بمصر سبعا وثلاثين سنة وستة أشهر واثنين وعشرين يوما"(٤٩٤).

تخطيط البيت الطولونى حوالى ٢٥٨ هـ / ٩٠٠ م

يذكر فريد شافعى أن أقدم المساكن التى عثر على آثارها فى مصر الإسلامية وترجع إلى العصر الطولونى، تتمثل فى جزء أو جناح من منزل كشف عنه فى العسكر، ويمكن تأكيد تأريخه ونسبته إلى العصر الطولونى أو حوالى سنة ٢٨٥ هـ / ٩٠٠ م، وذلك على أساس الزخارف الجصية التى وجدت على جدرانه، ولولا أنها قد عثر عليها مثبتة على الجدران لتبادر إلى ذهننا أنها قد عملت فى سامراء نفسها، تبعًا لآخر ما وصل إليه طرازها الثالث من نضج، ويتكون هذا الجزء من ايوان أوسط وحجرتين تكتنفانه من اليمين واليسار، وتتقدم الوحدات الثلاث سقيفة مستعرضة تفتح على فناء مكشوف من خلال ثلاث فتحات[٤٩٥].

جاء التصميم المعمارى لهذا الجزء وفقًا للطراز الحيرى، وقد وجد هذا الأسلوب فى وحدتين معماريتين من الوحدات الأربع التى يضمها قصر الأخيضر، وفى دور سامراء التى تنسب إلى فترة ما بين سنتى ٢٢١ و ٢٧٨ هـ / ٨٣٧ ـ ٨٩١ م، وهو الأسلوب الذى يعد امتدادًا للأسلوب الساسانى، ويضيف فريد شافعى أن وجود ذلك الجزء أو الجناح منفردًا فى البيت الطولونى هذا بغير وحدات معمارية أخرى توضح تخطيط بقية البيت لا يعطى فكرة ولو مقربة عن ذلك التخطيط، إلا أنه قد وصلنا لحسن الحظ بقايا وآثار من دور أخرى تساعد كثيرًا على تكوين فكرة صحيحة عن النموذج أو النماذج الخاصة بتخطيط الدور فى العصر الطولونى وما بعده، وقد ظل ذلك الجناح الأثر الوحيد الذى يمكن نسبته إلى العصر الطولونى حتى كشف المهندس الدكتور عباس حلمى عن بيت يكاد يكون متكاملًا لا ينقصه إلا القليل من مسقطه، غير أن بقايا جدرانه لا ترتفع أكثر مما ترتفع جدران البيت الطولونى الأول[٤٩٦].

يذكر فريد شافعى أنه يمكن الاطمئنان إلى تأريخ البيت الثانى فى العصر الطولونى أيضًا، وذلك على أساس الزخارف التى كانت مازالت لاصقة بجدرانه، والتى لاشك فى أنها من طراز سامراء الثالث النقى، وقد وفق عباس حلمى فى الكشف عن بقايا الزخارف الطولونية العالقة بالجدران من جهة، ومن جهة أخرى وفق كما يذكر فريد شافعى فى رفع تخطيط الدار، الأمر الذى غفل عن القيام به على بهجت عندما أتى بوصف دور ثلاثة فى موقع شمال منطقة الحفائر التى قام بها من قبل، وكان هذا البيت الطولونى الثانى أحد الثلاثة، كما عنى حسن الهوارى بتسجيل رسم بيت ثان من الثلاثة أيضًا[٤٩٧].

يعلق فريد شافعى على تخطيط البيت الثانى بأنه يمتاز بأهمية كبيرة من حيث أنه يبين فى جلاء ووضوح توزيع الوحدات الرئيسية والثانوية وملحقاتها التى يتكون منها تخطيط الطابق الأرضى من المنزل العربى الإسلامى فى مصر، وهو على الأرجح الطابق الذى كان يستخدم للاستقبال والمعيشة اليومية فى أثناء النهار، وتخطيط البيت من فناء يتوسط الدار تفتح عليه وحدات الدار كلها تقريبًا، ويأتى على رأسها من حيث الأهمية الجناحان التقليديان اللذان يتكون كل منهما من ايوان أوسط ومن حجرتين تكتنفانه عن يمين ويسار، وتتقدم الوحدات الثلاث هذه السقيفة المستعرضة التى تنفتح على الفناء من خلال الفتحات الثلاث، أى على نفس النمط الذى وجد فى الجزء أو الجناح الباقى من الدار الطولونية الأولى التى تقدم ذكرها، هذا ويواجه أحد الجناحين الشمال، ويواجه الآخر فى الجهة المقابلة الجنوب، كما يوجد جناح ثالث يشبه السابقين ولكن على صورة مصغرة قليلًا، وضع إلى يسار الداخل من الباب الرئيسى مباشرة، أى عند بداية الدهليز الذى خطط على هيئة زاوية قائمة بحيث يؤدى من الباب الخارجى على الطريق العام إلى الباب الداخلى الذى ينفتح على الفناء الداخلى الأوسط الرئيسى الذى تقدم ذكره، فقد جاء الجناح الثالث الصغير ملاصقًا لكتلة المدخل، حيث أنه أغلب الظن كان مخصصًا لزوار مولى الدار من الغرباء ومن الذين لا يستحب خوضهم داخل الدار كما يذكر فريد شافعي[٤٩٨].

وقد جاء المدخل من النوع المنكسر أو غير المباشر أو الباشورة، وهو فى الواقع يؤدى غرضين مهمين فى العمارة السكنية يمثل أحدهما منع أنظار المارة فى الطريق من أن تكشف من بداخل الدار إذا ما فتح الباب الخارجى، أما الآخر فهو زيادة فرص الدفاع عن الدار إذا ما قامت فتن داخلية أو خارجية، ويعد المدخل المنكسر هنا أقدم مثل قائم كما يذكر فريد شافعي(٤٩٩) من نوعه ثابت التاريخ فى العالم الإسلامى، ولم يعرف قبل ذلك إلا فى عمارة مدينة بغداد حسب ما ورد فى كتابات المؤرخين عند وصف المدينة مثل الخطيب البغدادى، وهى المدينة التى اندثرت آثارها تمامًا، ولم يكشف حتى الآن عن أى بقايا من جدرانها.

يبدأ المدخل المنكسر فى هذا البيت الثانى بالباب الذى يفتح على الطريق العام مباشرة، ثم ينعطف الداخل منه يمينًا فى زاوية قائمة ويسير فى ممر قصير، ثم ينعطف مرة ثانية عند نهاية هذا الممر إلى اليسار ليدخل إلى مساحة مستطيلة تتقدم الجناح الثالث من أجنحة البيت، وهى عبارة عن فناء يشرف عليه الجناح الثالث من خلال بائكة ثلاثية تتقدم سقيفة هذا الجناح، وتتميز الفتحة الوسطى بأنها أكثر اتساعًا من الفتحتين الجانبيتين، ويتكون هذا الجناح الذى جاء منفصلًا تمامًا عن بقية وحدات البيت من ايوان أوسط وحجرتين، ونفذت هذه الوحدات الثلاث بشكل مستطيل وفى عمارة متناغمة سواء من حيث الشكل أو المضمون، ثم يستمر الداخل من الفناء السابق إلى نهايته وينعطف من ركنه الشمالى الشرقى يمينًا ليدخل إلى دهليز رأسى يمتد من الجنوب إلى الشمال بامتداد الفناء الرئيسى، ثم ينعطف الداخل فى هذا الدهليز الأخير يسارًا ليصل إلى الفناء الرئيسى المستطيل للدار.

ويحيط بالفناء الرئيسى وبالأجنحة السابقة وحدات وحجرات أخرى متفاوتة الحجم والأشكال كانت تستعمل لأغراض شتى، فلعل بعضها كما يذكر فريد شافعي(٥٠٠) كان للسكن المؤقت، وبعضها لخدمة من فى الدار، منها حجرة فى الزاوية الشمالية الشرقية يرجح أن تكون المطبخ الرئيسى للبيت وبها الفرن، كما يشتمل البيت على ممرات طويلة خلفية تصل بين كل من جناح الزوار بجوار المدخل

والجناح الجنوبى وبين الوحدات الأخرى وبين المطبخ، وهى ممرات تجعل من السهل على الخدم أن يقوموا بالتخديم على تلك الأجنحة والوحدات دون أن يمروا من خلال الفناء الأوسط الرئيسى.

ومن الملاحظات الهامة فى تخطيط هذا البيت أنه لا يحتوى إلا على ايوانين فحسب فى الجهتين الشمالية والجنوبية للفناء، وقد خلت الجهتان الشرقية والغربية من جود ايوان أو وحدة معمارية من ايوان وحجرتين فى أى منهما أو حتى من دخلة غائرة تقوم مقام ايوان غير عميق أو ترمز إليه، وهو تقليد سائد كما يذكر فريد شافعي[٥٠١] فى كل ما كشف عنه فى دور الفسطاط الأخرى المتكاملة المسقط مما يرجح أن المهندس لم يدخل فى اعتباره عند تخطيطه له عمل الايوانين الجانبين أو الوحدتين الجانبيتين أو دخليتن على الأقل، اذ لو كان ذلك فى فكره لقام بزحزحة الباب المؤدى إلى الفناء الرئيسى بحيث يقع هذا الباب فى طرف من الفناء بدلًا من منتصفه تمامًا كما هو الحال الآن، وبذلك يمكن أن يقتطع من الممر أو الدهليز المؤدى إلى الفناء ايوان أو دخله حسب ما تسمح به المسافة يقابله آخر فى الجهة المقابلة أى فى مكان الحجرة الوسطى، كذلك توجد بجوار المطبخ وخلف ايوان الجناح الشمالى بقايا درج سلم كان يصعد إلى الطوابق العليا حيث الأجنحة المخصصة للحريم وحجرات النوم إلى غير ذلك من الوحدات المكملة للبيت والتى اندثرت كلها ولم يبق منها أثر لا فى هذا البيت ولا فى غيره.

ويرى فريد شافعى أن اكتشاف هذا البيت المتكامل بالاضافة إلى بقايا البيت الطولونى الأول قد أدى إلى إعادة مناقشة وبحث الدور والبيوت التى سبق أن كشفها على بهجت وألبير جابرييل فى أول حفريات أجريت فى الفسطاط، حيث نشر الاثنان نتائج كشفهما على هيئة تقارير تتضمن مخططات وصور ووصف، غير أنهما لم يسهبا فى التحليل والدراسة بما يوصل إلى تأريخ تلك الدور والبيوت على وجه يمكن الاطمئنان إليه والاعتماد عليه، ولذلك فإنهما خلصا إلى تاريخ جملة الدور فى فترة أربعة قرون تشمل من القرن الثالث حتى السادس من الهجرة / التاسع حتى

الثاني عشر من الميلاد، ثم جعل كريزويل من تلك الدور أحد موضوعاته وأرخها كلها فى النصف الأول من العصر الفاطمى، أى فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، ولم يذكر دليلًا واحدًا أو تحليلًا معماريًا أو تاريخيًا أو أثريًا اتخذه أساسًا لتأريخها، بينما استند على بهجت وألبير جابرييل فى تأريخهما لتلك الدور على ما عثر عليه فى أنقاضها من زخارف جصية وبقايا مادية من الآثار الفنية والتطبيقية تحمل مميزات وخصائص ترجعها إلى تلك الفترة التى أرخاها فيها، فتركا بذلك الباب مفتوحًا أمام احتمالات اكتشافات أخرى تحدد نسبة بعض تلك الدور إلى تاريخ أكثر تحديدًا مما ارتأياه، فكانا بذلك بعيدى النظر كما أثبته اكتشاف البيتين الطولونيين، وبخاصة البيت الثانى المتكامل[٥٠٢].

ويضيف فريد شافعي[٥٠٣] أن عباس حلمى استعان بالضوء الجديد الذى ظهر باكتشافه للبيت الطولونى الثانى، غير أنه انتهى من البحث والتحليل المستفيضين إلى نسبة جميع تلك الدور التى كشفها على بهجت بغير استثناء إلى العصر الطولونى، أى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى، أى إلى أقل من نصف قرن على أكثر تقدير، فأصبح بذلك أكثر تطرفًا من كريزويل الذى جعل فترة تاريخها تمتد طوال القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، ويبدأ فريد شافعى بملاحظة أنه قد أطلق على الدور المكتشفة فى بقاع متفرقة من منطقة الحفريات أرقام مسلسلة من الدار الأولى حتى الثامنة، مع أن بعضًا منها يحتوى على مسكن أو أكثر، وهو إما قائم بذاته أو متصل بمسكن آخر أو أكثر بواسطة ممرات داخلية ودهاليز، ولذلك فقد آثر منعًا للبس أن يستخدم "لكل مسكن" سواء، استقل بنفسه أو اتصل بغيره لفظ "بيت"، كما أطلق لفظ "دار" على كل ما يحتوى على بيتين فأكثر متصلين ببعضهما من داخل الدار، وسواء كان لهما مدخل مشترك واحد، أو كان لكل منهما مدخل خاص بالإضافة إلى المدخل المشترك، وأطلق على البناء الذى يضم أكثر من دار أو بيت منفصل "مجموعة دور"، وعلى أساس هذه الاصطلاحات أوجد مجموعتين من الدور هى التى سماها على بهجت بـ "الدور الأولى" ، وهى تتكون من دارين، وبهذه المجموعة خمسة بيوت، أما المجموعة الثانية فهى التى سميت "بالدار الخامسة"، وتحتوى هذه المجموعة على ثلاثة بيوت، ثم وجد دارين أطلق

على احداهما "الدار الثانية"، وتتكون من بيتين، والدار الأخرى عرفت بالدار السابعة، وتتكون من بيتين، أما بقية الدور فيتكون كل منها من بيت واحد، ولكل مدخل خاص به فيما عدا الدار التى سميت بالسادسة فإن ملحقات البيت من وحدات وحجرات إضافية قد رصت حول فناء غير منتظم الشكل، وللبيت وملحقاته مدخل مشترك بالإضافة إلى مدخل للبيت وآخر للملحقات، مما يجعل للبيت هيئة دار مزدوجة.

وبعد دراسة تناولت مميزات البيوت خلص فريد شافعى إلى أنها تتفق كلها فى الميزة المشتركة المعروفة وهى وجود الفناء المكشوف الذى يتوسط كلا منها ثم تلتف به الوحدات السكنية التى يتكون منها البيت الواحد، ويتراوح شكل الفناء بين المربع الصريح أو القريب من المربع وهو الشكل الأكثر انتشارًا، وبين المستطيل الذى يوازى ضلعه الطويل محور الجناح الرئيسى، أو مستطيل مستعرض يوازى محوره اتجاه السقيفة المستعرضة التى تتقدم الجناح الرئيسى، أما توزيع العناصر الرئيسية حول الفناء فقد خضع لنموذج ساد فى تخطيط أربعة عشر بيتًا من ستة عشر بيتًا، وهو الذى وضع فى جانب واحد من الفناء الأوسط منه الجناح التقليدى المكون من السقيفة والايوان والحجرتين على جانبيه، أما الأضلاع الأخرى للفناء فقد وضع فى ضلع واحد أو أكثر ايوان عميق بغير سقيفة تتقدمه، وأحيانًا يستبدل الايوان بدخلة ضحلة كأنها رمز لايوان، إلى غير ذلك من أنواع التصرف فى أشكال الايوانات والدخلات من حيث الاتساع والعمق، تبعًا لما تسمح به مساحة الأرض والحدود الخارجية لها والتى شيد داخلها البيت بوحداته المختلفة، غير أن لهذا النموذج بضعة أمثلة حدث فيها تصرف فى شكل الايوانات الجانبية، ويعزى ذلك إلى أن تخطيطات البيوت كلها بوحداتها الرئيسية والثانوية وملحقاتها كانت تخضع لشكل الموقع، ومن المشاهد أن جميع المواقع ليس فيها مثل واحد منتظم الشكل أو تقرب حدوده من الانتظام وذلك لعدم انتظام الطرق والأزقة والدروب التى كانت تؤدى إلى تلك الدور والبيوت، ولكن على الرغم من ذلك فان المهندسين قد نجحوا نجاحًا كبيرًا فى أن يجعلوا الأفنية والايوانات ذوات أشكال هندسية منتظمة تختلف بين المربع والمستطيل، وبحيث تتلاقى وتتعامد أضلاع كل منها فى زوايا قائمة،

وجعلوا الوحدات الثانوية الأخرى محصورة بين العناصر الرئيسية وبين الحدود الخارجية للمواقع غير المنتظمة، ويلاحظ أن تخطيط البيوت فى تلك الدور لم يراع فيها أن تواجه الأجنحة والايوانات المحيطة بالفناء الأوسط اتجاهًا جغرافيًا معينًا، ولا يوجد إلا مثلان فقط، هما البيت الطولونى الثانى المكتشف حديثًا ثم البيت فى الدار السادسة، حيث يوجد فى كل منهما جناح يواجه الشمال تمامًا وآخر يواجه الجنوب تمامًا مما يجعلهما وثيقى الشبه ببعضهما من هذه الناحية(٥٠٤).

ويتناول فريد شافعى البيت المعروف بالدار السادسة والذى ينفرد بين الستة عشر بيتًا بتخطيط كان يعد فريدًا بينها إلى أن اكتشف البيت الطولونى الثانى والذى يتفق معه تمامًا فى عدة نواح تتمثل فى أن الفناء المستطيل يتوسط البيت، وقد وضع فى كل ضلع من ضلعيه القصيرين المتقابلين جناح الجلوس والمعيشة والذى يتكون من سقيفة تشرف على الفناء من جهة، وتتقدم ايوانا يتوسط حجرتين من جهة أخرى، واشتمل الضلعان الآخران الشرقى والغربى على حجرات ووحدات البيت الباقية، وتتصل كلها ببعضها بواسطة ممرات ودهاليز، ولم يراع فى التخطيط وضع ايوانات جانبية كالتى وضعت فى أغلب البيوت الأخرى والتى يبلغ عددها أربعة عشر بيتًا، والكثير من البيوت والدور كانت تتكون من أكثر من طابق ، ويغلب على ظننا كما يذكر فريد شافعى أن الطوابق العليا كانت مخصصة للحريم والنوم، ويبدو أنها كانت تزود بالحمامات، وكانت هذه البيوت والدور تشتمل على أنابيب تحت الأرض، كما أنه ليس هناك من شك فى أن بيوت أو دور الأثرياء منها كانت تشتمل على اسطبلات للدواب وحواصل، وأغلب الظن أن المبنى الملحق بالدار السادسة كان يحتوى على مثل تلك الوحدات، وكانت الشاذروانات والفساقى وأحواض المياه المحاطة بأحواض الزهور من العناصر ذات الأهمية الخاصة فى الدور والبيوت لذوى المقدرة المالية، فالشاذروان بلاطة من حجر صلب أو من الرخام يحفر فى سطحها زخارف هندسية أو نباتية أو غير ذلك، وينتج من حفرها قنوات غائرة متعرجة، وتوضع فى صدر الايوان بميل على الجدار بزاوية تتراوح بين 15° و 30° ويوضع عند حافتها العلوية صنبور أو أكثر يأتى إليه الماء من صهريج خلف الجدار، فيسيل الماء على سطحها متعرجًا فى القنوات الدقيقة بين الزخارف، مما يجعله

يتمهل فى سيره لتزيد الفرصة لتبخره وبالتالى لتبريده فيلطف جو المكان فضلًا عن خريره الـهادئ ومنظره اللطيف وهو يسيل منحدرًا متمهلًا، حتى ينتهى عند الطرف الأسفل من البلاطة ليسيل فى قناة تمتد على سطح أرضية الايوان وتصب فى حوض الماء ذى شكل هندسى منتظم وضع داخل الايوان أو فى وسط الفناء فى كل من الايوان والفناء، ويبدو أن بعض هذه الأحواض كان مزودًا بنافورة فى وسطه(٥٠٥).

أما فيما يتعلق بالزخارف فانه يبدو أن الاهتمام كان موجهًا بطبيعة الحال للعناصر الرئيسية من البيوت مثل الايوانات والقاعات التى تحف بها، من ذلك ما عثر عليه فى احدى قاعات البيت من الدار الثانية، فقد زينت بدخلات غائرة فى الجدران تتوجها عقود ذوات حليات، وهى تشبه فى ذلك ما عثر عليه فى بعض الجدران فى سامراء، وأغلب الظن أن بقية أسطح الجدران كانت مغطاه مثلما كان فى سامراء بزخارف محفورة أو مصبوبة من الجص، غير أنه لم يعثر منها على أمثلة بها قطع ملتصقة بالجدران وقائمة فى مكانها سوى ما فى البيت الطولونى الأول وفى البيت الثانى، وينتهى فريد شافعى بعد استعراضه للزخارف إلى أنه من البديهى أن مناقشة تاريخ البيوت والدور سيكون الاعتماد فيه على تخطيط المساقط الأفقية أولًا ثم على ما عثر عليه من آثار معمارية وزخرفية فيها، فمن ناحية المساقط الأفقية فإنه يوجد نموذجان أحدهما يشتمل على جناحين رئيسيين يتكون الواحد منهما من سقيفة تتقدم ايوانا أوسط وعلى جانبيه حجرتان، ووضع كل جناح منهما فى الجانب القصير من الفناء الذى يتوسط البيت، أما الأضلاع الطويلة للأفنية فقد رصت عليها وحدات البيت الأخرى من حجرات وملحقات، والنموذج الآخر يوجد فيه جناح واحد ذو سقيفة فى أحد أضلاع الفناء، ووضع فى الأضلاع الباقية ايوانات عميقة أو ضحلة على هيئة دخلات غائرة حسب ما تسمح به مساحة الأرض التى شيد عليها البناء، مما يمكن معه تسميته بالنموذج ذى الايوانات الأربعة لانتشاره فى أغلب الدور والبيوت، وتختلف البيوت الباقية فى عدد الايوانات وأشكالها وطريقة توزيعها(٥٠٦).

تاريخ الدار الخامسة والسادسة بالعصر الطولونى

وقد أصبح تاريخ النموذج الأول ذى الجناحين فحسب من الأمور السهلة كما يذكر فريد شافعي، وذلك بفضل اكتشاف الزخارف الطولونية الملتصقة بجدار أحد أمثلته وهو البيت الطولونى الثانى، وعلى أساسه يمكن تأريخ المثل الثانى منه وهو الموجود فى الدار السادسة ونسبته أيضًا إلى العصر الطولونى، كما يمكن نسبة الدار الخامسة أيضًا إلى العصر الطولونى، وهى الدار التى تحتوى على بيتين من النموذج الثانى من التخطيط أى من ذى الايوانات الأربعة، والتى عثر فيها على زخارف جصية من العناصر الهندسية التى صنعت بطريقة اللصق، وكل ذلك يوصلنا إلى معرفة أن النموذج ذا الايوانات الأربعة قد ظهر فى العصر الطولونى، ولكن على الرغم من ذلك فانه من التطرف القول بأن جميع الدور والبيوت التى كشفها على بهجت وجابرييل ترجع إلى العصر الطولونى، وكل ما يمكن قوله هو أن بعضًا من تلك الدور قد شيد فى العصر الطولونى، وأن بعضًا آخر قد شيد فى عصور تالية على النموذج الطولونى ذى الايوانات الأربعة، فإنه لا يمكن اهمال المخلفات الأثرية الأخرى التى عثر عليها بين الأنقاض أيضًا وترجع إلى العصر الفاطمى مثلًا(٥٠٧).

قصر براز الروز

وفى أحداث سنة "سبع وثمانين ومائتين" أورد الطبرى "ولأربع ليال بقين من صفر منها، دخل المعتضد من متنزهه ببراز الروز إلى بغداد، وأمر ببناء قصر فى موضع اختاره من براز الروز، فحمل إليه الآلات، وابتدأ فى عمله"(٥٠٨).

وفاة قطر الندى

شهدت هذه السنة وفاة قطر الندى، فقد أورد الطبرى "ولسبع خلون من رجب من هذه السنة توفيت ابنة خمارويه بن أحمد بن طولون، زوجه المعتضد، ودفنت داخل قصر الرصافة"(٥٠٩).

وباء بأذربيجان

وفى أحداث سنة "ثمان وثمانين ومائتين" أورد الطبرى "فمن ذلك ما كان من ورود الخبر على السلطان ـ فيما ذكر ـ بوقوع الوباء بأذربيجان.."(٥١٠).

(المكتفى بالله ٢٨٩ـ٢٩٥هـ/٩٠٢ـ٩٠٨م)

أورد الطبرى فى أحداث سنة "تسع وثمانين ومائتين" وفاة الخليفة المعتضد بما نصه "وفى ربيع الآخر منها.. توفى المعتضد.. وكان أوصى أن يدفن فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر، فحفر له فيها، فحمل من قصره المعروف بالحسنى ليلا، فدفن فى قبره هناك.. ولما توفى المعتضد كتب القاسم بن عبيد الله بالخبر إلى المكتفى.. وكان المكتفى مقيما بالرقة.. ثم خرج شاخصًا من الرقة إلى بغداد"(٥١١).

زلزلة ببغداد

وقد شهدت هذه السنة زلزلة ببغداد، قال الطبرى "وفى رجب من هذه السنة زلزلت بغداد، ودامت الزلزلة فيها أيامًا وليالى كثيرة"(٥١٢).

ولاية أبى العباس عبد الله بن إبراهيم إفريقية

(٢٨٩ ـ ٢٩٠هـ/ ٩٠٢ ـ ٩٠٣م)

أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "تسع وثمانين ومائتين" ولاية أبى العباس عبد الله بن إبراهيم إفريقية فقد أورد "ولى أبو العباس إفريقية.. فلما كان ليلة الأربعاء آخر شعبان من سنة تسعين ومائتين قتل أبو العباس.. فكانت إمارته سنة واثنين وخمسين يومًا.. ولما قتل ولى ابنه أبو مضر"(٥١٣).

ولاية زيادة الله الثالث (زيادة الله بن عبد الله)

(٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ/ ٩٠٣ ـ ٩٠٩م)

تولى زيادة الله الثالث الإمارة بعد قتل أبيه، ولما تحقق من زوال أمره رحل إلى طرابلس، ومنها إلى مصر وغادرها قاصدًا بغداد، ولكنه مات فى بيت المقدس(٥١٤).

هدم دور على شاطىء دجلة بالعراق

وفى أحداث سنة "اثنين وتسعين ومائتين" أورد ابن الأثير "وفيها زادت دجلة زيادة مفرطة، حتى تهدمت الدور التى على شاطئها بالعراق"(٥١٥).

حريق ببغداد

كما أورد ابن الأثير "وفيها وقع الحريق ببغداذ بباب الطاق من الجانب الشرقى إلى طرق الصفارين، فاحترق ألف دكان مملوءة متاعًا للتجار"(٥١٦).

هدم عمائر الطولونيين (الميدان)

شهدت سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م زوال الطولونيين، فقد استولى محمد بن سليمان على مصر فدخل الفسطاط وألقى النار فى القطائع وانتهت دولة الطولونيين وهدمت عمائرهم وضاعت قصورهم، ولم يبق من آثارهم سوى المسجد الجامع، وبقايا القناطر فى البساتين، ثم بقايا منزل فى العسكر، وبعض قطع قليلة من الفنون، وفى ذلك أورد الكندى فى أحداث سنة "ثلاث وتسعين ومائتين" "ثم أمر الحسين بن أحمد بهدم الميدان فابتدئ فى هدمه فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وبيعت أنقاضه ودثر كأنه لم يكن"[٥١٧].

المقتدر بالله

(٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٨-٩٣٢م)

شهدت سنة "خمس وتسعين ومائتين" وفاة المكتفى بالله وخلافة المقتدر بالله، فقد أورد الطبرى "وفى ذى القعدة لاثنتى عشرة ليلة خلت منها توفى المكتفى بالله، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يومًا، وكان يوم توفى ابن اثنتين وثلاثين سنة يومئذ، وكان ولد سنة أربع وستين ومائتين، ويكنى أبا محمد، وأمه أم ولد تركية تسمى جيجك... ثم بويع جعفر بن المعتضد بالله، ولما بويع جعفر بن المعتضد لقب المقتدر بالله وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وأحد وعشرين يومًا. وكان مولده ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان من سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وكنيته أبو الفضل، وأمه أم ولد يقال لها شغب"[٥١٨].

قصر العباس بن عمرو الغنوى

هذا القصر ذكره ياقوت الحموى فقال "قصر العباس بن عمرو الغنوى: كان أميرًا مشهورًا فى أيام المقتدر بالله يتولى أعمال ديار مضر فى وزارة ابن الفرات، وأنفذ العباس بن عمرو فى أيام المعتضد فى سنة ٢٧٨ إلى البحرين.. ومات فى سنة ٣٠٥.. وقرأت فى كتاب ألفه عميد الدولة أبو سعد محمد.. حدثنى أبو الهيجاء بن عمران.. قال: كنت أساير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد ما بين سنجار ونصيبين ثم نزلنا فاستدعاني.. وقد نزل بقصر هناك مطل على بساتين ومياه كثيرة يعرف بقصر العباس بن عمرو الغنوى.."(٥١٩).

ثلج ببغداد

وفى أحداث سنة "ست وتسعين ومائتين" أورد الطبرى "وفى يوم السبت لأربع بقين من شهر ربيع الأول منها سقط الثلج ببغداد من غدوة إلى قدر صلاة العصر، حتى صار فى الدور والسطوح منه نحو من أربعة أصابع، وذكر أنه لم ير ببغداد مثل ذلك قط"(٥٢٠).

ذكر ولاية أبى مضر إفريقية

أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "ست وتسعين ومائتين" "فى هذه السنة، مستهل شهر رمضان، ولى أبو مضر زيادة الله بن (أبى العباس بن) عبد الله إفريقية.. واشتدت شوكة أبى عبد الله الشيعى فى أيامه.. وسار عن إفريقية إلى مصر فى سنة ست وتسعين ومائتين.. فتوفى بالرملة ودفن بها"[٥٢١].

زلازل بالقيروان

وفى أحداث سنة "تسع وتسعين ومائتين" أورد ابن الأثير "وفيها كانت زلازل بالقيروان لم ير مثلها شدة وعظمة"[٥٢٢].

الأمراض والعلل ببغداد

وفى أحداث سنة "ثلاثمائة" أورد الطبرى "وفى هذه السنة كثرت الأمراض والعلل ببغداد فى الناس"[٥٢٣].

هوامش الفصل الثانى

(١) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ١٣٧.

(٢) أصبهان: منهم من يفتح الهمزة، وهم الأكثر، وكسرها آخرون.. وهى مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون فى وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف، وأصبهان: اسم للإقليم بأسره.. قال أصحاب السير: سميت بأصبهان بن فلوج بن لنطى بن يونان بن يافث، وقال ابن الكلبى: سميت بأصبهان بن فلوج بن سام بن نوح،عليه السلام، قال ابن دريد: أصبهان اسم مركب لأن الأصب البلد بلسان الفرس، وهان اسم الفارس، فكأنه يقال بلاد الفرسان، قال عبيد الله المستجير بعفوه: المعروف أن الأصب بلغة الفرس هو الفرس، وهان كأنه دليل الجمع، فمعناه الفرسان والأصبهانى الفارس". ياقوت الحموى: معجم، مج١ ، ص ص ٢٠٦_٢٠٧. .

(٣) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص١٣٩.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٤٩٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٤٨٥.

(٥) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٢٨٢ _ ٢٨٣.

(٦) البكرى: المسالك والممالك، ج٢، ص ص ٦٩٠.. ٦٩١.

(٧) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص١٣١.، حسن إبراهيم حسن: تاريخ، ج٢، ص ٥٩.

(٨) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦ م، ق١، ص٨٢.

(٩) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص١٤٦.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٠٣.

(١٠) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ١٤٨.

(١١) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان.. من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيرًا

وأوسعها غلة، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم ... وينسب إليها خلق كثير"

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

(١٢) ذكر ياقوت الحموى: "جوزجانان وجوزجان: هما واحد.. وهو اسم كوره واسعة من كور بلخ بخراسان، وهى بين مرو الروذ وبلخ.. ومن مدنها الأنبار وفارياب وكلار، وبها قتل يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه ... وقد نسب إليها جماعة كثيرة"

ياقوت الحموى: معجم، مج٢،ص ١٨٢.

(١٣) فارياب: بكسر الراء... مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غربى جيحون، وربما أميلت فقيل لها فيرياب ... ينسب إليها جماعة من الأئمة".

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٢٢٩.

(١٤) طالقان: .. بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ .. وقال الاصطخرى: أكبر مدينة بطخارستان طالقان، وهى مدينة فى مستوى من الأرض .. ولها نهر كبير وبساتين .. خرج منها جماعة من الفضلاء".

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٦ ـ ٧.

(١٥) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٥٠٨.

(١٦) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص١٥٠.

(١٧) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٥١٥.

(١٨) السواد: موضعان: أحدهما نواحى قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها فيما أحسب، والثانى يراد به رستاق العراق وضياعها التى افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، سمى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار لأنه حيث تاخم جزيرة العرب التى لا زرع فيها ولا شجر كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزروع والأشجار فيسمونه سوادًا كما إذا رأيت شيئًا من بعد قلت ما ذلك السواد، وهم يسمون الأخضر سوادًا والسواد أخضر، كما قال الفضل بن عباس.. فسموه سوادًا لخضرته بالزروع والأشجار، وحد السواد من حديثة الموصل طولًا إلى عبادان ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضًا فيكون طوله مائه وستين فرسخًا، وأما العراق فى العرف فطوله يقصر عن طول

السواد وعرضه مستوعب لعرض السواد لأن أول العراق فى شرقى دجلة العلث.. وفى غربى دجلة حربى ثم تمتد إلى آخر أعمال البصرة من جزيرة عبادان، وكانت تعرف بميان روذان معناه بين الأنهر، وهى من كورة بهمن أردشير.
ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص٢٧٢.

(١٩) كسكر: بالفتح ثم السكون... كورة واسعة... وقصبتها اليوم واسط القصبة التى بين الكوفة والبصرة، وكانت قصبتها قبل أن يمصر الحجاج واسطًا خسرو سابور، ويقال إن حد كورة كسكر من الجانب الشرقى فى آخر سقى النهروان إلى أن تصب دجلة فى البحر كله من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها، فمن مشهور نواحيها: المبارك، وعبدسى، والمذار ونغيا، وميسان، ودستميسان، وآجام البريد، فلما مصرت العرب الأمصار فرقتها..."
ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٤٦١.

(٢٠) قطيعة أم جعفر: هى زبيده بنت جعفر بن المنصور أم محمد الأمين: وكانت محلة ببغداد عند باب التين وهو الموضع الذى فيه مشهد موسى بن جعفر، رضى الله عنه، قرب الحريم بين دار الرقيق وباب خراسان وفيها الزبيدية وكان يسكنها خدام أم جعفر وحشمها، وقال الخطيب: قطيعة أم جعفر بنهر القلايين ولعلها اثنتان". ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٣٧٦.

(٢١) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص١٥٥.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٥٢٨.

(٢٢) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.، حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ١٧٢.

(٢٣) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص١٧٢.

(٢٤) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة المدينة المنورة، ص١٣٨.

(٢٥) وكالة الآثار: آثار منطقة المدينة المنورة، ص ص ١٧٤ ـ ١٧٦.

(٢٦) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص١٦٣.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٥٣٢.
القفيز: مكيال كان يكال به قديمًا، ويختلف مقداره فى البلاد، ويعادل بالتقدير المصرى الحديث نحو ستة عشر كيلو جرامًا". المعجم الوسيط، ص٧٥١.

(٢٧) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص١٧٧.

(٢٨) عدن: بالتحريك، وآخرة نون، وهو من قولهم عدن بالمكان إذا أقام به، وبذلك

سميت عدن.. وهى مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ردئة لا ماء بها ولا مرعى وشربهم من عين .. إلا أن هذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه لأجل ذلك فانها بلدة تجارة، وتضاف إلى أبين وهو مخلاف عدن من جملته..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٨٩.

(٢٩) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٥٥٦.

(٣٠) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ص١٤٣ ـ ١٤٥.

(٣١) أحمد فكرى: المدخل، ص ص٧٠ ـ ٧١.

(٣٢) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص١٧٨.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٥٥٦.

(٣٣) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص١٨٣.

(٣٤) سخا: مقصور، بلفظ السخاء.. وسخا من فتوح خارجة بن حذافة بولاية عمرو بن العاص حين فتح مصر أيام عمر رضى الله عنه". ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص١٩٦.

(٣٥) وحلوان أيضًا: قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل، وبهادير ذكر فى الديرة، وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر، وضرب بها الدنانير". ياقوت الحموى: معجم، مج ٢، ص٢٩٣.

(٣٦) الكندى: تاريخ، ص ص١٥٠ ـ ١٥١.

(٣٧) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص١٨٦.

(٣٨) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٣٩) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص١٩٥.

(٤٠) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٥٨.

(٤١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، صص٥٨ ـ ٥٩.

(٤٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، صص٦٢ ـ ٦٤.

(٤٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، صص٦٤ ـ ٦٥.

(٤٤) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص٢٠٥.

(٤٥) الكندى: تاريخ ولاة مصر، صص١٥٢ ـ ١٥٣.

(٤٦) الطبرى: تاريخ، مج٥، صص٢١٦ـ٢١٩، ٢٣٥.

(٤٧) البلاذرى: فتوح، ص٢٩١.

(٤٨) اليعقوبى: البلدان، ص٢٦.

(٤٩) اليعقوبى: البلدان، صص٢٦ـ٢٧.

(٥٠) الشماسية: بفتح أوله، وتشديد ثانيه ثم سين مهملة، منسوبة إلى بعض شماسى النصارى: وهى مجاورة لدار الروم التى فى أعلى مدينة بغداد، وإليها ينسب باب الشماسية.." ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص٣٦١.

(٥١)اليعقوبى: البلدان، ص٢٧.

(٥٢) اليعقوبى: البلدان، ص٢٧. "البردان": بالتحريك: مواضع كثيرة..والبردان أيضًا: ماء بالسماوة دون الجناب وبعد الحنى من جهة العراق. ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٣٧٥. باحمشا: بسكون الميم، والشين معجمة: قرية بين أوانا والحظيرة، وكانت بها وقعة للمطلب فى أيام الرشيد" ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٣١٦.

(٥٣) اليعقوبى: البلدان، صص٢٧ـ٢٨.

(٥٤) اليعقوبى: البلدان، صص٢٨ـ٢٩.

(٥٥) الطبرى: تاريخ، مج٤. صص٥١٧ـ٥٤٧.

(٥٦) اللاذقية: بالذال معجمة مكسورة، وقاف مكسورة، وياء مشددة: مدينة فى ساحل بحر الشام تعد فى أعمال حمص.. وهى الآن من أعمال حلب.. مدينة عتيقة رومية فيها أبنية قديمة مكينة، وهو بلد حسن فى وطاء من الأرض وله مرفأ جيد محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض والبحر على غربيها وهى على ضفته". ياقوت الحموى: معجم، مج٥، صص٥ـ٦.

(٥٧) اليعقوبى: البلدان، ص٢٩.

(٥٨) اليعقوبى: البلدان، ص٢٩.

(٥٩) اليعقوبى: البلدان، ص ص٢٩ـ٣٠.

(٦٠) اليعقوبى: البلدان، ص٣٠.

(٦١) اليعقوبى: البلدان، صص٣٠ـ٣١.

(٦٢) قم: بالضم، وتشديد الميم، وهى كلمة فارسية: مدينة تذكر مع قاشان.. وهى مدينة

مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعرى، وبها آبار ليس فى الأرض مثلها عذوبة وبردًا.. وأبنيتها بالآجر، وفيها سراديب فى نهاية الطيب.." (٦٢).
ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٣٩٧

(٦٣) قزوين: بالفتح ثم السكون.. مدينة مشهورة.. قال ابن الفقيه: أول من استحدثها سابور ذو الأكتاف.. قال: وحصن قزوين يسمى كشرين بالفارسية وبينه وبين الديلم جبل كانت ملوك الأرض تجعل فيها رابطة من الأساورة .. وكان عثمان بن عفان، رضى الله عنه، ولى البراء بن عازب الرى فى سنة ٢٤ فسار منها إلى أبهر ففتحها.. ورجل عنها إلى قزوين.. وحدث محمد بن هارون الأصبهانى قال: اجتاز الرشيد بهمذان وهو يريد خراسان فاعترضه أهل قزوين.. فسار إلى قزوين ودخلها وبنى جامعها وكتب اسمه على بابه فى لوح حجر..". ياقوت الحموى: معجم، مج٤، صص٣٤٢ـ٣٤٣ .

(٦٤) الجبل: هو اسم جامع لهذه الأعمال التى يقال لها الجبال.. والعامة فى أيامنا يسمونها العراق". ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص١٠٣ .

(٦٥) أذربيجان: بالفتح، ثم السكون.. وقد فتح قوم الذال، وسكنوا الراء.. قال ابن المقفع: أذربيجان مسماة باذرباذ بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح، عليه السلام، وقيل: أذرباذ بن بيوراسف، وقيل: بل أذر اسم النار بالفهلوية، وبايكان معناه الحافظ والخازن، فكأن معناه بيت النار، أو خازن النار، وهذا أشبه بالحق وأحرى به، لأن بيوت النار فى هذه الناحية كانت كثيرة جدًا. وحد أذربيجان من برذعة مشرقًا إلى أرزنجان مغربًا، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجيل، والطرم، وهو إقليم واسع. ومن مشهور مدائنها: تبريز، وهى اليوم قصبتها وأكبر مدنها وكانت قصبتها قديمًا المراغة. "ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص١٢٨ .

(٦٦) اليعقوبى: البلدان، ص ص٣١ ـ ٣٢.

(٦٧) اليعقوبى: البلدان، ص٣٢.

(٦٨) اليعقوبى: البلدان، ص٣٢.

(٦٩) اليعقوبى: البلدان، صص٣٢ـ ٣٣.

(٧٠) اليعقوبى: البلدان، صص٣٣ ـ ٣٤.

(٧١) اليعقوبى: البلدان، ص٣٤.
(٧٢) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٢٢.
(٧٣) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٢٢.
(٧٤) المقدسى: أحسن التقاسيم، صص١٢٢ ـ ١٢٣.
(٧٥) المقدسى: أحسن، ص١٢٣.
(٧٦) اليعقوبى: البلدان، ص٢٩.
(٧٧) تكريت: بفتح التاء والعامة يكسرونها: بلدة مشهورة بين بغداد الموصل، وهى إلى بغداد أقرب.. ولها قلعه حصينة فى طرفها الأعلى راكبة على دجلة، وهى غربى دجلة.. وكان أول من بنى هذه القلعة سابور بن أردشير .. وقيل: سميت بتكريت بنت وائل، وحدثنى العباس بن يحيى التكريتى، وهو معروف بالعلم والفضل فى الموصل، قال:.. أن بعض ملوك الفرس أول مابنى قلعة تكريت على حجر عظيم من جص وحصى كان بارزًا فى وسط دجلة ولم يكن هناك بناء غيره بالقلعة، وجعل بها مسالح وعيونًا"(٧٧).
ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص٣٨.
(٧٨) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص١٧٣.
(٧٩) قال ياقوت الحموى "تعديل نهارها أربع عشرة ساعة، غاية ارتفاع الشمس بها تسع وسبعون درجة وثلث، ظل الظهر درجتان وربع، ظل العصر أربع عشرة درجة، بين الطولين ثلاثون درجة، سمت القبلة إحدى عشرة درجة وثلث، وعن الموصلى ثلاث وثمانون درجة، وعرضها مائة وسبع عشرة درجة وثلث وعشر، وبها السرداب المعروف فى جامعها الذى تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه"(٧٩).
ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص١٧٣.
(٨٠) جوخاء: بالخاء المعجمة.. وهو موضع بالبادية بين عين صيد وزبالة فى ديار بنى عجل كان يسلكه حاج واسط". ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص١٧٨.
(٨١) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، صص١٧٣ ـ ١٧٤.
(٨٢) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ١٧٤ ـ ١٧٥.
(٨٣) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٤٤٩.
(٨٤) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ص١٥ـ١٦.

(٨٥) فريد شافعي: العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ص٣٩٩.

(٨٦) فريد شافعي: العمارة، ص ص٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٨٧) فريد شافعي: العمارة العربية، ص٤٠٣.

(٨٨) اليعقوبى: البلدان، ص٢٨.

(٨٩) طاهر مظفر العميد: العمارات المدنية، (القصور)، حضارة العراق، ج٩، ص ص ١٥٤ـ ١٥٧. أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص٣٣٦.، عيسى سلمان وآخرون: العمارات، ج٢، ص٤٥.

(٩٠) طاهر العميد: العمارات، (القصور)، حضارة العراق، ج٩، ص ص١٥٧ ـ ١٥٨. أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص٣٣٨ ـ ٣٣٩.، عيسى سلمان وآخرون: العمارات، ج٢، ص٤٧.

(٩١) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص٣٣٩ ـ ٣٤٣.

(٩٢) طاهر العميد: العمارات، القصور، حضارة، ج٩، ص١٥٨.، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص٣٤٦ـ٣٤٧

(٩٣) طاهر العميد: العمارات، القصور، حضارة، ج٩، ص ص١٥٨ ـ ١٥٩. ذكر شريف يوسف أن طول السور الخارجى ٣٧٠م على الرغم من أنه ذكر أن المساحة ١٩٠٠٠م. شريف يوسف: تاريخ فن، ص٣٤٧.

(٩٤) طاهر العميد: العمارات، القصور، حضارة، ج٩، ص١٥٩.، شريف يوسف: تاريخ فن، ص٣٤٧.

(٩٥) طاهر العميد: العمارات، القصور، حضارة، ج٩، ص ص١٥٩ ـ ١٦٠. أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص٣٤٧ ـ ٣٤٩.

(٩٦) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٨.

(٩٧) ابن الأثير: الكامل، ج٦،ص٤٨.

(٩٨) البكرى: المسالك، ج٢، ص ص٦٩٠ـ ٦٩١.

(٩٩) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص٢٨٣.

(١٠٠) أنظر عن المسجد الجامع بالقيروان: أحمد فكرى: المدخل، ص ص٢٠٣ ـ ٢٠٨، شريف عبد الوهاب: منشآت الأغالبة، ص ٦٦.

(١٠١) أحمد فكرى: المدخل، ص٢٤٩.

(١٠٢) أحمد فكرى: المدخل، ص ص٢٥٣ ـ ٢٥٤، شريف عبد الوهاب: منشآت الأغالبة، ص ١٤٩

(١٠٣) أحمد فكرى: المدخل، ص٢٥٤.

(١٠٤) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ص٢٦١ ـ ٢٦٣.

(١٠٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٧٠.

(١٠٦) تاهرت: بفتح الهاء، وسكون الراء.. اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة.. وهى بين تلمسان وقلعة بنى حماد، وهى كثيرة الأنداء والضباب والأمطار، حتى إن الشمس بهاقل أن ترى.. وذكر صاحب جغرافيا أن تاهرت فى الإقليم الرابع، وأن عرضها ثمان وثلاثون درجة، وهى مدينة جليلة، وكانت قديمًا تسمى عراق المغرب، ولم تكن فى طاعة صاحب إفريقية ولا بلغت عساكر المسودة إليها قط، ولا دخلت فى سلطان بنى الأغلب، وإنما كان آخر ما فى طاعتهم مدن الزاب". ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص٧ ـ ٨.

(١٠٧) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ص٧٠-٧١.

(١٠٨) ابن الأثير: الكامل؛ ج٦، ص٧٢.

(١٠٩) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ص٢٧٠ ـ ٢٧٣.

(١١٠) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ص٦٥ ـ ٦٨.

(١١١) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص٢٧١.

(١١٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص ٦٨.

(١١٣) البلاذرى: فتوح، ص ٢٩١.

(١١٤) اليعقوبى: البلدان، ص ٣٤.

(١١٥) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٢٧٢.

(١١٦) ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ١٧٥.

(١١٧) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٢٧٤، ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص ٨٥.

(١١٨) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٢٧٥.

(١١٩) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٢٧٥، أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٤٣.

(١٢٠) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٢٩٠.
(١٢١) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٢٩٠.
(١٢٢) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٤٤.
(١٢٣) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٢٩٠.
(١٢٤) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ص ٢٩٠-٢٩٢.
(١٢٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ص ٦٨-٧٢.
(١٢٦) فم الصلح: قال النحويون: وأما فو وفى وفا فالأصل فى بنائها فوه حذفت الهاء من آخرها وحملت الواو على الرفع والنصب والجر فاجترت الواو ضروب النحو إلى نفسها فصارت كأنها مدة تتبع الفاء، وإنما يستحسنون هذا اللفظ فى الإضافة فأما إذا لم يضف فإن الميم تجعل عمادًا للفاء لأن الواو والياء والألف يسقطن مع التنوين فكرهوا أن يكون اسم بحرف معلق فعمدت الفاء بالميم فقيل فم.. وأما الصلح فما أحسبه إلا مقصورًا من الصلاح يعنى المصالحة وإلا فهو عجمى أو مرتجل: وهو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبل عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون، وفيه بنى المأمون ببوران، وقد نسب إليه جماعة من الرواة والمحدثين وغيرهم، وهو الآن خراب إلا قليلاً".
ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٢٧٦.
(١٢٧) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٣، ص ١٠.
(١٢٨) البلاذرى: فتوح، ص ٢٩١. اليعقوبى: البلدان، ص ص ٣٤-٣٥
(١٢٩) اليعقوبى: البلدان، ص ص ٣٤-٣٥.
(١٣٠) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١٢٢.
(١٣١) ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ١٧٥.
(١٣٢) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١١١.
(١٣٣) فريد شافعى: العمارة، ص ٤١٧.
أنظر أيضًا: زكى محمد حسن: فنون الإسلام، الأعمال الكاملة للدكتور زكى محمد حسن ٣، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م، ص ٥٩.
(١٣٤) فريد شافعى: العمارة، ص ص ٤١٧-٤١٩.
(١٣٥) فريد شافعى: العمارة، ص ٤١٩.

(١٣٦) فريد شافعي: العمارة، ص ص ٤١٩-٤٢١.
(١٣٧) البلاذري: فتوح، ص ٢٩١.
(١٣٨) البلاذري: فتوح، ص ٢٩١.
(١٣٩) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٥.
(١٤٠) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٢٢.
(١٤١) ياقوت الحموي: معجم، مج ٣، ص ١٧٥.
(١٤٢) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ١، ص ص ١١٠-١١١.
(١٤٣) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٢٤.
(١٤٤) أحمد فكري: المدخل، ص ٢٣٧.
(١٤٥) عيسى سلمان: العمارات العربية، جـ١، ص ١١١.
(١٤٦) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٢٤.
(١٤٧) فريد شافعي: العمارة العربية، مج ١، ص ٤١٠.
(١٤٨) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ١١٠.
(١٤٩) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ١١١.
(١٥٠) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ص ١١١-١١٢.
(١٥١) أحمد فكري: المدخل، ص ٢٣٧.
(١٥٢) أحمد فكري: المدخل، ص ٢٣٨.
أورد أحمد فكرى أن المسجد يحتل مساحة منحصرة بين جدرانه الداخلية، وهى تشغل مستطيلاً طوله ٢٤٠ مترًا، وعرضه ١٥٦ مترًا.
أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٣٧.
(١٥٣) أحمد فكري: المدخل، ص ٢٣٨.
(١٥٤) عيسى سلمان: العمارات، جـ ١، ص ١١٢.
(١٥٥) أحمد فكري: المدخل، ص ٢٣٨.
(١٥٦) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ص ١١٢-١١٣.
(١٥٧) ذكر شريف يوسف أن الارتفاع ١٠.٥٠. أنظر: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٢٥.
(١٥٨) ذكر شريف يوسف أن السمك ٢م، ذكر أحمد فكرى "يزيد سمكها عن المترين والنصف".

شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٢٥.، أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٣٧ .

(١٥٩) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٢٥.

(١٦٠) عيسى سلمان: العمارات، جـ ١، ص ١١٣ .

(١٦١) أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٣٨.

(١٦٢) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٣٢٨-٣٢٩.

(١٦٣) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ص ١١٣-١١٦، انظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٢٨.

(١٦٤) عيسى سلمان: العمارات، جـ ١، ص ١١٦ .، أورد شريف يوسف ٢٥ نافذة أنظر: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٢٧.

(١٦٥) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ص ١١٦-١١٨ .

(١٦٦) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ص ١١٨-١٢٠ .

(١٦٧) أورد شريف يوسف ٢٧.٢٥م. أنظر شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٣٠.

(١٦٨) أورد شريف يوسف ٣٠و٣١م، أما المستوى العلوى فهو ٦٠و٣٠ × ٤٠و٣٠، وأورد أحمد فكرى أن القاعدة المربعة، طول ضلعها ٣٣م. انظر: شريف يوسف: تاريخ، ص ٣٣٠.، أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٣٨. انظر عن المئذنة: عيسى سلمان: العمارات، جـ١، ص ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

(١٦٩) أورد شريف يوسف ان الجانب الجنوبى يشتمل على ست بينما ذكر عيسى سلمان أنها سبع.

مزيد من التفاصيل أنظر: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٣٣٠-٣٣١.

(١٧٠) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ١٢٠ .

(١٧١) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جآ ١، ص ١٢٤ .

أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٣٣١-٣٣٣.

(١٧٢) فريد شافعى: العمارة: مج ١، ص ص ٤٠٩-٤١٠.

(١٧٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ص ١٢٦-١٢٧ .

(١٧٤) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٣١٠، ابن الأثير، الكامل، جـ ٦، ص ١٢٧ .

(١٧٥) أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٥٠.

(١٧٦) أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٥٠.

(١٧٧) أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٥٠.
(١٧٨) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٣١٢، ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ١٣٠.
(١٧٩) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٣١٧، ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ص ١٤٢-١٤٣.
(١٨٠) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٧٠.
(١٨١) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٥٢.
(١٨٢) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٥٤.
(١٨٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٥٥.
(١٨٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٥٦، انظر: شريف عبد الوهاب: منشآت، ص ٤١.
(١٨٥) المقريزى: الخطط، جـ٢ ص ٤٠٦.، فريد شافعى: العمارة، ص ٣٥٩.
(١٨٦) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٦٠.
(١٨٧) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٦٠.
(١٨٨)ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٦١.
(١٨٩) طاهر العميد: العمارات، القصور، حضارة، جـ ٩، ص ١٦١. أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٥٠.
(١٩٠) طاهر العميد: العمارات، القصور، حضارة، جـ ٩، ص ص ١٦١-١٦٣، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٣٥٠-٣٥٢.
(١٩١) طاهر العميد: العمارات، القصور ، حضارة، جـ ٩، ص ١٦٤.، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٣٥٢-٣٥٤.
(١٩٢) طاهر العميد: العمارات، القصور ، حضارة، جـ ٩، ص ١٦٤.
(١٩٣) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٣٢٨. ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٦٢.
(١٩٤) البلاذرى: فتوح، ص ص ٢٩١-٢٩٢.
(١٩٥) اليعقوبى: البلدان، ص ص ٣٥-٣٦.
(١٩٦) ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ٥٣.
(١٩٧) ياقوت الحموى: معجم، مج ٢، ص ١٤٤.
(١٩٨) ياقوت الحموى: معجم، مج ٢، ص ١٤٣.
(١٩٩) الطبرى: تاريخ، جـ ٥، ص ٣٢٨.

(٢٠٠) الطبرى: تاريخ، جـ ٥، ص ص ٣٢٨-٣٢٩.
(٢٠١) الطبرى: تاريخ، جـ ٥، ص ٣٣٢.
(٢٠٢) الطبرى: تاريخ، جـ ٥، ص ٣٣٣.
(٢٠٣) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ ١، ص ص ١٢٦-١٢٧.
يذكر شريف يوسف أن جامع أبى دلف يقع فى جنوب المتوكلية أو الجعفرية، وهو الآن على بعد ٦٥كم من القسم الشمالى لمدينة سامراء الحديثة.
شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٣٣.
(٢٠٤) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ١٢٦ هامش ١.، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٣٣.، أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٤٠.
(٢٠٥) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ١٢٦.، أنظر أيضًا: أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٤٠.
(٢٠٦) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ص ١٢٦-١٢٧.، أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٤٠.
(٢٠٧) عيسى سلمان وآخرون العمارات، جـ ١، ص ص ١٢٧-١٣٠. أنظر أيضًا: أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٤٠.
(٢٠٨) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ص ١٣٠-١٣١.
(٢٠٩) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ص ١٣٠-١٣١.، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٣٥.
(٢١٠) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ١٣١.، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٣٥.
(٢١١) أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٤٢.
(٢١٢) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١،ص ص ١٣١-١٣٣.
(٢١٣) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ١٤٠.
(٢١٤) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ ١، ص ص ١٤٠-١٤٢.
(٢١٥) مزيد من التفاصيل أنظر: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٣٣٥-٣٣٦.
(٢١٦) الكندى: تاريخ، ص ١٥٩.
(٢١٧) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى،

١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٦. أنظر أيضًا: سامى محمد نوار: المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامى وحتى نهاية العصر المملوكى دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أسيوط، كلية الآداب بسوهاج، قسم الآثار الإسلامية، المجلد الأول ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٤.

(٢١٨) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، جـ ٤، ص ١٠٩.

(٢١٩) ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ١٧٨.

(٢٢٠) ابن دقماق: الانتصار، ق ١، ص ص ١١٤-١١٥.

(٢٢١) المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على): ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م: الخطط، جـ ٢، ص ١٨٥.

(٢٢٢) السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مج٢، ص ص ٣١٦-٣١٨.

(٢٢٣) فريد شافعى: العمارة العربية، مج ١، ص ٣٨٨، أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ص ٧٧-٨٠.

(٢٢٤) ابن خلكان (أبى العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر) ت ٦٨١هـ/ م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق يوسف على طويل ومريم قاسم طويل دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، مج٣، ص ٩٣.

(٢٢٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٣، ص ٩٤.

(٢٢٦) ابن خلكان: وفيات، مج ٣، ص ص ٩٤-٩٥.

(٢٢٧) ابن خلكان: وفيات، مج ٣، ص ٩٥.

(٢٢٨) فريد شافعى: العمارة، مج ١، ص ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٢٢٩) فرغانة: بالفتح ثم السكون، وغين معجمة، وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان فى زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرستاق.. وهى فى الإقليم السادس... وبفرغانة فى الجبال الممتدة بين الترك وبينها من الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورد والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله.. قال الإصطخرى: فرغانة اسم الإقليم وهو عريض موضوع على سعة مدنها

وقراها، وقصبتها أخسيكث، وليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة.. ويقال: فرغانة قرية من قرى فارس". ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٢٥٣.

(٢٣٠) فريد شافعى: العمارة، مج ١، ص ٣٨٩.

(٢٣١) ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ١٧٨، أنظر أيضًا. سامى محمد نوار: المنشآت المائية بمصر، ص ص ٣٧-٣٨.

(٢٣٢) فريد شافعى: العمارة، مج ١، ص ص ٣٨٩-٣٩٠، يذكر أحمد عبد الرازق أن أحمد بن محمد الحاسب كان أحد مشاهير علم الحساب.

أنظر: أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر، ص ص ٧٨-٨٠.

(٢٣٣) يذكر سامى نوار أنه فى سنة ١٩٣٦م فى أثناء الاخلاء حول بئر المقياس وجد أن البئر محاطة بعمق كبير بأحجار مستطيلة من النوع الجيرى معظمها بحجم واحد بأبعاد متوسطها ١×٠.٤٠×٠.٣٥م متراصة بشكل منتظم، والقلبل منها يرجع إلى ما قبل الإسلام بنقوش فرعونية. مزيد من التفاصيل أنظر: سامى محمد نوار: المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامى وحتى نهاية العصر المملوكى، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أسيوط، كلية الآداب بسوهاج، المجلد الأول، ١٩٨٤م، ص ٦٠ هامش ٢.

(٢٣٤) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١ م، ص ٢١٧.، سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٥٩-٦٠.

(٢٣٥) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٦٠-٦١.

(٢٣٦) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٦١ ـ ٦٢.

يذكر سامى نوار أن الطبلية الخشبية توجد بمخازن هيئة الآثار بمسجد السلطان حسين وكانت قبل ذلك بمبنى متحف الأحجار الأثرية المستخرجة، وهذا المتحف كان كامل غالب قد أنشأه سنة ١٩٥٢م بجوار سراى المانسترلى بجزيرة الروضة.

سامى نوار: المنشآت المائية، ص ٦٢.

(٢٣٧) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٦٣-٦٤.

يذكر سامى نوار ان ابرتون أشار إلى وجود بئر ثالثة تبعد حافتها الشرقية بمسافة ١٨.٧٠ م من الواجهة الشرقية ولكن لم يعثر عليها وربما رسمه غير دقيق.

سامى نوار: المنشآت، ص ٦٤ هامش١.

(٢٣٨) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٦٤-٦٦.
(٢٣٩) سامى نوار: المنشآت، ص ٦٦.
(٢٤٠) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ٢١٨.، سامى نوار: المنشآت، ص ص ٦٧-٦٩.

ذكر سامى نوار أنه فى ١٢/٨/١٩٤١م اتصل الأثرى حسن عبد الوهاب بيوسف أحمد وكلفه أن يكتب بالخط الكوفى النص الذى كان على عارضة بئر المقياس الأصلية مطابقا فى ذلك ماورد بالكتابة التى وردت فى الجزء ١٥ بكتاب وصف مصر مع ما ورد بكتاب وفيات الأعيان فاتضح أن الحاسب كتب على العارضة آية الكرسى إلى آخرها وأن النص الوارد بالحملة الفرنسية تضمن آية الكرسى بدون البسملة.

سامى نوار: المنشآت، ص ٦٨ هامش ١.

(٢٤١) ذكر سامى نوار أن عمر طوسون نقل مقاييس الأذرع بحسب ما سجله علماء الحملة الفرنسية وهى:

١- الذراع السفلى الأول بدأ من الصفر ٠.٥٤٠
٢- الذراع السفلى الثانى من الصفر ٠.٥٤١
٣- الذراع السفلى الثالث من الصفر ٠.٥٣٥
٤- الذراع السفلى الرابع من الصفر ٠.٥٣٦
٥- الذراع السفلى الخامس من الصفر ٠.٥٤٣
٦- الذراع السفلى السادس من الصفر ٠.٥٣٨
٧- الذراع السابع السابق تقسيمه لأربع مقاسات وست أصابع ٠.٥٣٦
٨- الذراع الثامن السابق تقسيمه لأربع مقاسات وست أصابع ٠.٥٤١
٩- الذراع التاسع السابق تقسيمه لأربع مقاسات وست أصابع ٠.٥٤٠
١٠- الذراع العاشر السابق تقسيمه لأربع مقاسات وست أصابع ٠.٥٣٦
١١- الذراع الحادى عشر السابق تقسيمه لأربع مقاسات وست أصابع ٠.٥٤٨
١٢- الذراع الثانى عشر السابق تقسيمه لأربع مقاسات وست أصابع ٠.٥٥٠
١٣- الذراع الثالث عشر السابق تقسيمه لأربع مقاسات وست أصابع ٠.٥٤٦
١٤- الذراع الرابع عشر السابق تقسيمه لأربع مقاسات وست أصابع ٠.٥٣٦
١٥- الذراع الخامس عشر السابق تقسيمه لأربع مقاسات وست أصابع ٠.٥٣٩

١٦- الذراع السادس عشر السابق تقسيمه لأربع مقاسات وست أصابع ٠.٥٤٠ ٨.٦٤٦م
مزيد من التفاصيل أنظر:
سامى نوار: المنشآت، ص ٧٣.
(٢٤٢) سامى نوار: المنشآت، ص ٧٤.
(٢٤٣) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٧٤-٧٥.
(٢٤٤) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٧٥-٧٦.
أنظر أيضًا: حسن الباشا: مدخل إلى الآثار، ص ٢١٧.
(٢٤٥) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٧٧-٧٨.
(٢٤٦) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٧٨-٨٠.
(٢٤٧) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٨٠-٨١.
(٢٤٨) سامى نوار: المنشآت، ص ٨٢.
أنظر ما ذكره فريد شافعى: فريد شافعى: العمارة العربية، ص ٣٩٢.
(٢٤٩) فريد شافعى: العمارة، مج ١، ص ص ٣٩١-٣٩٢.
سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٨٢-٨٣.
(٢٥٠) فريد شافعى: العمارة، مج ١، ص ٣٩٣.
(٢٥١) مزيد من التفاصيل أنظر: سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٨٤-٨٨.
(٢٥٢) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٨٨-٩١.
(٢٥٣) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٩٢-٩٦.
(٢٥٤) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٣٣-٣٤.، أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر، ص ٨١.
(٢٥٥) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٣٤-٣٥، أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر، ص ٨١.
(٢٥٦) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ٣٥.، أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر، ص ٨١.
(٢٥٧) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ٣٥.
(٢٥٨) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ٣٥، أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر، ص ٨١.

(٢٥٩) أنظر عن المقياس فى زمن الحملة الفرنسية: علماء الحملة الفرنسية: موسوعة وصف مصر (مقياس النيل)، ترجمة منى زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، جـ ١٢، ص ص ١١٦-١١٧.

(٢٦٠) علماء الحملة الفرنسية: موسوعة وصف مصر، جـ ١٢، ص ص ١١٦-١١٧.، سامى نوار: المنشآت، ص ص ٣٧-٣٨.

(٢٦١) سامى نوار: المنشآت، ص ٣٩.

(٢٦٢) سامى نوار: المنشآت، ص ٤٠.، أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر، ص ص ٨١-٨٢.

(٢٦٣) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٤٠-٤١.

(٢٦٤) سامى نوار: المنشآت، ص ٤١.

(٢٦٥) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٤١-٤٢.

(٢٦٦) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٤٢-٤٣.

(٢٦٧) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ٤٣.

(٢٦٨) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ٤٣.

(٢٦٩) سامى نوار: المنشآت، ص ٤٦.

(٢٧٠) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٤٦-٤٧.

(٢٧١) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢٧٢) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢٧٣) سامى نوار: المنشآت، ص ٥٠.

(٢٧٤) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٥١-٥٦.

(٢٧٥) الطبرى: تاريخ، جـ ٥، ص ص ٣٣٤-٣٤١.

(٢٧٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٣، ص ص ١٠-١٢.

(٢٧٧) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٣، ص ص ١٢-١٤.

(٢٧٨) الطبرى: تاريخ، جـ ٥، ص ص ٣٥١-٣٥٣.

(٢٧٩)حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٣، ص ص ١٤-١٥.

(٢٨٠) عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ٦٨.، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٥٤ .Creswell: Ashort Accunt, p. 373

(٢٨١)عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ٦٨، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٣٥٤-٣٥٥.

Creswell: Ashort Account, PP. 373-374.

(٢٨٢) عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ٧٠-٧٢.

(٢٨٣) الطبرى: تاريخ، جـ٥، ص ٣٥٩.، ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٩٦.

(٢٨٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ص ١٩٦-١٩٧.

(٢٨٥) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٢٠٥.

(٢٨٦) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٧١.

(٢٨٧) أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٥٥.

ينسب بعض المؤرخين تأسيس جامع الزيتونة إلى حسان بن النعمان سنة ٨٤ هـ/ ٧٠٣م، وذكر أن عبيد الله بن الحبحاب جدده فى سنة ١١٦ هـ/ ٧٣٤م، وقيل فى سنة ١١٤ هـ/ ٧٣٢م. شريف عبد الوهاب: منشآت الأغالبة، ص ص ٢١٥-٢١٧.

(٢٨٨) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢٨٩) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٢٩٠) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ص ١٥١-١٥٢.

(٢٩١) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٤٠٦. ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٢٣٣.

(٢٩٢) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ١٥١.

(٢٩٣) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٤٢٦.، حسن عبد الوهاب تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٤م، ص ٣٢.

(٢٩٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٢٥٠.

(٢٩٥) ابن خلكان: وفيات، مج ١، ص ص ١٨٤-١٨٥.

(٢٩٦) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ١٧٨.

(٢٩٧) الطبرى: تاريخ، جـ ٥، ص ص ٤٣٠-٤٣١، ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ص ٢٥٦-٢٥٨.

(٢٩٨) الطبرى: تاريخ، جـ ٥ ص ص ٤٦٨-٤٧٨. ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ص ٢٨٢-٢٨٨.

(٢٩٩) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص ص ٧٤٥-٧٤٦.
(٣٠٠) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٣٧١.
(٣٠١) البلوى (أبى محمد عبد الله بن محمد المدينى): سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، الذخائر، ٥٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص ص ٤٢-٥٤.
(٣٠٢) البلوى: سيرة، ص ص ٥٤-٥٦.
(٣٠٣) الكندى: تاريخ، ص ص ١٦٧-١٦٩.
(٣٠٤) ابن دقماق: الانتصار، ق ١، ص ص ١٢١-١٢٢.
(٣٠٥) المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ص ٣١٣-٣١٥.
(٣٠٦)فريد شافعى: العمارة، ص ٤٢٢.
(٣٠٧) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ص ١٥١-١٥٢.
(٣٠٨) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٤٩٠، ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٣٠٦.
(٣٠٩) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٤٩٣، ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٣٠٦.
(٣١٠) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٤٩٤.
(٣١١) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٣٠٦.
(٣١٢) حسن إبراهيم: تاريخ، جـ ٣، ص ١٣٣.
(٣١٣) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٤٩٤.
(٣١٤) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ١٥١.
(٣١٥) البلوى: سيرة، ص ١٨٠.
(٣١٦) الكندى: تاريخ، ص ١٧٠.
(٣١٧) ابن دقماق: الانتصار، ق ٤، ص ٩٩.
(٣١٨) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ٤٠٥.
(٣١٩) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ٤٠٥.
(٣٢٠) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ص ٤٠٥-٤٠٦.
(٣٢١) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٥٠٠. ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص ٣١٨.
(٣٢٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص ٣١٩.
(٣٢٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص ٣٢٨.
(٣٢٤) ابن الأثير:الكامل،جـ٦،ص ٣٤٩.

(٣٢٥) ابن الأثير:الكامل،جـ٦،ص ٣٥٦.
(٣٢٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ص ص ٥٥-٥٦.
(٣٢٧) البلوى: سيرة، ص ص ٥٢-٥٥.
(٣٢٨) البلوى: سيرة، ص ٥٦.
(٣٢٩) الكندى: تاريخ، ص ١٦٩.
(٣٣٠) ابن دقماق: الانتصار، ق ١، ص ١٢١.
(٣٣١) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ٢٦٥.
(٣٣٢) البلوى: سيرة، ص ٥٦.
(٣٣٣) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ص ١٧١-١٧٢.
(٣٣٤) ابن دقماق: الانتصار، ق ٤، ص ١٢٢.
(٣٣٥) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ص ٢٦٤-٢٦٥.
(٣٣٦) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ٢٦٤.
(٣٣٧) الكندى: تاريخ، ص ١٧٢.
(٣٣٨) أورد ابن عبد الحكم "وسفح الجبل الغربى ليشكر بن جزيلة من لخم". ابن عبد الحكم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى): فتوح مصر وأخبارها، صفحات من تاريخ مصر، (١٠)، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١١٨.
(٣٣٩) ابن دقماق: الانتصار، ق٤، ص ص ١٢٢-١٢٣.
(٣٤٠) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٦٥.
(٣٤١) السيوطى: حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ٢١٨.
(٣٤٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١١٨.
(٣٤٣) الكندى: تاريخ، ص ١٧٢.
(٣٤٤) ابن دقماق: الانتصار، ق ٤، ص ص ١٢٢-١٢٣.
(٣٤٥) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ص ٢٦٥-٢٦٦.
(٣٤٦) السيوطى: حسن المحاضرة، مج ٢، ص ٢١٨.
(٣٤٧) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٠٣-١٠٤.، حسن عبد الوهاب، تاريخ، ص ص ٤٠-٤١.

(٣٤٨) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١٩٩.
(٣٤٩) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١٩٩.
(٣٥٠) ناصر خسرو علوى: سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ١١٦.
(٣٥١) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ٢٥.
(٣٥٢) أحمد فكرى: الد خل، ص١٠٣.
(٣٥٣) البلوى: سيرة، ص ص ١٨٢ ـ ١٨٣.
(٣٥٤) فريد شافعى: العمارة، ص ص٤٧٥ـ٤٧٧ .
(٣٥٥) فريدشافعى: العمارة،ص٤٧٧.
(٣٥٦) حسن عبد الوهاب: تاريخ، ص ص ٤٣-٤٤.
(٣٥٧) ابن دقماق: الانتصار،ق٤ ،ص ص١٢٢ـ١٢٣ .
(٣٥٨) المقريزى: الخطط،جـ٢ ص٢٦٦.
(٣٥٩) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ٢٦٦.
(٣٦٠) أحمد فكرى: المدخل، ص ١٠٨.، فريد شافعى: العمارة، ص ص ٤٦٤-٤٦٧.، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد، ص ٣٤.
(٣٦١) فريد شافعى: العمارة، ص ٤٧٠.
(٣٦٢) فريد شافعى: العمارة، ص ٤٧١.
(٣٦٣) أحمد فكرى: المدخل، ص ١١٦.
(٣٦٤) ابن دقماق: الانتصار، ق ٤، ص ١٢٣.، المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ص ٢٦٧-٢٦٨.
(٣٦٥) أحمد فكرى: المدخل، ص ١١٠.
(٣٦٦) أحمد فكرى: المدخل، ص ١١٠.، حسن عبد الوهاب: تاريخ، ص ٣٥.
(٣٦٧) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١١٢-١١٤.
(٣٦٨) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١١٤-١١٥.
(٣٦٩) أحمد فكرى: المدخل، ص ١١٦.
(٣٧٠) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١١٠-١١١.
(٣٧١) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ٢٦٦.

(٣٧٢) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ٢٦٧.
(٣٧٣) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ٢٦٦.
(٣٧٤) المقريزى: الخطط، جـ ٢، ص ٢٦٦.
(٣٧٥) أحمد فكرى: المدخل، ص ١٢٣.
(٣٧٦) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٢٣-١٢٦.
(٣٧٧) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٢٧-١٢٩.
(٣٧٨) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٢٩-١٣٢.
(٣٧٩) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٣٢-١٣٦.
(٣٨٠) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٦.
(٣٨١) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٧.
(٣٨٢) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٦.
(٣٨٣) ابن دقماق: الانتصار، ق٢، ص ١٢٣،
(٣٨٤) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٣٨٥) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٨.
(٣٨٦) حسن عبد الوهاب: تاريخ، ص ٤٤.
(٣٨٧) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٠٦ ـ ١١٠.، فريد شافعى: العمارة، ص ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥.
(٣٨٨) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد، ص ٤٤.
(٣٨٩) ابن جبير: رحلة، ص ٢٥.
(٣٩٠) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٨.
(٣٩١) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج٢، ص ٦.
(٣٩٢) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٨.
(٣٩٣) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٣٩.
(٣٩٤) السيوطى: حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢٢٠.
(٣٩٥) فريد شافعى: العمارة، ص ٤٩١.، حسن عبد الوهاب: تاريخ، ص ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٣٩٦) فريد شافعى: العمارة، ص ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥.، حسن عبد الوهاب: تاريخ، ص ٣٧.

(٣٩٧) كان يعلو هذا الطابق شرافات ثلاثية، انظر: وصف مصر، لوحة ٢٩.

(٣٩٨) كان يعلو هذا الطابق شرفة أذان. أنظر: وصف مصر، لوحة ٢٩.

(٣٩٩) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٧.، الجبرتى: عجائب الآثار، ج١، ص٢٥، حسن عبد الوهاب: تاريخ، ص ٤٣.

(٤٠٠) أنظر عن مئذنة جامع ابن طولون:

فريد شافعى: مئذنة مسجد ابن طولون، رأى فى تكوينها المعمارى، فصلة من مجلة كلية الآداب، المجلد الرابع عشر، ج١، مايو، ١٩٥٢م، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٢م، ص ص ١٦٧ ـ ١٦٨.، محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولونى، القاهرة، ١٣٤١هـ / ١٩٢٧م، ص ص ٧٢ ـ ٧٣.، السيد عبد العزيز سالم: التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية، دائرة معارف الشعب، كتاب الشعب ٦٤، مطابع الشعب، ١٩٥٩م، ص ص ١٧٠ ـ ١٧٢.

(٤٠١) فريد شافعى: مئذنة ابن طولون، ص ١٧٦.

(٤٠٢) أول مثال ذى تاريخ ثابت من هذا النوع من العقود فى الشرق الأوسط يوجد فى معمدانية مار يعقوب فى نزيب (نصيبين) ويؤرخ فى سنة ٣٩٥م كما توجد من هذا العقد أمثلة عديدة فى الشام، وأول استعماله فى العمارة الإسلامية كان فى المسجد الأموى بدمشق ثم بطل استعماله فى الشام بعد ذلك وانتقل إلى بلاد المغرب والأندلس حيث استوطن تلك البلاد وأصبح من أهم الظواهر المعمارية المميزة لفنونها وأمثلته هناك عديدة لا تحصى، أما أول ظهور هذا النوع فى مصر فقد كان فى مدفن السلطان قلاوون ٦٨٣ ـ ٦٨٤ / ١٢٨٤ ـ ١٢٨٥م إلا أن استعماله فى هذا المدفن لم يكن فى توسع كبير كما هو فى مئذنة مسجد ابن طولون.

فريد شافعى: مئذنة ابن طولون، ص ١٧٦.

(٤٠٣) ظهرت هذه الظاهرة فى مصر فى مدفن فاطمة خاتون سنة ٦٨٢ ـ ٦٨٣ هـ / ١٢٨٣ ـ ١٢٨٤م، ثم فى مدرسة ومدفن قلاوون ومئذنته ولكن زيد عليها طاقة مستديرة تعلو كل شباكين فى واجهة المدفن والمدرسة، هذا ونلاحظ أن عقود الشبابيك التوائم ليست من نوع حدوة الفرس إلا فى القاعدة المثمنة للقبة، أما فى

مئذنة مسجد ابن طولون فهى على الهيئة الأصلية التى توجد عليها فى الغرب الإسلامى ولم يدخلها التصرف الذى رأيناه وهو إضافة الطاقة المستديرة فى مدفن فاطمة خاتون ومجموعة قلاوون، ثم نرى هذا النموذج فى مئذنة سلار وسنجر ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م.

هناك ظاهرة رابعة فى جامع أحمد بن طولون وهى الكوابيل الخشبية التى تشبه شكل مقدم السفينة وتوجد فى جامع ابن طولون تحت سقف حجرة توجد خلف محراب المسجد وكان من رأى مارسيه أن هذه الكوابيل فيها شبهًا كبيرًا بكوابيل فى كنيسة القديسة ماريا البيضاء فى طليطلة حوالى سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٠م، ومن رأيه أن تلك المدينة هى مصدر كوابيل جامع أحمد بن طولون ولكن الأستاذ توريس بالباس عارضه فى تخصيص تلك المدينة بالذات، فذلك النوع من الكوابيل منتشر فى مدن أسبانية كثيرة منذ منتصف القرن ٥ هـ/ ١١م، والواقع أن ابتكار الحلقات الأولى من هذا النوع من الكوابيل يرجع إلى عصور متقدمة فى تلك البلاد فنرى منها أمثلة فى جامع القيروان وتعود إلى منتصف القرن ٥هـ/ ١١م، وفى جامع تلمسان وتؤرخ في١١٣٥م ولا جدال فى أن هذا النوع من الكوابيل قد أتى مباشرة إلى جامع ابن طولون من الغرب الإسلامى وهو على هيئته الأصلية بلا تحوير أو تحريف، وهذه الظاهرة هى أيضًا من الظواهر التى لم تظهر فى أى أثر آخر فى مصر.

فريد شافعى: مئذنة ابن طولون، ص ص ١٧٧ ـ ١٧٩.

(٤٠٤) فريد شافعى: مئذنة ابن طولون، ص ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٤٠٥) فريد افعى: مئذنة، ص ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٤٠٦) فريد شافعى: مئذنة ابن طولون، ص ١٨١.

استمر طراز المآذن ذوات المباخر بعد مئذنة قوصون ٧٣٥ هـ/ ١٣٣٥ ـ ١٣٣٦م فى مئذنتى منجك اليوسفى وتنكزبغا.

(٤٠٧) فريد شافعى: العمارة العربية، ص ٦٤٠.

(٤٠٨) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٧.

(٤٠٩) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٦.

(٤١٠) المقدسى: احسن التقاسيم، ص ١٩٩.

(٤١١) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٥٩٣.

(٤١٢) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٣٧.
(٤١٣) ابن اياس (محمد بن أحمد الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م، ج١، ق١، ص ١٧٣.
(٤١٤) ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ١٨١.
(٤١٥) ناصر خسرو: سفرنامة، ص ١١٦.
(٤١٦) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ٢٥.
(٤١٧) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٦٨.
(٤١٨) هو الملك المنصور لاجين بايعوه الأمراء وحلفوا له وتلقب بالمنصور وذلك في سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦م، فلما استقر أمره استناب قراسنقر بمصر، ثم استناب مملوكه منكوتمر الحسامي وكان لاجين من جملة من تواطأ على قتل الأشرف خليل فلما قتل بيدرا هرب لاجين واختفى في مئذنة جامع ابن طولون مدة طويلة. أنظر:
ابن دقماق: الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ج٢، ص ١٢٢.،
ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ص ٣٨٦ـ٣٨٧..
(٤١٩) السيوطي: حسن المحاضرة، مج ٢، ص ٢٢٠.
(٤٢٠) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٦٩.، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ص ٤٥.
(٤٢١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٦٩.
(٤٢٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٦٩.
(٤٢٣) حسن عبد الوهاب: تاريخ، ص ٤٥.
(٤٢٤) حسن عبد الوهاب: تاريخ، ص ص ٤٥ ـ ٤٦.
(٤٢٥) حسن عبد الوهاب: تاريخ، ص ٤٦.
(٤٢٦) حسن عبد الوهاب: تاريخ، ص ٤٦.
(٤٢٧) سناء عبد المقصود، ياسر العسيلي: دراسة لأعمال ترميم مئذنة جامع ابن طولون عقب زلزال أكتوبر ١٩٩٢، وتأثير زلزال نوفمبر ١٩٩٥، مطابع انتر ناشيونال برس، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص د، ٢ ـ ٤.
(٤٢٨) سناء عبد المقصود، ياسر العسيلي: دراسة لأعمال، ص ص ٥ ـ ٤٧.

(٤٢٩) سناء عبد المقصود، ياسر العسيلي: دراسة لأعمال، ص ص ٥٠ ـ ٨٠.
(٤٣٠) سناء عبد المقصود، ياسر العسيلي: دراسة لأعمال، ص ص ٨٢ ـ ٨٥.
(٤٣١) القاهرة التاريخية: جامع أحمد بن طولون، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ص ٤٢ ـ ٥٥.
(٤٣٢) القاهرة التاريخية: جامع، ص ص ٦١ ـ ١٠٦.
(٤٣٣) البلوى: سيرة، ص ص ٨٥ ـ ٨٨.
(٤٣٤) الكندى: تاريخ، ص ١٧١.
(٤٣٥) ابن دقماق: الانتصار، ق٤، ص ١٠٩.
(٤٣٦) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ص ١٧٧ ـ ١٧٨.
(٤٣٧) فريد شافعى: العمارة، ص ٥٢٠.
(٤٣٨) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٣٥٧.
(٤٣٩) الطبرى: تاريخ، ج٥، ص ٥٢٥، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٣٧.
(٤٤٠) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٣٦٩.
(٤٤١) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٣٩٠.
(٤٤٢) الطبرى: تاريخ، ج٥، ص ٥٥٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٣٩٨.
(٤٤٣) الطبرى: تاريخ، ج٥، ص ٥٦٠، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤١٧.
(٤٤٤) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤١٨.
(٤٤٥) البلوى: سيرة، ص ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.
(٤٤٦) الطبرى: تاريخ، ج٥، ص ص ٥٨٦ ـ ٥٨٧، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٢٤
(٤٤٧) ياقوت الحموى: مج ٥، ص ٢٢٥.
(٤٤٨) الطبرى: تاريخ، ج٥، ص ٥٨٩.
(٤٤٩) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٢٧.
(٤٥٠) ابن دقماق: الانتصار، ق٤، ص ٩.
(٤٥١) ابن دقماق: الانتصار، ق٤، ص ١١.
(٤٥٢) ابن دقماق: الانتصار، ق٤، ص ١٢.
(٤٥٣) البلوى: سيرة، ص ١٨٤.
(٤٥٤) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٢٨.

(٤٥٥) البلوى: سيرة، ص ص ١٨٠ ـ ١٨١.
(٤٥٦) ابن دقماق: الانتصار، ق٤ ص ص ٥٧ ـ ٥٨.
(٤٥٧) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨.
(٤٥٨) فريد شافعى: العمارة، ص ٥٠١.
(٤٥٩) سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.
(٤٦٠) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٢٦١ ـ ٢٦٣.
(٤٦١) سامى نوار: المنشآت، ص ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.
(٤٦٢) فريد شافعى: العمارة، ص ص ٥٠١ ـ ٥٠٢.
أنظر أيضًا: سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.
(٤٦٣) فريد شافعى: العمارة، ص ص ٥٠٣ ـ ٥٠٥، أنظر أيضًا: سامى نوار: المنشآت المائية، ص ٢٥٣.
(٤٦٤) فريد شافعى: العمارة، ص ٥٠٥، أنظر أيضًا: سامى نوار: المنشآت المائية، ص ٢٥٣.
(٤٦٥) فريد شافعى: العمارة، ص ص ٥٠٥ ـ ٥٠٧.
(٤٦٦) فريد شافعى: العمار، ص ص ٥٠٧ ـ ٥١٠.
أنظر أيضًا ـ: سامى نوار: المنشآت المائية، ص ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.
(٤٦٧) سامى نوار: المنشآت، ص ٢٥٧.
(٤٦٨) سامى نوار: المنشآت، ص ٢٥٧.
(٤٦٩) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ٥٩٣.، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٣٧.
(٤٧٠) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ٥٩٣.، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٣٨.
(٤٧١) وكالة الآثار والمتاحف: آثار المنطقة الشرقية، ص ص ١٠٨ ـ ١١٠.
(٤٧٢) وكالة الآثار والمتاحف: آثار المنطقة الشرقية، ص ص ١١٠ ـ ١١٢.
(٤٧٣) طاهر العميد: العمارات، القصور، حضارة، ج٩، ص ١٦٥.،
أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٤٤.
(٤٧٤) طاهر العميد: العمارات، القصور، حضارة، ج٩، ص ص ١٦٥ ـ ١٦٨.
أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥.
(٤٧٥) طاهر العميد: العمارات، القصور، حضارة، ج٩، ص ١٦٨.،

أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٣٤٤.

(٤٧٦) وكالة الآثار والمتاحف: آثار المنطقة الشرقية، ص ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٤٧٧) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ٦٠١، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٦١.

(٤٧٨) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ص ٦٠٤ ـ ٦٠٥.

(٤٧٩) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ص ٤٦٧ ـ ٤٧٠.

(٤٨٠) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ٦٠٧، ابن الأثير الكامل، ج٦، ص ٤٧٨.

(٤٨١) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ٦١٠.، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٨٦.، حسن إبراهيم: تاريخ، ج٣، ص ص ١٣٨ ـ ١٣٩.، فريد شافعى: العمارة، ص ٥١٢.

(٤٨٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ص ٧٥.

(٤٨٣) المقريزى: الخطط، ج١، ص ٢٣٢.

(٤٨٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص ١٤٠.

(٤٨٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٨٧.

(٤٨٦) الكندى: تاريخ، ص ص ١٨١ ـ ١٨٧.

(٤٨٧) ابن دقماق: الانتصار، ق٤، ص ٦٧.

(٤٨٨) المقريزى: الخطط، ج١، ص ٣١٦.

(٤٨٩) المقريزى: الخطط، ج١، ص ٣١٦.

(٤٩٠) المقريزى: الخطط، ج١، ص ص ٣١٦ ـ ٣١٧.

(٤٩١) المقريزى: الخطط، ج١، ص ٣١٧.

(٤٩٢) المقريزى: الخطط:. ج١، ص ٣١٧.

(٤٩٣) المقريزى: الخطط، ج١، ص ٣١٧.

(٤٩٤) المقريزى: الخطط، ج١، ص ص ٣١٧ ـ ٣١٩.

(٤٩٥) فريد شافعى: العمارة، ص ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

(٤٩٦) فريد شافعى: العمارة، ص ص ٤٢٨ ـ ٤٣١.

(٤٩٧) فريد شافعى: العمارة، ص ٤٣١.

(٤٩٨) فريد شافعى: العمارة، ص ٤٣١.

(٤٩٩) فريد شافعى: العمارة، ص ٤٣٥.

(٥٠٠) فريد شافعي: العمارة، ص ص ٤٣١ ـ ٤٣٢.
(٥٠١) فريد شافعي: العمارة، ص ٤٣٢.
(٥٠٢) فريد شافعي: العمارة، ص ص ٤٣٥ ـ ٤٣٧.
(٥٠٣) فريد شافعي: العمارة، ص ص ٤٣٧ ـ ٤٣٩.
(٥٠٤) فريد شافعي: العمارة، ص ص ٤٣٩ ـ ٤٤٣.
(٥٠٥) فريد شافعي: العمارة، ص ص ٤٥١ ـ ٤٥٣.
(٥٠٦) فريد شافعي: العمارة، ص ص ٤٥٣ ـ ٤٥٩.
(٥٠٧) فريد شافعي: العمارة، ص ص ٤٥٩ ـ ٤٦١.
(٥٠٨) الطبري: تاريخ، مج٥، ص ٦٣١.
(٥٠٩) الطبري: تاريخ، مج٥، ص ٦٣٣.،
ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٥١٦.
(٥١٠) الطبري: تاريخ، مج٥، ص ٦٣٦.،
ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٥١٨.
(٥١١) الطبري: تاريخ، مج٥، ص ٦٣٨.،
ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ص ٥٢٣ ـ ٥٢٥.
(٥١٢) الطبري: تايخ، مج٥، ص ٦٣٩.،
ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٥٣١.
(٥١٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠.
(٥١٤) شريف عبد الوهاب: منشآت الأغالبة، ص ص ٤٨-٥١.
(٥١٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٥٤٥.
(٥١٦) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٥٤٥.
(٥١٧) الكندي: تاريخ، ص ١٩٩.،
انظر: فريد شافعي: العمارة، ص ٥١٣.
(٥١٨) الطبري: تاريخ، مج٥، ص ٦٧٠.،
ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣.
(٥١٩) ياقوت الحموي: معجم، مج، ٤، ص ٣٥٩.
(٥٢٠) الطبري: تاريخ، مج٥، ص ٦٧١.

(٥٢١) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ص ٥٧٤ ـ ٥٧٧.
(٥٢٢) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٦١٥.
(٥٢٣) الطبري: تاريخ، مج٥، ص ٦٧٦.،
ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٦٢٢.

الخاتمة

وبعد فهذه دراسة تطرقت إلى موضوعات تاريخية وحضارية وأثرية فى مجالى الحضارة والآثار المعمارية فى الشرق ومصر والمغرب الإسلامى فى العصر العباسى خلال الفترة الممتدة من قيام الدولة العباسية فى سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م حتى نهاية القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى، حيث تم تخصيص هذا المجلد لهذه الفترة التاريخية من تاريخ الحضارة الإسلامية، وفيما يلى عرض بعض ما تحقق من نتائج.

جاء التمهيد بعنوان مبدأ وقيام الدعوة والدولة العباسية، حيث تطرق إلى بدء الدعوة العباسية بالحميمة وانتشارها ثم اعلان قيام الدولة بمدينة الكوفة ودور كل من أبى سلمة الخلال وأبى مسلم الخراسانى فى قيامها.

وجاء الفصل الأول بعنوان الآثار والحضارة الإسلامية العباسية فى القرن ٢هـ/ ٨م وتناول الفصل الخلفاء العباسيين من سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م حتى نهاية القرن الثانى الهجرى حسب الترتيب التاريخى، أى بدءا من الخليفة أبى العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٢٠-٧٥٤م) حتى الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) وتضمن هذا الفصل الآثار المعمارية فى عهد أبى العباس السفاح مثل مدينة الهاشمية الأولى (قصر ابن هبيرة)، والهاشمية الثانية أو الجديدة، والأنبار وبناء مدينة جديدة، وعمارة جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر، وتأسيس العسكر، أما فيما يتعلق بعهد أبى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) فقد تطرقت الدراسة إلى مصلى لأبى عون ببرقة، وعمارة مدينة ملطية، وعمارة المسجد الحرام بمكة المكرمة، وعمارة مدينة المصيصة أو المعمورة، وفسقية المعافر بمصر، ومدينة

بغداد، وقنطرة الصراة العتيقة، ومدينة عسكر المهدى أو الرصافة، ومدينة طبنة بإفريقية، وقصر المنصور بالكوفة، ومدينة الرافقة أو الرقة، وعمائر دفاعية بالبصرة والكوفة، وعمارة قصر الخلد، والأسواق بباب الكرخ، وقصر أبى الخصيب بظاهر الكوفة، وقصر عيسى بن على بن عبد الله بن عباس، وقصر القرار، وفيما يتعلق بعهد الخليفة المهدى (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) فقد تطرقت الدراسة إلى عمائر دفاعية. بسمرقند، وكسوة الكعبة وعمارة المسجد النبوى ومآثر أخرى، وعمارة القصور والمصانع، وعمارة المسجد الجامع بالبصرة، ونزع المقاصير وتقصير المنابر، وقصر الأخيضر، و خان عطشان أوالعطيشى، وعمارة قلعة الحدث، وقصر المهدى بعيساباذ، والدارالعظمى بالموقف بمصر، وعمارة المسجد الحرام بمكة المكرمة ، وعمارة المسجد الجامع بالموصل، وفى عهد الخليفة الهادى (١٦٩ـ١٧٠هـ/ ٧٨٥ـ٧٨٦م) تناولت الدراسة مدينة موسى بقزوين، وفى عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ـ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٩م) تناولنا تسمية الثغور بالعواصم، وعمارة مدينة طرسوس ، وعمارة جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر، وعمارة المساجد والرباطات بخراسان، وعمارة القصر الكبير بالمنستير فى إفريقية، والاستحكامات الدفاعية بمدينة طرابلس الغرب، ومدينة الحيرة وعمائرها، وعمارة مدينة عين زربى، ومدينة العباسية أوالقصر القديم بإفريقية، ومدينة طرسوس، وعمارةالقصر الأبيض بالحيرة، وعمائر قزوين، وفى عهد الخليفة الأمين (١٩٣ـ١٩٨هـ/ ٨٠٩ـ٨١٣م) تطرق البحث إلى عمارة قبة الهوى(الهواء) بمصر، واستحداث مدينة سيسر، وفى عهد الخليفة المأمون (١٩٨ـ٢١٨هـ/ ٨١٣ـ٨٣٣م) تناولنا فقط كسوة الكعبة وذلك حتى نهاية القرن٢هـ/ ٨م وهى الدراسة الأولى من نوعها حيث تم عرض الآثار وبعض الجوانب الحضارية الأخرى مرتبة حسب التسلسل التاريخى سواء بالنسبة للشرق أو مصر أو المغرب الإسلامى.

وفى الفصل الثانى الذى جاء بعنوان الآثار والحضارة الإسلامية العباسية فى القرن ٣هـ/ ٩م تطرقت الدراسة إلى بقية الأعمال التى تمت فى عهد الخليفة المأمون وتتمثل فى مدينة زبيد باليمن، وعمارة منازل على شط دجلة، ورباط سوسة بإفريقية،

وعمـارة جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر، وعمـارة بلدة الطوانـة، وفيما يتعلق بعهد الخليفة المعتصم(٢١٨ـ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ـ٨٤٢م) تطرقنا إلى مدينة سر من رأى (سامراء ـ سامرا)، وقصر المعتصم، وقصر الجص، وعمارة المسجد الجامع بالقيروان، ومسجد بوفتاتة بسوسة فى إفريقية، ثم تناولت الدراسة مدينة سامراء، وعمارة القصر الهارونى فى عهد الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ـ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ـ ٨٤٧م) ، وفى عهد الخليفة المتوكل على الله تناول الفصل مدينة سامراء وطرزها الفنية، وجامع سامراء الكبير، والمسجد الجامع فى سوسة بإفريقية، وبيمارستان المغافر بمصر، وقصر بلكوارا بالعراق، ومدينة المتوكلية أو الجعفرية أو الماحوزة، وجامع المتوكلية أو الجعفرية أو الماحوزة (جامع أبى دلف)، ومقياس النيل بجزيرة الروضة بمصر، ثم تناولنا الخليفة المنتصر بالله (٢٤٧ـ ٢٤٨هـ/ ٨٦١ ـ٨٦٢م)، والخليفة المستعين بالله (٢٤٨ـ٢٥٢هـ/ ٨٦٢ـ٨٦٦م) وتتمثل آثاره فى القبة الصليبية بالعراق، وعمارة مسجد الزيتونة الجامع بإفريقية، وتناول الفصل دار الصناعة بجزيرة الروضة بمصر فى عهد الخليفة المعتز بالله (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ/ ٨٦٦ ـ ٨٦٩ م)، ثم تناول الخليفة المهتدى بالله (٢٥٥ ـ ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ ـ ٨٧٠م) والخليفة المعتمد على الله (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ـ٨٩٢م) وتتمثل آثار عهده فى مدينة القطائع، والبيمارستان الطولونى بمصر، وعمارة الحصون والمحارس بإفريقية، والاستحكامات الدفاعية بسوسة بإفريقية، وعمارة مدينة رقادة بإفريقية، والجامع الطولونى بمصر، وعمارة حصن الجزيرة بمصر، والمدينة الموفقية، وحصن أوقلعة يافا، وقناطر مياه أحمد بن طولون بمصر، أما فيما يتعلق بعهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ـ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ـ٩٠٢م) فقد تناولنا عمارة خمارويه بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر، وعمارة قصر وميدان أحمد بن طولون بمصر، وبناء البرج الخشبى فى بستان ابن طولون من قبل خمارويه، ومن أعمال خماوريه المجلس أو بيت الذهب وبركة الزئبق، والقبة أو الدكة، والميدان ودار السباع، ودار الحرم والاصطبلات، كما تطرق الفصل إلى تخطيط البيت الطولونى بمصر، وقصر المعتضد ببراز الروز، كما تناول الفصل الخليفة المكتفى بالله (٢٨٩ـ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ـ٩٠٨م)، ثم الخليفة

المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) وتتمثل آثار عهده فى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى فى قصر العباس بن عمرو الغنوى وبذلك يكون هذا المجلد قد ألقى الضوء على الآثار التى شيدت خلال العصر العباسى فى الفترة الممتدة من ١٣٢هـ/ ٧٥٠م حتى نهاية القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى، وسواء تلك الآثار التى اندثرت ولم تصل إلينا أو تلك التى وصلت إلينا فى حالة جيدة أومن خلال الحفائر الأثرية، فضلاً عن بعض جوانب حضارية أخرى ورد ذكرها فى المصادر التاريخية أوكتب الجغرافيين والرحالة المسلمين أوفى أعمال الحفائر.

وأسأل الله أن يوفقنى إلى إتمام المجلد الثانى الذى سوف يتناول بمشيئة الله الآثار والحضارة الإسلامية منذ بداية القرن الرابع الهجرى حتى سقوط الدولة العباسية فى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م بنفس المنهج الذى سار عليه هذا الكتاب.

ثبت الخرائط والأشكال والصور

مخطط قصر أبى مسلم فى مرو ويعتقد أن قصر المنصور كان على غراره عن شريف يوسف

مخطط مسجد بغداد نقله أحمد فكرى عن Herzfeld

مخطط جامع بغداد عن Creswell

مخطط مسجد بغداد فى عهد المعتضد بالله عن أحمد فكرى

مخطط جامع بغداد عن شريف يوسف

محراب جامع الخاصكى ويعتقد أنه محراب جامع المنصور عن شريف يوسف

مخطط مدينة الرافقة (الرقة) عن Creswell

الواجهة الخارجية لبوابة بغداد بمدينة الرقة عن Creswell

الواجهة الداخلية لبوابة بغداد بمدينة الرقة عن Creswell

عقد ذو أربعة مراكز بباب بغداد بمدينة الرقة عن فريد شافعى

مخطط مسجد الرقة الجامع عن أحمد فكرى

مخطط مسجد الرقة الجامع عن Creswell

مخطط مسجد الرقة الجامع عن فريد شافعى

مخطط المسجد النبوى فى عهد المهدى عن أحمد فكرى

مخطط قصر الأخيضر عن فريد شافعى

قصر الأخيضر من الجو عن فريد شافعى

مخطط قصر الأخيضر عن عيسى سلمان

مخطط قصر الأخيضر عن Creswell

مسقط وقطاع للبوابة الشرقية لقصر الأخيضر عن Creswell

منظر عام من الجو لقصر الأخيضر عن عيسى سلمان

المدخل الشمالى لقصر الأخيضر عن عيسى سلمان

تفاصيل من أبراج سور قصر الأخيضر عن عيسى سلمان

فتحة مزغلية بقصر الأخيضر عن عيسى سلمان

الدخلات والحنايا بسور قصر الأخيضر عن عيسى سلمان
قصر الأخيضر من الداخل عن عيسى سلمان
تفاصيل من قبة قصر الأخيضر عن عيسى سلمان
تفاصيل من قصر الأخيضر من الداخل عن عيسى سلمان
حنية نصف مخروطية من قصر الأخيضر عن فريد شافعى
أقبية متقاطعة من قصر الأخيضر عن عيسى سلمان
بهو الشرف بقصر الأخيضر عن شريف يوسف
مخطط الطابقين الثانى والثالث بقصر الأخيضر عن شريف يوسف
مخطط لوحدة سكنية بقصرى الأخيضر وشيرين عن فريد شافعى
مخطط حمام قصر الأخيضر عن شريف يوسف
مخطط حمام قصر الأخيضر عن Creswell
مخطط مسجد قصر الأخيضر عن عيسى سلمان
ظلة القبلة بمسجد قصر الأخيضر عن عيسى سلمان
تفاصيل من داخل مسجد قصر الأخيضر عن فريد شافعى
ظلة القبلة أو بيت الصلاة فى مسجد قصر الأخيضر عن شريف يوسف
مخطط خان عطشان عن Creswell
مخطط خان عطشان عن عيسى سلمان
مخطط خان عطشان عن شريف يوسف
منار أو برج موجدة بين الأخيضر وعطشان عن Creswell
طارق خانه فى دامغان نقله Creswell عن Godard
مخطط القصر فى اسكاف بنى جنيد نقله Creswell عن Adams
مخطط المسجد فى اسكاف بنى جنيد نقله Creswell عن Adams
مسقط أفقى تخيلى للمسجد الحرام بعد عمارة المهدى عن أحمد رجب
منظور تخيلى للمسجد الحرام بعد عمارة المهدى عن أحمد رجب

مخطط القصر (B) فى الرقة نقله Creswell عن Salibi

مخطط القصر (G) فى الرقة نقله Creswell عن Salibi

مخطط القصر (D) فى الرقة نقله Creswell عن Salibi

تخطيط هرقلة نقله Creswell عن Toueir

مخطط المثمن الكبير فى القادسية عن Creswell

درب زبيدة (المسجد والقصر) عن Creswell

درب زبيدة (الحصن) عن Creswell

درب زبيدة (وحدة سكنية) عن Creswell

درب زبيدة (وحدة سكنية) عن Creswell

درب زبيدة (وحدة سكنية) عن Creswell

مخطط صهريج الرملة عن Creswell

مخطط رباط المنستير عن Creswell

مخطط رباط سوسة والمسجد عن Creswell

مخطط مسجد رباط سوسة عن أحمد فكرى

مخطط جامع عمرو بن العاص بالفسطاط فى عهد عبد الله بن طاهر عن أحمد فكرى

مخطط جامع عمرو بن العاص بالفسطاط فى عهد عبد الله بن طاهر عن فريد شافعى

حنية ذات طاقية من فصوص مروحية بجامع عمرو عن فريد شافعى

حنية ذات طاقية من فصوص مروحية بجامع عمرو عن فريد شافعى

زخارف محفورة فى الخشب بجامع عمرو عن أحمد فكرى

تفاصيل من زخارف النوافذ الأصلية بجامع عمرو عن Creswell

تخطيط مدينة سامراء عن فريد شافعى

خريطة للمواقع الأثرية بمدينة سامراء عن شريف يوسف

مخطط المسجد الجامع فى سوسة عن فريد شافعى
مخطط المسجد الجامع فى سوسة فى عهد الأغالبة عن أحمد فكرى
مخطط قصر بلكوارا عن Creswell
مخطط قصر بلكوارا عن شريف يوسف
صورة جوية للجعفرية عن عيسى سلمان
مخطط جامع أبى دلف عن عيسى سلمان
مخطط جامع أبى دلف عن أحمد فكرى
مخطط جامع أبى دلف عن شريف يوسف
مخطط جامع أبى دلف عن فريد شافعى
مخطط جامع أبى دلف نقله Creswell عن Fransis and Ali
مخطط جامع أبى دلف عن Creswell
تفاصيل من جامع أبى دلف عن عيسى سلمان
دعامة فى جامعى أبى دلف وابن طولون عن فريد شافعى
مئذنة جامع أبى دلف عن عيسى سلمان
المبنى الملحق بجدار القبلة بجامع أبى دلف نقله Creswell عن Fransis and Ali
منار سوسة عن Creswell
منار سوسة عن فريد شافعى
الصهاريج الأغالبية فى القيروان عن Creswell
الصهريج الكبير بالقيروان عن Creswell
مقياس النيل بجزيرة الروضة عن Creswell
مقياس النيل بجزيرة الروضة عن فريد شافعى
مقياس النيل بجزيرة الروضة عن فريد شافعى
مقياس النيل بجزيرة الروضة
مسقط وقطاع للقبة الصليبية عن عيسى سلمان

مخطط قصر العاشق عن Creswell
مخطط قصر العاشق عن عيسى سلمان
مخطط مسجد الجمعة فى شيبام باليمن عن Creswell
مخطط مسجد الجمعة فى كرمان عن Creswell
مسقط أفقى تخيلى للمسجد الحرام فى عهد المعتضد عن أحمد رجب
منظور تخيلى للمسجد الحرام فى عهد المعتضد عن أحمد رجب
حفائر الفسطاط وخريطة المنطقة عن فريد شافعى
مخطط البيت الطولونى الأول عن فريد شافعى
مخطط البيت الطولونى الثانى عن فريد شافعى
الدار الأولى بالفسطاط عن فريد شافعى
الدار الثانية والثالثة بالفسطاط عن فريد شافعى
الدار الرابعة والخامسة بالفسطاط عن فريد شافعى
الدار السادسة بالفسطاط عن فريد شافعى
الدار السابعة والثامنة بالفسطاط عن فريد شافعى
دور (بيوت) الفسطاط عن فريد شافعى

المصادر والمراجع العربية وغير العربية

القرآن الكريم

أولاً: المصادر:

* ابن الأثير (عزالدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد أبى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت.٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م

- الكامل فى التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* ابن إياس (محمدبن أحمد الحنفى) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م:

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى) ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م:

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التراث، بيروت، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م.

* ابن جبير (أبى الحسن محمد بن أحمد) ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م

- الرحلة، رحلة ابن جبير رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م

* ابن خرداذبه (أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله)ت حوالى ٣٠٠هـ:
- المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
* ابن خلكان (أبى العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر)ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. يوسف على طويل، د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
* ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى).
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، فى تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عزالدين على، بيروت، عالم الكتب.
* ابن عبد الحكم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى).
- فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
* ابن عذارى المراكشى:
- البيان المغرب فى تاريخ وحلى المغرب، دار الثقافة.
* ابن المجاور
- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م.
* الاسفراينى (أبى المظفر) ت ٤٧١هـ/ ١٠٩٨م.

- التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* البكرى (أبى عبيد) ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٧م:

- المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م.

* البلاذرى (الإمام أبو الحسن أحمد بـ ىحى بن جابر) ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.

- فتوح البلدان، بيروت، لبنان، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* البلوى (أبى محمد عبد الله بن محمد المدينى).

- سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، الذخائر، ٥٥، الهيئة العامة لقصور الثقـ ـه، القاهرة.

* الجبرتى:

- تاريخ الجبرتى، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

* الحميرى (محمد عبد المنعم) ت ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م:

- الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د. احسان عباس، مؤسسة ـاصر للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

* الخطيب البغدادى:

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

* الزركشى (محمد بن عبد الله) ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م:

- اعلام الساجد بأحكام المساجد، تـ ـيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى، القاهرة، الطبعة الثالثـ ـ ١٤١٢هـ/ ٩٢٢ م.

* السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.
- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان - الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير)ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م.
- تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* القلقشندى (أبوالعباس أحمد بن على) ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م:
- صبح الأعشى فى صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والارشاد القومى.

*الكندى المصرى (أبى عمر محمد بن يوسف): ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م.
- تاريخ ولاة مصر ويليه كتاب تسمية قضاتها، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* المقدسى(أبو عبد الله محمد بن أحمد البشارى) ت حوالى ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م:
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

* المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م:
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* ناصر خسرو علوى:

- سفر نامة، ترجمة د. يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

* ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م.

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

* اليعقوبى(أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب) ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م:

- كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربى(السلسلة الجغرافية- ٦)، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ثانيا:المراجع العربية

*د.إبراهيم أحمد العدوى:

- مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام، هيئة الآثار المصرية، وزارة الثقافة.

* د. أحمد رجب محمد على:

- المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* د.أحمدعبد الرازق أحمد:

- العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

* د.أحمد فكرى:

- مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل، دار المعارف بمصر.

* د.أحمد مختار العبادى:

- دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الحامعة، الاسكندرية.

- فى التاريخ العباسى والفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

* بشير فرنسيس:

- بغداد تاريخها وآثارها، مطبعة الرابطة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

* د.حسن إبراهيم حسن:

- تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار الجيل، بيروت، النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

*د.حسن الباشا:

- مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة.

حسن عبد الوهاب:

- تاريخ المساجد الآثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

*د.خالص الأشعب

- مدينة بغداد نموها، بنيتها، تخطيطها، دار الجاحظ، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢ م.

*د.زكى محمد حسن:

- فنون الاسلام، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨١م.

*د.سعاد ماهر محمد.

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، جمهورية مصر العربية.

سليمة عبد الرسول:

- القصر العباسى فى بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٨١م.

* د.السيد عبد العزيز سالم:

- التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية، دائرة معارف الشعب، كتاب الشعب ٦٤، مطابع الشعب، ١٩٥٩م.

- تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

* شريف عبد الوهاب السيد محمد:

- منشآت الأغالبة فى إفريقية "العمائر الدينية" رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

* شريف يوسف:

- تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، منشورات

- وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية(السلسة الفنية-٤٩)، ١٩٨٢م.

* د.صالح أحمد العلى:

- بغداد تأسيسها ونموها (كتاب العراق فى التاريخ)، ١٩٨٣م.

- بغداد مدينة السلام، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٨٥م.

* د.طاهر مظفر العميد:

- بغداد مدينة المنصور المدورة (رسالة مقدمة إلى جامعة بغداد للحصول على درجة الماجستير بالآثار الإسلامية)، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

- العمارات المدنية - القصور، (حضارة العراق) ، بغداد، ١٩٨٥م.

- الأخيضر ومظاهره العسكرية، العمارة العسكرية، (حضارة العراق)، بغداد، ١٩٨٥م.

عبد الرحيم غالب:

- موسوعة العمارة الاسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* د.عبد الله كامل موسى عبده:

- تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة منذ الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى، دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
* علماء الحملة الفرنسية:
- موسوعة وصف مصر (مقياس النيل)، ترجمة منى زهير الشايب، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
* د.عيسى سلمان وآخرون:
- العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد ، العراق، ١٩٨٢م.
- تخطيط المدن، (حضارة العراق) ، بغداد، ١٩٨٥م.
د. فريد شافعى:
- مئذنة مسجد ابن طولون، رأى فى تكوينها المعمارى، فصلة من مجلة كلية الآداب، المجلد الرابع عشر، مايو، ١٩٥٢م، جـ١، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٢م.
- العمارة العربية فى مصر الإسلامية، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
*القاهرة التاريخية:
جامع أحمد بن طولون ، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ٢٠٠٤م.
* د. كمال الدين سامح:
- العمارة فى صدر الاسلام، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩١م.
* د. مايسة محمود داود:
- الكتابات العربية على الآثار الاسلامية منذ القرن الأول حتى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة (٧-١٨م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

* مجمع اللغة العربية:

- المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٩م.

* د. محمد محمد زيتون:

- القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* د. محمد محمد الكحلاوى:

- آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- بحوث فى الآثار الإسلامية فى المغرب والأندلس، القاهرة، ١٩٩٩م.

- مساجد المغرب والأندلس فى عصر الموحدين، كلية الآثار، جامعة القاهرة.

* محمود عكوش:

- تاريخ ووصف الجامع الطولونى، القاهرة، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٧م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية المعربة

* أوقطاى اصلان آبا:

- فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، استانبول، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

* مكسمليان شتريك:

- خطط بغداد وأنهار العراق القديمة ، دراسة خططية تاريخية، ترجمة د.خالد إسماعيل على، المجمع العلمى العراقى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

رابعًا: المراجع غير العربية:

* Abouseif (D.B):

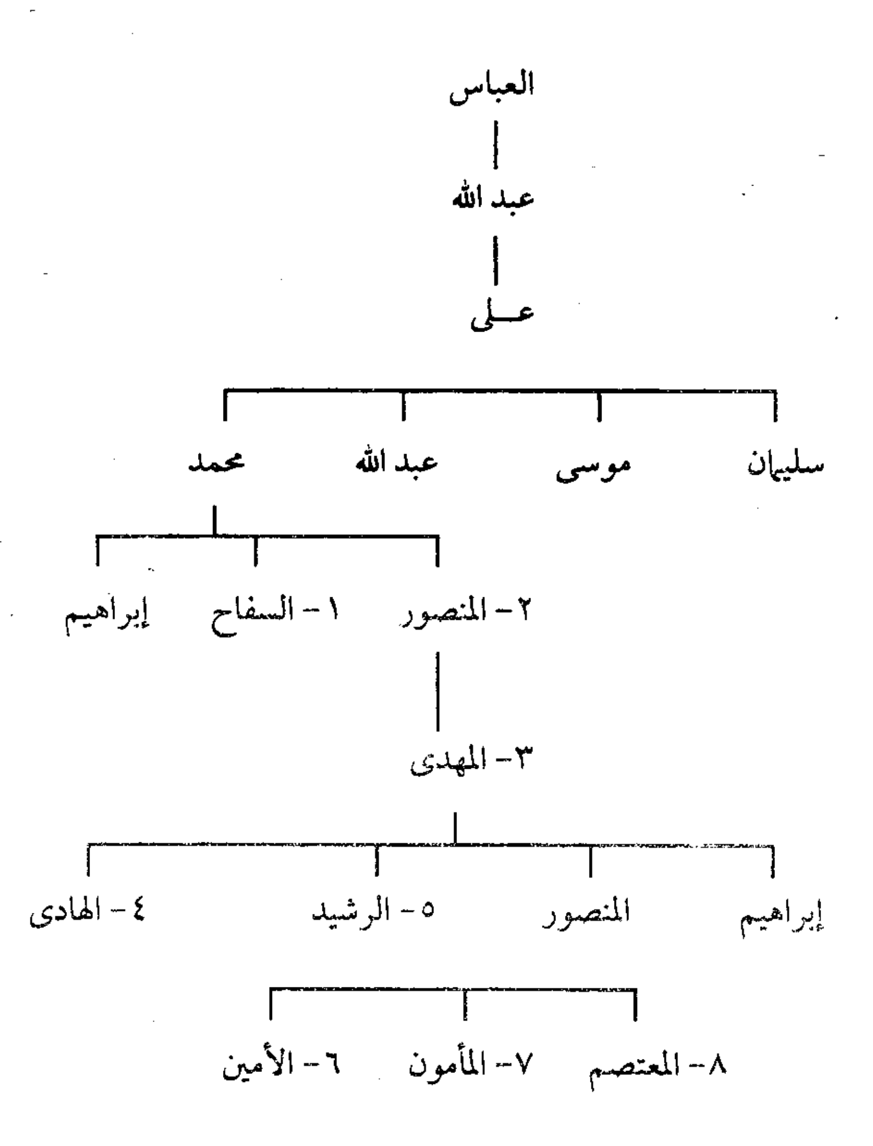
- The Minarets of Cairo, The American University in Cairo Press, 1985.
* Creswell (K.A.C):
- Ashort Account of Early Muslim Architecture, The American University in Cairo Press, Cairo, Egypt, 1989.
* Fattal, Antoine:
- Ibn Tulun's Mosque in Cairo (La Mosquee D'Ibn Toulun Au Caire), Beyrouth 1960)
* Hassan (Z.M):
- Les Tulunides, Etude de L'Egypte Musulmans a La Finix, Siecle 868-905, Paris, 1933.
* Hautecoeur (L.), Wiet (G.):
- Les Mosquees du Caire, Texte I, Paris, 1932.
* Ministry of Information:
- Baghdaf, Republic of Iraq, Baghdad, 1972.
* Organization of Islamic Capitals and Cities:
- Priniciples of Architectural Design and Urban Planning During Different Islamic Eras, Center for planning and Architectural Studies, 1412 A. H. 1992 A.D.
* Rajab (G.):
- The Minaret of Ibn Tulun. Ist Construction Description, summer A journal of Archaeology and History in Iraq, Vol XXIII, 1967.
* Sameh, Kamal El Din:
- Minarets In Islam (Birth and Evolution) The Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University Press, 1955.

ثبت بالخلفاء العباسيين

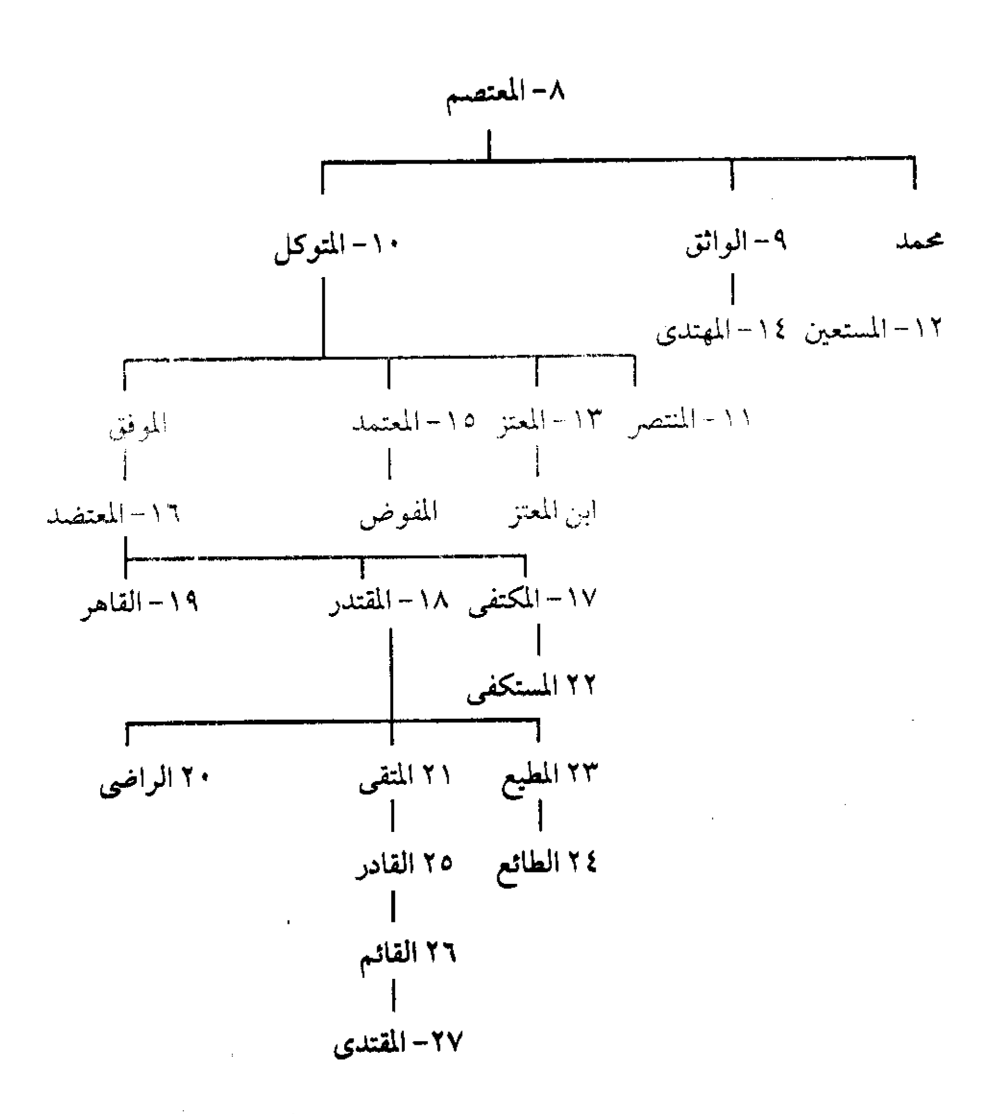
*أبو العباس السفاح	١٣٢ـ١٣٦	٧٥٠ـ ٧٥٤
*أبو جعفر المنصور	١٣٦ ـ ١٥٨	٧٥٤ـ ٧٧٥
*المهدى	١٥٨ ـ ١٦٩	٧٧٥ـ ٧٨٥
*الهادى	١٦٩ ـ ١٧٠	٧٨٥ـ ٧٨٦
*هارون الرشيد	١٧٠ ـ ١٩٣	٧٨٦ـ ٨٠٩
*الأمين	١٩٣ـ١٩٨	٨٠٩ـ ٨١٣
*المأمون	١٩٨ ـ ٢١٨	٨١٣ـ ٨٣٣
*المعتصم	٢١٨ـ٢٢٧	٨٣٣ـ ٨٤٢
*الواثق بالله	٢٢٧ ـ ٢٣٢	٨٤٢ـ٨٤٧
*المتوكل على الله	٢٣٢ـ٢٤٧	٨٤٧ـ ٨٦١
*المنتصر بالله	٢٤٧ـ٢٤٨	٨٦١ـ ٨٦٢
*المستعين بالله	٢٤٨ـ٢٥٢	٨٦٢ـ ٨٦٦
*المعتز بالله	٢٥٢ ـ ٢٥٥	٨٦٦ـ ٨٦٩
*المهتدى بالله	٢٥٥ـ٢٥٦	٨٦٩ـ٨٧٠
*المعتمد على الله	٢٥٦ـ٢٧٩	٨٧٠ـ ٨٩٢

*المعتضد بالله	٢٧٩ـ٢٨٩	٨٩٢ـ٩٠٢
*المكتفى بالله	٢٨٩ـ٢٩٥	٩٠٢ـ٩٠٨
*المقتدر بالله	٢٩٥ـ٣٢٠	٩٠٨ـ٩٣٢

جدول يمثل تسلسل الخلفاء فى الحكم



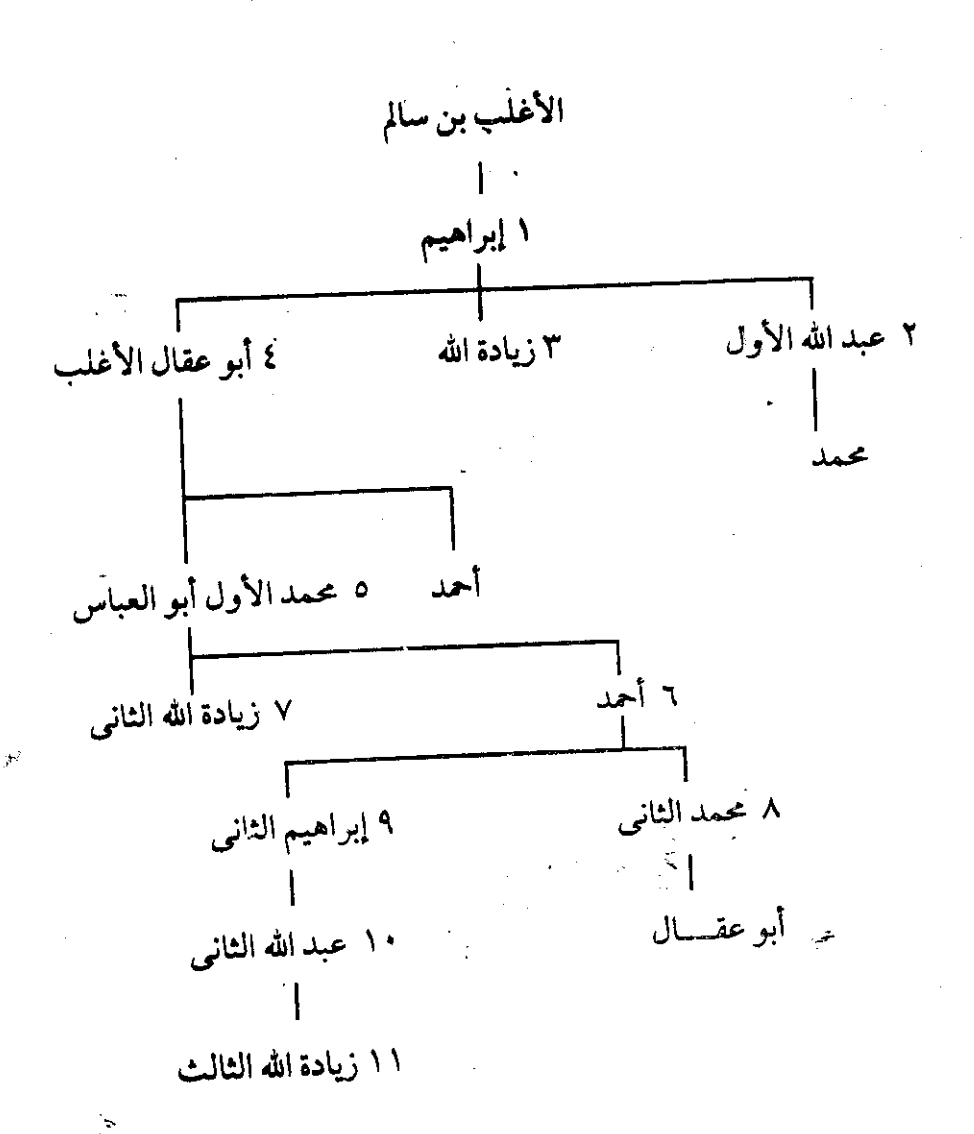
جدول يمثل تسلسل الخلفاء فى الحكم



ثبت بأمراء دولة الأغالبة

*إبراهيم بن الأغلب (إبراهيم الأول)	١٨٤ـ١٩٦	٨٠٠ـ٨١١
*أبو العباس عبدالله بن إبراهيم(عبدالله الأول)	١٩٦ـ٢٠١	٨١١ـ٨١٦
*زيادة الله بن إبراهيم(زيادة الله الأول)	٢٠١ـ٢٢٣	٨١٦ـ٨٣٧
*أبو عقال بن إبراهيم	٢٢٣ـ٢٢٦	٨٣٧ـ٨٤٠
* محمد الأول أبو العباس	٢٢٦ـ٢٤٢	٨٤٠ـ٨٥٦
* أبو إبراهيم أحمد بن محمد	٢٤٢ـ٢٤٩	٨٥٦ـ٨٦٣
* زيادة الله الثانى(أبومحمد زيادة الله بن محمد)	٢٤٩ـ٢٥٠	٨٦٣ـ٨٦٤
*محمد الثانى(أبو الغرانيق محمد بن أحمد)	٢٥٠ـ٢٦١	٨٦٤ـ٨٧٤
*إبراهيم الثانى(إبراهيم بن أحمد)	٢٦١ـ٢٨٩	٨٧٤ـ٩٠٢
*عبدالله الثانى(أبوالعباس عبدالله بن إبراهيم)	٢٨٩ـ٢٩٠	٩٠٢ـ٩٠٣
*زيادة الله الثالث(زيادة الله بن عبدالله)	٢٩٠ـ٢٩٦	٩٠٣ـ٩٠٩

جدول يمثل تسلسل نسب الأغالبة



ثبت بأمراء الدولة الطولونية

*أحمدبن طولون	٢٥٤ـ ٢٧٠	٨٦٨ـ ٨٨٣
*خمارويه بن أحمد	٢٧٠ـ٢٨٢	٨٨٣ـ٨٩٥
*أبوالعساكر جيش بن خمارويه	٢٨٢ـ ٢٨٣	٨٩٥ـ٨٩٦
*هارون بن خمارويه	٢٨٣ـ٢٩٢	٨٩٦ـ ٩٠٤
*شيبان بن أحمد	٢٩٢	٩٠٤ـ ٩٠٥

بحوث وكتب صدرت للمؤلف

أولا : قائمة البحوث :

* الجامع الكبير بصنعاء "رؤية تاريخية أثرية فيها أثير حول عمارة الرواق الشرقى، مجلة الاكليل، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

* متنزه سرياقوس فى العصر المملوكى، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الثالث ،١٩٩٤م.

* الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م.

* أضواء جديدة على بعض منشآت أمراء المماليك فى القرنين السابع والثامن للهجرة(الثالث عشر والرابع عشر للميلاد)، منشآت الأمير الجاولى وسلار فى مصر والشام، مجلة المؤرخ العربى، إتحاد المؤرخين العرب، ١٩٩٦م.

* دراسة أثرية وثائقية للمنصورة منذ نشأتها وحتى نهاية القرن السابع عشر، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثامن، ١٩٩٧م.

* منزل وقف السادات الوفائية" دراسة أثرية وثائقية" مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد السابع، ١٩٩٧م.

* المبخرة.. من روائع العمارة الإسلامية، مجلة المنهل، العدد ٥٥٠، المجلد ٩٠، العام ٦٤، يونية ١٩٩٨م.

* سلطنة عمان فى كتابات الجغرافيين المسلمين فى العصور الوسطى، مجلة المنهل، العدد ٥٥٩، المجلد ٦١، العام ٦٥، يوليو وأغسطس ١٩٩٩م.

* نصوص كتابية فاطمية من برقة محفوظة بمتحفى البيضاء وطلميثة بليبيا، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المنيا، يناير، ٢٠٠٠م.

* دراسة أثرية معمارية لقلعتين ليبيتين من العصر العثمانى الثانى (١٢٥١-١٣٢٩ هـ/ ١٨٣٥- ١٩١١م) بمدينتى توكرة والقيقب، مجلة كلية الآداب، المنيا، ابريل ٢٠٠٠م.

* مساجد مدينة المرج الليبية الباقية من العصر العثمانى الثانى دراسة أثرية معمارية كتاب الملتقى الثالث لجمعية الاثاريين العرب- الندوة العلمية الثانية بعنوان دراسات فى آثار الوطن العربى فى الفترة من ١٢- ١٣ نوفمبر ٢٠٠٠م" المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى، الجزء الثانى، القاهرة، ٢٠٠٠م.

* المنشآت التجارية والصناعية بمدينة قوص منذ بداية العصر العثمانى حتى نهاية القرن ١٣هـ/ ١٩م"دراسة أثرية وثائقية"- مجلة المؤرخ العربى، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد التاسع، المجلد الأول، مارس، ٢٠٠١م.

* طرز المساجد الليبية فى العصر العثمانى، دراسات فى آثار الوطن العربى ٢- كتاب المؤتمر الرابع للآثاريين العرب، الندوة العلمية الثالثة ١١-١٣ شعبان ١٤٢٢هـ/ ٢٧-٢٩ أكتوبر ٢٠٠١م، المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى لاتحاد الجامعات العربية، القاهرة١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

* الزوايا فى العمارة الدينية الليبية خلال العصر العثمانى" دراسة حضارية أثرية"، المؤتمر السادس للاتحاد العام للآثاريين العرب ٤- ٦ أكتوبر، ٢٠٠٣م، الندوة العلمية الخامسة، دراسات فى آثار الوطن العربى، المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى لاتحاد الجامعات العربية، الحلقة الرابعة، القاهرة ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

* دراسة أثرية معمارية لبعض الصهاريج المكتشفة حديثاً بمدينة القاهرة، المؤتمر السابع للاتحاد العام للآثاريين العرب ٢-٣ أكتوبر ٢٠٠٤م، الندوة العلمية السادسة (دراسات فى آثار الوطن العربى)، المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى لاتحاد الجامعات العربية، الحلقة الخامسة، القاهرة، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م.

* دراسة معمارية وفنية لبوابات ومنازل مدينة أوسيم الأثرية فى القرن ١٣هـ/ ١٩ م.، كتاب المؤتمر الثامن للاتحاد العام للآثاريين العرب ٢٦- ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٥ م، الندوة العلمية السابعة (دراسات فى آثار الوطن العربى)، الحلقة السادسة، المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى لإتحاد الجامعات العربية، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

* مسجد الخديو عباس حلمى الثانى ببور سعيد"دراسة أثرية معمارية وفنية"، بحث ألقى فى المؤتمر التاسع للاتحاد العام للآثاريين العرب فى الفترة من ١١-١٢ نوفمبر٢٠٠٦ م، (دراسات فى آثار الوطن العربى) الحلقة السابعة، المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى لإتحاد الجامعات العربية، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

* أضواء على الفن المعمارى الإسلامى حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين من خلال نصوص جديدة.

Lights on The Islamic Architectural Art Till The end of The Orthodox Caliphs, Time Through new texts.

بحث مقدم إلى مجلة كلية الآداب بسوهاج بناءً على قراز مجلس كلية الآداب بسوهاج إصدار كتاب تذكارى يهدى إلى الأستاذ / عبد الرحمن محمود عبد التواب.

ثانيًا: قائمة الكتب:

* The Fatimid Architecture in Cairo, General Egyptian book Organization, 1998.

* مدينة برقة وآثارها الإسلامية ـ عبق التاريخ وطرز العمارة ـ دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

* الفاطميون وآثارهم المعمارية فى إفريقية ومصر واليمن ـ دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

* العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا، دار الآفاق العربية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

* دراسات فى الحضارة والآثار الإسلامية فى ليبيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

* الأمويون وآثارهم المعمارية فى الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.

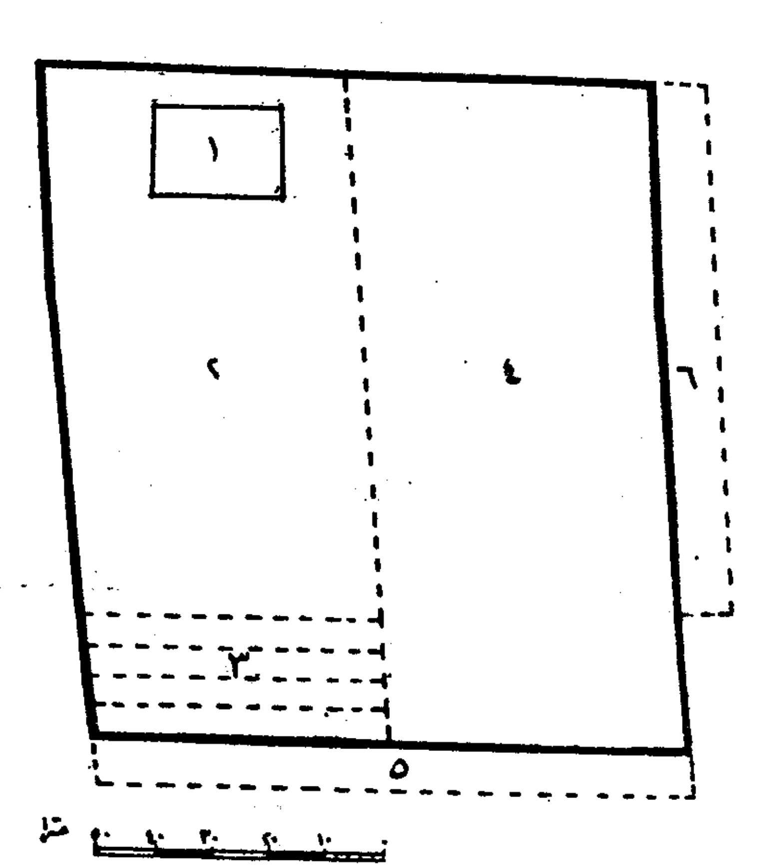
* القصير وآثارها الإسلامية، نحو وعى حضارى معاصر، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب، ٤٥، وزارة الثقافة، المجلس الأعلى للآثار، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م.

* المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى ـ مجلدان، دار زهراء الشرق، تحت النشر.

* سبيل محمد على بالعقادين بالقاهرة، مركز البحوث الأمريكى، القاهرة.



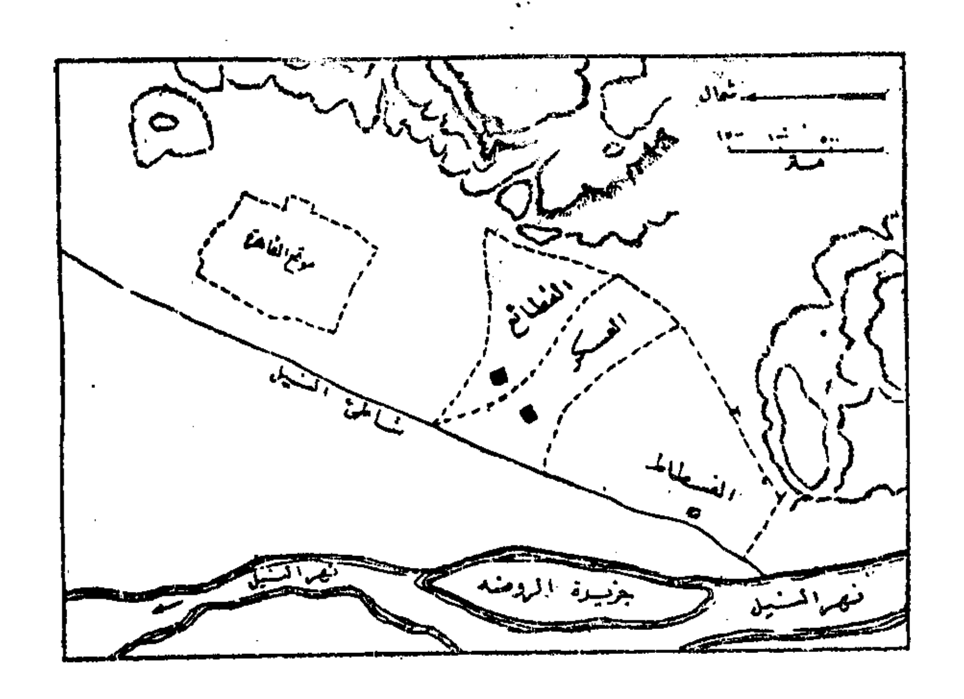
- خريطة العراق الأثرية عن شريف يوسف



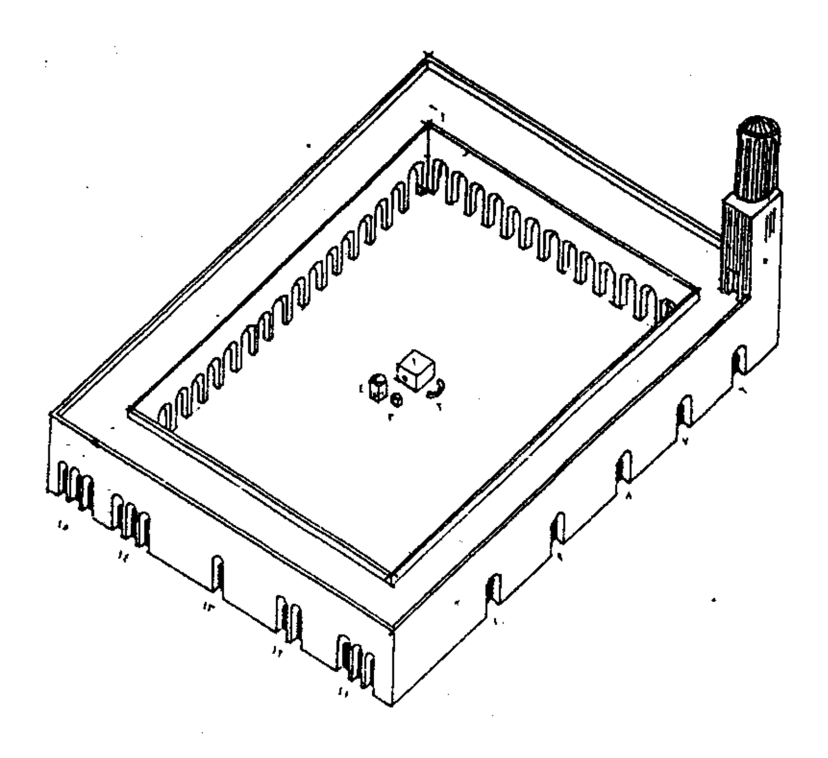
رسم لمراحل زيادات المسجد العتيق :

١ — مسجد عمرو بن العاص فى سنة ٢١ (٦٤٢ م) — ٢ — فى سنة ٩٢ (٧١٠ م) — ٣ — زيادة صالح بن على فى سنة ١٣٣ (٧٥٠ م) — ٤ — زيادة عبد الله بن طاهر فى سنة ٢١٢ (٨٢٧ م) — ٥ — رحبة أبى أيوب ، (موسى بن عيسى فى سنة ١٧٥ — ٧٩١ م — ، وأبو أيوب فى سنة ٢٥٨ — ٨٧١ م) — ٦ — رحبة الحارث (٢٣٧ — ٨٥١ م) والخازن (٣٥٧ — ٨٦٧ م) .

زيادات جامع عمرو بن العاص بالفسطاط عن أحمد فكري

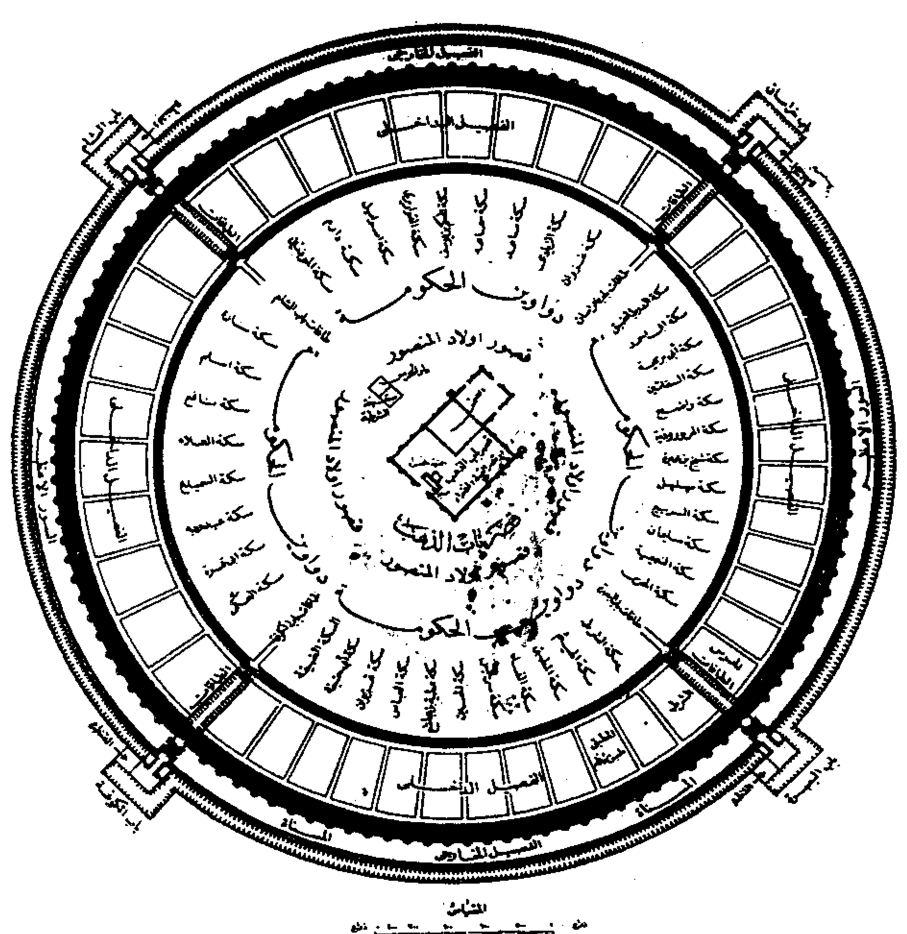


- موقع العسكر والقطائع بالنسبة للفسطاط عن أحمد فكري



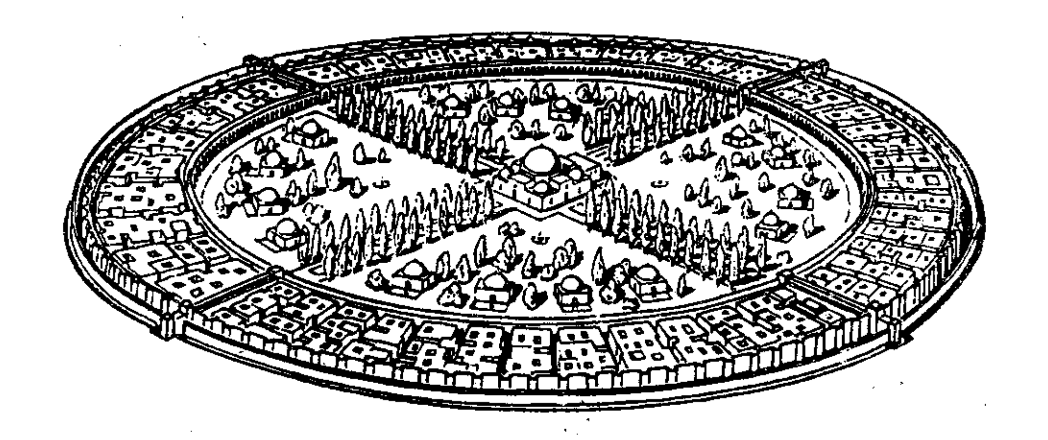
منظور تخيلى للمسجد الحرام فى عصر أبى جعفر المنصور.
(١) الكعبة (٢)حجر إسماعيل (٣) مقام إبراهيم
(٤) بئر زمزم (٥) مئذنة بنى سهم (٦) باب بنى سهم
(٧) باب عمرو بن العاص (٨) باب العجلة (٩) باب حجير بن آهاب
(١٠) باب الندوة (١١) باب بنى شيبة (١٢) باب القوارير
(١٣) باب النبى ﷺ (١٤) باب العباسى (١٥) باب على
(١٦) باب بنى هاشم

- منظور تخيلي للمسجد الحرام في عهد المنصور عن أحمد رجب

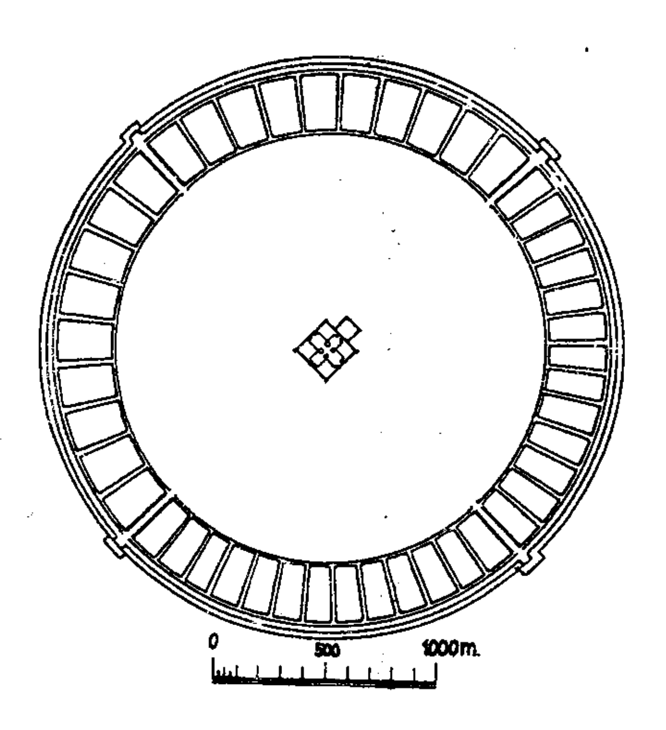


بغداد (المدينة المدورة) دار السلام كما كانت أيام تأسيسها في عهد المنصور الخليفة العباسي ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م

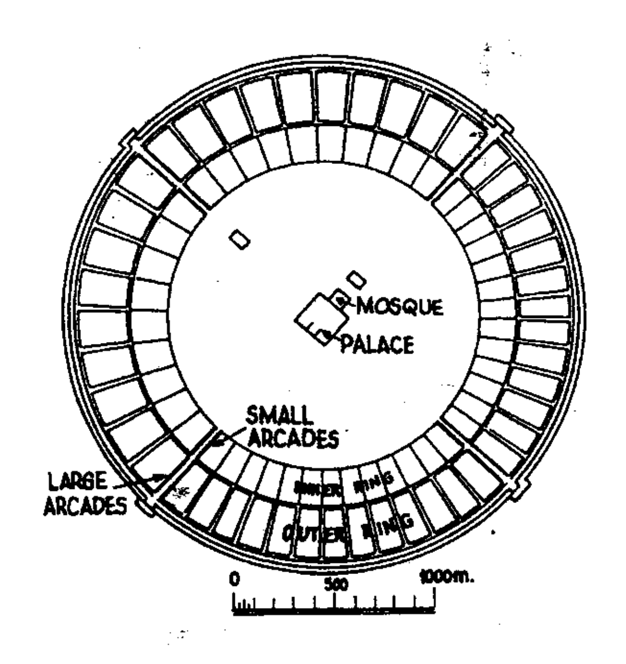
- مخطط مدينة بغداد عن شريف يوسف



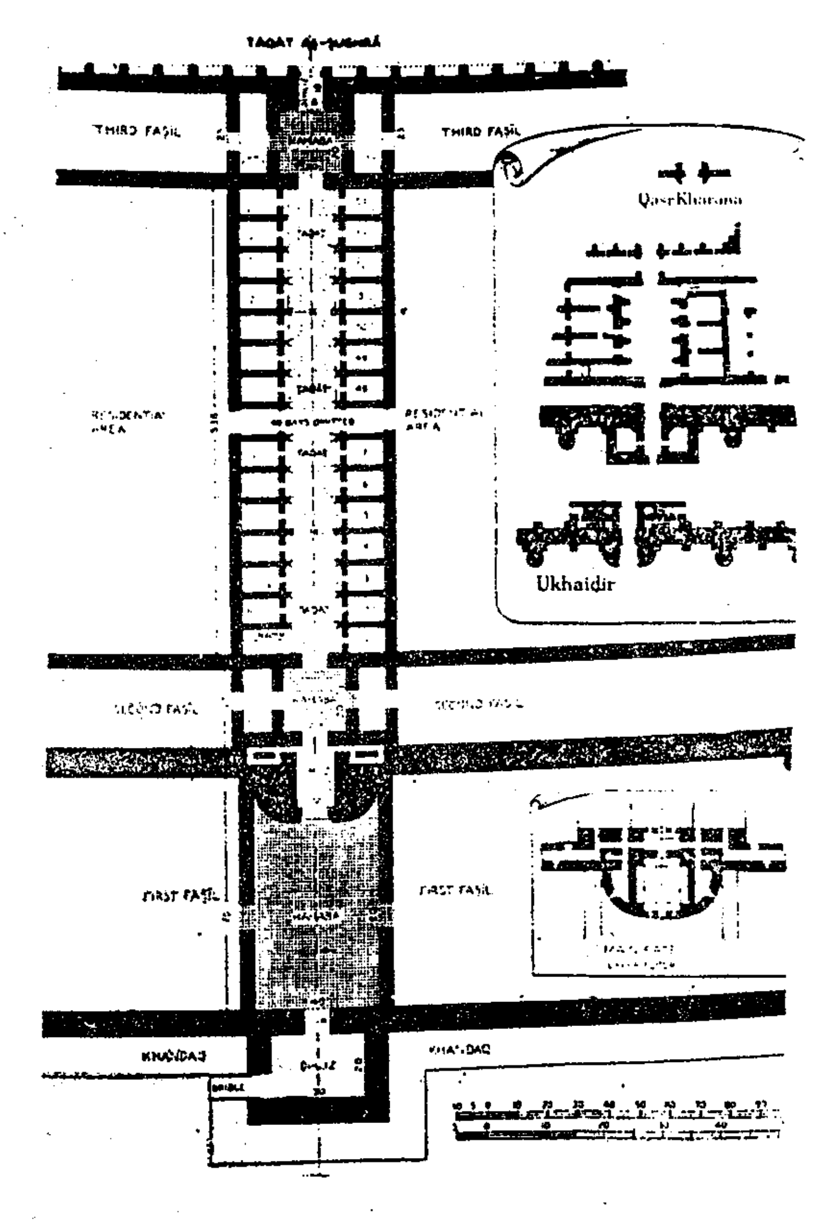
- مدينة بغداد عن شريف يوسف



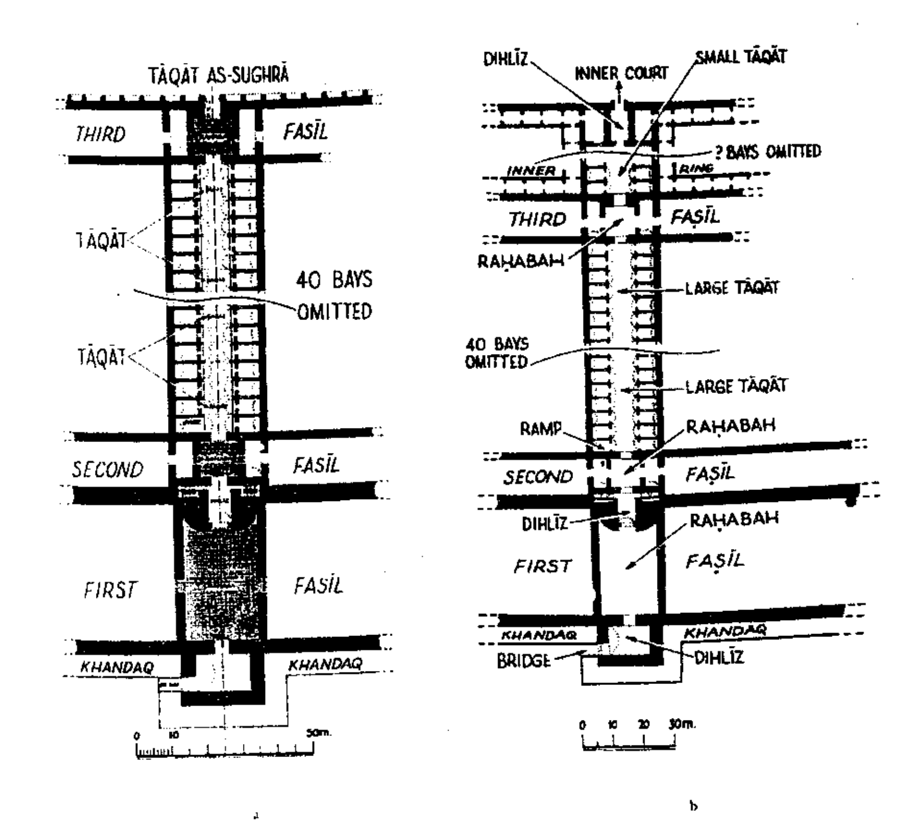
- مخطط مدينة بغداد عن Creswell



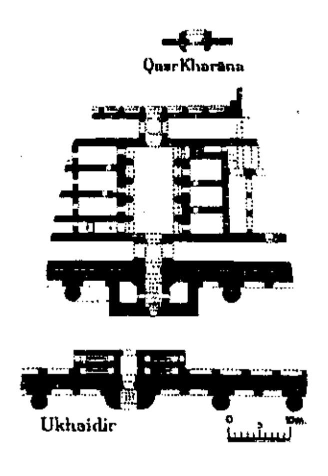
- تفاصيل من مخطط مدينة بغداد نقلها Creswell عن lassner

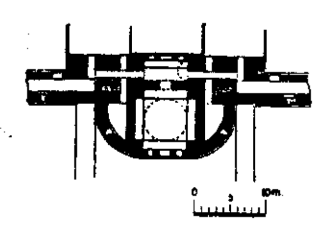


- مخطط لأحد أبواب مدينة بغداد عن شريف يوسف

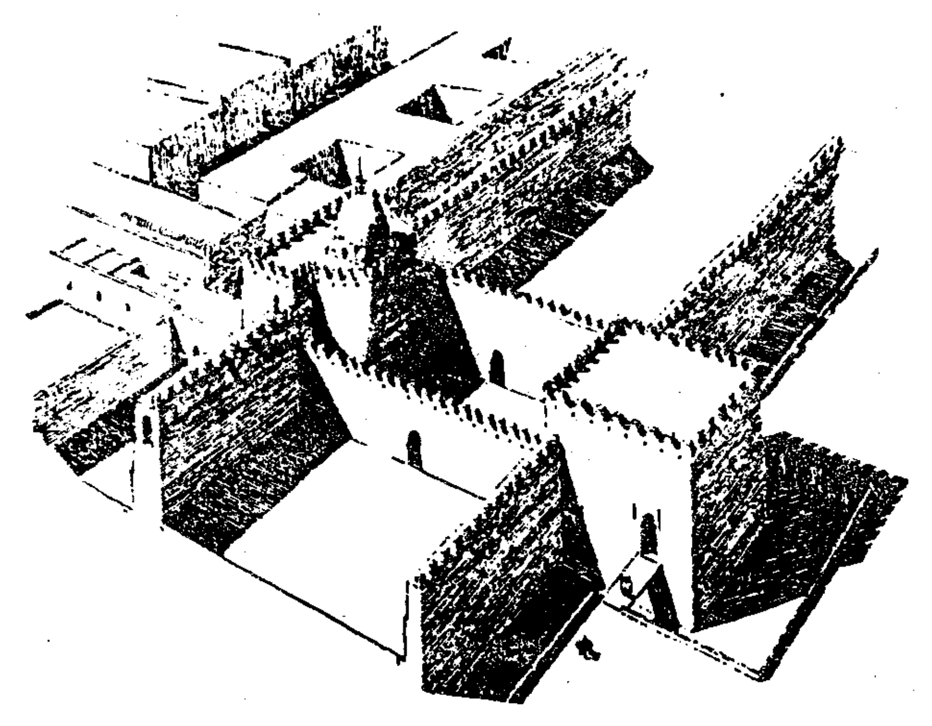


- مخطط لأحد أبواب مدينة بغداد (a) عن Creswell (b) نقله عن Creswell lassner



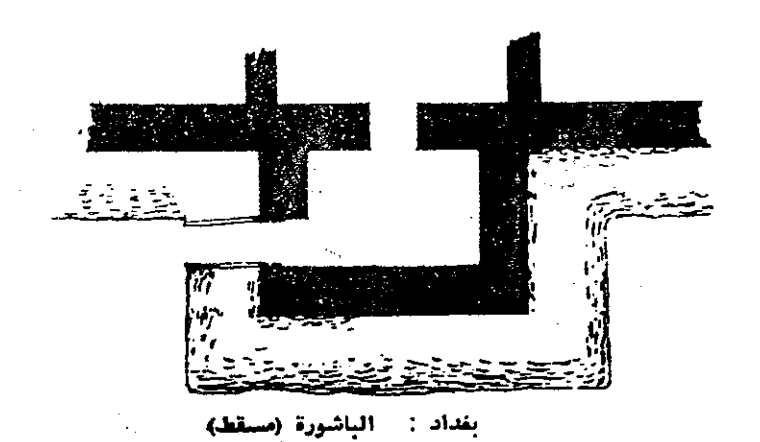


ـ مخطط لبوابات قصر خرانة والأخيضر (c) والبوابة لبغداد (الطابق العلوى) (d) عن Crewell

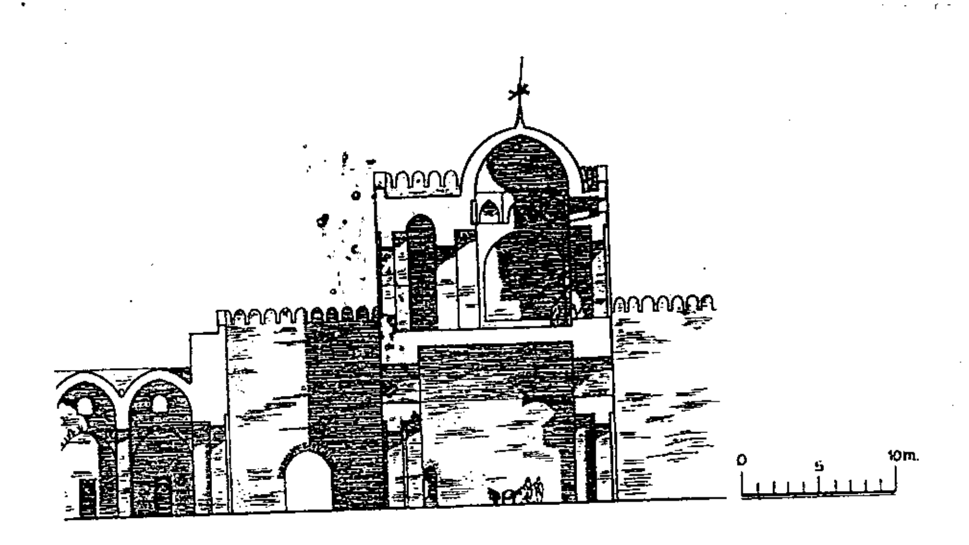


رسم تصويري لمدخل أسوار بغداد المدورة

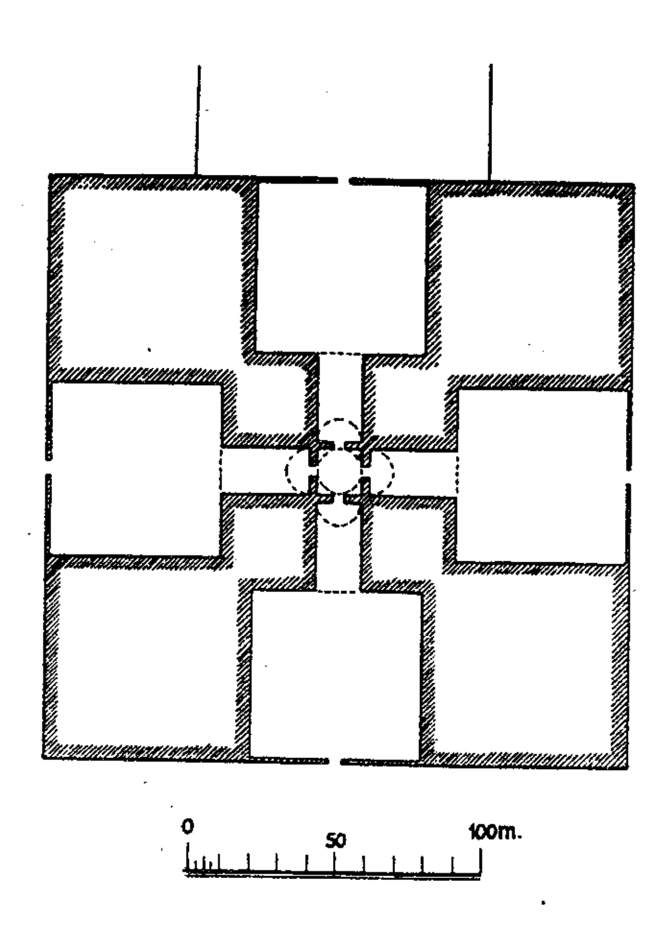
ـ أسوار مدينة بغداد والمدخل المنكسر عن شريف يوسف


بغداد : الباشورة (مسقط)

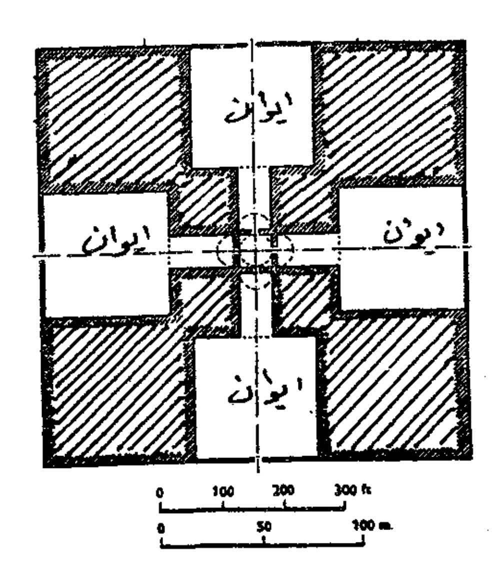
- المدخل المنكسر (الباشورة) عن فريد شافعي



- قطاع في أحد أبواب مدينة بغداد نقله Creswell عن Sarre and Herzfeld

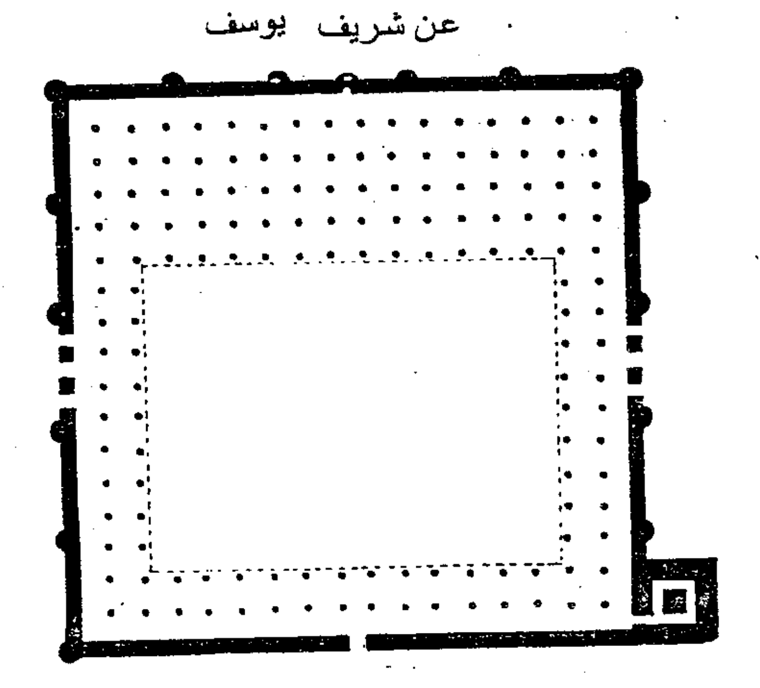


- مخطط قصر المنصور عن Creswell

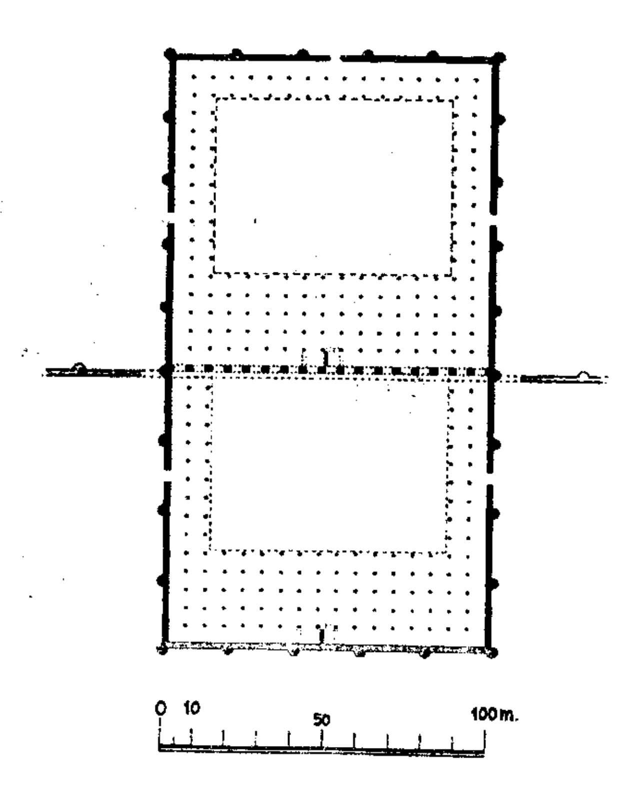


مخطط قصر ابي مسلم الخراساني في مرو
ويعتقدان قصر المنصور في المدينة المدورة (دار السلام) كان على غرار هذا التخطيط

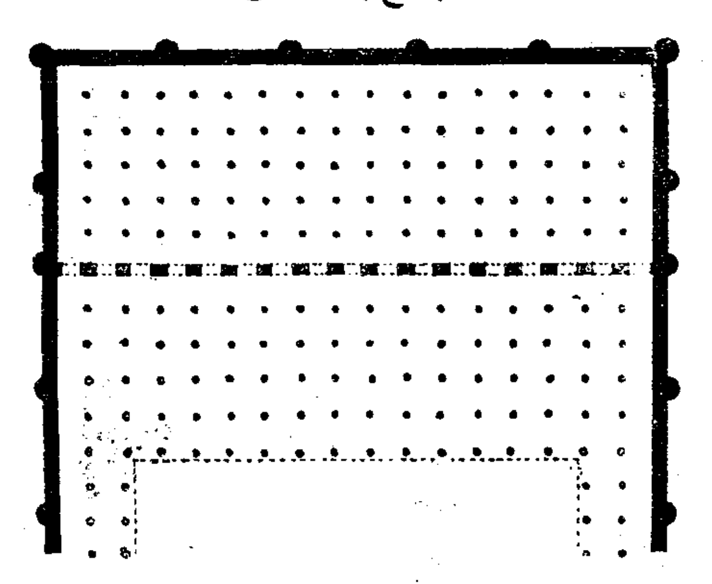
عن شريف يوسف



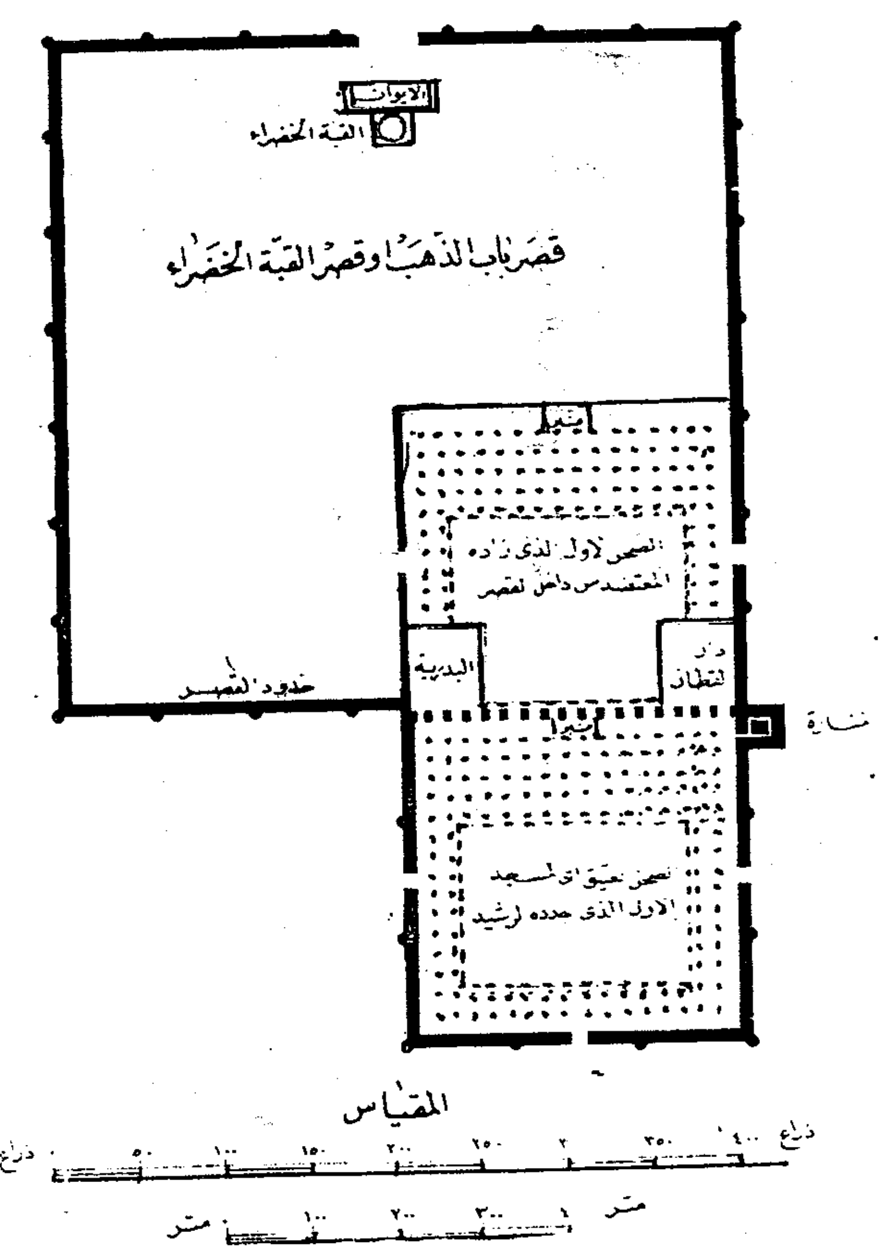
- مخطط مسجد بغداد نقله أحمد فكري عن Herzfeld



- مخطط جامع بغداد عن Creswell

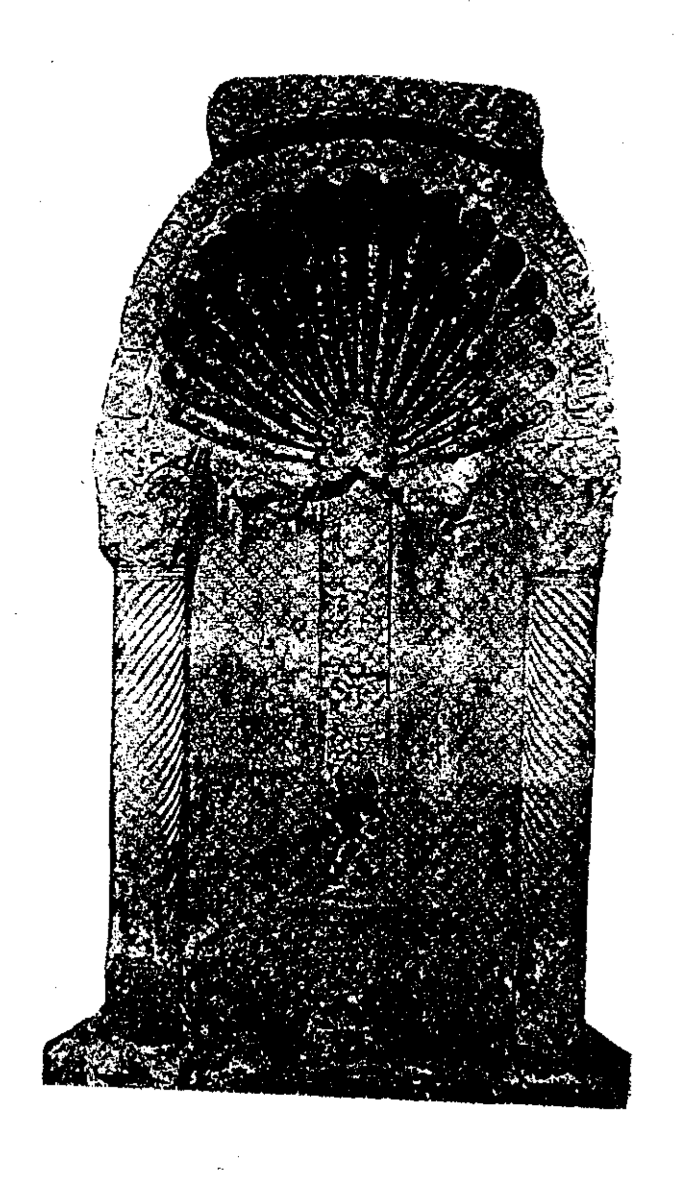


- مخطط مسجد بغداد في عهد المعتضد بالله عن أحمد فكري

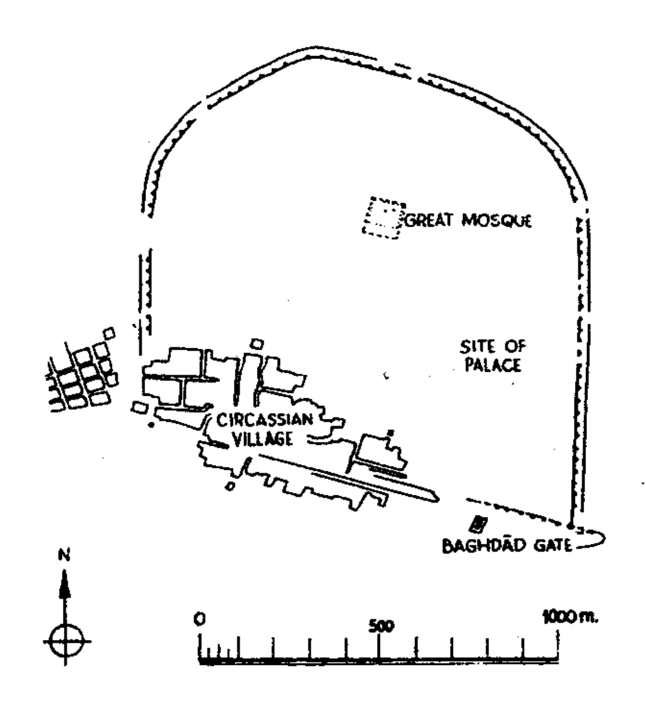


مخطط جامع المنصور في المدينة المدورة بالنسبة لقصر باب الذهب والاضافة المتأخرة للجامع

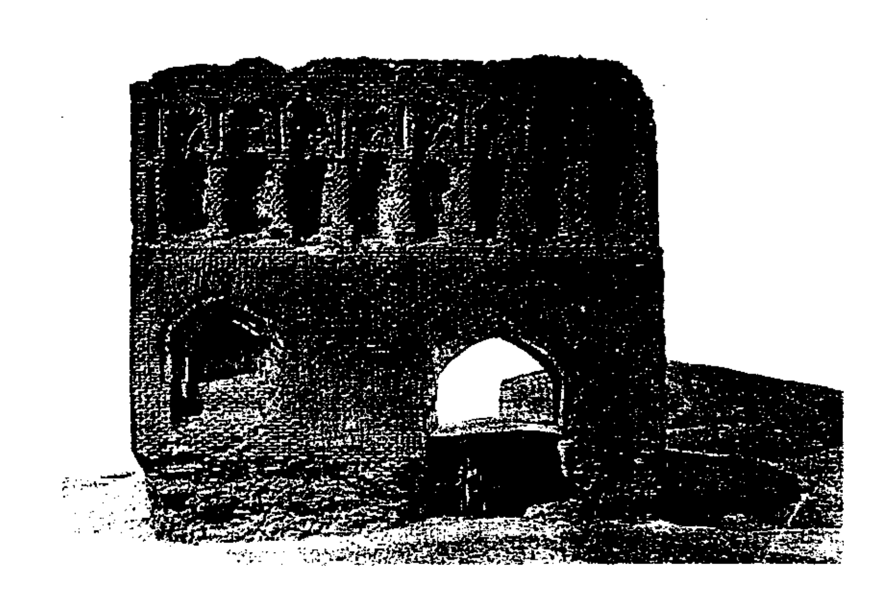
- مخطط جامع بغداد عن شريف يوسف



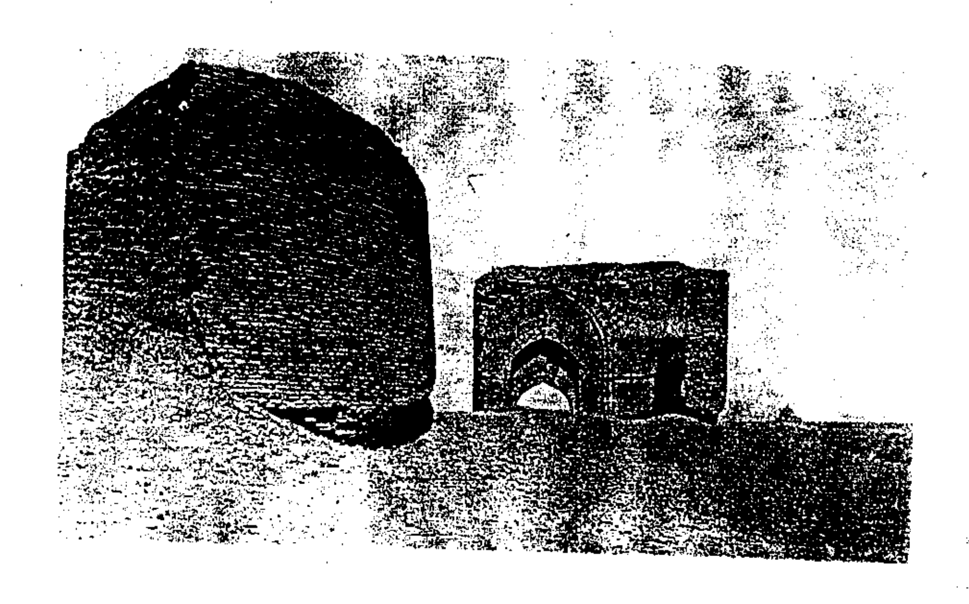
- محراب جامع الخاصكي ويعتقد انه محراب جامع المنصور عن شريف يوسف



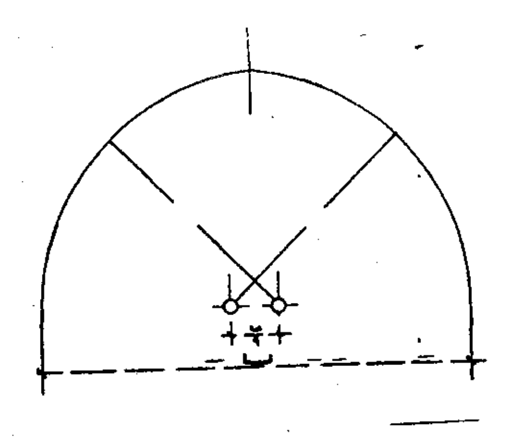
- مخطط مدينة الرافقة (الرقة) عن Creswell



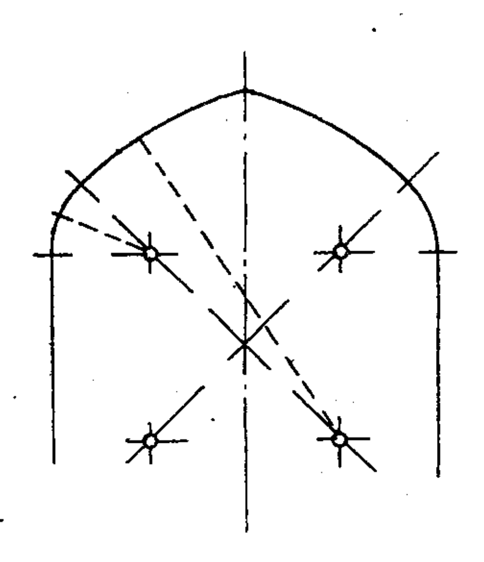
- الواجهة الخارجية لبوابة بغداد بمدينة الرقة عن Creswell



- الواجهة الداخلية لبوابة بغداد بمدينة الرقة عن Creswell

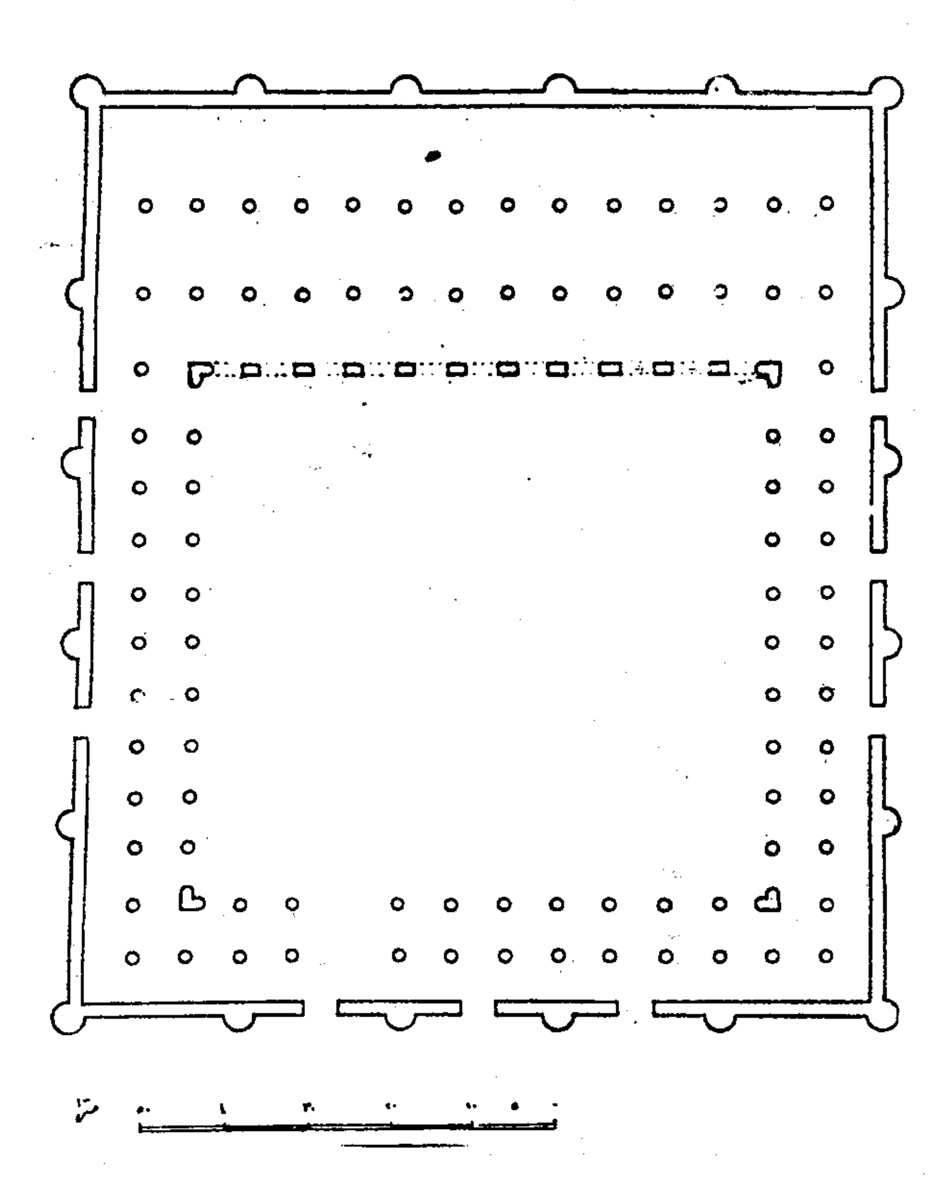


دمشق : المسجد الجامع ، عقد مدبب ذو مركزين

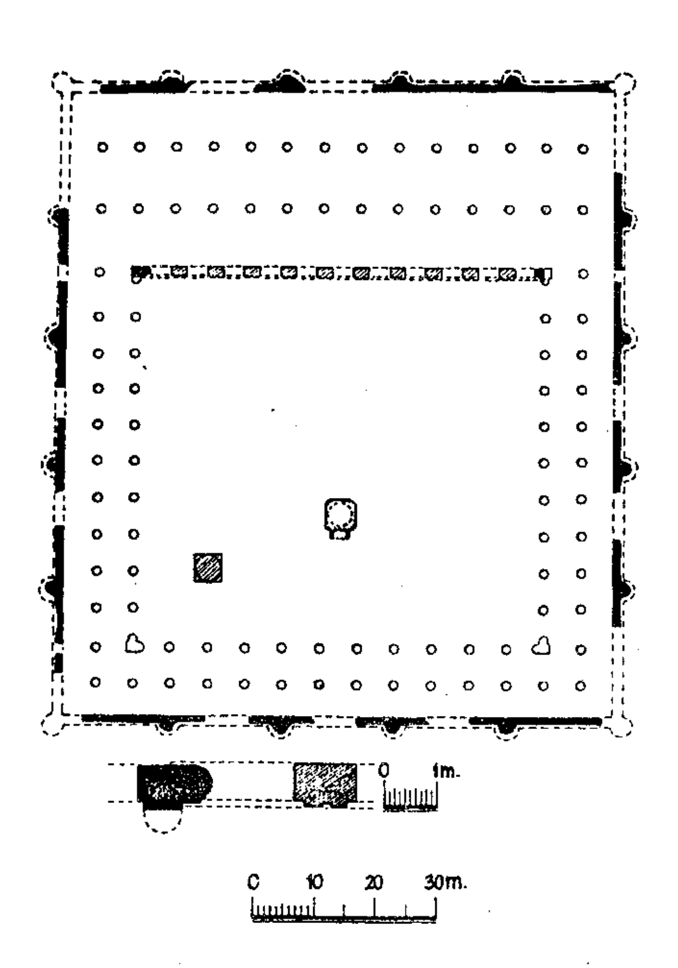


الرقة : باب بغداد ـ عقد ذو اربعة مراكز

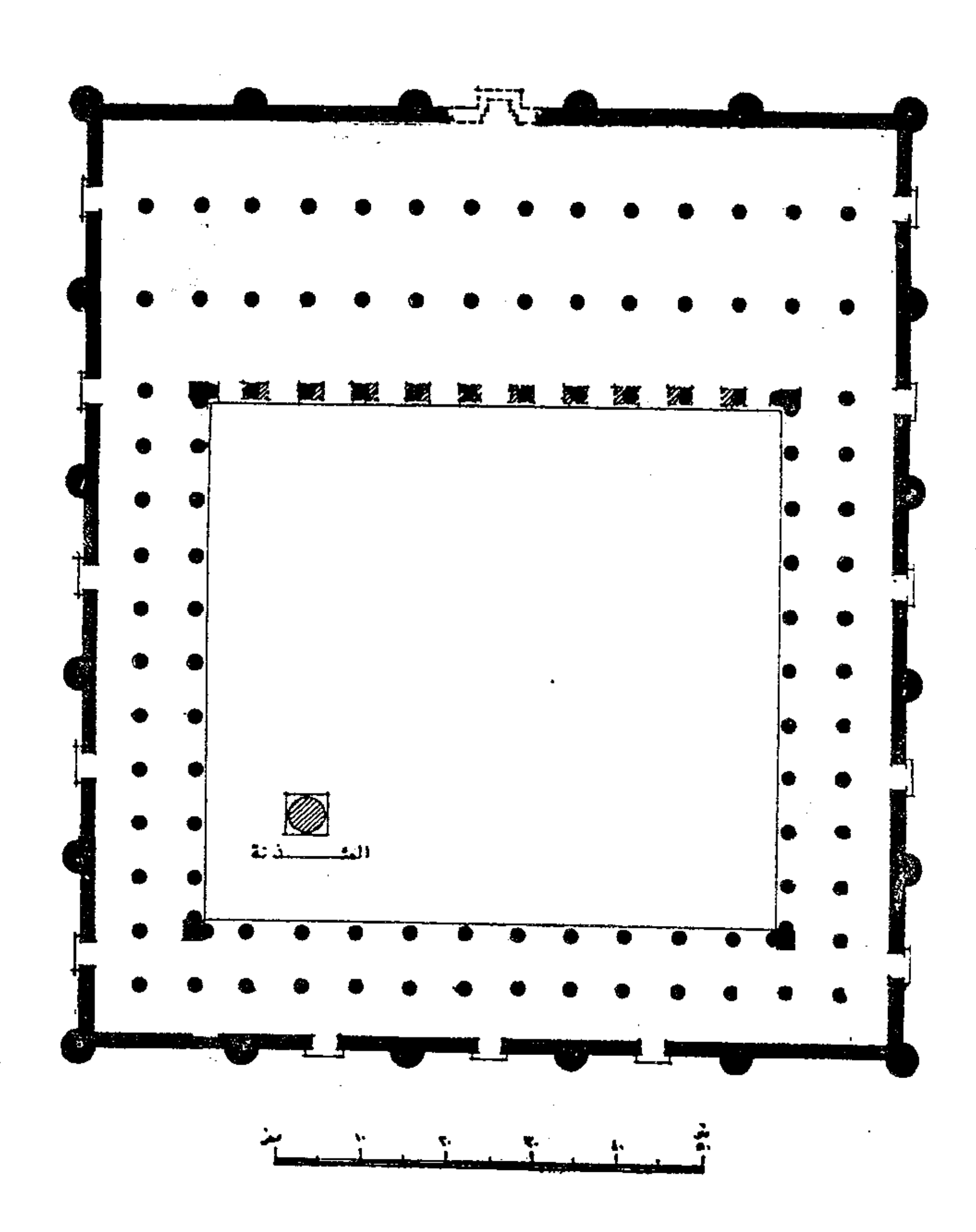
- عقد ذو أربعة مراكز بباب بغداد بمدينة الرقة عن فريد شافعي



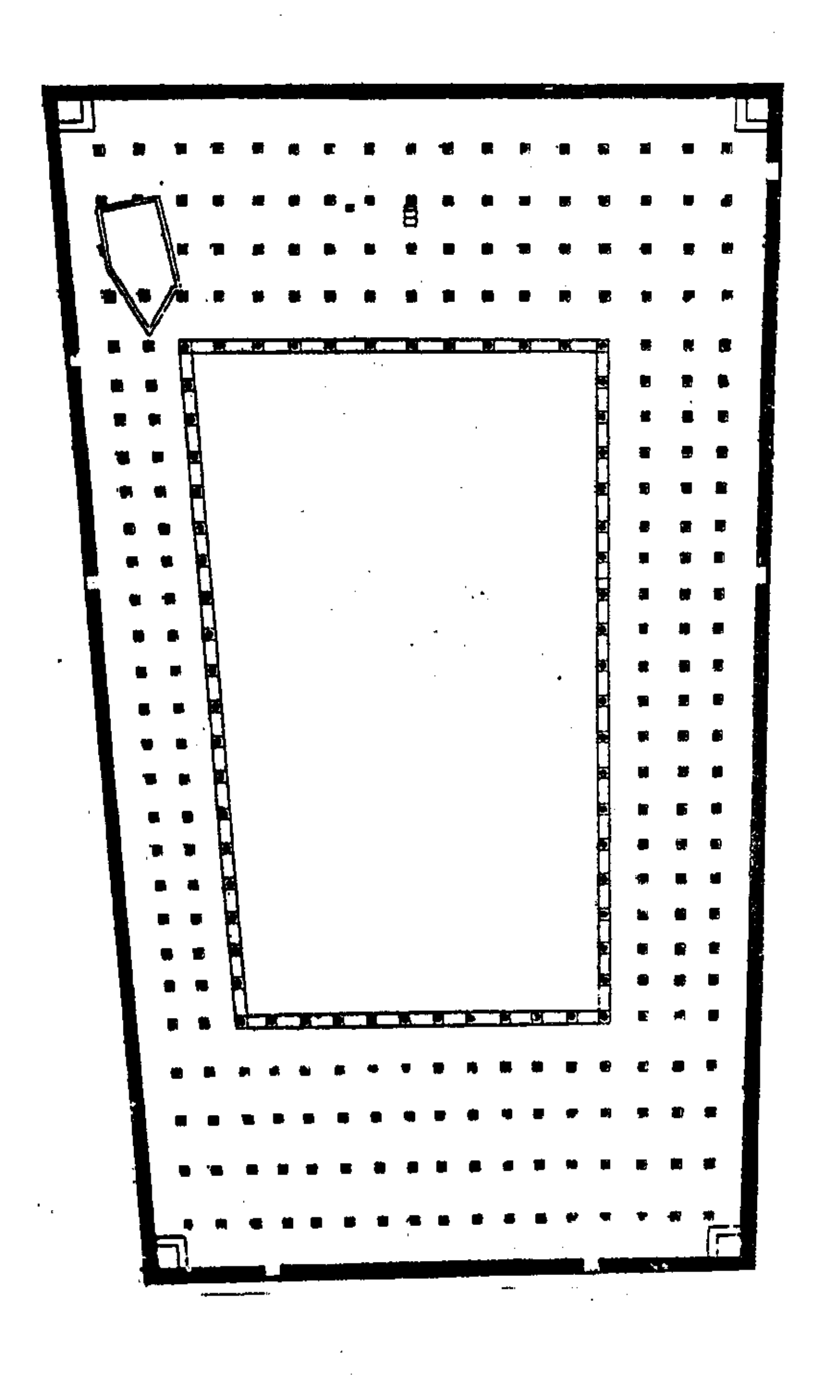
- مخطط مسجد الرقة الجامع عن أحمد فكري



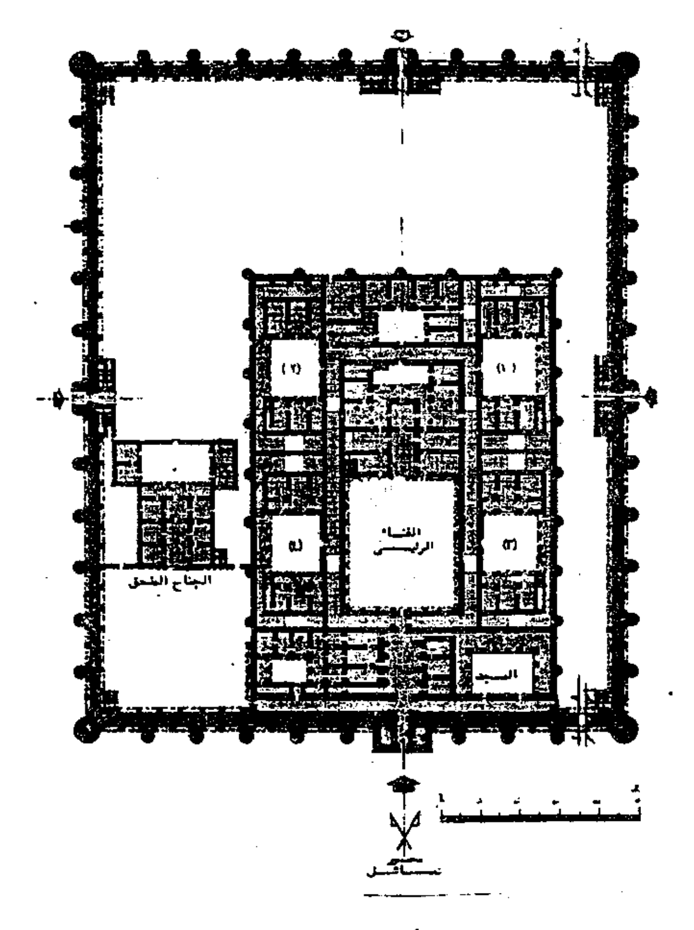
- مخطط مسجد الرقة الجامع عن Creswell



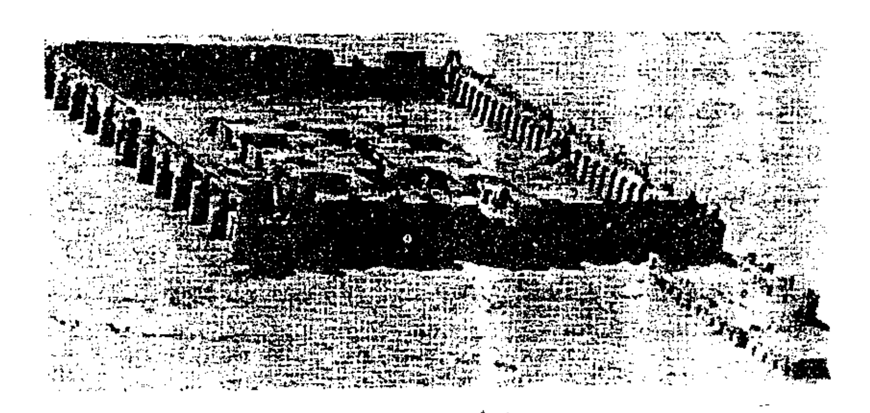
- مخطط مسجد الرقة الجامع عن فريد شافعي



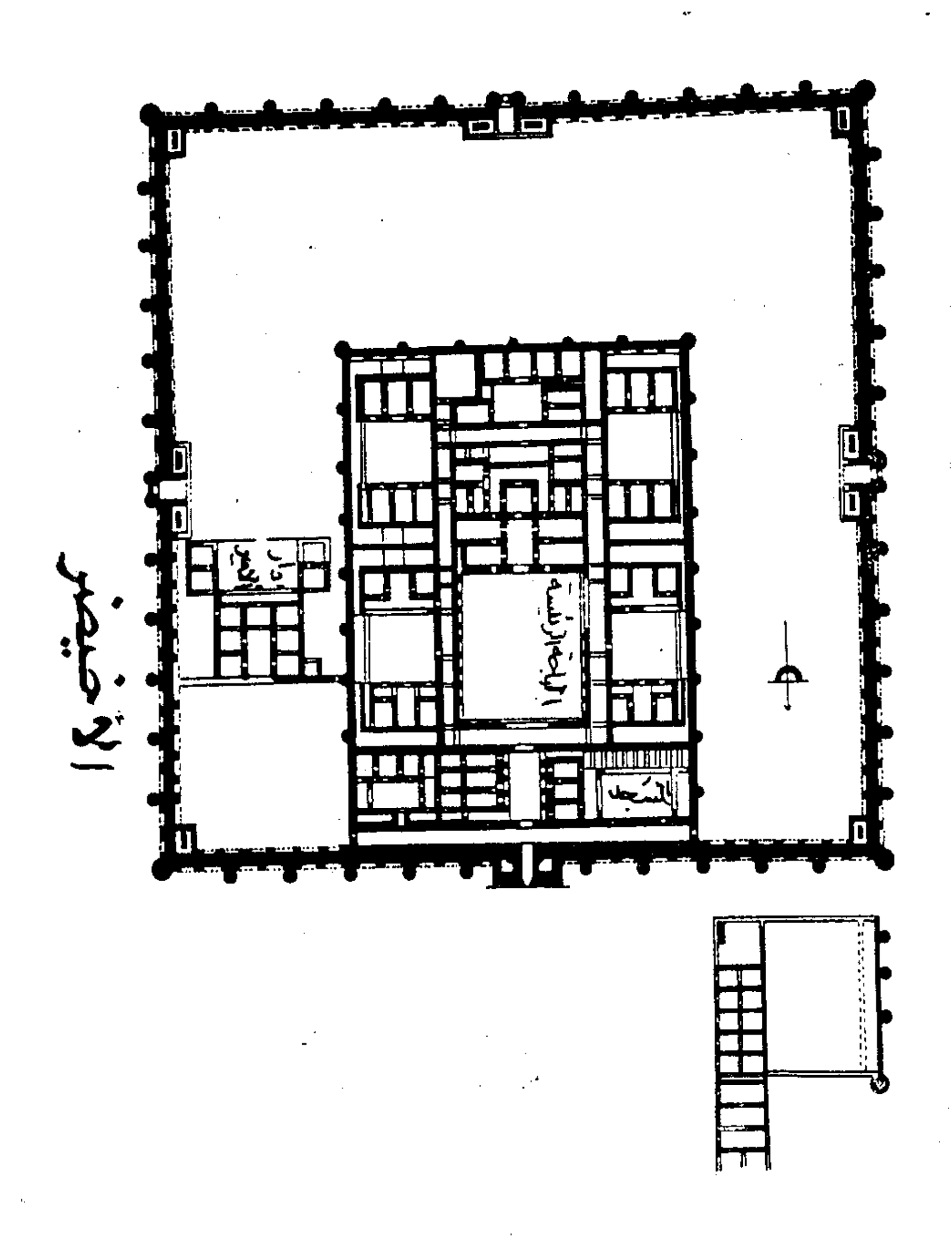
- مخطط المسجد النبوي في عهد المهدي عن أحمد فكري



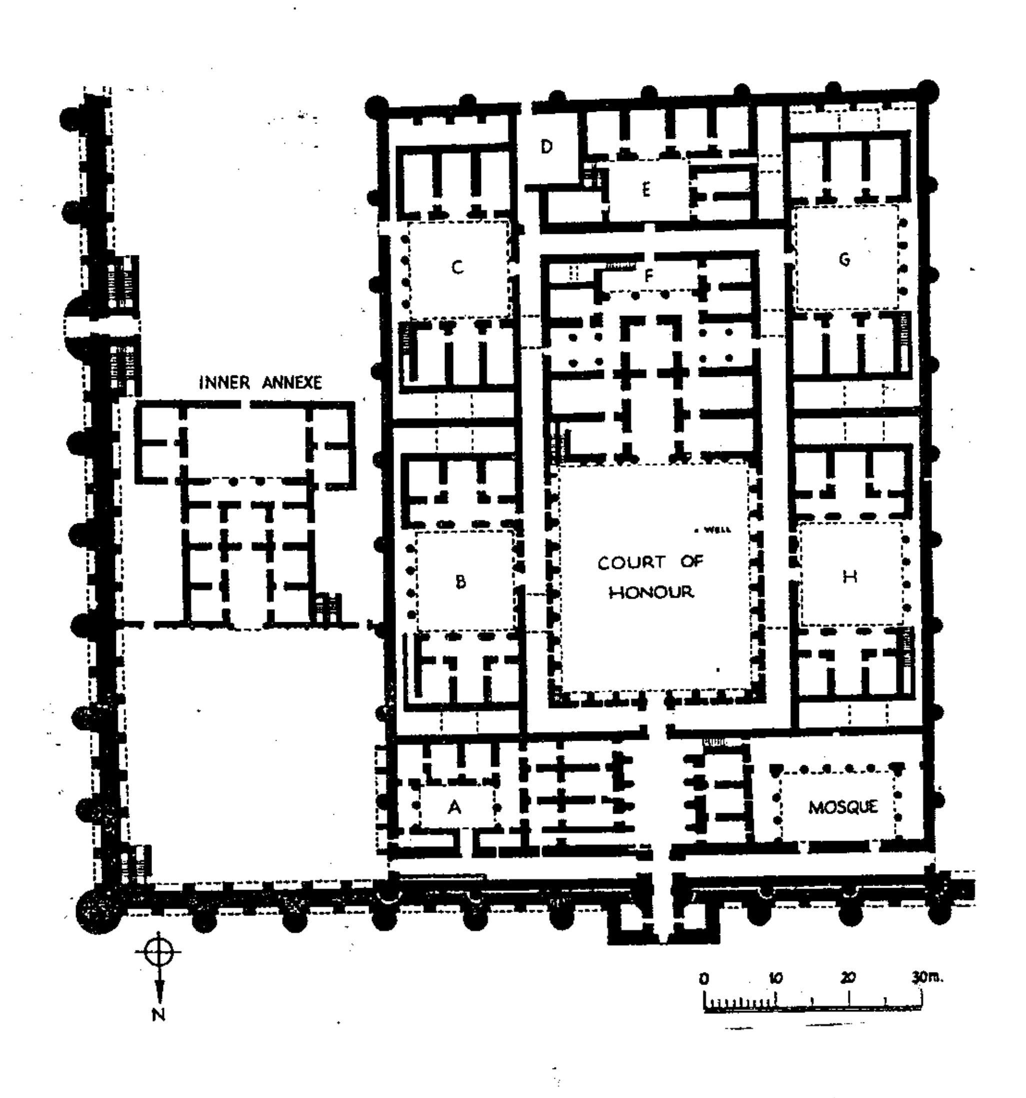
- مخطط قصر الأخيضر عن فريد شافعي



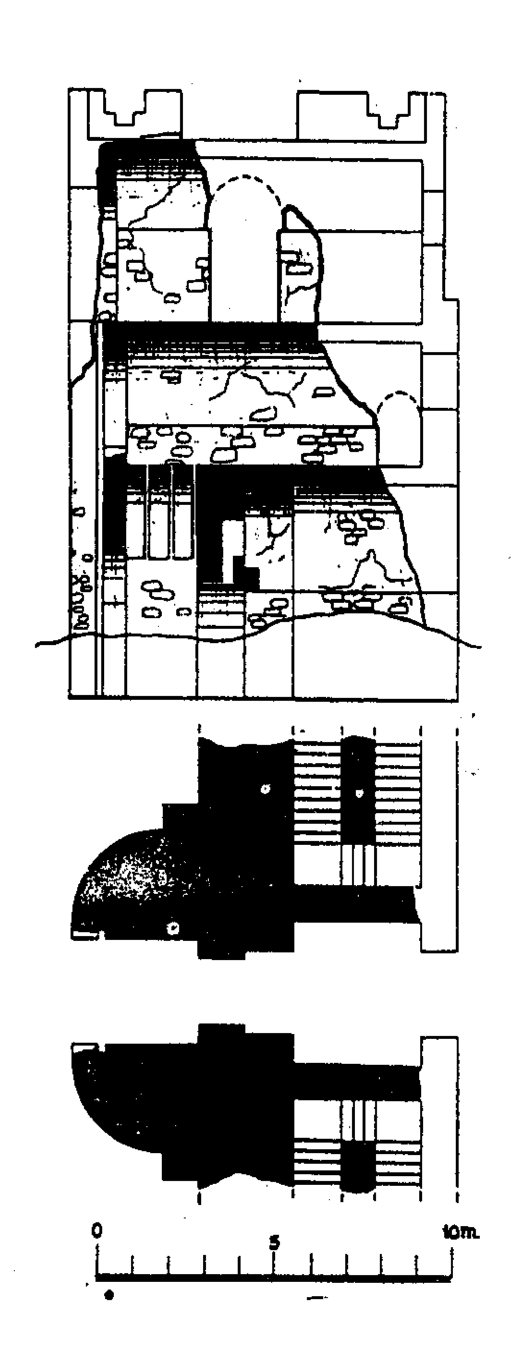
- قصر الأخيضر من الجو عن فريد شافعي



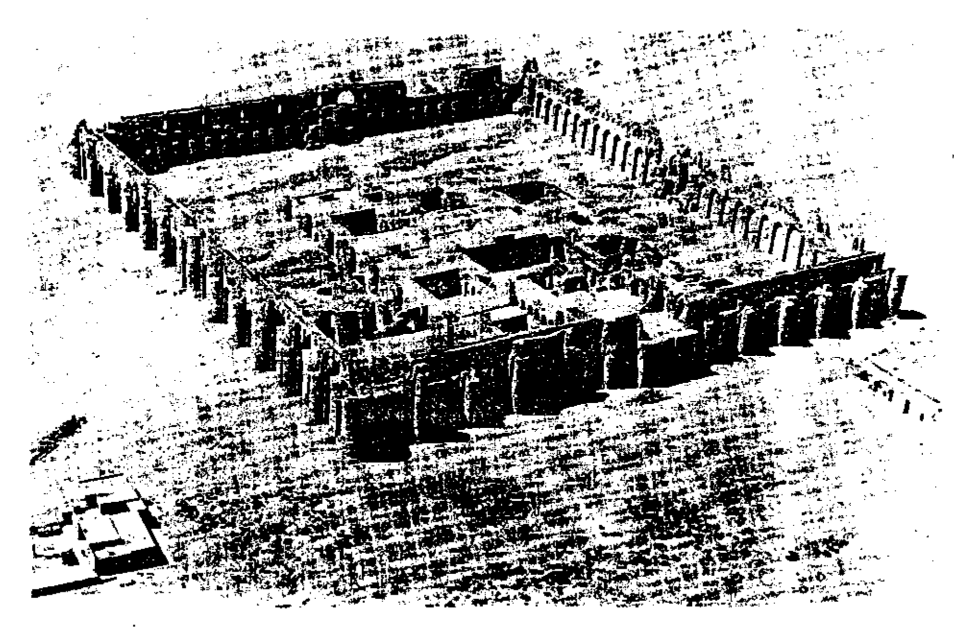
- مخطط قصر الأخيضر عن عيسى سلمان



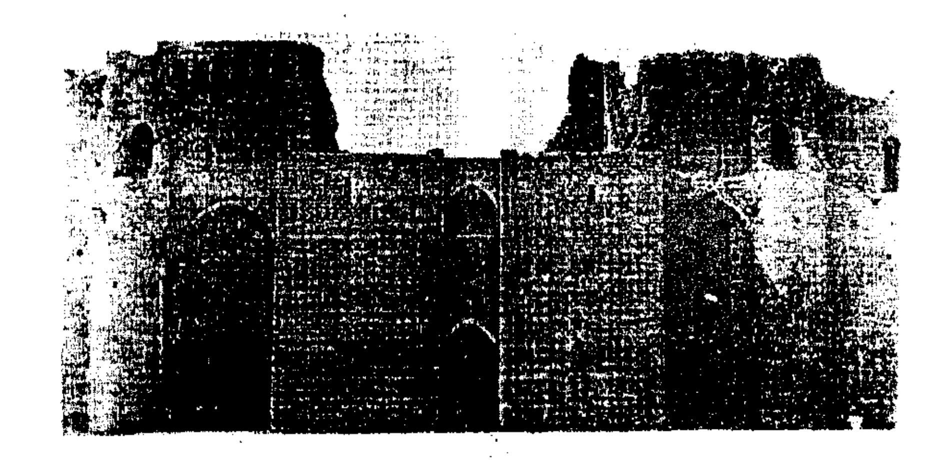
- مخطط قصر الأخيضر عن Creswell



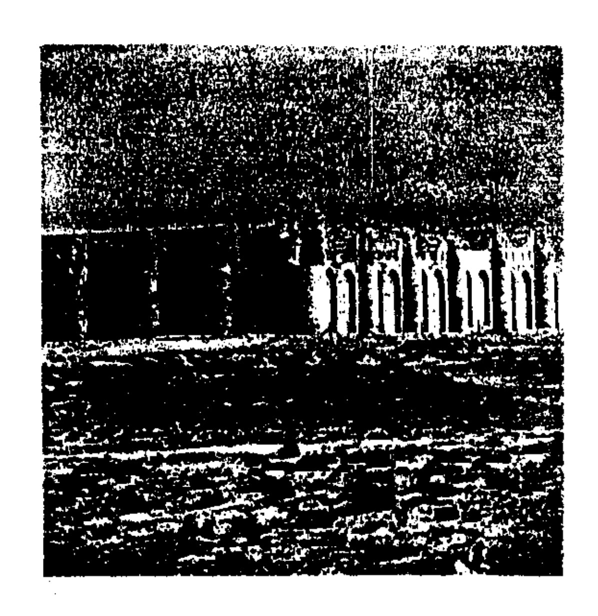
- مسقط وقطاع للبوابة الشرقية لقصر الأخيضر عن Creswell



- منظر عام من الجو لقصر الاخيضر عن عيسى سلمان



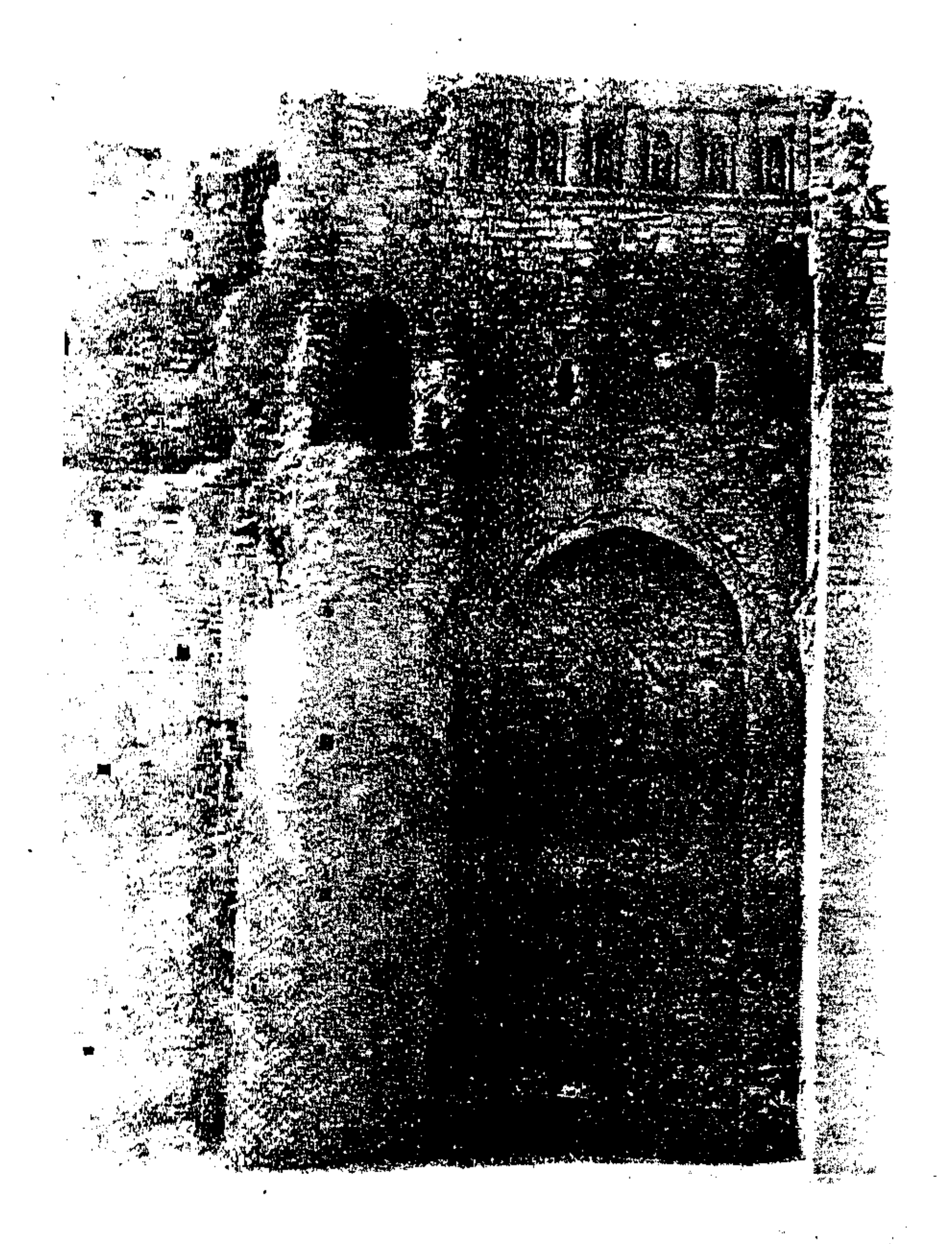
- المدخل الشمالي لقصر الأخيضر عن عيسى سلمان



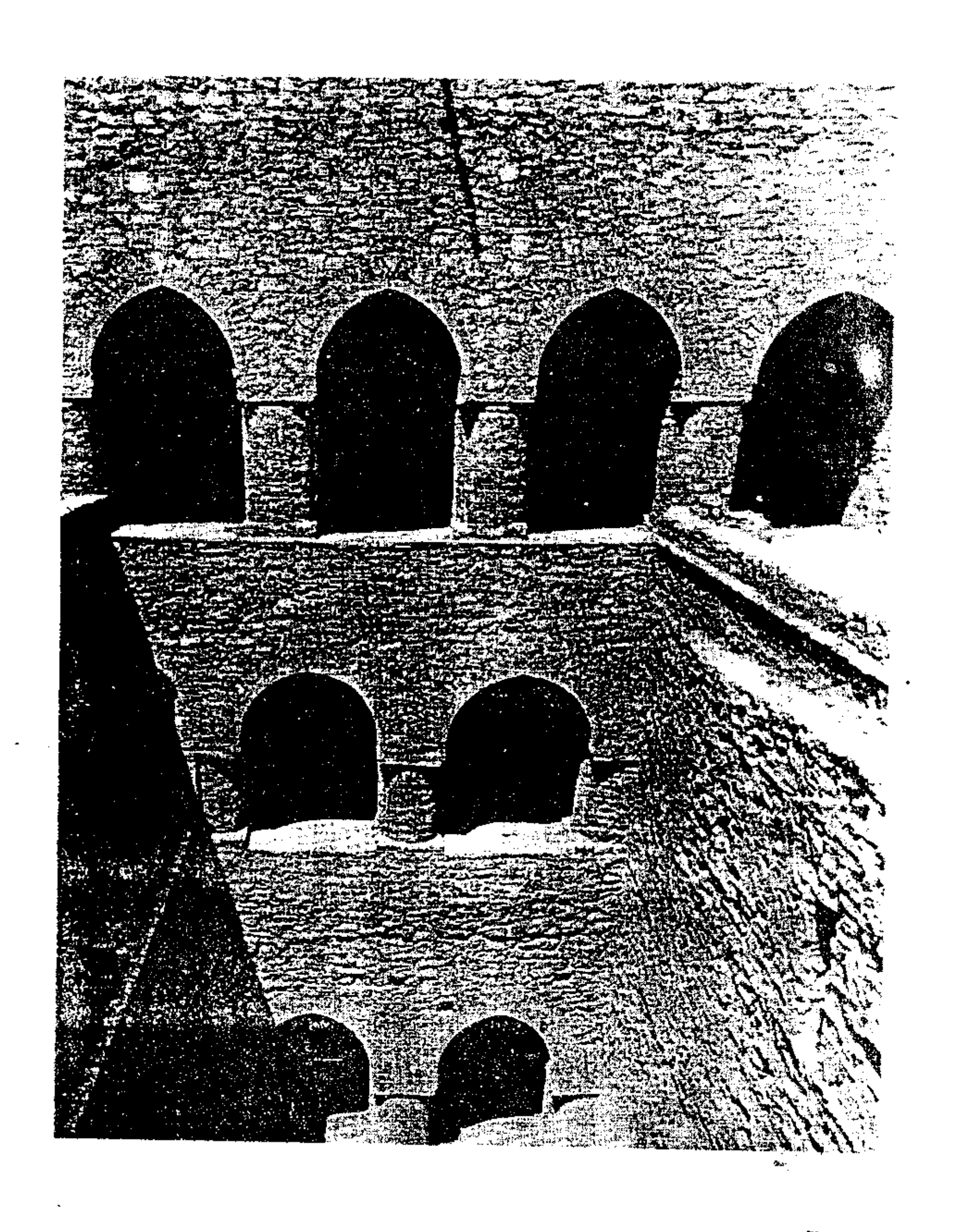
- تفاصيل من أبراج سور قصر الأخيضر عن عيسى سلمان



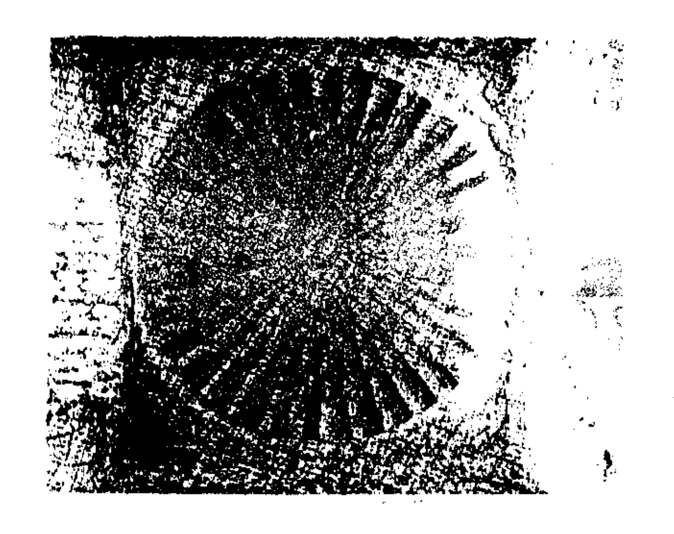
ـ فتحة مزغلية بقصر الأخيضر عن عيسى سلمان



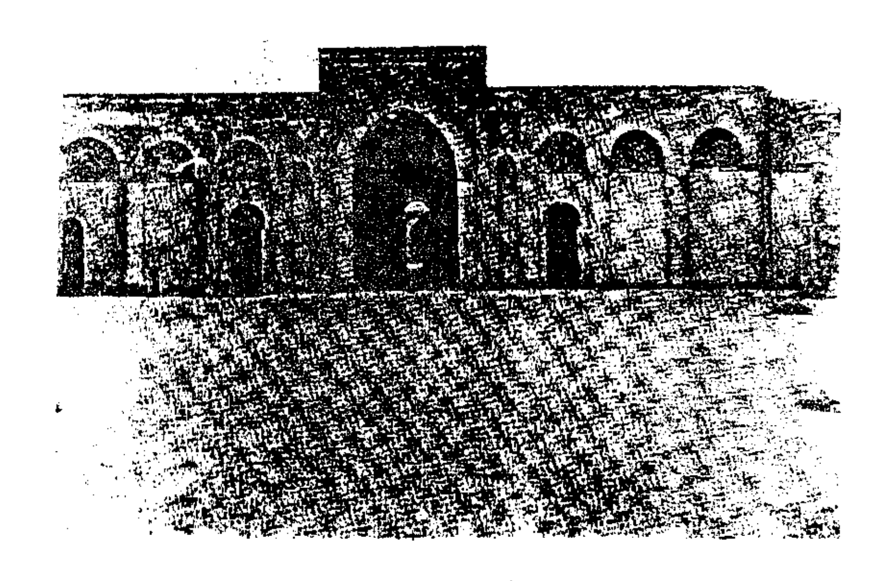
- الدخلات والحنايا بسور قصر الأخيضر عن عيسى سلمان



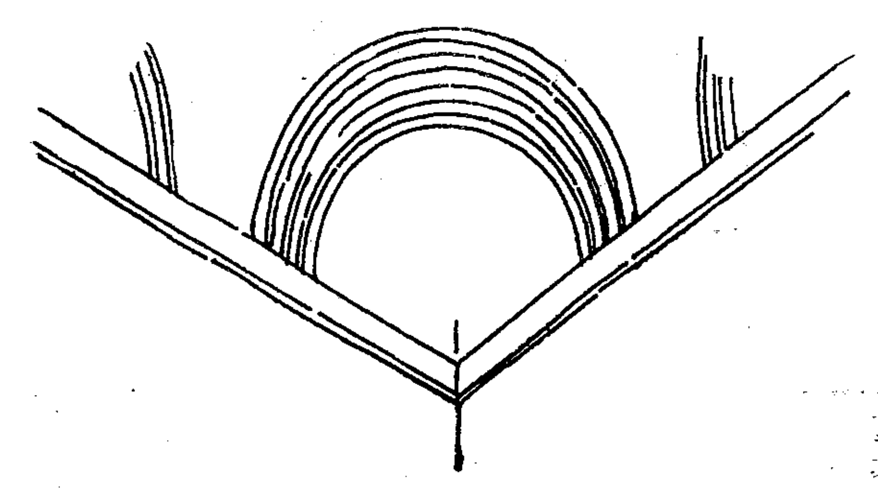
- قصر الأخيضر من الداخل عن عيسى سلمان



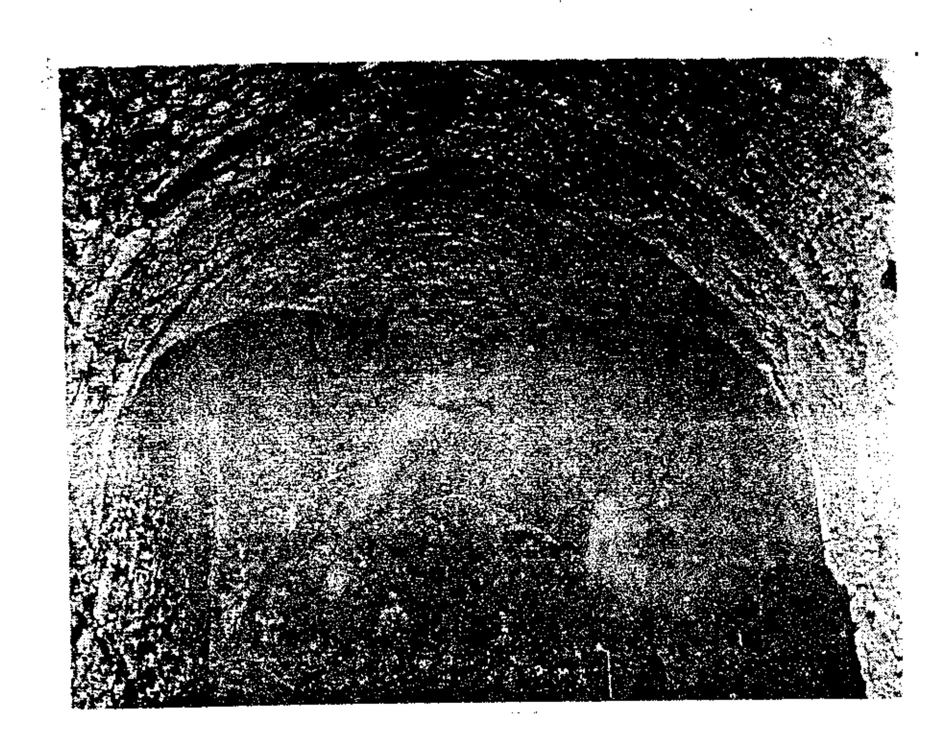
- تفاصيل من قبة قصر الأخيضر عن عيسى سلمان



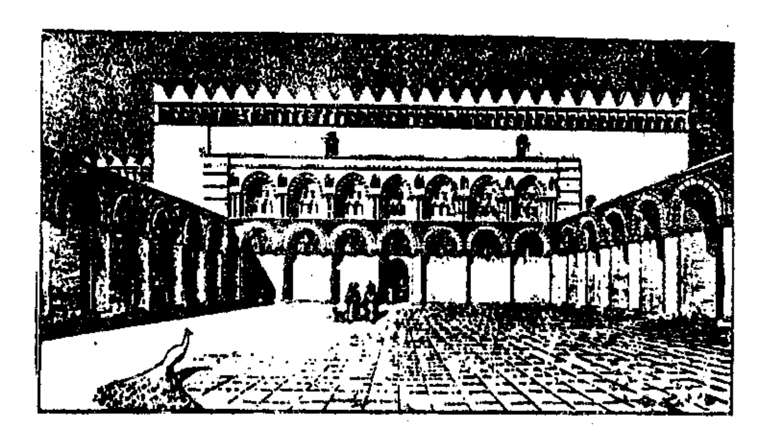
- تفاصيل من قصر الأخيضر من الداخل عن عيسى سلمان



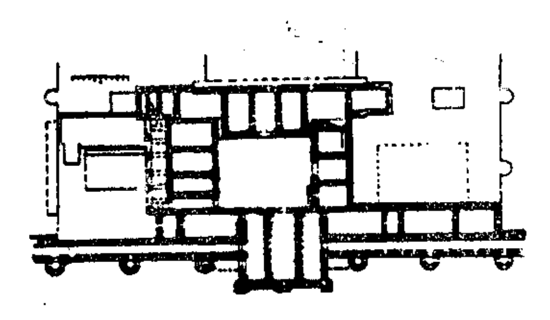
- حنية نصف مخروطية من قصر الأخيضر عن فريد شافعي



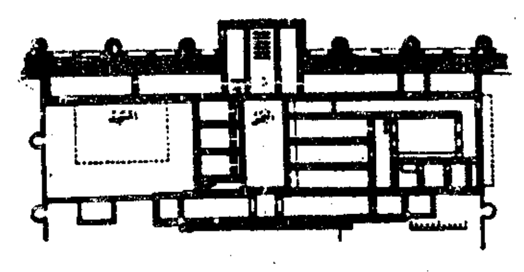
- أقبية متقاطعة من قصر الأخيضر عن عيسى سلمان



- بهو الشرف بقصر الأخيضر عن شريف يوسف

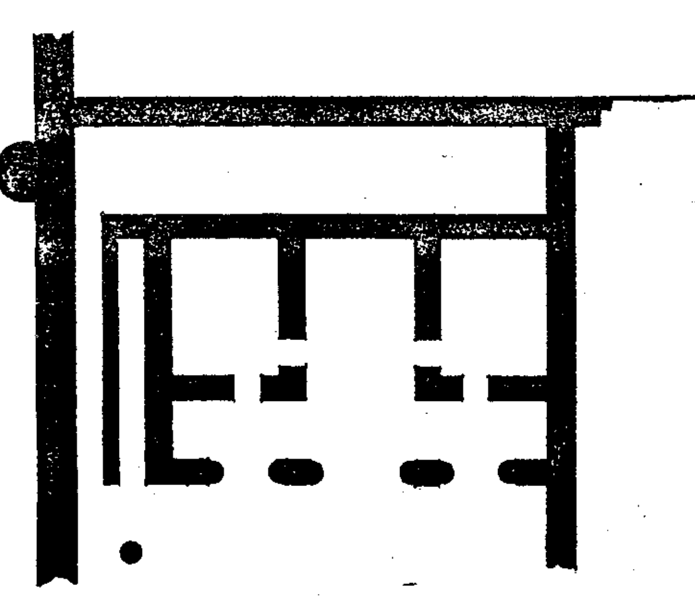


مخطط الطابق الثالث لقصر الأخيضر (٥٦)

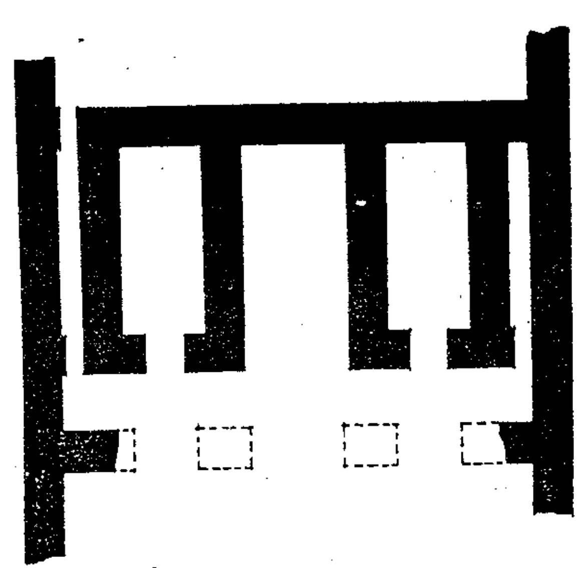


مخطط الطابق الثاني لقصر الأخيضر (٥٥)

- مخطط الطابقين الثاني والثالث بقصر الأخيضر عن شريف يوسف

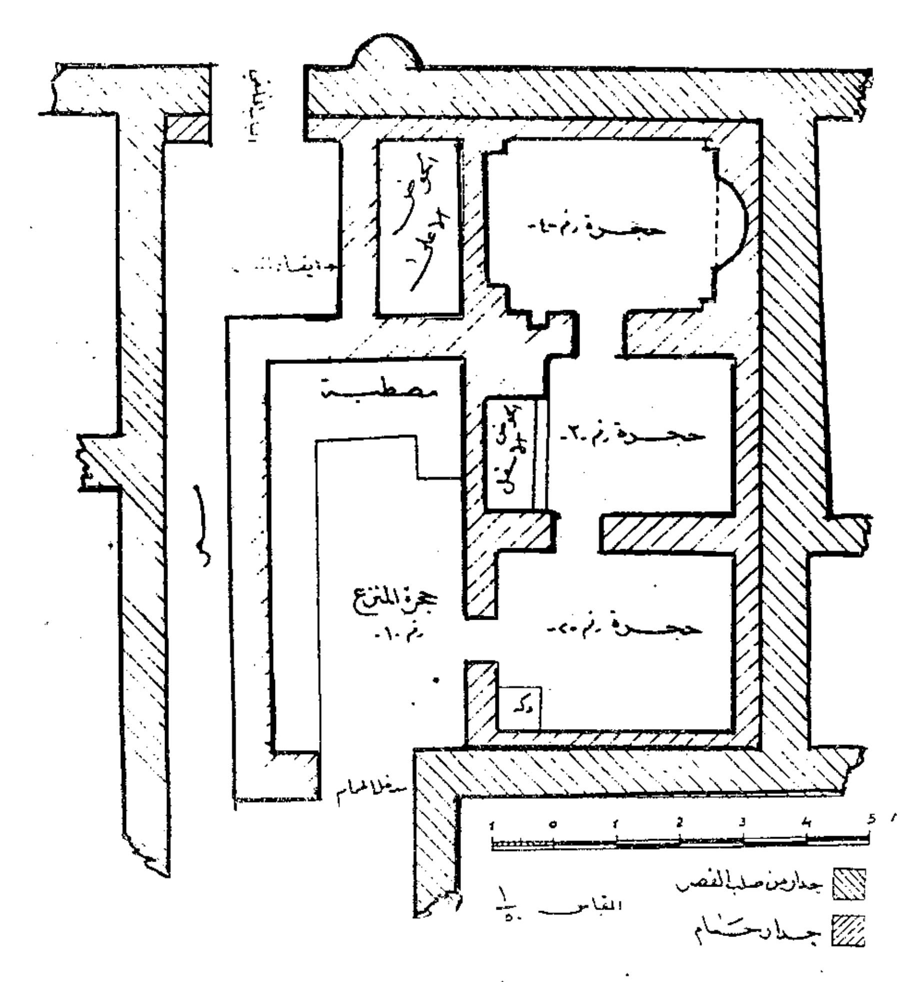


قصر الاخيضر ، وحدة سكنية

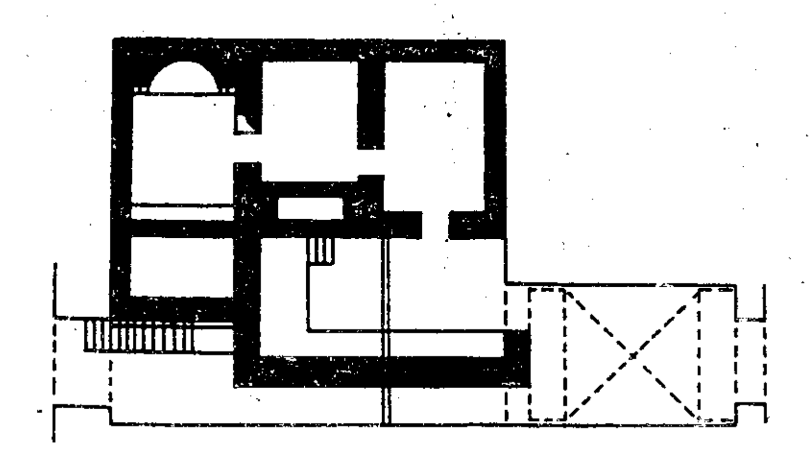


قصر شيرين ، وحدة سكنية

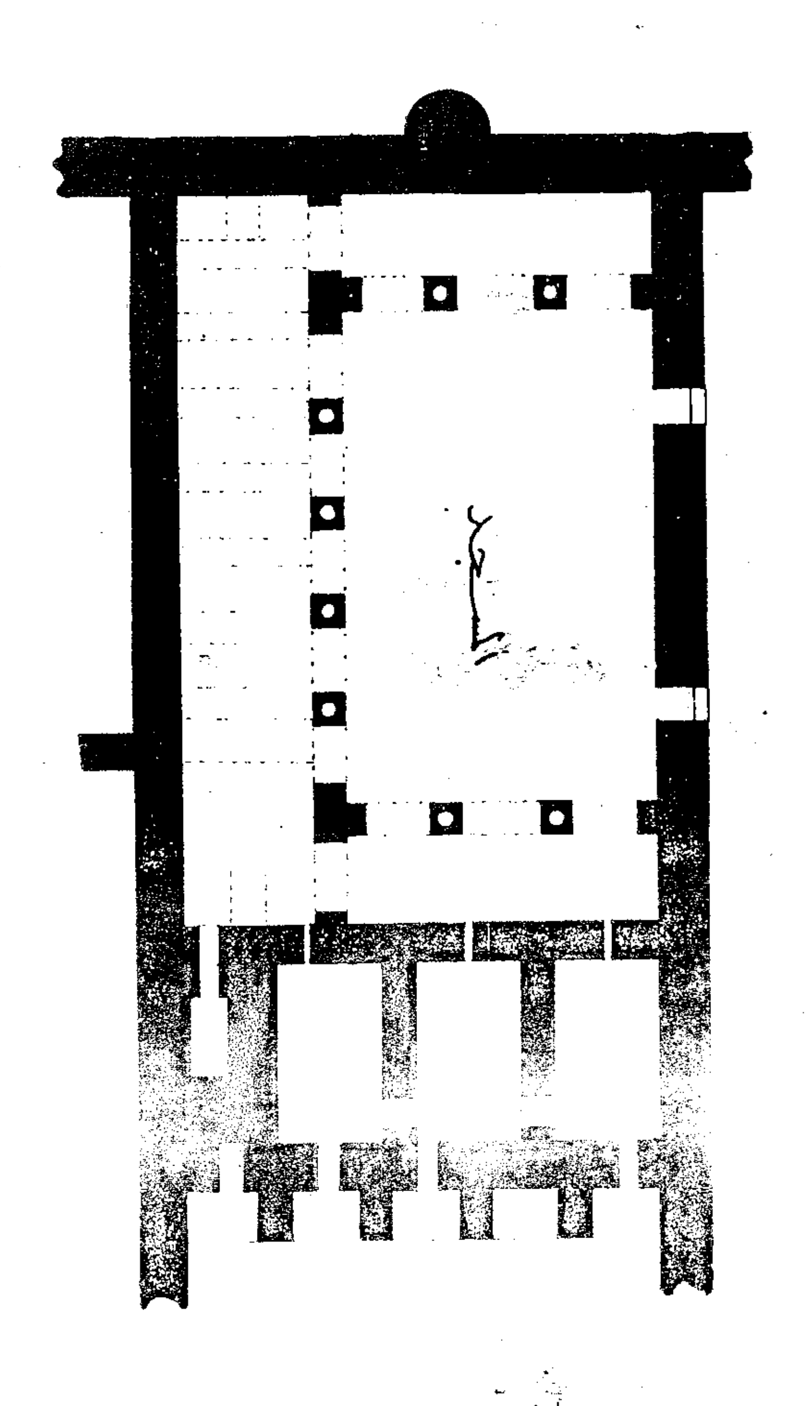
- مخطط لوحدة سكنية بقصري الأخيضر وشيرين عن فريد شافعي



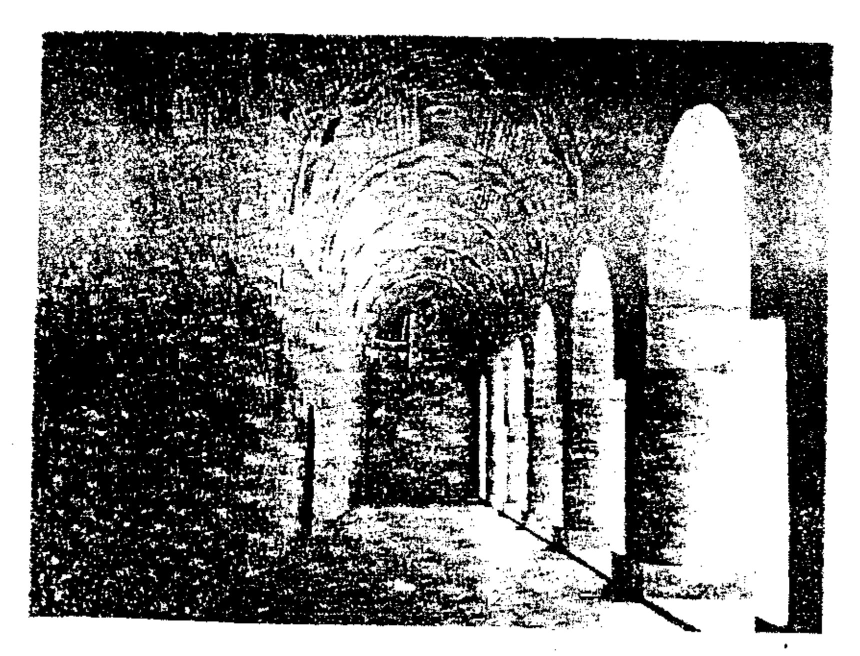
- مخطط حمام قصر الأخيضر عن شريف يوسف



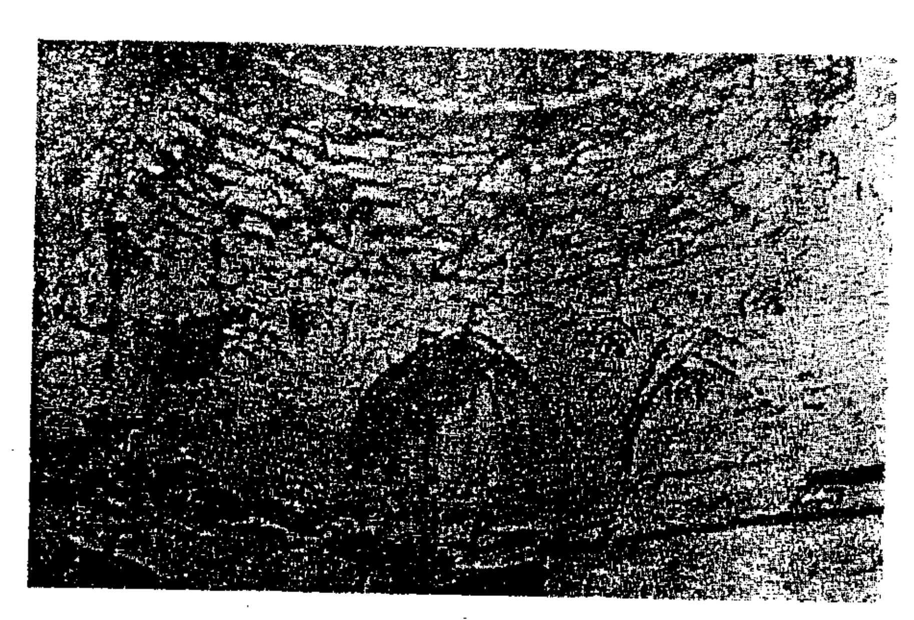
- مخطط حمام قصر الأخيضر عن Creswell



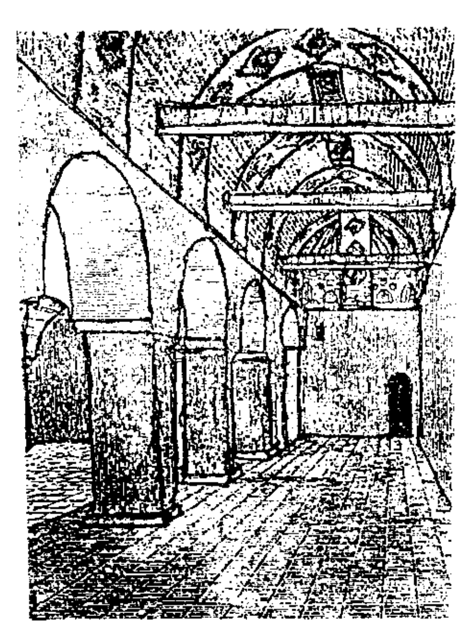
- مخطط مسجد قصر الأخيضر عن عيسى سلمان



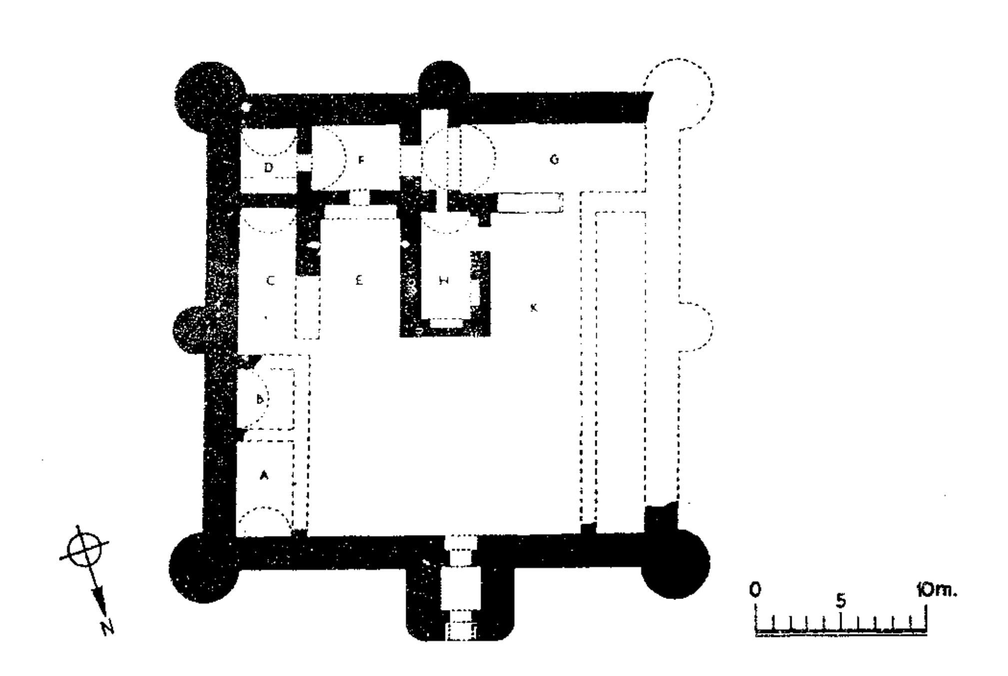
- ظلة القبلة بمسجد قصر الأخيضر عن عيسى سلمان



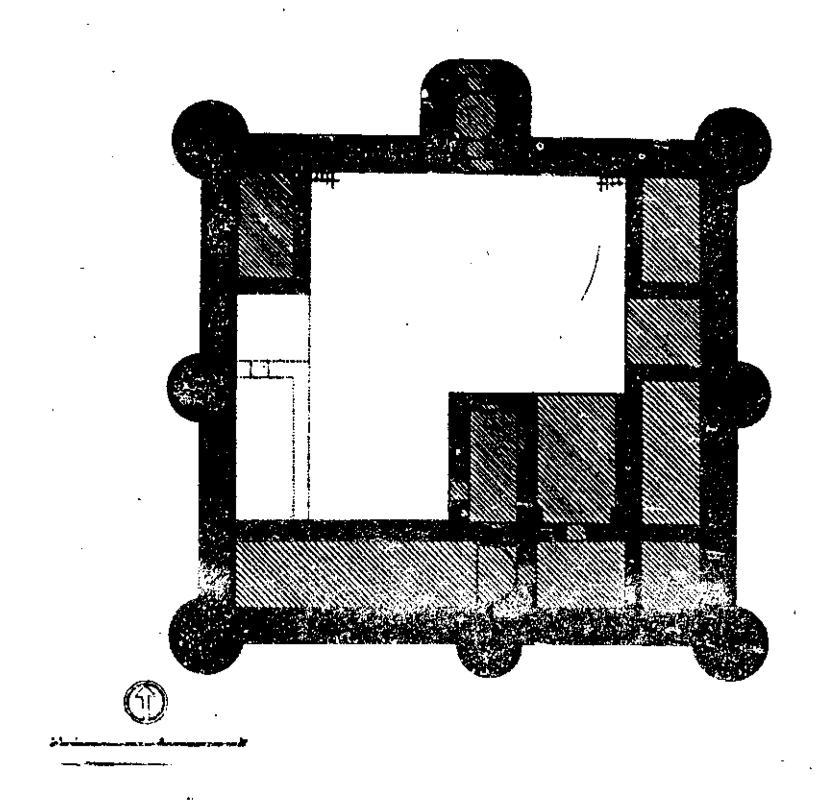
- تفاصيل من داخل مسجد قصر الأخيضر عن فريد شافعي



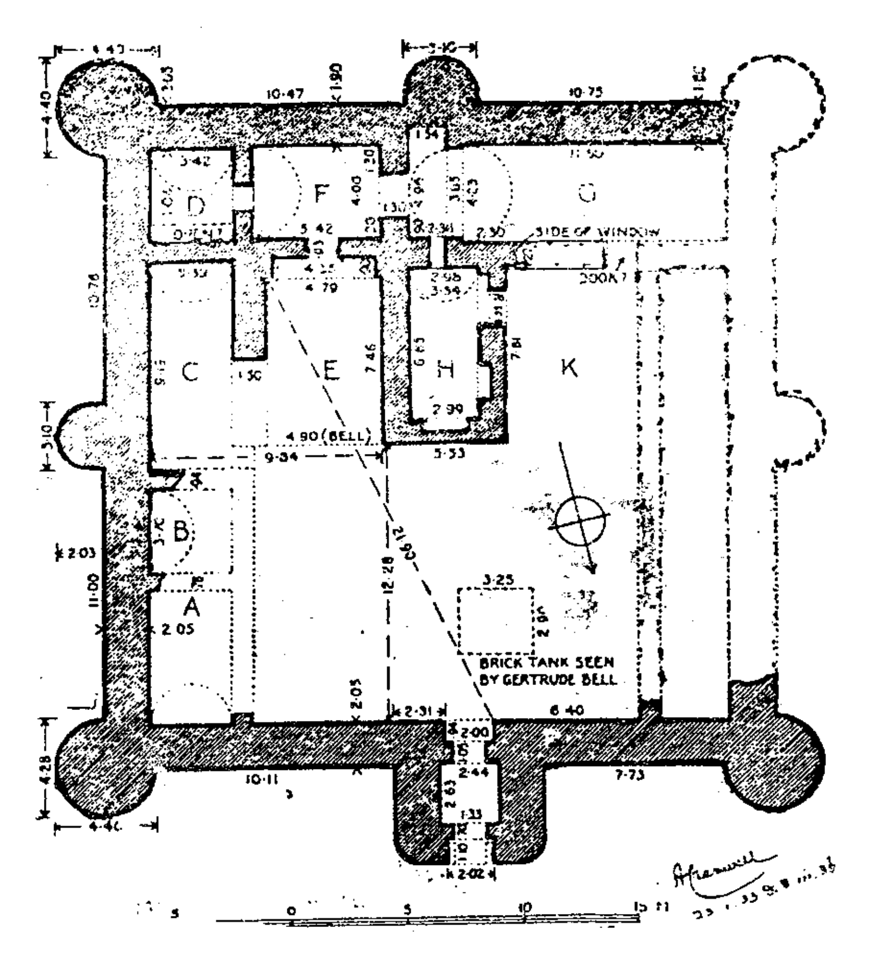
- ظلة القبلة أو بيت الصلاة في مسجد قصر الأخيضر عن شريف يوسف



- مخطط خان عطشان عن Creswell

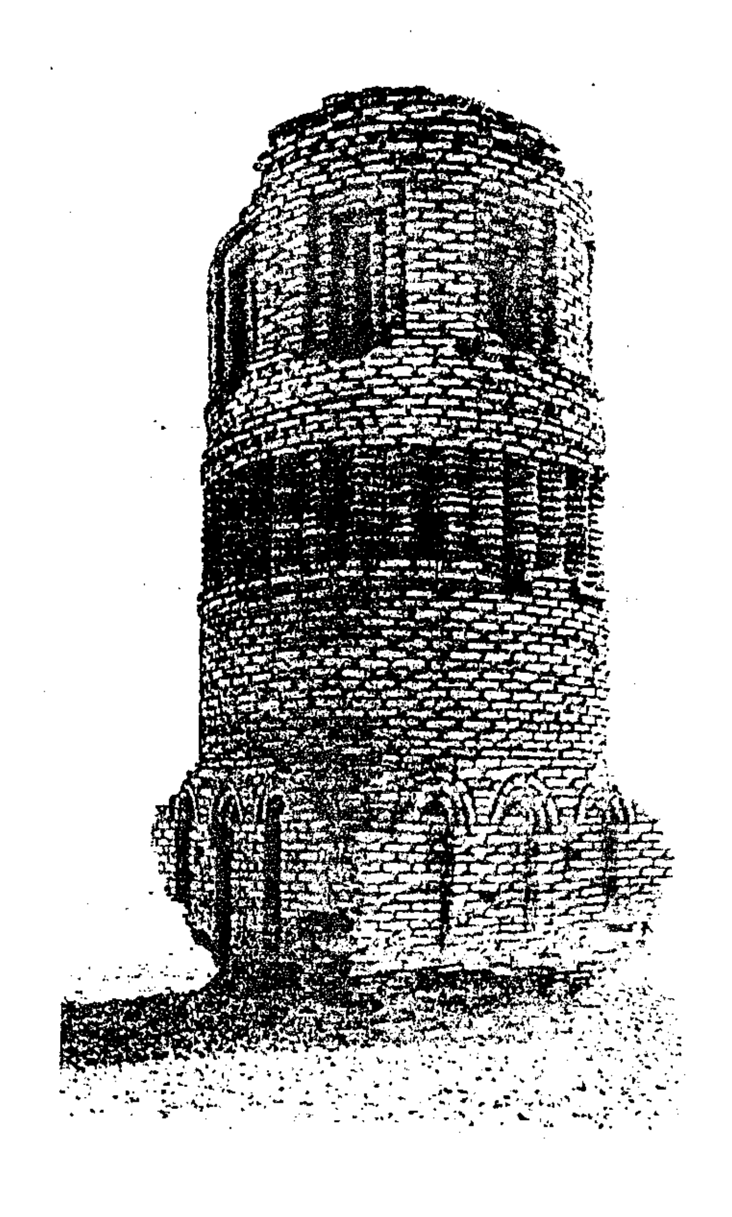


- مخطط خان عطشان عن عيسى سلمان

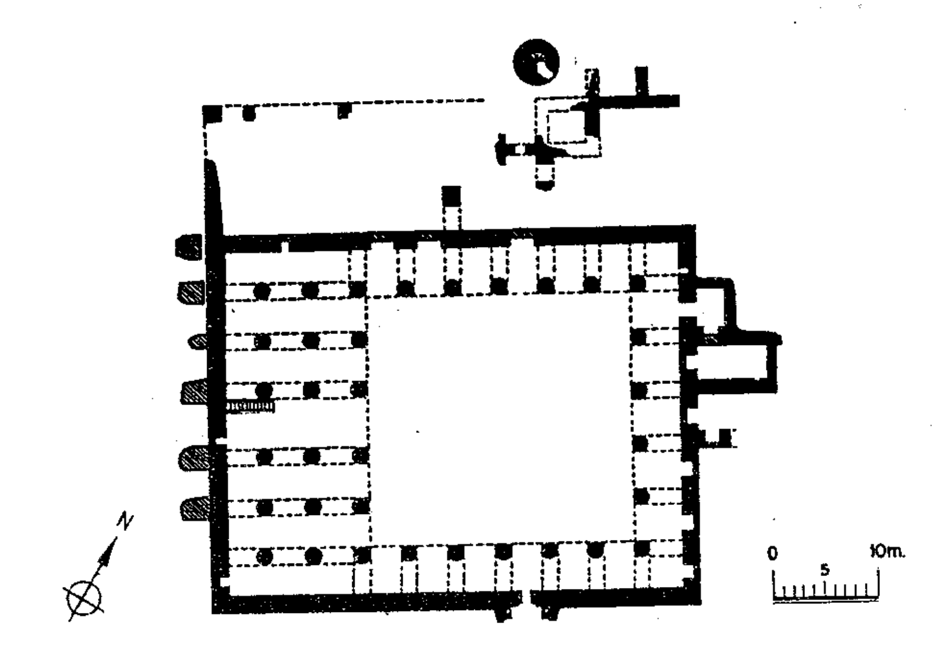


مخطط خان عطشان الواقع بين قصر الأخيضر ومدينة الكوفة

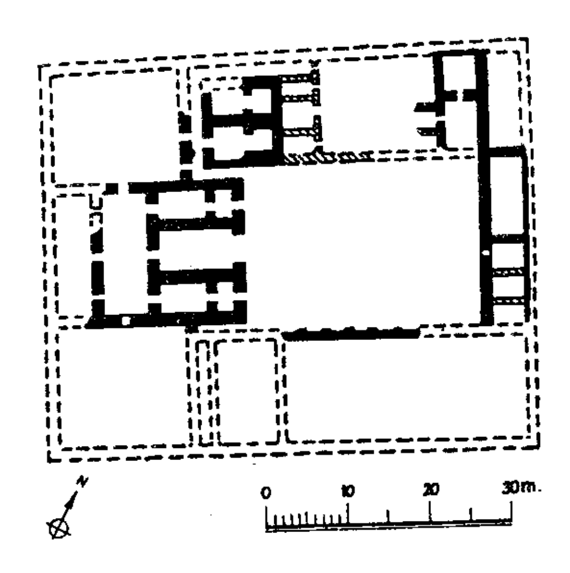
- مخطط خان عطشان عن شريف يوسف



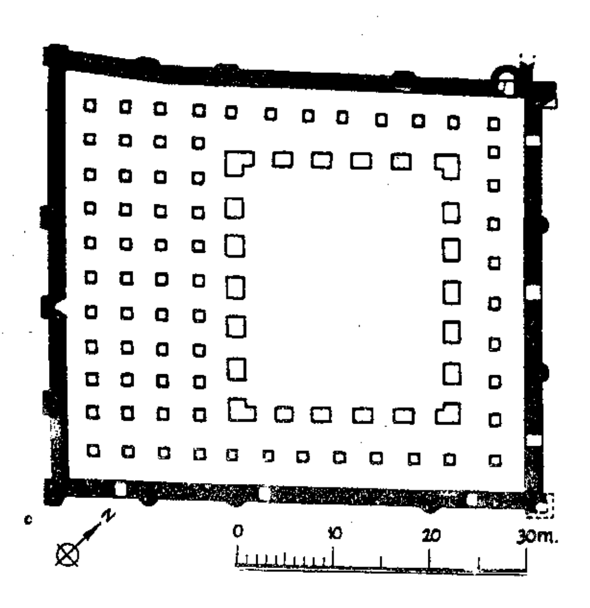
- منار او برج موجدة بين الأخيضر وعطشان عن Creswell



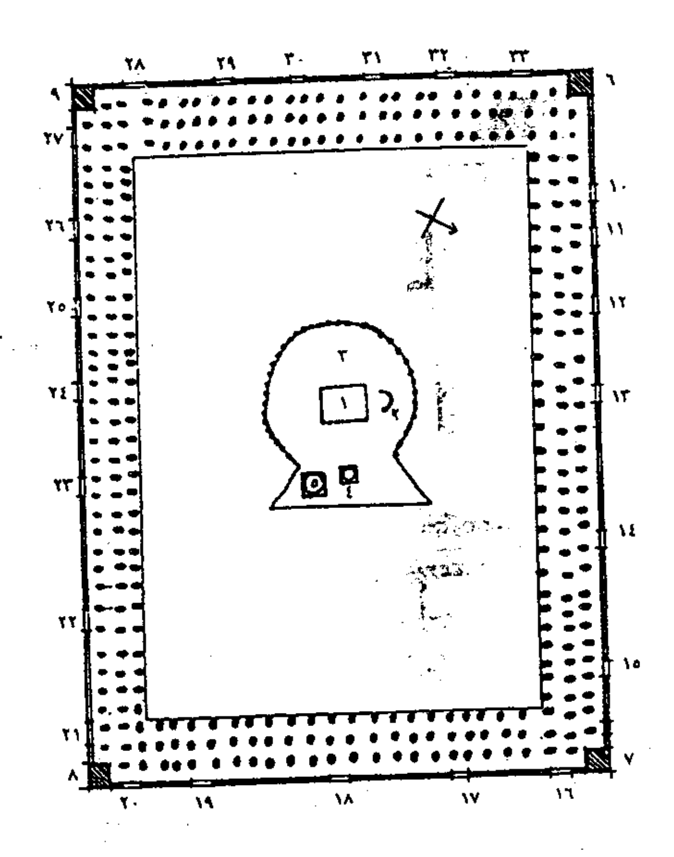
- خان طارق في دامغان نقله Creswell عن Godard



- مخطط القصر في اسكاف بني جنيد نقله Creswell عن Adams



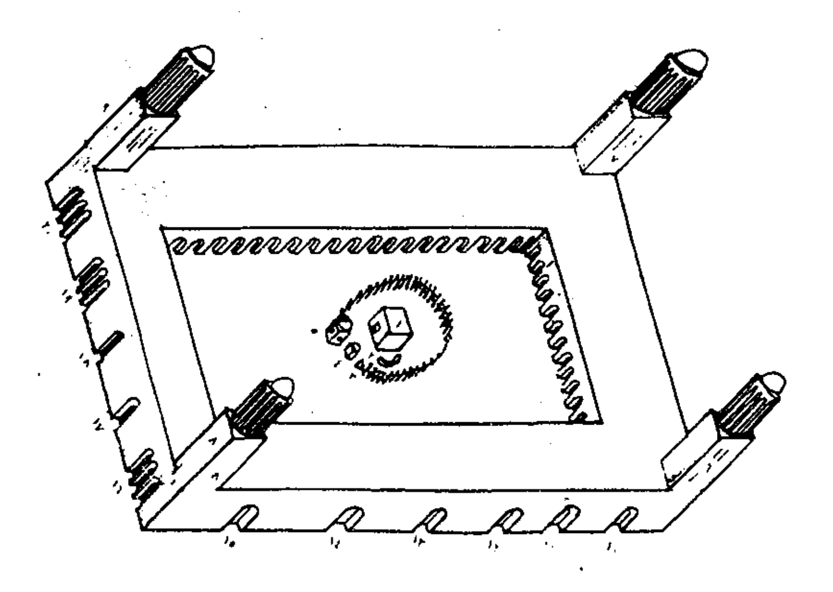
. مخطط المسجد في اسكاف بني جنيد نقله Creswell عن Adams



مسقط أفقي تخيلي للمسجد الحرام بعد عمارة المهدي سنة ١٦٤هـ

(١) الكعبة (٢) حجر إسماعيل (٣) المطاف
(٤) مقام إبراهيم (٥) بئر زمزم (٦) منارة بني سهم
(٧) منارة أبي الحجاج (٨) منارة المكيين (٩) منارة الحزورة
(١٠) باب عمرو بن العاص (١١) باب السدة (١٢) باب دار العجلة
(١٣) باب تعيقان (١٤) باب دار الندوة (١٥) باب شيبة
(١٦) باب بني شيبة (١٧) باب القوارير (١٨) باب النبي ﷺ
(١٩) باب العباسي (٢٠) باب علي (٢١) باب بني عائذ
(٢٢) باب بني سفيان (٢٣) باب الصفا (٢٤) باب بني مخزوم
(٢٥) باب بني مخزوم (٢٦) باب بني تميم (٢٧) باب أم هانيء
(٢٨) باب بني حكيم (٢٩) باب الخياطين (٣٠) باب بني جمح
(٣١) باب أبي البختري (٣٢) باب زبيدة (٣٣) باب بني سهم

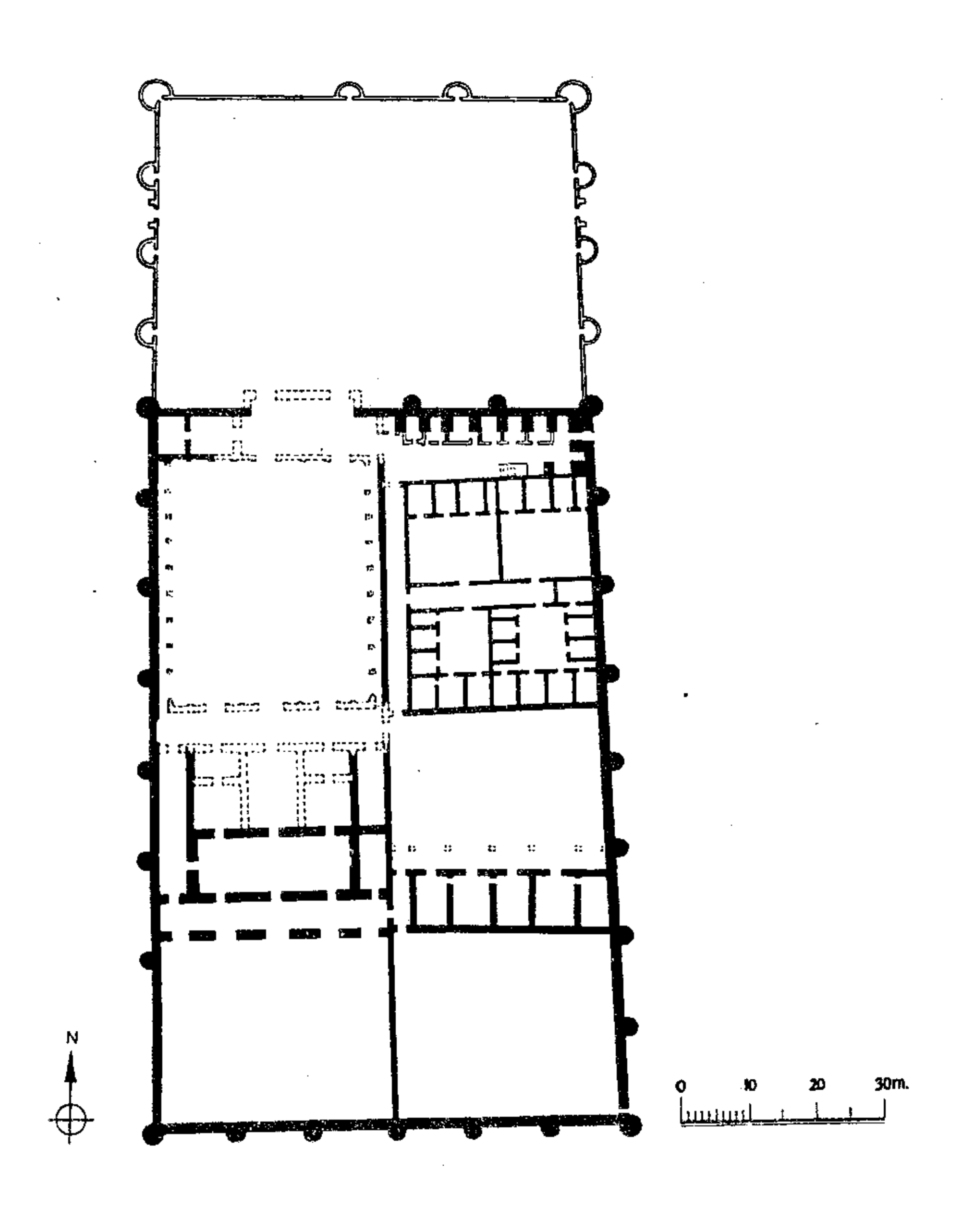
- مسقط أفقي تخيلي للمسجد الحرام بعد عمارة المهدي عن أحمد رجب



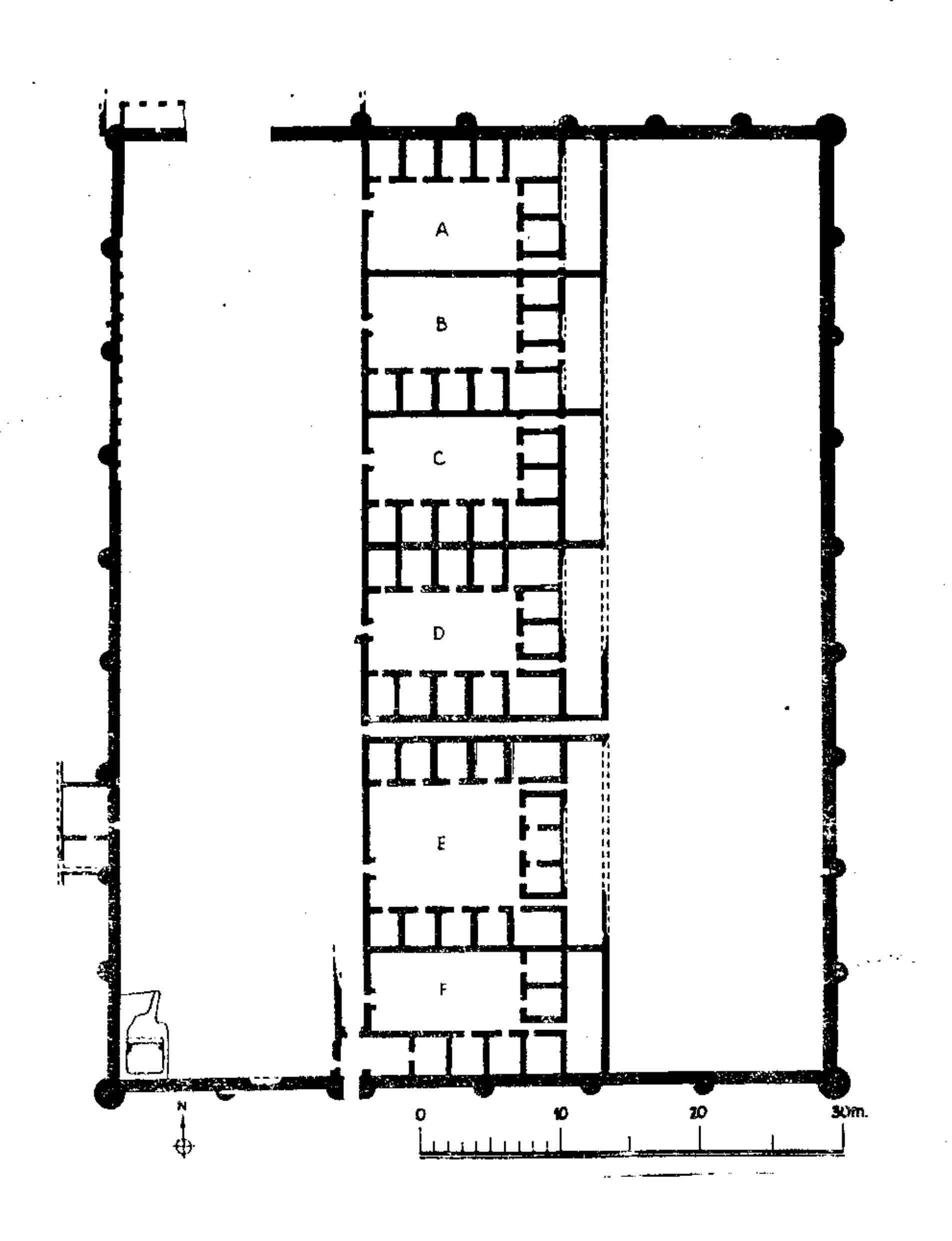
منظور تخيلى للمسجد الحرام بعد عمارة المهدى سنة ١٦٤هـ

(١) الكعبة (٢) حجر إسماعيل (٣) منبر ذو ثلاث درجات (٤) مقام إبراهيم
(٥) بئر زمزم (٦) منارة بنى سهم (٧) منارة الحزورة (٨) منارة أبى الحجاج الخرسانى
(٩) منارة المكيين (١٠) باب عمرو بن العاص (١١) باب السدة (١٢) باب دار العجلة
(١٣) باب تعيقان (١٤) باب دار الندوة (١٥) باب شيبة بن عثمان (١٦) باب بنى شيبة
(١٧) باب القوارير (١٨) باب النبى ﷺ (١٩) باب العباسى (٢٠) باب على «بنى هاشم»

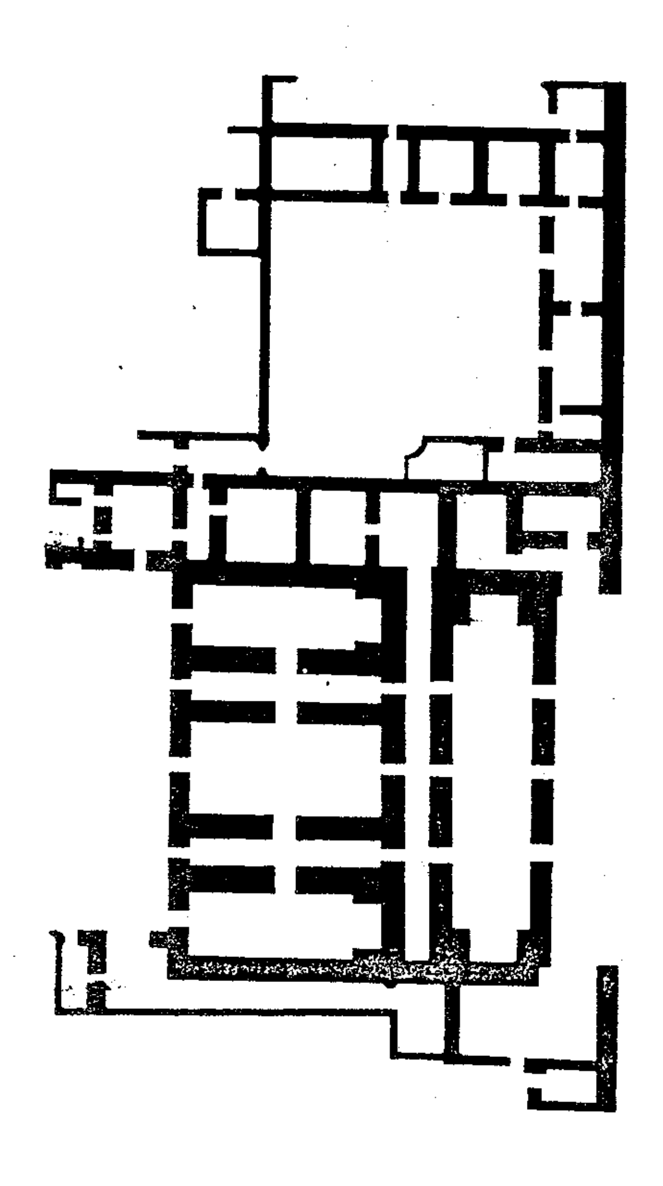
- منظور تخيلي للمسجد الحرام بعد عمارة المهدي عن أحمد رجب

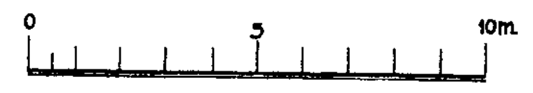


ـ مخطط القصر (B) في الرقة نقله Creswell عن Salibi

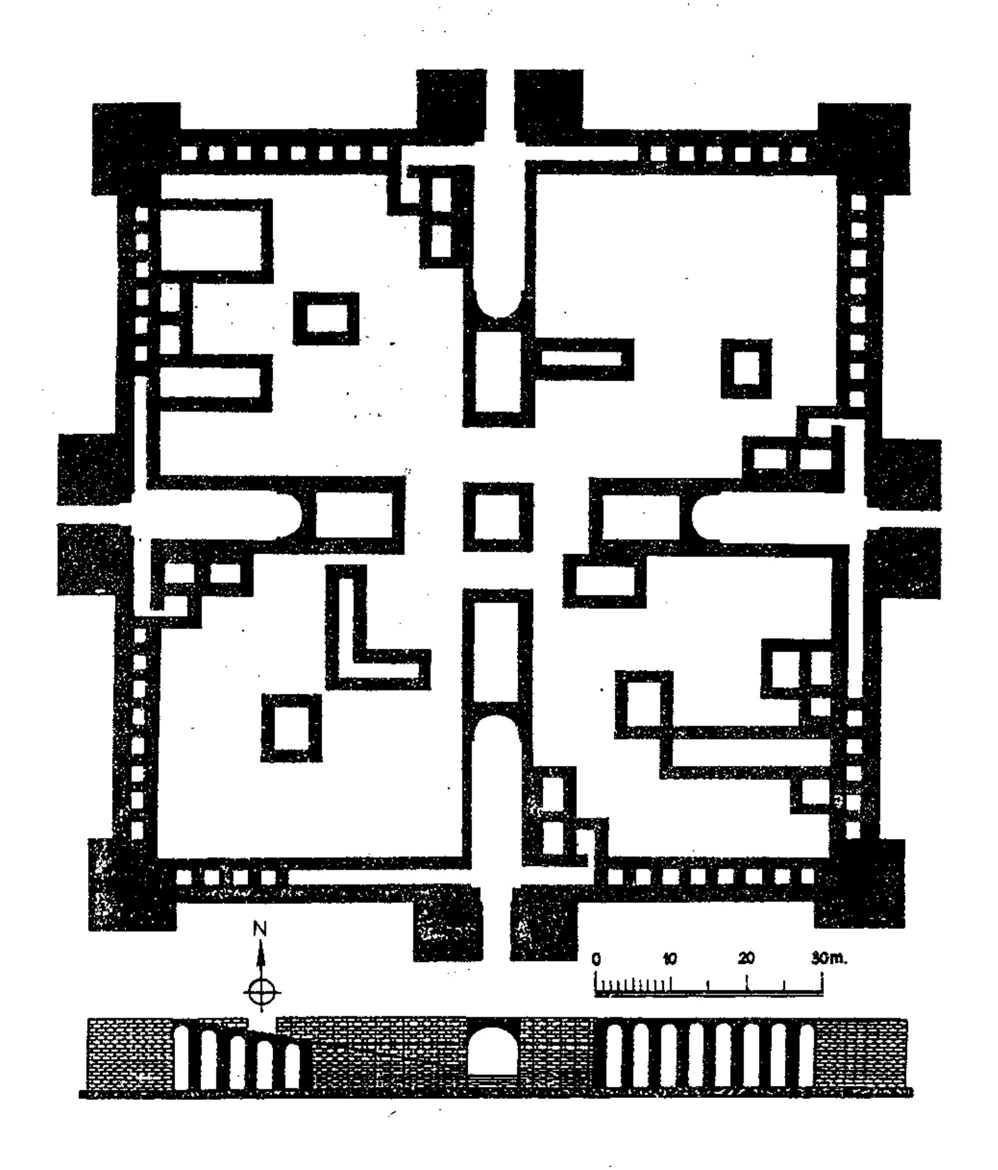


- مخطط القصر (G) في الرقة نقله Creswell عن Salibi

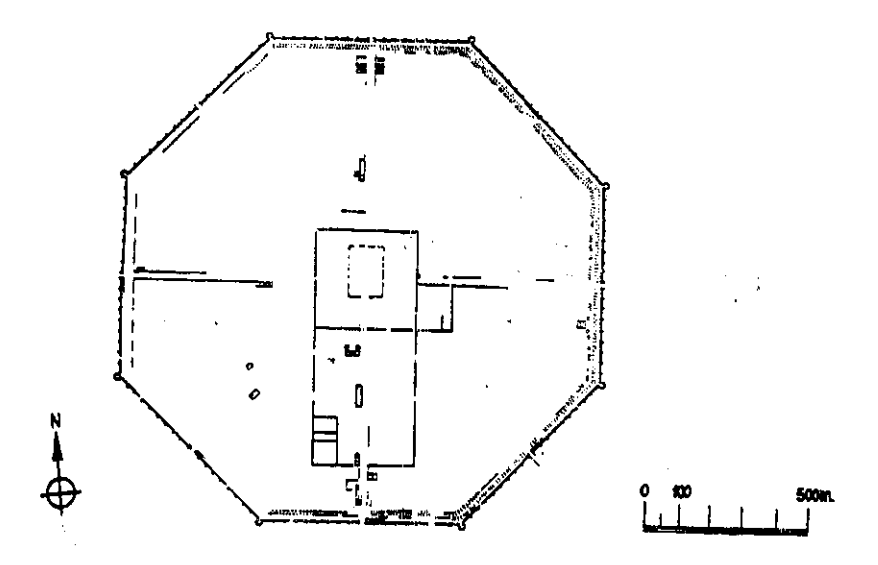




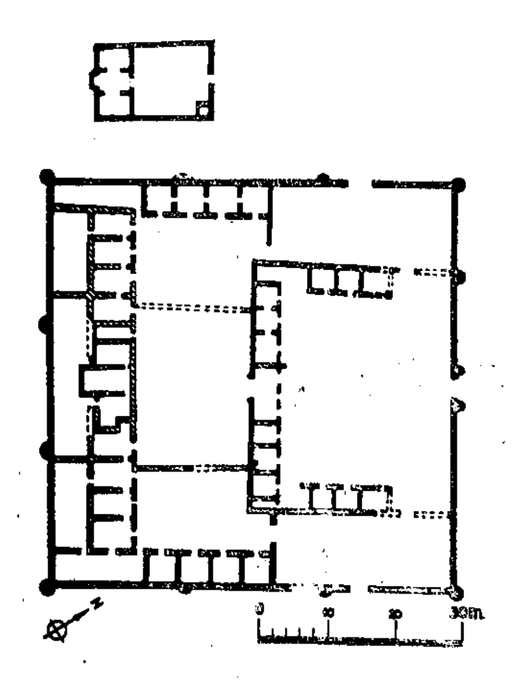
- مخطط القصر (D) في الرقة نقله Creswell عن Salibi



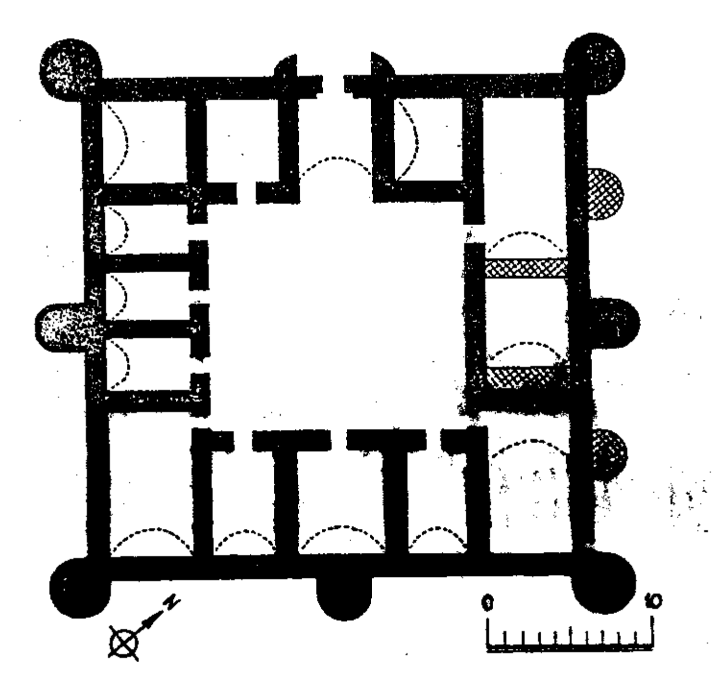
- تخطيط هرقلة نقله Creswell عن Toueir



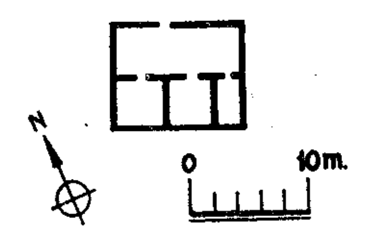
- مخطط المثمن الكبير في القادسية عن Creswell



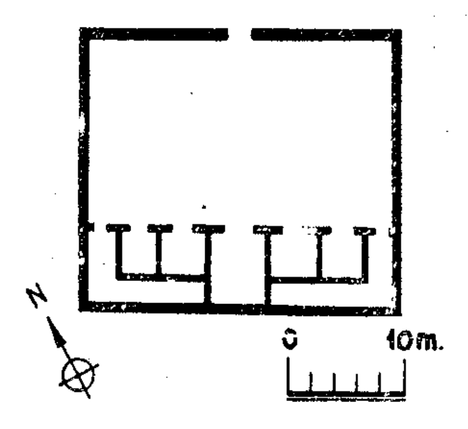
- درب زبيدة (المسجد والقصر) عن Creswell



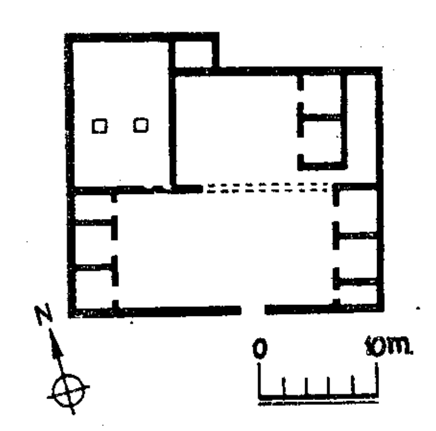
- درب زبيدة (الحصن) عن Creswell



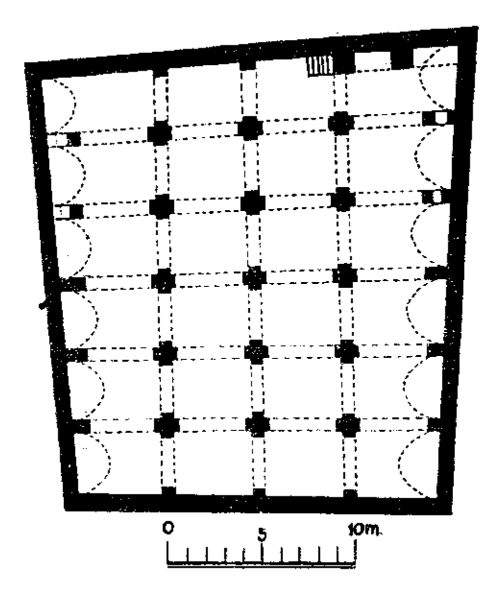
- درب زبيدة (وحدة سكنية) عن Creswell



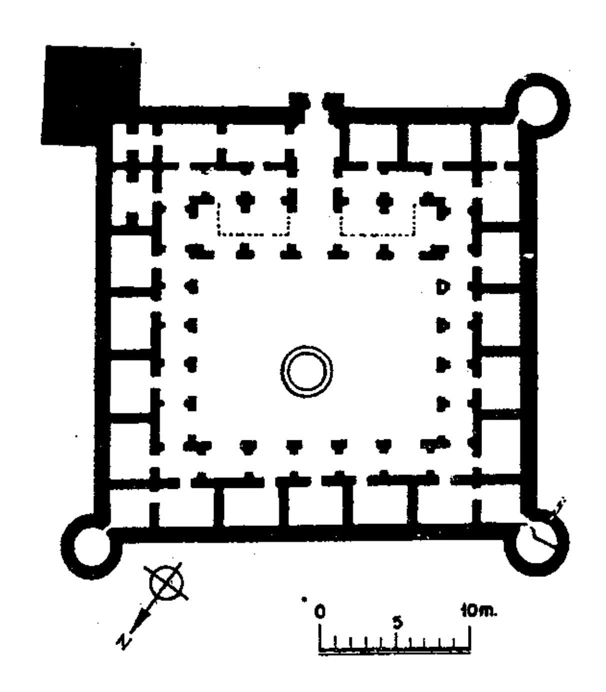
- درب زبيدة (وحدة سكنيه) عن Creswell



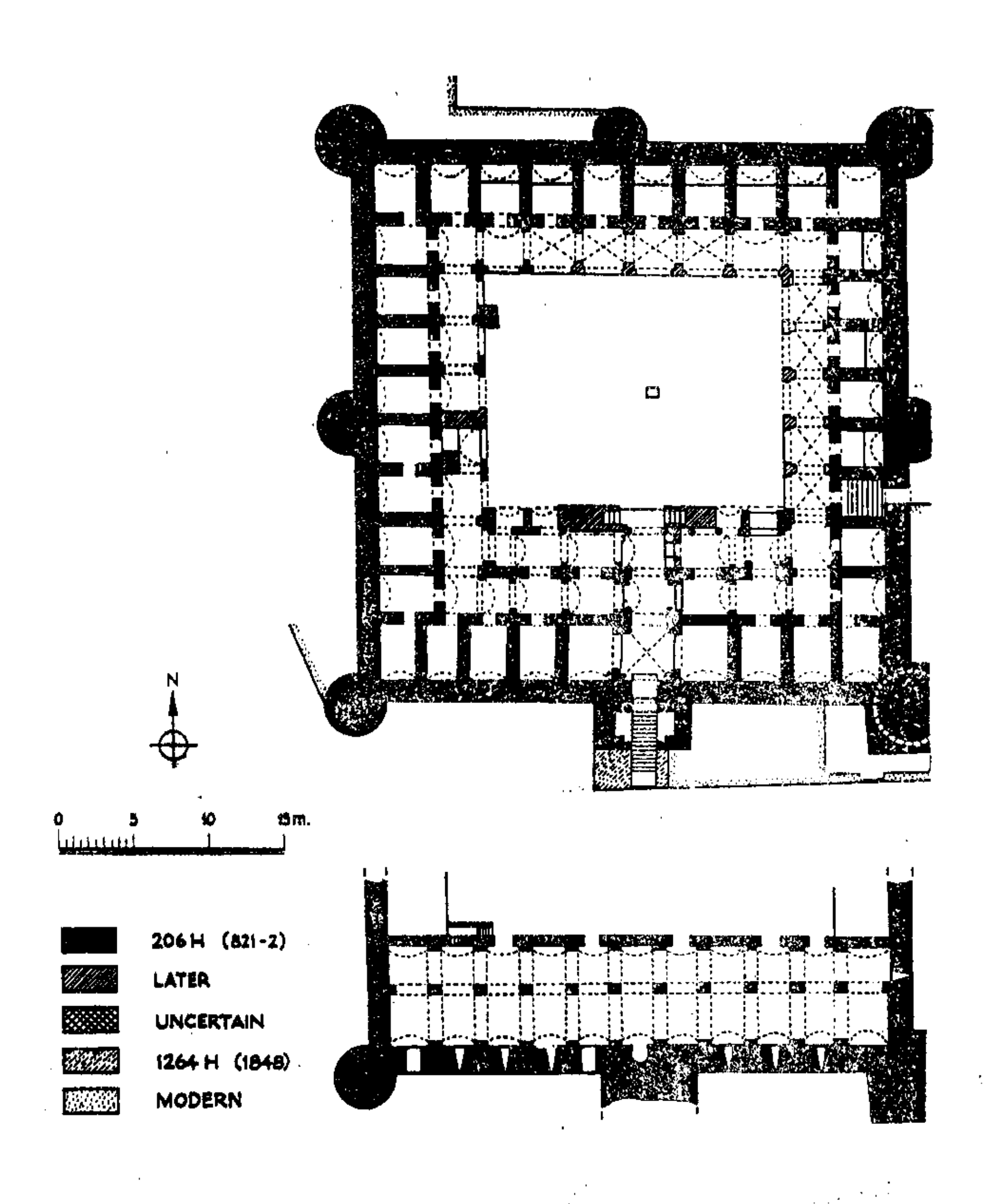
- درب زبيدة (وحدة سكنية) عن Creswell



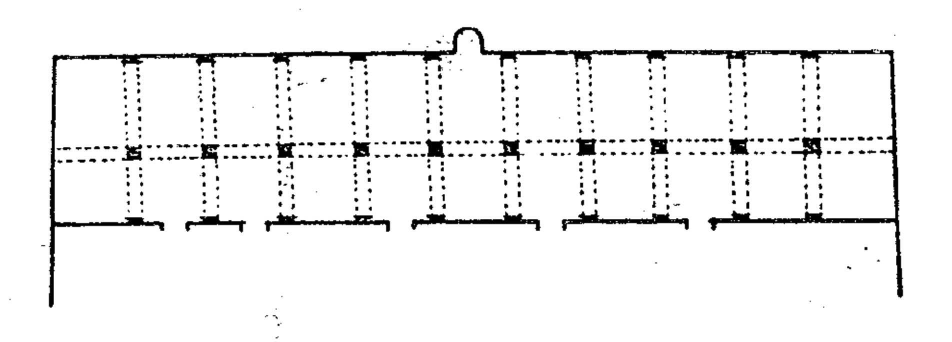
- مخطط صهريج الرملة عن Creswell



- مخطط رباط المنستير عن Creswell

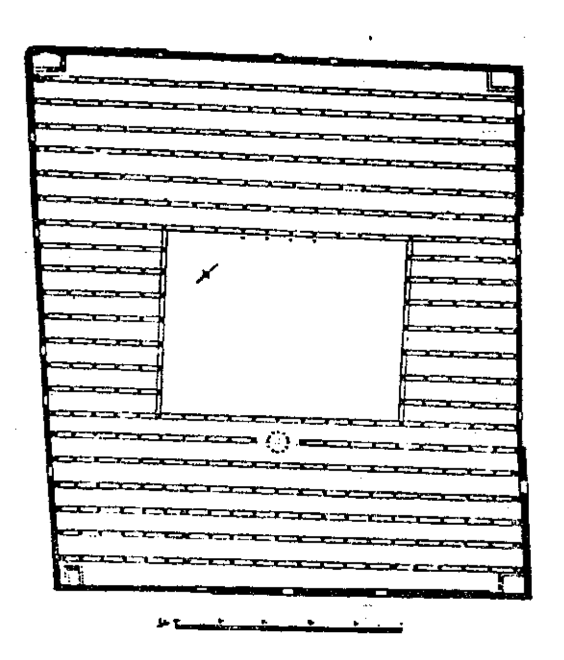


- مخطط رباط سوسة عن Creswell

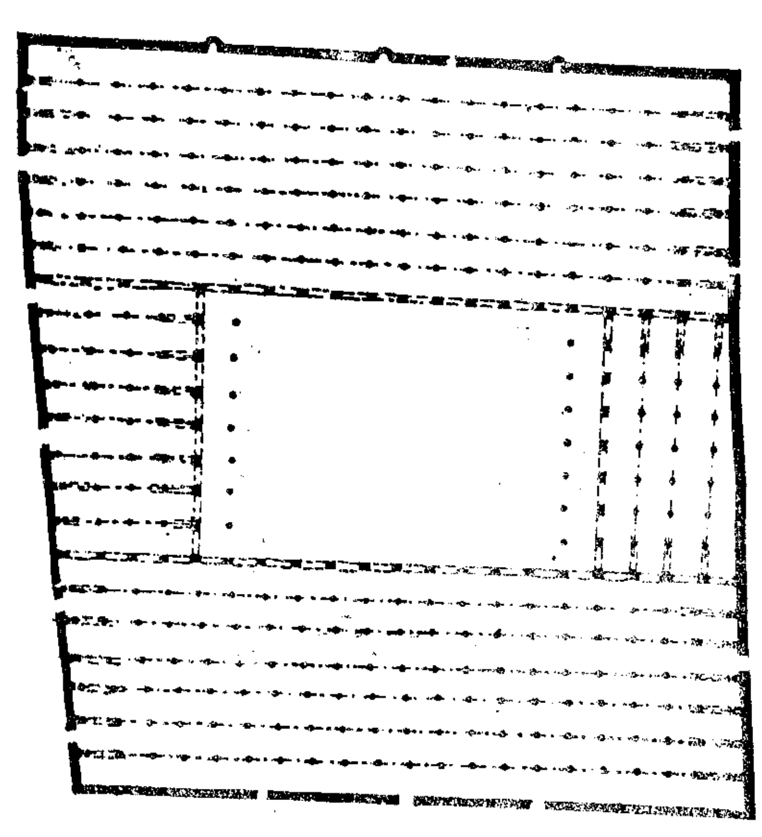


— رسم تخطيطي لمسجد رباط سوسة من عهد زيادة الله بن ابراهيم الأغلب فى سنة ٢٠٦ (٨٢١ م)

- مخطط مسجد رباط سوسة عن أحمد فكري



- مخطط جامع عمرو بن العاص بالفسطاط في عهد عبد الله بن طاهر عن أحمد فكري

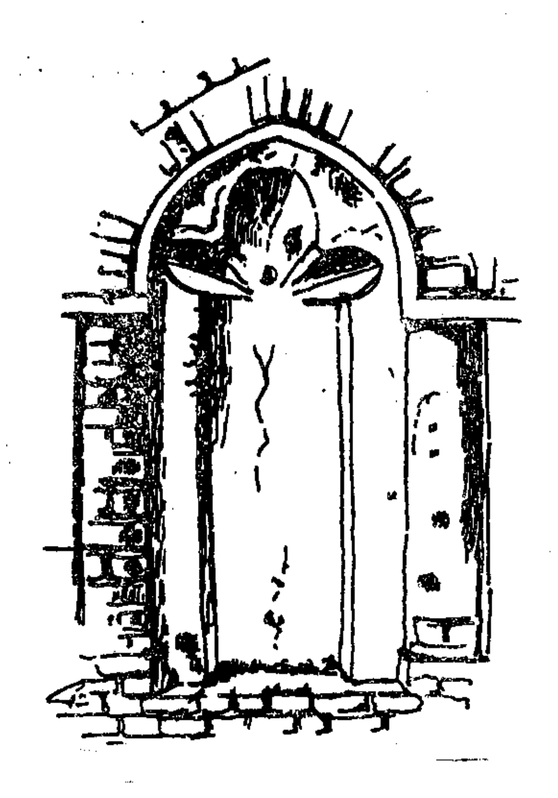


ـ الفسطاط : جامع عمرو بن العاص
بعد التوسع ل ٢١٢ هـ (٨٢٧ م)

ـ مخطط جامع عمرو بن العاص بالفسطاط في عهد عبد الله بن طاهر عن فريد شافعي



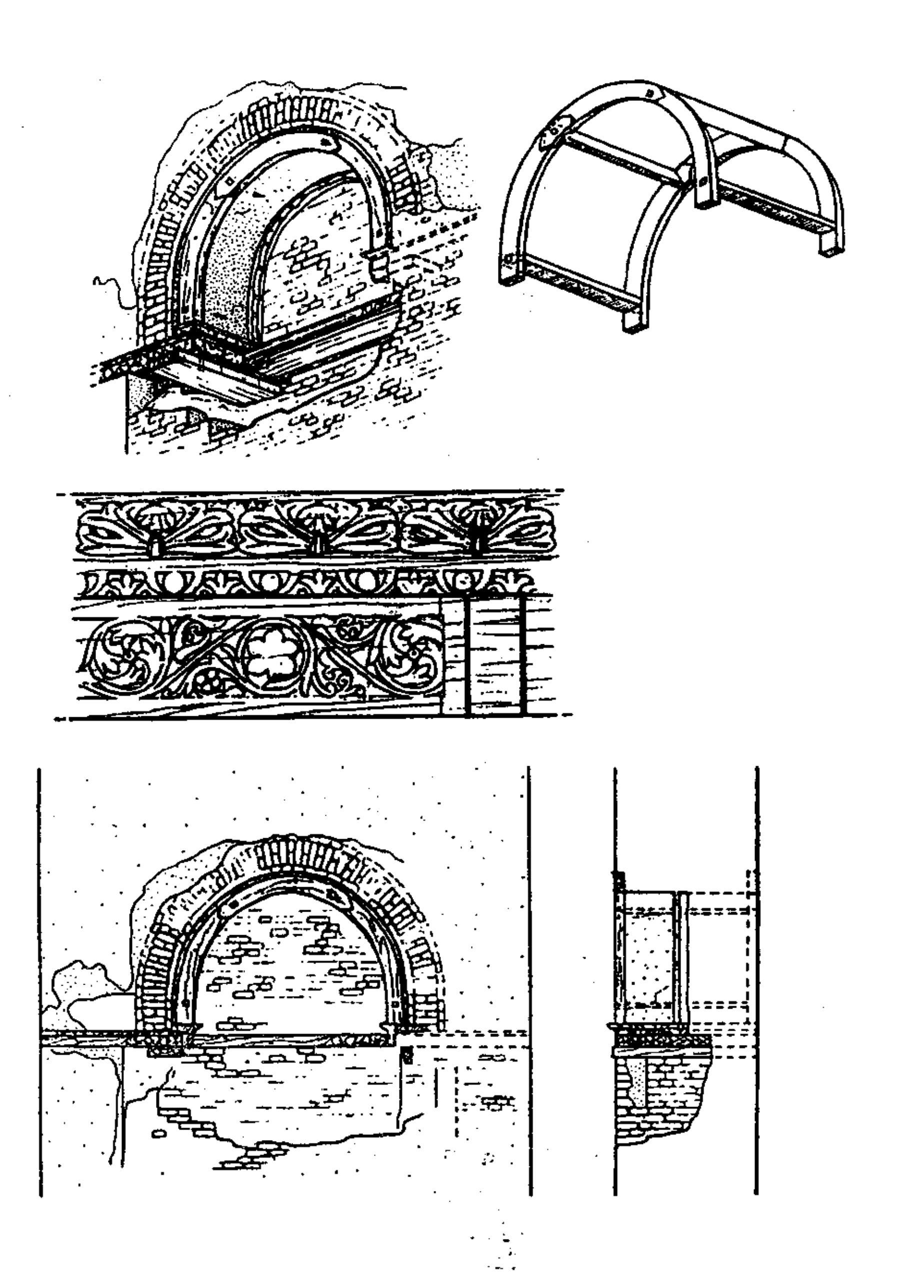
- حنية ذات طاقية من فصوص مروحية بجامع عمرو عن فريد شافعي



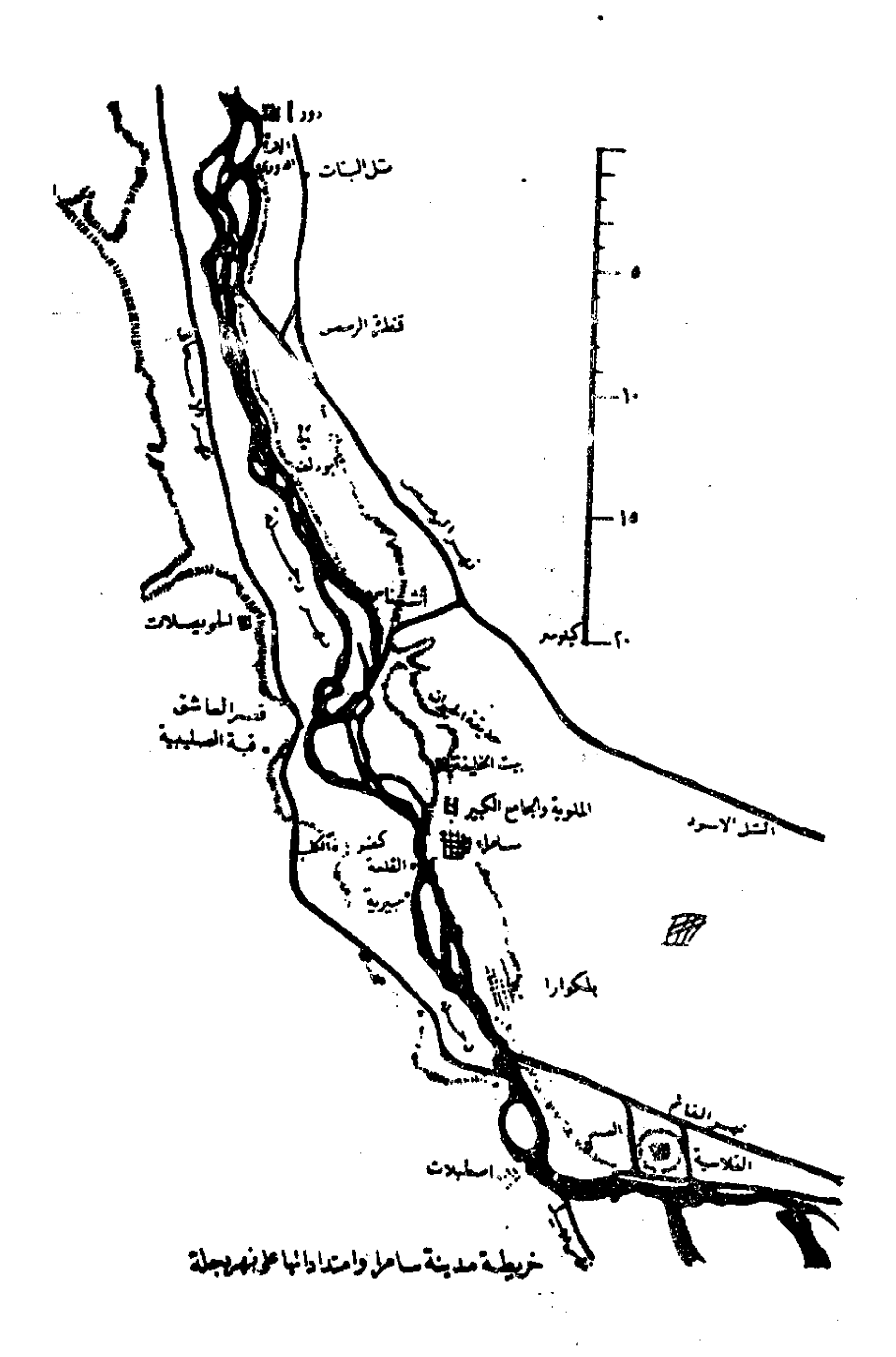
- حنية ذات طاقية من فصوص مروحية بجامع عمرو عن فريد شافعي



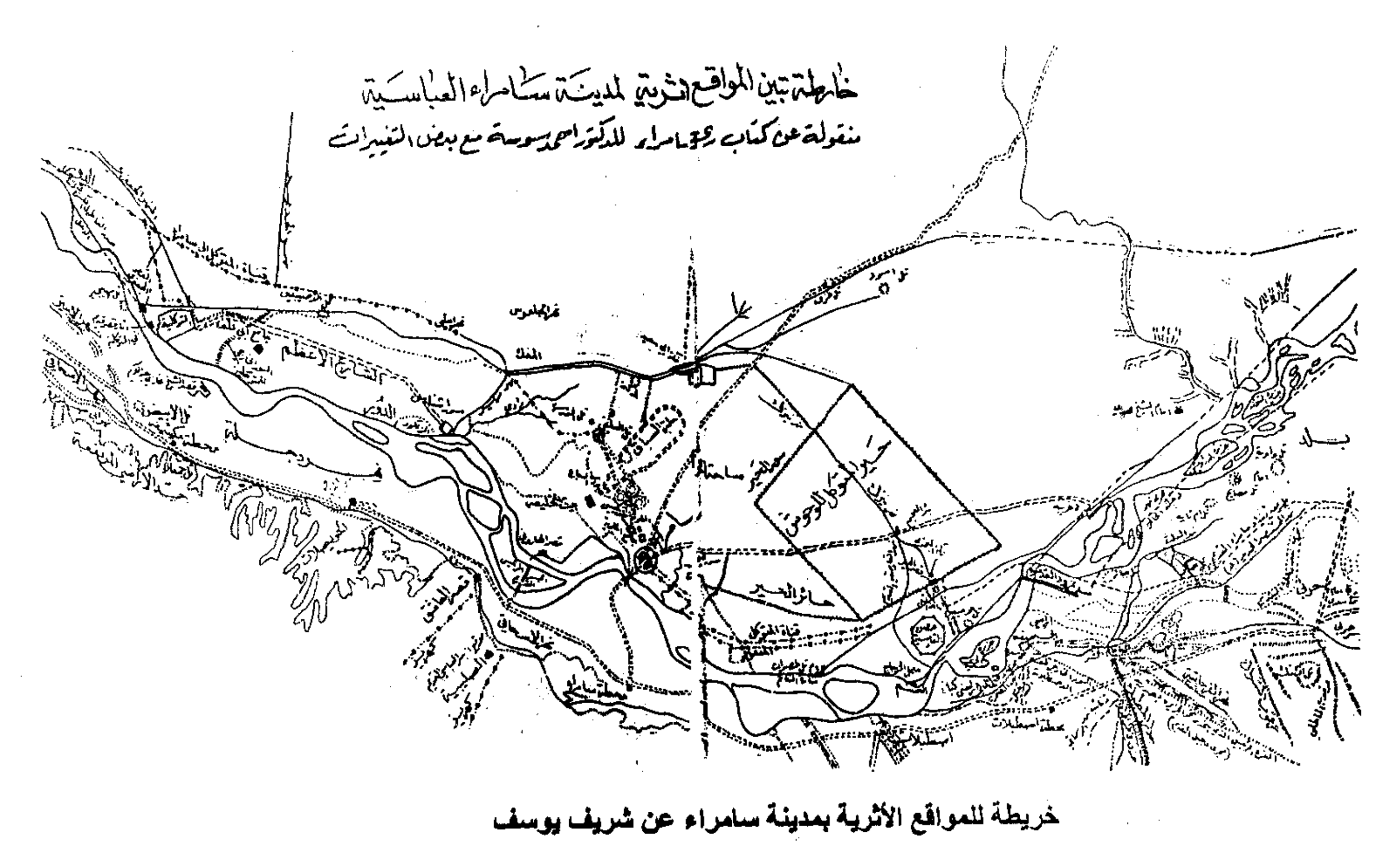
زخارف محفورة في الخشب بجامع عمرو عن أحمد فكري



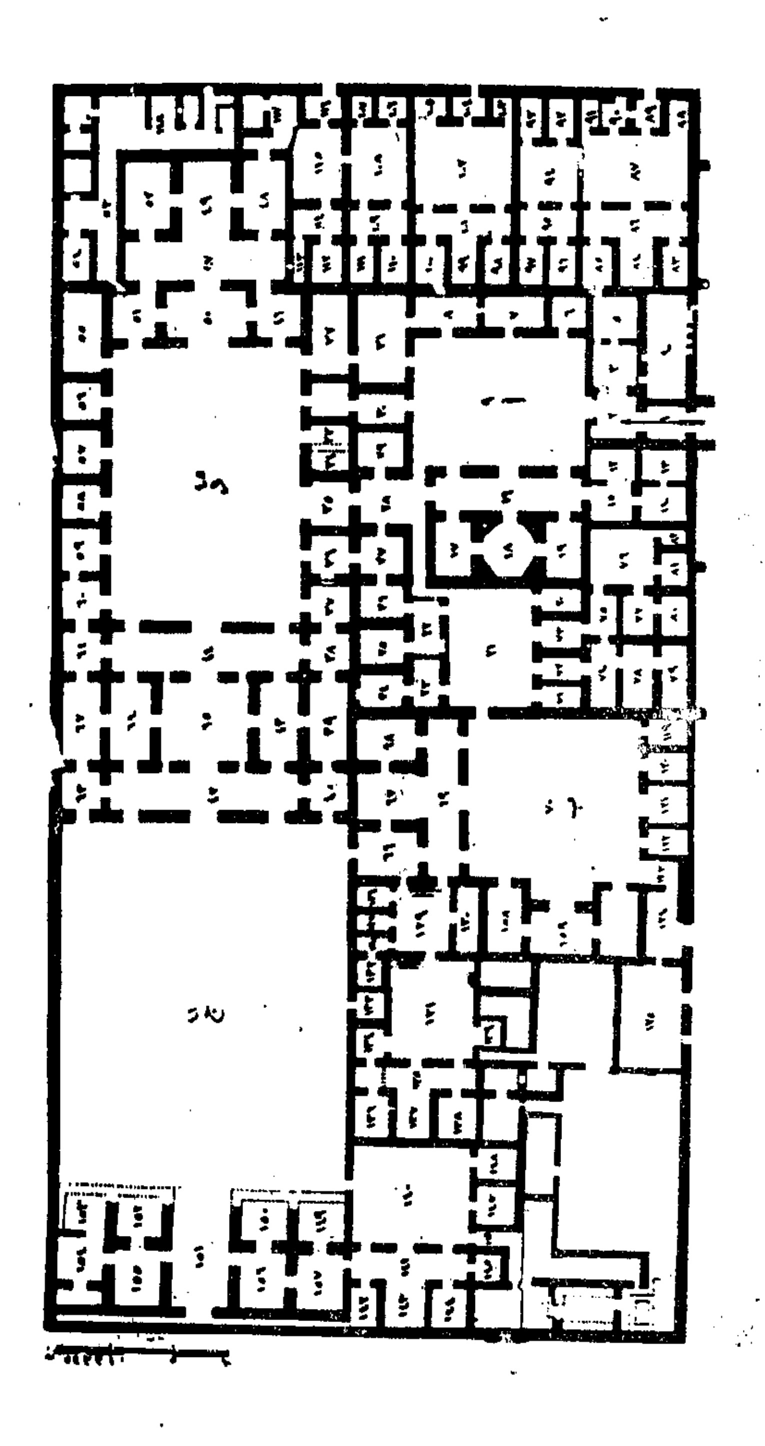
- تفاصيل من زخارف النوافذ الأصلية بجامع عمرو عن Creswell



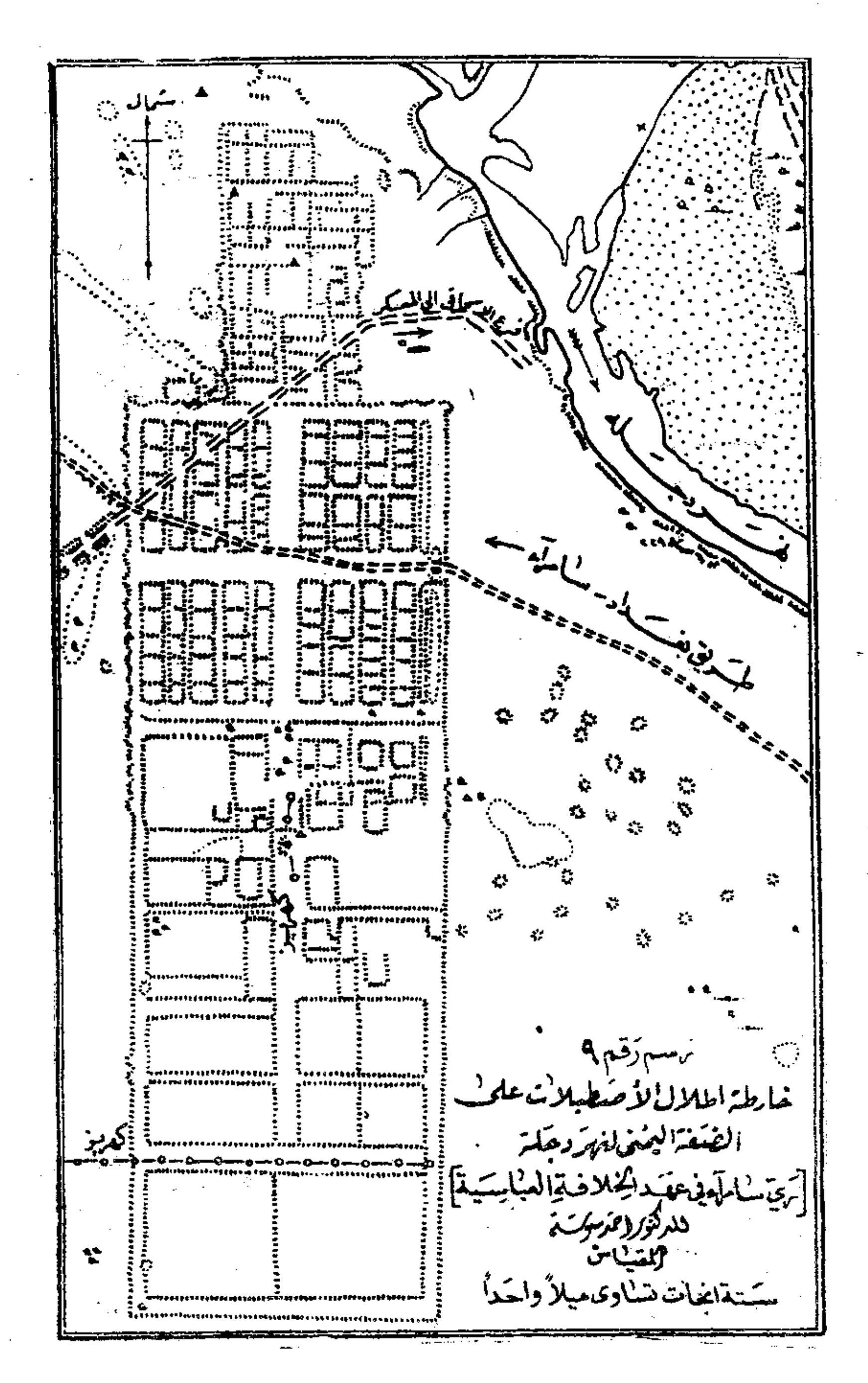
- تخطيط مدينة سامراء عن فريد شافعي



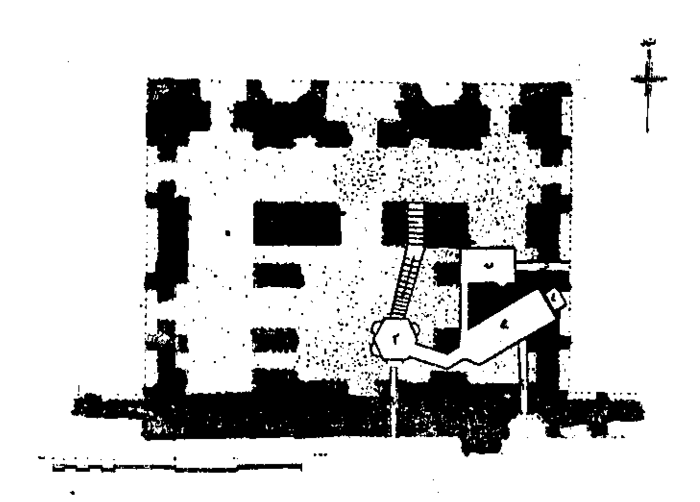
خريطة للمواقع الأثرية بمدينة سامراء عن شريف يوسف



- مخطط احدي الدور الكبيرة في سامراء عن شريف يوسف

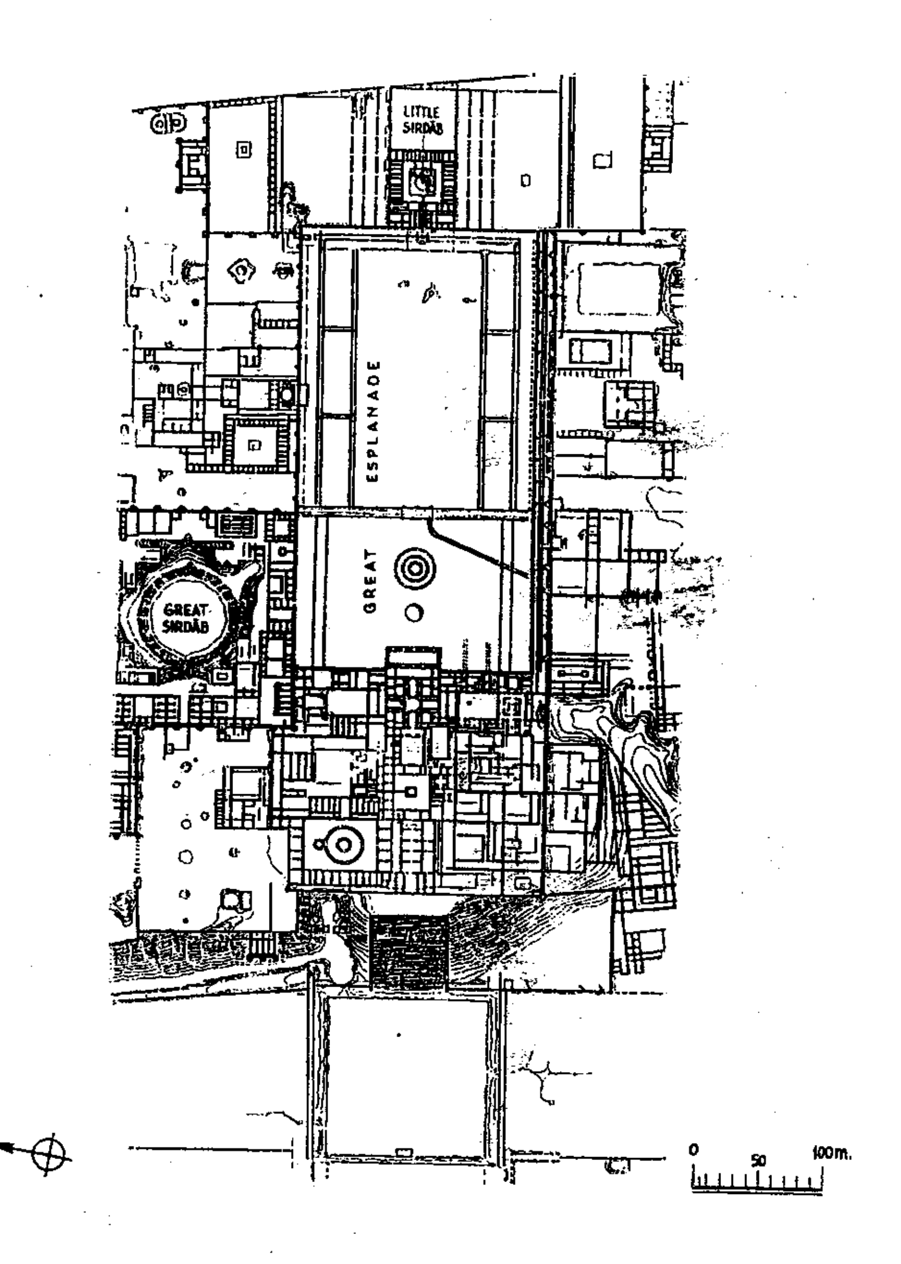


- مخطط الاصطبلات في سامراء عن شريف يوسف

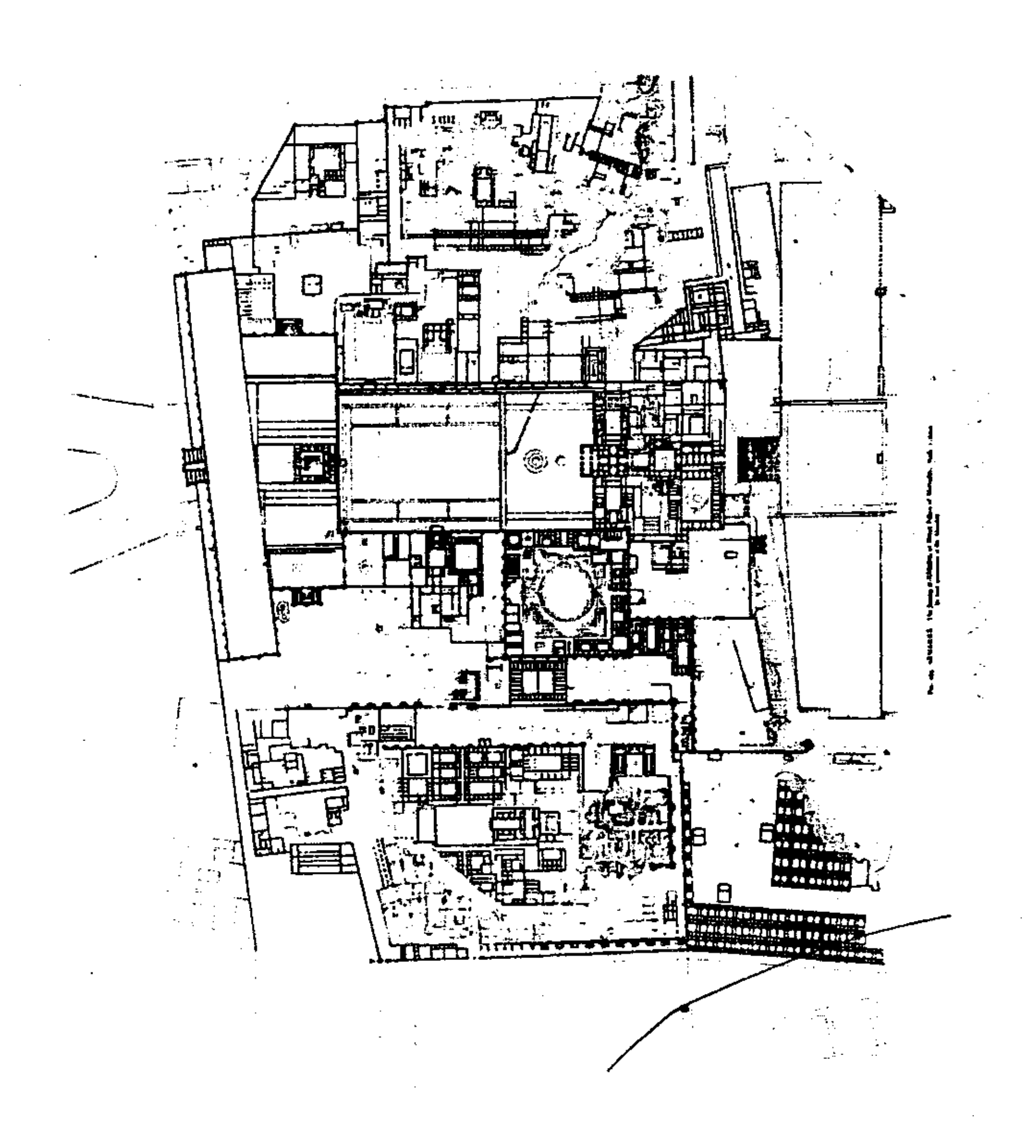


مخطط سرداب الغيبة في سامر
(م) الغرفة المقدسة
(ع) مصلّى الرجال
(ن) مصلّى النساء

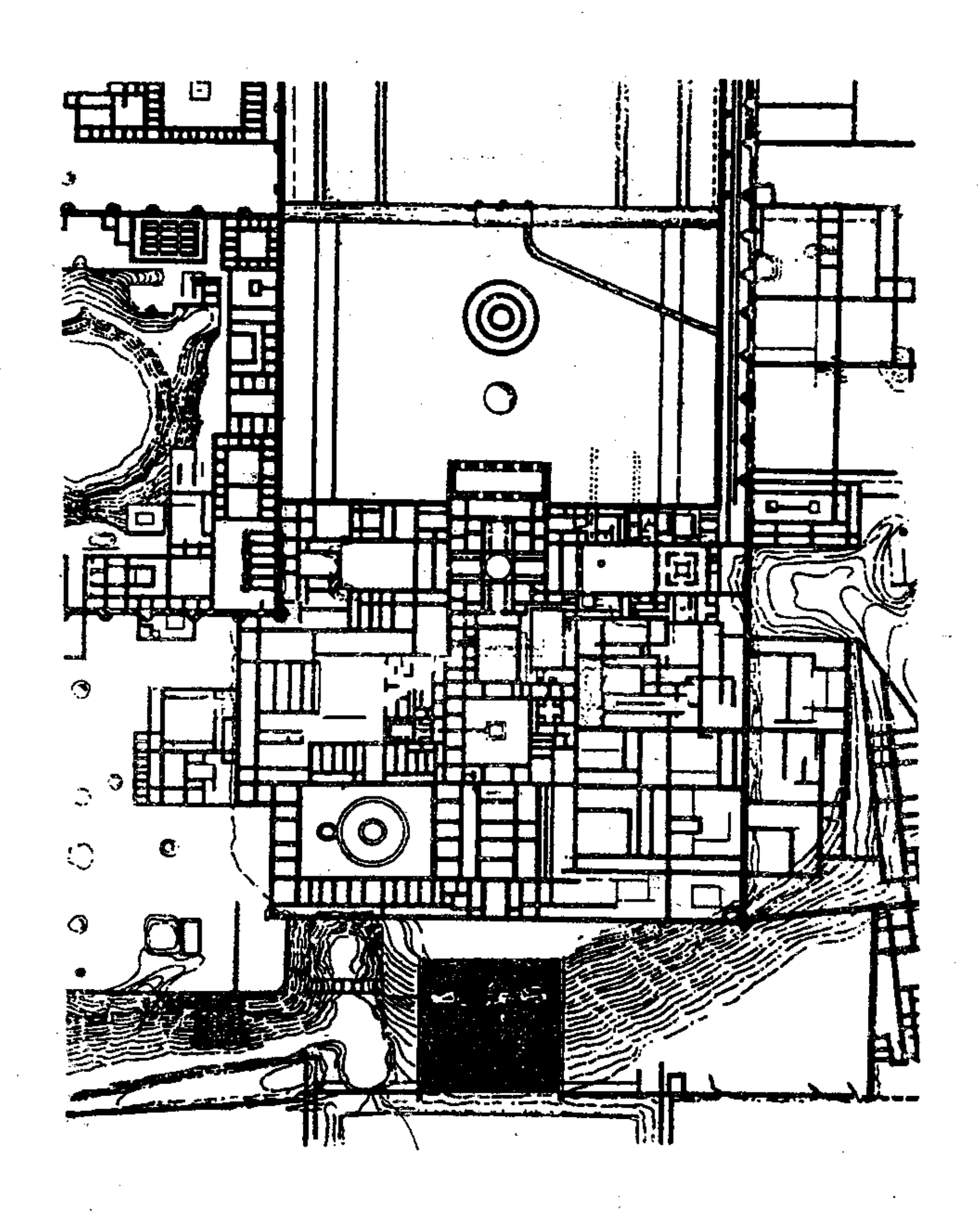
- مخطط سرداب الغيبة في سامراء عن شريف يوسف



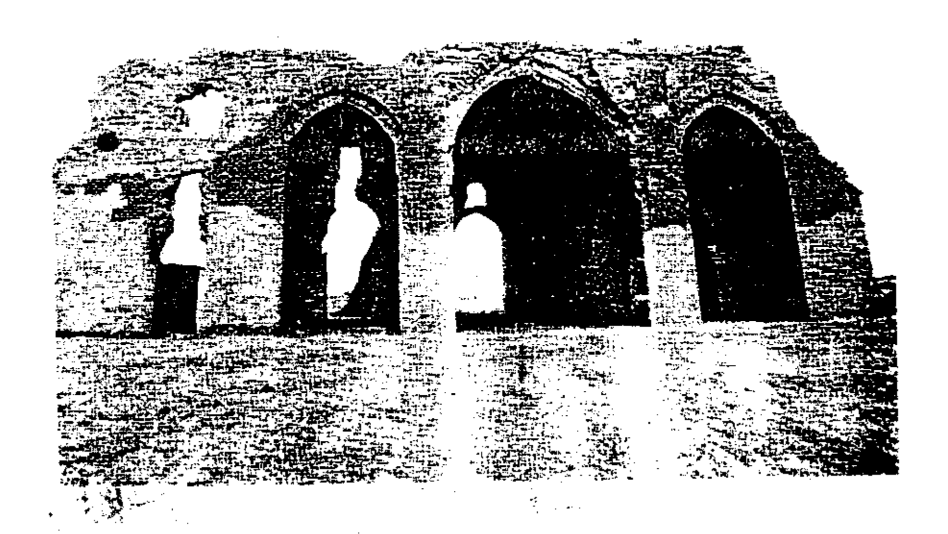
- مخطط الجوسق الخاقاني عن Creswell



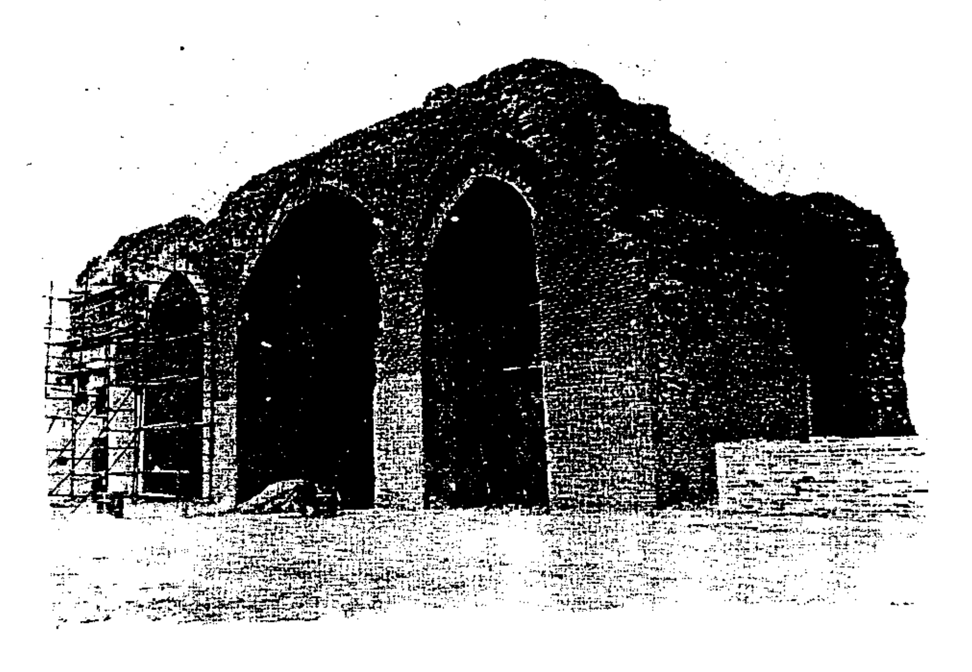
- مخطط الجوسق الخاقاني عن عيسى سلمان



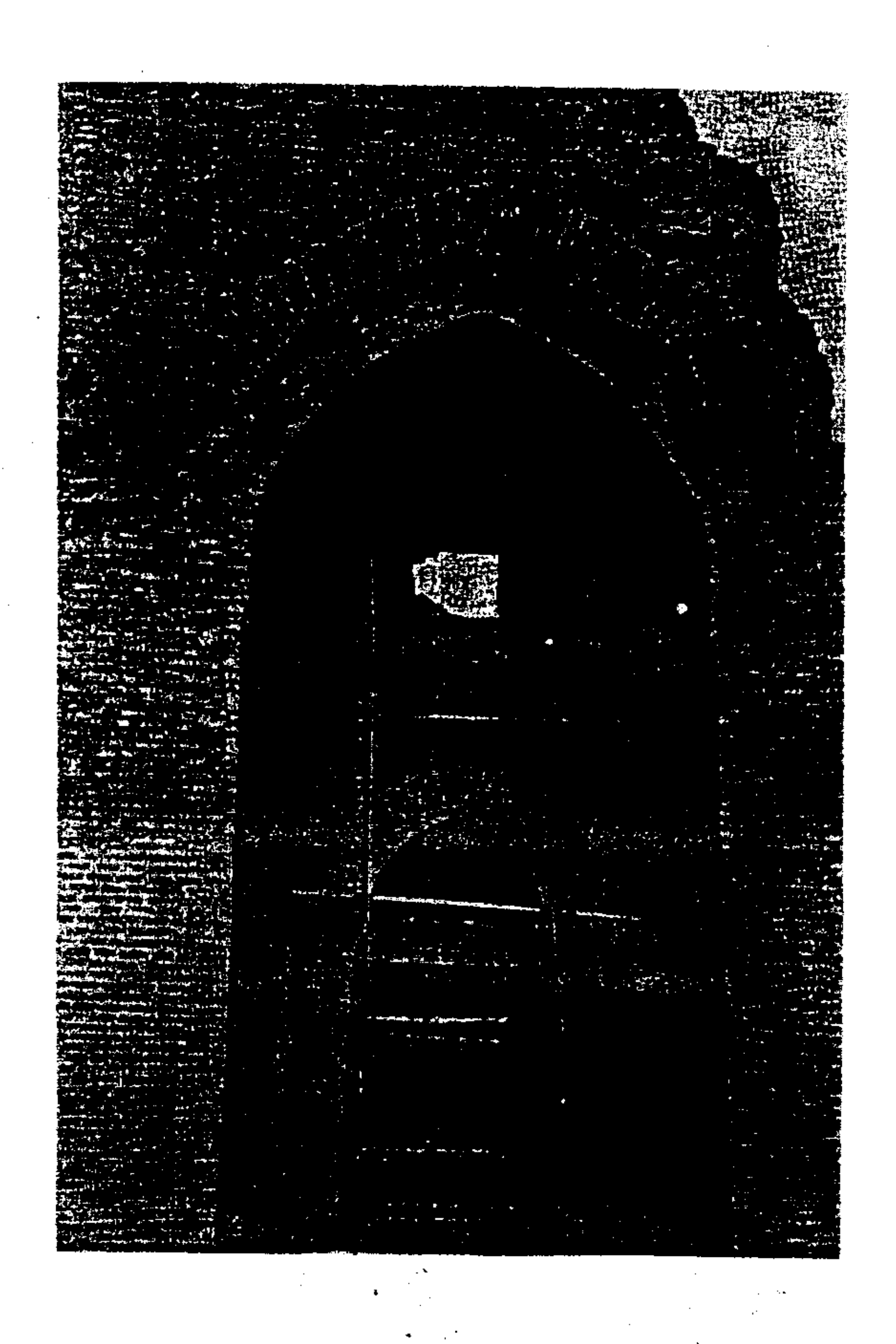
- مخطط الجوسق الخاقاني عن فريد شافعي



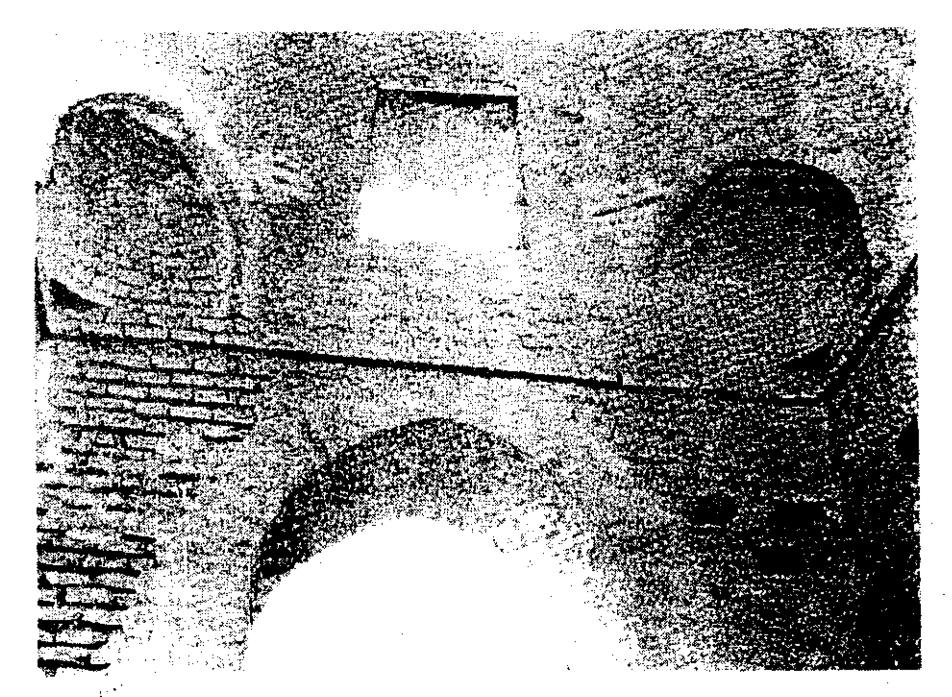
- مدخل دار الخلافة أو باب العامة عن عيسى سلمان



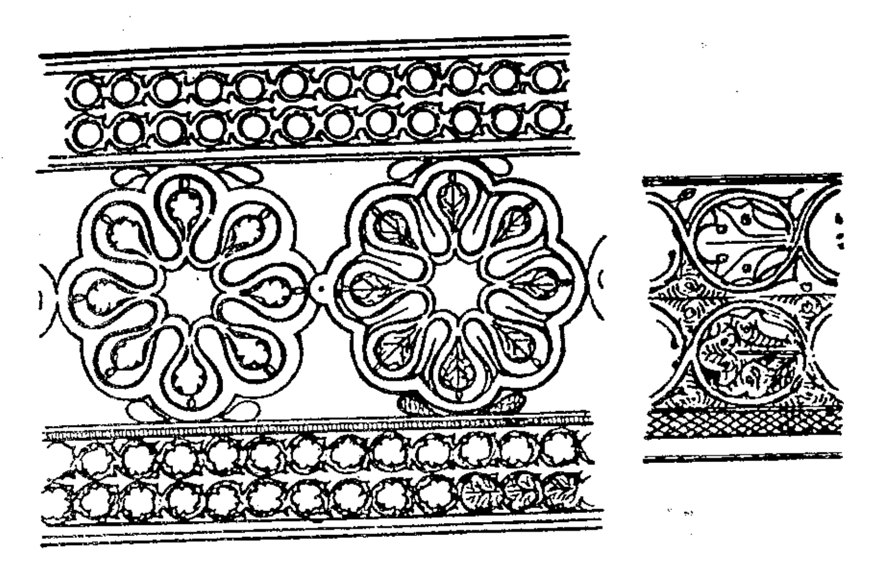
- مدخل دار الخلافة أو باب العامة عن عيسى سلمان



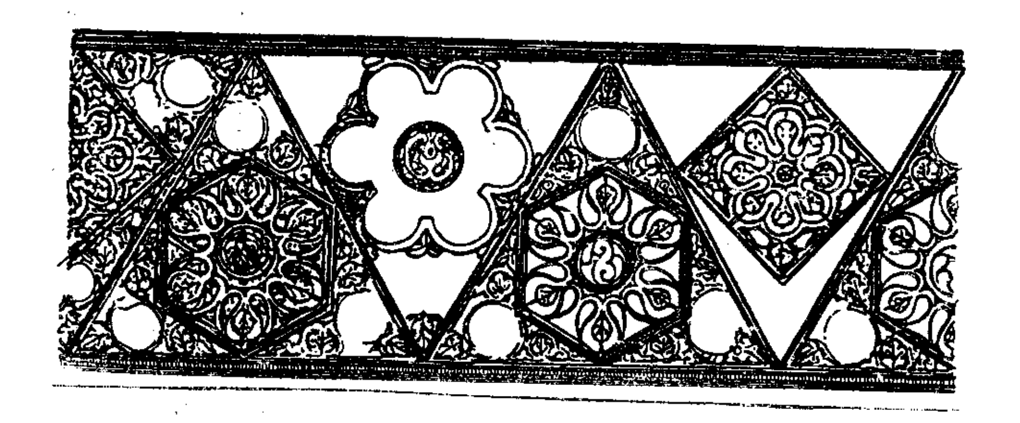
- احدى الغرف الجانبية لباب العامة عن عيسى سلمان



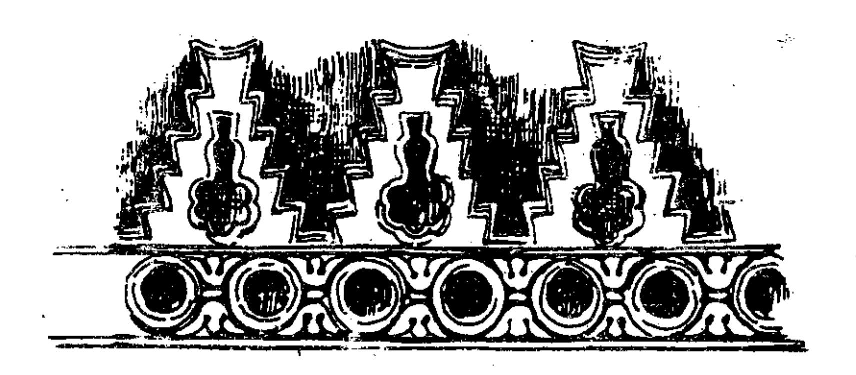
- حنايا الأركان بباب العامة عن عيسى سلمان



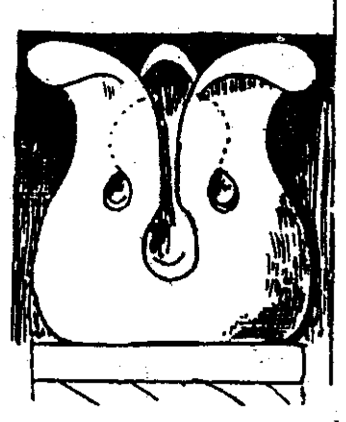
- زخارف من باب العامة بسامراء نقلها Creswell عن Herzfeld



- زخارف من باب العامة بسامراء نقلها Creswell عن Herzfeld



- شرافات مسننة من الجوسق الخاقاني عن فريد شافعي

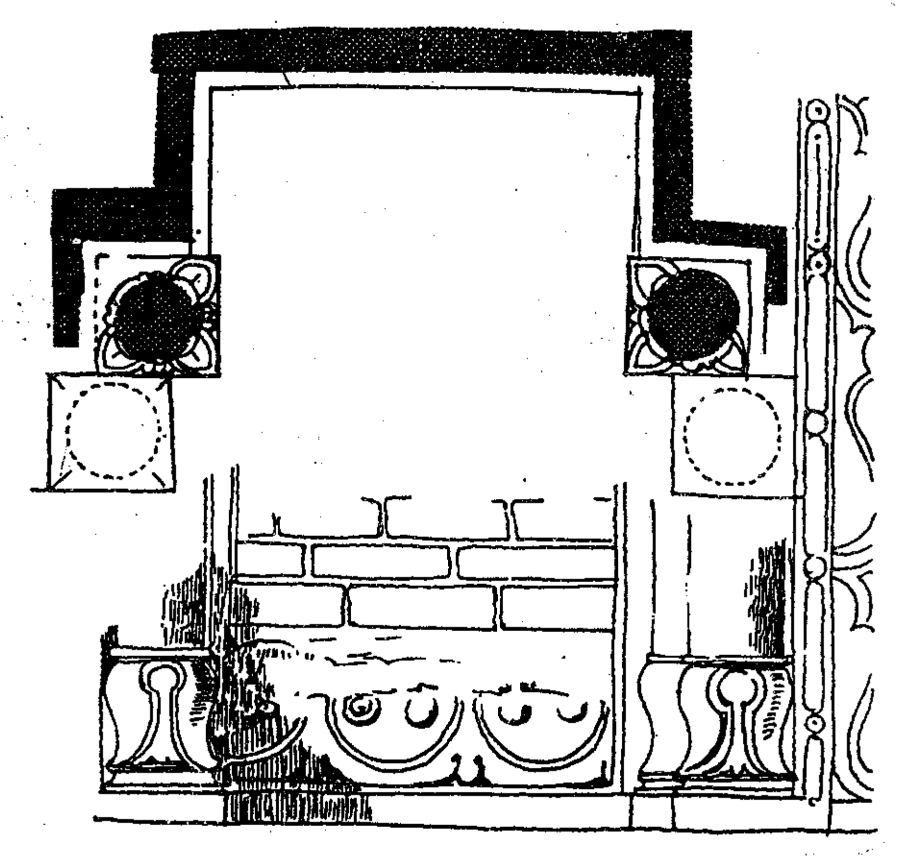


سامرا : تاج ناقوسى

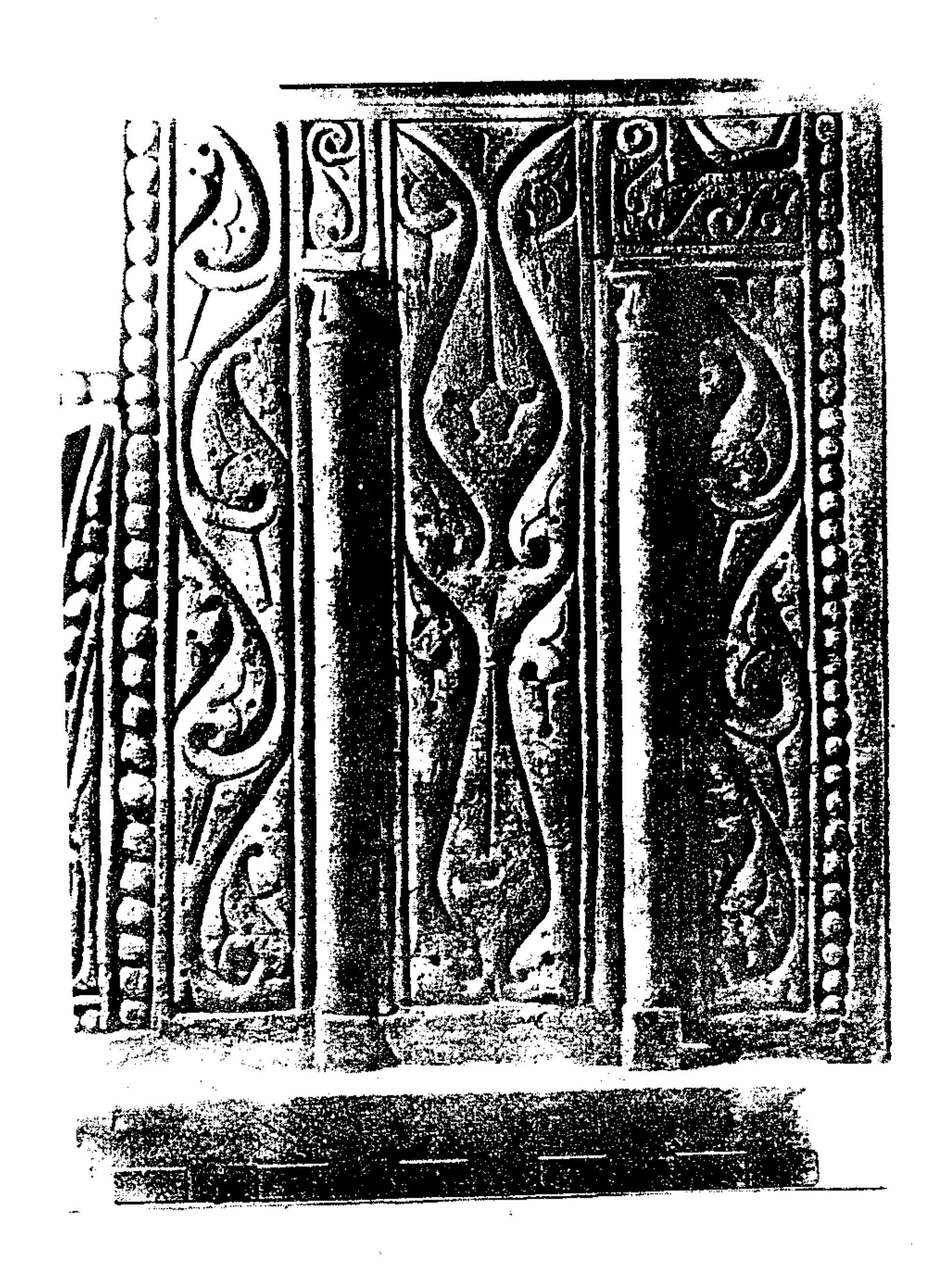


دير السريان : تاج ناقوسى

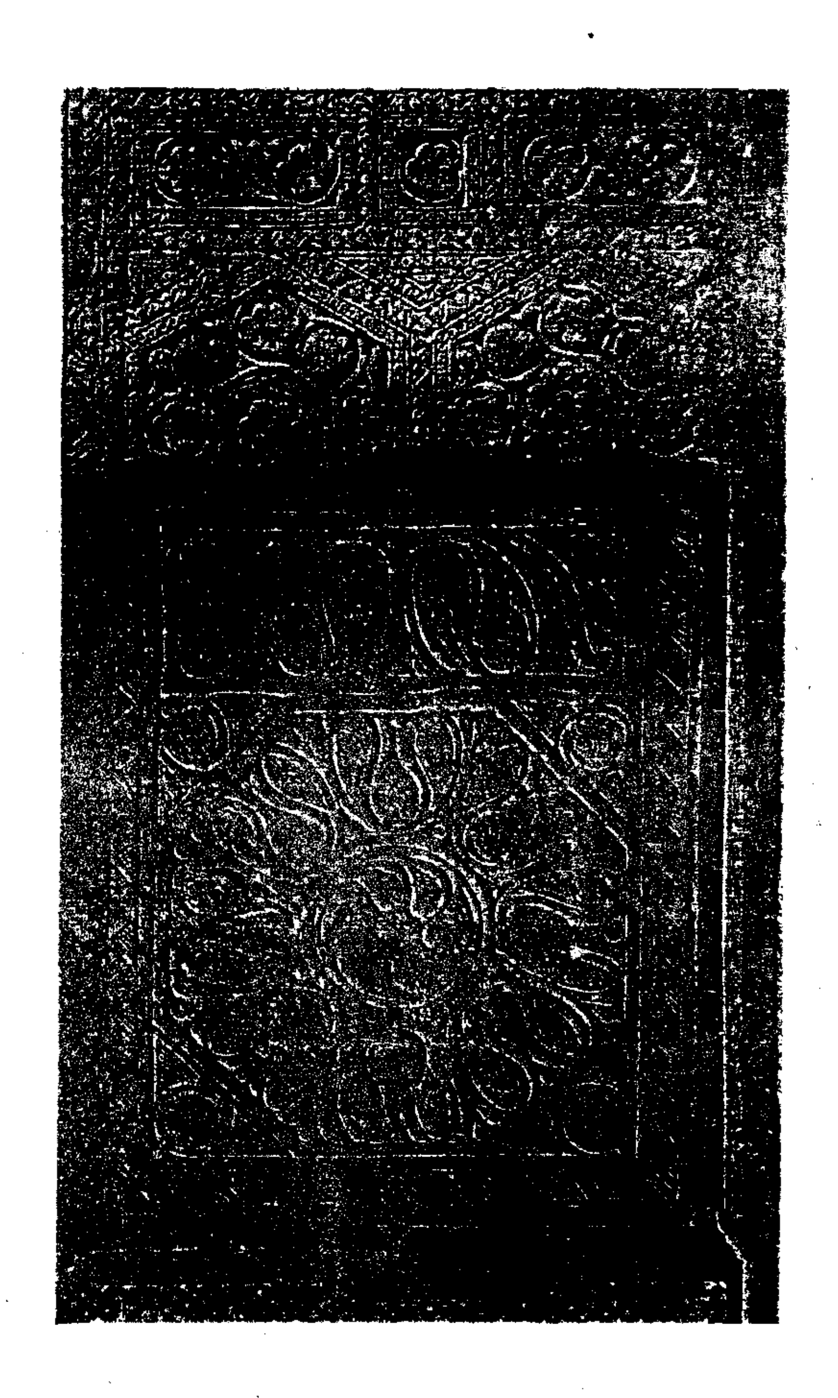
- تاج ناقوسي من سامراء ودير السريان عن فريد شافعي



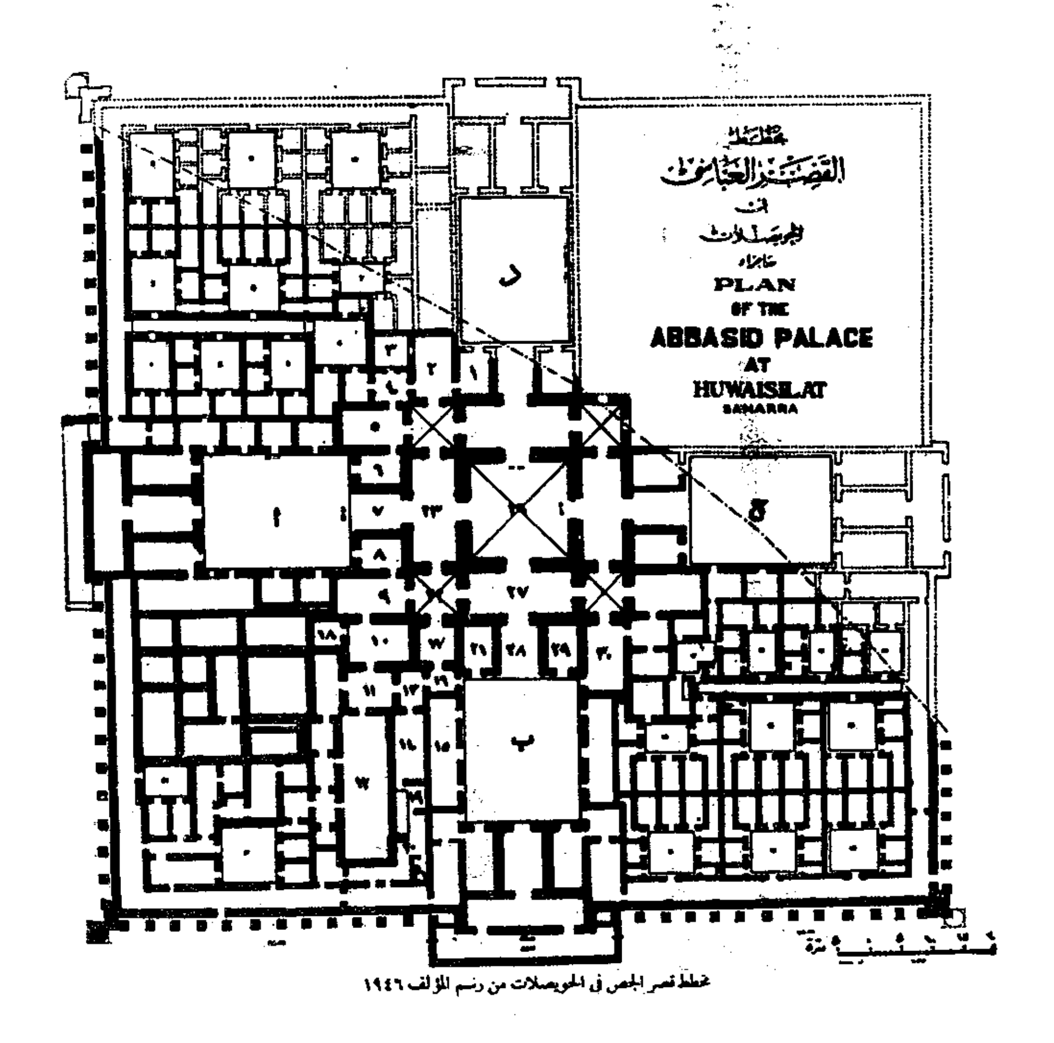
- محراب في الجوسق الخاقاني عن فريد شافعي



- تشكيلات زخرفية في الجوسق الخاقاني عن عيسى سلمان

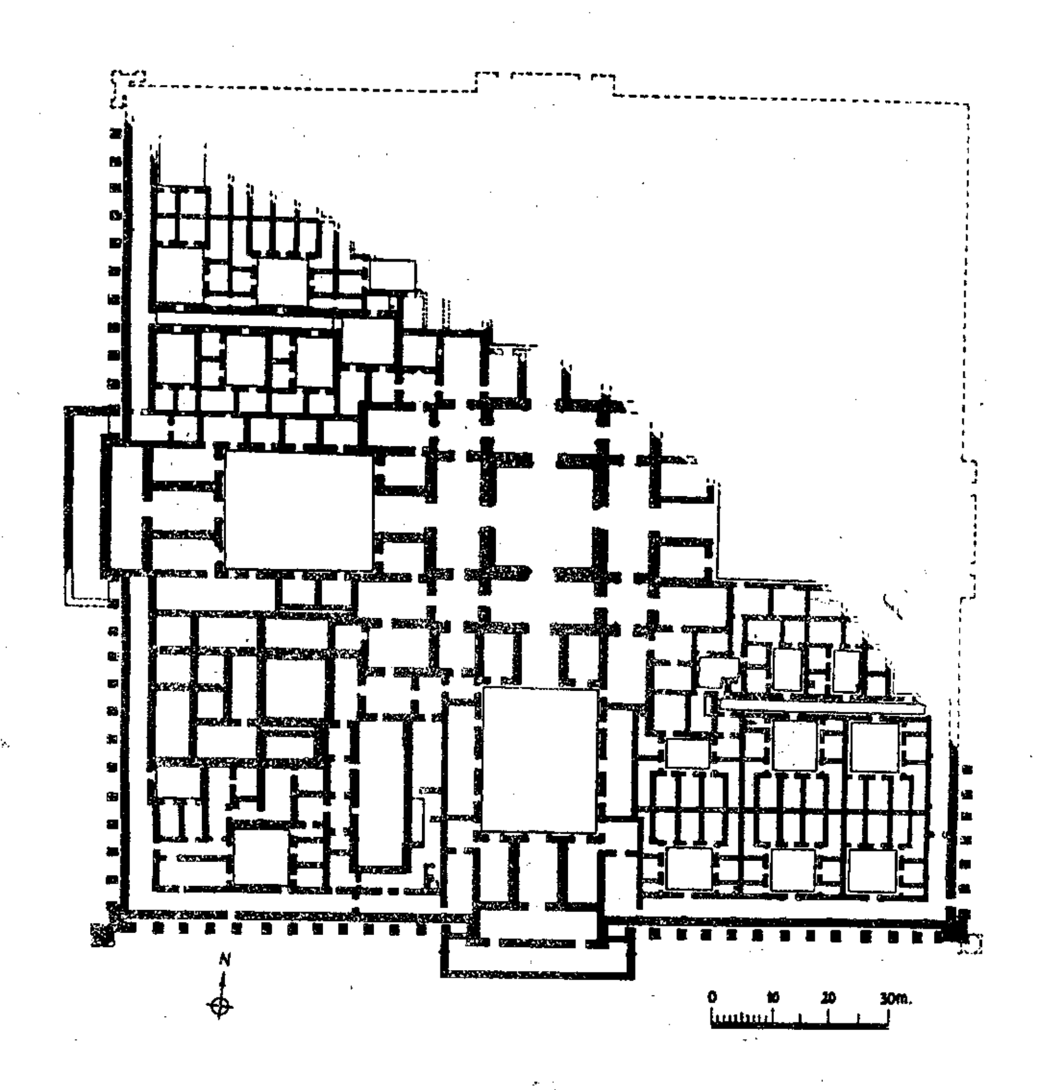


- تشكيلات زخرفية في الجوسق الخاقاني عن عيسى سلمان

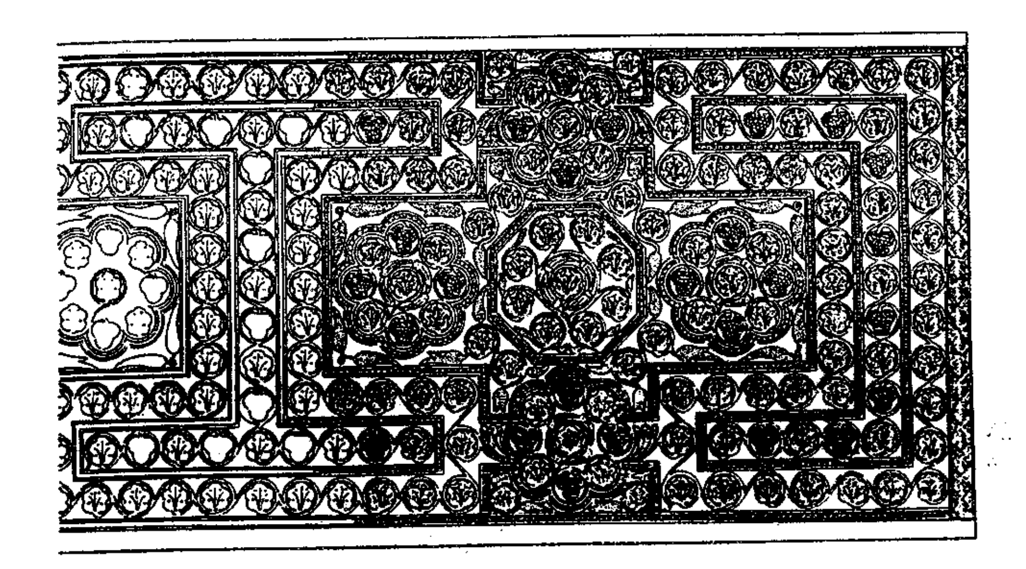


مخطط قصر الجص في الحويصلات من رسم المؤلف ١٩٤٦

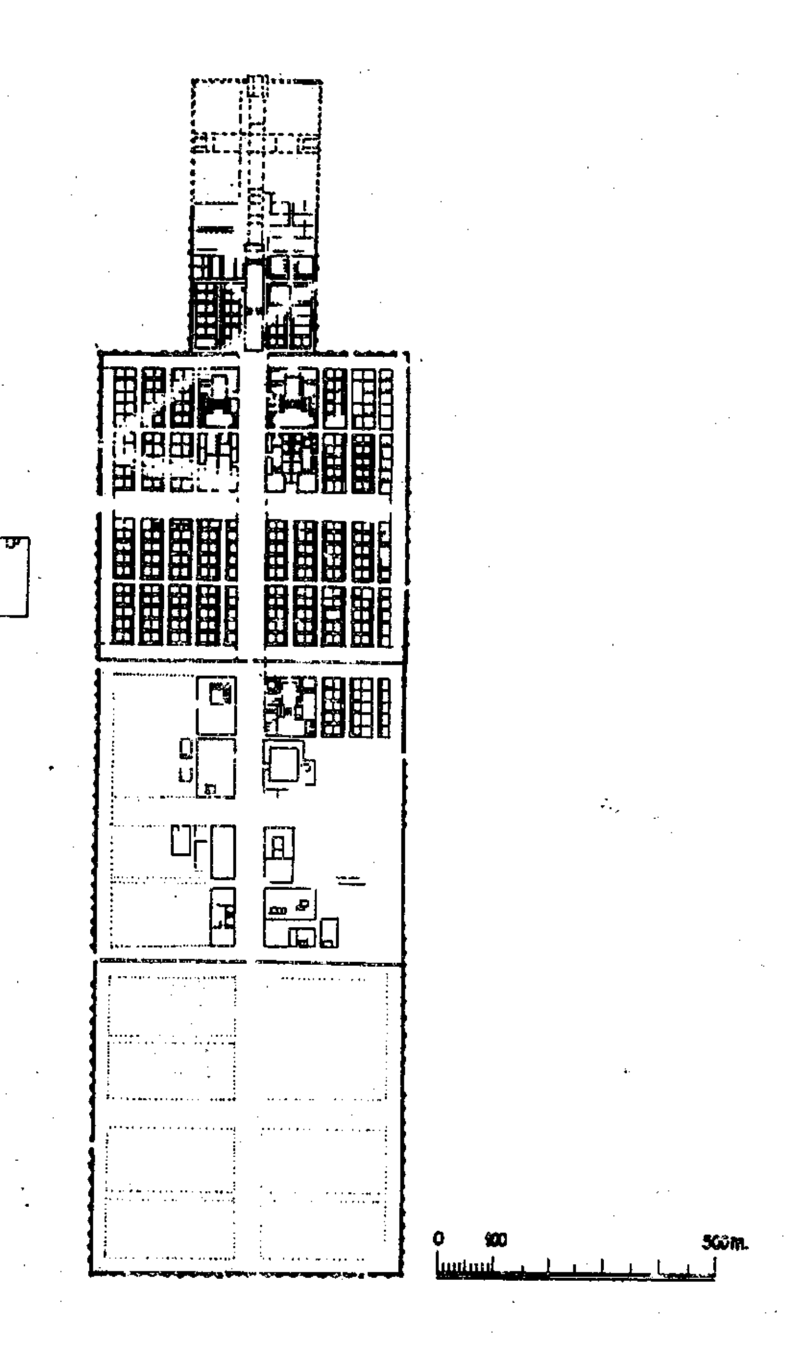
- مخطط قصر الجص عن شريف يوسف



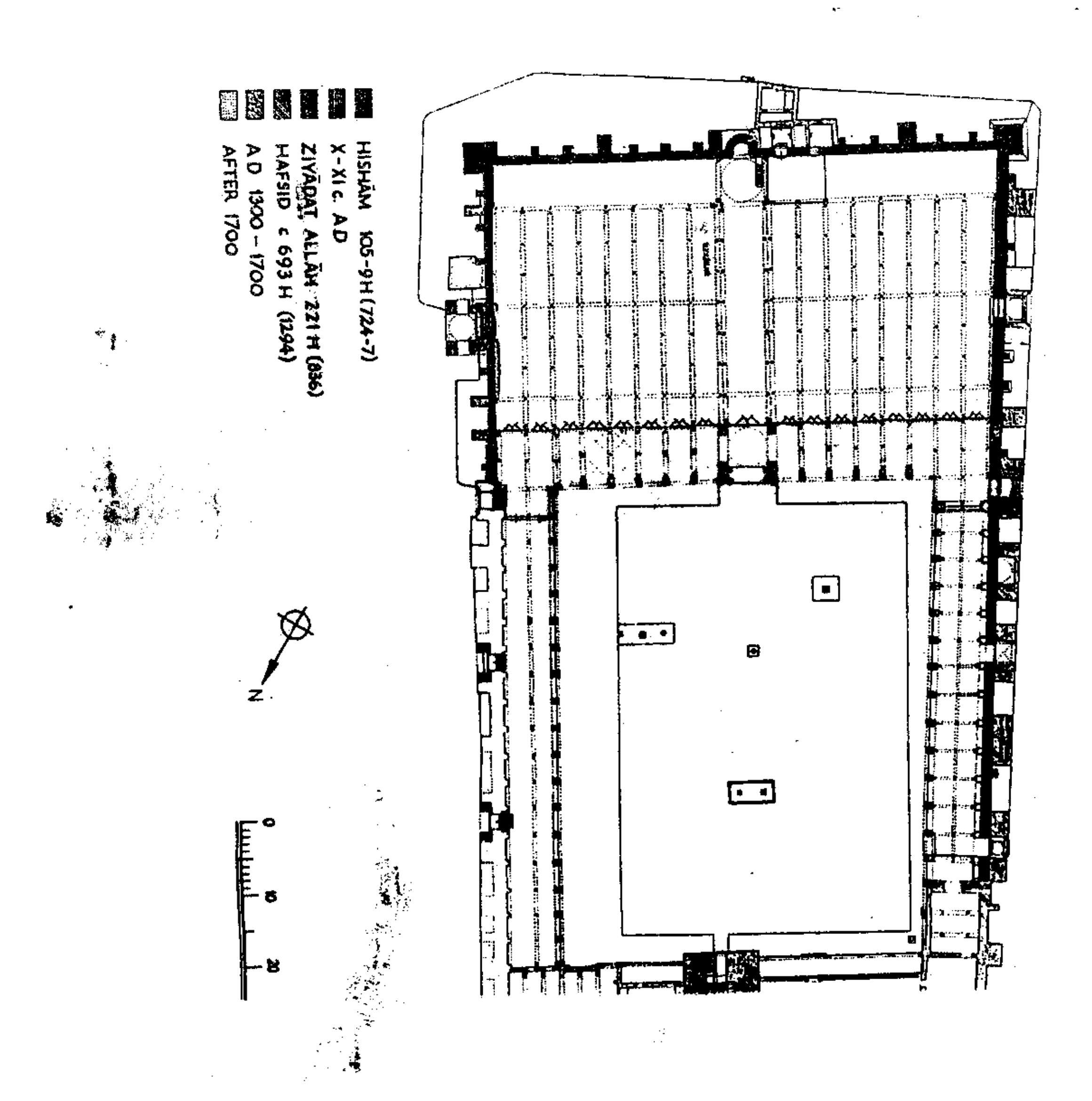
- مخطط قصر الجص عن Creswell



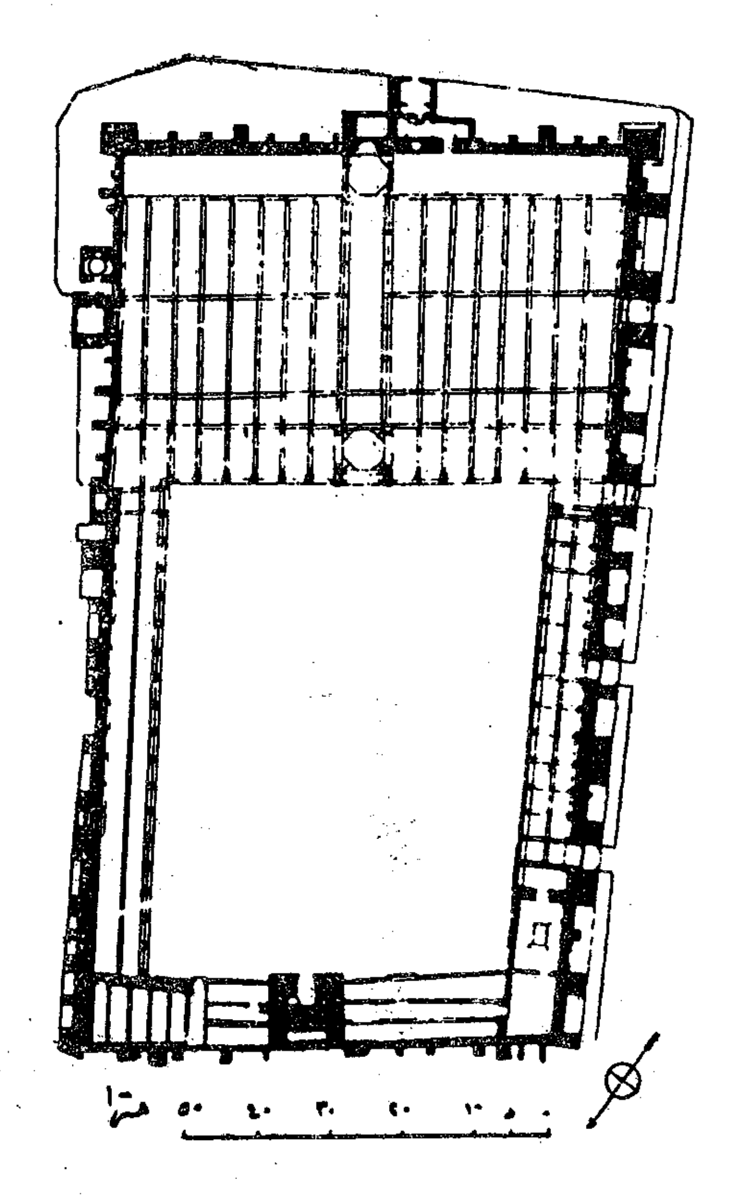
- زخارف جصية من قصر الجص عن Creswell



- مخطط قصر الاصطبلات عن Creswell

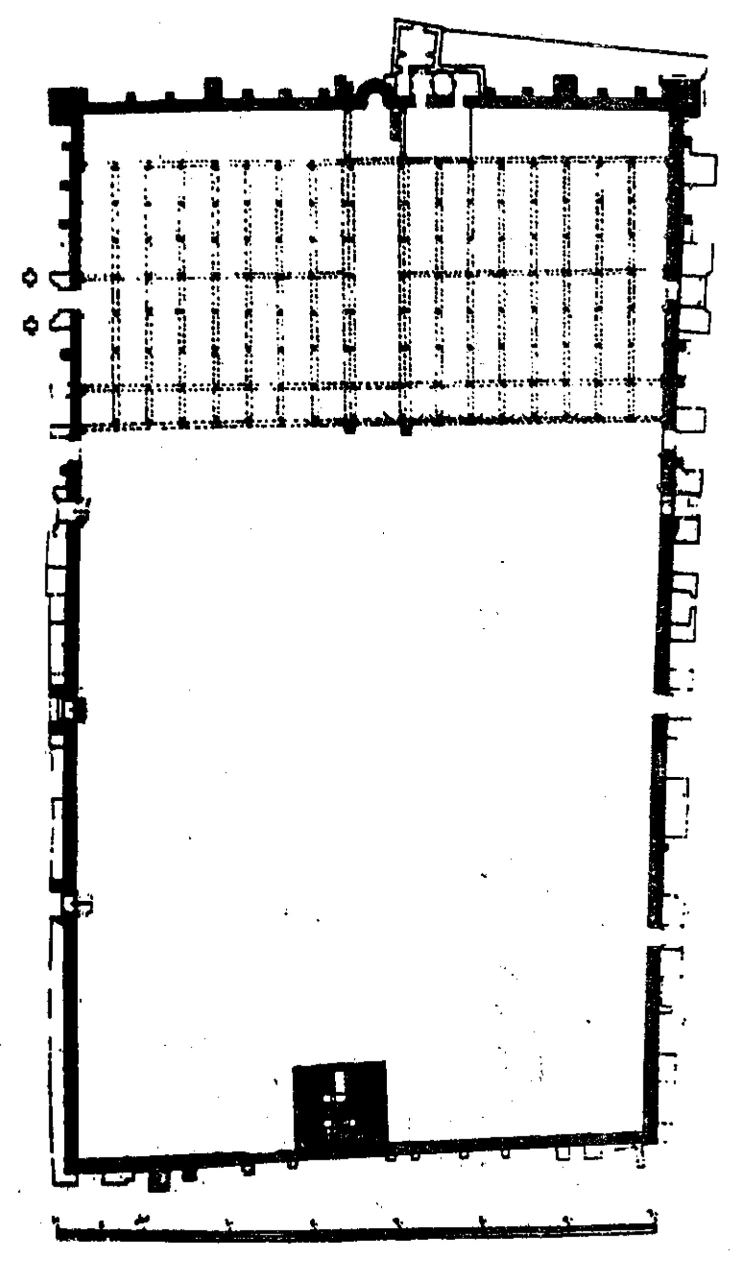


- مخطط جامع القيروان عن Creswell

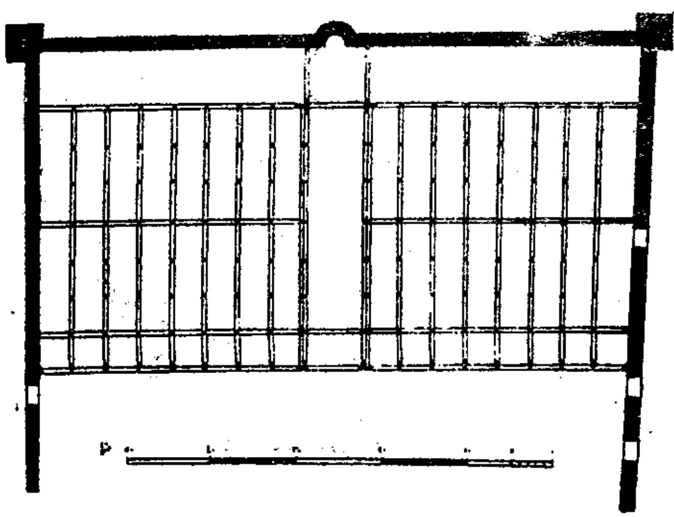


المسجد الجامع بالقيروان – رسم تخطيطي لنظامه الحالى .

- مخطط جامع القيروان عن أحمد فكري

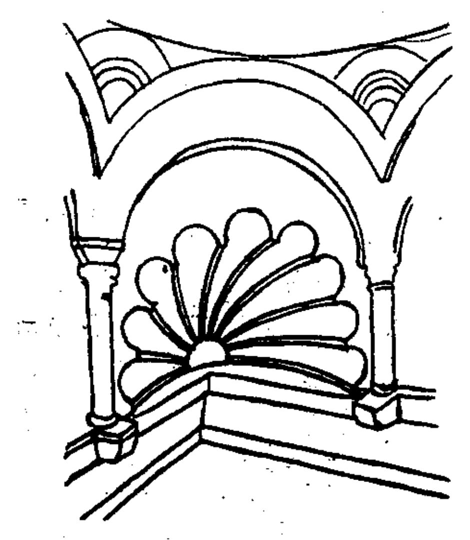


- مخطط جامع القيروان في عهد زيادة الله بن الأغلب عن فريد شافعي



ـ المسجد الجامع بالقيروان ـ رسم تخطيطي لنظام بيت الصلاة في عهد زيادة الله بن الأغلب،سنة ٢٢١ (٨٣٦م).

- مخطط جامع القيروان (ظلة القبلة) في عهد زيادة الله عن أحمد فكري

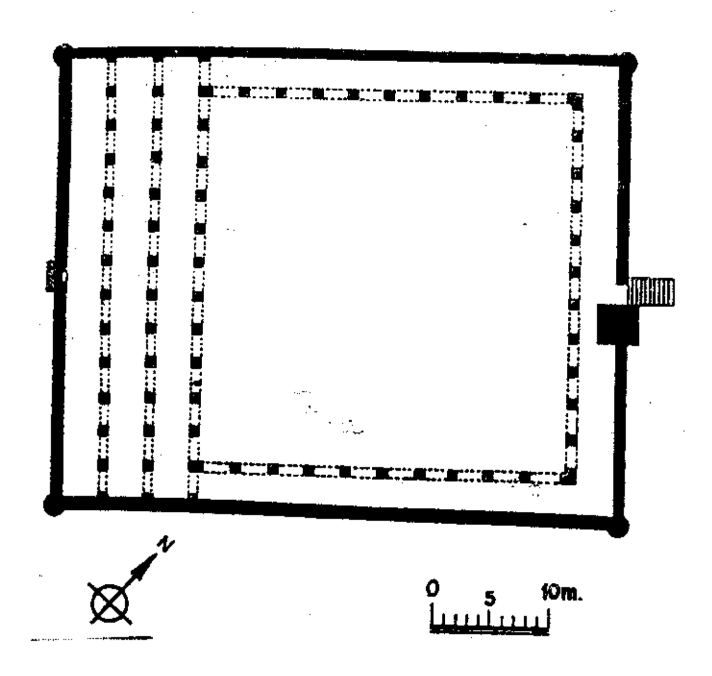


القيروان : المسجد الجامع ـ مقرنصة القبة فوق المحراب

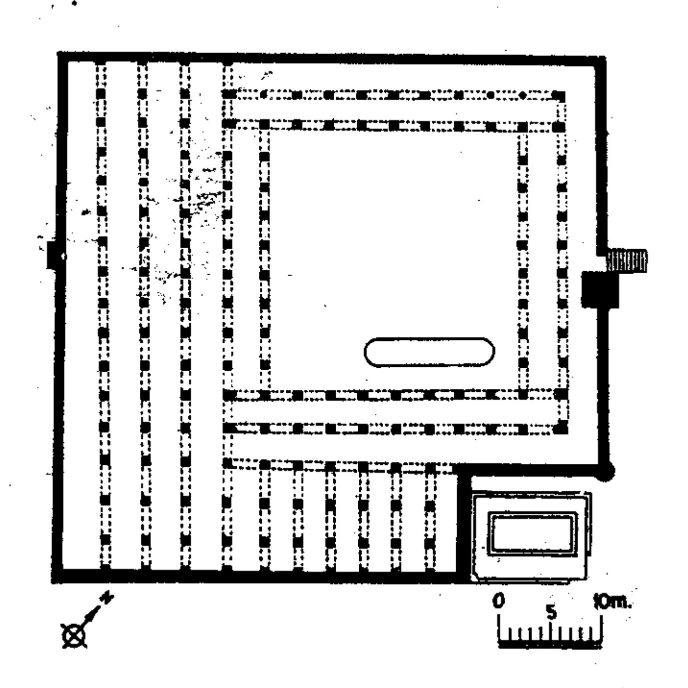
- منطقة الانتقال في القبة التي تعلو المحراب بجامع القيروان عن فريد شافعي



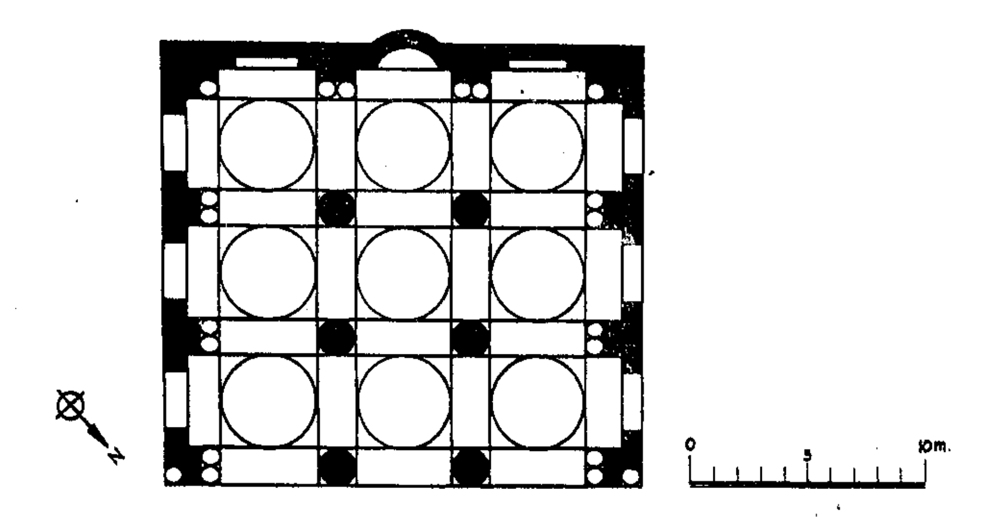
جامـــــع القيـــــروان (تونس)



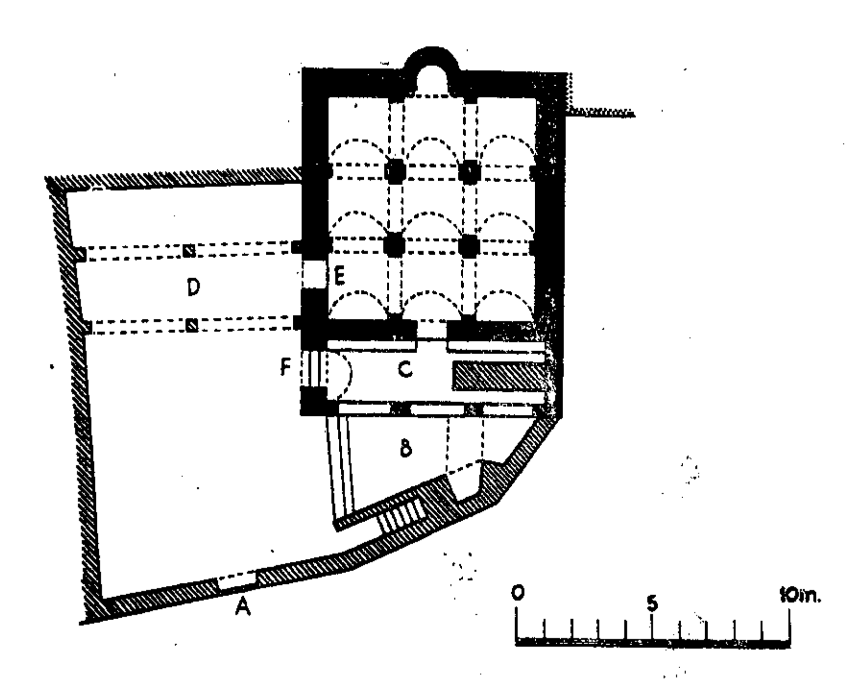
مخطط المسجد الكبير في سيراف (١) عن Creswell



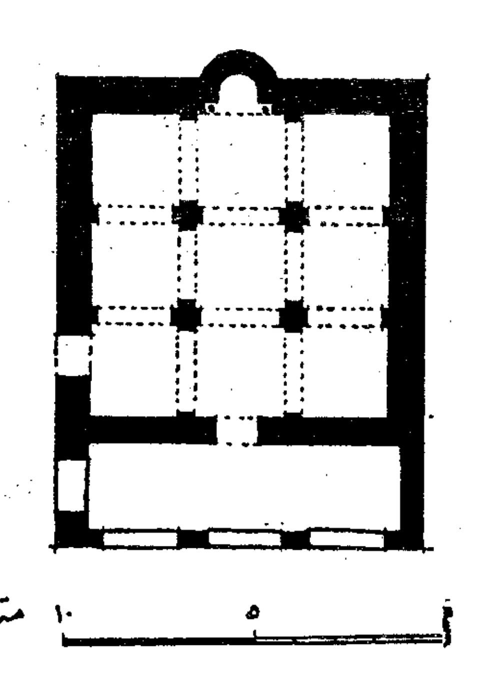
- مخطط المسجد الكبير في سيراف (٢) عن Creswell



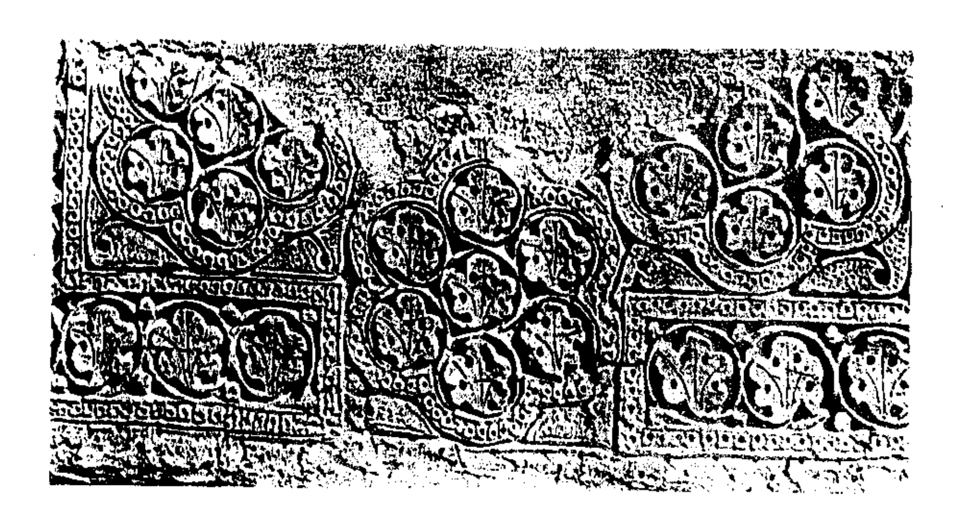
- مخطط المسجد في بلخ نقله Creswell عن Golombek



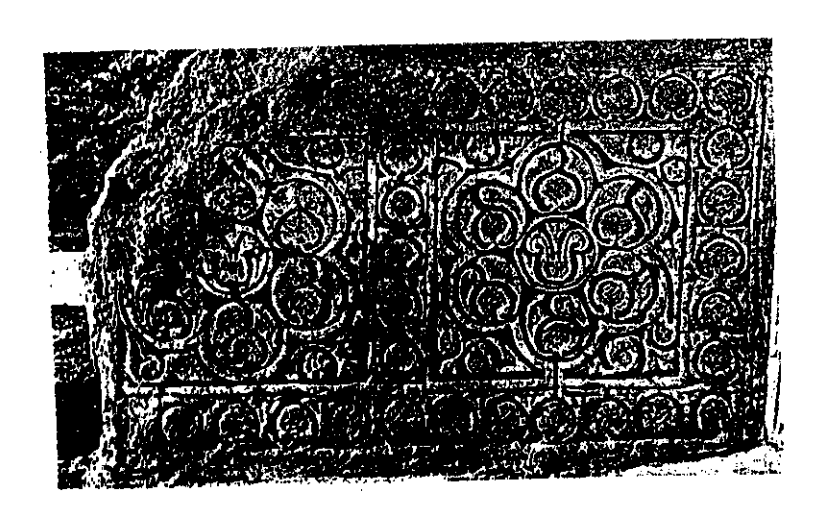
- مخطط مسجد بوفتاتة عن Creswell



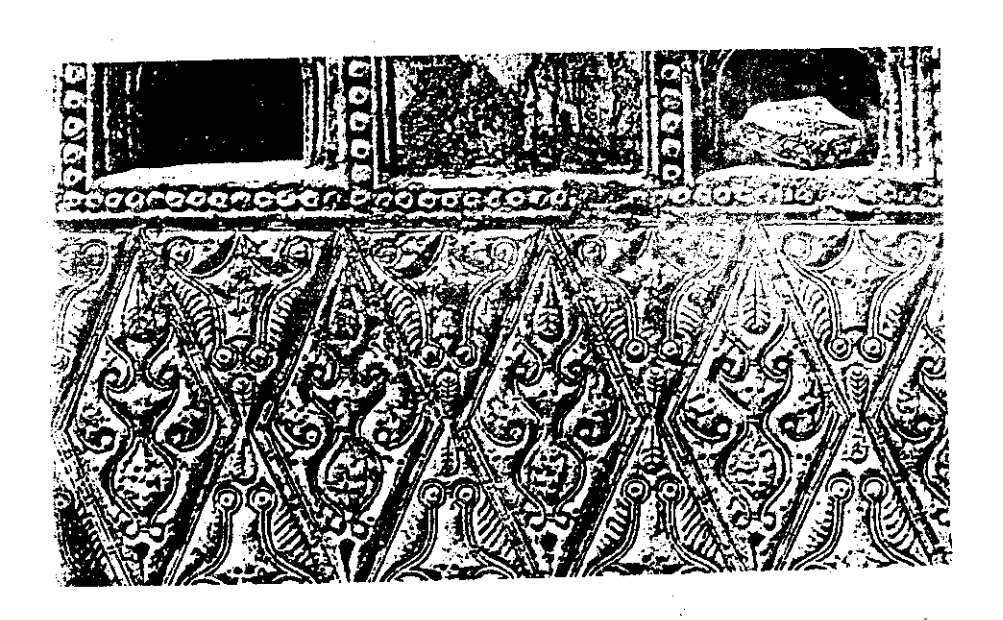
- مخطط مسجد بوفتاتة عن أحمد فكري



- زخارف سامراء (A) عن Creswell



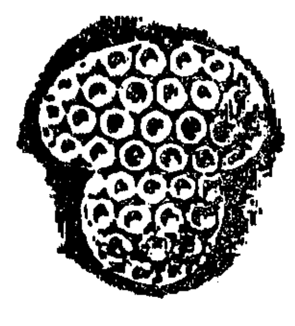
- زخارف سامراء (B) عن Creswell



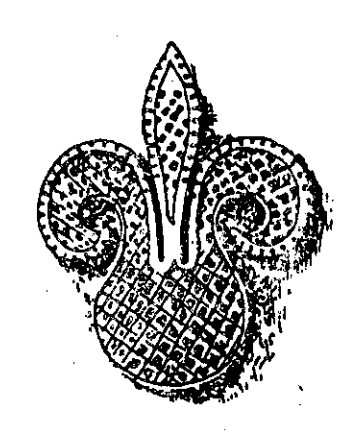
- زخارف سامراء (C) عن Creswell



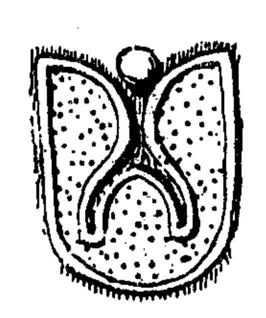
زخرف ورقة عنب خماسية



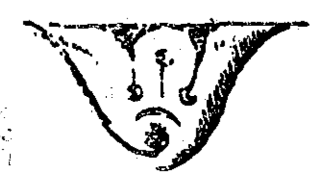
زخرف عنقود عنب



زخرف كاسي



زخرف كاسي

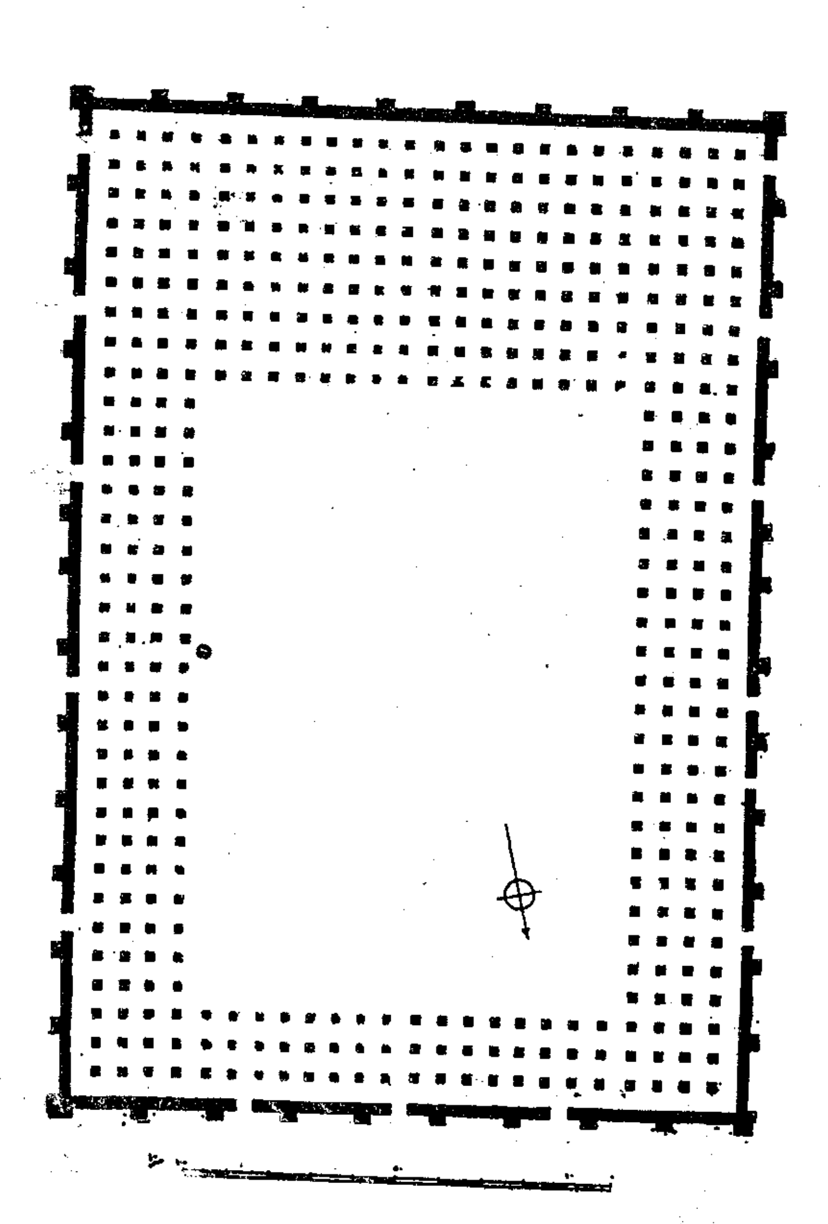


زخرف نصف كاسي

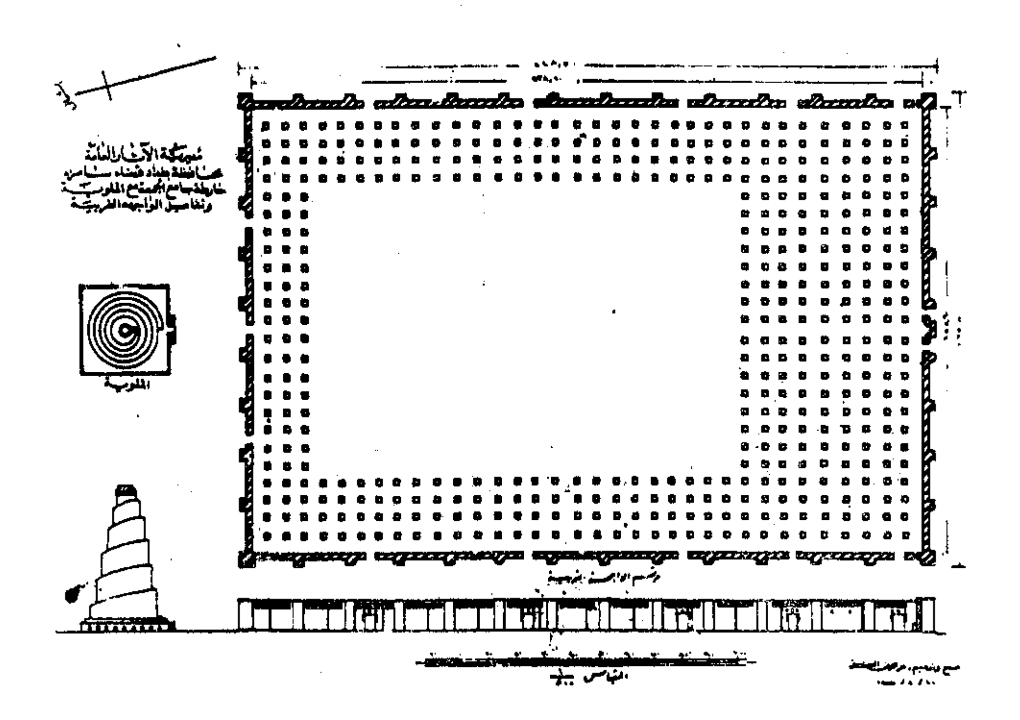


زخرف نصف كاسي ساساني

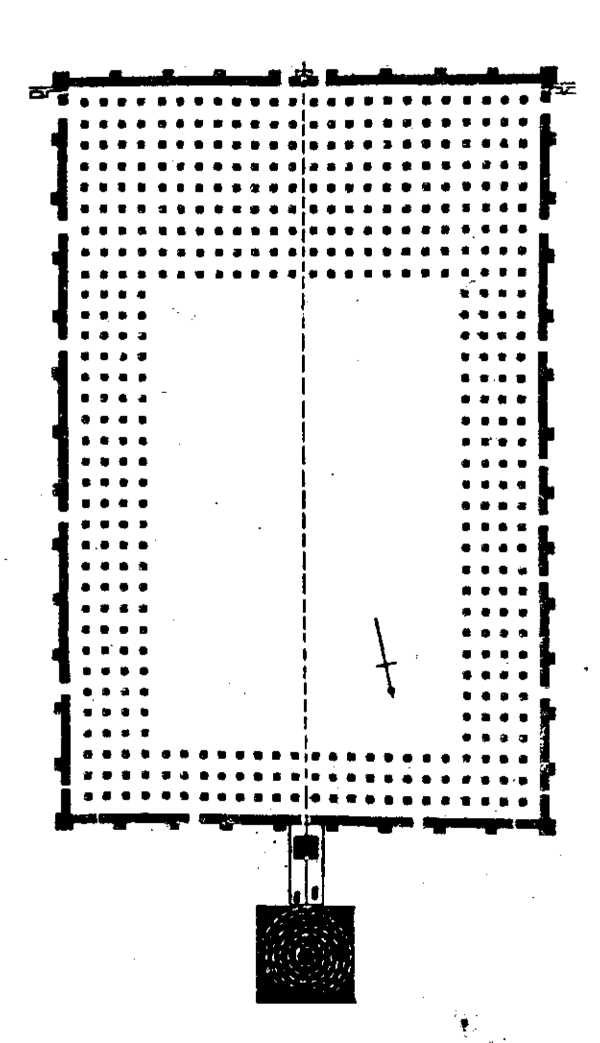
- عناصر زخرفية من سامراء وغيرها عن فريد شافعي



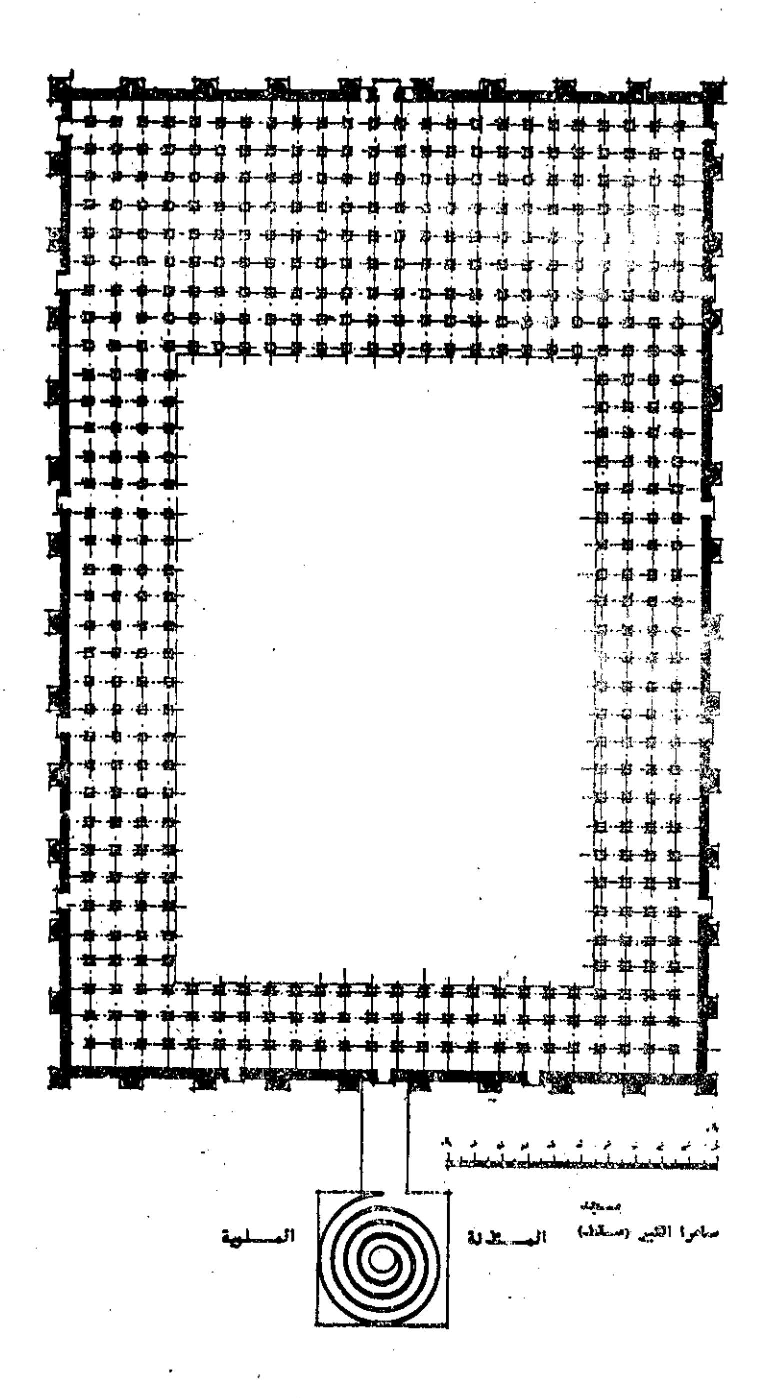
- مخطط مسجد سامراء الجامع عن أحمد فكري



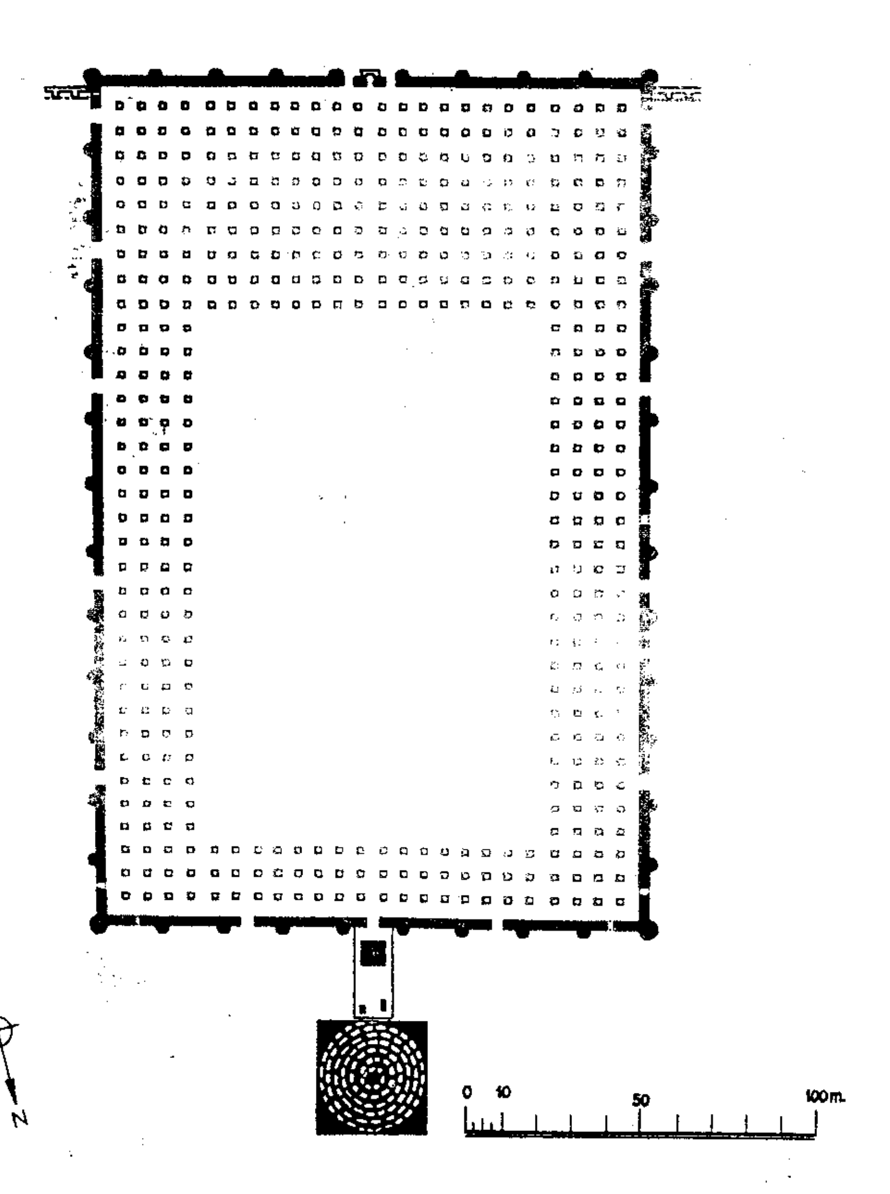
- مخطط مسجد سامراء الجامع عن عيسى سلمان



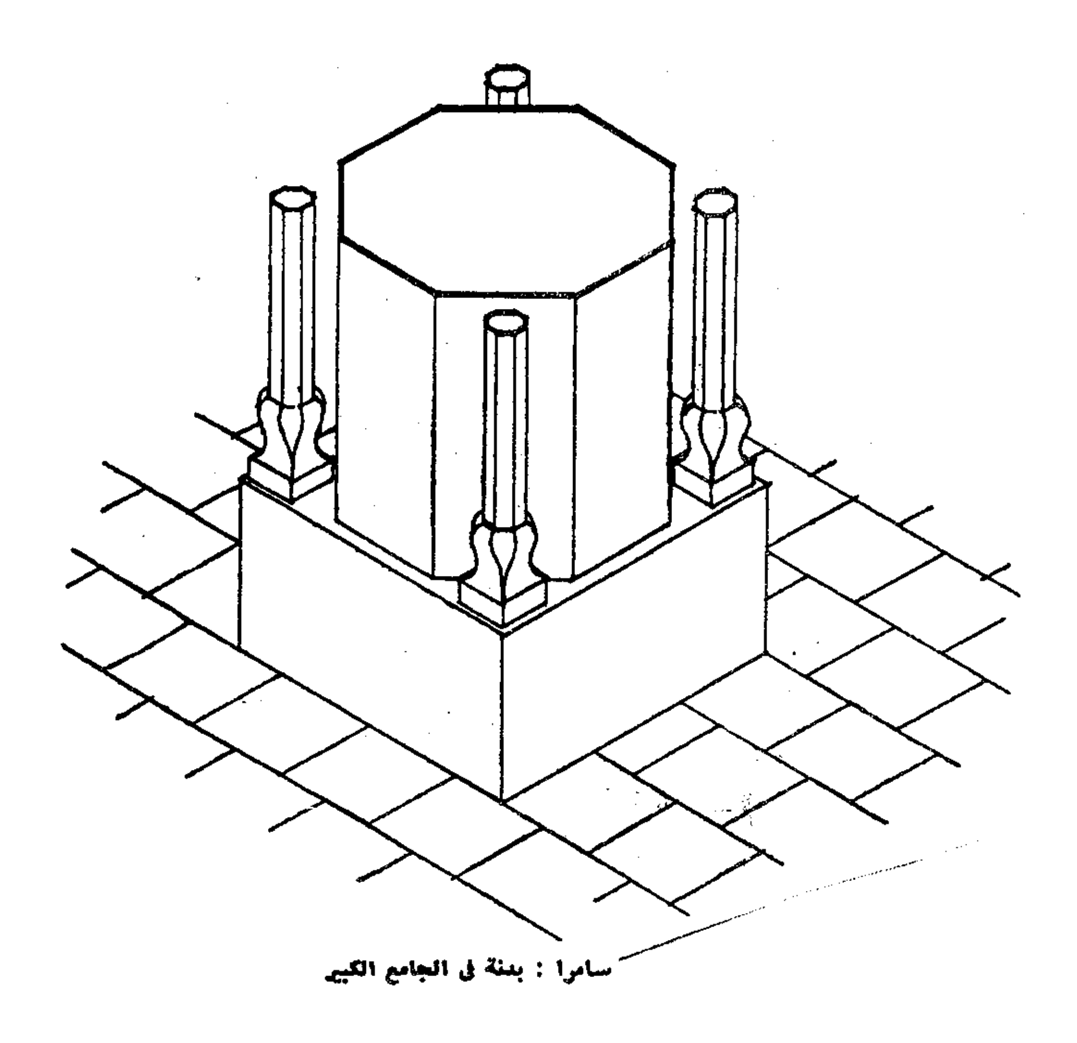
- مخطط مسجد سامراء الجامع عن شريف يوسف



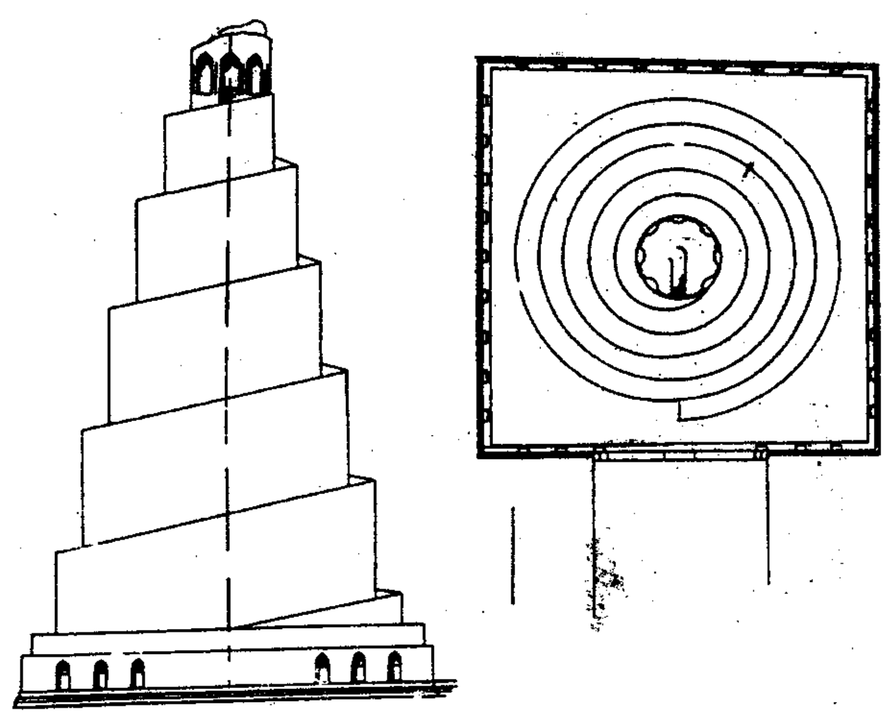
- مخطط مسجد سامراء الجامع عن فريد شافعي



- مخطط مسجد سامراء الجامع عن Creswell

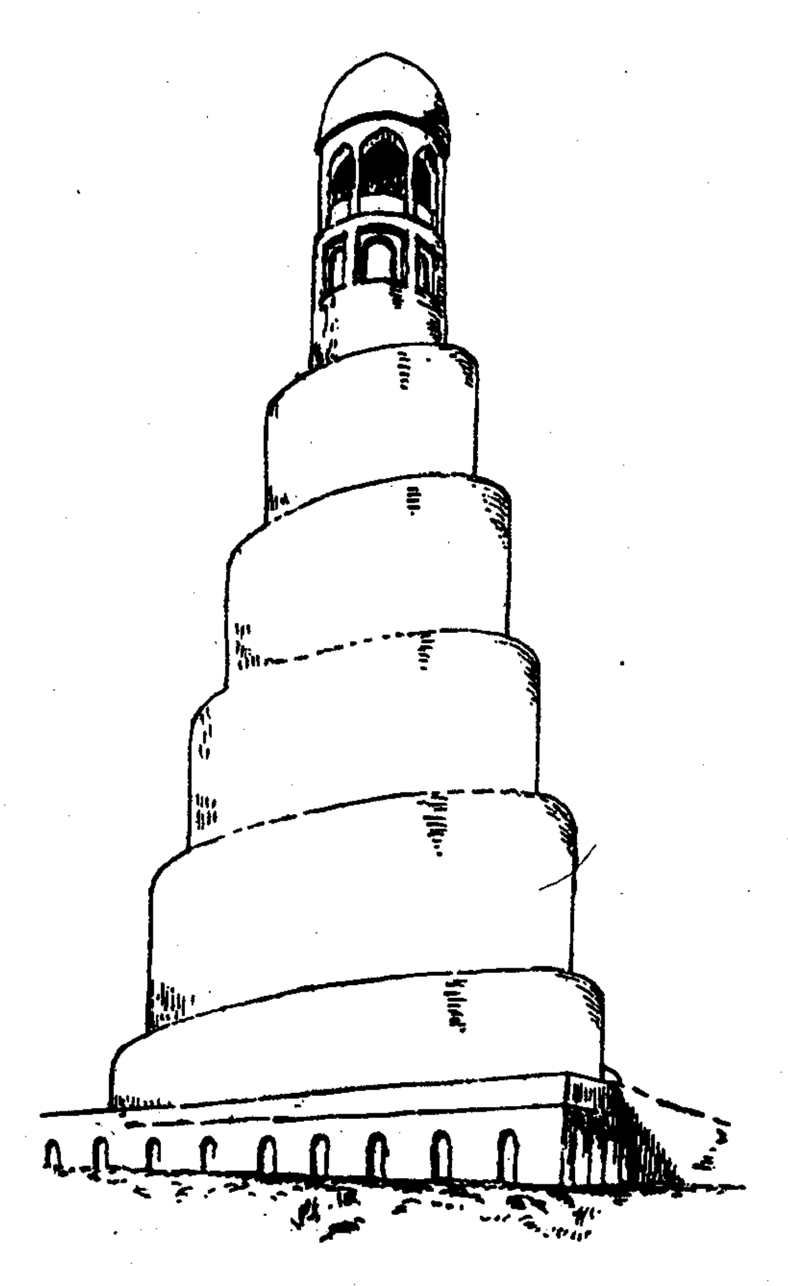


- دعامة من جامع سامراء الكبير عن فريد شافعي



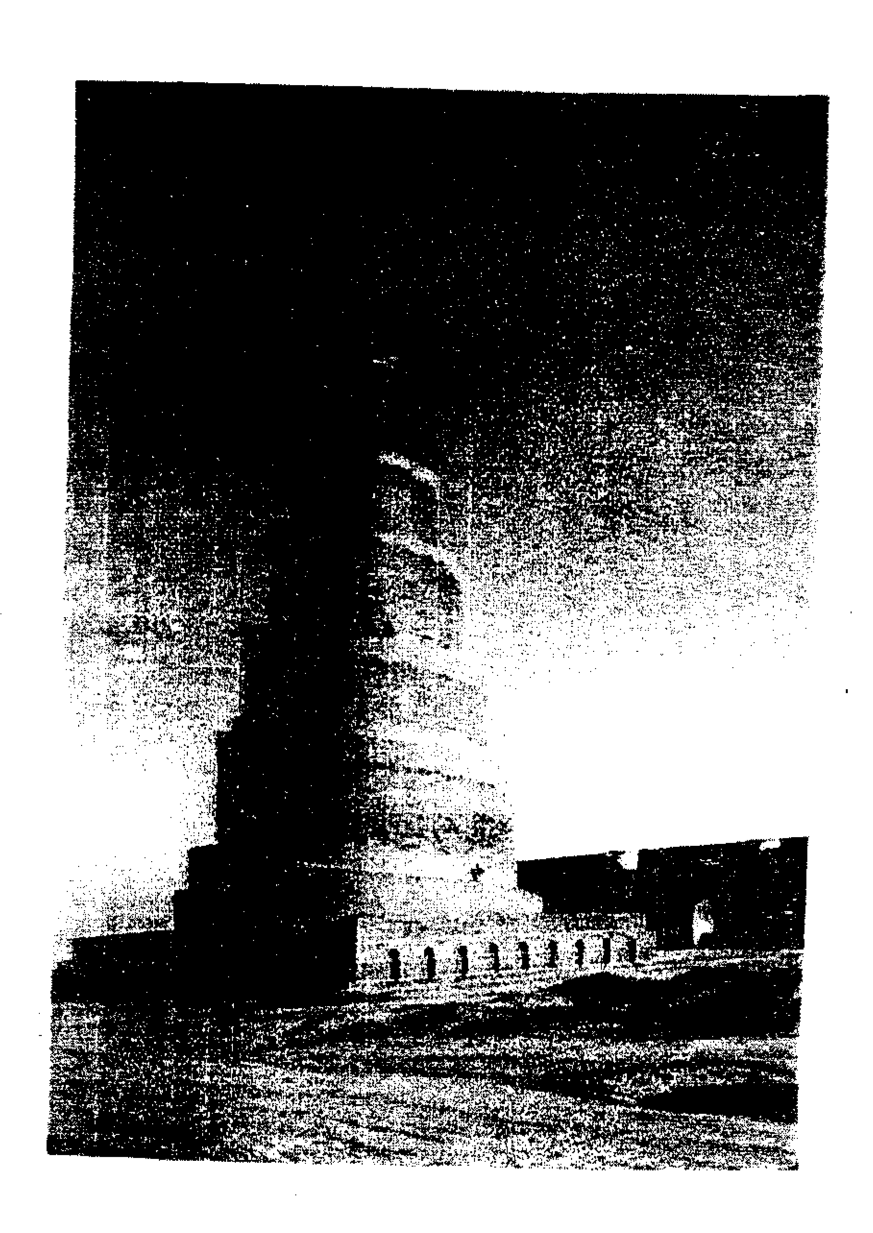
مخطط أفقي وعمودي لمئذنة جامع سامراء الملوية

- مئذنة جامع سامراء عن شريف يوسف

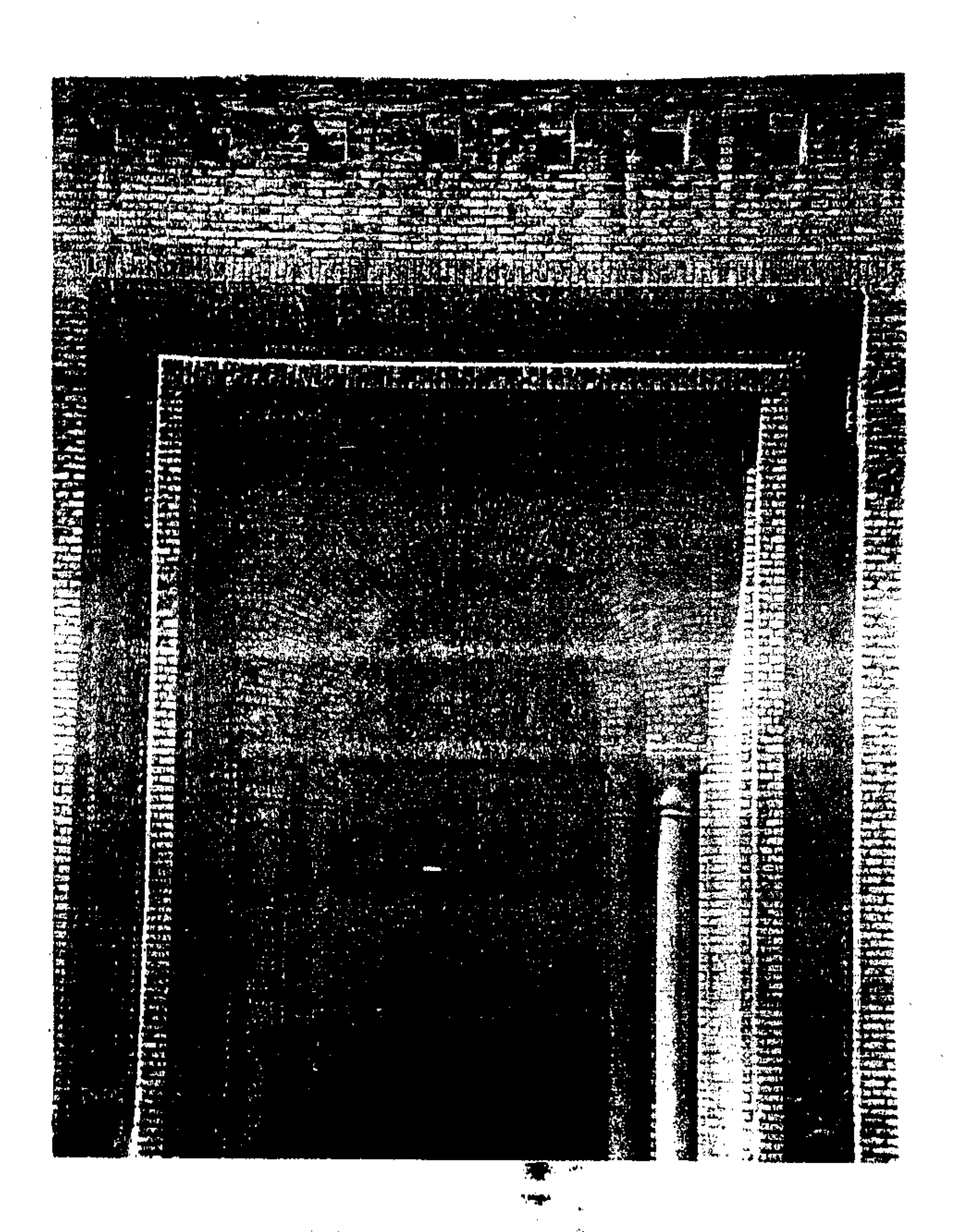


سامرا : مئذنة الجامع الكبير المعروفة بالملوية

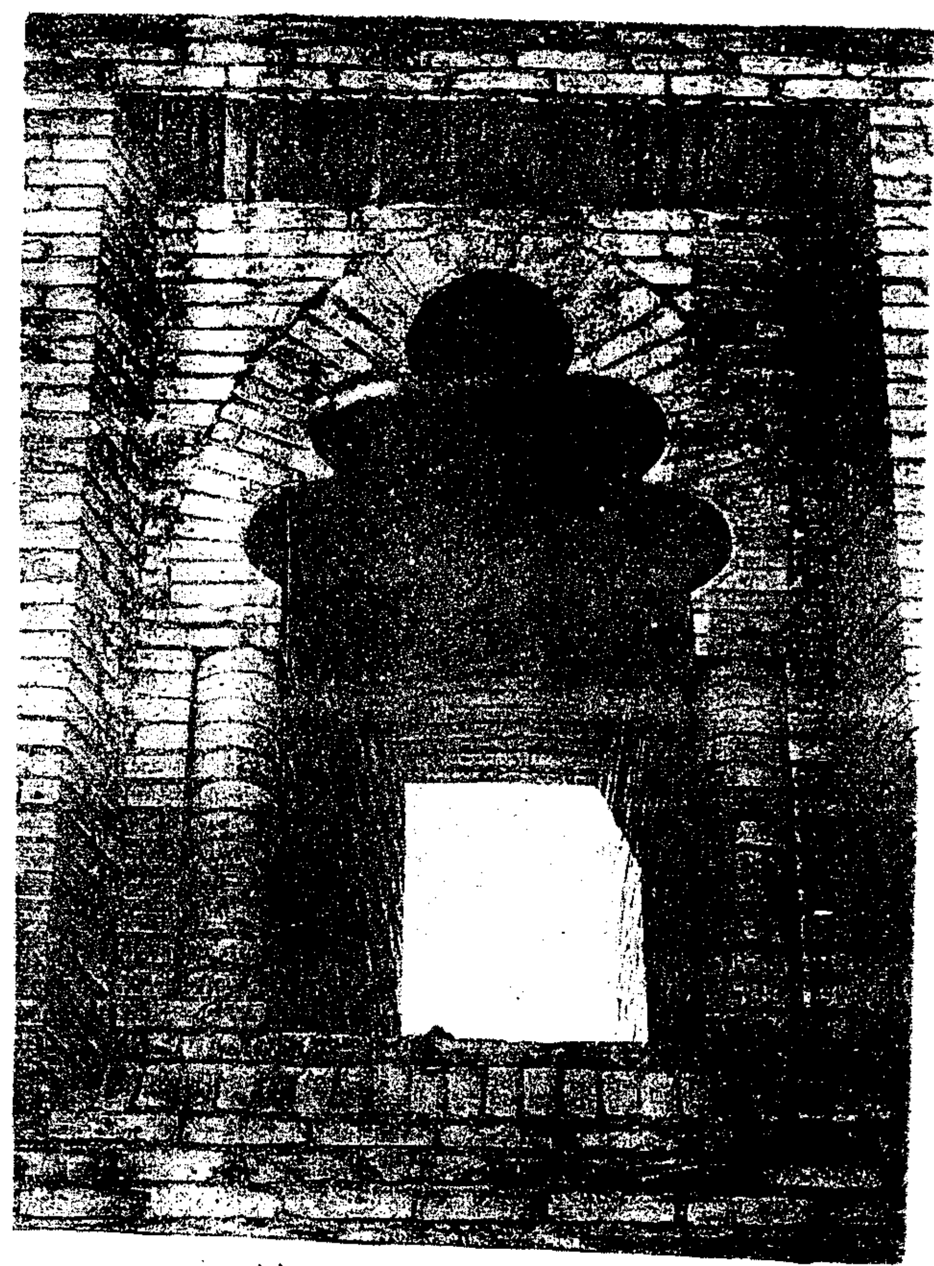
- مئذنة جامع سامراء عن فريد شافعي



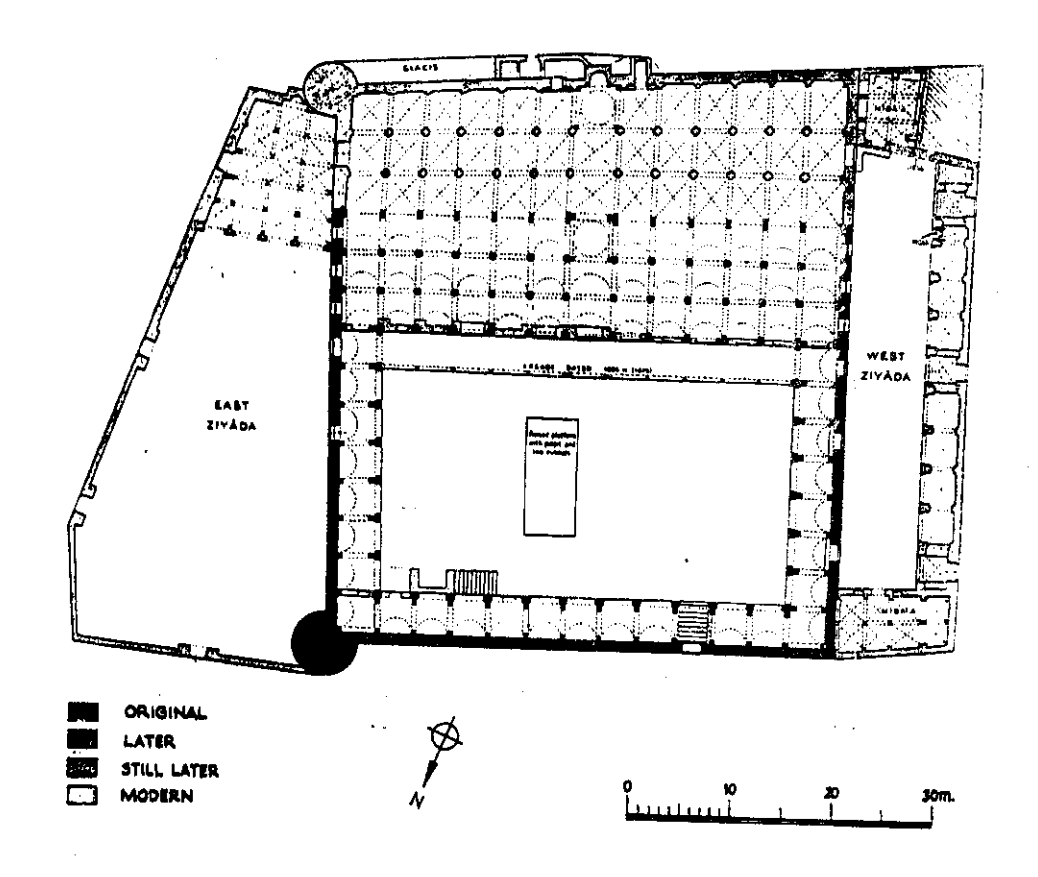
جامع سامراء والمئذنة الملوية (العراق)



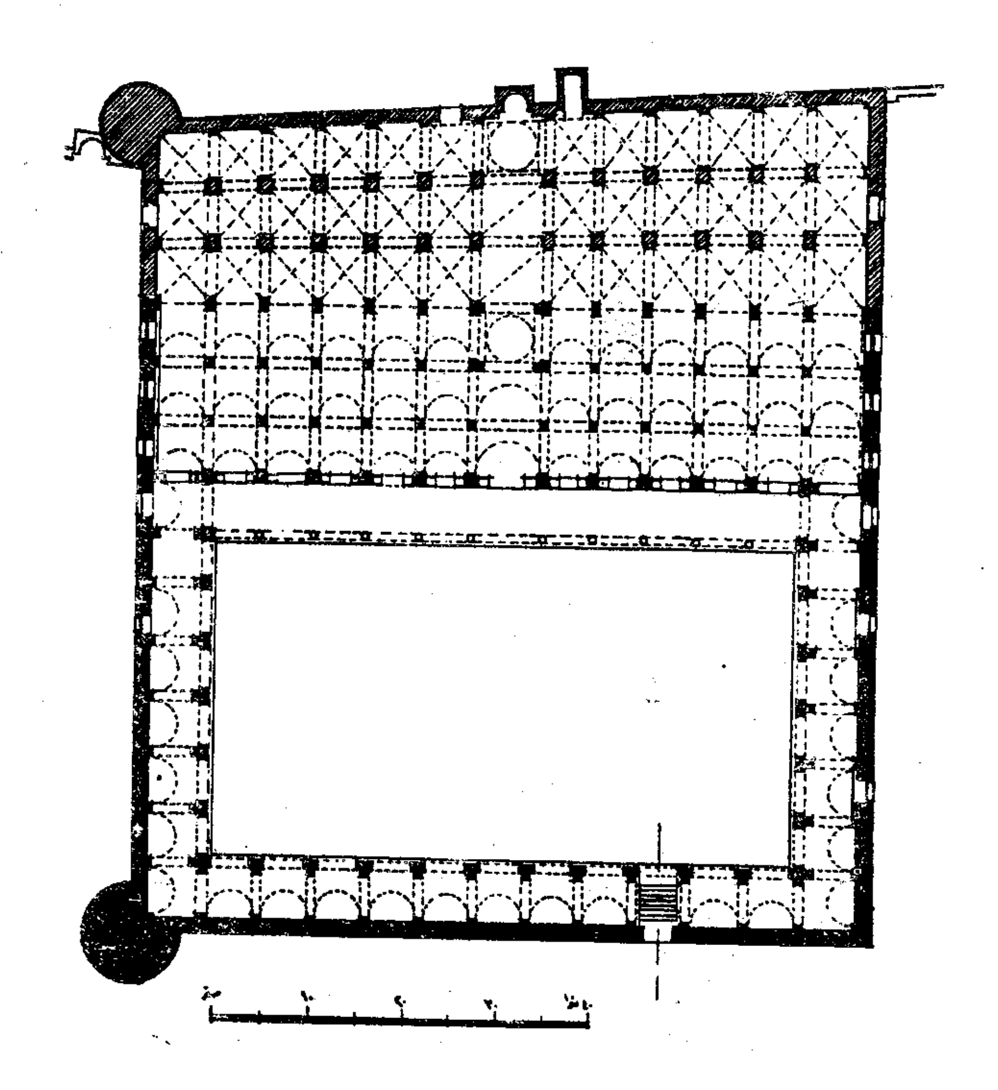
- محراب جامع سامراء عيسى سلمان



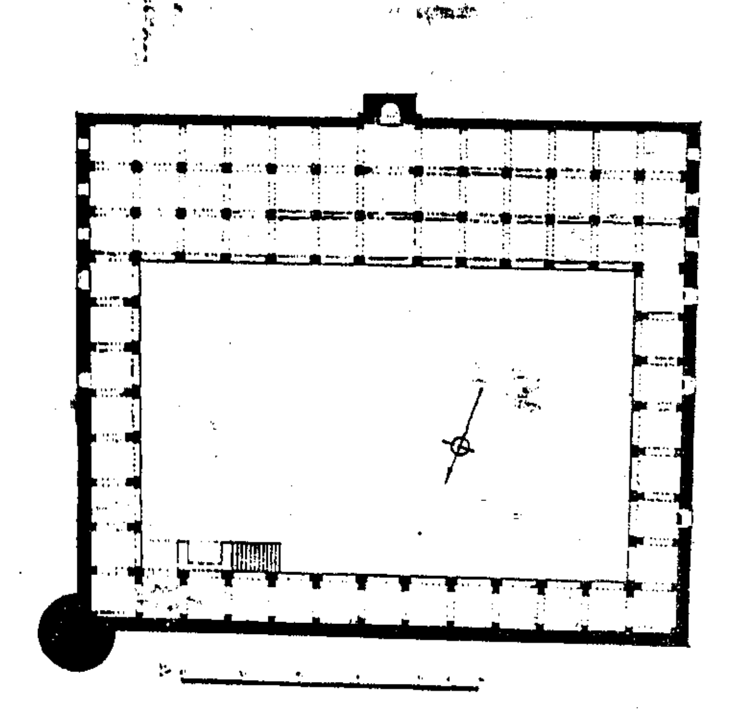
ـ نافذة معقودة من جامع سامراء عن عيسى سلمان



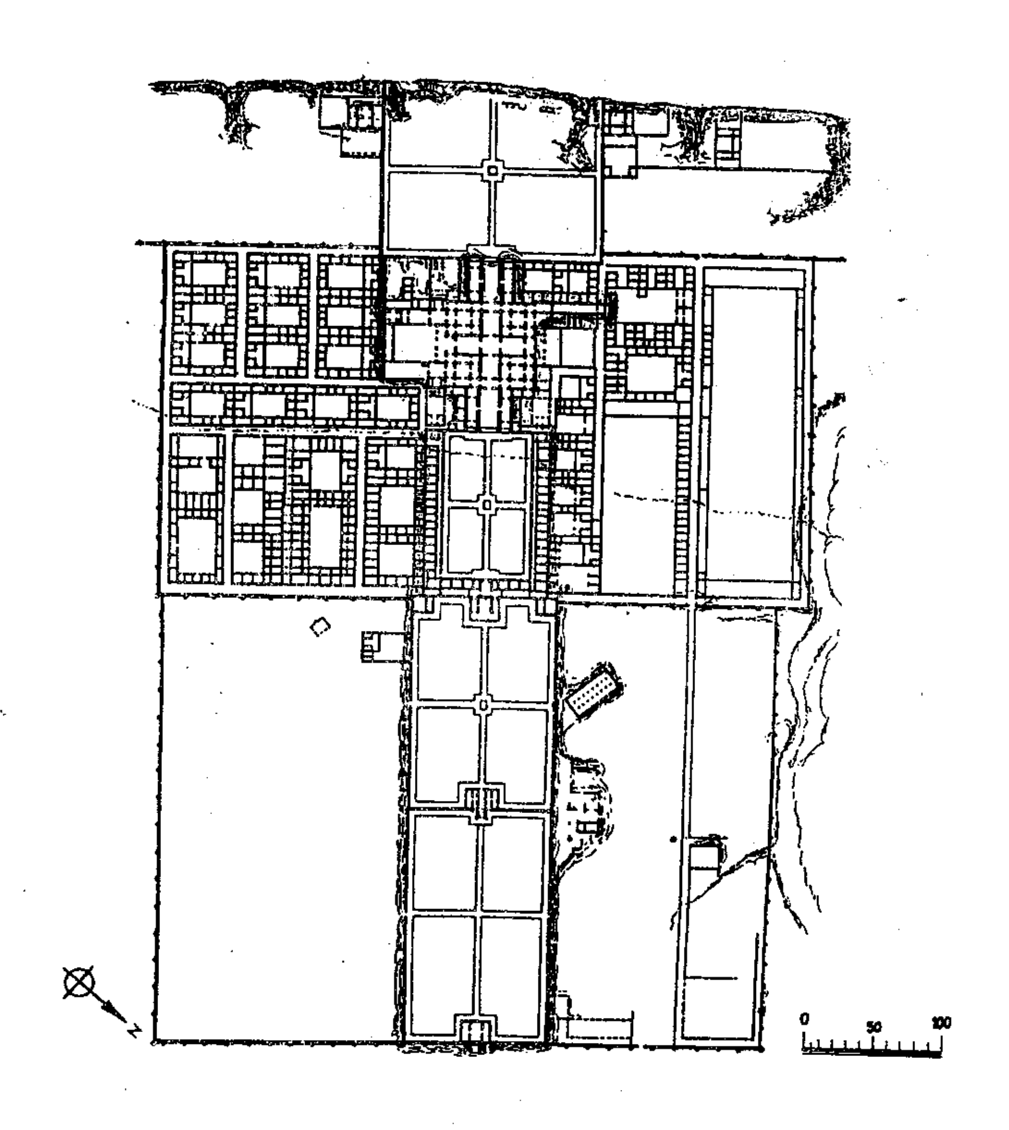
- مخطط المسجد الجامع في سوسة عن Creswell



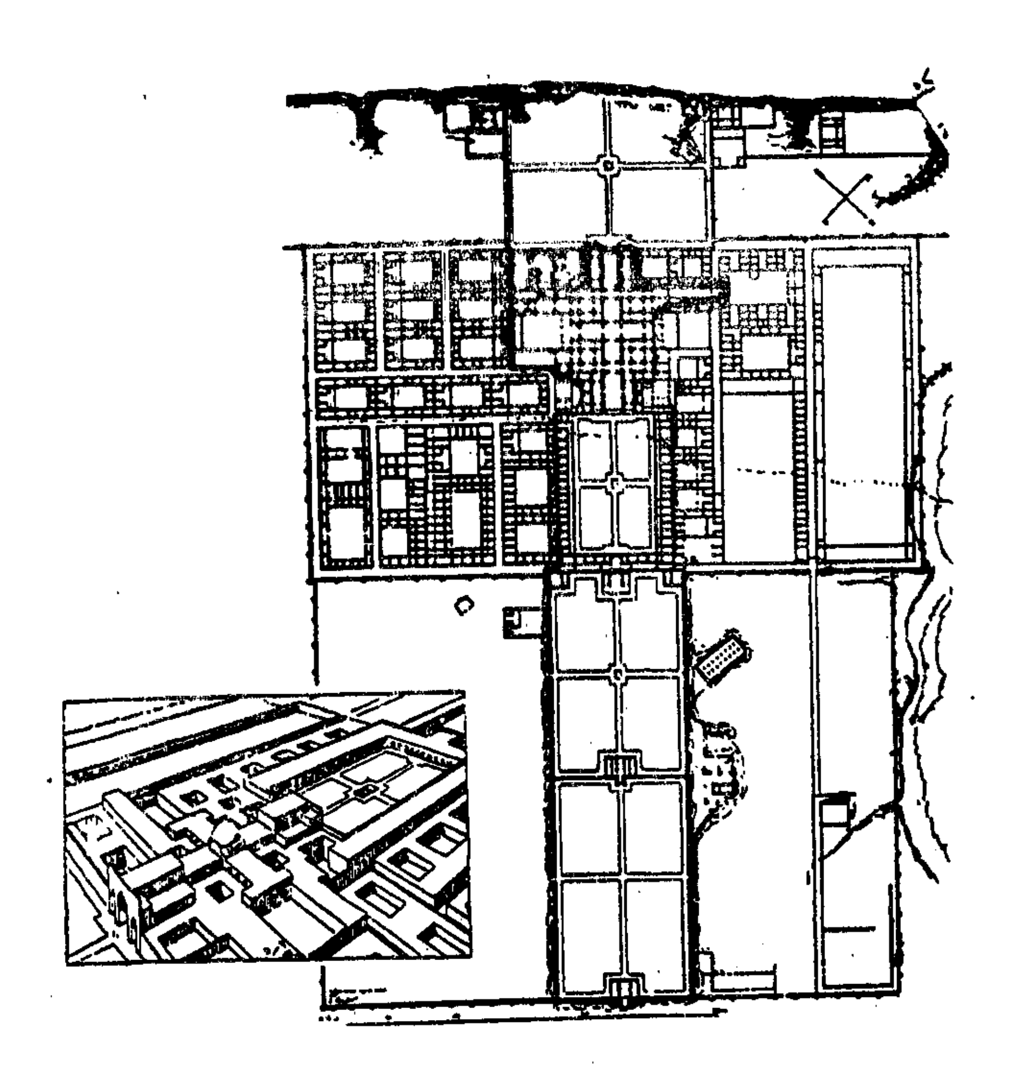
- مخطط المسجد الجامع في سوسة عن فريد شافعي



- مخطط المسجد الجامع في سوسة في عهد الأغالبة عن أحمد فكري

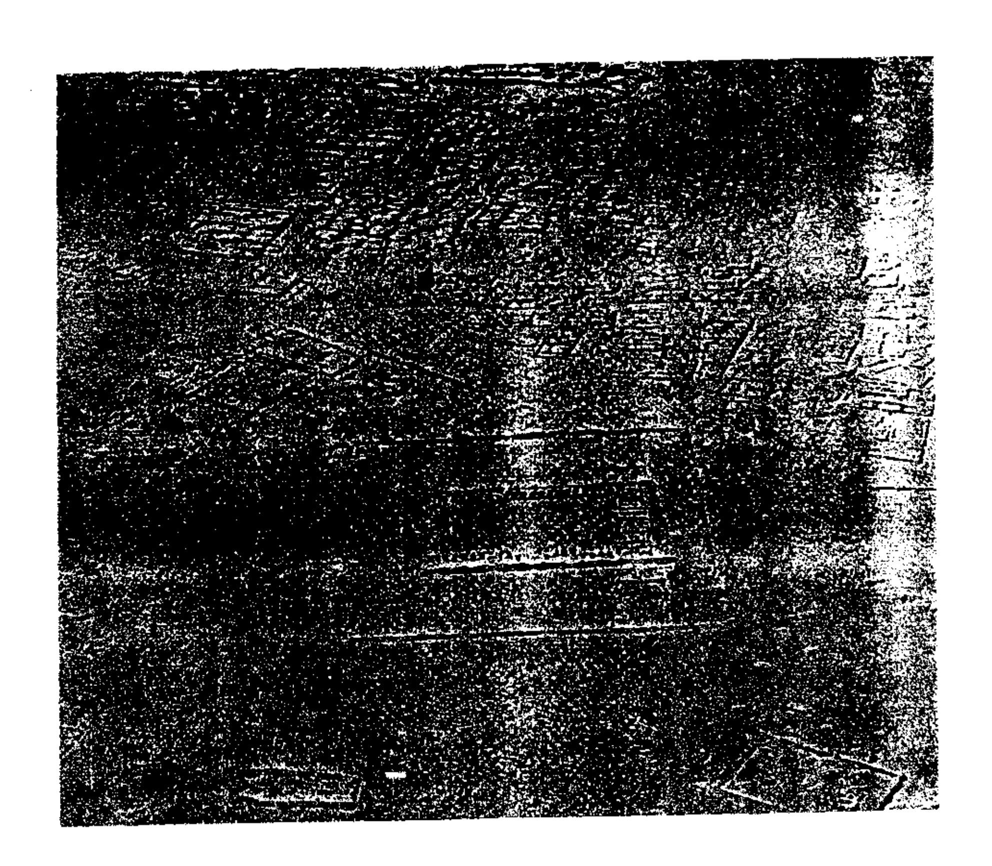


- مخطط قصر بلكوارا عن Creswell

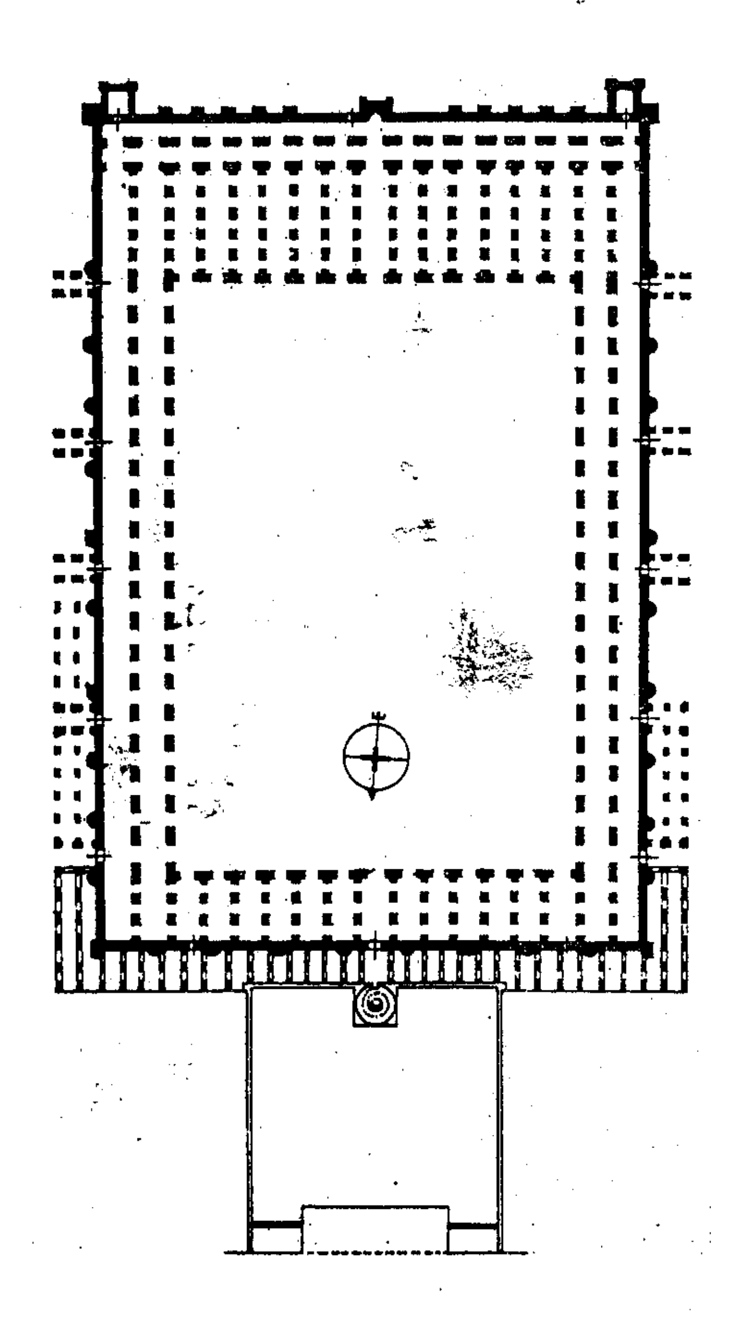


مخطط قصر بلكوارا في سامراء رسم مجسّم للقصر

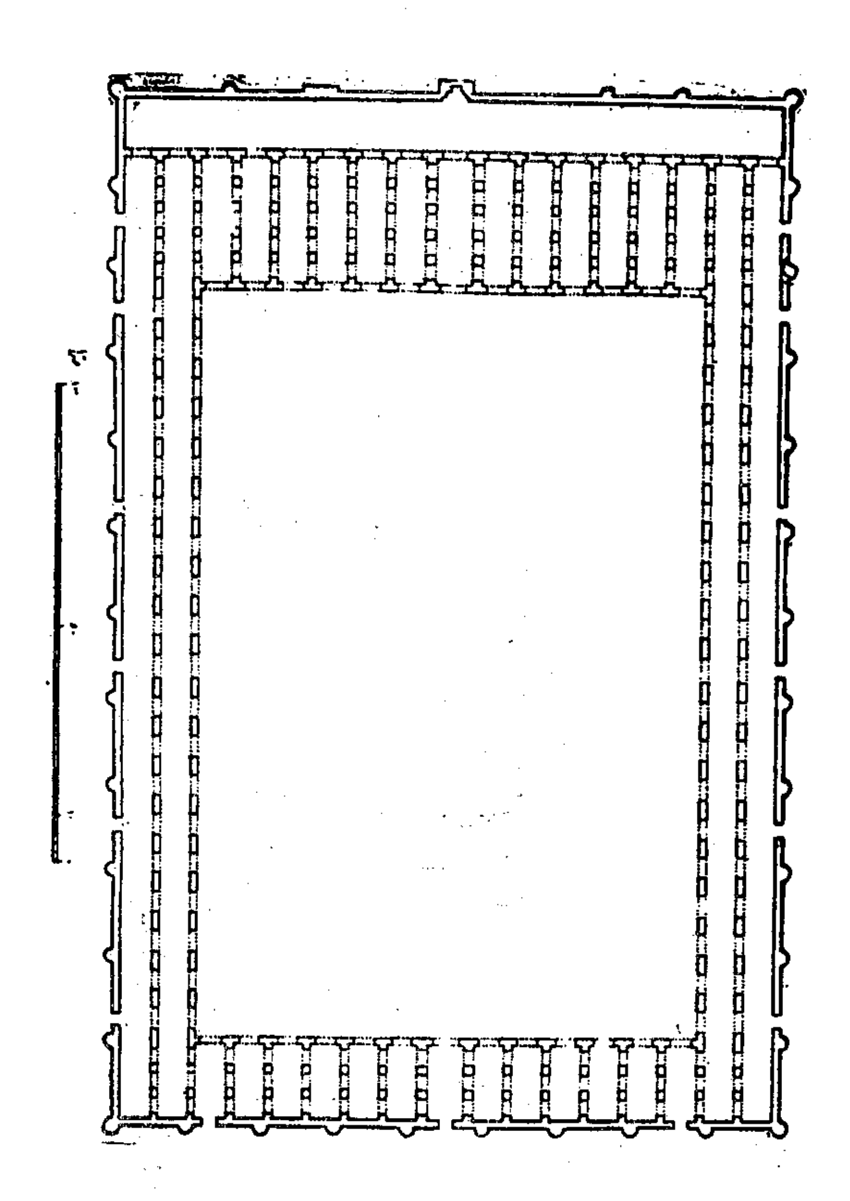
- مخطط قصر بلكوارا عن شريف يوسف



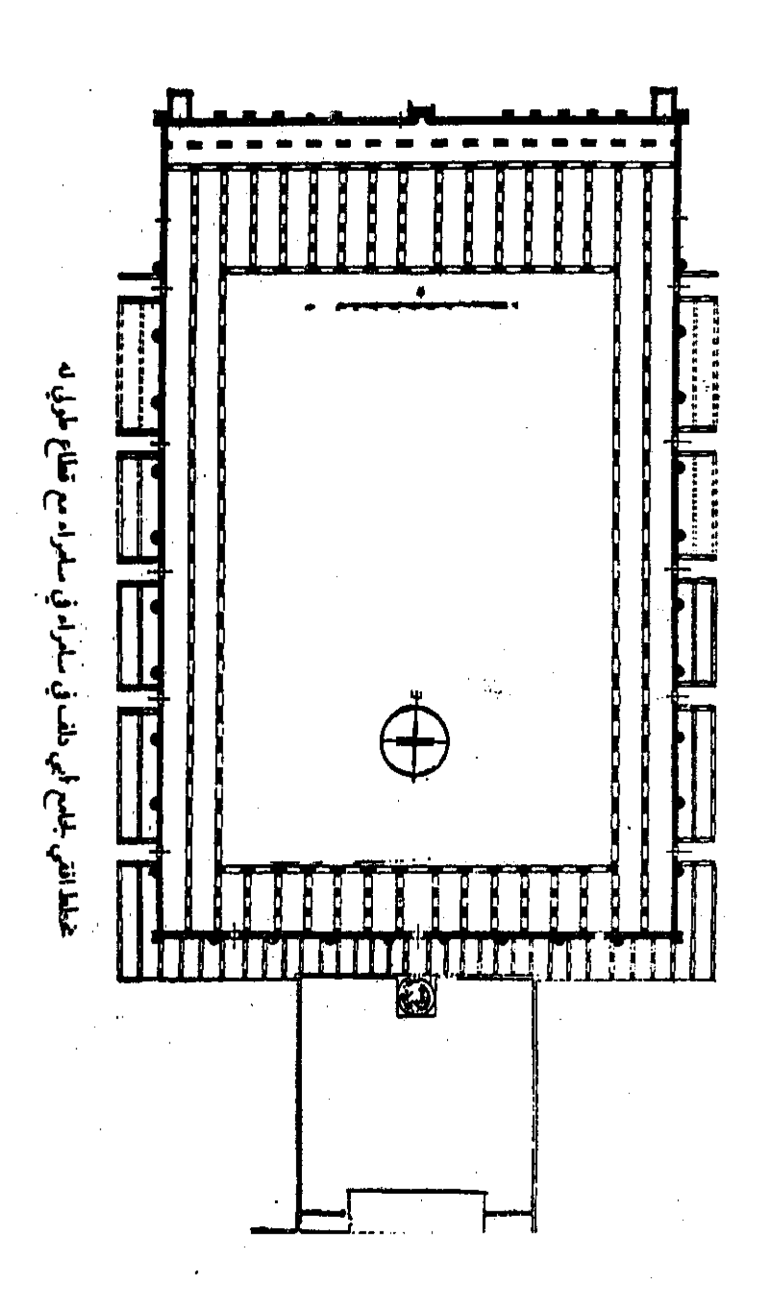
- صورة جوية للجعفرية عن عيسى سلمان



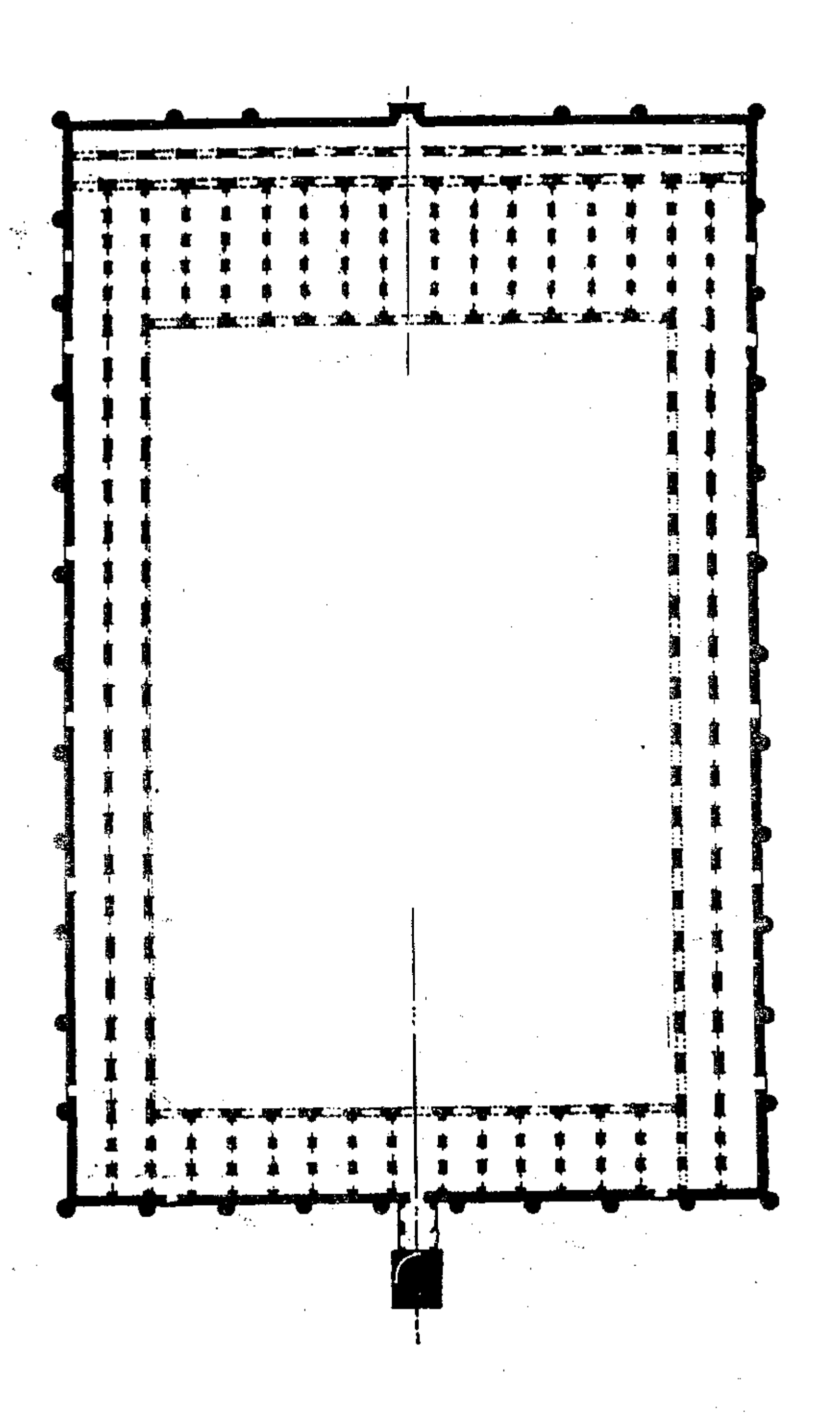
- مخطط جامع أبي دلف عن عيسى سلمان



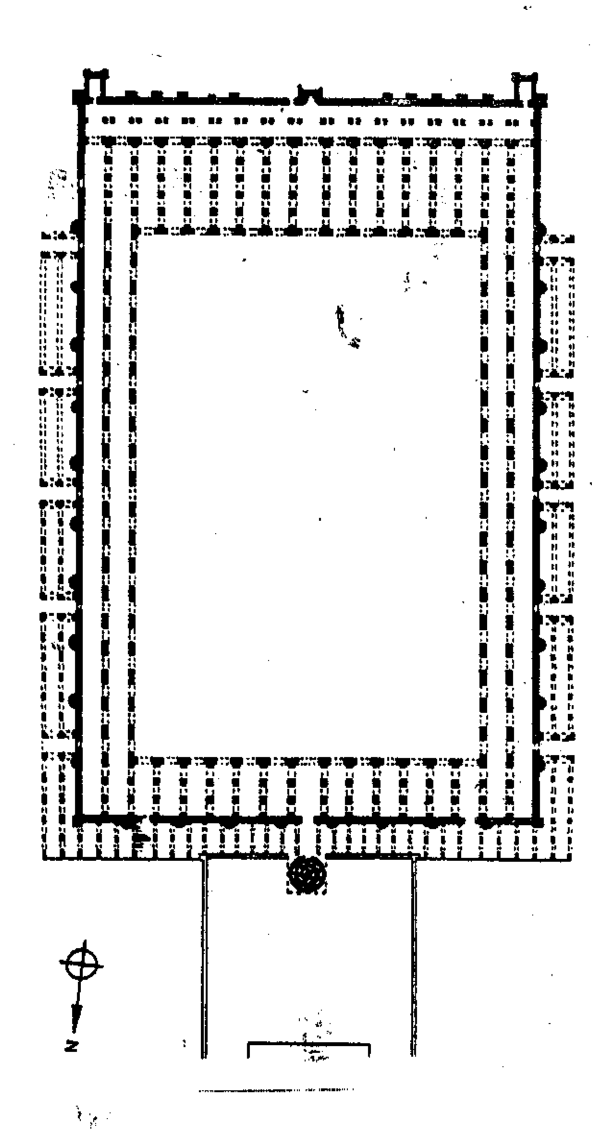
- مخطط جامع أبي دلف عن أحمد فكري



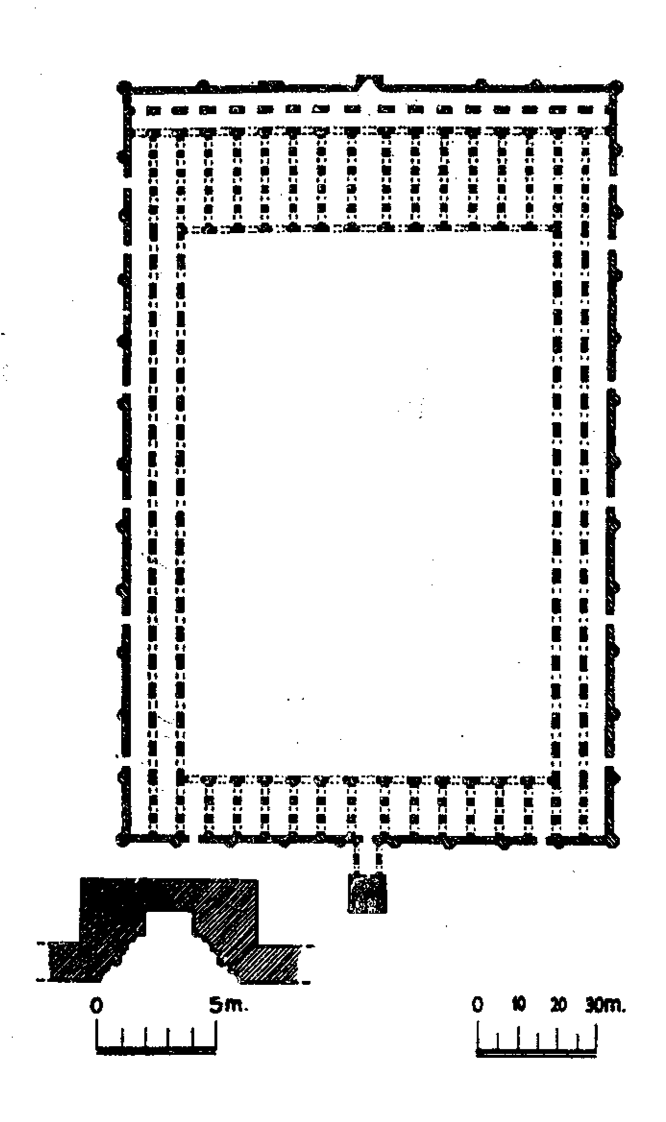
- مخطط جامع أبي دلف عن شريف يوسف



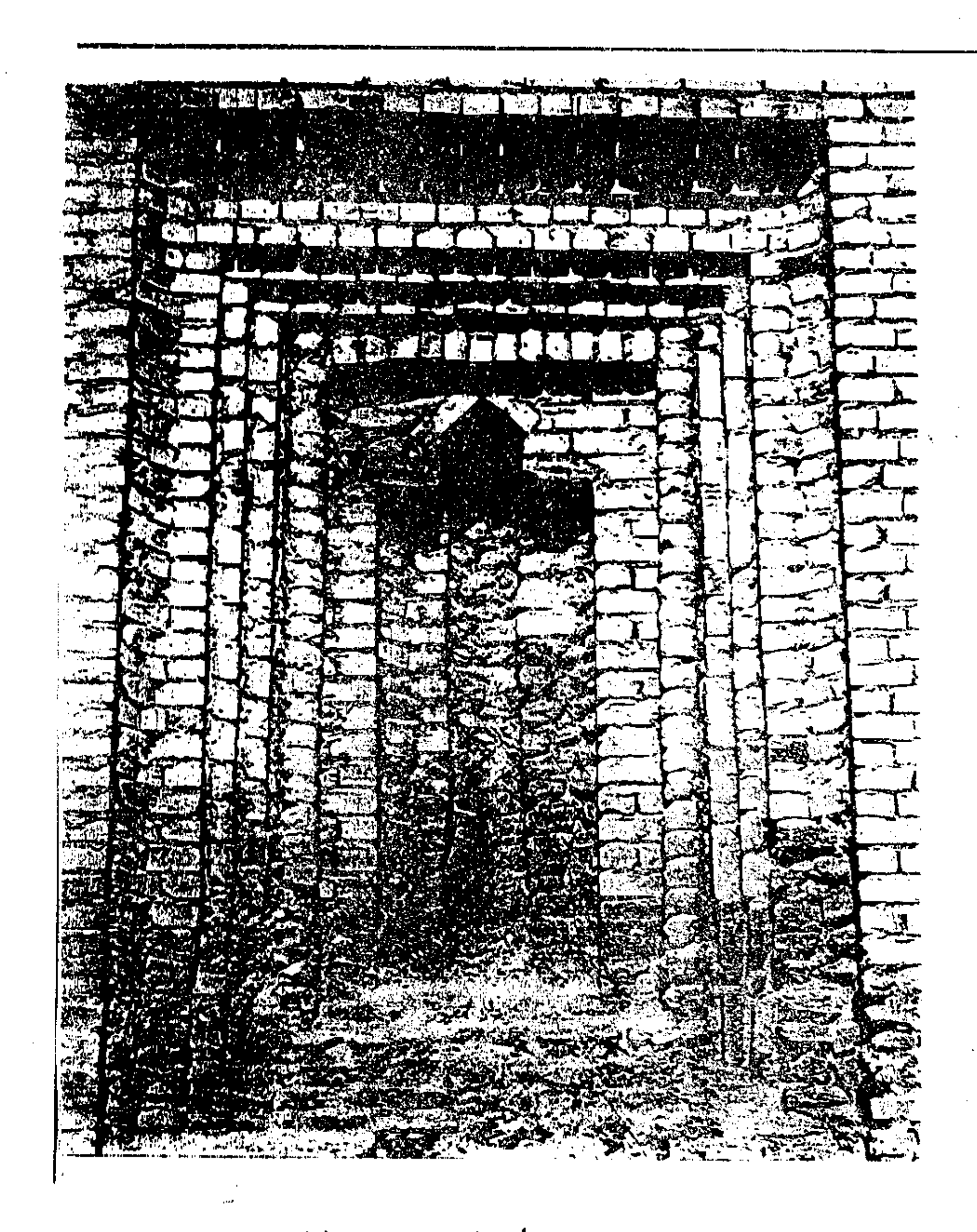
- مخطط جامع أبي دلف عن فريد شافعي



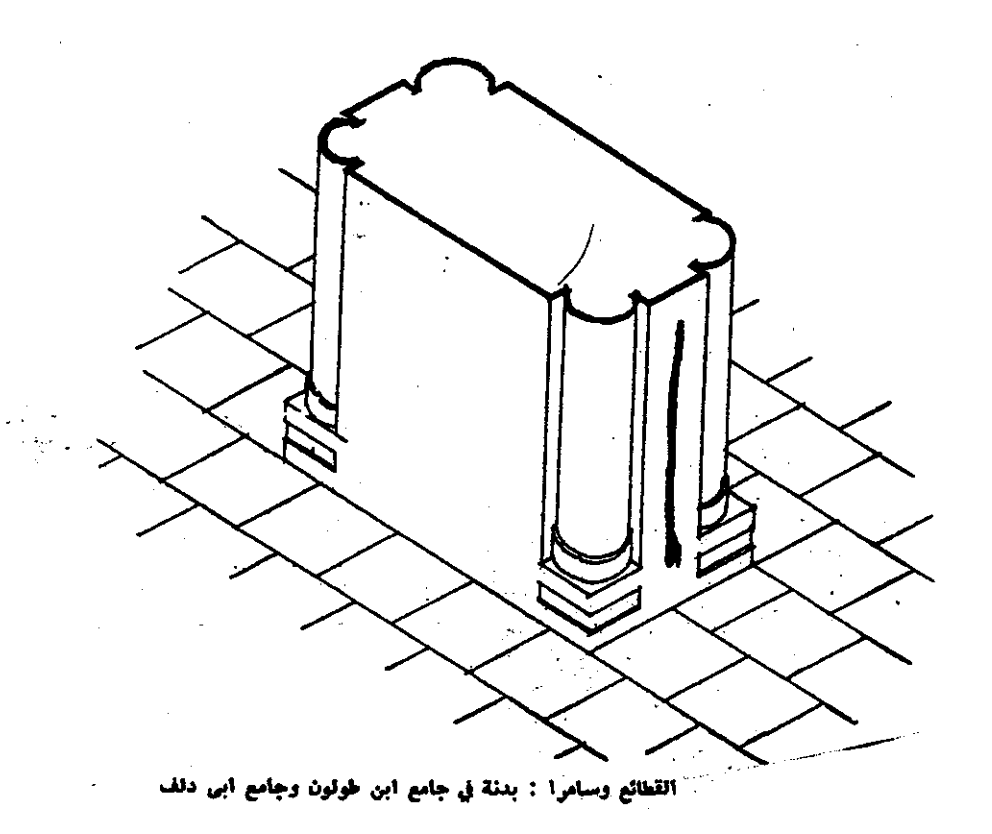
- مخطط جامع أبي دلف نقله عن Creswell Ali and fransis



- مخطط جامع أبي دلف عن Creswell

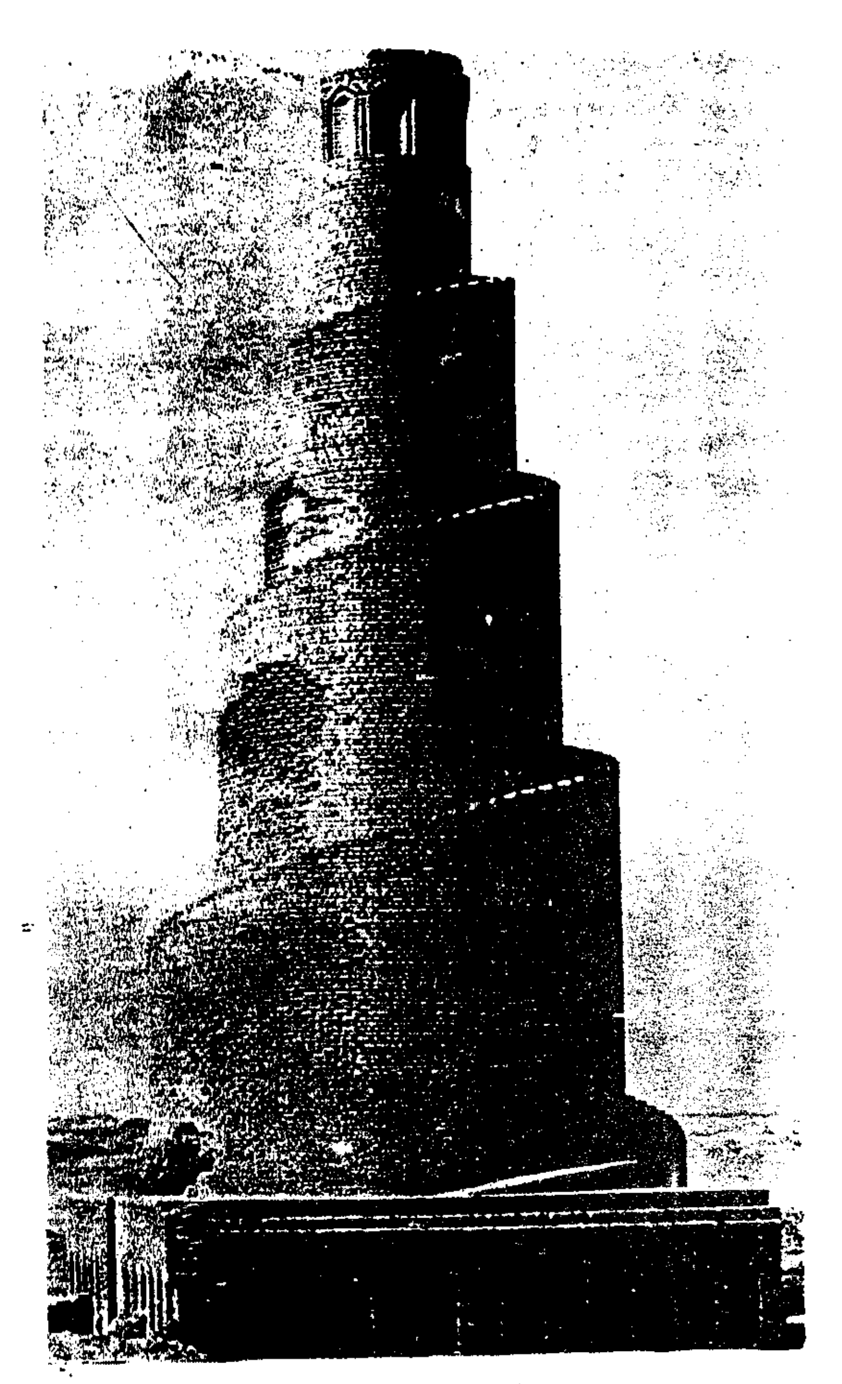


- تفاصيل من جامع أبي دلف عن عيسى سلمان

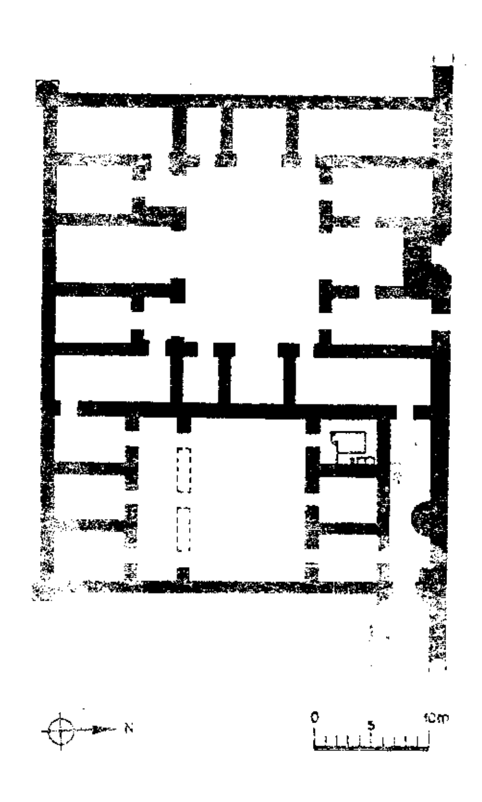


القطائع وسامرا : بدنة في جامع ابن طولون وجامع ابى دلف

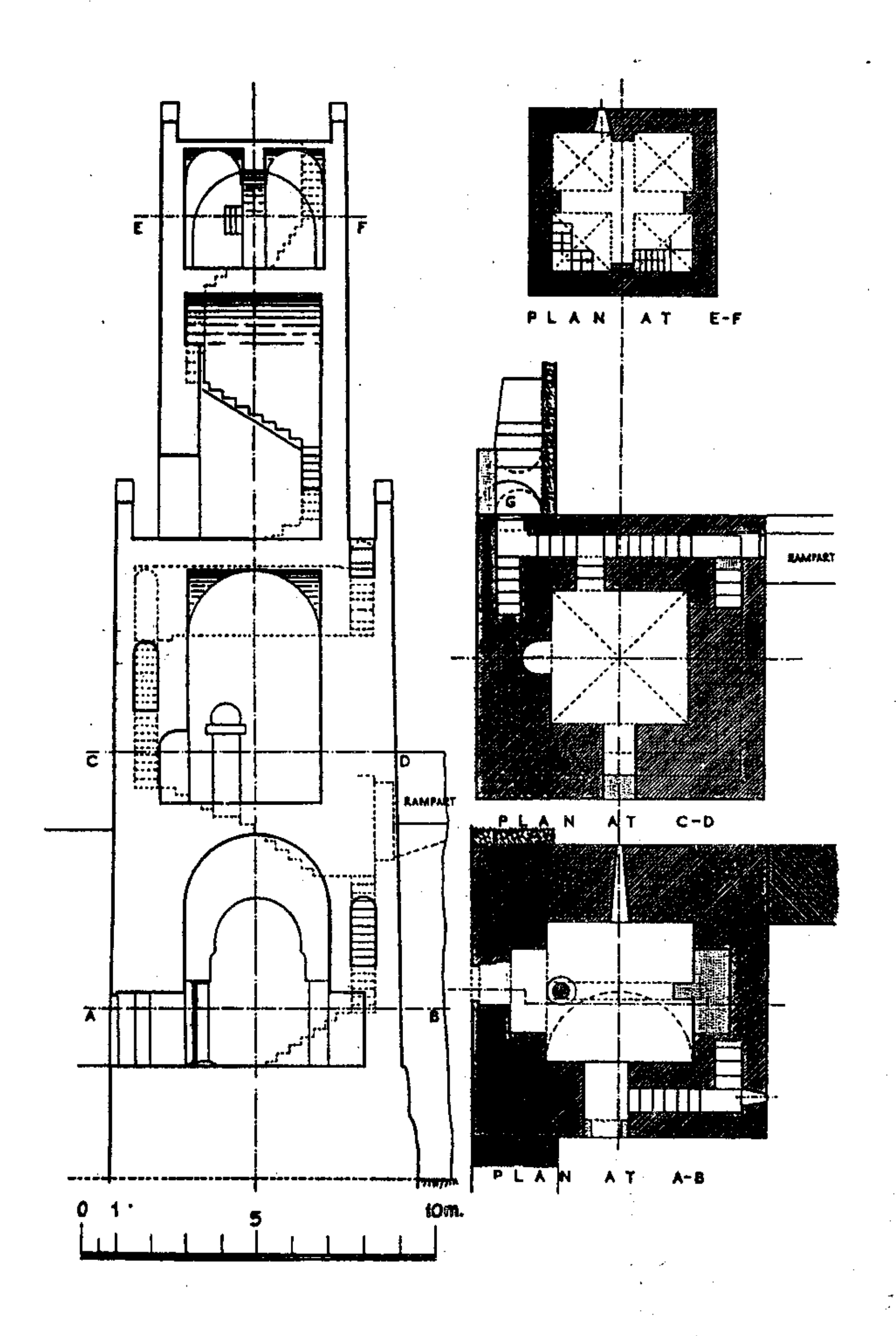
- دعامة في جامعي أبي دلف وابن طولون عن فريد شافعي



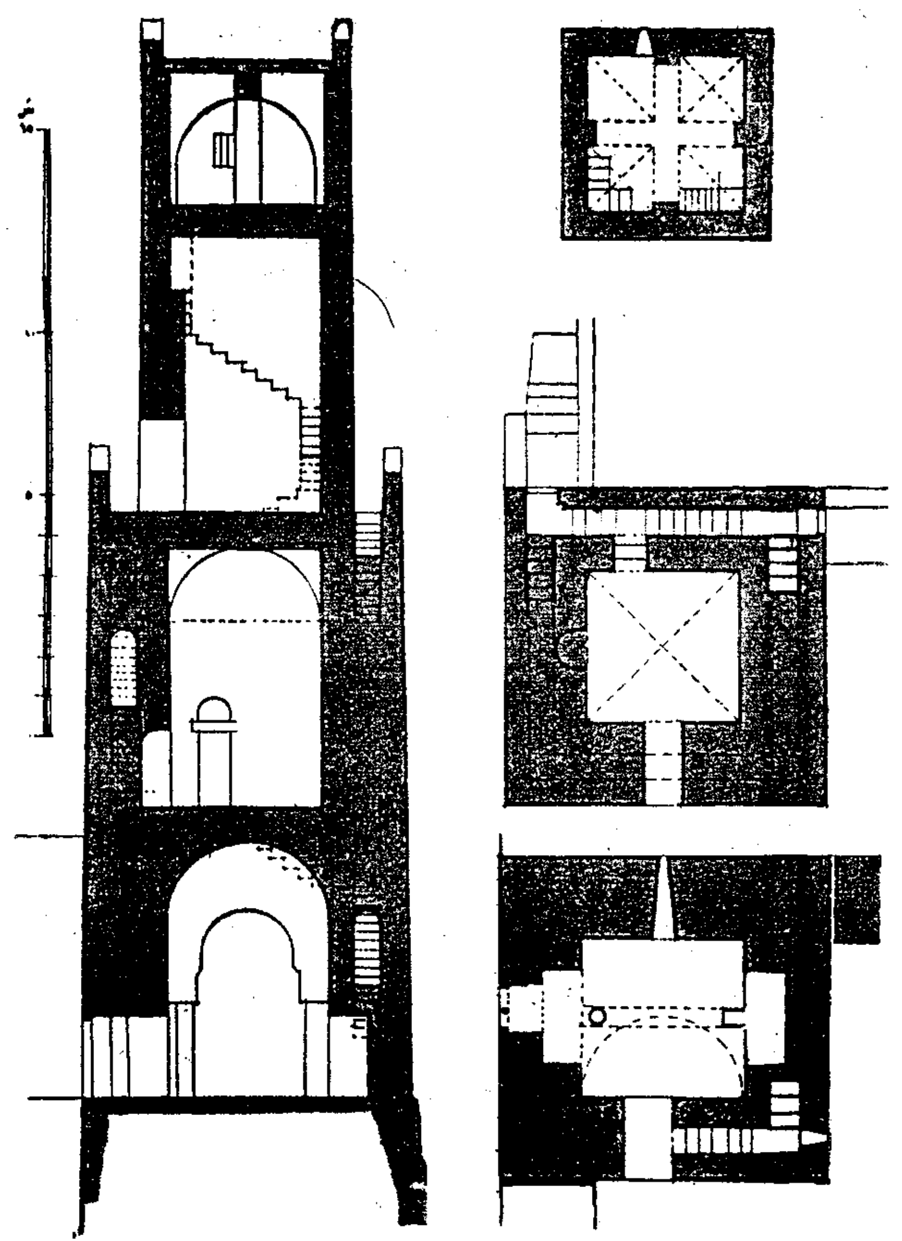
- مئذنة جامع أبي دلف عن عيسى سلمان



- المبنى الملحق بجدار القبلة بجامع أبي دلف نقله Creswell عن Fransis and Ali



- منار سوسة عن Creswell

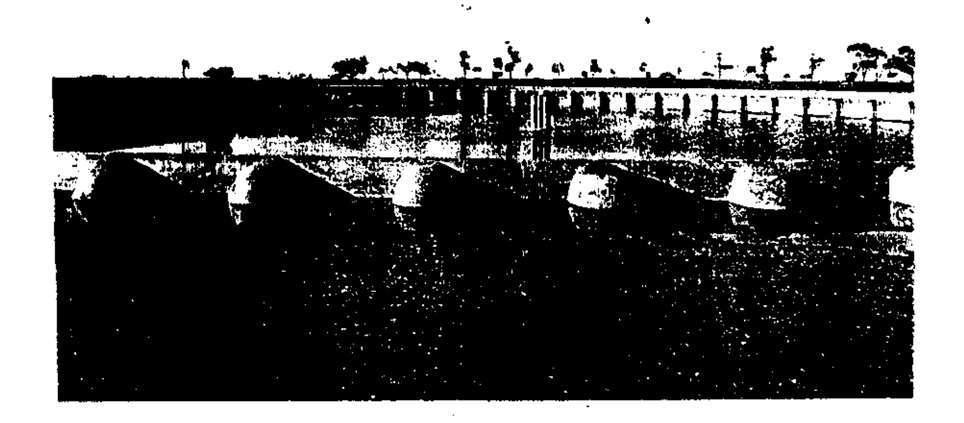


سوسة : المنار في السور حول المدينة القديمة

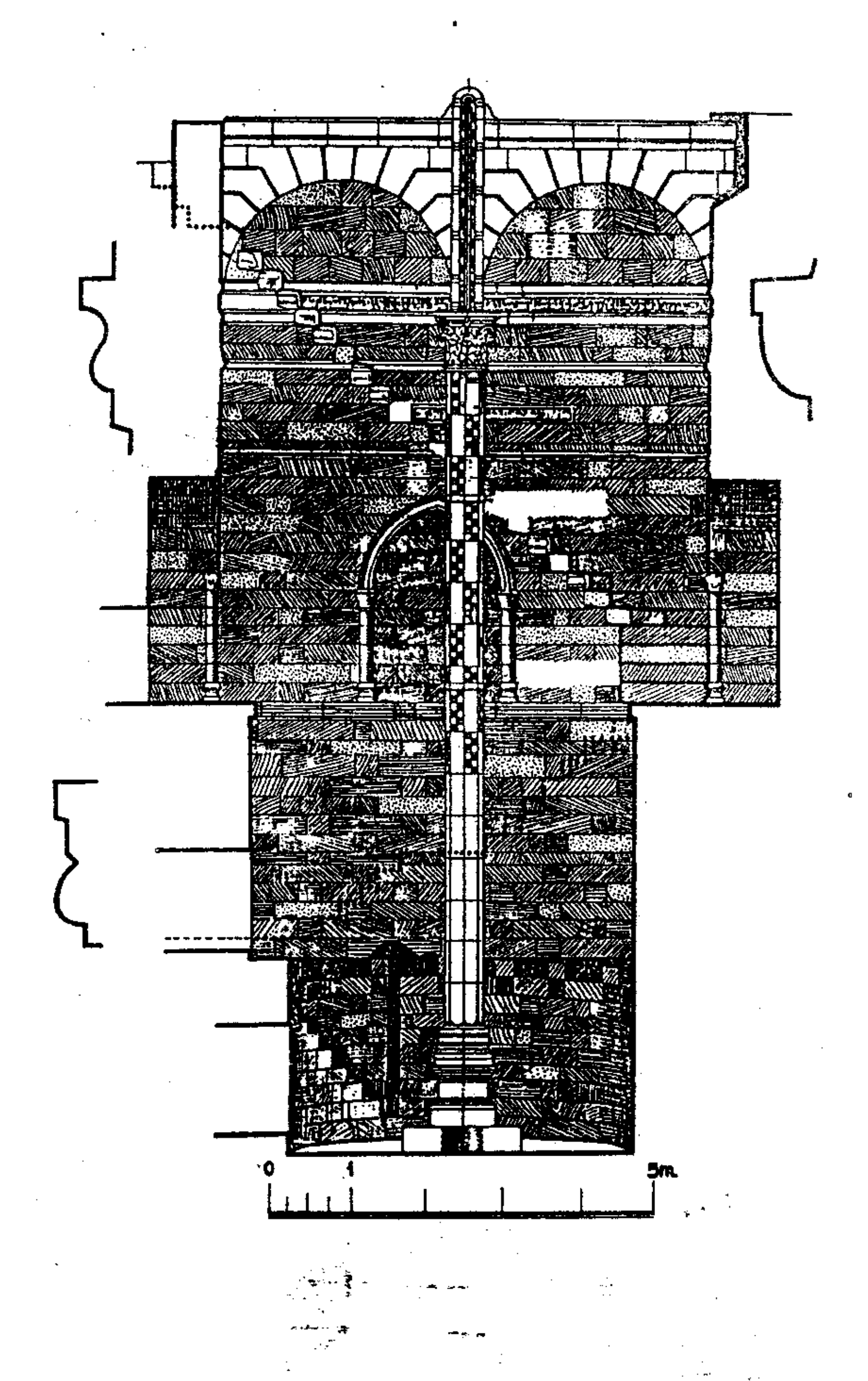
- منار سوسة عن فريد شافعي



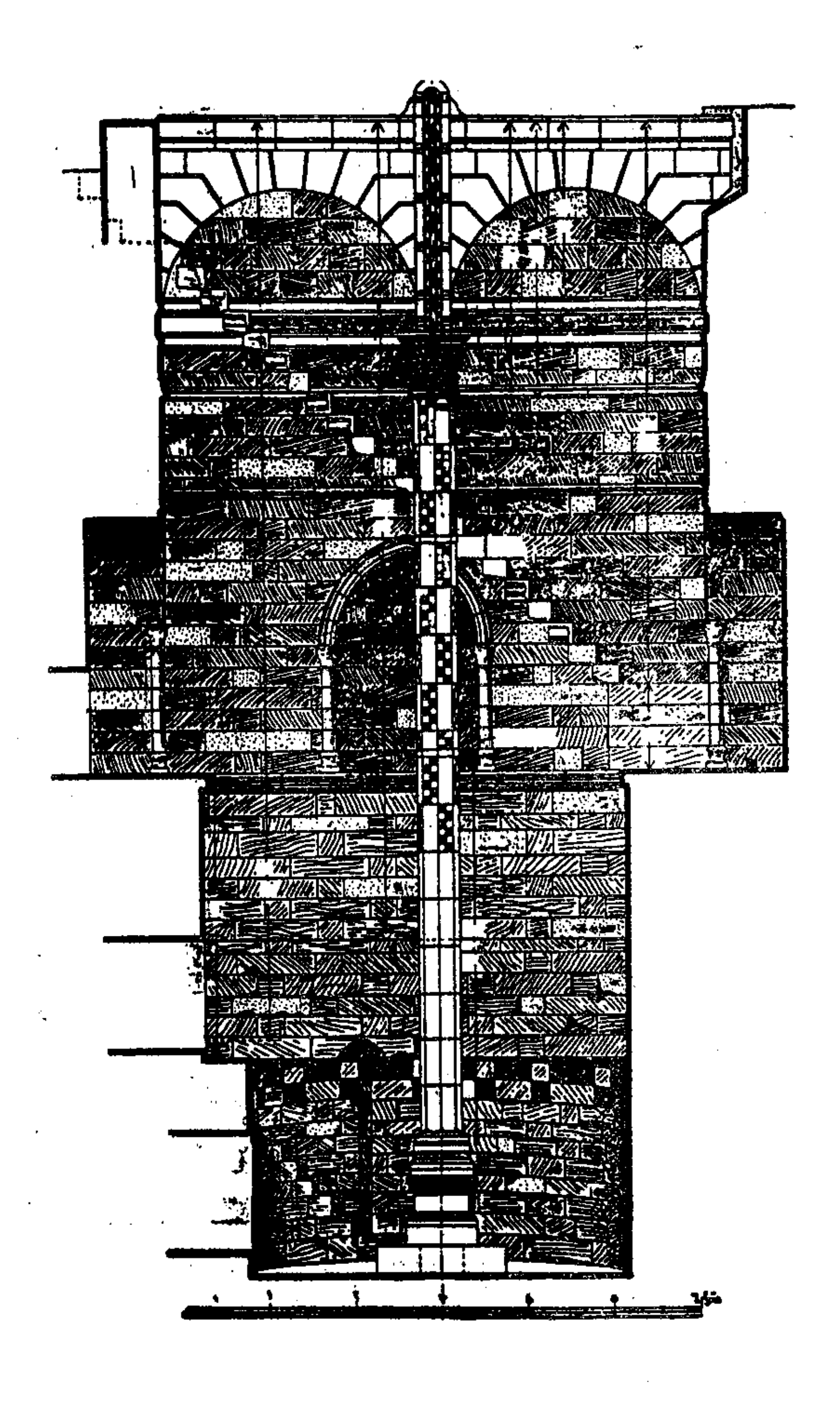
- الصهاريج الأغالبية في القيروان عن Creswell



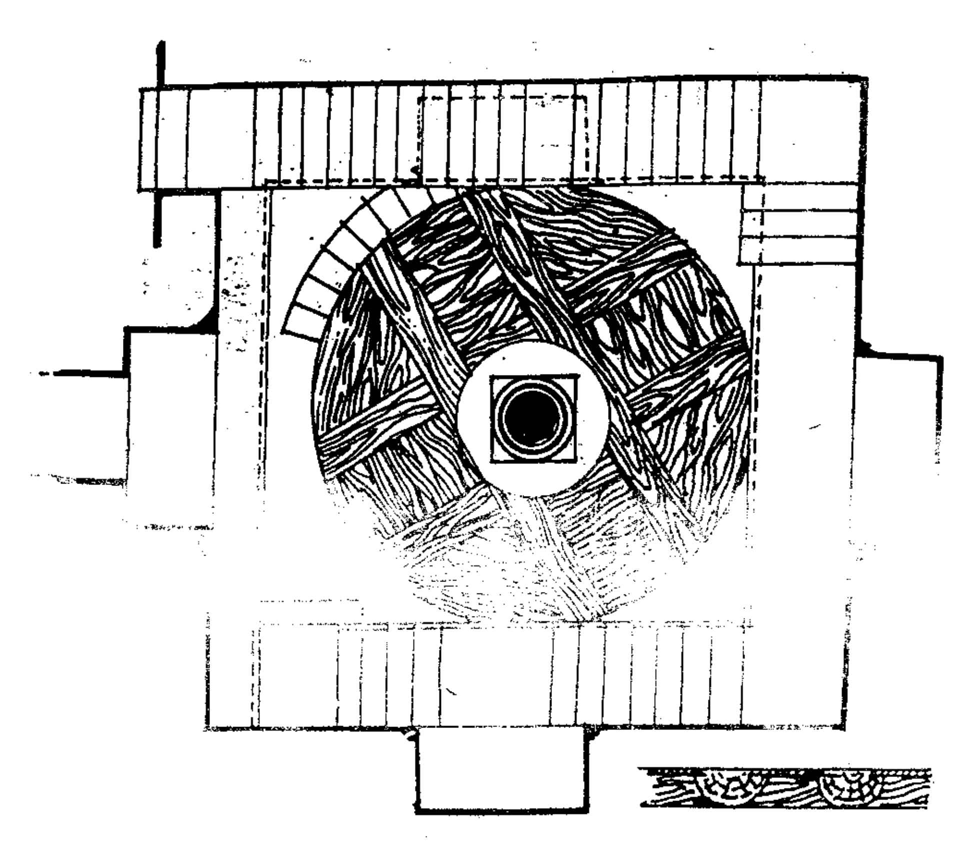
- الصهريج الكبير بالقيروان عن Creswell



- مقياس النيل بجزيرة الروضة عن Creswell

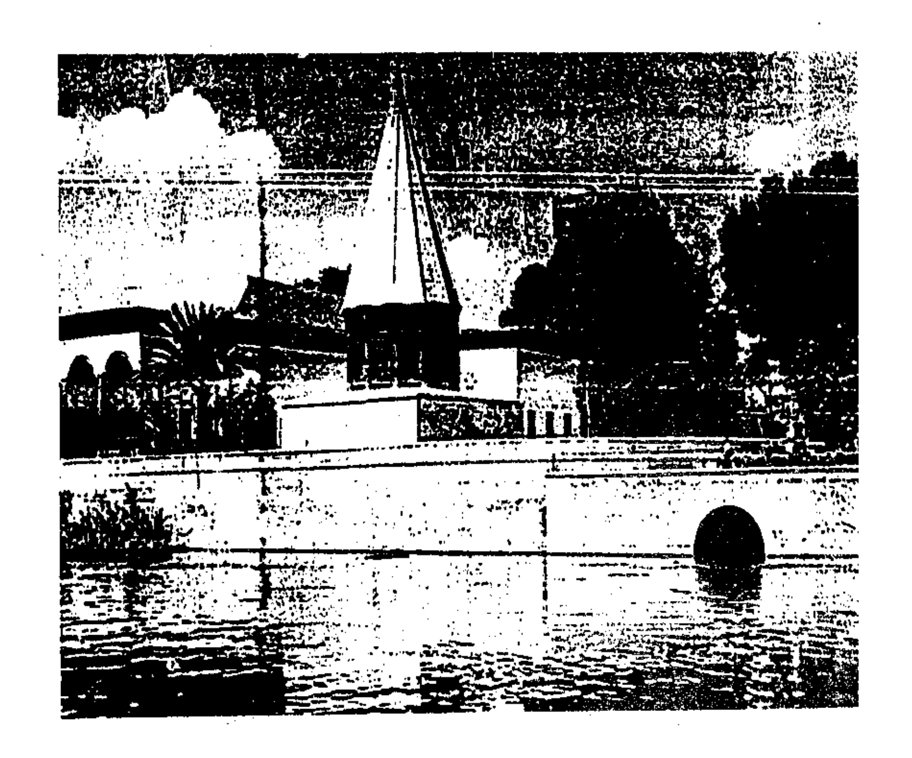


- مقياس النيل بجزيرة الروضة عن فريد شافعي

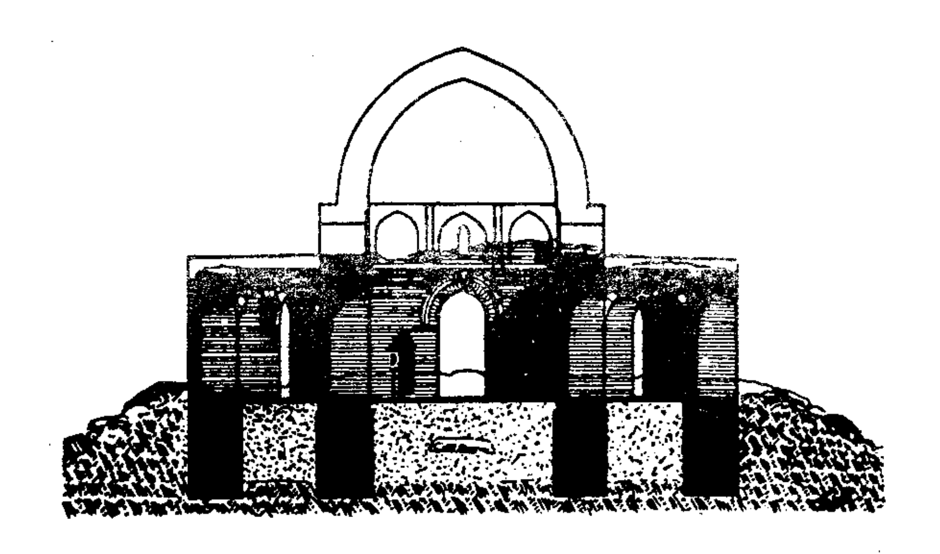


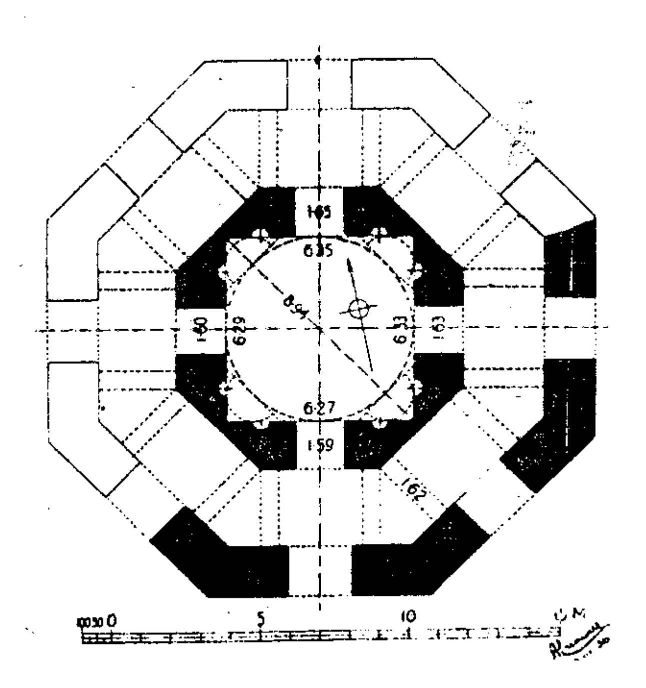
جزيرة الروضة : مقياس النيل ، مسقط البئر والطبلية وقطاع فيها

- مقياس النيل بجزيرة الروضة عن فريد شافعي

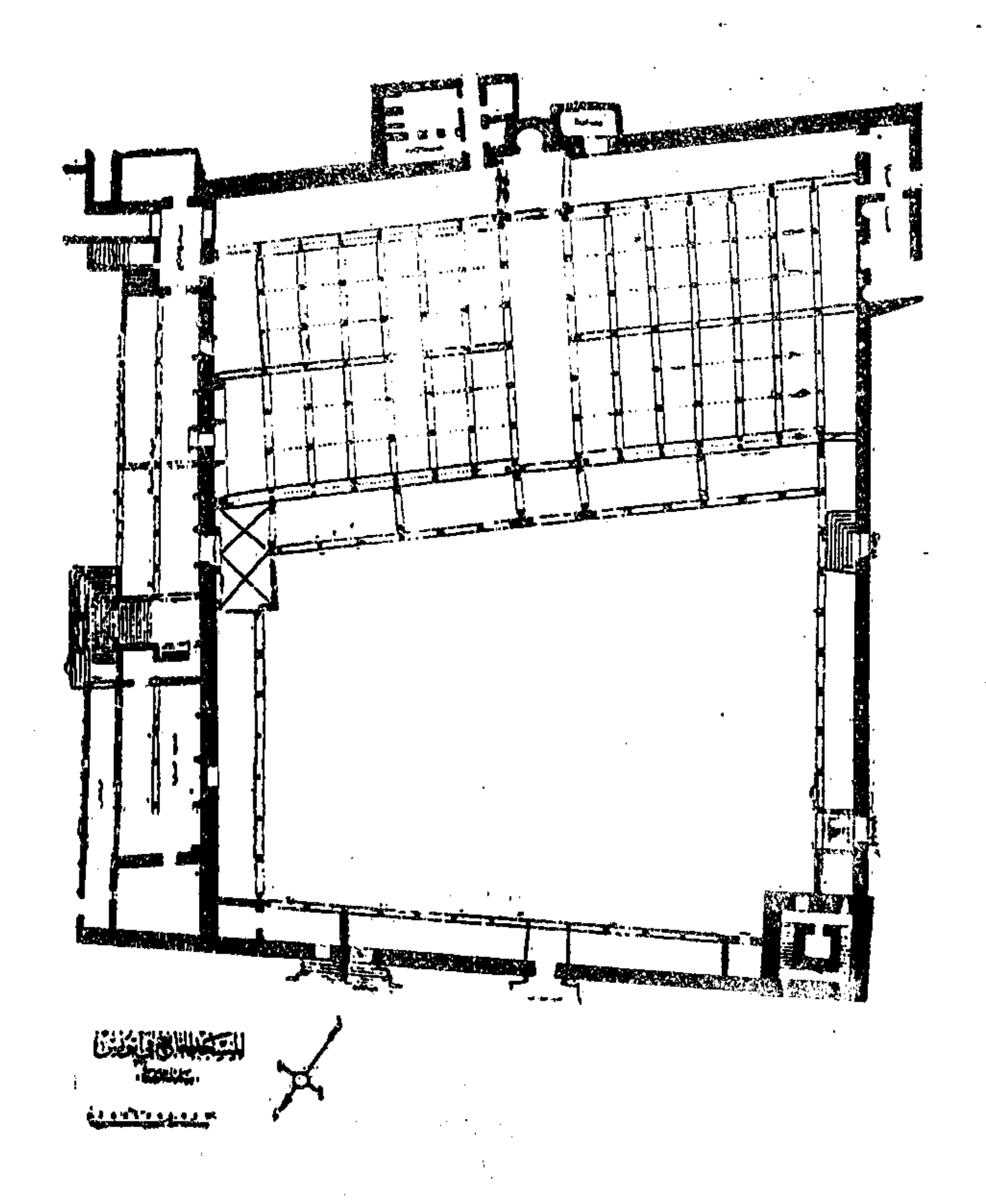


مقياس النيل بجزيرة الروضة.

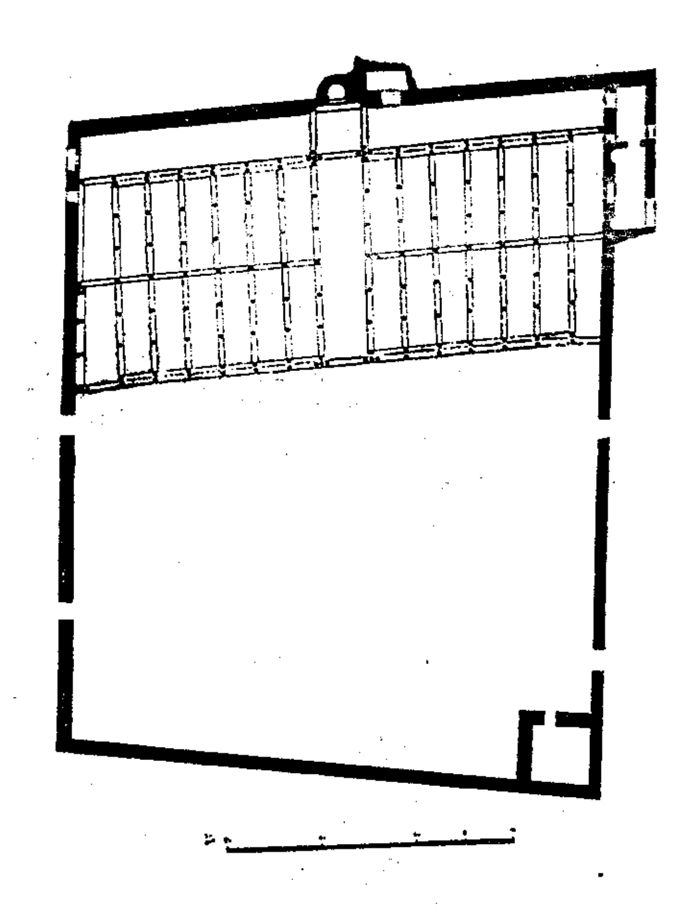




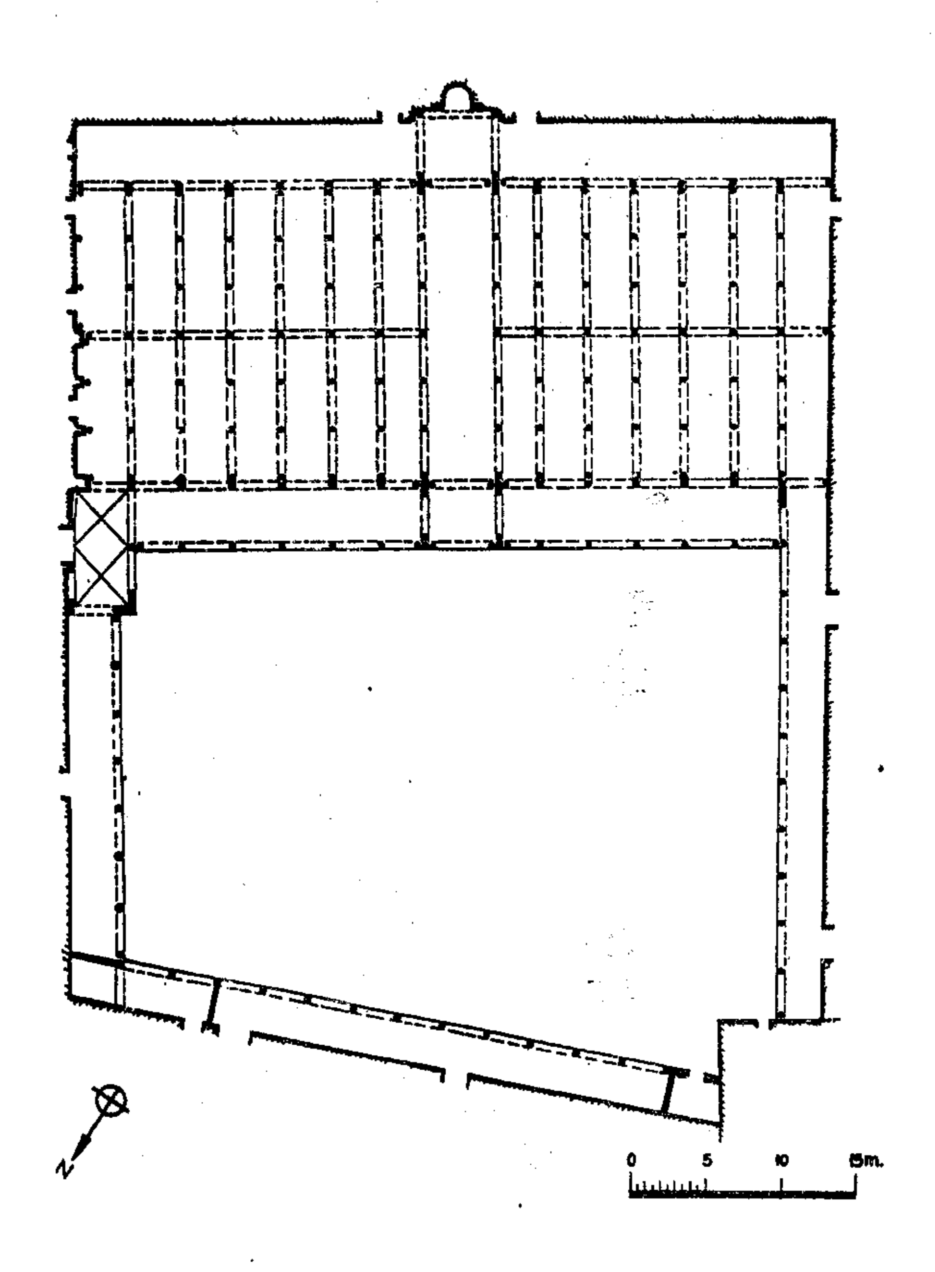
- مسقط وقطاع للقبة الصليبية عن عيسى سلمان



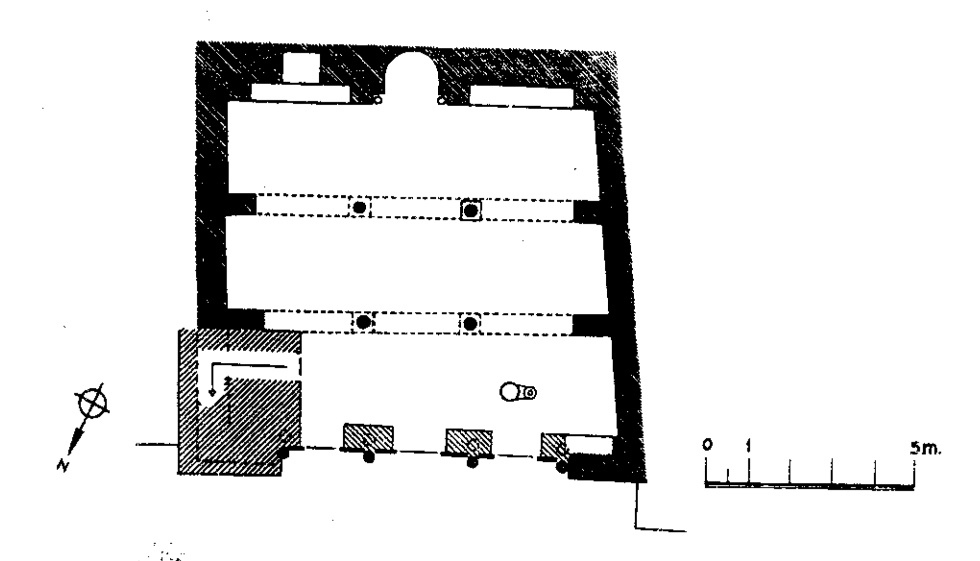
- مخطط مسجد الزيتونة الجامع في تونس عن أحمد فكري



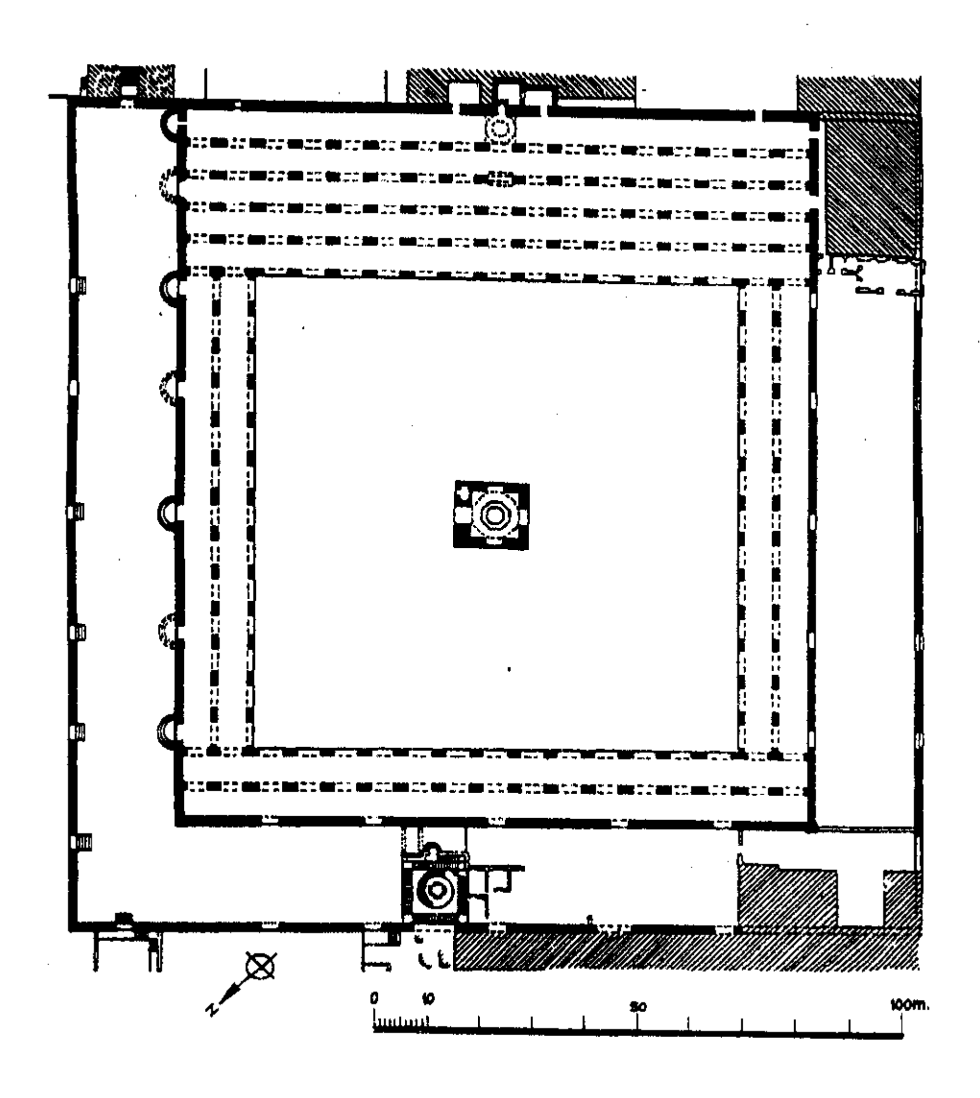
- مخطط مسجد الزيتونة الجامع في تونس في ٢٥٠هـ / ٨٦٤م عن أحمد فكري



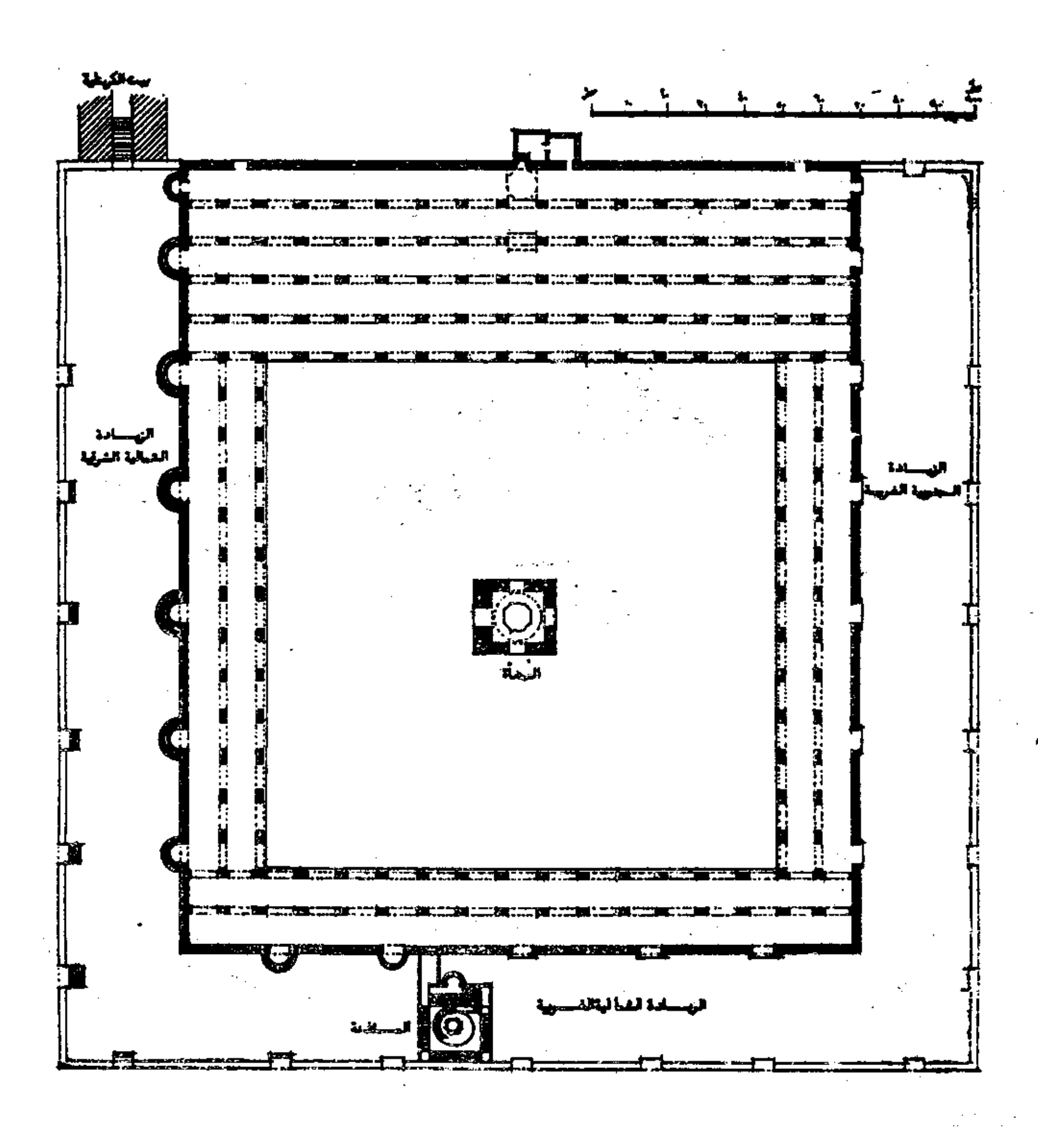
- مخطط المسجد الجامع في تونس عن Creswell



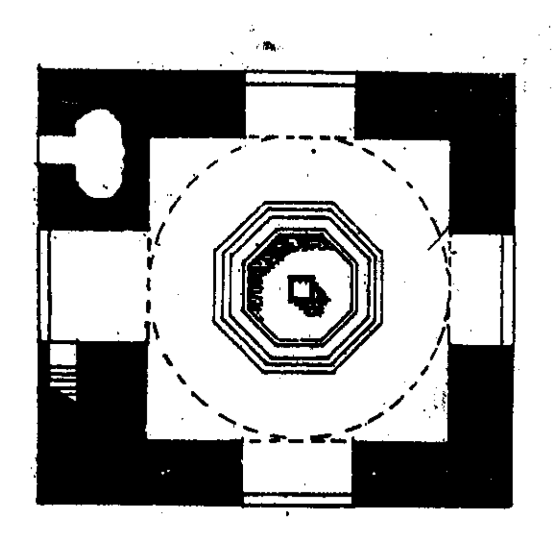
- مخطط مسجد محمد بن خيرون بالقيروان نقله Kircher عن Creswell



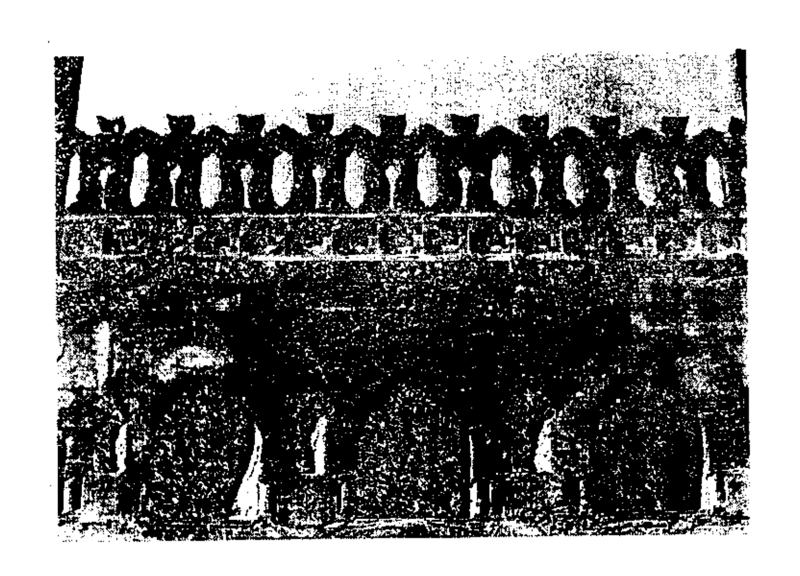
- مخطط جامع أحمد بن طولون بالقطائع عن Creswell



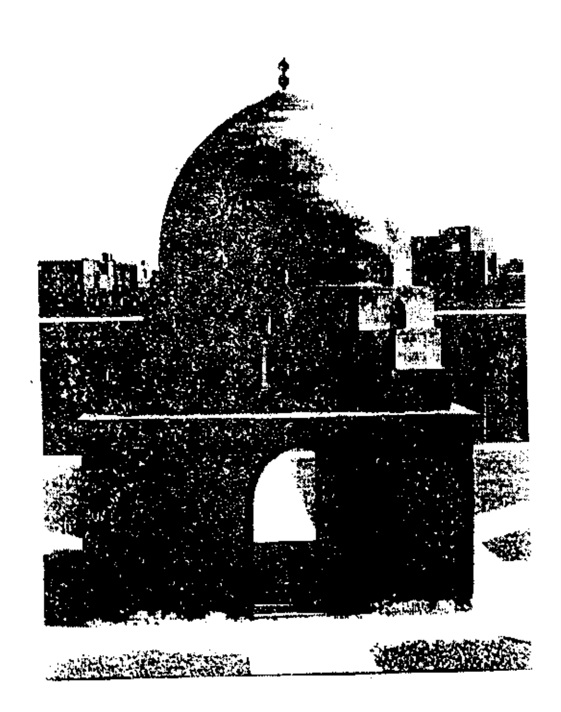
- مخطط جامع أحمد بن طولون بالقطائع عن فريد شافعي



- مخطط ميضأة جامع أحمد بن طولون بالقطائع عن فريد شافعي



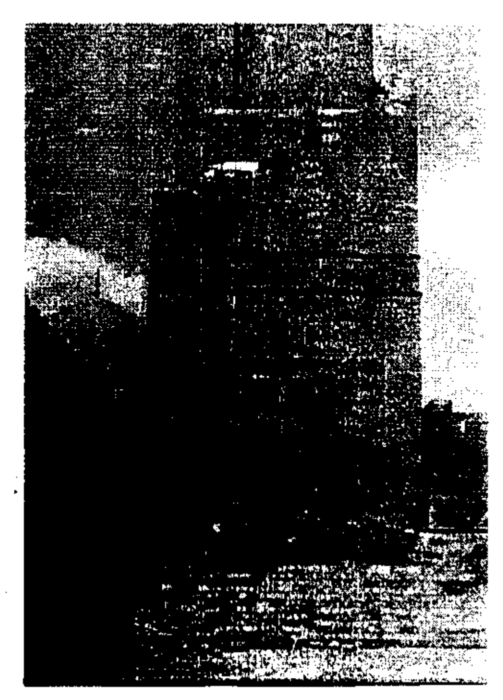
شرافات جامع أحمد بن طولون من الخارج



ميضأة أو فوارة الجامع الطولونى



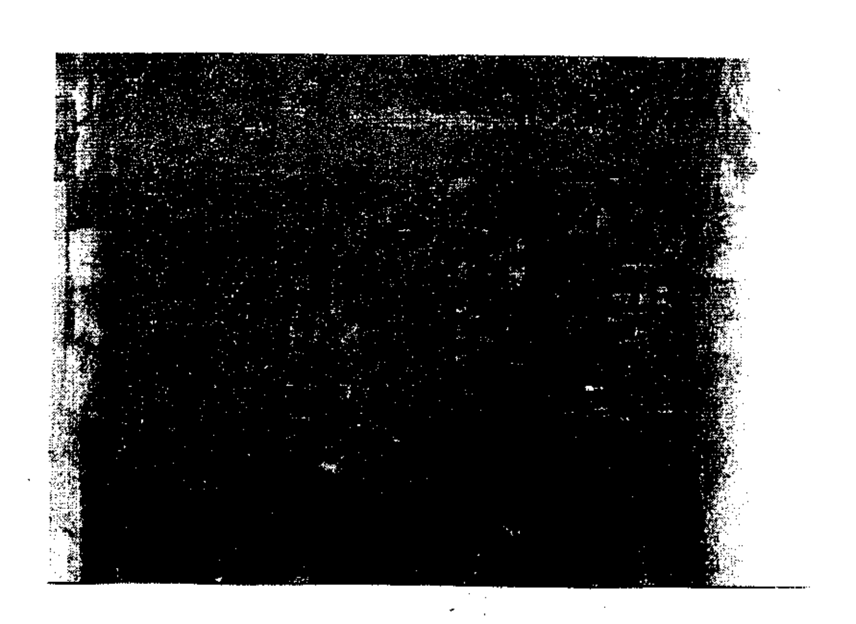
مئذنة جامع أحمد بن طولون



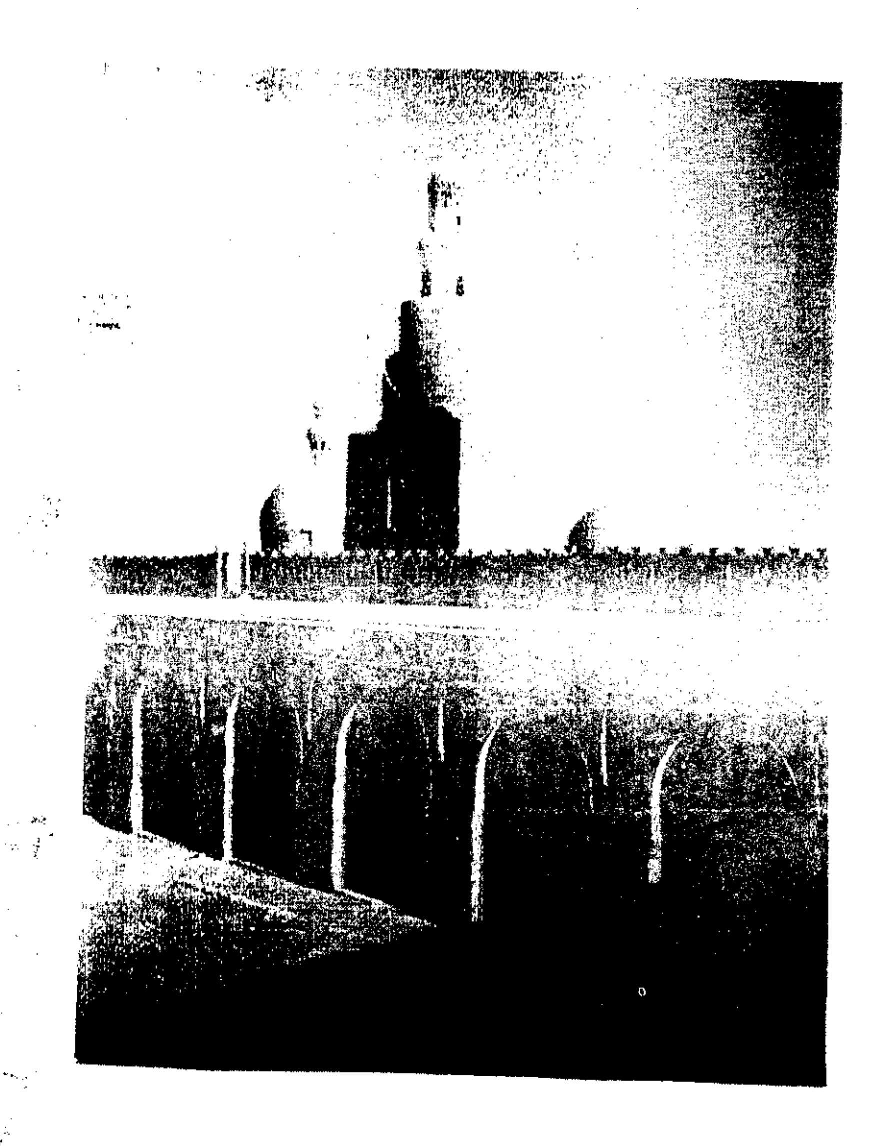
قاعدة مئذنة جامع أحمد بن طولون



الطابق الأسطوانى فى منذنة الجامع الطولونى



المعبرة من الداخل وتظهر الكوابيل المفصصة بالجامع الطولونى

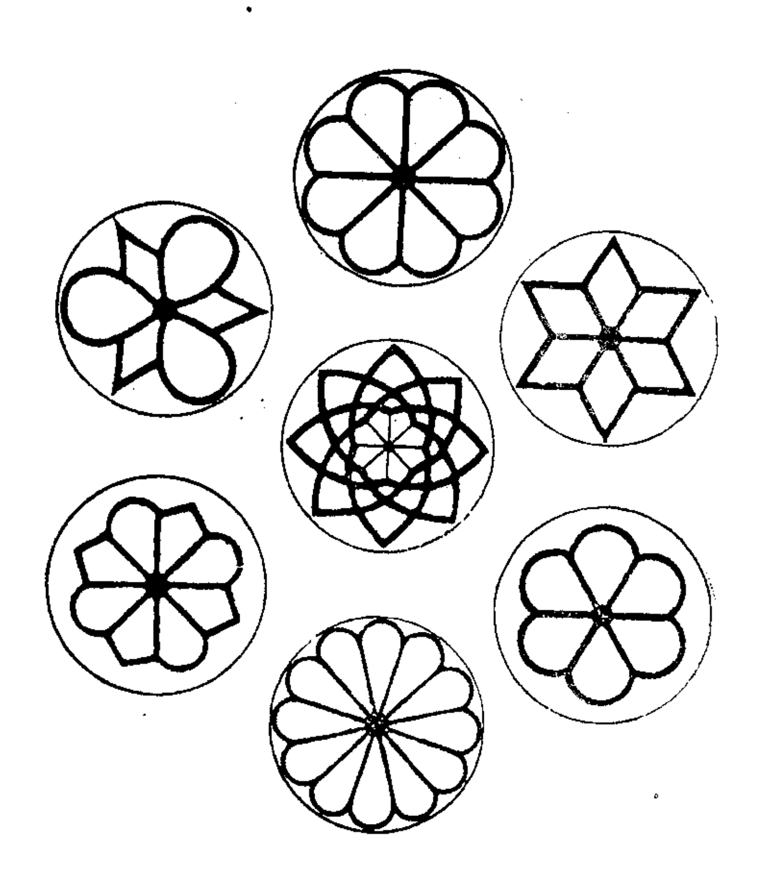


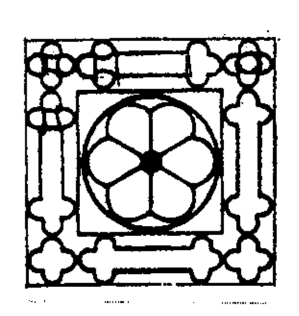
جامع احمد بن طولون (مصر)

في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين

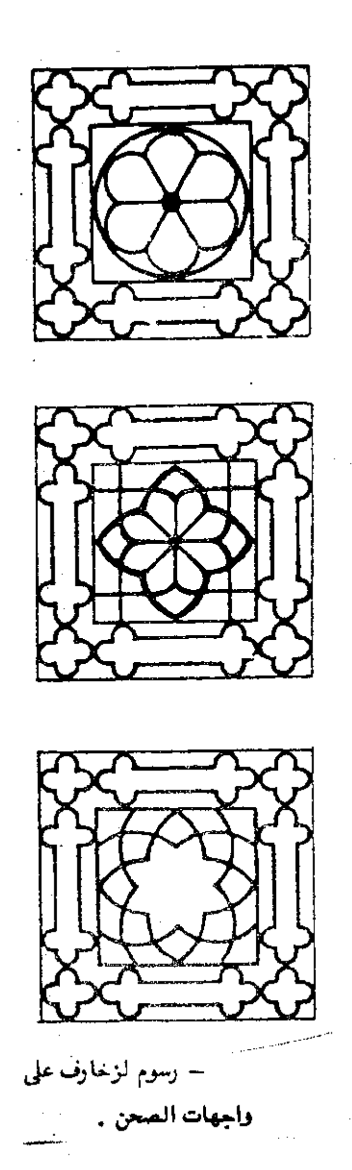
تاريخ المسجد الطولونى محفور على لوحته التأسيسية .

- تاريخ الفراغ من عمارة الجامع الطولوني عن أحمد فكري



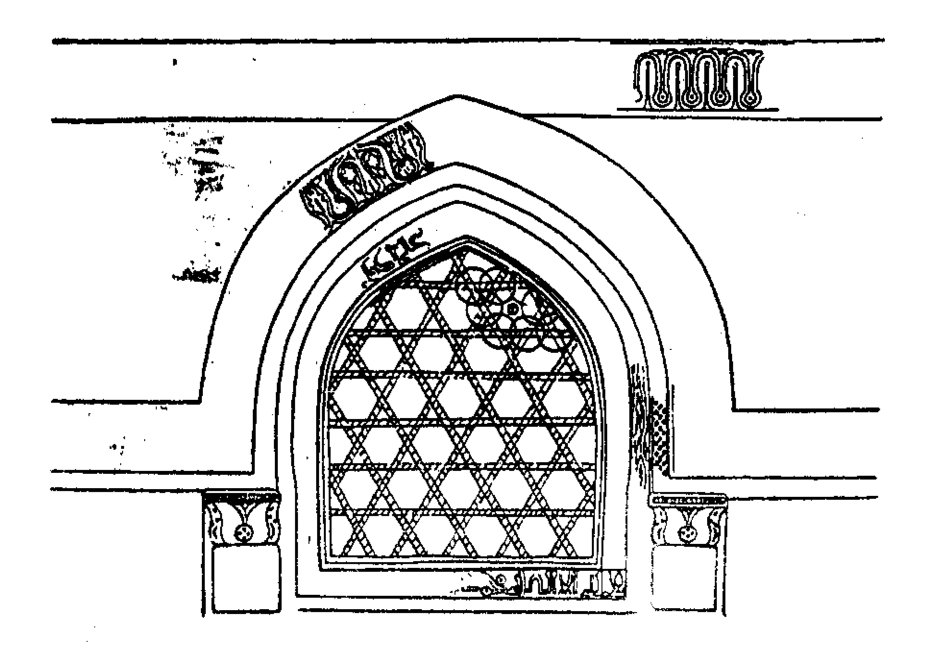


- عناصر زخرفية من الجامع الطولوني عن أحمد فكري



- رسوم لزخارف على
واجهات الصحن .

- عناصر زخرفية من الجامع الطولوني عن أحمد فكري

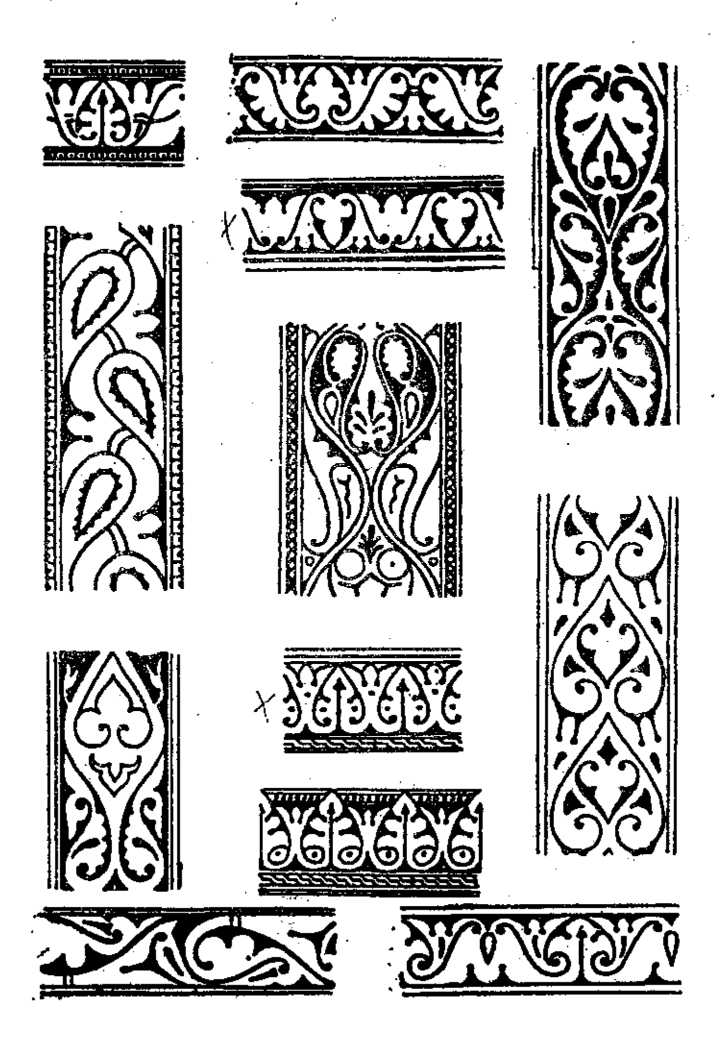


— رسم يبين نوع الزخارف على النوافذ وحولها .

- عناصر زخرفية من الجامع الطولوني عن أحمد فكري

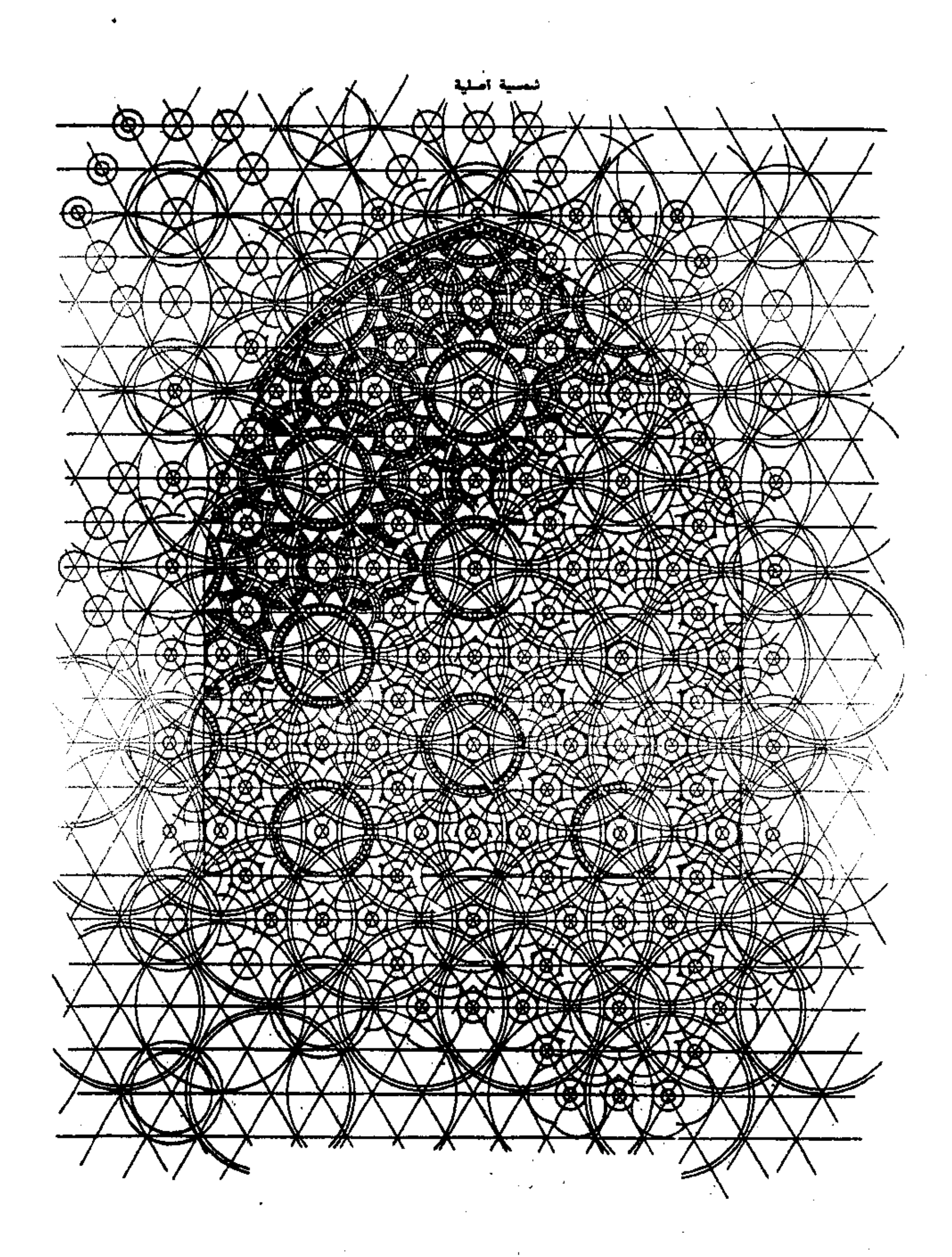


رسم من الاطارات الزخرفية .

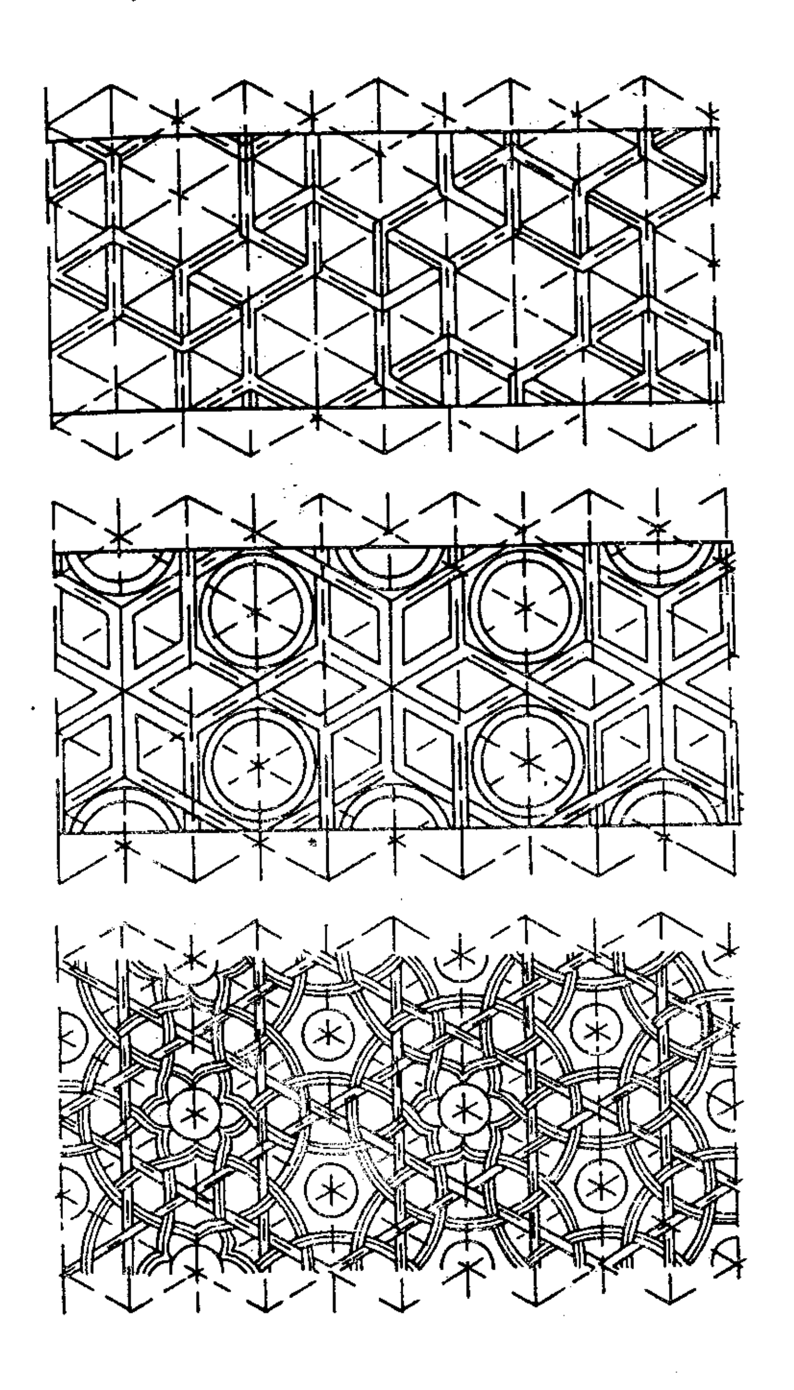


رسوم لأشكال زخرفية منوعة من التواريق فى المسجد الطولونى .

- عناصر زخرفية من الجامع الطولوني عن أحمد فكري



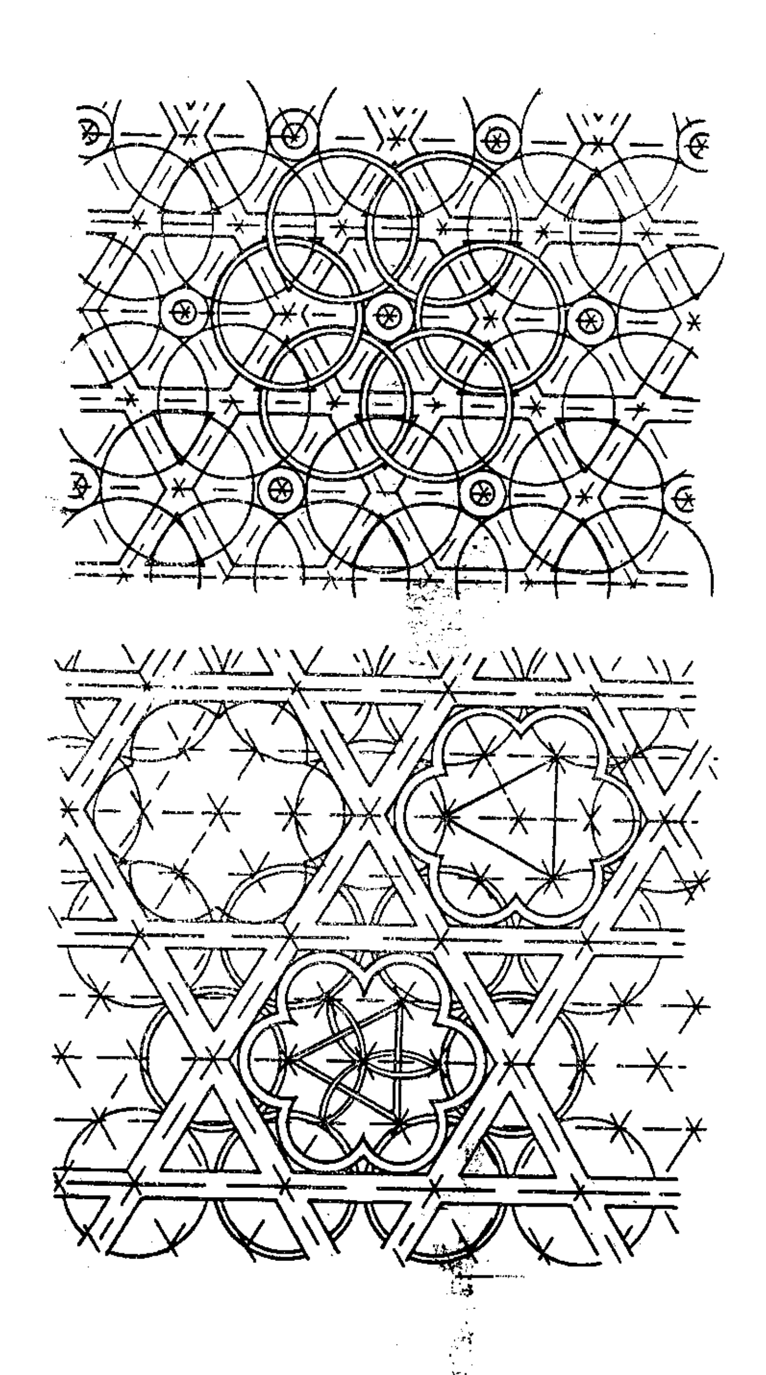
- شمسية أصلية من الجامع الطولوني عن فريد شافعي



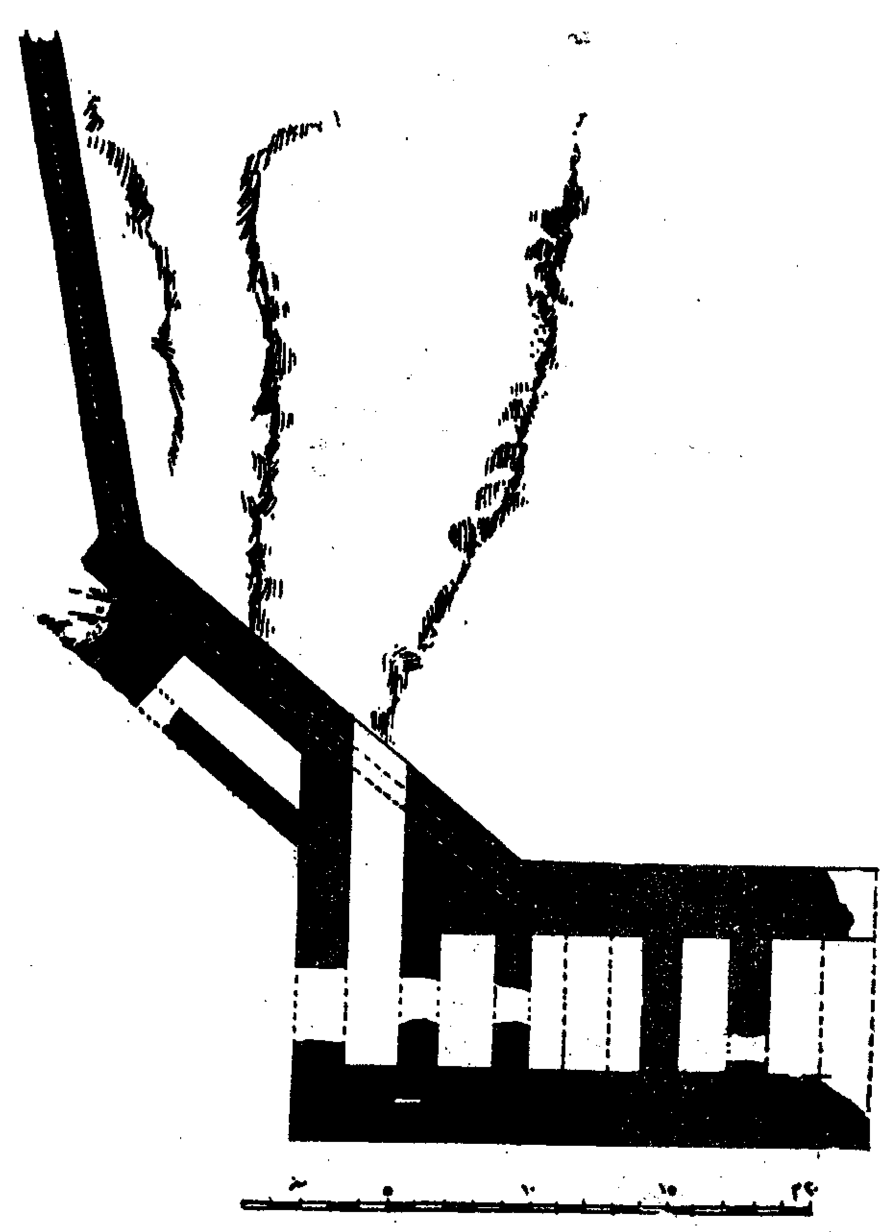
- عناصر زخرفية من الجامع الطولوني عن Creswell



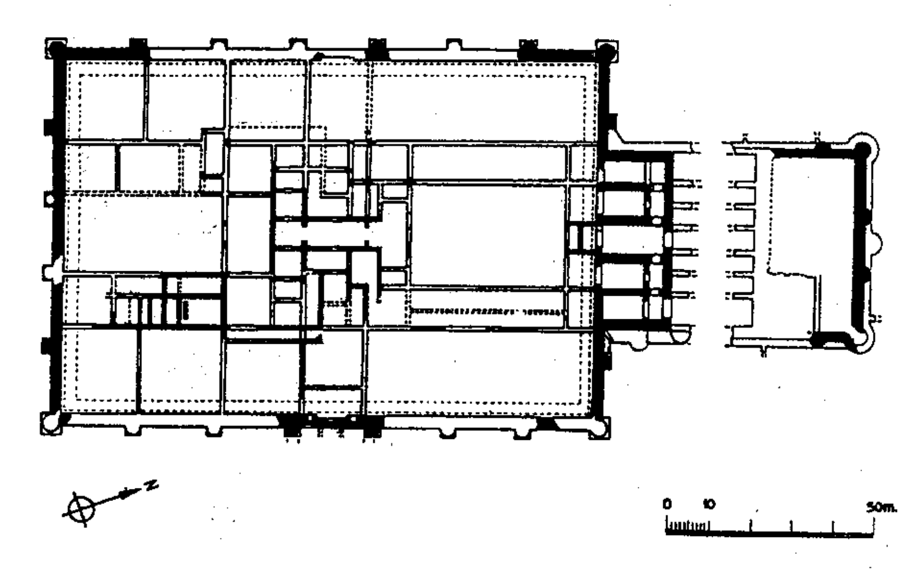
عناصر زخرفية من الجامع الطولوني عن Creswell



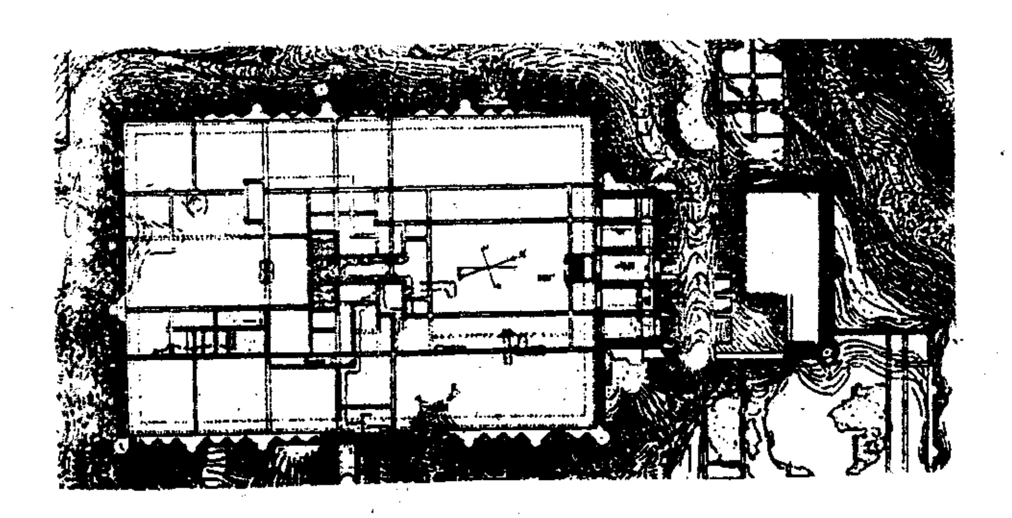
- عناصر زخرفية من الجامع الطولوني عن Creswell



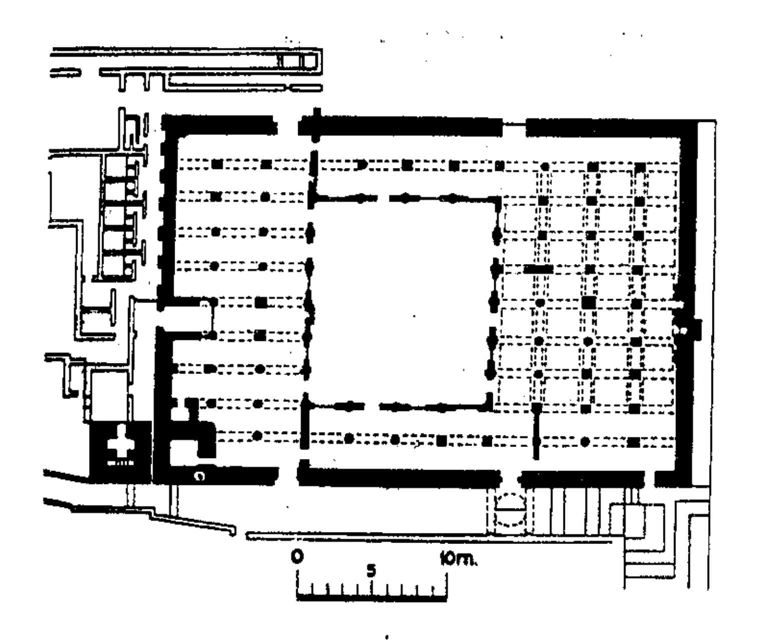
- مأخذ مياه قناطر أحمد بن طولون عن فريد شافعي



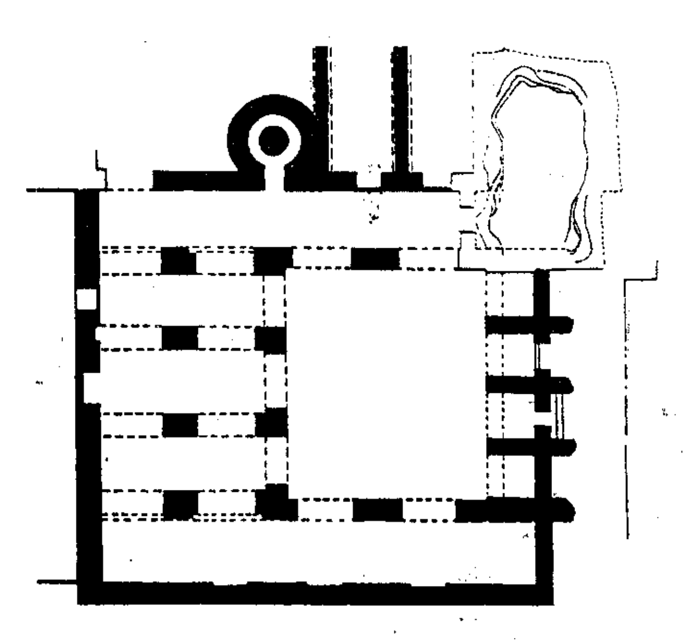
- مخطط قصر العاشق عن Creswell



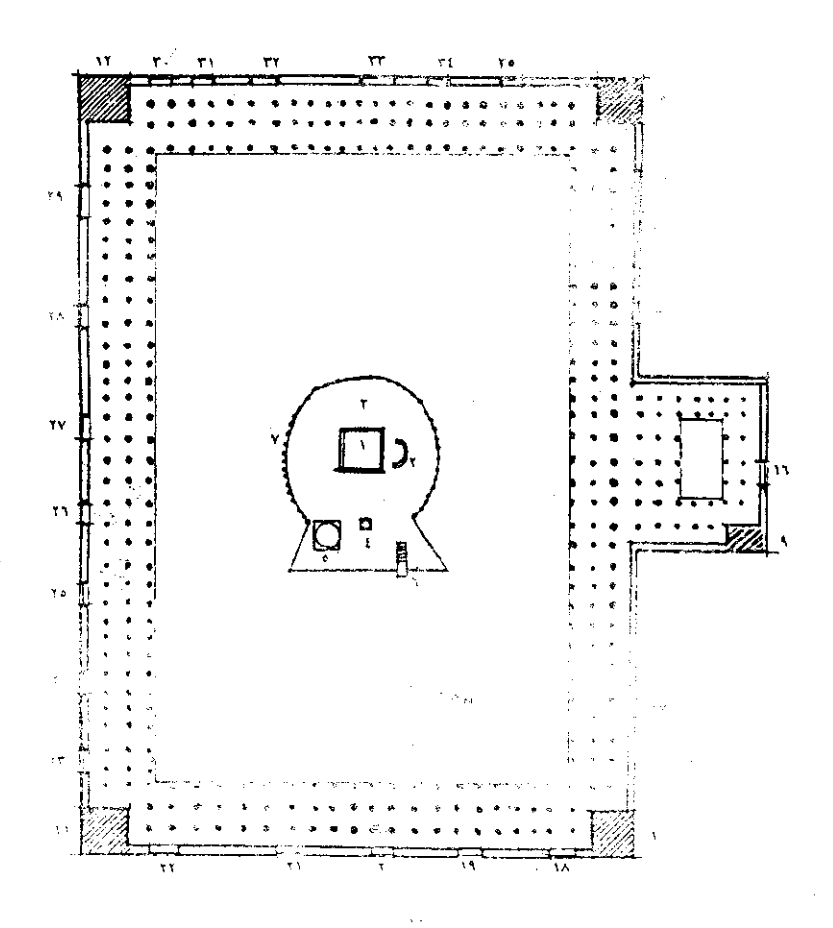
- مخطط قصر العاشق عن عيسي سلمان



- مخطط مسجد الجمعة في شيبام باليمن عن Creswell



مخطط مسجد الجمعة فى كرمان عن Creswell



مسقط أفقي تخيلي للمسجد الحرام بعد زيادة دار الندوة وإدخالها في المسجد في عهد الخليفة العباسي المعتضد سنة ٢٨٤ هـ

(١) الكعبة — (٢) حجر إسماعيل — (٣) المطاف — (٤) مقام إبراهيم

(٥) زمزم — (٦) منبر — (٧) الأعمدة حول المطاف لحمل المصابيح — (٨) منارة بني سهم

(٩) منارة باب الزيادة — (١٠) منارة أبي الحجاج — (١١) منارة المكين — (١٢) منارة الحزورة

(١٣) باب عمرو بن العاص — (١٤) باب الباسطية — (١٥) باب دار العجلة — (١٦) باب الزيادة

(١٧) باب شيبة — (١٨) باب بني شيبة — (١٩) باب دار القوارير — (٢٠) باب النبي ﷺ

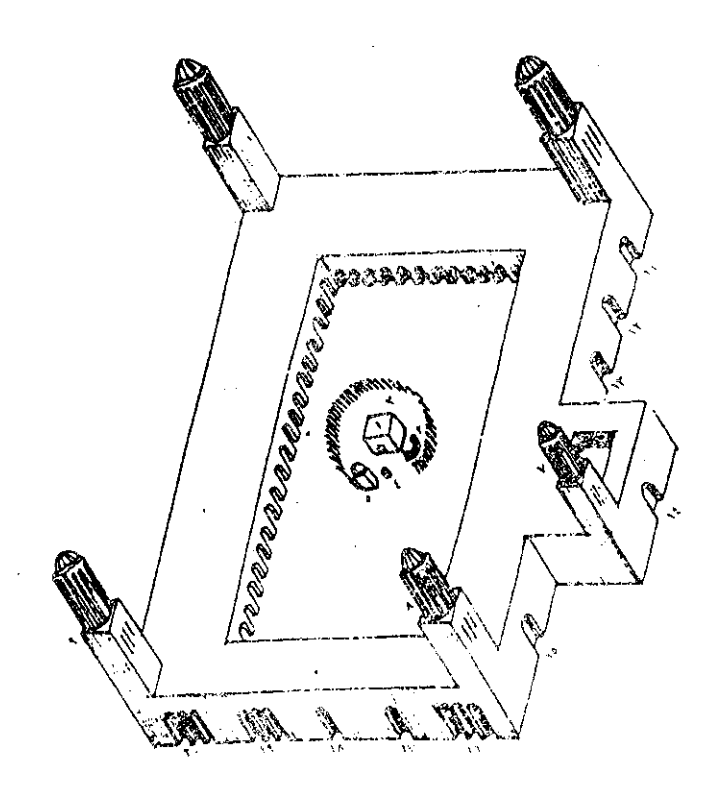
(٢١) باب العباسي — (٢٢) باب علي — (٢٣) باب بني عائذ — (٢٤) باب بني سفيان

(٢٥) باب الصفا — (٢٦) باب بني مخزوم — (٢٧) باب بني تميم — (٢٨) باب أم هانئ

(٢٩) باب بني حكيم — (٣٠) باب الخياطين — (٣١) باب بني جمح — (٣٢) باب أبي البختري

(٣٣) باب زبيدة — (٣٤) باب بني سهم

- مسقط أفقي تخيلي للمسجد الحرام في عهد المعتضد عن أحمد رجب



منظور تخيلي للمسجد الحرام بعد إدخال دار الندوة فيه في عهد الخليفة العباسي المعتضد سنة ٢٨٤ هـ .

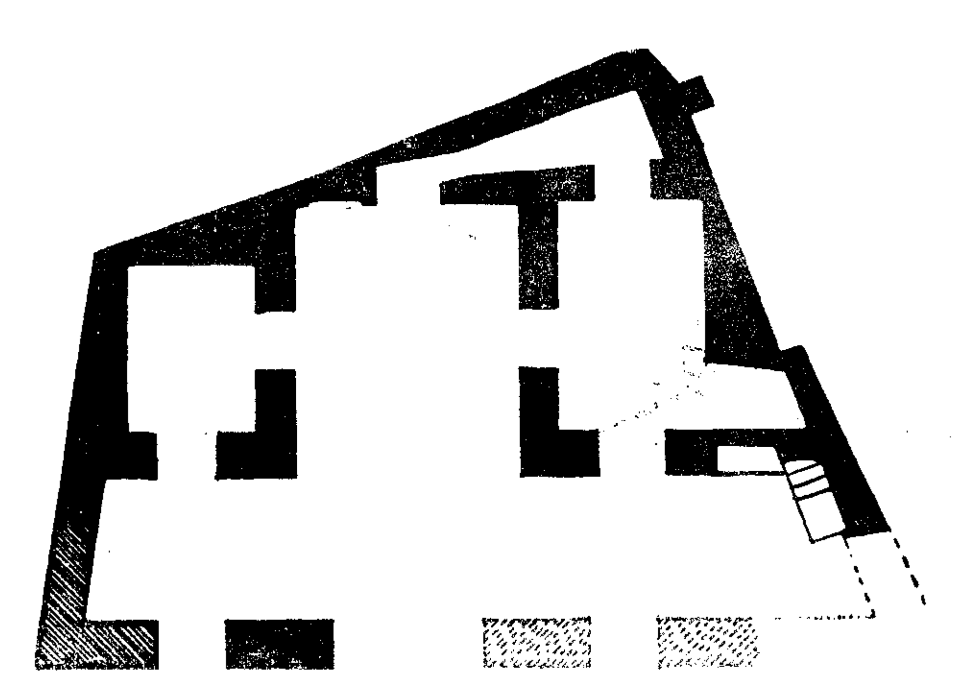
(١) الكعبة (٢) حجر إسماعيل (٣) المطاف (٤) مقام إبراهيم
(٥) بئر زمزم (٦) منارة بني سهم (٧) منارة باب الزيادة (٨) منارة أبي الحجاج الخرساني
(٩) منارة المكيين (١٠) منارة الحزورة (١١) باب عمرو بن العاص (١٢) باب السدة
(١٣) باب دار العجلة (١٤) باب الزيادة (١٥) باب شيبة بن عثمان (١٦) باب بني شيبة
(١٧) باب القوارير (١٨) باب النبي ﷺ (١٩) باب العباسي (٢٠) باب علي «بني هاشم»

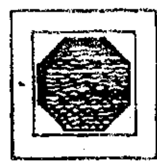
- منظور تخيلي للمسجد الحرام في عهد المعتضد عن أحمد رجب



الفسطاط خريطة المنطقة التى جرت فيها حفائر على بهجت وجابرييل (من ١٩١٢ - ١٩٢٠)

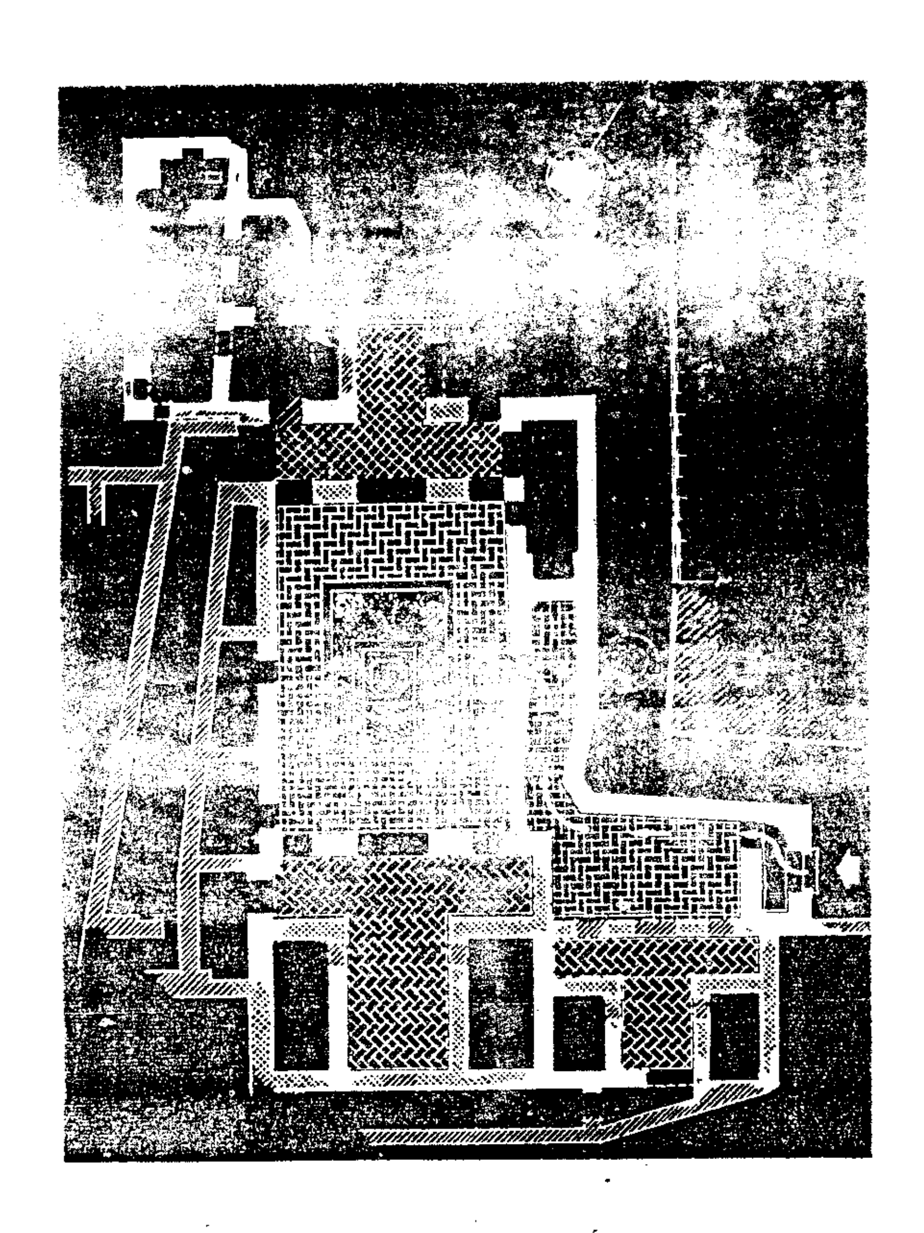
- حفائر الفسطاط وخريطة المنطقة عن فريد شافعي







- مخطط البيت الطولوني الأول عن فريد شافعي

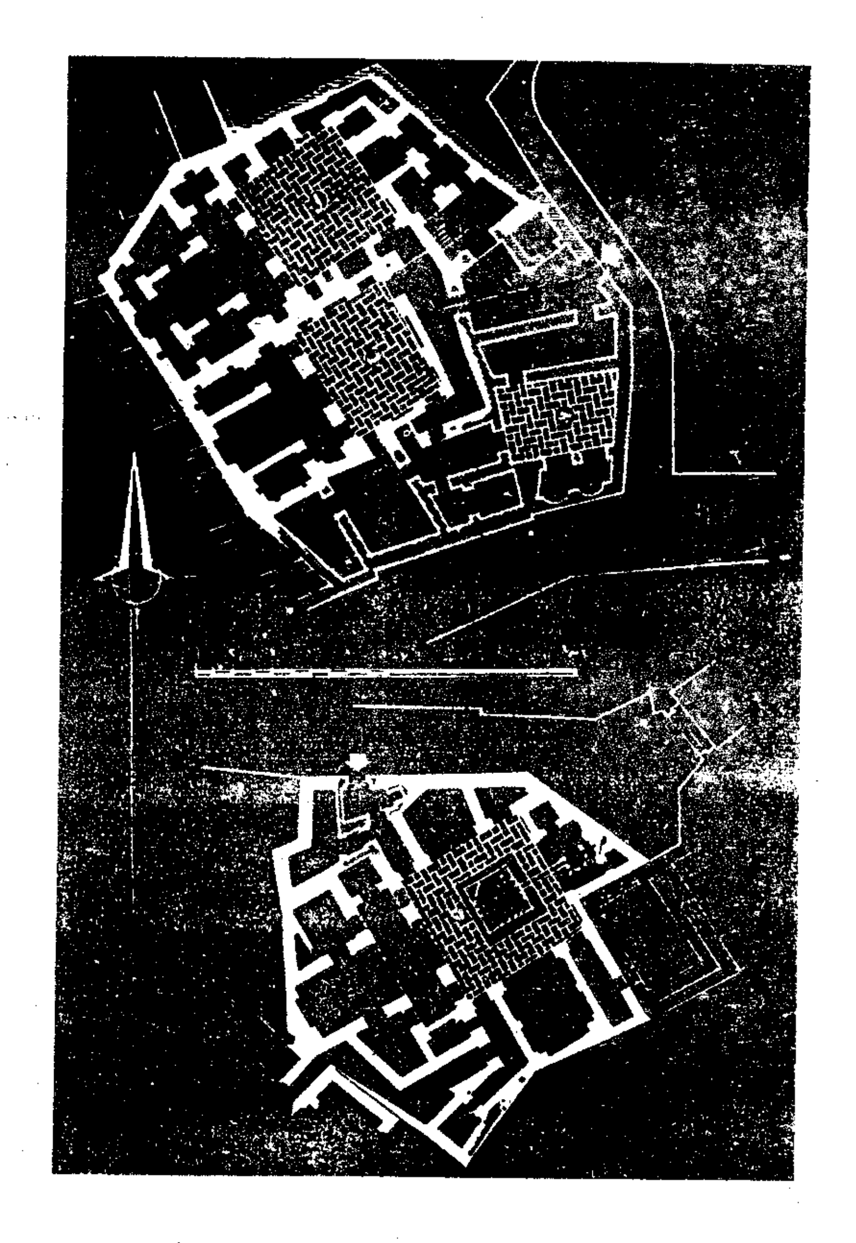


- مخطط البيت الطولوني الثاني عن فريد شافعي



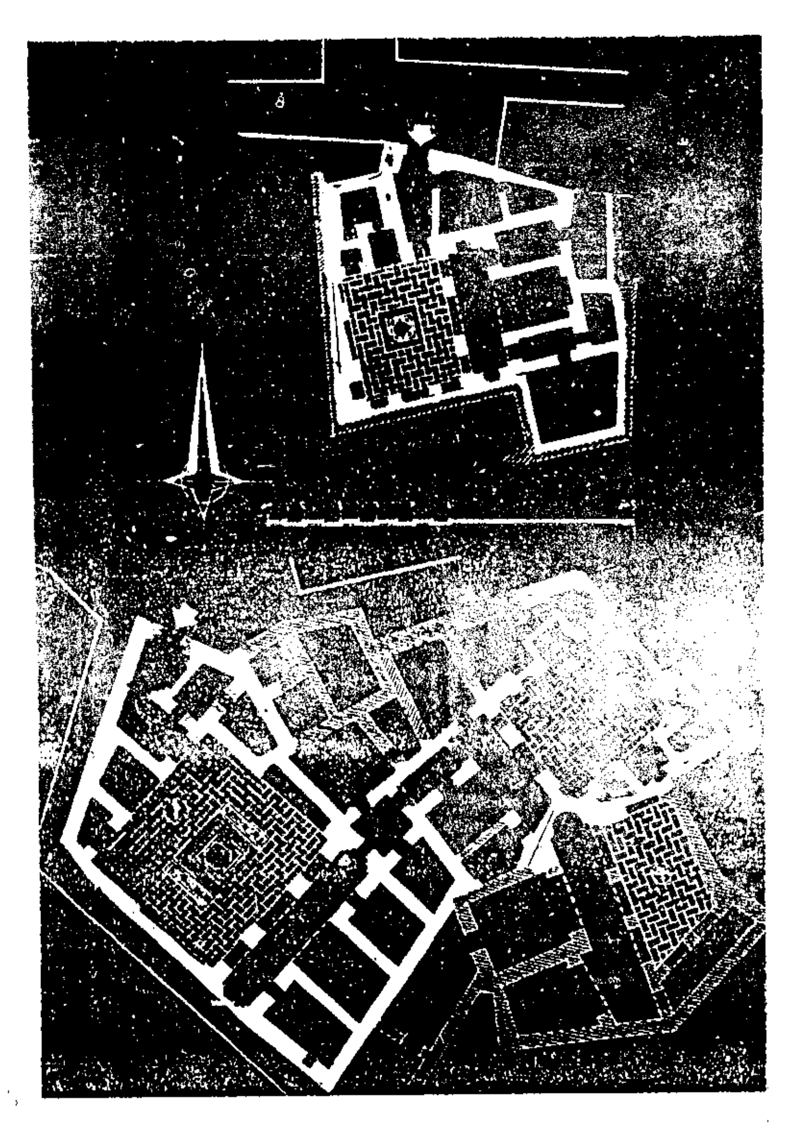
الفسطاط ـ مجموعة من خمسة بيوت (يسميها علي بهجت بالدار الاولى)

- الدار الأولى بالفسطاط عن فريد شافعي



- الفسطاط - دار ذات بيتين (يسميها علي بهجت بالدار الثانية)
- الفسطاط - بيت ذو فناء واربعة ايوانات (يسميه علي بهجت بالدار الثالثة)

- الدار الثانية والثالثة بالفسطاط عن فريد شافعي



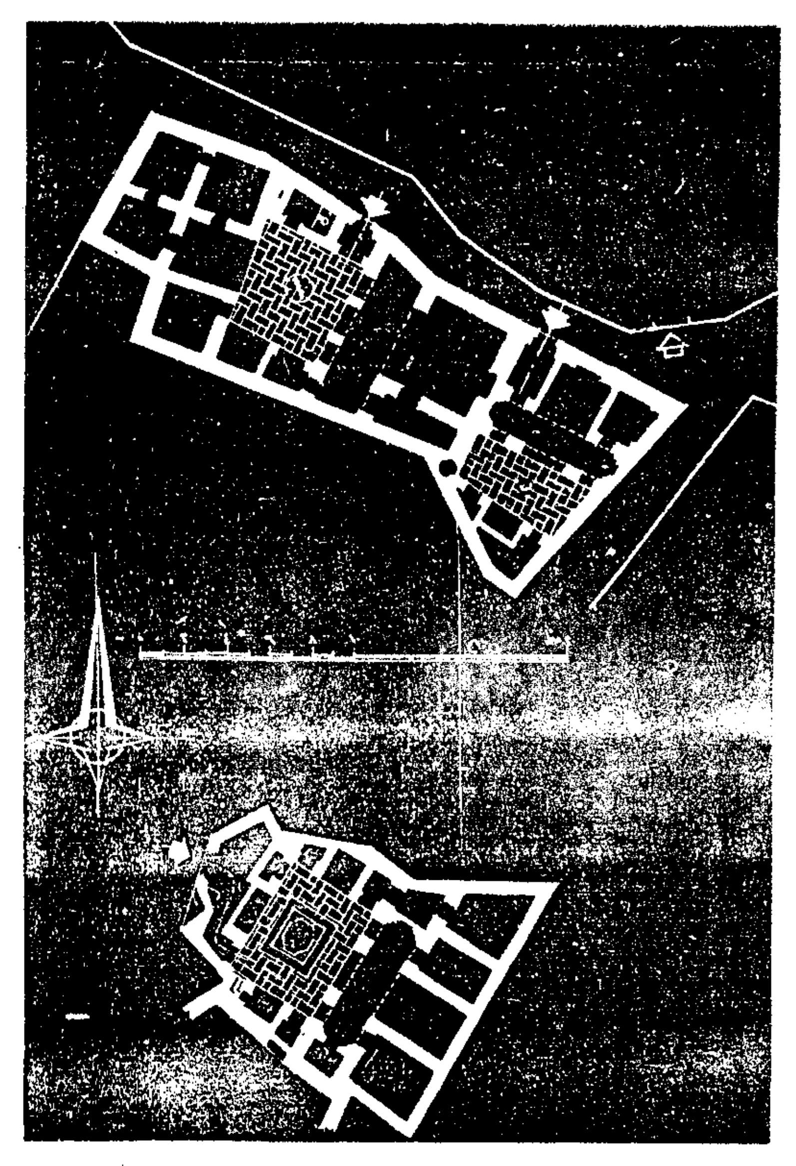
- الفسطاط : بيت صغير (يسميه على بهجت بالدار الرابعة)
- الفسطاط : دار ذات ثلاث بيوت (يسميها على بهجت بالدار الخامسة)

- الدار الرابعة والخامسة بالفسطاط عن فريد شافعي



ـ الفسطاط : بيت كبير بملحقاته (يسميه علي بهجت بالدار السادسة)

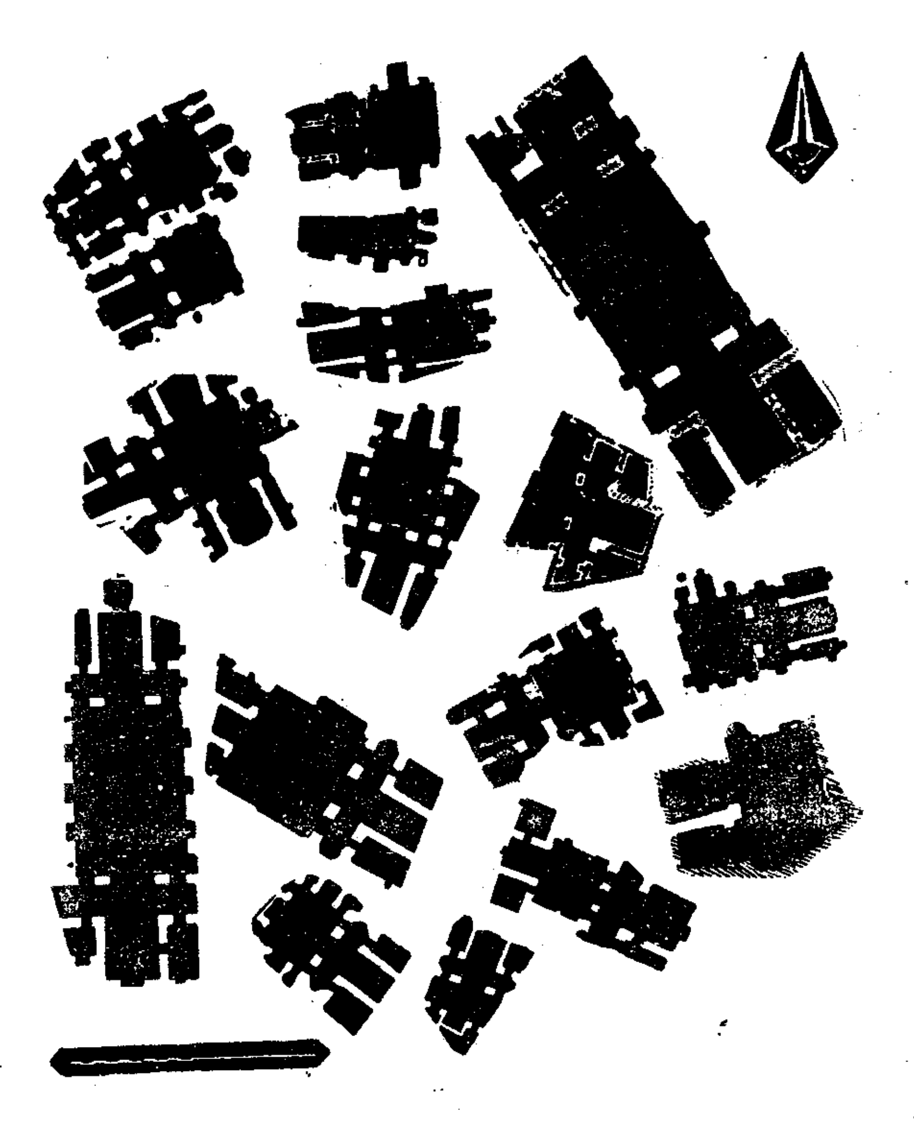
- الدار السادسة بالفسطاط عن فريد شافعي



ـ الفسطاط : دار ذات بيتين مستقلين (يسميها علي بهجت بالدار السابعة)

ـ الفسطاط : بيت صغير (يسميه علي بهجت بالدار الثامنة)

ـ الدار السابعة والثامنة بالفسطاط عن فريد شافعي



- موازنة تبين الخضوع التام لفكرة مشتركة فى جميع البيوت وهى تخطيط النواة الرئيسية فيها كلها من فناء اوسط وايوان فى ضلع منه أو اكثر ، ويتقدم احد الايوانات سقيفة مستعرضة ، وذلك على الرغم من التباين الكبير بين مساحات تلك النواة فى البيوت الكبيرة والمتوسطة والصغيرة . كما توضح الموازنة خطأ النظرية التى تقول باتباع نظام معين فى وضع السقيفة والايوان الرئيسيين بالنسبة للاتجاه الشمالى .

- دور (بيوت) الفسطاط عن فريد شافعي